ذات يوم

يوميات ألف عام ... وأكثر

المجلد الأول

١٩٧٣
١٩٨٢
١٩٥٣
١٨٦٩
١٩٧٥
١٩٥٦
٢٠١١
١١٧٦
١٩٧١
١٩٧٩
١٩٧٠
١٩٥٢

سعيد الشحات

هذا الكتاب تدوين يومي لأحداث تاريخية وقع بعضها منذ ألف عام وأكثر، وينقب عن المسكوت عنه في كل حادثة، وكتابتها بأسلوب صحفي سهل، وسرد درامي جذاب .. هو ليس جرعة أكاديمية خالصة، لكن في نفس الوقت يدون أحداثا ربما نسيناها، أو مازالت حاضرة لكن يتم تأويلها لأغراض خبيثة.





الهيئة المصرية العامة للكتاب

هدى جمعة الصياد

ذات يوم

يوميات ألف عام .. وأكثر

المجلد الأول

سعيد الشحات



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥

الشحات، سعيد.

ذات يوم: يوميات ألف عام... وأكثر/ سعيد الشحات. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.

٨٢٠ص مج١؛ ٢٤ سم.

تدمك ٩ ٠٤٧٩٩ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ التاريخ.

أ ـ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٧٨٠/ ٢٠١٥

I. S. B. N 978 - 977 - 92 - 04799 - 9

ديوى ٩٠٧,٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
أ. حلمى النمنم

اسم الكتاب : ذات يوم
يوميات ألف عام.. وأكثر
المجلد الأول
تأليف : سعيد الشحات

الإخراج الفنى : مادلين أيوب فرج

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

إهداء

إلى قريتي.. كوم الأطرون، طوخ، قليوبية،
التي تلقَّيت بها أول حصة في التاريخ.

مقدمة

لا يستطيع الإنسان أن يعرف التاريخ إلا إذا قرأ، ولا يستطيع الحكم على حاضره إلا إذا عرف قصته من بدايتها، والبداية تعنى الماضى، والماضى قصة ممتدة صنعها أشخاص.

وبعض من هؤلاء الأشخاص عاشوا فى الظل ورحلوا دون أن نعرف ما فيه الكفاية عما فعلوه سلبًا أو إيجابًا، وبعضهم وقف على المسرح يقدم دوره أمام الدنيا كلها فشاهده الجميع، والحصيلة هى حكايات يتم تدوينها، غير أن التدوين نفسه قد يخضع لأهواء تؤدى إلى إخفاء هذا، وإبراز ذاك.

وبين الحالتين قد يتوه جزء من الحقيقة، أو تتوه الحقيقة كلها، وتأتى المأساة حين يكون حاضرنا قائمًا على تلك الحقيقة التائهة أو الضائعة، ولأن الضحية هى نحن، ونحن تعنى بلدًا يتطلع إلى المستقبل، فإننى أزعم أن ذكر وقائع التاريخ الصحيحة فرض عين على كل من يحمل القلم ليسخره فى كتابة التاريخ، وإخفاء تلك الوقائع ذنب يتحمله كل من يعرفه ويخفيه، أو يعرفه لكنه يطوّعه لمصالح خبيثة.

فى لقاء لى منذ سنوات مع الأديب الكبير بهاء طاهر، قال لى: «مصر بلد لا يموت التاريخ فيه»، وحين تصديت بدءًا من أول يناير ٢٠١٤ لكتابة زاوية «ذات يوم» على صفحات جريدتى «اليوم السابع» التى أتشرف بالعمل فيها، تأكدت أكثر من أن مقولة أديبنا الكبير، حقيقة واضحة، وشمس ساطعة، فما قرأته من أحداث وقعت منذ قرون مضت، مازال الكثير منه حاضرًا وبقوة.

«ذات يوم» تقوم على اختيار حادثة تاريخية حدثت فى يوم مماثل لنشرها، وتقديمها بطريقة صحفية سهلة، وصياغة تقترب من السرد الدرامى، وبالتالى هى ليست جرعة أكاديمية خالصة، لكنها فى الوقت نفسه تلخيص لحدث قد نكون نسيناه، أو يكون مازال حاضرا فى الذاكرة الجماعية.

واهتديت من البداية إلى أن أعطى الأفضلية فى أن تغطى أحداث «ذات يوم» ما حدث فى مصر والمنطقة العربية، فهذا تاريخنا الذى لابد أن نعرفه، وجرى الكثير من عمليات التجريف فى سرده.

وفضلت التركيز على أحداث ليست معروفة، وأخرى شائعة لكن يتم المرور عليها مرور الكرام ،وبالطبع فإن هذا التفضيل وضعنى أمام عملية بحث متواصلة فى المراجع التاريخية والمذكرات السياسية وغيرها من الدراسات المعنية، وكثيرًا ما كنت أضع يدى على حكايات فى الماضى، فأجدها موجودة فى الحاضر، بأشخاص آخرين وتفاصيل مختلفة، لكن الجوهر واحد، ومن هنا اكتشفت أن «ذات يوم» تخاطب الحاضر بامتياز، على الرغم من أنها تتحدث عن حكايات تمت فى الماضى، وأنها تترجم مقولة «بهاء طاهر»: «مصر بلد لا يموت التاريخ فيه»، غير أن هناك أشياء واجهتنى فى هذه المهمة أرى من الواجب الإشارة إليها.

فى عملية «البحث التاريخى» للوصول إلى تاريخ كل حدث واجهتنى صعوبات متعددة، فوقائع التاريخ موجودة فى المراجع، غير أن الخلاف يأتى أحيانا حول توقيت حدوثها، فمن الممكن أن نرى الحدث الواحد يتم تدوينه فى كتاب على أنه حدث فى يوم محدد، فى حين تتم روايته فى كتاب آخر على أنه وقع فى يوم مختلف، ورتب ذلك بالنسبة إلىَّ جهدًا كبيرًا فى البحث والتدقيق للخروج من هذا الاختلاف بطريقة آمنة والتوصل إلى التاريخ الصحيح.

وفى هذا السياق، اكتشفت كارثة الاعتماد على البحث فى وسائل الاتصال الحديثة من مواقع إلكترونية مثل «جوجل» وغيره، فعدم إحالة الحدث إلى تاريخه الصحيح والمنضبط شائع إلى حد كبير على هذه المواقع، فالحدث الذى يكون تمامه مثلًا يوم كذا فى شهر كذا فى سنة كذا، قد نراه فى تاريخ مختلف

تمامًا، وللأسف تقع القنوات الفضائية المهتمة بتقديم «حدث فى مثل هذا اليوم» فى هذا الخطأ، فترتب هى الأخرى كارثة إضافية.

وبقدر ما تُعد المذكرات التى يكتبها أصحابها الذين كان لهم فعل مؤثر فى مواقعهم، مصدرًا مهمًا فى كتابة التاريخ، فإن الشائع فيها أن وقائعها كلما استندت إلى الذاكرة كانت إحالتها إلى أيام محددة بتواريخ محددة مفقودة، ومن هنا تشيع حوادث تاريخية كثيرة في المذكرات دون تحديد تاريخها بدقة.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات فإن غرقى فيها هو تجربة ممتعة فى عملية البحث التاريخى، وزادنى من الاستمتاع بها تشجيع أصوات كثيرة من سياسيين ومفكرين ومؤرخين وأدباء ومثقفين، والأهم من ذلك مواطنون عاديون تفاعلوا مع «ذات يوم» عبر اتصالات بجريدة «اليوم السابع»، ووصل التفاعل إلى درجة أننى تلقيت اتصالات تقترح حوادث تاريخية يسمع الناس عنها، ولا يعرفون تفاصيلها وحقيقتها الكاملة.

حدث ذلك وسط تشجيع قوى من الصديق الأستاذ خالد صلاح، رئيس تحرير «اليوم السابع»، الذى احتضن الفكرة منذ بدايتها بحماس كبير، ولم يدخر جهدًا فى تذليل كل الصعاب، ولهذا فهو أول من يستحق الشكر عن هذا العمل، بالإضافة إلى شكر أسرتى الصغيرة: زوجتى وأبنائى الذين يغفرون لى كثيرًا انصرافى عنهم أحيانًا كثيرة إلى مكتبتى فى بيتى من أجل البحث عن المادة الخاصة بـ«ذات يوم».

ويشمل الكتاب كل الحلقات التى نشرتها فى «اليوم السابع» عام ٢٠١٤، غير أننى قمت بإضافات على بعض الحلقات بعد أن رأيت أن الاقتصار على المساحة المتاحة فى النشر على صفحات الجريدة ليس كافيًا، وحتى أكون دقيقًا فى سردى لكل حدث وضعت اسم المراجع، التى اعتمدت عليها فى نسيج الكتابة، ومن يُرد الاستزادة فليعُد إليها.

ومن الضروري التنويه إلى أن التواريخ المتعلقة بحدث واحد سنجدها متفرقة، وقد تفصلها أيام وأسابيع وشهور، بمعنى أننا سنجد تاريخًا لحدث

من الحملة الفرنسية في شهر ما، ثم نجد تاريخًا عن «الحملة» أيضًا في شهر آخر وهكذا، لكن منهج الكتاب يقوم طبقًا لاختيار يوم الحدث، وليس وحدة الموضوع.

« ذات يوم» ليست تأريخًا بالمعنى الأكاديمى، فهذا أمر له أهله المتخصصون، لكنها سباحة لقراءتى فى التاريخ، فالتقطت منه بعضًا من ذخائره، وإذا كان هناك من قصور فى شىء فهو مسئوليتى.

سعيد الشحات

١ يناير عام ١٩٥٦

عَلَم السودان المستقل عن مصر
يرفرف فى التاسعة صباحًا

«ليس أسعد فى تاريخ السودان وشعبه من اليوم الذى تتم فيه حريته ويستكمل فيه استقلاله، وتتهيأ له جميع مقومات الدولة ذات السيادة، ففى هذه اللحظة الساعة التاسعة تمامًا من اليوم الموافق أول يناير ١٩٥٦ ميلادية، ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٥ هجرية، نعلن جمهورية السودان الأولى الديمقراطية المستقلة، ويرتفع علمها المثلث الألوان ليخفق على رقعته، وليكون رمزًا لسيادته وعزته، وإذا انتهى بهذا اليوم واجبنا فى كفاحنا التحريرى فقد بدأ واجبنا فى حماية الاستقلال وصيانة الحرية وبناء نهضتنا الشاملة، التى تستهدف خير الأمة ورفعة شأنها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بنسيان الماضى وطرح المخاوف وعدم الثقة، وأن نواجه المستقبل كأبناء أمة واحدة».

تلك هى الكلمات التى استهل بها إسماعيل الأزهرى، رئيس الوزراء السودانى، خطابه أمام البرلمان السودانى فى مثل هذا اليوم عام ١٩٥٦، وفيما كان السودانيون يخرجون إلى الشوارع للتعبير عن فرحتهم بالاستقلال، كانت مصر بهذه الخطوة تودع سنوات طويلة من السيطرة المصرية الإنجليزية على السودان الذى كان اسمه من عام ١٨٩٩ «السودان الإنجليزى المصرى»، وفى خلال هذه الفترة كان الحكم فى حقيقته إنجليزيًا خالصًا وليس ثنائيًا،

حيث تختار إنجلترا الحاكم العام للسودان، وهو إنجليزى، ويأمر خديو مصر بتعيينه، وعلى الرغم من أن الاستقلال كان اختيارًا شعبيًّا سودانيًّا تم عبر استفتاء لتقرير المصير، فإن هناك فى مصر من لا يزال يرى أن ما حدث تفريط من جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأحد الثوابت التى تمسكت بها الحركة الوطنية المصرية قبل الثورة.

فى صراع الثنائية المتضادة بين السودانيين الذين صمموا على استقلال بلادهم، وبين أطياف وطنية مصرية تمسكت بالوحدة، تقودك وقائع التاريخ إلى أن الاستقلال كان آتيًا لا محالة حتى لو طالت السنون، ففى عام ١٨٢٠ قام محمد على باشا، والى مصر، بحملة استمرت عامين انتهت بضم كل السودان الشمالى ماعدا دارفور، ثم قام الخديوِ إسماعيل باستكمال فتوحات جده فى السودان وضم المناطق الاستوائية حتى أوغندا بحلول عام ١٨٧٥، وقام «الزبير باشا ود رحمة» بغزو دارفور وضمها إلى أملاك الخديو.

وإذا كان الأمر قد تم على هذا النحو، فمن الطبيعى القول بأن اليوم الذى سيقول فيه السودانيون كلمتهم كان سيأتى، والوقوف ضده كان سيتم بمنطق «الفتح» من مصر مما يحتمٌ مقابلته بمقاومة سودانية.

ويقترب من هذا الرأى «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢، الذى تولى ملف السودان بعد الثورة، حيث يقول فى مذكراته الصادرة عن «الهيئة العامة للكتاب- مصر»: «أمر الاتحاد بين السودان ومصر لم يكن فى يد مصر أو أية قوة فى العالم أن تقرره، لقد كان بيد السودان، وبيدهم وحدهم، أن يقرروا شكل الصلة بينهم وبين مصر».

٢ يناير عام ١٤٩٢
سقوط الأندلس وأبو عبد الله
يصف نفسه بـ«معدن العيوب وجبل الذنوب»

«لم يدخل الإسلام فى بلد وخرج منه إلا فى بلاد الأندلس»، تلك حقيقة لا يزال الباحثون حتى يومنا هذا يشغلهم سبب وقوعها.. فى الأسباب هناك من يرى أن طبيعة الحضارة الغربية لم تساعد على بقاء الإسلام فيها، وهناك من يرى مثل المفكر الجزائرى «مالك بن نبى» أن زوال الأندلس يعود إلى قابلية الاستعمار، بمعنى قبول الشعوب المسلمة نمط الاستعمار ثقافيًّا وحضاريًّا.. فى كل الأحوال تظل الحقيقة أن البلاد الفتية تحمل أسباب زوالها إن تحولت إلى حكم الطوائف.

فى مثل هذا اليوم من عام ١٤٩٢ قام السلطان أبو عبد الله محمد بتسليم غرناطة إلى «فرناندو» ملك «قشتالة»، ويروى الدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم فى دراسة له بعنوان «السلطان أبوعبد الله» منشورة فى سلسلة كتاب الشعب- مصر ١٩٥٩ أن تقديم غرناطة أو التنازل عنها تم طبقًا لاتفاق تم إبرامه بين الاثنين يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٤٩١.

وشمل الاتفاق سبعة وستين شرطًا، منها، تأمين الصغير والكبير فى النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس فى أماكنهم ودُورهم وربوعهم وعقارهم، وإقامة شريعتهم على ما كانت عليه، ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم، وأن تبقى المساجد كما كانت، وألا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا أحدًا،

وأن يطلق سراح جميع أسرى المسلمين فى غرناطة، وخصوصًا بعض الأعيان، وألا يقهر مسلم على التنصرُّ، ومن تنصرَّ من المسلمين يوقف أياما حتى يقرر بنفسه، ولا يعاتب من قتل نصرانيًّا أيام الحرب، ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداء، وألا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، وألا تفرض على المسلمين ضرائب جديدة، وأن ترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة، وأن يسير المسلم فى بلاد النصارى آمنًا فى نفسه وماله، ولا تجعل للمسلمين علامة كما هو الحال مع اليهود وأهل الدجن، ولا يمنع مؤذن ولا مُصلٍّ ولا صائم ولا غيره من أمور دينه، ومن ضحك من النصارى استهزاءً يعاقب.

أما الشروط الخاصة بسلطان غرناطة، فشملت مغادرته لها إلى منطقة «البشرات» وخضوعه لملك قشتالة الذى اشترط أن يتسلم ٥٠٠ من أعيان المدينة كرهائن، خشية الغدر بجيشه وقت دخوله إليها.

تُليت هذه الشروط على أهل غرناطة، فعم الحزن واليأس قلوب الناس، وضجوا بالبكاء والنحيب، ودخلتها جيوش قشتالة يتقدمها موكب دينى، ودقت الكنائس أجراسها معلنة سقوط المدينة، وسقوط دولة الأندلس بعد حكم دام ٨٠٠ عام، ونُكثت هذه الشروط بعد سنوات قليلة، وتم تنصير مسلمين بالإرهاب والتعذيب وعرفوا باسم «الموريسكيين»، ومن بقى على إسلامه تعرض للقتل وأُخذت النساء سبايا.

انطوت بسقوط غرناطة آخر صفحة من تاريخ الأندلس المجيد، غادر «أبوعبد الله» مدينته وقصره ومعه أفراد أسرته وبعض حاشيته، كان موكبه حزينًا صامتًا، ونكس أفراده رءوسهم وأرسلوا دموعهم، وقبل أن يغادر باب المدينة ضج بالبكاء، فقالت له أمه قولتها الشهيرة: «ابْكِ كالنساء مُلكًا مضاعًا لم تحافظ عليه كالرجال»، لم يتحمل العيش فى «البشرات» أكثر من عام، فكتب إلى سلطان فاس «أبى عبد الله محمد الشيخ» مستجيرًا فى بكائية طويلة: «لا أنكر عيوبى فأنا معدن العيوب، ولا أجحد ذنوبى فأنا جبل الذنوب، وقعنا فى أوجال وأوحال، فثُل عرشنا، وطويت فرشنا، ونكس لوانا، ومُلك مثوانا».

سمح له سلطان فاس بالانتقال إليها، وفيها ظل يستعيد ذكريات غرناطة، فجسدها فى بناء قصور على غرار قصوره فى غرناطة، ومات عام ٩٤٠ ميلادية تاركًا ولديه يوسف وأحمد، وحسب قول سالم: «عَدَت على أخفاده وذريته عوادى الدهر، فعاشوا يستجدون الناس».

٣ يناير عام ١٨٨١
بدء الأهرام اليومى
والصحافة لم تعد مهنة «دنيئة»

« نتعهـد بعـدم الخـوض فى «الشئون البولوتيكيـة».. بالطبـع فـإن المقصـود بهـذا العهـد هـو عـدم الخـوض فى السياسـة.

كان هـذا هـو العهـد الـذى قطعـه الأَخَـوان «سـليم وبشـارة تقـلا» عـلى نفسـيهما حـين قـررا إصـدار جريـدة الأهـرام مـن الإسـكندرية، التـى بـدأت يـوم ٥ أغسـطس عـام ١٨٧٦، وكانـت تصـدر كل يـوم سـبت، وبعـد ٥ سـنوات مـن صدورهـا وفى مثـل هـذا اليـوم (٣ ينايـر عـام ١٨٨١) تحولـت إلى جريـدة يوميـة مـن مقرهـا فى ميـدان القناصـل أمـام بنـك «الرهونـات» بالإسـكندرية، وظلـت فى «عـروس البحـر المتوسـط» حتـى كان يـوم ٣ نوفمـبر عـام ١٩٠٠ لتنتقـل إلى القاهرة فى شـارع مظلـوم، ثـم إلى مقرهـا الحـالى فى شـارع الجـلاء منـذ يـوم ١ نوفمـبر عـام ١٩٦٨.

بالطبـع لم يصمـد عهـد الأخويـن «تقـلا» بعـدم الخـوض فى «البولوتيـكا»، غـير أن السـؤال: لمـاذا كانـت الأهـرام مـن الإسـكندرية؟ ولمـاذا كان مؤسسـاها مـن «الشـوام»؟ ومـا النكهـة الصحفيـة التـى حملتهـا هـذه الصحيفـة التـى تحولـت فيـما بعـد إلى صحيفـة كـبرى فى المنطقـة العربيـة؟

يمكن القول بأن عهد الخديو إسماعيل باشا الذى أعطى الرخصة لجريدة الأهرام، كان الميلاد الحقيقى للصحافة المصرية، وللصحافة المملوكة للأفراد، ووصل عدد الصحف الصادرة فى عهده ٤٠ صحيفة بمختلف اللغات؛ منها ٢٣ باللغة العربية.

وطبقًا لما يذكره الدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر المصرى الحديث من عهد إسماعيل حتى ثورة ١٩١٩»: «كانت هجرة عدد كبير من المثقفين والكُتَّاب والفنانين الشوام إلى مصر نتيجة للمذابح الدينية التى دبرها «الباب العالى العثمانى» فى لبنان وسوريا عام ١٨٦٠ سببًا فى ازدهار الصحافة فى مصر، حيث تبنى «إسماعيل» هؤلاء اللاجئين كجزء من سياسته العامة فى مناوأة الباب العالى والتعبير عن استقلال الإرادة المصرية، وفى هذا السياق أُنشئت جريدة الأهرام، وأدى نشوب الحرب بين روسيا وتركيا إلى انقسام الصحافة بين مؤيد لـ«الباب العالى» صاحب السيادة الرسمية على مصر، وفريق يجاهر بالعداء له وكانت جريدة «الأهرام» من هؤلاء.

وعلى الرغم من أن «القاهرة» هى العاصمة فإن «الشوام» فضلوا الهجرة إلى الإسكندرية؛ لأنها كانت مركزًا تجاريًا مهمًا على البحر المتوسط، وتعج بالأجانب خاصة الأوربيين، وهو ما جعلها مدينة عالمية «الكوزموبوليتانية»، وبوجود «الشوام» فيها جاءت صحيفة الأهرام التى اهتمت فى بدايتها بالعالم أكثر من اهتمامها بمصر.

ليس من الطبيعى أن نقيس ما كانت عليه الصحافة وقت بداية «الأهرام» بتقدم الفن الصحفى الآن، وعلى الرغم من ذلك استحدثت فن الحوار الصحفى، ففى عام ١٨٩٧ أجرى بشار تقلا حوارًا صحفيًا مع الخديو إسماعيل، وكانت قيمته الكبرى فى أنه غيّر النظرة إلى الصحافة بوصفها مهنة «دنيئة»، لكن هذه الخطوة لم تمنع مثلًا أن تظل الجريدة بلا صور للمصادر، ولذلك اعتُبر العدد ١٥٢ عددًا فريدًا إذ خرج وعلى صفحاته صورة كبيرة للخديو توفيق، ولم يتكرر ذلك إلا بعد عامين بعد أن تم كسر قاعدة أن نشر الصورة يخرج الجريدة عن وقارها.

٤ يناير عام ١٩٥٤
طرد السفير التركى من القاهرة
بعد وصفه لمصر بـ«البلد القذر»

«تصرفاتكم ليست تصرفات جنتلمان، ولن تكون هناك أى صداقة بيننا وبينكم»، وجه هذه العبارة السفير التركى فى مصر «فؤاد طوغاى» إلى جمال عبد الناصر، نائب رئيس مجلس الوزراء، وذلك أثناء افتتاح وزارة الإرشاد القومى لموسم دار الأوبرا، فقررت الحكومة المصرية طرد «طوغاى» من القاهرة فى مثل هذا اليوم «٤ يناير ١٩٥٤»، بعد رفع الحصانة الدبلوماسية عنه واعتباره شخصًا عاديًا.

أوردت صحيفة الأهرام القصة كاملة فى عددها الصادر يوم «٥ يناير ١٩٥٤»، وأفردتها على ٨ أعمدة فى الصفحة الأولى، وأرجعت الطرد إلى حملات «طوغاى» المستمرة على ساسة قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتوجيهه ألفاظا نابية إلى جمال عبد الناصر، وكان وقتها نائب رئيس الوزراء فى حكومة يترأسها اللواء محمد نجيب.

ذكرت «الأهرام» أن قرار طرد «طوغاى» تم اتخاذه فى اجتماع لمجلس الوزراء يوم ٢ يناير، وشرحت تفاصيل ما حدث، قائلة: «إنه لمناسبة افتتاح وزارة الإرشاد لموسم دار الأوبرا، دخل البكباشى جمال عبد الناصر فصافح السفير الهندى، ثم أبصر السيد طوغاى فى أحد أركان الغرفة، فحيَّاه: «هالو»، لكن «طوغاى» بدلا من رد التحية، وجه إلى البكباشى جمال بصوت عالٍ،

عبارات أقل ما توصف به أنها لا يمكن أن تصدر من شخص مسئول، فضلا عن ممثل دبلوماسى مفروض فيه الكياسة التامة فى الحديث، وأول واجباته التزام الحدود».

وذكرت «الأهرام»: «السفير قال لجمال عبد الناصر: «تصرفاتكم ليست تصرفات جنتلمان، ولن تكون هناك أية صداقة بيننا وبينكم»، فلم يشأ عبد الناصر الرد عليه، بل اكتفى بأن أدار ظهره فى هدوء، وواصل حديثه مع سفير الهند ووزير السويد المفوض»، وكشفت «الأهرام» أن «طوغاى» لم يكتفِ بذلك، بل زاد بوصف لمصر بأنها «بلد قذر» أيضا، فاحتدمت الأحوال وتوترت أكثر .

أخذت المسألة بعدًا شعبيًا، وفى دلالات الغضب الشعبى على ما حدث من «طوغاى»، نشرت «الأهرام» أن مواطنًا مصريًا بعث برقية إلى «السفير» الطريد يطالبه فيها بمبارزته ردا على الألفاظ النابية التى وجِّهت إلى مصر ورجال الحكومة فيها، وفى نفس العدد الذى نقل رسالة المواطن المصرى، كتب الكاتب الصحفى «أحمد الصاوى محمد» مقالا يقارن فيه بين مصر وتركيا قائلا: «نظرة واحدة على شوارع إسطنبول وأنقرة حيث البؤس والفقر المُدقِع لتدلك على الفرق الشاسع بين ما بلغته مصر فى سنوات قليلة، وما لا تزال ترزح تحته تركيا من أثر التعصب والجمود والفاقة»، ووصف «الصاوى» الدبلوماسية التركية بـ«الكسيحة العرجاء»، و«الدبلوماسية التى تجهل الدبلوماسية».

تداخلت العوامل السياسية بالشخصية كأسباب لما فعله «طوغاى»، وفى الجانب الشخصى كان هو زوجًا للأميرة «أمينة مختار» حفيدة الخديو إسماعيل، وابنة الأميرة نعمت الله أخت الملك فؤاد، وعمة الملك فاروق، أى كان صهر العائلة المالكة التى اقتلعتها ثورة يوليو من حكم مصر، وكان يعيش فى القاهرة بقصر حماته على مساحة ٢٢ ألف فدان فى منطقة المرج.

٥ يناير عام ١٨٥٦
الفرمان الثانى لحفر القناة
وأربعة أخماس العمال من المصريين بالسُّخْرة

أوكل محمد على باشا والى مصر منذ عام ١٨٠٥ إلى الفرنسى «ديليسبس» مهمة تدريب ابنه سعيد على ركوب الخيل، وممارسة الرياضة حتى ينقص وزنه، فكانت النتيجة حصول ديليسبس من سعيد على حق حفر قناة السويس.

فى رحلة من الإسكندرية إلى القاهرة، وحسب المجلد الثانى من «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية» لـ«محمد صبيح»: صحب «الخديو» صديقه «الفرنسى» الذى استعرض أمامه بعض ألعاب الخيل، وفى الطريق استراح الركب، فسرح «سعيد» بخياله مع ضوء القمر، وبينما هو على هذه الحال عرض عليه ديليسبس مشروع حفر القناة».

كانت أقوى وسيلة إقناع لـ«سعيد» ابن الـ(٣٢ عامًا) هى: «الفوائد التى ستعود عليك سيدى الوالى كثيرة، سيدر عليك المشروع أموالا لا تعرف كيف تنفقها»، كان حديث المال تحديدًا هو الأكثر جاذبية لـ«سعيد»، وتحت تأثيره قال: «نعطيكم الموافقة على الحفر».

كان ذلك فى شهر نوفمبر عام ١٩٥٤، وفى اليوم الـ٣٠ منه وقّع سعيد فرمان التنفيذ، واستهل بمدخل جاء فيه: «حيث إن صديقنا مسيو فرديناند

ديليسبس قد لفت نظرنا إلى الفوائد التى قد تعود على مصر من توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر بوساطة طريق ملاحى للبواخر الكبرى، فقد أعطيناه تفويضًا خاصًا لإنشاء وإدارة شركة عالمية لحفر برزخ السويس واستغلال قناة بين البحرين، وله أن يباشر أو يسند إلى غيره جميع الأشغال والمبانى اللازمة لذلك».

فى كتاب «قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة» للدكتور مصطفى الحفناوى، وهو الرجل الذى استعان به ويكتابه جمال عبد الناصر عند صدور قراره بتأميم القناة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٦، يقول الحفناوى: «إنه لمن أسباب الألم ودواعى الحسرة أنه أُجيز لرجل مثل سعيد باشا، أن يتصرف فى مصير أجيال متلاحقة من مواطنيه على ذلك النحو المهين، لأنه أراد أن يحابى صديق صباه، ورجلا أفّاقًا استطاع أن يتسلط على هواه، لما كان فتىً ناشئًا، بل استطاع أن ينتزع منه رضاه وتوقيعه لعقد الامتياز الذى فنيت جهود أوروبا بملوكها وساستها ودهاتها، بل قواتها المسلحة دون أن تحصل عليه، وذلك لأمر تافه رواه ديليسبس فى كتابه لحماته، وهو أنه استهوى الوالى وبطانته بألعاب بهلوانية فوق صهوة جواده».

وفى مثل هذا اليوم (٥ يناير عام ١٨٥٦) صدر فرمان ثانٍ كان له أكبر الأثر فى مشروع الحفر، حيث نص على أن يكون قوام الحفر أربعة أخماس من العمال المصريين، وهو ما عرف بالسخرة، وتعهدت الحكومة ببذل مساعداتها للشركة، وتكليف جميع دوائر المصالح أن تمد الشركة بالمساعدات.

بمقتضى الفرمان الثانى بدأ العمل فى المشروع يوم ٢٥ أبريل عام ١٩٥٩، فى موقع بورسعيد الحالى برفع العلم المصرى، وألقى ديليسبس كلمة، وبعد الانتهاء منها أمسك بمعول وضرب به الأرض فى إحدى الحفر وكان ذلك إيذانا ببدء الحفر، ويقول أمين سامى فى «تقويم النيل»: «فى ٢١ رمضان سنة ١٢٧٥ هجرية بُدئ فى حفر قناة السويس ابتداء من بورسعيد، وأعدت الحكومة المصرية ٢٧ ألفًا بدون أجر لهذا العمل، وأما عدد الشغالة الموجودين والمستخدمين فبلغ ٥ آلاف تقريبًا».

٦ يناير عام ١٩٨٦
موت سليمان خاطر فى السجن
بعد قتله وإصابة ٧ جنود إسرائيليين

كانت الحركة الوطنية المصرية المناهضة للتطبيع مع إسرائيل، تبحث منذ ولادتها بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وتل أبيب يوم ٢٦ يناير ١٩٨٠، عن مَدَد يزيدها حركة وتأثيرًا شعبيًّا حتى جاءها خبر وفاة سليمان خاطر فى مثل هذا اليوم من ٦ يناير عام ١٩٨٦، ومن قبله عمليته الجريئة بقتل وإصابة ٧ جنود إسرائيليين، تسللوا إلى نقطة كان مرابطًا فيها يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٨٥.

كانت عملية سليمان خاطر بمثابة الرد العملى على اختصار الرئيس أنور السادات بأن رفض العلاقة الشعبية للمصريين مع إسرائيل يعود إلى ما سماه «الحاجز النفسى»، فخمس سنوات مضت على بدء العلاقات، لكن ما قام به «سليمان» كان تعبيرا عن أن القضية أعمق بكثير من مفهوم «الحاجز النفسى»، فـ«سليمان» كان جنديا وقتها فى الأمن المركزى على الحدود، وكان فى الوقت نفسه طالبًا منتسبًا فى كلية الحقوق بجامعة الزقازيق، والأهم أنه شاهد وهو طفل اعتداء إسرائيل الوحشى بالطائرات على مدرسة بحر البقر الابتدائية يوم ٨ أبريل عام ١٩٧٠ الذى أدى إلى نسف المدرسة وقتل ٣٠ طفلا أثناء تلقِّيهم دروسهم.

كان بيت «سليمان» فى قرية إكياد بمحافظة الشرقية يفصله عن المدرسة أمتارٌ قليلة، وذهب مسرعا إلى موقع الجريمة ليرى هول ما حدث.

المؤكد أن جريمة «بحر البقر» شكلت وجدان «سليمان»، وحضرت معه كلما وقف فى خدمته «العسكرية» ويشاهد الإسرائيليين، وكانت تلك ورقة استخدمتها هيئة الدفاع عنه أمام المحكمة العسكرية التى حاكمته وقضت بسجنه ٢٥ عامًا.

أشاعت الصحف المصرية الرسمية فور تنفيذ «سليمان» عمليته بأنه يعانى «خلل نفسى»، وتلك كانت عادة متبعة وقتها فى مثل هذه القضايا، يقابلها سخرية المصريين، خاصة أنها قيلت عن «سعد إدريس حلاوة» الذى دخل فى اعتصام مسلح بقريته أجهور الكبرى محافظة القليوبية، احتجاجا على بدء العلاقات مع إسرائيل، كما كانت أقوال سليمان فى التحقيقات نموذجا على وطنية شاب عاقل ناضج، فحين سأله المحقق: «لماذا يا سليمان تصر على تعمير سلاحك؟»، أجاب فى بساطة: «لأن اللى يحب سلاحه يحب وطنه، ودى حاجة معروفة، واللى يهمل سلاحه يهمل وطنه»، ولما سأله: «بماذا تبرر حفظ رقم سلاحك؟»، أجاب: «لأنى بحبه زى كلمة مصر تماما».

بعد أيام من الحكم على «سليمان»، فوجئ المصريون بخبر وفاته، وحسب الرواية الرسمية أنه انتحر بشنق نفسه على نافذة ترتفع عن الأرض بثلاثة أمتار باستخدامه «البطاطين»، ولاقت هذه الرواية تشكيكًا ممن شاهدوا الجثة قائلين إن بها آثار خنق بآلة تشبه سلكا رفيعا، وكدمات على الساق تشبه آثار جرجرة أو ضرب، وطلبت أسرته إعادة تشريح الجثة عبر لجنة طبية محايدة، وقوبل طلبها بالرفض.

اشتعلت جامعات مصر خاصة فى عين شمس والقاهرة والزقازيق بالمظاهرات، احتجاجًا على ما حدث، ونزلت شخصيات سياسية كبيرة فى المظاهرات أمام جامعة القاهرة يتقدمهم فتحى رضوان، إبراهيم شكرى، الدكتور خالد جمال عبد الناصر، حمدين صباحى، كمال أبوعيطة، أمين إسكندر، عزازى على عزازى، وآخرون.. وحتى الآن يُعد موت سليمان خاطر مفتوحًا على روايتين، رسمية هى انتحاره، وأخرى شعبية هى قتله.

٧ يناير عام ١٨٩٢
وفاة «الخديو توفيق»
ووالده إسماعيل يتلقى الخبر ببرود

أصيب الخديو توفيق بنزلة برد استمرت ثمانية أيام، واشتدت وطأة الحمى عليه يوم ٦ يناير، وعانى فيها الأرقَ وضيق التنفس، وأصيب باحتباس فى البول لمدة يومين أدى إلى وفاته بالتسمم فى مثل هذا اليوم (٧ يناير عام ١٨٩٢)، بعد فترة حكم استمرت ١٣ عامًا.

حدثت الوفاة فى حلوان حيث يقيم، ويقول «أحمد شفيق باشا»، رئيس الديوان للخديو عباس حلمى الثانى فى الجزء الأول من مذكراته «مذكراتى فى نصف قرن» الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة»: «وصل النعش محطة قطار باب اللوق إلى سراى عابدين، وتقرر أن تكون الجنازة بالملابس الرسمية، وضم موكب جنازته النظار وممثلى الدول والعلماء والأمراء والرؤساء الروحانيين، وكثيرًا من وفود الأقاليم والجموع الكثيرة من الشعب، وجماعة الماسونيين؛ لأن المتوفىّ كان ماسونيًا».

وفيما يتحدث «شفيق» عن أن موت توفيق البالغ من العمر ٤٠ عامًا أدى إلى «الحزن العميق بين الطبقات» و«لبست البلاد كلها ثوب الحداد وحزن الشعب كله على أمير كان يحبه» ويتحدث عنه بوصفه حاكمًا وطنيًا عادلاً، يصفه «أحمد عرابى» فى مذكراته بـ«الخائن»، ويقول محمد عودة فى كتابه «ليبراليون وشموليون وقصة الديمقراطية والحزبية فى مصر» الصادر عن «دار

الهلال، القاهرة»: «لم يبالِ أحد بنهاية حكمه ولم يذرف أحد من أسرته أو من شعبه دمعة حزن عليه»، ويضيف عودة أن والده «إسماعيل» الذى كان يعيش فى إسطنبول بتركيا بعد عزله، تلقى خبر وفاته ببرود وصمت، فهو الذى قال عنه: «أمير يحمل نفسية العبد ويفتقر إلى العقل والقلب والشجاعة، وكان يتآمر مع القناصل ضدى، رغم أننى امتهنت نفسى وركعت تحت أقدام السلطان العثمانى وملأت جيوبه بالذهب لكى أغير قانون الوراثة حتى يصبح «خديو» من بعدى».

وينقل «عودة» فى «ليبراليون وشموليون» آراء ذكرتها الصحف البريطانية فيه، ومنها صحيفة «ڤارايتى»: «كان كائنا أليفا لطيفا محدود المواهب دائم الشك فى كل شىء وكل أحد، ويفتقد الثقة فى نفسه، وكل ما كان يعرفه وما يقتنع به عن يقين أنه لا بقاء له على العرش الذى يجلس عليه إلا فى حماية بريطانيا».

وكتبت «المانشستر جارديان»: «يكفى أن يطوف الزائر بمصر أسبوعا واحدا متجولا فى أرجائها، لكى يدرك أن أبغض شخصية إلى الأهالى وأحقرها هو الخديو، وهناك إجماع على ذلك من كل الفئات والطبقات، وأقرب شخصية إليه هى مشعوذة يبدأ يومه بالاستماع إلى تنبؤاتها، وذلك قبل أن يتلقى تقارير الجواسيس الذين يستقبلهم كل صباح، وليس للخديو من يعتمد عليه فى مصر سوى بريطانيا»، وقالت صحيفة «الكرونيكل»: «لم يكن أكثر من دُمْية مطيعة فى يد بريطانيا، استمر بوسيلة وحيدة فقط هى قدرته الخارقة على الدس والتآمر».

وكتب المستر بيمان من كبار موظفى الوكالة البريطانية فى مصر قائلا فى رثائه: «لا يكره المصريون أحدا ويمقتون ويحقدون عليه مثل توفيق، بل إنهم أكثر كراهية له من كراهيتهم لنا، لأنه هو الذى جاء بالاحتلال وخان شعبه وبلاده».

كان هو الابن الأكبر لـ«إسماعيل» وأمه الجارية لوالده «نور هانم شفق» ولم يعترف بها زوجة شرعية إلا قرب الاحتفال بافتتاح قناة السويس، فبسطت سلطتها على القصر بالتآمر، وهى التى أوحت لابنها بأن يمنع كل إخوته غير الأشقاء حسين وحسن وإبراهيم من العودة إلى مصر.

٨ يناير عام ١٨٩٢
العلماء يرفعون سن البرنس
«عباس حلمى» إلى ١٨ عامًا ليحكم مصر

تسلم البرنس عباس حلمى ابن الخديو توفيق رسالة عاجلة من الحكومة: «احضر فورًا على أول باخرة».

كان هو فى العاصمة النمساوية ڤيينا يتلقى تعليمه، بينما تشهد القاهرة تشييع جنازة والده فى مثل هذا اليوم (٨ يناير ١٨٩٢)، وبوفاته أصبحت مصر بلا حاكم، وتوجهت الأنظار إلى «عباس»، فهو أكبر أبناء «توفيق» لكن كانت هناك مشكلة وهى أن عمره ١٧ عاما وبضعة شهور ميلادية، أى لم يبلغ الـ ١٨ عامًا، وهى السن القانونية لمن يشغل منصب الخديو، فكيف تم العبور فوق هذا الحائل؟

يروى «أحمد شفيق باشا» فى مذكراته الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة» القصة من بدايتها، ففى أول يناير اشتدت وطأة المرض على توفيق، فاجتمع السير أڤلين بارنج، عميد الاحتلال الإنجليزى فى مصر، ومصطفى فهمى باشا رئيس النظار «الوزراء»، وتيجران باشا، ناظر الخارجية، والسير ألوين بالمر، المستشار المالى، وتباحثوا فيما يجب اتخاذه عند وفاة الخديو، واتفقوا على وجوب إعلان الأمة المصرية والسلطان فى الحال بارتقاء البرنس عباس (ولى العهد الشرعى)، خشية تدخل السلطان العثمانى فى الأمر.

على أثر تشييع جنازة توفيق اجتمع النظار ومعهم «بارنج»، وبحثوا فى مسألة أن البرنس عباس لم يبلغ من العمر ١٨ عامًا، وبناء عليه، هل يصلح للحكم بنفسه، أم يجب تعيين نائب له؟

تناقش الجميع فى المشكلة، وكان الحل عند العلماء، والعلماء هم رجال الدين، قالوا: التاريخ الهجرى هو الذى يجب أن تعمل به البلاد، فمصر إسلامية، والتاريخ الهجرى هو التقويم الصحيح لها، وبمتابعة سن عباس بهذا التقويم سيكون بلغ الـ ١٨ عاما، ليس هذا فحسب بل إنه سبق أن تم الإعلان عن بلوغ عباس سن الرشد فى يوم ١٤ يونيه ١٨٩١، واحتفلت مصر بهذا اليوم.

أخرج هذا الحل الجميع من المشكلة، وترتب عليه أن البرنس عباس سيكون حاكما كامل الأهلية، ولن يحتاج إلى نائب لفترة مؤقتة، وبناء على ذلك أرسلت الحكومة إليه رسالتها: «أحضر إلى مصر على أول باخرة».

فى الساعات الأولى من صباح يوم ١٦ يناير، وصل إلى ميناء الإسكندرية اليخت «فرديناند مكسيميليان» الذى أمر إمبراطور النمسا فرنسوا چوزيف بإعداده لنقل الخديو ومعه شقيقه البرنس محمد على وأستاذه فى الحقوق المسيو روليه، وزميله فى المدرسة اسمه «فليشهيكر».

استقبله عمه البرنس حسين كامل باشا والنظار والعلماء وقاضى مصر والمفتى وقائد جيش الاحتلال وقناصل الدول، ويقول شفيق: «كان الشعب السكندرى يحتشد أفواجا على جانبى الطريق وفى شرفات المنازل من رأس التين إلى المحطة، والزينات عامة على شرفات المنازل والحوانيت والمساجد ودوائر الحكومة وسواها، وفى الساعة العاشرة استقل سموه القطار فى طريقه إلى القاهرة التى وصلها فى الساعة الثانية بعد الظهر، وطوال الرحلة من القاهرة إلى الإسكندرية احتشد الأهالى فى كل المحطات التى وقف بها القطار يهتفون ويهللون للخديو الصغير الوسيم، ويقول محمد عودة فى كتابه «ليبراليون وشموليون وقصة الديمقراطية والحزبية فى مصر»: «أعلن الخديو الجديد لرجال حاشيته أنه لم يعرف بلده أو شعبه، وقضى طفولته فى القصر،

ولما شب عن الطَّوْق سافر ليدرس فى الخارج، ولهذا يريد أن يتعرف على الشعب بكل طبقاته وفئاته بلا استثناء، وأعلن أنه سيفتح أبواب القصر لكل المواطنين من أصغرهم إلى أكبرهم، ويلتقى بهم ويدعوهم إلى مائدته ويسمع منهم مباشرة».

٩ يناير عام ١٩٦٠
٣٩ جنيهًا وليرة سورية ودرهم مغربى
فى أساس السد العالى

«الحمد لله، هذا هو السد العالى الذى دارت من حوله المعارك، وحارب من أجله الأبطال، ليحققوا الأمل و لم ترهبهم النار والحديد، ولم يفعلوا ذلك كله لمجرد استخلاص مليون أو مليونَىْ فدان من براثن الصحراء، ولا لمجرد الحصول على عشرة ملايين كيلووات من الكهرباء فحسب، إنما تحقيقا لإرادتهم المستقلة التى انتزعوها انتزاعا من قبضة الطغيان والاحتلال والاستبداد والسيطرة».

ألقى جمال عبد الناصر هذه الكلمات فى مثل هذا اليوم ٩ يناير عام ١٩٦٠ فى خطابه بأسوان، احتفالا بوضع حجر أساس «السد» الذى خاضت مصر من أجله حربا شرسة، بدأت برفض أمريكا والبنك الدولى تمويله، فرد عبد الناصر بتأميم قناة السويس، فتحالفت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وشنوا العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦.

كان الاحتفال بوضع حجر الأساس مهيبًا حضره العاهل المغربى الملك محمد الخامس، ووفد سوفيتى برئاسة وزير القوى المحركة، ونائب عبد الناصر السورى شكرى القوتلى، حيث كانت وحدة مصر وسوريا قائمة باسم «الجمهورية العربية المتحدة».

فى الفيلم التسجيلى عن الافتتاح، يستوقفك تلقائية أفراح آلاف المحتشدين على جانبى الطريق الذى سارت عليه سيارة عبد الناصر وضيوفه، يتقدمها موتوسيكل واحد بلا قيود أمنية، أو ضجيج حراسة، فكلاهما خارج المشهد تماما.

كان يوجد ست فتحات عميقة تشبه الأنفاق فى الجبل القريب من منطقة «خوركوندى» وملأ المهندسون الفتحات بتسعة أطنان متفجرات، ومد عبد الناصر يده ومعه يد محمد الخامس، ولما لاحظ عبد الناصر أن شكرى القوتلى فى الخلف، جذبه من يده ليضغطوا الثلاثة على زر التفجير، فتزلزل الجبل وتطاير نحو ٢٠ ألف طن من الصخور.

ويذكر كتاب «السد العالى - هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن قصور الثقافة، القاهرة لـ«محمد الشافعى ومحمد يوسف»: «احتوى حجر الأساس على صندوق خشبى بداخله مصحف شريف، ولائحة الهيئة العامة لبناء السد العالى، والصحف العربية الصادرة فى نفس اليوم، إلى جانب ٣٩ جنيهًا و٢٤ قرشًا كانت فى جيب عبد الناصر، وعُمْلة مغربية واحدة كانت فى جيب محمد الخامس وعملة سورية وضعها شكرى القوتلى».

بعد وضع حجر الأساس، انتقل الجميع إلى سرادق كبير فيه نموذج مجسم لمشروع السد، ووسط حضور العمال تحدث الدكتور حسن عباس زكى، رئيس لجنة بناء السد العالى، عن محطة كهرباء السد بوصفها الكبرى فى العالم، فسأله عبد الناصر: «هل هى الكبرى على الإطلاق؟»، فرد: «هى أكبر محطة تحت الأرض»، فسأله عبد الناصر: «أليس فى العالم محطة أخرى إنتاجها أكبر؟»، فقال: «محطة كنيمات فى كندا هى الكبرى وقوتها ١,١ مليون كيلووات، أما محطة السد فقوتها ٢,٢ مليون»، ثم تحدث زكى عن بحيرة ناصر قائلا: «ستكون أكبر بحيرة صناعية فى العالم، وأرجو من سيادتكم الموافقة على تسميتها بـ«بحيرة ناصر»، فأسرع الملك محمد الخامس بالقول: «هذا أقل واجب».

وفى يوم ١١ يناير، وطبقا لكتاب «السد العالى - هرم الإرادة المصرية»، استقل عبد الناصر طائرة هليكوبتر وطار فى جولة فوق بلاد النوبة، حيث شاهد البلاد والأراضى التى ستغمرها مياه السد العالى، وما يحيط بها من جبال وصحارى تمتد إلى مئات الكيلومترات، وبعد هذه الجولة الجوية هبطت الطائرة فى إحدى المناطق النائية بالنوبة، وقام وفد من مختلف البلاد والقرى النوبية باستقباله، وكان استقبالا حافلا، وطمأن عبد الناصر النوبيين، وقال لهم إن السد العالى لن يعطى الخيرات لسكان الشمال ويحرم سكان الجنوب منها، إنما السد العالى للجميع، ولم شمل أبناء النوبة سيقوم على أسس صحيحة يتطلبها مجتمع قوى سليم.

١٠ يناير عام ١٩٠٤
رفض استقالة محمد عبده
والشيوخ يهاجمونه فى فتوى لبس البرنيطة

وافق الخديو عباس حلمى الثانى على نصح الشيخ محمد عبده بإصلاح الأزهر، وفوض «الشيخ» بالسير فى حركة الإصلاح، معتقدًا، حسب مذكرات «أحمد شفيق باشا» الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة، أن الشيخ فى مقابل ذلك لن يعارضه فى تصرفاته ورغباته، لكن الخديو خاب ظنه، فتوترت العلاقة بينهما، ويرصد «شفيق» بداية التوتر، قائلا:

« انحلت كسوة من الدرجة الأولى من «كساوى» التشريف العلمية بموت أحد كبار العلماء، فأرسل الخديو لشيخ الأزهر يبلغه أمر سموه الشفوى، بتوجيه هذه الكسوة إلى الشيخ محمد راشد مفتى المعيَّة، فلم ينفذ الأمر وأُسندت الكسوة إلى شخص آخر، فلما اجتمع العلماء عند سموه فى التشريفات نصف الشهرية، قال الخديو لشيخ الأزهر غاضبا: «ألم آمرك بتوجيه كسوة فلان إلى فلان؟ فتلعثم شيخ الأزهر معتذرا، ولم يستطع الرد.

رد الشيخ محمد عبده (كان مفتيًا وعضو مجلس إدارة الأزهر): «الذى قرره مجلس إدارة الأزهر إنما هو التنفيذ لأمر أفندينا، وهو ما نص عليه القانون المتوَّج باسم سموكم، وأما الأوامر الشفوية فلا يعتمد عليها المجلس، فإذا شاء أفندينا أن تكون «كساوى» التشريف العلمية بمقتضى إرادته الشخصية فليصدر قانونا آخر ينسخ الحالى، أو مادة قانونية نصها: كساوى التشريف للعلماء توجه بأمر منا».

احمر وجه الخديو،واستدعى شفيق ليسأله محتدًّا: «تعرف إيه اللى حصل النهارده؟»، ثم أخبره بما حصل ملوحا بالانتقام، ويرصد شفيق وساطته بين الطرفين ودسائس الخديو ضد الشيخ، ويقول إن محمد عبده رأى تقديم استقالته إراحة لخاطر الخديو، وذهب إليه فى مثل هذا اليوم (١٠ يناير ١٩٠٤) بالمنتزة فى الإسكندرية وقدم استقالته فرفضها الخديو، لكنه نفذ خطة ضده يتحدث عنها شفيق قائلا: «أثار الخديو على الشيخ جريدتى اللواء والظاهر، وعلى الأخص فى فتوى صدرت منه ردا على سؤالين من بعض مسلمى الترنسفال؛ وهما:

١ - بقر يضرب على رأسه بالبلطة حتى تضعف مقاومته ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية.. هل يجوز أكل لحمه؟

٢ - يوجد أفراد فى هذه البلاد (الترنسفال) يلبسون البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد إليهم، فهل يجوز ذلك أم لا ؟».

أفتى محمد عبده بالإباحة فى الحالتين، لكن، وكما يقول «شفيق»: «قام العلماء وقعدوا بخصوص الفتوى الأولى على الأخص، وقالوا إنه لا يجوز أكل لحوم هذه الأبقار لأنها موقوذة، وطعنوا على الشيخ، فرد عليهم بأن الموقوذة هى ما ضرب بغير محدد كالخشب والحجارة حتى انحلَّت قواه ومات».

لم يكتفِ «الخديو» بذلك، بل حرض العلماء على «الشيخ»، فرموه بأنه وهابى وزنديق لعدم أخذه بآراء شيوخ المذاهب، فرد عليهم محمد عبده بما يدحض فريتهم، وزاد خصومه بأن لفقوا صورة شمسية له مع نساء الإفرنج وحملوها إلى المندوب السامى البريطانى اللورد كرومر، وأفهموه أن هذا فى عرف المسلمين إزدراء بالشيخ ومنصبه، وينبغى إقالته مراعاة لشعورهم.

أبدى كرومر ريبة فى صحة الصورة، وقال ساخرًا: «الأستاذ يزورنا هنا وتحضر مجلسه ليدى كرومر وغيرها من عقائلنا، فهل يصح أن نعد هذا إهانة له أو لنا؟».

١١ يناير عام ١٩٩٠
وفاة إحسان عبد القدوس
الذى كافأته أمه بـ«رئاسة تحرير وسيجارة»

الأم: «أنا التى أتحمل مسئولية المقال».

الابن: «أنا الذى كتبته وأتحمل مسئوليته».

استمر الجدل بين الاثنين، الابن «إحسان عبد القدوس» الذى تُوفِّى فى مثل هذا اليوم ١١ يناير عام ١٩٩٠، والأم «فاطمة اليوسف»، التركية الأصل، اللبنانية المولد، المصرية الجنسية والمنشأ.

كان الجدل فى مكتب وكيل النيابة عام ١٩٤٥، ومناسبته التحقيق حول مقال كتبه إحسان فى مجلة روزاليوسف (تحمل اسم أمه) ضد السفير البريطانى بعنوان: «هذا الرجل يجب أن يذهب». كانت مصر تحت الاحتلال، وكان سفيرها هو الحاكم الفعلى، وكانت ديمقراطيتها حسب تعبير الكاتب الكبير الراحل محمود عوض أحد تلاميذ إحسان، «ديمقراطية الـ٢ كيلومتر»، أى أن هندستها تتم فقط فى «جغرافية» تمتد من السفارة الإنجليزية فى جاردن سيتى، وقصر الملك فى عابدين، وبينهما تقع مقار بعض الأحزاب أهمها بالطبع حزب الوفد.

قاد مقال «هذا الرجل يجب أن يرحل» كاتبه «إحسان» إلى قرار من محمود فهمى النقراشى، رئيس الوزراء، بمصادرة «المجلة» واعتقال إحسان وإيداعه سجن «الأجانب»، وفى تحقيقات وكيل النيابة التى حضرتها الأم «روزاليوسف»

استمر الجدل مع الابن حول من يتحمل مسئولية المقال.

تم الإفراج عن «إحسان» فقررت «الأم»، حسبما جاء فى مذكراتها التى حملت عنوان «ذكريات» الصادرة عن «الهيئة العامة للكتاب، القاهرة»، منح ولدها مكافأتين، هما تعيينه رئيسا لتحرير مجلة «روز اليوسف» عام ١٩٤٥، واستمر فى منصبه حتى عام ١٩٦٤، وكان عمر «إحسان» ٢٦ عاما فقط (مواليد ١ يناير عام ١٩١٩)، أما المكافأة الثانية فكانت سماحها له بتدخين السجائر أمامها، وذلك كسرًا للتقاليد المتبعة وقتئذ بعدم تدخين الابن أمام والديه، كنوع من الاحترام والحفاظ على الهيبة.

بين مساحة الكتابة «السياسية» و«الروائية» تواصلت مسيرة «إحسان»، كان ذروتها فى الكتابة السياسية تفجيره لقضية الأسلحة الفاسدة للجيش المصرى فى حرب فلسطين ١٩٤٨، وعلى الرغم من أن التحقيقات حولها لم تصل إلى شيء، فإنها مازالت لغزًا.

من رواياته: «صانع الحب، لم يكن أبدا لها، النظارة السوداء، فى بيتنا رجل، لا أنام، الطريق المسدود، لا تطفىء الشمس، لن أعيش فى جلباب أبى، سنوات الشقاء والحب»، واقتحم فيها العلاقات الاجتماعية فى الطبقة الوسطى، وعلاقة أبناء هذه الطبقة، بالطبقة الأرستقراطية، وبقدر ما كانت هذه الأعمال مادة ثرية للأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية، لاقت تجاهلا من النقاد، ووقت وفاته قيل: «مات إحسان عبد القدوس الذى ظلمه النقاد وأنصفه النساء»، فى إشارة لانحياز أعماله للمرأة المصرية فى قضية البحث عن ذاتها، وفى تفسير هذا التجاهل النقدى يمكن القول إن إنتاجه الأدبى الغزير كان فى الستينيات التى ساد فيها تيار الواقعية فى الأدب والفن إبداعًا ونقدًا.

مسيرة إحسان الفنية والأدبية لخصها كاتب بقامة كامل زهيرى: «عملت مع إحسان فى روز اليوسف، وأهم ما اكتشفته فيه وأحببته إيمانه بالحرية الفكرية والفنية ولم يفرض رأيا، فمدرسته هى «مدرسة الكتابة فى الهواء الطلق».

١٢ يناير عام ١٩٥٤
حل «الإخوان» ونجيب يرفض
ومعركة لطلاب الجماعة بالعِصِىّ والكرابيج

«لن تسمح الثورة بأن تتكرر فى مصر مأساة رجعية باسم الدين، ولن نسمح لأحد أن يتلاعب بمصائر هذا البلد بشهوات خاصة، مهما كانت دعواها، ولا أن يستغل الدين فى خدمة الأغراض والشهوات، وستكون إجراءات الثورة حاسمة وفى ضوء النهار، وأمام المصريين جميعا».

كان هذا جزءًا من بيان مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وشمل قرارا بحل جماعة الإخوان فى مثل هذا اليوم (١٢ يناير ١٩٥٤)، وجاء بعد اجتماع لمجلس قيادة الثورة، واتخذ بالإجماع، فيما عدا اللواء محمد نجيب رئيس المجلس (الذى اعترض من حيث المبدأ) وتضمن القرار تطبيق أمر سابق للمجلس بحل الأحزاب السياسية على الجماعة، بعد أن كانت مستثناة منه.

شمل قرار الحل اعتقال مرشدها العام حسن الهضيبى، وأعضاء القسم الخاص، ونحو ٤٥٠ من الأعضاء، وأُفرج عن نحو ١١٢ منهم، ثم أفرج عن آخرين تدريجيا، وفصل بعض الطلاب والموظفين المنتمين لها، وإحالة ضباط الشرطة الإخوان إلى التقاعد، وعددهم لا يتجاوز ٢٠ ضابطا، حسب كتاب «عبد الناصر وزيرا للداخلية» للكاتب الصحفى محمد صلاح الزهار.

تضمن البيان، سير الأحداث وتطورها مع الجماعة منذ قيام الثورة وحتى صدور قرار الحل وأجملها فى ١٣ بندا، يحمل كل بند تفاصيل عن حدث ما، يؤكد تصميم الجماعة على أن تكون دولة داخل الدولة، حيث يتحدث البند السابع عن أنه، حين علم مرشد الجماعة بتكوين «هيئة التحرير (وهو أول تنظيم أسسته الثورة) ذهب إلى جمال عبد الناصر فى مبنى القيادة بكوبرى القبة، وقال له: إنه لا لزوم لإنشاء هيئة التحرير ما دام الإخوان قائمين، فرد عليه جمال: إن فى البلاد من لا يرغب فى الإخوان، وأن مجال الإصلاح متسع أمام الهيئتين، فقال المرشد: إننى لن أؤيد هذه الهيئة، وبدأ من ذلك اليوم فى محاربتها وإصدار أوامره بإثارة الشغب، واختلاق المناسبات لإيجاد جو من الخصومة بين أبناء الوطن الواحد، وبلغت المواجهة ذروتها بين الطرفين فى مثل هذا اليوم (١٢ يناير ١٩٥٤) وهو اليوم الذى انتهى أيضا بقرار حل الجماعة، ففى صباحه شهدت جامعتا القاهرة والإسكندرية مؤتمرا بذكرى الطالبين الشهيدين «المنيسى» و«شاهين»، واتفقت الجماعة على أن تظهر بكل قوتها فيها، فتكتلوا فى حرم جامعة القاهرة، وسيطروا على الميكروفون، ووصل إلى الجامعة أفراد منظمات الشباب من طلاب المدارس الثانوية ومعهم ميكروفون مثبت على عربة للاحتفال بذكرى الشهداء، فتحرش بهم بعض الطلبة الإخوان، وطلبوا إخراج ميكروفون منظمات الشباب، وانتظم الحفل، وأُلقيت كلمات من مدير الجامعة والطلبة، وفجأة دخل بعض طلاب الإخوان إلى المؤتمر، يحملون «نواب صفوى» وهو زعيم منظمة (فدائيان إسلام الإيرانية)، وصعدوا به إلى المنصة، وألقى كلمة، وسط هتافهم التقليدى: «الله أكبر ولله الحمد»، فرد طلاب منظمة الشباب: «الله أكبر والعزة لمصر».

غضب طلاب الإخوان، فهاجموا الآخرين بالكرابيج والعِصِىّ وقلبوا العربة التى تحمل الميكروفون وأحرقوها، وأصيب البعض بإصابات مختلفة ثم تفرق الجميع إلى منازلهم.

قال البيان: «حدث كل هذا فى الظلام وظن المرشد وأعوانه أن المسئولين غافلون عن أمرهم».

١٣ يناير عام ١٩٤٩
شفيق إبراهيم أنيس عضو الإخوان
يفشل فى نسف « استئناف القاهرة»

- وكيل النيابة: ما اسمك؟

ـ المتهم: شفيق إبراهيم أنيس.

ـ وكيل النيابة: ما قولك فيما هو منسوب إليك بمحاولة نسف محكمة استئناف القاهرة؟.

ـ المتهم: لم يحدث ولم أحضر إلى النيابة.

ـ وكيل النيابة: لكن الشهود قالوا إنك حضرت ومعك حقيبة تركتها فيها متفجرات.

ـ المتهم: لم يحدث.

هكذا دارت التحقيقات بين المتهم شفيق إبراهيم أنيس ووكيل النيابة الذى كان يحقق معه فى محاولة نسف محكمة الاستئناف فى مثل هذا اليوم (١٣ يناير عام ١٩٤٩) ؛ حتى يتم التخلص من ملفات قضايا جماعة الإخوان الموجودة فى المحكمة، ومن بينها ملف «السيارة الجيب»، فما قصة هذه السيارة ؟

فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨، وقّع رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا قرارا بحل جمعية الإخوان، وتصفية كل تنظيماتها وشُعَبها وفروعها وكل

مؤسساتها وشركاتها، وإغلاق صحفها ودُور النشر التابعة لها ومصادرة كل أملاكها وأموالها، ثم اعتقال كل قادتها وأعضائها، ما عدا شخص واحد هو مؤسس الجماعة «حسن البنا».

كان عام ١٩٤٨ هو عام اللهب، هو العام الذى شهد اغتيال القاضى «أحمد باشا الخازندار» يوم ٢٢ مارس، وتفجيرات لمحلات اليهود التجارية الكبرى، (شيكوريل وشملا وبنزايون وجانتينو، وشركة الإعلانات الشرقية)، وامتدت لتشمل حارة اليهود، وكان المتهم فى كل ذلك «مجهولا»، حتى ساقت الصدفة أجهزة الأمن إلى ضبط سيارة جيب تكدست بأسلحة وذخيرة ومتفجرات وخطط وقوائم بأسماء أشخاص ومؤسسات وهيئات تقرر القضاء عليها، وحسب ما يقوله الكاتب والمؤرخ الراحل محمد عودة فى كتابه (فاروق.. بداية ونهاية): «كان الركاب أهم ما حملته سيارة الچيب».

وصفت أجهزة الأمن السيارة بأنها «أثمن كنز»، وكان الدستور السرى لجماعة الإخوان، الذى نص فى مادته الأولى: «مصر جمهورية إسلامية، من بين الكنوز التى تحملها «الجيب»، وكنز آخر هو رسوم قصر القبة ومنافذ اقتحامه والهجوم عليه».

بعد قرار الحل بنحو ثلاثة أسابيع تم اغتيال النقراشى باشا، وعلى الرغم من الوساطات التى تمت بين حسن البنا، ورئيس الوزراء الجديد إبراهيم عبد الهادى، التى أسفرت عن إصدار البنا «بيان للناس» يستنكر فيه الجريمة، إلا أنه فى يوم ١٣ يناير ١٩٤٩، وقع ما نسف كل ذلك، حيث دخل شفيق إبراهيم أنيس غرفة أرشيف القضايا (بوصفه محاميا يسأل عن أحد الملفات)، ثم خرج وترك حقيبته وطربوشه على أحد المكاتب، بحجة أنه سيتناول إفطاره ثم يعود، لكن أحد السعاه اشتبه فى الحقيبة، وحملها إلى الشارع، فانفجرت انفجارا مدويا، وجرى البحث عن صاحب الحقيبة حتى تم القبض عليه، ونفى أن يكون قد حضر إلى النيابة أو ترك «حقيبة وطربوش»، لكن الطربوش تطابق ومقاسه، وشم كلب بوليسى الطربوش، وكان ذلك دليلا دامغا على جريمته.

اعترف «شفيق» بجريمته، وأنه عضو التنظيم الخاص، وكان هدفه تدمير ملفات ووثائق قضية السيارة الجيب وقضايا الإخوان الأخرى، ووقع هذا الاعتراف كالصاعقة على المرشد العام حسن البنا.

١٤ يناير عام ١٩٥٢
استشهاد الطيار أحمد عصمت بعد عملية فدائية

«إن حبى لوطنى هو الذى حبب إلىّ سفك الدماء، دماء الغاصب المستعمر البغيض، فذهبت إليهم غير منتمٍ إلى هيئة أو جماعة، ذهبت إليهم مسرورًا فرحًا، وكأنى ذاهب إلى رحلة صيد مثل الرحلات التى كنا نقوم بها، فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج، ولى ثلاثة أطفال ولى أمى وإخوتى، ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا هم أحرارا فى بلدهم، فالحرية لا تُمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات، فإلى اللقاء فى كلتا الحالتين إن مت أو عدت».

تلك هى الرسالة الوصية المؤثرة التى كتبها بحروف من نور الشهيد الضابط طيار أحمد عصمت إلى صهره حسن (قبل أن يشق طريقه إلى استشهاده بإرادته) فى مثل هذا اليوم (١٤ يناير ١٩٥٢)، وقصته تأتى فى كتاب «نضال شعب مصر - ١٧٩٨ - ١٩٥٦» للمؤلف «محمد عبد الرحمن حسين»، وتبدأ من صباح يوم استشهاده، حيث قرأ فى الصحف أخبار المجازر التى ارتكبها الإنجليز فى التل الكبير يومَىْ ١٢ و١٣ يناير، والتى أدت إلى استشهاد الكثير من الأهالى و٧ من الفدائيين، بينهم الطالب بكلية الطب أحمد فهمى المنسى، والطالب بكلية الآداب عمر شاهين، بالإضافة إلى أسر نحو ٣٠٠ جندى وضابط من البوليس.

حرق الحزن قلب «عصمت»، وأكله الألم حين قرأ أخبار مجازر «التل»، فودع زوجته وأطفاله الثلاثة، وحمل مسدسين معبأين بالرصاص، واستقل عربته متوجها إلى «التل» لينضم إلى الفدائيين، وفى الطريق وبالقرب من «أبو حماد» محافظة الشرقية، شاهد رتلا من عربات تنتظر دورها فى التفتيش، ولما جاء الدور عليه رفض أن يفتشه عدوه.

دعا الجندى البريطانى قائده (وكان برتبة بريجادير) كى يواجه الأمر بنفسه، فحضر ومعه ياوره الذى هجم على «عصمت» بألفاظ جارحة، فأطلق هذا التصرف المتعجرف شرارة حدث كبير، حيث اختمر فى ذهن «عصمت» فكرة الانتقام الفورى لما حدث فى التل الكبير، واستشهاد الفدائيين السبعة الذين تم تشييع جثامينهم فى الزقازيق ثم القاهرة، وكانت الكتل البشرية تملأ الطريق الطويل من مبنى مديرية الشرقية حتى محطة القطار ونعوش الفدائيين السبعة تتقدمهم لشحنهم إلى القاهرة.

كان فى حافظة «أحمد عصمت» عشرة جنيهات قذفها إلى ركاب سيارة لنقل الركاب، كما أعطاهم كل ما كان معه من ملبس ومأكل صائحا فى عجلة: «أرجو أن تعطوا هذه الأشياء لمن يستحقها»، وأخرج مسدسه الذى كان يخفيه فى ملابسه، وفى لمح البصر بدأ فى إطلاق الرصاصات كلها على كل الذين تجمعوا لتفتيشه، القائد، وياوره، والجندى، ليسقطوا الثلاثة قتلى وسط ذهول الجميع.

نفذ «عصمت» عمليته بسرعة مذهلة حتى إن باقى الجنود شلهم التفكير فلم يردوا إلا بعد سقوط زملائهم، واستُشهد البطل تاركا أطفاله الثلاثة وزوجته وأمه وثلاثين عاما، هى عمره الطاهر، ورسالته الوصية إلى صهره حسن. لم يكن استشهاد «أحمد عصمت» وليد الصدفة، وإنما كان فى طريقه إلى الانضمام للفدائيين فى القناة أملا فى الحصول عليه، لكنه جاءه فى «أبو حماد».

١٥ يناير عام ١٩٧١
السادات وبودجرنى يفتتحان السد العالى

كانت مصر بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ تبعث برسائل صمودها وإرادتها الوطنية، وكان التحدى الأكبر أمامها أن تمضى بطريقها فى إنجاز مشروعاتها القومية الكبرى، التى بدأت فيها قبل وقوع النكسة، وكان مشروع السد العالى هو العنوان الأكبر فى هذا المسار.

فى مثل هذا اليوم ١٥ يناير عام ١٩٧١،كانت مصر على موعدها بافتتاح مشروع السد العالى رسميا، بعد أن تم الانتهاء من بنائه كاملا فى نهاية عام ١٩٧٠، وكان جمال عبد الناصر هو الحاضر الغائب فى هذا الافتتاح، خاصة أن الحدث جاء بعد رحيله بثلاثة شهور (٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

شهد حفل الافتتاح الرئيس محمد أنور السادات، والرئيس السوفيتى نيكولاى بودجرنى، كان الافتتاح رسالة كبيرة للخارج والداخل، وفى إحصاء جاء به كتاب «السد العالى - هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن «قصور الثقافة، القاهرة » لـ « محمد الشافعى، ومحمد يوسف»، بلغ عدد العاملين فى مشروع السد ٣٢٤٨٧ عاملا فى خلال ذروة العمل فى عام ١٩٦٤، ثم بدأ العدد فى الانخفاض (تبعا لانخفاض حجم الأعمال وانتهاء بعضها) حتى بلغ عددهم ١٣٨١٣ فى أكتوبر ١٩٧٠، وبلغ الحد الأقصى من الخبراء السوفيت العاملين فى المشروع ١٨٨٠ خلال عام ١٩٦٤ وانخفض إلى ٩٧ فى أكتوبر ١٩٧٠، وتوُفِّى ٤٢٠ شخصا من العاملين المصريين بسبب حوادث العمل

خلال فترة العمل من ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠، ولأسباب طبيعية ٥٢٠، ومن السوفيت ٧ لحوادث العمل، و٢ لأسباب طبيعية، ويعد ذلك ضئيلا جدا.

فى حسابات المكاسب أصبح المشروع يوفر مياه الرى لأكثر من مليون فدان جديدة، وحوَّل نحو ٧٠٠ ألف فدان إلى الرى المستديم، مما زاد المساحة المنزرعة إلى ٢٥ ٪ قبل بنائه، هذا بخلاف توفيره للطاقة الكهربائية، كما حول مدينة أسوان من مجرد مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٣٠ ألف نسمة إلى محافظة سياحية تزدان بالعمران، ومع بداية بناء السد زحف إليها المصريون من كل المحافظات، حتى بلغ عدد سكانها ١٥٠ ألفا عام ١٩٦٣.

وحين اشتدت الحملة الضارية عليه فى سياق الحملة ضد جمال عبد الناصر فى سبعينيات القرن الماضى، والتى شاركت فيها جماعة الإخوان بنشاط كبير، كان الرد عمليا، حيث أنقذ السد مصر أكثر من مرة من الجفاف الذى حل بأفريقيا فى سبعينيات وثمانينيات القرن الماضى، فلولا السد لكانت مصر من الدول التى تضررت من ذلك.

فى مزاعم السلبيات وصل البعض إلى حد القول إن السد قضى على إنتاج «السردين»، وكأن الحفاظ على إنتاج «السردين» أهم من إنقاذ مصر من هيجان «النيل» الذى لم يقف خطره على الزراعة فى مصر، وإنما امتد إلى زَهْق الأرواح فى القرى التى كانت تتعرض إلى خطر الفيضان!

وفى المزاعم الأخرى قيل إنه مُعرَّض للشروخ، فجاء الرد قاطعا باختياره أعظم مشروع هندسى فى القرن العشرين.

قصة بناء السد العالى كانت نموذجا عمليا للإرادة المصرية حين تخرج من قمقمها.

١٦ يناير عام ١٩٥٢
«فاروق» ينجب «ولى العهد» قائلًا للجيش:
«أهديكم أعز ما عندى»

حكم الملك فاروق مصر ١٦ عاما (١٩٣٦ - ١٩٥٢)، بينما كان الشعب المصرى يعيش محنته الكبيرة تحت حكمه، كان هو يعيش محنة من نوع خاص، فزواجه من الملكة فريدة أسفر عن ولادة ثلاث بنات و«طلاق»، وكان هَمُّه أن يعثر على زوجة جديدة تضع له الولد حتى يرث عرشه، فكانت «ناريمان» الزوجة الثانية التى أنجبت له الولد «أحمد فؤاد» فى مثل هذا اليوم (١٦ يناير ١٩٥٢).

كانت حسابات فاروق أن لا يخرج العرش من فرع جده «الخديو إسماعيل» الذى توارث أبناؤه وأحفاده الحكم، ولهذا لم يكن يطيق التفكير لحظة واحدة فى أن يكون مولوده القادم بنتا، والشاهد على ذلك ما أورده الكاتب الصحفى جميل عارف فى كتابه: «كانت ملكة - ناريمان آخر ملكات مصر»، الذى جاء «على لسان عمها مصطفى صادق».

فى سرد «العم» يقول: «دخلت مرة على الملك فوجدته يعد أمامه كشفا يحتوى على أسماء غالبية أفراد أسرة ناريمان، وأخذ الملك يراجع هذه الأسماء قائلا: «شوف يا سيدى أبو ناريمان جاب بنت، وأخوك محمد راخر مخلّفش إلا بنت، وأنت كمان جايب ولد وبقية خلفتك بنات، والله أنا خايف تكون الحكاية دى وراثية»، لوّح فاروق فى وجه عم ناريمان قائلا: «تعرف لو عملتها وجابت بنت حولع فيكم كلكلم نار».

تحقق حلم فاروق، وأنجب ولى العهد، لكن حسابات الشعب المصرى كانت على النقيض من حساباته، فالمظاهرات تتواصل والغضب يتصاعد، والاستقبال الشعبى لخبر المولود الجديد كان باهتا، وطبقا لشهادة «عم ناريمان»: «كان الملك يتوقع أن تخرج جماهير الشعب فى مظاهرات ضخمة لتهنئته، وجاء بعضها إلى الميدان، واستمع الملك إلى هتافاتهم، كانت باهتة، ولا تعبر عن الفرحة بمولد ولى العهد، كما لم تكن تدل على أى حب أو ولاء، وحملنا ناريمان على كرسى ثم قربناها من النافذة التى تطل على الميدان، ووقف الملك إلى جوارها يراقب هذه الجماهير (التى لم تعبر أبدا عن أى حماسة لمولد ابنه)، وقالت ناريمان: الميدان فاضي.

أما الملك فكان منفعلا، ولم يبقَ طويلا أمام النافذة، وانسحب إلى داخل الحجرة قائلا لعم ناريمان: «يخلصك كده يا سى مصطفى، الميدان فاضى خالص»، فرد مصطفى: «أمال فين الجيش يا مولانا، يمكن الجيش منتظر أوامر»، فرد الملك: «هو اللى عايز يظهر شعوره يستنى أوامر».

وجاء استعراض الجيش فى ميدان عابدين مظاهرة مفتعلة لإنقاذ الموقف، وعندما وقف «فاروق» فى شرفة القصر مرتديا ملابس المشير العسكرية، حاملا ابنه فى يديه، التفت ناحية قادة الجيش الملتفين حوله ثم قال لهم: «إنى أهديكم أعز ما عندى وهو ابنى»، وعن هذه الكلمة قال له «عم ناريمان»: «لو واحد عصر مخه عشر سنين مش هيجيب كلمة زى كلمتك للجيش»، فرد: «هو أنا جبت حاجة من عندى أنا كنت إمبارح بقلب كتاب قديم لقيت واحد من جدودى قال نفس الكلمتين دول»، ولم يتذكر هذا الجد، ولم يبقَ الجيش على ولائه، ففى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قام بثورته.

١٧ يناير عام ١٩٦١
اغتيال لومومبا والمخابرات المصرية تنقل أبناءه سرًا للقاهرة

اقتادت قافلة من الجنود ثلاثة أشخاص وسط الغابة، كانت وجوه الثلاثة منتفخة من أثر الضرب والتعذيب، توقفت القافلة وأوقفت الثلاثة أمام شجرة ثم أطلقت الرصاص عليهم ليسقطوا قتلى، وتم وضعهم فى حفرة وأهال الجنود عليهم التراب لإخفاء معالم الجريمة التى وقعت فى مثل هذا اليوم ١٧ يناير عام ١٩٦١.. انصرف الجنود بعد ارتكاب الجريمة، وحينما عاد آخرون لإخفاء معالمها كانت المفاجأة فى ذراع مرفوعة من تحت التراب إلى أعلى.

كانت الذراع للزعيم الأفريقى «باتريس لومومبا» رئيس وزراء الكونغو وقائد حركتها الوطنية ضد الاستعمار البلجيكى، التى بدأت نضالها من أجل الاستقلال عام ١٩٥٨، وكانت الذراع شاهدة على فضح الجريمة التى ارتكبها قائد قواته ورئيس الكونغو فيما بعد «موبوتو» بالتنسيق التام مع البلجيكيين.

كانت مصر حاضرة بقوة فى هذه القضية التى هزت العالم وأثارت خيال شعراء وأدباء فى بقاع الأرض، والحضور لم يكن لمساندة نضال لومومبا وحركته الوطنية فقط، وإنما فى عملية مخابراتية معقدة لتهريب أطفاله إلى مصر، نفذها عبد العزيز إسحق، رجل المخابرات المصرية الفذ فى أفريقيا، ولعب الفريق سعد الدين الشاذلى، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، دورا بارزا

فيهـا، وكان وقتهـا برتبـة «عقيـد» وقائـدا للقـوات المصريـة المشـاركة ضمـن قـوات حفـظ السـلام التابعـة للأمـم المتحـدة فى الكونغـو.

اسـتمعت لقصـة التهريـب مباشرة مـن ابـن لومومبـا «باتريـس»، وذلـك فى منـزل المرحـوم الدكتـور خالـد جمـال عبـد النـاصر عـام ٢٠٠٠، وكان «باتريـس» ضيفـا عليـه، وفى مـصر عـاش أبنـاء لومومبـا تحـت رعايـة جمـال عبـد النـاصر، ولعـب ابنـه الأكـبر «فرانسـو» كـرة القـدم ضمـن فريـق «الزمالـك» فى بدايـات جيـل فـاروق جعفـر مطلـع سـبعينيات القـرن العشريـن، وظلـوا فى مـصر حتـى نهايـات السـبعينيات، ثـم عـادوا إلى بلادهـم مـرة ثانيـة.

قـال «باتريـس» (كان عبـد النـاصر يناديـه بـ«عتريـس»): «كنـا أطفـالا لا نعـرف مـاذا يحـدث، احتضننـا والـدى فى البيـت المحـاصر قبـل خروجنـا خلسـة قائـلا لنـا: «خلـوا بالكـم مـن بعضكـم وأنتـم رايحـين لأبوكـم جمـال عبـد النـاصر وهـو هيشـوف مصلحتكـم كويـس»، وأضـاف «باتريـس»: « كان هنـاك اقـتراح أن يتـم توزيعنـا إلى «نكرومـا» فى غانـا، و«سـيكوتورى» فى غينيـا، لكـن والـدى رفـض وقـرر أن نذهـب جميعـا إلى بلدنـا مـصر ووالدنـا جمـال عبـد النـاصر ».

فى تفاصيـل العمليـة المخابراتيـة المصريـة المعقـدة، «حمـل عبـد العزيـز إسـحق جـواز سـفر دبلوماسـيا بزوجـة لـه أفريقيـة، ووضعنـا عليـه بوصفنـا أولاده، وأطلق علينـا أسـماء عربيـة، وفى المطـار قـاد سـعد الديـن الشـاذلى فرقتَـىْ صاعقـة فى مَهمَّـة تابعـة للأمـم المتحـدة لتأمـين المطـار، لكـن السـر كان حمايـة عمليـة التهريـب»، وكادت أن تنكشـف فى المطـار لشـك أحـد الموظفـين فى صـور الأطفـال الـذى طلب رؤيتهـم، لكـن إسـحق رد بثقـة: «الأطفـال نائمـون»، وكانـت التنبيهـات لهـم بـأن ينامـوا حتـى لـو كان تمثيـلا، تكلـم إسـحق بحـزم للموظـف: «كيـف تتـصرف عـلى هـذا النحـو مـع شـخصية دبلوماسـية؟»، وكان هنـاك ضبـاط مصريـون سريـون حولـه أسـهموا فى إربـاك الموظـف الـذى خـاف مـن وقـوع أزمـة.

أقلعـت الطائـرة، وفى الجزائـر هبطـت سـاعتين ترانزيـت، ثـم فى برشـلونة يومـا، وسـويسرا يومـين ومنهـا إلى مـصر، وطـوال هـذه الفـترة ظلـت العمليـة سريـة، وفى مـصر تـم الإعـلان عـن وصـول أسرة لومومبـا.

١٨ يناير عام ١٨٦٣
إسماعيل يبدأ حكمه .. وعمه سعيد يحذر :
«وريثى تاجر متلهف»

تلقى «إسماعيل» وهو فى القاهرة تلغرافا من الإسكندرية: «مات ولى النعم سعيد، ونسألك التعليمات»، أجاب الموظفين الذين أرسلوا التلغراف: «احضروا جميعا إلى القاهرة»، فهرولوا إلى أول قطار دون ترك أى أوامر أو إجراءات بخصوص مراسم الدفن التى حضرها محافظ الإسكندرية كمسئول، ولم يشترك فيها أحد من الموظفين.

تم دفن «سعيد» فى مسجد «النبى دانيال»، فى مشهد وصفه «نوبار باشا» فى مذكراته، الصادرة عن «دار الشروق، القاهرة» بقوله: «صاحب النسيان واللامبالاة الكاملة سعيد إلى القبر».

أصبح «إسماعيل» حاكما لمصر فى مثل هذا اليوم (١٨ يناير عام ١٨٦٣)، وارثا من عمه شيئين، الأول، ديون على مصر قيمتها «٣٦٧» مليون فرنك، والثانى رأيه فى إسماعيل. وحسب مذكرات «نوبار»، فإن سعيد كان يعامل إسماعيل كأنه بقال وكان يقول عنه: «سوف تفتقدوننى عندما يصبح واليا عليكم، ووريثى تاجر متلهف على الأرباح الصغيرة»، وربما يكون هذا الرأى هو أحد مفاتيح فهم شخصية «إسماعيل» كحاكم، عرفت مصر فى عهده العظمة والبؤس بصورة تقارب الحال فى عهد جده محمد على.

قبل أن يتولى الحكم كان واحدا من أغنى وأكبر ملاك الأراضى الزراعية فى مصر، وأدار ثروته بمهارة شديدة، واستخدم ريع الأرض فى مضاعفة ثروته ثلاثة أضعاف، يقول نوبار: «كنا نعرف فقط أن إسماعيل يقصر اهتمامه الجاد على أراضيه ومزارعه التى اتسعت مساحتها وامتدت، كما اقتصرت علاقاته مع الأوروبيين على بيع منتجات أراضيه وتبادل بعض الأعمال معهم، وكان الجميع يتحدثون عما يسود دائرته من نظام».

فى كتاب «الإمبراطورية المصرية فى عهد إسماعيل» للمؤرخ الدكتور محمد صبرى السوربونى يقول: «لم تكن لديه دائما عقلية تاجر التجزئة المغرم بالأشياء العظيمة والمتناهية الصغر على حد سواء، ويشهد على ذلك مشروعه الإمبراطورى الذى تابع تنفيذه طوال فترة ولايته، ولكن حجر العثرة لسياسته المالية كان يكمن فى ولعه الغريزى بالمضاربات المالية»، ومما يروى فى ذلك أنه زار مبنى البورصة فى باريس، وشرحوا له المجالات التى تعمل فيها، وتؤدى بالمضاربات إلى خلق ثروات وتدميرها، فصاح قائلا: «لو لم أكن خديويا لوددت أن أكون صرافا».

ويعطى «نوبار باشا» دليلا آخر على رأى «السوربونى» بسرد واقعة حدثت فى نفس اليوم الذى تسلم فيه إسماعيل السلطة، يقول نوبار: «عندما سافرت إلى القاهرة لتقديم فروض الولاء والطاعة للوالى الجديد مساء نفس اليوم الذى تسلم فيه السلطة، صرح لى إسماعيل بفكرة كانت تراوده منذ عهد سعيد، ألا وهى تقسيم الأزبكية وبيعها، كانت الأزبكية حديقة كبيرة فى القاهرة أصلها بحيرة قديمة تم تجفيفها وحمايتها من مياه الفيضان، وكانت تصطف على جانبيها الأشجار الرائعة التى زرعها محمد على، وكانت جموع غفيرة من الشعب تتجمع فى هذه الحديقة مساء كل يوم لتتنزه وتشرب القهوة أو البوظة على أنغام الموسيقى الشرقية التى قد تكون بالنسبة للأذن الأوروبية نشازا، لكنها مع تأثير القهوة والبوظة والأشجار تحت سماء القاهرة بنجومها كانت تعكس دائما الجو الشرقى فى مشهد حالم يأخذ بالألباب بعيدا عن الواقع».

يضيـف نوبـار: «بـدت لى فكـرة قطـع الأشـجار التـى زرعهـا محمـد عـلى وراقـب نموهـا بـكل حـب لتحـل محلهـا العمائـر والمنـازل القبيحـة مـن أجـل جمـع المـال أمـرا غريبـا لم يكـن مـن الممكـن توقعـه».

١٩ يناير عام ١٩٧٧
اليوم الثانى لـ«انتفاضة الخبز»..
والسادات :«دى انتفاضة الحرامية »

«أنت لا تعرف يا أحمد كل ما حدث، حاولوا مهاجمة بيتى فى الجيزة وكادوا يصلون إليه، كانت زوجات الوزراء والكبراء يصرخن فى بيوتهن فزعا ويحاولن الاستغاثة بأى مخلوق، خوفا من اقتحام الغوغاء البيوت على العائلات، هتافات الغوغاء فى الشوارع كانت غاية فى البذاءة».

هكذا تكلم الرئيس أنور السادات للكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين فى كتابه «محاوراتى مع السادات»، الصادر عن «دار الهلال، القاهرة» حول انتفاضة الخبز التى انفجرت فى ١٨ يناير عام ١٩٧٧ واستمرت لليوم الثانى فى مثل هذا اليوم (١٩ يناير)، وجاءت بسبب قرار مفاجئ برفع الأسعار، فعمت مظاهرات العمال والطلاب والموظفين أرجاء مصر، وعُرفت تاريخيا بـ«انتفاضة الخبز»، لكن «السادات» أطلق عليها «انتفاضة الحرامية»، وحمَّل مسئوليتها لقوى اليسار قائلا: «دى انتفاضة الحرامية بتاع شوية العيال الشيوعيين»، وفى «محاوراتى مع السادات»، يكشف «بهاء الدين» الحالة التى كان عليها السادات يومَى المظاهرات من واقع اعترافات السادات له.

كان السادات وبعد حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ يستمد شعبيته من انتصار مصر على إسرائيل، ولم يكن يتصور أبدا انتفاضة شعبه ضده، لكنها حدثت فى تلك المظاهرات الحاشدة التى رددت هتافات مثل: «سيد مرعى يا سيد

بيه.. كيلو اللحمة بقى بجنيه»، فى إشارة تجمع بين السعر الجنونى للحوم، وسيد مرعى صهر السادات وأحد مهندسى نظامه، الذى اشتهر بثرائه، والتندر عليه بأنه يملك مزرعة «ثعالب» لإنتاج الفرو الذى تتزين به النساء فى سهراتهن، هذا بالإضافة إلى مصاهرته لـ«السادات».

أتت سياسة «الانفتاح الاقتصادى» التى قررها «السادات» عام ١٩٧٤ بما سُمى وقتها بـ«القطط السمان»، كرمز لثراء قلة احترفت استثمار حالة الانفتاح لمصالحها الخاصة، فى مقابل جمود دخول الطبقة المتوسطة والفقراء، حتى جاء الاحتجاج الكبير على رفع الأسعار بقرار من حكومة ممدوح سالم، والدكتور عبد المنعم القيسونى، رئيس المجموعة الاقتصادية فيها.

يقول «بهاء الدين»: «اندلعت المظاهرات من الإسكندرية إلى أسوان، وكان السادات فيها ينتظر وصول العاهل الأردنى الملك حسين، بعد أن ودع الرئيس اليوغسلافى «تيتو»، ومن استراحته رأى مدينة أسوان وكأنها تحترق، فالنيران تتصاعد من أقواس النصر التى تغطى كورنيش أسوان، ومكبرات الصوت تزلزل المدينة بالهتافات».

كان المشهد فى أرجاء مصر يؤكد انسحاب الدولة واقعيا من الشارع، حيث هوجمت أقسام الشرطة وبيوت بعض المحافظين، وشركات ومحالّ، وكازينوهات شارع الهرم، ولما طلب ممدوح سالم من المشير عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع النزول للشارع، رد: «لابد أن أتلقى أمرا بذلك من القائد الأعلى للقوات المسلحة».

اضطر السادات إلى سحب قرارات رفع الأسعار، وبعدها نزلت قوات الجيش بدون ذخيرة، بهدف استرداد هيبة الدولة وتهدئة الجماهير ونصحها بالانصراف.

كان لهذه المظاهرات أكبر الأثر فى نهج السادات السياسى داخليا وخارجيا، وكانت الحدث الذى شهد طلاقا بائنا بينه وبين قوى اليسار، وأكثر ما يلفت الانتباه فيها ما ذكره «بهاء الدين»: «أصبح السادات من يومها يكره

مدينة القاهرة، مدينة الذين كان يصفهم بـ«الأفنديات» و«الأراذل» قاصدا بذلك المدينة التى تعجُّ بالمثقفين والطلبة والعمال والموظفين وكل المتحذلقين وطِوال الألسنة، فصار يقضى حياته متنقلا بين الاستراحات المختلفة خارج القاهرة، حتى بيته فى الجيزة لم يعد يتردد عليه إلا لماما».

٢٠ يناير عام ١٩٣٨
زواج فاروق وفريدة لتأليب الشعب ضد النحاس باشا

ازدان قصر القبة فى المساء زينةً بهرت السيدات اللائى دعين وحدهن إلى حفلة زفاف الملك فاروق وصافيناز ذى الفقار التى صار اسمها «فريدة».

لم يكن زواجا عاديا من الملك فاروق ابن الـ ١٨ عاما لعروس تصغره بأكثر من عام (مواليد ٥ سبتمبر عام ١٩٢١)، فهو الزواج الذى حلم أن ينجب له ولى العهد، والزواج الذى يكمل به هيئته الاجتماعية لدى المصريين، ويستخدمه كورقة للانتصار على غريمه مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد ورئيس الوزراء الذى أقال «الملك» حكومته الوفدية (يوم ٣٠ ديسمبر عام ١٩٣٧)، فالشعبية التى بلغت ذروتها بهذا الزواج، سدت أى ثغرة ينفذ منها «النحاس باشا» لتأليب الشعب ضد تلك الإقالة.

كان موعد الزواج محددًا له يوم ١١ فبراير (يوم مولد فاروق)، لكن تم تقديمه إلى يوم ٢٠ يناير عام ١٩٢٠ لتوظيفه فى صراع «القصر» ضد «الوفد»، فبدلا من ترك المصريين يتحدثون عن إقالة حكومة النحاس باشا، جاء زواج «الملك» لينشغل الجميع به.

نمت علاقة حب بين «فاروق» و«صافيناز» فى رحلة ملكية قام بها فاروق وأمه الملكة نازلى وإخواته إلى أوروبا فى عام ١٩٣٧، وكانت «صافيناز» معهم فى الرحلة، وبعد العودة تم الإعلان عن الخطبة، وعقد القران، ثم الزواج، وأصدر الملك أمرا بتغيير اسم عروسه إلى «الملكة فريدة»، وجاء الاختيار

لاسم يبدأ بحرف الفاء حتى يكون منسجما مع اسم الملك شخصيا، وأسماء إخواته التى تبدأ بحرف الفاء مصدر تفاؤل الملك فؤاد والد فاروق.

بعد انتهاء عقد القران ركب العروسان سيارة مكشوفة، وسار الموكب الملكى فى شوارع القاهرة، وحسبما تقول الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مَصر، الصادر عن دار الشروق، القاهرة»: «أراد فاروق أن يقدم فريدته الحسناء للشعب الذى أحبها وقدَّرها واحترمها، وفى الحين ذاته قدر أيضا المليكه كيف يحمى نفسه بزواجه فى هذه السن المبكرة مما يدل على إيمانه وتقواه، وبطبيعة الحال فإن ذلك رفع من رصيد توهجه، وشعبيته».

حالة الأفراح التى عمت بسبب هذا الزواج يصل الدكتور محمد حسنين هيكل باشا فى وصفه لها بأنها «الفرح القومى الشامل»، ويقول: «أُقيمت حفلة الزفاف يا للجلال والبهجة والجمال، لست أذكر يوما أبدى فيه الشعب المصرى كله الفرح والمسرة الصادرين من أعماق القلب، ما أبدى فى ذلك اليوم، حضر عشرات الآلاف بل مئات الألوف من بلاد الدولة كلها من أقصاها إلى أقصاها، يشاركون هذا الفرح القومى الشامل، وازدانت العاصمة بالأنوار فى أحيائها جميعا زينة كسف فيها الليل والنهار، وظهرت الزوارق والفلايك والذهبيات والبواخر النيلية على صفحات النهر مضيئة كلها، وكأن كل وحدة منها فرح يتلألأ بالضياء، مبتهج بآلات الطرب، يستخف راكبيه جذلا، وتنتشر من أرجائه أصداء تتردد فى كل الأرجاء، أحيا الفرح فى النفوس صورة من ليالى ألف ليلة، أو من عهد الخديو إسماعيل، وأطلق الألسن كلها بالدعاء أن يجعل الله عقد القران سعيدا ميمونا، وأن يتمتع صاحبا الجلالة بالسعادة والعافية، وأن يرزقهما بولىّ عهد يكون قرة عين لهما وللأمة المصرية جميعا».

٢١ يناير عام ١٧٩٣
إعدام «لويس السادس عشر»
بعد نبوءة جده: « سيقضى على فرنسا ونفسه»

التفت الملك لويس السادس عشر ملك فرنسا إلى «الغوغاء» الذين جاءوا لمشاهدة لحظة تنفيذ حكم إعدامه قائلا: «أيها السادة إننى أموت بريئا»، ثم قال للجلادين: «أبرئ نفسى من كل شىء اتُّهمت به، وآمل أن يعزز دمى سعادة فرنسا».

فى وصف الحالة التى كان عليها «لويس السادس عشر» لحظة إعدامه التى وقعت فى مثل هذا اليوم ٢١ يناير عام ١٧٩٣، قال كبير الجلادين فى باريس أثناء الثورة الفرنسية «هنرى سانسون»: «رفض لويس عندما وصل إلى دَرَج المقصلة وضع عصابة على عينيه كما رفض خلع معطفه من باب اللياقة، ولكنه خلعه بنفسه بعد ذلك، كما طلب عدم ربط يديه لكنه اقتنع بضرورة ذلك».

شهادة كبير الجلادين جاءت فى رسالة تم الكشف عنها فى معرض «دار كريستى» بلندن بعد مائتى عام من الثورة التى اندلعت عام ١٧٨٩، فوضع ما جاء فيها فى مواجهة معلومات ظلت شائعة، عن انهيار أعصاب «الملك» حين وقف على درج المقصلة.

انفجرت الثورة الفرنسية ضد طبقة النبلاء، وسيطرة الإقطاع والكنيسة، وضد بؤس عامة الشعب الفرنسى الجائع الموصوف من أعداء الثورة بـ«الغوغاء». زحف من يسمون بـ«الغوغاء» إلى ساحة الإعدام، ليشاهدوا دراما نهاية ملكهم المولود يوم ٢٣ أغسطس عام ١٧٥٤، وتولى الحكم فى ١٠ أيار ١٧٧٤، وتزوج من مارى أنطوانيت وهو فى عمر ١٥ عاما، و حاولا الهرب لكن تم القبض عليهما قبل إعدامهما فى تاريخين متفرقين، وقال عنه جده «لويس الخامس عشر»: «ذلك الولد الكبير سيقضى على فرنسا وعلى نفسه، ولكنى على أية حال لن أعيش حتى أرى ذلك اليوم».

فى دراما قصة الإعدام تطل مأساة الطفل الوحيد لـ«لويس وأنطوانيت»، بعد موت طفلهما الأكبر قبل اندلاع الثورة الفرنسية بأربعين يوما، وكان عمر الطفل عشرة أعوام فقط، وتحفظه كتب التاريخ بلقب «الدوق دى نورماندى»، ولقب «لويس السابع عشر» بوصفه ولى العهد الذى كان سيرث والده، وتكمن المأساة فى بقائه بالسجن وحيدا، مريضا بسل العظام، ومات عام ١٧٩٥، ودفن فى اليوم التالى لوفاته بطريقة سرية، مما جعل الشائعات تنطلق عن أنه مازال حيا، وأن حارسه قام بوضع طفل آخر مكانه فى السجن، وأدى ذلك بالبعض إلى انتحال شخصيته، والادعاء بأنه «لويس السابع عشر» ومن هؤلاء تاجر مجوهرات نمساوى اسمه «كارل وليم نوندورف».

وفى يوم ١٩ أبريل عام ٢٠٠٠، وضعت فرنسا حدا لهذه المسألة، حيث أعلن الأمير «لوى دى بوربون» وريث ملوك فرنسا فى مؤتمر صحفى أن التحاليل الطبية المتخصصة التى أُجريت على جثة الطفل، أثبتت أن الطفل الذى مات فى سجن «المعبد» فى يونيه ١٧٩٥ عند الثالثة ظهرا هو حقا «الملك لويس السابع عشر»، وأن التاجر النمساوى الذى كتب على قبره: «هنا يرقد لويس السابع عشر ملك فرنسا»، هو واحد من مئات انتحلوا صفة ملك فرنسا بالكذب والخداع والباطل وتزوير التاريخ.

٢٢ يناير عام ١٩٧٠
موسكو ترضخ لتهديدات جمال عبد الناصر فى زيارته السرية

جلس جمال عبد الناصر فى مواجهة القادة «السوفييت» الكبار. كانت موسكو تحتضن الزيارة سرية، وعلى مائدة الاجتماع طرح «عبد الناصر» مطالبه، مشددا على أنه يريد ردا فوريا عليها خلال زيارته التى بدأت فى مثل هذا اليوم ٢٢ يناير عام ١٩٧٠، وتعمَّد تصعيد المباحثات وتوتيرها إلى حد أنه قال: «إما تلبية المطالب أو ترك الحكم لزميل آخر يمكنه التفاهم مع أمريكا، إذ إن الشعب المصرى يمر بمرحلة حرجة، فإما أن نسلم بطلبات إسرائيل، وإما أن نستمر فى القتال».

حدد «عبد الناصر» مطالبه فى: «إن دفاعنا الجوى فى الوقت الحاضر لا يتمكن من منع غارات إسرائيل على العمق المصرى، ونطلب وحدات كاملة من الصواريخ «سام ٣» بأفرادها السوفييت، وأسرابا كاملة من طائرات الميج ٢١ المعدلة، بطيارين سوفييت، وأجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبُّع بأطقم سوفيتية»، وبرر مطالبه بأن الزمن ليس فى صالحنا لأن تدريب الأطقم المصرية والطيارين المصريين على الأسلحة الجديدة سوف يستغرق وقتا طويلا، كما أن مدى عمل الطائرات القاذفة المقاتلة الموجودة لدينا لا يمكّنها من الوصول إلى عمق إسرائيل مثل طائرات «سكاى هوك» و«الفانتوم» التى تضرب عمق مصر حاليا.

كانت هذه الزيارة السرية، فى تقدير محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع- الحرب المنسية.. حرب الاستنزاف» الصادر عن «دار المعارف، القاهرة»، «نقطة التحول الفاصلة فى الشرق الأوسط، وليس الاعتقاد الإسرائيلى الأمريكى، بأن هناك نقطة تحول حصلت لصالحهما، وهى استمرار الغارات الجوية الإسرائيلية على مواقع مصرية بكثافة، جعلت من أمريكا تتحرر تدريجيا من الشعور بالاكتئاب؛ لأنها تساند الطرف الخاسر «إسرائيل» فى حرب الاستنزاف مما يعرض مكانتها للخسارة فى المنطقة، واعتقاد إسرائيلى بأن المصريين شبه عراة من وجود نظام دفاع جوى فعال».

سبق الزيارة ثلاثة اجتماعات سرية بين «عبد الناصر» وقادة القوات المسلحة، ووجه عبد الناصر سؤالا صريحا للقادة: «هل فى الإمكان الاستمرار فى حرب الاستنزاف، أو أنها أصبحت سلاحا ذا حدين بعد التصعيد الذى تستغل فيه إسرائيل تفوقها الجوى؟»، وكانت الإجابة: «القوات المسلحة على استعداد فى تصعيد العمليات العسكرية بروح قتالية عالية؛ لأن الظروف قد تضطرنا إلى العبور الشامل هذا العام».

طبقا للاجتماع، فإن ما ينقصنا من استعدادات للعبور الشامل هو استكمال النقص المزمن فى الدفاع الجوى ووسائله ومعداته، خاصة الصواريخ، واستكمال عدد الطيارين والطائرات المتطورة وطائرات الردع، وانتهى جمال عبد الناصر إلى ضرورة الضغط على الاتحاد السوفيتى لسد هذا النقص، ومن هنا قرر السفر سرًّا إلى موسكو.

كانت مطالب «عبد الناصر» خطيرة إلى حد أن القيادة السوفيتية رأت أثناء الاجتماع، أنها ستؤدى إلى تداعيات دولية خطيرة أهمها احتمال وقوع مواجهة حادة بين «موسكو» و«واشنطن»، لكن تهديد عبد الناصر بترك الحكم دفع القيادة السوفيتية إلى طلب مهلة ٢٤ ساعة، جرى فيها عقد اجتماع لم يحدث من قبل لمناقشة مثل هذا الطلب، حيث تم استدعاء مجلس السوفييت الأعلى واللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى لاجتماع طارئ، وفى صباح يوم ٢٥ يناير أعلن «بريجنيف» سكرتير الحزب الشيوعى أمام الوفد المصرى تلبية مطالب مصر، وقال: «هى المرة الأولى التى يخرج فيها جندى سوفيتى إلى دولة صديقة منذ الحرب العالمية الثانية».

٢٣ يناير عام ١٩١١

محمد فريد يبدأ فترة السجن بسبب ديوان «الغاياتى»

خرج الزعيم الوطنى محمد فريد من السجن فى الساعات الأولى من النهار حتى لا يشعر الناس به، لكن المفاجأة كانت فى مظاهرة حاشدة تحمله على الأعناق وتهتف ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر.

كان يقضى عقوبة السجن ستة أشهر التى بدأت فى مثل هذا اليوم ٢٣ يناير عام ١٩١١، لاتهامه بكتابة مقدمة ديوان شعر «وطنيتى» ومؤلفه «على الغاياتى». احتوى الديوان (صدر عام ١٩١٠) على قصائد تهاجم الاحتلال والخديو «عباس حلمى الثانى» والحكومة، وجاء فى مقدمة «فريد»: «كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق، إماتة الشعر الحماسى، وحمل الشعراء بالعطايا والمنَح على وضع قصائد المدح البارد، والإطراء الفارغ فى الملوك والأمراء والوزراء».

اعتبرت السلطات أن الديوان تحريضىٌّ يستوجب محاكمة مؤلفه، وكاتب المقدمة، ومحاكمة الشيخ عبد العزيز جاويش لكتابته مقدمة ثانية، وبينما كان «جاويش» فى مصر وحصل على حكم بالسجن ثلاثة أشهر، كان «فريد» رئيس الحزب الوطنى أكبر الأحزاب وقتئذ، فى جولة أوروبية استمرت ٨ أشهر.

لم تكن جولة «فريد» هروبا، بل كانت فى صلب القضية الوطنية، ففى أوروبا كان يعرض «مسألة استقلال مصر»، ولما قضت المحكمة بسجن «جاويش»، تلقَّى «فريد» خطابا من ابنته الكبرى «فريدة» يأتى عبد الرحمن

الرافعى بنصه فى كتابه «محمد فريد، رمز الإخلاص والتضحية»، الصادر عن «دار المعارف، القاهرة»: «ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا على عبد العزيز جاويش، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم، وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم، أتوسل إليكم باسم الوطنية والحرية التى تضحون بكل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا، وتتحملوا آلام السجن»، وعاد «فريد».

كان «فريد» صُلْبًا فى مواقفه الوطنية، استقال من القضاء ليعمل فى المحاماه بعد نقله إلى الصعيد لتعبيره عن فرحه ببراءة الشيخ على يوسف وتوفيق أفندى كيرلس فى اتهامهما بإفشاء أسرار حربية، وحضر المحاكمة ضمن الجمهور، ومما يرويه أحمد لطفى السيد فى كتابه: «قصة حياتى» أن أحمد فريد باشا والد محمد قابله فى سويسرا وظل يبكى نادبا حظه فى ولده الذى فتح «دكان أفوكاتو»، وعن صلابته أيضا، يصفه فتحى رضوان فى كتابه «مشهورون منسيون»: «فريدًا فى الثبات والاستمساك بالعقيدة التى استحالت منقذا فى يد المتشبث بها».

يذكر «فريد» فى مذكراته الشخصية التى تأتى ضمن المجلد الثانى «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، تأليف محمد صبيح: «إسماعيل أباظة من رجال الخديو (عباس حلمى الثانى)، وكثيرا ما سعى عندى للتوفيق بينى وبينه، وتردد علىَّ مرارا بمصر خصوصا قبل محاكمتى، ووعدنى بحفظ القضية إذا رضيت بمقابلة الخديو وسرت كما يريد، أى أتبع سياسة الخديو وهى التقرب للإنجليز من جهة والكتابة والخطابة بما يوحَى إلىَّ به من السراى، فرفضت طبعا».

رفض كل المساومات للإفراج عنه قبل انتهاء فترة سجنه، ولما خرج كتب: «مضى علىَّ ستة أشهر فى غيابات السجن، ولم أشعر أبدا بالضيق إلا عند اقتراب خروجى، لعلمى أنى خارج إلى سجن آخر، وهو سجن الأمة المصرية الذى تحدُّه سلطة الفرد وبحراسة الاحتلال».

٢٤ يناير عام ٢٠٠٤

رحيل عبد الرحمن منيف« المعلّق بين السماء والأرض»

« عشت كالطير المعلق فى الهواء بين السماء والأرض، وجذرى غير ثابت وغير قوى، لا أستطيع ضمان البقاء على أرض ثابتة»، بهذه الكلمات بادرنى الروائى الكبير عبد الرحمن منيف، حين سألته عن رحلة حياته التى عاشها منفيا من عاصمة عربية وأوروبية إلى أخرى.

كان لقائى به فى منزله بالعاصمة السورية دمشق عام ١٩٩٦، أى قبل وفاته بنحو ثمانى سنوات، حيث رحل فى مثل هذا اليوم ٢٤ يناير عام ٢٠٠٤.

هو، من أهم الروائيين العرب فى القرن العشرين، وأنا، ذهبت إليه مسلحا بقراءاتى لمعظم رواياته ومنها: «مدن الملح، الأشجار واغتيال مرزوق، سباق المسافات الطويلة، النهايات، شرق المتوسط، الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، قصة حب مجوسية».

سألته عن إبداعه، وعالمه الروائى، ورائعته «مدن الملح» بأجزائها الخمسة، التى تعد فتحا رائدا لـ«أدب الصحراء» عربيا، وسألته عن علاقة المثقف بالسلطة، وحين انتهيت من الحوار، قال لى: «كنت أتمنى أن يكون حوارنا عن الديمقراطية، هل تصدق أننى لا أملك بطاقة انتخابية وعمرى الآن ٦٢ عاما، وتلك واحدة من الحقوق التى تمنيتها طوال حياتى، وسلبها منى هؤلاء الحكام الذين يتلذذون بقمع الإنسان العربى؟»، نظرت إلى شعره الأبيض وأنا أقول له: «ربما يأتى اليوم الذى تحصل فيه على حقك الانتخابى»، فتنهد بعمق: «أتمنى.. لا أظن».

كانت «دمشق» هي محطة منفاه الأخيرة، التي بدأت معه منذ وعيه بقضية وطنه العربي وحريته، فهو من مواليد العاصمة الأردنية عمان يوم ٢٩ مايو ١٩٣٣، لأب سعودي وأم عراقية، ووالده من منطقة «القصيم» وسط السعودية، وكان من كبار التجار الذين اشتهروا برحلات التجارة بين «القصيم» والشام.

درس في «عمان» حتى مرحلة الثانوية وكتب عن هذه المرحلة كتابه «سيرة مدينة»، ثم انتقل إلى «بغداد» للالتحاق بكلية الحقوق، وانضم إلى حزب البعث، وطُرد من العراق مع طلاب آخرين لاعتراضهم على حلف بغداد ١٩٥٥ الذي قاومه جمال عبد الناصر، وجاء إلى القاهرة لإكمال دراسته حتى عام ١٩٥٨، ثم سافر إلى بلجراد للحصول على الدكتوراه، وعاد إلى سوريا ثم بيروت عام ١٩٧٣، فالعراق ١٩٧٥، ثم فرنسا ١٩٨١، ومنها إلى سوريا عام ١٩٨٦، وظل بها حتى رحيله.

لم يكن ترحال «منيف» اختياريا في معظمه، وإنما كان بالطرد نتيجة المواقف السياسية التي ينحاز إليها، لكن أقساها عليه كان قرار السعودية بسحب جنسيتها منه بسبب روايته «مدن الملح» التي تتناول كيف جعل النفط من حكام المنطقة أدوات في يد أمريكا.

أما الفترة التي عاشها في مصر فيؤكد أنها أخصب فترات حياته وحسب قوله لي: «في القاهرة اندمجت في الجو المصري، وكان عندي لهفة لإقامة علاقات واسعة، وكان لنا روابط مع عدد من المثقفين مثل أحمد بهاء الدين، محمود أمين العالم، محمد عودة، عبد العظيم أنيس، فتحي غانم، أحمد عبد المعطي حجازي، رجاء النقاش، ومحمد حسنين هيكل، وترددت على مجلة روزاليوسف، والمسارح حيث كانت مصر تعيش نهضتها المسرحية الكبيرة».

٢٥ يناير عام ١٩٥٢
٥٤ شهيدًا للشرطة فى قتال «بلا أمل» ضد الاحتلال

طلبت مكبرات صوت القوات البريطانية من قوات الشرطة المصرية المحاصَرة، أن يخرج الضباط والجنود المحاصرون فرادى، وخرج بالفعل ٧٩٠ ضابطا وجنديا معظمهم من قوات «بلوك النظام» وقرابة مائة من جنود البوليس، الجنود العاديين.

كان ذلك فى مثل هذا اليوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٢، الذى يخلده التاريخ المصرى بـ«عيد الشرطة»، وكان الحدث هو اشتباكات بين القوات البريطانية بقيادة الجنرال «جورج أرسكين»، وقوات «بلوك النظام» و«البوليس النظامى» الذى بدأ بإنذار بريطانى إلى محافظ الإسماعيلية بخروج جنود «بلوك النظام» من المنطقة بدون سلاحهم، وإلا فإن قواته ستتولى إخراجهم بالقوة، وتنزع الأسلحة من يد كل عناصر قوات البوليس وتجردها، ثم تتحفظ على سلاح جنود «بلوك النظام» وتعيد سلاح جنود البوليس العاديين لتأدية وظيفتهم فى حفظ الأمن العام.

كانت مهلة الجنرال «١٢ ساعة»، بعدها سينفذ تهديده، وكان بحوزته أمر من «لندن» باعتقال جنود «بلوك النظام»، خشية عودتهم إلى القاهرة بعد نزع سلاحهم مما قد يدفع زملاءهم فى القاهرة إلى الغضب.

فى القاهرة تلقَّى فؤاد سراج الدين باشا، برقية عاجلة بما يحدث، وكان عليه اتخاذ القرار أمام هذه التهديدات، فأرسل أمرا برفض التهديد والتمسك

بـ«المقاومـة» حتـى آخـر رجـل، وطبقـا لذلـك كان نحـو ثمانمائـة أو تسـعمائة عليهـم المقاومـة بـما لديهـم مـن سـلاح لا يناسـب المواجهـة، وأدى عـدم التكافؤ فى التسـليح إلى سـقوط نحـو عشريـن شـهيدا حتـى السـاعة العـاشرة والنصـف صباحـا، ولمـا شـاهد محافـظ الإسـماعيلية نزيـف الخسـائر اتصـل بـ«فـؤاد باشـا سراج الديـن» وزير الداخليـة.

- المحافظ: «يا باشا، المعركة ميئوس منها».

- وزيـر الداخليـة: «أوامـرى لم تتغـير ومازالـت هـى المقاومـة إلى آخـر رجـل وآخـر طلقـة».

اسـتمرت المعركـة، وفى تمـام السـاعة الثانيـة عـشرة والربـع بلـغ الضحايـا ٥٤ شـهيدا، مقابـل ثلاثـة بريطانيـين فقـط، وكان أمـام قائـد القـوة المصريـة مواصلـة القتـال حتـى «آخـر رجـل وآخـر طلقـة» تنفيـذا لأوامـر «فـؤاد باشـا»، أو طلـب وقـف القتـال حتـى لا يتـم إبـادة الجميـع، فجـاء قـراره عـلى مسـئوليته كقائـد ميدانـى، بوقـف القتـال.

طلـب قائـد القـوات المصريـة، وقـف القتـال، فأعلـن الجنـرال البريطانـى «جـورج أرسـكين» شروطـه عـبر مكـبر الصـوت: «اخرجـوا فـرادى واتركـوا أسـلحتكم»، وقـد كان.

أصبحـت هـذه المعركـة رمـزا تاريخيـا للشرطـة المصريـة بشـهدائها، غـير أن هنـاك مـن يطـرح حولهـا أسـئلة، وفى كتابـه «سـقوط نظـام، دار الـشروق، القاهـرة» يقـول الكاتـب الكبـير محمـد حسـنين هيـكل: «لم تكـن معركـة متكافئـة، وإنـما كانـت درجـة مـن البطولـة بـلا أمـل، وهـى وقفـة تسـتحق الاحـترام وتسـتحق التكريـم، لكـن السـؤال الـذى لم يكـن فى مقـدور أحـد أن يطرحـه وقتهـا، مـا إذا كان الأمـر بمواصلـة المقاومـة حتـى آخـر طلقـة وآخـر رجـل قـرارا سـليما، أم أنـه جـاء ضمـن سـياق سياسـى أفلـت مـن يـده السـيطرة عـلى الحـوادث، أم أن وزيـر الداخليـة كانـت لديـه اعتبـارات أخـرى؟».

٢٦ يناير عام ١٩٥٢
النار تحرق قلب القاهرة و«النحّاس» يقلم أظافره والملك يحتفل

بدأ هجوم عنيف بالحجارة على «كازينو أوبرا»، ثم اقتحام سريع لشرفة المبنى ومدخله، وتصاعدت من داخله ألسنة اللهب، وانتشرت عدوى العنف بعد دقائق حول ميدان الأوبرا، وامتدت إلى الشوارع المحيطة لتحترق القاهرة فى مثل هذا اليوم (٢٦ يناير ١٩٥٢).

بين الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا والحادية عشرة مساء، وحسب كتاب «حريق القاهرة- اتهام جديد» للكاتب جمال الشرقاوى، التهمت النار ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب ونادٍ وشركة، موزعة إلى ٣٠٠ محل تجارى، ٣٠ إدارة ومكتبا لشركات كبرى، ١١٧ مكتب أعمال وشققا سكنية، ١٣ فندقا كبيرا منها «شبرد»، ٤٠ دار سينما بينها ريفولى وراديو ومترو وديانا وميامى، ٨ محلات ومعارض كبرى لسيارات، ١٠ متاجر للسلاح، ٧٣ مقهى ومطعما وصالة منها «جروبى» و«الأمريكين» وجميع المطاعم والملاهى الممتازة، ٩٢ حانة، ١٦ ناديا، وبنك باركليز، ومقتل ٣٦ شخصا، وإصابة ٥٥٢ بجروح، وتشرد عدة آلاف من العاملين فى المنشآت التى احترقت قُدِّر عددهم بمن يعولون من أسر بـ«٢٠ ألفا».

• لم تكن هذه الخسائر مجرد انهيار جدران، وأرواح تموت، بل وفاة لثلاثى حكم مصر، الملك، الاحتلال الإنجليزى، الأحزاب، فبينما كانت ألسنة النيران تتصاعد، كان الملك فاروق يقيم مأدبة غداء واحتفالا ضخما فى قصر

عابدين، دعا فيه تليفونيا أكثر من ألفَىْ ضابط بمناسبة بلوغ طفله «أحمد فؤاد» يومه الأربعين، ولما انتشر الحريق استدعى السفير الأمريكى «كافرى» ليبحث له عن وسيلة تأمين فى حال امتداد النيران إلى القصر الذى نُصبت المدافع حوله، وأحيط بنحو ٨٠٠ من سلاح الهجانة.

طلب فاروق تجهيز طائرة هليكوبتر لنقل زوجته ناريمان وطفلها إلى قصر القبة، ولكن طبيبها حذر من خطر تحركها، ولم يكن الوضع الأمنى أحسن حالا، فحسب كتاب «سقوط نظام» للكاتب الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل: «كان القرار الأمنى معطلا، فبين الساعة الواحدة والثانية ظهرا، انشغل فؤاد سراج الدين وزير الداخلية بمسألة خاصة جدا، وأمر بإشعال النور الأحمر على باب مكتبه من ناحية السكرتارية تحذيرا، وأوقف تحويل أى اتصالات تليفونية تطلبه، واختلى طبقا لوثيقة مسجلة فى الشهر العقارى مسجلة برقم (٢٣٤٥) بخمسة رجال لتوقيع عقد بيع العمارة رقم ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت التى يملكها «جورج عريضة» لفؤاد باشا بمبلغ ٨٠ ألف جنيه».

أما فى ساعات الصباح ومع ازدياد المظاهرات فى القاهرة، فلم يستطع فؤاد باشا الإبلاغ عنها لمصطفى النحاس رئيس الوزراء؛ لأن «رفعة الباشا» كان مع مدام «جورجينا» السيدة الأرمنية المتخصصة فى قص الأظافر، وكانت تذهب إليه كل عشرة أيام، لأن ظفر إصبعه الكبرى مُعرَّض دائما للغرز فى الجلد.

احترق قلب القاهرة، ورغم أن المناخ السياسى هو المتهم الرئيس، لكن الفاعل بقى مجهولا، وفى كتاب «حريق القاهرة فى الوثائق السرية البريطانية» لـ«مجدى نصيف»، تؤكد الوثائق: «الحريق كان مدبرا، وتلقى منفذوه تدريبات خاصة على أسرع وسائل إشعال الحرائق».

على الرغم من أن الحادث مازال لغزًا، وغير معروف الجهة التى ارتكبته فإن هناك أطرافا تؤكد أن «فاروق» يقف وراءه، ويدلل «مرتضى المراغى» آخر وزير داخلية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على ذلك فى مذكراته «شاهد

على حكم فاروق الصادرة عن دار المعارف، القاهرة» بذكر عدة وقائع، من بينها واقعة يؤكد أنه استمع إليها شخصيًا، وهى أن السلطانة مَلَك زوجة السلطان حسين كامل، وكان فاروق يعتبرها بمثابة أمه ويستشيرها فى كثير من الأمور، أزعجها ما حدث فى الإسماعيلية بين الإنجليز والشرطة المصرية، فاتصلت بالملك فاروق تسأله عن تفاصيل الحادث، ولما شرح لها ما حدث، حذرته من أن هذا حادث خطير يعرض البلد إلى منزلق خطير، فرد فاروق: «لابد من إيصال البلد إلى أى أخطر منزلق حتى يمكن إصلاحه بعد ذلك».

٢٧ يناير عام ١٩٥٢
مهاترات فى «القصر» تنتهى بإقالة «فاروق» لحكومة النحاس

ارتفعت الأصوات، تحول النقاش إلى «مهاترات»، فطلب الملك فاروق من الجميع الانصراف، والعودة إليه فى اليوم التالى للاجتماع.

كان الاجتماع مساء نفس يوم «حريق القاهرة»، وبعد قرار الحكومة بفرض الأحكام العرفية، ودار النقاش حول ما يمكن فعله بعد الكارثة التى دمرت القاهرة، ورغبة الملك فى إقالة حكومة مصطفى النحاس «الوفدية»، وكان أطراف النقاش مع «فاروق» فى القصر، «حافظ عفيفى» رئيس الديوان الملكى، و«إلياس أندراوس» المستشار الاقتصادى للملك، والفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة.

جاء الاجتماع بعد انصراف «فؤاد سراج الدين باشا» وزير الداخلية، وفيما كان «أندراوس» و«عفيفى» متحمسين لإقالة الحكومة، رفضها حيدر باشا لأن «الشعب يؤيدها، ومن الخطأ إقالتها من الناحية الوطنية ومن ناحية مصلحة الملك الشخصية». وفى كتاب «حزب الوفد ١٩٣٦ - ١٩٥٢» للدكتور محمد فريد حشيش، كان السؤال لحيدر باشا: «هل تضمن بصفتك القائد العام موقف الجيش إزاء الملك إذا أقال الوزارة؟» فثار حيدر: «ما دخل الجيش فى هذا؟ الإقالة عمل سياسى والجيش بعيد عن السياسة».

احتـدم النقـاش ودخـل «حيـدر» و«أنـدراوس» فى مهاتـرة، طلـب الملـك عـلى أثرهـا فـض الاجتـماع، فغـادر «حيـدر» القـصر، لينفـرد «أنـدراوس» و«عفيفـى» بـ«الملـك»، وأخـبراه بـأن الحكومـة علمـت باحتـمال إقالتهـا، وهنـاك خشـية مـن أن تجهـز فعـلا يحـرج الملـك، ولا بديـل عـن سرعـة إقالتهـا ومفاجأتهـا بهـذه الخطـوة، وجـرى التباحـث حـول الرجـل الـذى يمكنـه تشـكيل الحكومـة، فـكان اقـتراح نجيـب الهـلالى، لكنـه رفـض، فـكان اختيـار عـلى ماهـر باشـا الـذى وافـق، فأصـدر الملـك قـراره بإقالـة الحكومـة فى مثـل هـذا اليـوم (٢٧ ينايـر عـام ١٩٥٢)، وتـم تكليـف عـلى ماهـر بتشـكيل حكومـة جديـدة.

فى المراحـل التـى تـلى الكـوارث الكـبرى يكـون الاتجـاه نحـو مـا يُسـمى «برجال الإنقـاذ»، أى هـؤلاء الذيـن يتحملـون المسـئولية فى ظـرف اسـتثنائى، فهـل كان عـلى ماهـر هـو الرجـل الاسـتثنائى الـذى يتحمل المسـئولية فى ظـروف اسـتثنائية؟

فى كتابـه «سـقوط نظـام، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة»، يقـدم محمـد حسـنين هيـكل جانبـا مـن الإجابـة عـن هـذا السـؤال: «كان عـلى ماهـر يعتـبر نفسـه طبيبـا سياسـيا، كـما نقـل عنـه واحـد مـن المقربـين إليـه هـو الأسـتاذ «إبراهيم عبـد الوهـاب» سـكرتير عـام مجلـس الشـيوخ الـذى اختـاره ماهـر وزيـرا للدولـة، وأن مهمتـه ليسـت مجـرد «إنقـاذ الموقـف»، وإنـما هـى «بعـث مقـدس» تتعـدى الأيام والرجـال، ومـن الإشـارات التـى لمسـها مـن حولـه، أن هنـاك مـن يريدونـه رجـل مطافـئ أو رجـل إسـعاف، أى لمـدة مؤقتـة، ولم يكـن ذلـك مـا يريـده بالقطـع».

كان «عـلى ماهـر»، حسـب «هيـكل»، يـدرك أن مهمـة إنقـاذ الموقـف فى عهـدة الجيـش، والجيـش أمـره فى القـصر الملكـى وليـس فى رئاسـة الـوزراء، أى أن مـا حسـبه فى اختصاصـه اكتشـف أنـه عزيـز المنـال، أمـا مهمـة الأوضـاع الاقتصادية فتحتـاج إلى طمأنـة رأس المـال الأجنبـى والمـصرى، وأدرك أن ذلـك يحتـاج إلى معجـزة ليـس بمقـدوره أن يفعلهـا، فدخـان حريـق القاهـرة كان يمـلأ الأجـواء.

٢٨ يناير عام ١٨٧٣
بوشكين.. عبقرى الشعر الروسى يموت ثأرًا لكرامته

كان «بوشكين» أعظم شاعر روسى على مر العصور في الثلاثين من عمره، حينما وقع نظره لأول مرة على «ناتاليا جونتشارف» فاتنة الجمال وابنة الستة عشر عامًا فقط.

كان ذلك عام ١٨٢٩ أثناء حفل راقص بحضور قيصر روسيا «نيقولا الأول»، كانت مولعة بالحفلات، وكان مولعا بإبداع الشعر للإنسانية، ولما رآها سأل نفسه: «كيف أستحوذ على هذا الجمال الكامل؟ كيف تكون هذه الفاتنة ملكى وحدى؟ هى فتنت «القيصر» لكنها ستكون لى».

طلب يدها فى اليوم التالى للحفل، ترددت أمها فى الموافقة؛ لأنها حلمت بتزويجها من «ثرى نبيل»، لكنها بعد عام أعطت الموافقة فتم الزواج، وبعد ثمانى سنوات قاده الزواج إلى موت درامى، تواصلت الخطوات إليه طوال فترة زواجه، لتخسر الإنسانية واحدا من أعظم شعرائها، وفى كتاب «جوانب أخرى من حياتهم»، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ترجمة وتقديم أشرف الصباغ، نقرأ القصة كاملة.

فى حياة «بوشكين» مع «ناتاليا»، تستوقفنا معانٍ كثيرة، منها، كرامة الإنسان، التفكير غير المألوف من المبدع، توهج الإبداع فى حياة قصيرة، وإلهام الإبداع الذى يأتى من الذوبان فى حب امرأة، وبهذه القسمات تواصلت حياة «بوشكين»، فالزواج الذى تمنى أن يوفر له العش الهادئ

حتى ينتج أدبا عظيما، جلب له تعاسة من حماته التى لم تكفَّ عن نقده، ومن «القيصر» الذى لم يكن يحبه لنزعته التحررية، وتفننه فى إبقاء «ناتاليا» بقربه، وترددها على حفلات القصر الراقصة، ولهذا منح «بوشكين» وظيفة «ضابط فى البلاط» وهو فى عمر الـ«٣٥»، رغم أن «القيصر» يمنحها فقط لأبناء النبلاء بين (١٧ و٢٢ عاما).

المفارقة أن «بوشكين» كان على دراية بأسباب منحه هذه الوظيفة وعن ذلك يقول: «انقضت ثلاثة أيام وأنا ضابط فى البلاط، وهذه الوظيفة لا تليق بسنى، لكن ما العمل إذا كان القيصر يريد أن يشاهد «ناتاليا» وهى ترقص فى قصر «أنيتشكوف»؟، ورغم كل ذلك لم يجفَّ نبع إبداع «بوشكين».

أطل فى هذه الدراما الإنسانية شاب جديد، فرنسى الأصل هو «جورج دانتس» الابن بالتبنِّى للسفير الهولندى «هيكرن» فى روسيا، أعجب «دانتس» بـ«ناتاليا»، وتودد إليها وراقصها، فدبت الشائعات، وتلقى «بوشكين» رسائل دون توقيع تتهمه بالغفلة، وثأرا لكرامته دعا «هيكرن» إلى مبارزة بالسلاح يوم ٢٧ يناير ١٨٧٣.

أوقعته المبارزة مُضرَّجًا فى دمائه، لكنه صمم على مواصلتها فى اليوم التالى (مثل هذا اليوم)، ولما تم نقله إلى منزله، كانت «ناتاليا» تطرز رداء لها، فسقطت فاقدة الوعى حين شاهدته والدماء تسيل منه، وحسب كتاب «الساعات الأخيرة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، للكاتب طاهر الطناحى، ظل يعانى آلامًا مبرحة، وفى يوم ٢٩ يناير طبع قبلة الوداع على جبين زوجته، وودع أطفاله، ثم فاضت روحه الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة، وظل جثمانه معروضا فى بيته ثلاثة أيام، واحتشد أمامه ما يزيد على مائتى ألف شخص لإلقاء نظرة الوداع عليه، ولما بلغ الخبر إلى «القيصر» قال شامتا: «كنت أتوقع له هذه النهاية».

٢٩ يناير عام ٨٠٣هـ
هارون يقتل البرامكة
ومؤرخون يختلفون حول دور «العَبَّاسة»

هل قتل الخليفة العباسى هارون الرشيد البرامكة (الفرس) بسبب أخته «العباسة»؟ هل قتلهم لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر؟ وهل قتلهم لأنهم كانوا يريدون إبطال خلافته وإظهار الزندقة؟ هى أسئلة يذكرها «ابن كثير» فى الجزء العاشر من مؤلفه الضخم «البداية والنهاية»، ويدور حول واقعة قيام «هارون» بقتل جعفر بن يحيى البرمكى و« البرامكة» فى مثل هذا اليوم (٢٩ يناير ٨٠٣هـ) التى تحفظها مراجع التاريخ بـ«نكبة البرامكة»، ويقول ابن كثير عنها: «دمر ديارهم، واندثرت آثارهم، وذهب صغيرهم وكبيرهم».

هى قصة فى عمق تاريخنا الإسلامى يصفها مؤرخون بصراع «العرب والعجم» فالبرامكة الفرس هم عجم، وإذا كان القتل هو المشهد الختامى للعلاقة بين «هارون» و«البرامكة»، فإن العلاقة التى ربطت بينهم لم تكن تبشر بختام دموى على نحو ما حدث، فالأب «يحيى» كان هو المسئول عن تربية «هارون» وأرضعته زوجته، ولهذا كان يعدُّ الزوجة فى مرتبة الأم، ويحيى فى مرتبة «الخال»، كما أن «يحيى» هو الذى حافظ على حق هارون فى العرش، عندما أفسد مخطط «الهادى» بخلع شقيقه هارون من «ولاية العهد»، ونتيجة لذلك تولى أمر وزارة الرشيد وحمل خاتم الدولة، أما أبناء يحيى فكانوا

بمثابة الأشقاء لهارون، كان «الفضل» شقيقه فى الرضاعة والمسئول عن تربية «المأمون بن هارون»، وكان جعفر نديم الرشيد وخليله فى المجالس وحاكم ولايات خراسان والشام ومصر.

مما راج فى روايات التاريخ ربط تخلص «هارون» من «البرامكة» بعلاقة قامت بين «العباسة» شقيقة هارون وأحب أهله إليه، و«جعفر بن يحيى البرمكى»، ويقال إنها كانت تحضر مجلسه وجعفر أيضا، فزوّجها ليحل نظر جعفر إليها، لكنه اشترط عليه ألا يطأها، وينقل ابن كثير «عن ابن خلكان»، أنه بعد الزواج «راودت العباسة جعفر فامتنع أشد الامتناع خوفا من الرشيد، فاحتالت عليه، وكانت أمه تهدى له فى كل ليلة جمعة جارية حسناء بكرا، فقالت لأمه: أدخلينى عليه بصفة جارية، فهابت ذلك فتهددتها حتى فعلت، فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقعها، فقالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك؟ وحملت من تلك الليلة، فدخل على أمه فقال: بعتنى والله برخيص، وأفشت زبيدة السر لزوجها هارون».

غير أن ابن خلدون فى مقدمته «تحقيق عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والآداب، الدار البيضاء» يرفض هذه الرواية، ويعدُّها من «الحكايات المدخولة للمؤرخين»، ويقول: «لو نظر المتأمل فى نظر المنصف وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها، وفى سلطان قومها، واستنكره ولَجَّ فى تكذيبه»، ويعيد ابن خلدون نكبة البرامكة إلى «استبدادهم على الدولة واجتحافهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه فى سلطانه، ولم يكن له منهم تصرف فى أمور ملكه، فعظمت آثارهم، وبعُد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم».

٣٠ يناير عام ١٩٨٢

* وفاة چاك بيتون..
وزوجته الألمانية تكتشف أنه رفعت الجمّال

«هناك مسألة أساسية.. لا أريد أن أُدفن فى مدافن اليهود»، طرح «چاك بيتون» الذى هو فى الأصل «رفعت الجمال» وتليفزيونيا «رأفت الهجان» هذا المطلب على زوجته الألمانية «فالتروادبيتون»، وهو على فراش المرض وقبل موته بأيام، وعلى الرغم من استغراب الزوجة فإنها أجابته بتلقائية: «وهو كذلك.. لك ما طلبت، مادامت هذه رغبتك».

لم تكن الزوجة تعلم ما السر وراء طلب الزوج، كانت الآلام المبرحة لزوجها من مرض سرطان الرئة هو شاغلها، وذلك حسبما تذكره فى كتاب «١٨ عاما خداعا لإسرائيل- قصة الجاسوس المصرى رفعت الجمال» الصادر عن «مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة»، وتكشف فيه أنه فى صباح مثل هذا اليوم (٣٠ يناير ١٩٨٢) ذهبت إلى المستشفى فرأت زوجها أشبه بطفل صغير من حيث الحجم: «هذا الجسم النحيل الضئيل الذى لا يكاد يُرى من تحت الملاءة لا يشبه الرجل الذى جاب بى العالم كله، لم يبقَ منه الكثير».

أمرها الطبيب بالانصراف فعادت إلى البيت، وفى الساعة الواحدة إلا ربعًا ظهرًا دق جرس التليفون فسارعت إلى السماعة لتسمع صوتا نسائيا باردا: «أود أن أخبرك أن زوجك مات ميتة هادئة، أنا آسفة»، وبعد أن تلقت «فالتروادا» الخبر بدأت الاتصالات التليفونية، وكانت آخر مكالمة لها مع محمد الجمّال

الذى حضر على الفور إلى المستشفى ومع زيارته بدأت العاصفة، تقول: «فور وصوله سألنى إذا كان بالإمكان أن ينفرد بى بضع دقائق ليخبرنى بشىء ما، وسألته بدورى ما إذا كان يستطيع الانتظار، غير أنه أصر مؤكدا أنه من الأهمية بمكان أن أعرف ما يريد أن يقوله لى، وأن من الضرورى أن أعرفه الآن، وقص علىَّ قصة لا يمكن تصديقها، إذ قال إن زوجك ليس اسمه «چاك بيتون» بل «رفعت على سليمان الجمال» وهو عمى، شقيق أبى سامى وليس يهوديا بل مسلما، وعميل سرى لجهاز المخابرات المصرية الذى زرعه فى إسرائيل».

لم تَدْرِ «فالترواد» كيف تحملت سماع كل ما سبق، وطلبت من «محمد» تأجيل الحديث فى هذا الموضوع، فمحمد الذى يتحدث معها بحقيقته الجديدة، كان بالنسبة إليها الشخص الذى جاء إلى ألمانيا، وقدمه «چاك» إلى زوجته على أنه ابن أستاذه ومدرسه السابق فى مصر، وعاش معهم لفترة حتى وفروا له وظيفة فى مستشفى «ماينز» الجامعى.

تذكرت «فالترواد» لحظة تقديم جاك لنفسه إليها وإلى كل من عرفته باعتباره يهوديا فرنسيا، ولد فى المنصورة عاصمة إحدى محافظات مصر فى يوم ٢٣ أغسطس ١٩١٩، وأن أباه كان رجل أعمال فرنسيا عمل فى مصر، وتزوج من مصرية ولدت له ابنين، وكان هو الأكبر، أما روبرت الأخ الأصغر فانتحر، وبعد وفاة أم چاك تزوج أبوه للمرة الثانية من امرأة فرنسية، وأصبحت حياته غير مريحة مع أختيه من زوجة أبيه، وآثر الهرب، تقول فالترواد: «تلك هى القصة التى صدقناها دائما، لكنى اكتشفت فور وفاته أن كل ذلك لم يكن حقيقيا».

٣١ يناير عام ١٥١٧
سليم الأول يستعيد القاهرة ..
والسيف العثمانى يلعب فى رقاب المصريين

أسرع خطباء المساجد بالدعاء للسلطان العثمانى سليم الأول فى صلاة الجمعة، كان ذلك فى اليوم التالى مباشرة لانتصار العثمانيين على المماليك فى موقعة «الريدانية»، يوم الخميس ٢٢ يناير عام ١٥١٧.

بدأ توافد الجنود العثمانيين إلى القاهرة، وبدا للمصريين زوال دولة المماليك، وكما جرت العادة فى مثل هذه الأحوال، يختتم خطباء المساجد خطبة الجمعة بالدعاء للحاكم الجديد، وهذا ما حدث مع «سليم الأول»: «انصر اللهم السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه، اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين».

دخل العثمانيون مصر، وكان يوم الحساب والزلزال، ويصف ابن إياس فى «بدائع الزهور» الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «صاروا- أى العثمانيين- ينهبون بيوت الناس حتى بيوت الأرباع فى حجة أنهم يفتشون على المماليك الجراكسة، فاستمر النهب والهجم عَمّالًا فى البيوت ثلاثة أيام متوالية وهم ينهبون القماش والخيول والبغال من بيوت الأمراء والعسكر فما أبقوا فى ذلك ممكنا».

وحسب كتاب «أيام سليم الأول فى مصر» للكاتب والمؤرخ حلمى النمنم: «لعب السيف العثمانى فى رقاب المصريين بشكل عشوائى بهدف العقاب والرغبة فى الانتقام، وانتشر القتل فى معظم مناطق القاهرة، وامتلأت الشوارع والطرقات بالجثث والرقاب، فصارت جثثهم مرمية من الطرقات على باب زويلة إلى الرملة، ومن الرملة إلى الصليبية إلى قناطر السابع إلى الناصرية الصليبية، وزاد عددها على عشرة آلاف فى مدة أربعة أيام انتهت فى ٣١ يناير ١٥١٧».

لم تكن معركة الريدانية هى نهاية المطاف بالنسبة لـ«طومان باى»، ويقول الدكتور عماد أبوغازى فى كتابه «طومان باى السلطان الشهيد» الصادر عن دار ميريت، القاهرة: استمرت مقاومته للعثمانيين دون كلل، فبعد أربعة أيام من دخولهم القاهرة فوجئوا بطومان باى على رأس سبعة آلاف مقاتل يقتحمون المدينة ليلة الأربعاء ٥ محرم ٩٢٣ هجرية، ٢٨ يناير ١٥١٧، ونجح طومان باى وجنوده فى الاستيلاء على القاهرة بعد أن انضم إليهم الشعب فى المعركة، وعادت خطبة الجمعة باسمه يوم ٧ محرم بعد أن كانت الخطبة السابقة لـ«سليم».

لكن هذا الانتصار السريع لم يدُم، فسرعان ما استعاد العثمانيون سيطرتهم على المدينة بفضل تفوق أسلحتهم، عندما نجحوا فى اعتلاء بعض المساجد وأسطح بعض المنازل، وأخذوا فى ضرب المماليك والمصريين بالرصاص من أعلى فنجحوا فى القضاء على المقاومة فى القاهرة، واستعادوا سيطرتهم عليها فى مثل هذا اليوم (٣١ يناير ١٥١٧)، حسبما يؤكد حلمى النمنم فى كتابه «أيام سليم الأول فى مصر».

فر طومان باى إلى البهنسا فى الصعيد، ويقول «أبو غازى»: «من هناك بدأ يعيد تنظيم صفوفه من جديد، ويعد العدة لخوض معركة أخرى مع العثمانيين».

أمـام ذلـك تتجـدد الأسـئلة، هـل كان دخـول «العثمانيـين» مـصر، فتحـا أم غـزوا؟ وهـل جـاءوا لغـرض حماية ديـار الإسـلام حقـا؟ أم أنهـم جـاءوا كأحـد أطيـاف الاسـتعمار حتـى لـو تسـتروا وراء «الخلافـة الإسـلامية»؟.

١ فبراير عام ١٨٨١
تحرير «عرابى» وزملائه من السجن

تلقَّى «أحمد عرابى» دعوة للحضور إلى ديوان «الجهادية» للاحتفال بزفاف «جميلة هانم» شقيقة الخديو توفيق، كما تلقى الضابطان «على بك فهمى» و« عبد العال حلمى» نفس الدعوة التى وجهها ناظر الجهادية «عثمان باشا رفقى»، ويصفه عرابى فى مذكراته بـ«الجاهل المتعصب لجنسه».

كانت هذه الدعوة تالية لحدث مهم هو رفع «عرابى» و«فهمى» و«عبد العال» عريضة إلى رئيس الوزراء رياض باشا، تتضمن أربعة مطالب، هى عزل ناظر الجهادية، وتعيين غيره من أبناء مصر، تأليف مجلس نواب من نبهاء الأمة، رفع عدد قوات الجيش إلى ١٨ ألف جندى، وتعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كفيلة بتحقيق العدل والمساواة بين جميع الموظفين بصرف النظر عن اختلاف الأجناس والمذاهب.

أغضبت هذه المطالب الخديو توفيق، أما رياض باشا فزاد على غضبه منها قوله لـ«عرابى»: ليس فى البلاد من هو أهل لأن يكون عوضًا فى مجلس النواب، فرد عرابى: «إنك مصرى وباقى النظار مصريون، والخديو أيضًا مصرى، أتظن أن مصر ولدتكم ثم عقمت»، ولم يقتصر الموقف على ذلك، بل تم عقد اجتماع مجلس تحت رئاسة الخديو حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين من الترك والجركس، وقرروا: «عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى مفسدون، ويقتضى إيقافهم من الخدمة ومحاكمتهم على فسادهم».

كانت دعوة الضباط الثلاثة للحضور إلى حفل زفاف شقيقة الخديو توفيق حيلة للإيقاع بهم فى غفلة، و فى مذكرات أحمد عرابى الصادرة عن «قصور الثقافة، القاهرة» يروى وقائعها كما حدثت فى مثل هذا اليوم (١ فبراير ٨٨٢): «أدركنا أن ناظر الجهادية يريد أن يخدعنا ويبطش بنا كما فعل محمد على باشا بأمراء المماليك، إذ لم يكن زمن الزفاف المحكى عنه قد حان بعد، فكانت تلك الحيلة سابقة لأوانها، ولذلك أخذنا حذرنا وهيأنا ما يلزم لنجاتنا، وذهبنا فى الوقت المعين إلى ديوان الجهادية بقصر النيل ووجدناه غاصًا بجميع الجراكسة من رتبة الملازم فما فوقها إلى رتبة الفريق، وكانت فى أيدى شبابهم الطبنجات وكلهم فرح فى فرح».

فى «ديوان الجهادية» تُلى أمر الخديو بإيقاف عرابى وزملائه ومحاكمتهم، وبعد أن نزعوا سيوفهم ساقوهم إلى السجن وكان قاعة فى قصر النيل، وعلى بابه مر «خسرو باشا» كبير الجراكسة، وهزأ بالضباط الثلاثة قائلا: «إيه زمبللى هرف لر»، وتعنى: «فلاحين شغالين بالمقاطف».

وحسب مذكرات عرابى: «لما أُقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقى على بك فهمى وقال: لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار، ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمى بنفسه من النافذة فى النيل، فشجعته متمثلا قول الإمام الشافعى:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخَرجُ

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تُفرجُ»

ولم تمض ساعات قليلة، حتى تحركت قوة من الضباط والجنود لتقتحم السجن وتُحرر الثلاثة، وقاد هذه العملية محمد أفندى عبيد، والبكباشى على أفندى عيسى، والبكباشى أحمد أفندى فرج، والبكباشى خضر أفندى خضر.

٢ فبراير عام ١٩٤٢
السفير البريطانى للملك فاروق:
«أمامك ساعة واحدة»

لو كان هناك دليل عملى واحد وعميق على زيف الحديث عن استقلال حقيقى لمصر قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، لكان حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ الذى توجهت فيه دبابات القوات البريطانية لحصار قصر عابدين، وإجبار الملك فاروق على التوقيع على أمر بتشكيل حكومة جديدة برئاسة مصطفى النحاس.

أكد هذا الحدث على أن مصر بلا سلطة، وأن الملك مجرد ألعوبة فى يد الاحتلال الإنجليزى، وأن الأحزاب على نفس حال «الملك»، وأن الطريق إلى حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين بدأ قبل يوم ٤ فبراير بأيام، كما يسجلها السير «مايلز لامبسون» السفير البريطانى فى مصر فى مذكراته الشخصية، الذى صار اسمه «اللورد كيلرن»، وهى ترجمة الدكتور عبد الرءوف أحمد عمر، وصادرة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة».

فى هذه المذكرات نتوقف أمام الوقائع التى حدثت فى مثل هذا اليوم (٢ فبراير ١٩٤٢)، وقادت إلى الحدث الكبير بعد يومين، فى الوقائع ما يؤكد أن بوصلة الجميع كانت مضبوطة على حركة وإيقاع «لامبسون»، وأنه ليس بمقدور أحد أن يتخذ قراره دون أن يمر عليه، فرئيس الوزراء «حسين سرى باشا» يبلغه أنه مضطر إلى تقديم استقالته، وسيذهب إلى القصر لتقديمها فى

تمام الساعة الثانية عشرة والنصف، ولنلاحظ هنا أن رئيس الوزراء يبلغ السفير البريطاني عزمه الاستقالة، فماذا كان رد فعل «السفير»؟

يذكر «لامبسون»: «اتصلت تليفونيا بأحمد حسنين باشا، رئيس الديوان الملكي، لأطلب منه مقابلة مع الملك لا تزيد على نصف ساعة، وبدا «حسنين» مراوغا، فكلمته بخشونة، وعاد «حسنين» فاتصل بي وحاول أن يعاتبني على الطريقة التي تكلمت معه بها، ولم أتجاوب وتركته يفهم أنني أعني ما قلت، ثم كررت عليه أنني أريد مقابلة عاجلة مع الملك اليوم وفي أسرع وقت، وسوف أكون في القصر بنفسي في الساعة الواحدة بعد الظهر بالضبط»، فماذا فعل في القصر؟

كانت الساعة الواحدة ظهرًا، وكان الملك فاروق وحده في المقابلة، وبينما حاول أن يكون ودودا فوق ما هو ضروري، كان «السفير» حاسما أكثر مما ينبغي.

قال لامبسون للملك: «علمت أن رئيس الوزراء قدم استقالته، وبصفتي ممثلا لدول الحلفاء في مصر أريد أن أعرف، من هو رئيس الوزراء الذي سيخلفه؟ وهل هو سيكون مؤهلا بما فيه الكفاية لتنفيذ معاهدة ١٩٣٦؟.

بعد أن طرح «لامبسون» السؤالين، قرأ إملاءاته: «جلالة الملك، نريد حكومة موالية لنا، نريد حكومة قوية تستطيع أن تحكم، هذا يعني أن عليك استدعاء مصطفى النحاس رئيس الوفد وهو زعيم الأغلبية وتتشاور معه في شأن تأليفه للحكومة الجديدة، أطلب منك أن يتم ذلك في موعد أقصاه ظهر غد، وستتحمل المسئولية الشخصية لوقوع أي اضطرابات أو إخلال بالأمن في هذه الفترة».

كانت هذه هي مطالب «السفير البريطاني» فماذا كان رد فعل «الملك»؟

رد الملك بأنه يخشى من أن تفسير العجلة في استدعاء «النحاس» قد يعطي انطباعا خاطئا، فرد لامبسون بحسم: «أريدك أن تخطرني في ظرف ساعة واحدة من الآن باستدعائك لـ«النحاس»».

٣ فبراير عام ١٩٤٢
فاروق عابس الوجه..
ورسائل سرية بين النحاس والسفير البريطانى

يفصلنا الآن ونحن فى مثل هذا اليوم (٣ فبراير ١٩٤٢)، ساعات قليلة عن (يوم ٤ فبراير)، الذى شهد زلزال حصار الدبابات البريطانية لقصر عابدين، وإجبار السفير البريطانى فى مصر «مايلز لامبسون» لـ«الملك فاروق» على توقيع أمر باستدعاء مصطفى النحاس باشا لتشكيل حكومة وفدية، أى أن تشكيل حكومة مصرية يتم تحت تهديد الدبابات البريطانية.

دارت العجلة فى الساعات السابقة على تنفيذ «حصار القصر»، وكان «لامبسون» يدير الأزمة بعضلات القوة، فى مقابل ضعف إرادة المسئولين المصريين. كان «فاروق» عابس الوجه، كئيب النفس، مسلوب الإرادة، وكان «النحاس» ينتظر الإشارة، وفى مذكرات «لامبسون» تقرأ تفاصيل فاضحة ومدهشة وقعت فى يوم ٣ فبراير، فيها مثلا كشف لقنوات سرية بين «لامبسون» و«النحاس باشا»، وكان «أمين عثمان»، المشهور تاريخيا بأنه رجل الإنجليز فى مصر، هو أهم هذه القنوات، وفى لقاء له مع «لامبسون» صباح (٣ فبراير)، دار حوار يكشف حقيقة كل الأدوار.

أمين: جئت باسم «النحاس باشا»، وهو يؤكد استعداده التام ليلعب دوره معكم، ما دمتم سوف تمضون إلى النهاية.

لامبسون: أريد أن يعرف بعض المسائل المهمة التى طرحتها على وزارة الخارجية فى لندن، وهى نقاط سوف أثيرها معه عندما يصبح رئيسا للوزراء، وسأذكر لك هذه النقاط حتى يعرفها، ويكون مستعدا لها عندما أطلبها رسميا منه.

أمين: «النحاس» لن يثير أى مشكلة عن أى مسألة يمكن أن تطرحها عليه، لكن ما نصيحتك له، وكيف يتصرف بعد ظهر غد عندما يدعوه جلالة الملك للمشاورات؟

لامبسون: النحاس يستطيع أكثر من غيره أن يكيف موقفه، وعليه أن يرفض الحكومة الانتقالية، إذا أراد أن يقبل رئاسة وزارة ائتلافية فليكن، وإن كنت أعرف أنها مسألة صعبة.

أمين: سوف أعود الآن إلى «النحاس باشا» لأرى ما عنده.

بعد الظهر حمل «أمين عثمان» رسالة من «النحاس» إلى «لامبسون»، خلاصتها أن العلاقة بين الطرفين ستكون أكثر تعاونا من أى وقت مضى، لكن «النحاس» طلب أن تكون يده مطلقة بالكامل فى التعامل مع القصر، ومرة ثانية دار الحوار بينهما على النحو التالى:

أمين: «النحاس» مستعد لقبول حكومة محايدة إذا كنت تريد ذلك، وحكومة ائتلافية إذا كانت تلك نصيحتك، لكنه يريد تذكيرك بأن الحكومات الائتلافية لا تنجح.

لامبسون: اكتب النقاط التى سأمليها عليك لإبلاغها إلى النحاس:

«عليه أن يقول للملك إن الموقف فى غاية السوء، ولا يستطيع الثقة فى ولاء الأحزاب الأخرى التى يمكن أن تشارك فى حكومة ائتلافية، وأن الحل الوحيد لتفادى تلك المشكلات والمؤامرات هو تأليف وزارة وفدية خالصة، ويستطيع أن يطرح على الملك اقتراحين، هما تخصيص بعض الدوائر الانتخابية للأحزاب الأخرى، وإمكانية إنشاء مجلس استشارى من زعماء الأحزاب، ويكون بديلا لفكرة الائتلاف».

٤ فبراير عام ١٩٤٢
السفير البريطانى يذل الملك فاروق ويقول:
«هذا الغلام تحت سيطرتنا »

تأخر الملك فاروق ثلاث ساعات فى استدعاء مصطفى النحاس لتكليفه تشكيلَ وزارة جديدة، تنفيذا لإنذار السفير البريطانى السير «مايلز لامبسون»؛ فغطت دبابات الاحتلال البريطانى وعرباته المصفحة ساحة قصر عابدين.

كانت مهلة الإنذار تنتهى فى «السادسة» مساء فى مثل هذا اليوم ٤ فبراير ١٩٤٢، وعندما تلقَّاه الملك فاروق فى الصباح، دعا سياسيين إلى القصر، وعرض عليهم الأمر، واتفقوا على رفض الإنذار، وتم إبلاغ «لامبسون» برسالة تحمل هذا الرفض.

فى التاسعة مساء وصل «لامبسون» إلى قصر عابدين، وتقدمت الدبابات لحصاره، فتوجه إلى مكتب «الملك» بالدور الثانى قائلا له بازدراء شديد: «توقعت منك ردا بلا أو نعم فى الساعة السادسة على الرسالة التى بعثت بها صباح اليوم، وبمقتضى السلطات المخوَّلة لى أطلب منك توقيع وثيقة بالتنازل عن العرش، وليس أمامك غير أن توقع عليها فورًا، وإلا فإننى سوف أتخذ إجراءات أخرى للتصرف معك قد لا تكون مُرْضية لك».

كان نص التنازل: «نحن فاروق الأول ملك مصر، تقديرا منا لمصالح بلدنا فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أى حق فيه لأنفسنا ولذريتنا،

ونتنازل أيضا عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التى كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش، ونحن هنا أيضا نحلُّ رعايانا من يمين الولاء لشخصنا».

نظر «فاروق» إلى الوثيقة، كاد أن يمسك القلم للتوقيع، همس له «أحمد حسنين باشا» رئيس الديوان، بكلمات باللغة العربية لم يفهمها «لامبسون»، لكنها أصابت «الملك» بالهلع، نظر إلى «لامبسون» منكسرا: «هل يمكن أن تعطينى فرصة أخرى وأخيرة؟».

رد «لامبسون» بصلف: «لابد أن أعرف فورا وبدون مراوغة ما الذى تنوى عمله»، فأجاب فاروق: «سوف أستدعى النحاس على الفور، وإذا أردت أستدعيه فى وجودك وأكلفه على مسمع منك بتشكيل الوزارة الجديدة».

زاد «لامبسون» من صلفه: «هل تفهم بوضوح أنها يجب أن تكون وزارة من اختيار النحاس وحده؟»، فرد فاروق: «أفهم»، وعند هذه الكلمة بدا «لامبسون» أنه لا يعطى فرصة لـ«الملك» المذعور، بقدر ما يقوم بإذلاله، قال لـ«الملك»: «أنا على استعداد لأن أعطيك فرصة أخيرة لأنى أريد أن أجنِّب بلادك تعقيدات قد لا تكون سهلة فى هذه الظروف، وعليك أن تدرك أن تصرفك لابد أن يكون فوريا».

خرج «لامبسون» مارًّا بالبهو الطويل، ويصف الحالة التى كان عليها طريق خروجه: «كان البهو مزدحما على الآخر بعدد من الضباط البريطانيين ومن تشريفات القصر، وعند آخر الممر من الناحية الأخرى كان هناك عدد من السيدات ظهرن لى وكأنهن قطعان من الدجاج المذعور».

بعد نصف ساعة، وكما يؤكد «لامبسون» فى مذكراته، كان مصطفى النحاس فى السفارة البريطانية لإبلاغ «السفير» بأن الملك استدعاه وكلفه تشكيلَ الوزارة، فأبلغه لامبسون: «سوف أتراجع من الآن إلى خلفية المسرح، وأترك لك أن تقف فى الواجهة وتتصرف وتؤلف الوزارة».

يؤكـد لا مبسـون: «حقيقـة لقـد كان هـذا الغـلام (يقصـد الملـك فـاروق) تحـت سـيطرتنا تمامـا، وقـد صُـدم أكـبر صدمـة فى حياتـه، فى إجبـاره عـلى قبـول النحـاس. وإنـى آمـل، بـل أعتقـد، بأننـا سـوف نكـون قادريـن عـلى قصقصـة جناحـه، وتقليـم أظافـره، بالإضافـة إلى القضـاء عـلى المؤثـرات السـيئة، وبهـذا نسـتطيع تطويعـه لصالحنـا فى المسـتقبل».

٥ فبراير عام ١٩٥٧
عبد الناصر محذرًا وزراءه:
«الثقة الزائدة غرور يودِّى فى داهية»

استمر اجتماع مجلس الوزراء بحضور جمال عبد الناصر من الساعة الخامسة مساء فى مثل هذا اليوم (٥ فبراير ١٩٥٧) حتى منتصف الليل.

كانت مصر تعيش أجواء من الثقة بعد انتصارها على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ الذى شنته فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وكانت أمريكا تواصل سياسة «الغزو من الداخل» التى وضعها وهندس لها ورفع شعارها وزير الخارجية الأمريكى «فوستر دالاس»، وتعنى ببساطة خلق الوسائل التى تؤدى إلى انفجار الوضع من الداخل بديلا عن الغزو أو التدخل الخارجى المباشر.

فى اجتماع مجلس الوزراء تحدث جمال عبد الناصر، وطبقا لمحضر الاجتماع، نتأكد أننا مازلنا نعيش الكثير مما تحدث فيه، من ضغوط خارجية إلى المبالغة فى التعبير عن أفراحنا لنصر نحققه، ونسيان التوقف أمام دروسه.

قال عبد الناصر: «لابد أن ننتبه إلى أن هناك حملة مضادة موجهة إلينا تركز على تخويف الناس، وهدفها ضرب الوحدة الوطنية، وأنا طلبت أن توزع عليكم تقارير عن الاستماع السياسى لما تقوله الإذاعات العلنية للدول المعادية سواء من محطات إذاعتها العلنية، أو من محطات الإذاعة السرية التى تمولها، لتتم قراءتها ونناقشها فى الاجتماع المقبل، بعد أن تكونوا قد اطلعتم

على هذه التقارير، وهناك بعض الملاحظات تأخذونها في اعتباركم ونحن نناقشها، وهي:

- هناك تركيز على وصفنا بالشيوعية، وطبعا هم يستغلون حقيقة أن سلاحنا الذي حاربنا به والذي يجيء إلينا الآن لتعويض خسائرنا هو بأكمله من الكتلة الشرقية، وطبعا يستغلون مساندة الاتحاد السوفيتي لنا.

- تلاحظون أنهم يحاولون وصف مركزنا في العالم العربي على أساس أنها إمبراطورية فرعونية جديدة يبنيها جمال عبد الناصر لحساب نفسه.

- بالجمع بين الشيوعية والفرعونية يحاولون التشكيك في عقيدتنا الإسلامية، فإذا كنا فراعنة، فنحن عبدة أصنام، وإذا أصبحنا شيوعيين فنحن ملحدون، وهذا نوع من الحملات لابد أن نأخذه جدا.

يضيف عبد الناصر، أنا لاحظت بعض الإذاعات، خصوصا الموجهة من فرنسا تخاطب إخواننا الأقباط، وتحاول أن تستدل من أناشيد المعركة مثل نشيد «الله أكبر» على أننا ناس متعصبون، وأننا قاتلنا في المعركة بـ«الدروشة»، وكلها كما ترون «نغمات» تؤدي إلى النيل من الوحدة الوطنية، وهذه مسألة لا تنفع في علاجها أوامر أو قوانين، وإنما هي مسألة يعالجها العمل السياسي، ولابد لنا جميعا أن نفهم واجب العمل السياسي وهو خلق وتعميق التفاهم بين قوى المجتمع؛ لأن قوى المجتمع إذا تصادمت مع بعضها لجأت فئات منها إلى الاتصال بدول أو جهات أجنبية، وهذا يسهل الاختراق في الداخل ويفتح له الباب.

ويختتم عبد الناصر ملاحظاته بقوله: «لست من أنصار أن نستهين الآن بشيء، وإلا أخطأنا في حق البلد وحق الثورة، أنا أعرف أن انتصارنا في المعركة (١٩٥٦) أعطانا جميعا ثقة زائدة في أنفسنا، وأصبحنا نتصور أننا نستطيع أن نواجه أي تحدٍّ، وأنا أحذر من هذه الثقة الزائدة بالنفس، وأنا أوافق على الثقة بالنفس فهذا ضروري، ولكن الثقة الزائدة غرور «يودِّي في داهية»».

كذا تحدث جمال عبد الناصر في مثل هذا اليوم قبل ٥٧ عامًا.

٦ فبراير عام ١٨٨٢
مجلس النظار يقر الدستور
ومائة جنيه مصاريف نائب البرلمان

حضر رئيس الحكومة محمود سامي البارودى محاطا بوزرائه، اجتماعَ مجلس النواب يوم ٨ فبراير ١٨٨٢، ليتقدم الدستور «اللائحة» الذى ناقشه مجلس النظار «الوزراء» فى جلسته فى مثل هذا اليوم (٦ فبراير ١٨٨٢)، وفى يوم ٧ فبراير وفد على مجلس النواب ناظر المعارف وناظر الأوقاف وقدماه، وطبقا لمذكرات «أحمد عرابى» الذى كان وزير الجهادية والبحرية: «قبلها (اللائحة) النواب قبولا جماعيا وصدر قرارهم بذلك»، لنكون أمام وثيقة عرفت تاريخيا باسم «دستور ٧ فبراير ١٨٨٢».

تحدث «البارودى» عن مبادئ الديمقراطية أمام «النواب» وضرورة الأخذ بها فى حياة مصر السياسية، وشكره النواب على إقرار الدستور، وحسب أحمد شفيق باشا، رئيس ديوان الخديو عباس حلمى الثانى، فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة: «ابتهج الأعضاء ابتهاجا عظيما وشكروا الحكومة على إجابة مطالبهم».

توجه الجميع بعد ذلك إلى الخديو توفيق لتقديم الشكر، وأُقيمت بهذه المناسبة الاحتفالات. يقول أحمد عرابى فى مذكراته: «انطلق النواب برئاسة سلطان باشا رئيس المجلس فشكروه على تشكيل الوزارة التى لبت الأمة

إلى ما طلبت، ثم آبوا إلى رئاسة النظار فشكروا أيضا للوزارة اهتمامها بأمر مجلسهم، ثم زاروا كل ناظر فى نظارته، وبعد ذلك انصرفوا مستبشرين».

أما الاحتفالات التى سادت تعبيرا عن الفرح بإصدار الدستور، فيتحدث عنها عرابى: «احتفلت جمعية المقاصد الخيرية احتفالا اجتمع فيه النظار والأمراء والعلماء وضباط الجهادية وأعيان مصر وشبابها حتى ضاقت قاعة الحفلة بالحضور، فقام السيد عبد الله أفندى النديم وافتتح الخطابة، فاقتدى به كل من أديب أفندى إسحق اللبنانى، وإبراهيم أفندى اللقانى، ومصطفى أفندى ماهر، والشيخ محمد عبده، والسيد حسن أفندى الشمسى، وفتح الله أفندى صبرى، واستمرت الخطب تُتلى فى تلك الحفلة إلى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وأُقيمت عدة حفلات أخرى فى مدن القطر».

كانت الحكومة التى أقرت الدستور حكومة «عرابية» نسبة إلى الثورة العرابية التى قادها الزعيم الوطنى أحمد عرابى الذى كان وزيرا للحربية فيها، بالإضافة إلى محمود فهمى باشا وزيرا للأشغال، وحسن الشريعى باشا وزيرا للأوقاف.

شمل الدستور الذى يُعرف تاريخيا بـ«دستور ٧ فبراير ١٨٨٢» ٥٣ مادة أبرزها، كما يأتى فى كتاب «قصة الدستور المصرى، الصادر عن دار جزيرة الورد، القاهرة، تأليف محمد حماد، «أن يكون عضو مجلس النواب بالانتخاب ولمدة خمس سنوات، ويحصل على مائة جنيه مصرى فى السنة مقابل مصاريفه، وللنواب مطلق الحرية فى إجراء وظائفهم وليسوا مرتبطين بأوامر أو تعليمات تصدر لهم تخلّ باستقلال آرائهم، ولا يجوز التعرض للنواب بوجه ما، وإذا وقعت من أحدهم جناية أو جنحة مدة اجتماع المجلس فلا يجوز القبض عليه إلا بمقتضى إذن من المجلس، وإذا حصل خلاف بين مجلس النواب والنظار، وأصر كلٌ على رأيه بعد تكرار المخابرة وبيان الأسباب ولم تستعفِ النظارة؛ فللحضرة الخديوية أن تأمر بفض مجلس النواب وتحديد الانتخاب على شرط ألا تتجاوز الفترة ثلاثة أشهر من تاريخ يوم الانفضاض إلى يوم الاجتماع، ويجوز لأرباب الانتخاب أن ينتخبوا نفس النواب السالفين أو بعضهم».

كان هـذا الدسـتور حصيلـة مطالـب سـابقة رفعهـا عرابـى وزمـلاؤه إلى الخديـو توفيـق، فى الوقفـة الشـهيرة أمـام قـصر عابديـن يـوم ٩ سـبتمبر عـام ١٨٨١، وشـملت أربعـة مطالـب، هـى، إسـقاط الـوزارة المسـتبدة، وتأليـف مجلـس نـواب عـلى النسـق الأوروبـى، ورفـع عـدد الجيـش، والتصديـق عـلى القوانـين العسـكرية التـى أمـر بهـا الخديـو.

٧ فبراير عام ١٩٢٨
الملك فؤاد يوقع بقلم ذهب على محضر تخصيص بناء الجامعة

أمسك الملك فؤاد بقلم حبر من الذهب فى الساعة الثانية عشرة، ووقّع على ثلاث كراسات تحتوى محضر التخصيص والبناء لجامعة «فؤاد الأول» التى صارت فيما بعد «جامعة القاهرة»، وذلك فى المكان الجديد الذى نُقلت إليه الجامعة وهو نفس المكان الذى توجد فيه الآن أمام حديقتَى الحيوان والأورمان، وطبقا لسلسلة «أيام مصرية» فى أعدادها الخاصة بذكرى مئوية جامعة القاهرة احتوى محضر التخصيص والبناء الذى وقع عليه الملك على:

« بقوة الله تعالى قد وضع حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر المعظم الحجر الأساسى فى بناء الجامعة المصرية يوم الثلاثاء ١٥ شعبان، ٧ فبراير ١٩٢٨، أما هذه الكراسات فستُدفن مع حجر الأساس واحدة، والاثنتان الأخريان يُحتفظ بهما فى الجامعة».

تقدم الملك فؤاد بعدها إلى مكان حجر الأساس، فقدم له وزير المعارف العمومية والرئيس الأعلى للجامعة على الشمسى باشا (مسطرين) من الذهب، ليقوم بوضع إحدى الكراسات ومعها الصحف اليومية، ومجموعة من الطوابع والنقود فى جوف حجر الأساس ثم يغطيه بقطعة رخامية، وبعدها ألقى على الشمسى باشا كلمة قال فيها: «إن الأمل معقود فى الجامعة الآن أن تربى فى شبيبة المتعلمين فيها ملكات حب العلم والتعمق فيه، وحب البحث العلمى لتخرج فى مصر طوائف من العلماء الباحثين المتحرِّين فى طلب

الحقائق العلمية، وأولئكم الذى يستطيعون أن يثبتوا لبلادهم العظمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم، وحينئذ يتهيأ لمصر أن تتحمل هى الأخرى قسطا فى بناء الحضارة العالمية».

تقدم «أحمد لطفى السيد» مدير الجامعة والملقب بـ«أستاذ الجيل» ليلقى كلمته، وكما يذكر فى مذكراته «قصة حياتى»، الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «سجلت فيها (كلمته) الأدوار التى مر بها التعليم فى مصر، وهى ثلاثة أدوار، يذكرها على النحو التالى:

دور الدعاية، ودور البدء فى التنفيذ، ودور التمام، فأما دور الدعاية فيبتدئ من يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦، إذ اجتمع نخبة من أهل الغيرة على التربية فى دار المرحوم سعد زغلول باشا وتعاقدوا على الدعوة لإنشاء الجامعة، وقرروا فيها قرروا أن تكون الجامعة بمعزل عن السياسة، وقد أقبل الناس على الاكتتاب فيها والتبرع لها، واجتمعت جمعية المكتتبين فى ديوان الأوقاف فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تحت رئاسة الأمير أحمد فؤاد (الملك فؤاد) وسموها الجامعة المصرية، ونفحتها الحكومة إعانة سنوية، كما نفحتها الأوقاف خمسمائة جنيه إعانة سنوية أيضا.

أما دور التمهيد، فكان بمحاضرات الثقافة العامة التى كان يشرف عليها يوميا رئيس الجامعة، وبإرسال بعثات علمية للجامعة بلغ عددها أربعة وعشرين للتخرج فى العلوم، وليحضروا أنفسهم ليكونوا معلمين فيها.

أما دور التمام، فكان بنقل الجامعة الجديدة، وبلغ عدد طلابها فى سنة ١٩٢٨ ويوم تأسيس مبانيها ٢٣٤١ طالبًا».

٨ فبراير عام ١٩٦٣
جثة «الزعيم الأوحد»
عبد الكريم قاسم فى التليفزيون العراقى

بعد محاكمة عاجلة بدار الإذاعة العراقية فى بغداد، تم إعدام عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء وعرض جثته على شاشة التليفزيون.

كان مشهد الإعدام يوم ٩ فبراير ١٩٦٣ ختاما لمشاهد أخرى بلغت ذروتها فى مثل هذا اليوم (٨ فبراير)، حيث تمت إذاعة بيان عن نجاح «الثورة» على حكم «قاسم» وختاما لصراع كان الشيوعيون طرفه فى جانب، والقوميون والبعثيون على الجانب الآخر، وكان لمصر حضورها الخاص فى مجموع المشاهد التى بدأت قبل سنوات من مشهد إعدام «قاسم».

فى التراث السياسى للعراق تقرأ مئات الحكايات عن تصفيات الدم، وللغة السلاح بين الخصوم السياسيين، وتختلف التفسيرات حول ذلك، بعضها يجنح إلى الاختلاف العرقى والمذهبى، وآخرون يرجعونها إلى استبداد الحكم.

كان حضور مصر طاغيا منذ الإطاحة بالحكم الملكى العراقى، والتحول إلى النظام الجمهورى عام ١٩٥٨، متزامنًا مع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا تحت اسم «الجمهورية العربية المتحدة»، وكان طرف التحول قوميين بزعامة عبدالسلام عارف وبعثيين وشيوعيين، وفيما طالب القوميون والبعثيون

بسرعة الانضمام إلى الوحدة المصرية السورية، رأى الشيوعيون العكس، وتم دفع «قاسم» إلى أحضانهم ليصبح رمزا لمعركتهم على الرغم من أنه لم يكن شيوعيا، وكان لهم حضور جماهيرى مؤثر، تمثل فى مظاهرات تهتف: «عاش الزعيم عبد الكريم.. حزب الشيوعى بالحكم مطلب عظيم».

بلغت الخلافات ذروتها بقرار لـ«قاسم» بإقالة «عارف» كنائب عام للقوات المسلحة وتحمل قصة هذه الإقالة طرافة وغرابة فى آنٍ واحد، فأثناء اجتماع لمجلس الوزراء، استأذن خلاله «عارف» نصف ساعة، ثم عاد ليتواصل الاجتماع إلى منتصف الليل، وبعده خرج إلى سيارته متوجها إلى منزله، ففوجئ بسائقه يسأله عن سبب استقالته حسبما جاء فى التليفزيون، فعاد إلى قاسم ليسأله، فبكى قائلاً: «كانت هناك ضغوط علىّ من قادة الأسلحة لم أستطع مقاومتها»، ولما سأله عارف: «لماذا لم تبلغنى وتبلغ مجلس الوزراء ونحن فى الاجتماع؟»، رد قاسم: «قلبى لم يطاوعنى»، وتبينت الحقيقة بأن ما حدث كان أثناء نصف الساعة التى قضاها عارف خارج الاجتماع.

فى تناول طبيعة شخصية «قاسم» هناك من يصفه من معاصريه بـ«نصف مجنون» الذى وصل فى ذلك إلى حد إطلاقه لقب «الزعيم الأوحد» على نفسه؛ فى حين يصفون عبد السلام عارف بـ«نصف عاقل».

وبين الوصفين لرجلين فى ذمة التاريخ، دارت عجلة المواجهات، وفيها كان الشيوعيون يهاجمون عبد الناصر، كان هو يفتح نار الهجوم عليهم أيضا لكنه يبعث فى البداية برسالة إلى «قاسم»، يطمئنه فيها على أنه ليس للجمهورية العربية المتحدة حزب ولا رجال يحسبون عليها فى العراق، وأن كل ما يهمها هو تثبيت الحكم الوطنى فى بغداد وتدعيم قوته، فرد قاسم شفويا، وحسب كتاب «سنوات الغليان» لمحمد حسنين هيكل: «مشكلتى أن عبد السلام عارف ينسب الثورة لنفسه، لأنه هو الذى قام بتنفيذها فى بغداد، وأنا كنت خارجها، وكون عارف قام بالتنفيذ لا ينفى أنى قائد الثورة الفعلى».

٩ فبراير عام ١٩٧١
الشاعر محمود درويش
يفاجئ العالم بوصوله إلى القاهرة

وصل الشاعر الفلسطينى محمود درويش إلى القاهرة فى مثل هذا اليوم (٩ فبراير ١٩٧١) قادما من موسكو، فكانت أول مدينة عربية تطؤها قدماه خارج وطنه الفلسطينى، صحيح أنه خرج طفلا فى السابعة من عمره إلى لبنان، لكنه خروج الغدر والأسى يتذكره فى حوار له مع مجلة الآداب البيروتية أبريل ١٩٧٠، وينقله «رجاء النقاش» فى كتابه «محمود درويش شاعر الأرض المحتلة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة:

«عندما بلغت السابعة توقفت ألعاب الطفولة (مواليد ٢٤ مارس ١٩٤١) أذكر كيف حدث ذلك، فى إحدى ليالى الصيف التى اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل، أيقظتنى أمى من نومى فجأة، فوجدت نفسى مع مئات من سكان القرية أعدو فى الغابة، كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا، ولم أفهم شيئا مما يجرى، بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع أحد أقاربى الضائعين فى كل الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين، تساءلت بسذاجة أين أنا؟ وسمعت لأول مرة كلمة لبنان، ويُخيل إلىَّ أن تلك الليلة وضعت حدا لطفولتى بمنتهى العنف، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت، وأحسست فجأة أننى أنتمى إلى الكبار، توقفت مطالبى وفُرضت علىَّ المتاعب».

لا يحسب «درويش» رحلة الطرد إلى بيروت فى عداد رؤيته لعواصم عربية، وعليه كانت «القاهرة» حدثا افتتاحيا كبيرا فى رحلة غربته الطويلة والحزينة عن وطنه الذى تغنى به فى أشعاره العظيمة.

كان الاحتفاء به رسميا وشعبيا كبيرا، ففى يوم الخميس ١١ فبراير عقد مؤتمرا حضره كُتَّاب، وفنانون، وشعراء، وصحفيون، ومراسلون (عرب وأجانب)، وقدمه محمد فائق، وزير الإعلام وقتئذ، وتلا درويش بيانا قال فيه: «أصبحت أحس أننى أقترب يوما بعد يوم من نقطة العجز عن القيام بواجبى كمواطن أولا، وكشاعر ثانيا، لقد أصبحت تماما مشلول الحركة والحرية تماما فى بلادى من ضراوة الكبت والتعصب، وأصبحت لقمة سهلة فى فك العنصرية الإسرائيلية، وأصبحت معلقا على مطاط الصيغ الدبلوماسية لكى أنجو من القانون الإسرائيلى، إننى لا أشكو ولكن شعرة معاوية بينى وبين القانون الإسرائيلى قد انقطعت وطاقتى على الاحتمال قد نفدت».

وطبقا لرصد الشاعر أحمد الشهاوى لـ«سنوات محمود دوريش فى مصر»، فإنه فى يوم ١٤ فبراير قرر «فائق» تعيين «درويش» مستشارا ثقافيا لإذاعة صوت العرب، كما ضمه محمد حسنين هيكل رئيس مجلس إدارة وتحرير الأهرام إلى «كتاب» الأهرام، فأصبح له مكتب جنبا إلى جنب مع قامات، مثل نجيب محفوظ، يوسف إدريس، لويس عوض، صلاح جاهين، وتوفيق الحكيم، كما أصبح كاتبًا فى مجلة المصور.

أحدثت خطوة «درويش» ضجة كبيرة، يرصدها رجاء النقاش فى كتابه، حيث نشطت صحف لبنان ضده، ونشرت مجلة الحوادث صورة محمود على غلاف أحد أعدادها وكتبت فوق الصورة عنوانا كبيرا يقول: «ليته يعود إلى إسرائيل»، وتضمن العدد مقالا بتوقيع «ربيع مطر» يتوقع «النقاش» أنه اسم مستعار للكاتب والروائى الفلسطينى «غسان كنفانى» يقول فيه: «يا محمود يا أحلى ابن تفتح له الأمة العربية ذراعيها، نحن فى مرحلة العودة والإصرار على البقاء، انتهت إلى الأبد مرحلة الهجرة فليتك تعود إلى إسرائيل».

فى لقاء لى بـ«درويش» عام ١٩٨٨، قال إنه يتمنى أن يكتب نصا عن البيوت التى عاش فيها ومن بينها بيته فى القاهرة، لكنه لم يحقق أمنيته.

١٠ فبراير عام ١٩٠٨
قلب مصر يخفق بوفاة زعيمها مصطفى كامل

«تُوفِّى إلى رحمة الله مديرنا العزيز مصطفى كامل باشا، رئيس الحزب الوطنى المصرى فى تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر أمس، مثل هذا اليوم (١٠ فبراير ١٩٠٨)، وقد أُصيب مديرنا بإغماء فى الصباح أقلق بالنا، وقرابة الظهر لاح لنا أنه تحسن قليلا، فاستأنفنا أعمالنا، وقد كنا قطعناها، فأنهيناها، ولكن سرعان ما انتكس وخارت قواه تدريجيا، ولفظ أنفاسه الأخيرة عندما كانت تدق الساعة الرابعة».

هكذا نشرت جريدة اللواء يوم ١١ فبراير خبر وفاة الزعيم الوطنى مصطفى كامل المولود فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤، فيكون ما عاشه فى عالمنا أقل من ٣٤ سنة، لكنها - وحسب فتحى رضوان فى كتابه «مصطفى كامل»، الصادر عن سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة: «هذه السنوات القليلة فى حساب الأرقام، كانت طويلة وعميقة فى حساب الآثار الباقية، وفى حساب الأعمال العظيمة، وفى حساب الحركة الفياضة بالخير والبركة»، أما «عبد الرحمن الرافعى» فيذكر فى كتابه «مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة: «هو أعظم خطيب أنجبته مصر الحديثة، وأول خطيب سياسى جهر بالاستقلال فى عهد الاحتلال، وأول زعيم اتخذ الخطابة وسيلة لبعث الحركة الوطنية».

بعد عشرة أيام من الوفاة، كشف شقيقه علىّ اللحظات الأخيرة فى حياته، وذلك فى رسالة بعث بها إلى مدام «چوليت آدم» وهى السيدة الفرنسية التى ساعدته فى نشر مقالاته فى الصحف الأوروبية التى تفضح سياسة الاحتلال الإنجليزى لمصر، يقول «على» فى الرسالة التى نشرها «رضوان» فى كتابه: «صعدت لأراه، فوجدته فى صحة جيدة، وشددت على يده، وأنا أسأله كيف قضى ليلته، فأجابنى جوابًا مُرْضيًا، ولكنى لاحظت فى أثناء الحديث أن لونه أخذ يتغير وعينيه تغيبان، فمُلئت رعبًا، وسألته عما يؤلمه، فأجابنى: تشجع واستمر فى عملك بحكمة».

شُيعت جنازته يوم ١١ فبراير، وكانت صورة أخرى من صور وفاء الشعب المصرى لزعيمه النادر، وشارك فى الجنازة ما يزيد على ربع مليون، عدا الآلاف التى كانت تقف على جانبى طريق الجنازة، وينقل فتحى رضوان وصف قاسم أمين لمشهد الجنازة: «يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق، المرة الأولى كانت يوم تنفيذ حكم دنشواى فى ١٨ يونيه ١٩٠٦، أما فى يوم الاحتفال بجنازة صاحب «اللواء» فقد ظهر ذلك الشعور ساطعا فى قوة جماله، وانفجرت فرقعة هائلة سُمع دويُّها فى العاصمة، ووصل صدى دويها إلى جميع أنحاء القطر، هذا الإحساس الجديد، هذا المولود الذى يبتسم فى وجوهنا البائسة، هو الشعاع الذى تسيل حرارته إلى قلوبنا الجائعة الباردة، هو المستقبل».

١١ فبراير عام ١٩٥١
فاروق يخطب ناريمان والسفير البريطانى:
«مستواها بلدى»

فى الساعة الخامسة وعشر دقائق، رأى الملك فاروق، الآنسة ناريمان من نافذة بيت يطل على محل الجواهرجى «أحمد نجيب»، وفى (الخامسة و١٢ دقيقة) كان يقف إلى جوارها، وفى (الخامسة والربع) قرر أن يتزوجها.

هى قصة تحتوى على: دراما، سياسة، حب، اختطاف، فتاة صغيرة، ملك خرج من تجربة طلاق، والقصة بكل ما فيها من دراما تأتى فى كتاب «كانت مكلة- ناريمان آخر ملكات مصر»، الصادر عن المكتب المصرى الحديث، القاهرة لـ«جميل عارف»، والكتاب عبارة عن حوار طويل مع مصطفى صادق «عم» ناريمان، الذى لعب الدور الرئيس فى إتمام الزواج.

تبدأ الحكاية من شروط وضعها«الملك» لعروسه الثانية، بعد طلاق زوجته الأولى «فريدة»، الشروط: فتاة صغيرة لا يتجاوز عمرها السادسة عشرة، وحيدة أهلها، لا أخ ولا أخت، تشبه «فاطمة طوسون» الأميرة السابقة التى احتقرت حب «فاروق»، وتركت مصر هربا من مطارداته، لكنه لم ينسَ حبه لها.

أبلغ «فاروق» شروطه للجواهرجى الخاص به «أحمد نجيب»، أوكل له مهمة البحث، ولما شاهد «ناريمان» مع خطيبها «زكى هاشم» فى محله لشراء

خاتم الخطوبة تنفس فرحا: «وجدتها، وجدتها»، تلقى «الملك» خبره السعيد من الجواهرجى، وسَوَّيا وضع خطة الإيقاع بها.

أقنعها «الجواهرجى» بالعودة فى اليوم التالى حتى تتفرج على «خاتم» أفضل، على أن يراقبها «الملك» سرًا من «نافذة علوية» من البيت المواجه، لم يستغرق تنفيذ الخطة أكثر من دقائق، وانتهت بقرار «فاروق» بالزواج من «ناريمان»، وإعلان الخطوبة فى مثل هذا اليوم (١١ فبراير ١٩٥١) والزواج فى ٦ مايو، وبلغت تكاليف الزفاف ٧٣ ألفا و٤٨٣ جنيها، وهو مبلغ كبير جدا وقتئذٍ، أما الضحية «زكى هاشم» فكان نصيبه الطرد من جنة حبه، قبل أيام من تتويجه بالزواج.

زواج «الملك» لم يكن وقتئذٍ حدثا عاديا، كان يعنى اهتمام الأحزاب، الاحتلال البريطانى، الشعب، الجيش، الأسرة المالكة، أما «فاروق» فيريد الرد على طليقته «فريدة»، ويريد ولدا من «ناريمان» كى يضمن أن يبقى «العرش» فى فرع والده العائلى.

فى قياس ردود الفعل على «الحدث»، كانت السفارة البريطانية فى القاهرة تنقل إلى حكومتها فى لندن كل التطورات المتعلقة به، تحدثت عن طريقة استقبال المصريين له، وتنقل الدكتورة لطيفة سالم جانبا من هذا فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، قائلة: «لم يلقَ مشروع الزواج أى استقبال طيب من المصريين كما كان متوقعا، وذلك للطريقة التى تم بها اختيار العروس، والأقوال الدائرة عنه يؤسف لها، ومكانة الملك انخفضت أكثر مما هى عليه، يقول المصريون إن الزواج من فتاة مخطوبة لشخص آخر يعد اعتداء على ملك الغير، والمبادئ الإسلامية لا تقر ما يتبعه (فاروق) فسلوكه فى هذا الشأن مشين». السفير البريطانى أضاف عن العروس: «ما يتردد عن مستواها بأنها وفقا للاصطلاح المصرى (بلدى) أى غير أرستقراطية».

امتد الاستياء إلى العائلة الملكية، فالعروس من وجهة نظرها: «ابنة حسين فهمى صادق سكرتير عام وزارة النقل وسيرته ليست عطرة، وأمها شخصية طاغية».

١٢ فبراير عام ١٩٤٩
اغتيال حسن البنَّا والملك فاروق ليوسف رشاد:
«اتْلهِى على عينك»

دوى الرصـاص فى القاهـرة، وسـقط الشيخ حسـن البنـا «مؤسـس جماعـة الإخـوان ومرشـدها العـام» غارقـا فى دمـه عـلى حافـة سـيارة تاكسـى استوقفها أمـام جمعيـة الشـبان المسـلمين، لتـأخذه إلى بيتـه، وطبقـا لـ«محمد حسـنين هيكل» فى كتابـه «سـقوط نظـام»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، فـإن سـيارة التاكسـى هرعـت بـه إلى «قـصر العينـى»، وهنـاك تبـين أن الرجـل لم يفـارق الحيـاة بعـد، لكـن المشرف عـلى عمليـة الاغتيـال وهـو القائمقـام «محمـد وصفـى بـك» قائـد حـرس الـوزارات أمـر بتعقبـه والتخليـص عليـه، حيـث هـو تنفيـذ لأوامـر الملـك فـاروق ورئيـس الـوزراء إبراهيـم عبـد الهـادى.

المثـير أن «وصفـى» أطلـق عـلى نفسـه رصـاص مسدسـه وانتحـر، بعد قيـام ثورة ٢٣ يوليـو عـام ١٩٥٢م، وحسـب «هيـكل» فإنـه أقـدم عـلى هـذه الخطـوة عندمـا عـرف أن دوره فى عمليـة الاغتيـال انكشـف، وأن هنـاك أمـرا صـدر بالتحقيـق معـه، بعـد ضبـط «الثـورة» وثائـق فى القسـم المخصـوص للبوليـس السياسـى، فيهـا اسـمه ودوره فى العمليـة.

ومـن يعُـد إلى الصحـف الصـادرة وقتئـذ، فسيشـاهد صـورة لوفـد مـن ضبـاط الثـورة يتقدمهـم اللـواء محمـد نجيـب، والبكباشـى جمـال عبـد النـاصر أمـام قـبر حسـن البنـا، وكان والـده فى اسـتقبالهم، أمـا المناسـبة فكانـت التوصـل إلى المتهمـين فى القضيـة.

فى وقائع عملية الاغتيال التى جرت فى مثل هذا اليوم ١٢ فبراير ١٩٤٩، أن هناك من أبلغ الملك فاروق بما حدث، وأنه فرح، واعَدَّ التخلص من «البنا» بمثابة الهدية الثمينة له فى عيد ميلاده التاسع والعشرين (مواليد ١١ فبراير ١٩٢٠)، وفى التفاصيل أيضا، تسلُّم الجثة ليلا سرا طبقا لتعليمات عليا تمنع أيضا نشر نعى أو عزاء أو إقامة جنازة، وعدم الاستعانة بأى «حانوتى» للتكفين والدفن.

ويروى «مرتضى المراغى» آخر وزير للداخلية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قصة لها دلالة فى هذا الأمر، وجاءت فى مذكراته «شاهد على حكم فاروق» الصادرة عن دار المعارف، القاهرة: «حدثت ليلة قتل الشيخ البنا قصة طريفة، فقد كان يوسف رشاد رئيس الحرس الحديدى يسمع الراديو فى آخر نشراته الإخبارية فسمع خبر الاعتداء على «البنا»، فذهب إلى التليفون وطلب جناح الملك فى القصر، فرد عليه أحد أتباع الملك، فأخبره أنه يريد التحدث إلى الملك، وعاد رجل الحاشية يقول:

- قل لى ماذا تريد لأن الملك مشغول.

فقال له: أرجو أن يكون جلالته مسرورا منا.

رجل الحاشية: مسرور على ماذا؟

قال يوسف: على قتل حسن البنا.

فضحك رجل الحاشية وذهب وأخبر الملك، وعاد يقول: «مولانا يقول لك اتْلهِى على عينك ما شأنك أنت؟ إنهم غيرك».

انتهت حياة «البنا» بهذه الخاتمة، بعد ٢١ عاما من تأسيس جماعة الإخوان، وبعد ٤٦ عاما من عمره، وبعد أن كتب على صفحات جريدة «الإخوان المسلمين» عن «الملك المسلم» الذى هو حامى المصحف الشريف، وكيف أنه ينبذ المعتقدات البالية، ويتسلح بالقرآن الكريم الذى ضمه إلى قلبه ومزج به روحه.

١٤ فبراير عام ١٩٦١
وفاة عبقرى الحكايات والموسيقىّ وكاره القراءة «زكريا أحمد»

«ذهبت إلى ملجأ العميان فى الزيتون لأسمع صوتا جديدا قيل إنه معجزة، كانت الليلة ليلة الأربعين للمرحوم بيرم التونسى، رحمه الله وغفر لنا جميعا».

كانت هذه الكلمات هى آخر ما كتبه الموسيقار زكريا أحمد فى مذكراته اليومية، يوم ١٣ فبراير ١٩٦١، وفى اليوم التالى مثل هذا اليوم (١٤ فبراير) مات بعد أن خلد اسمه فى تاريخ الموسيقى العربية كأحد مجدديها العظام، وحسب كتاب «السبعة الكبار فى الموسيقى العربية، دار العلم للملايين بيروت» للمؤرخ الموسيقى اللبنانى فيكتور سحاب: «زكريا أحمد يمتاز دون غيره من الموسيقيين العرب الكبار بمزاجه الخاص ذى المقومات المركبة، وأول ما يخطر ببال معتنقيه أنه محافظ يعاند التطور والتبديل، وهذا تصنيف غير دقيق؛ لأنه طور شكلين من أهم أشكال الغناء العربى «الدور والطقطوقة»، وأسهم فى تطوير أشكال أخرى، دون أن يمس آلات الموسيقى العربية».

عبقرية «زكريا أحمد» الموسيقية نتعجب منها حين نعرف طبيعته الشخصية التى يكشف عنها صديقه نجيب محفوظ، وفى كتاب «صفحات من مذكرات نجيب محفوظ» لـ«رجاء النقاش»، يحدثنا نجيب عن «زكريا» كأظرف الشخصيات التى قابلها فى حياته: «ابن بلد، لطيف، «حَبُّوب»، «ابن نكتة»، حكاياته لا تنتهى، حكاية تجرك إلى حكاية أخرى فى تسلسل عجيب، وترابط

مذهل، قد يبدأ فى سرد حكايته الأولى فى التاسعة مساء، ويعود إلى نفس الحكاية فى الثالثة صباحا، وما بينهما عبارة عن استدراك وملاحظات».

يقول نجيب محفوظ: «من الأسباب التى تجعل أصدقاء الشيخ زكريا يتحملون سطوته وسيطرته على الجلسة إلى جانب حبهم له، أنه يمثل الحكايات التى يرويها بخفة دم ليس لها مثيل، وكل من يحضر مجلسه لم يكن يتمالك نفسه من الضحك وهو ينظر إليه أثناء تمثيل حكاياته، وربما تكون الحكاية بسيطة وسطحية ولا معنى لها من نوع، أن جارة له مرت به، وقالت له: صباح الخير يازكريا يابْنِى، فيقلد صوت السيدة، وطريقة سيرها وحركاتها ورد فعله على «صباح الخير» هذه بشكل «كاريكاتيرى» ساخر ومثير للضحك الشديد، وكثيرا ما كنا نُفاجأ به وهو يسرد الحكاية مندمجا ومنفعلا، وفى منتهى التركيز، فإذا به يترك حكايته بدون مقدمات ويمسك عوده ويغنى، وكنا نحب هذا أيضا، فصوت الشيخ زكريا يتميز بقوة ورخامة لا نظير لهما، وقد يترك العود ويعود لحكايته من النقطة التى توقف عندها».

يضيف نجيب محفوظ: «عندما كان الشيخ زكريا يتحدث لا تشعر أبدا فى كلامه أى محاولة من جانبه لاستخدام مصطلحات ثقافية أو فكرية، ولكنك تشعر أنك أمام رجل شعبى وابن بلد، ورأسه ملىء بالموسيقى، وكنت أسأل نفسى: متى يعمل الشيخ زكريا، ويتم ألحانه وهو يداوم على سهراته اليومية، واكتشفت أن لديه قدرة التلحين فى أى وقت، وأذكر أنه لحنَّ أغنية «حبيبى يسعد أوقاته» لـ«أم كلثوم»، وهو يجلس معنا، وفى مرات عديدة كان يضع لحنين مختلفين لأغنية واحدة ويعرضهما علينا لنختار الأفضل. لم يكن الشيخ زكريا يحب القراءة، وربما كانت روايتى «زقاق المدق» هى روايتى الوحيدة التى قرأها، وأُعجب بها للدرجة التى جعلته يعيد صياغتها ويحكيها أمامنا كأنه المؤلف».

١٥ فبراير عام ١٥١٧
سليم الأول يصعد إلى القلعة
ويأمر بتنظيف الشوارع من الجثث

مما يُروى عن السلطان العثمانى «سليم الأول» أنه كان فى الشام بينما جنوده يقتلون المصريين لدخول القاهرة لحكم مصر، ولما جاءته شكاوى من مصريين عن عمليات القتل والنهب والسفح التى يتعرضون لها على أيدى جنوده رد قائلا: «إذا دخلت إلى مصر أحرق بيوتها قاطبة وألعب فى أهلها بالسيف».

هى عبارة كاشفة لما يخططه سليم الأول ضد المصريين، فالقتل أداته، والإرهاب عالمه، والقضية بُرمَّتها ليس فيها شىء مما صدّره عن أنه يسعى لـ«خلافة إسلامية» هو حاكمها ورمزها.

فى وقائع ما حصل منذ انتصارهم فى موقعة «الريدانية» يوم الخميس (٢٢ يناير عام ١٥١٧)، دارت عجلة النهب والسلب والقتل على أشدها ويصف ابن إياس فى «بدائع الزهور»: «اتجهوا إلى المطاحن، أخذوا ما فيها من البغال والأكاديش، وعدة جمال من جمال السقايين، فتوقفت المطاحن عن العمل، وفقد السقاءون جمالهم التى تحمل قرب الماء، ثم توجهوا إلى شون القمح التى بمصر وبولاق ونهبوا ما فيها، وفى «الخانكة» التى كان يقطنها فلاحون ومزارعون بسطاء، نهبوا مزروعاتهم وحقولهم».

ووفقا للمؤرخ التركى «جلال زادة قوجه تشانجى مصطفى» الذى عاصر تلك المرحلة: «دخل الجيش العثمانى مصر وكان يوم الحساب والزلزال والانتقام للمعركة السابقة «الريدانية» وما حاق فيها من خسائر فادحة»، ويذكر الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «أيام سليم الأول فى مصر»: «انطلق العثمانيون يحرقون البيوت بخيولهم ينهبونها ويعبثون بما فيها، الأمر الذى دفع الأهالى إلى أن يغلقوا الأبواب بالطين ويصنعون بدلا منها «خوخة صغيرة»، و«الخوخة» تعنى بابا صغيرا فى إطار بوابة كبيرة يسمح للفرد الواحد فقط أن يعبر منه، ولجأ المصريون إلى فكرة البوابات الكبيرة المغلقة خوفا من أن يقتحم العثمانيون بيوتهم بخيولهم».

كان «سيلم» سعيدًا بما تحقق، أرسل خطابًا إلى «كافل» أمير دمشق يقول فيه: «فى هذه الأيام الثلاثة- يقصد فترة القتال أثناء موقعة الريدانية- يستمر القتال من الصبح إلى العشاء، وبعون الله تعالى قتلنا جميع الجراكسة، ومن انضم إليهم من العُرْبان، جعلنا دماءهم مسفوحة، وأبدانهم مطروحة، ونهب عساكرنا قماشهم، وأثاثهم وديارهم وأموالهم، ثم صارت أبدانهم للهوام».

استعد «سليم» للصعود إلى القلعة، للجلوس رسميا على عرش الحكم، كان ذلك بعد انتصاره النهائى فى «الريدانية»، فأمر بتنظيف الشوارع والطرقات من الجثث التى تعفنت، وتم إلقاؤها فى النيل ولم يتم تكفينها وتغسيلها طبقا للتعاليم الإسلامية، فماذا حدث بعد ذلك؟

«نادى السلطان سليم شاه فى الصليبية وقناطر السباع بأن أصحاب الأملاك التى فى الصليبية وجامع ابن طولون يخلون من بيوتهم، فإن السلطان سليم شاه طالع إلى القلعة ليقيم بها، وصار يكرر المناداة فى كل يوم بذلك المعنى، فخرج الناس من بيوتهم على وجههم، وانطلق فيهم جمة نار».

فى مثل هذا اليوم (١٥ فبراير ١٥١٧) دخل سليم بموكبه من «باب النصر» متوجها إلى القلعة، ويصفه ابن إياس: «قيل إن صفته ذرىّ اللون، حليق الذقن، وافى الأنف، واسع العينين، قصير القامة، فى ظهره حنية، وعلى رأسه عمامة صغيرة، يلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التلفت،

إذا ركب الفرس، وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة أو دون ذلك، وليس له نظام يُعرف مثل نظام الملوك السالفة، غير أنه سيئ الخلق، سفاك للدماء، شديد الغضب، لا يراجع فى القول».

١٦ فبراير عام ١٩٤٦
مصطفى عبد الرازق شيخًا للأزهر
بتدخل من الملك فاروق

حين يقفز اسم الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى الذاكرة، فأنت أمام علامة فى طريق التنوير، كان شيخًا معممًا لكنه تنويرى كبير كأستاذه الشيخ محمد عبده، وظل سندًا كبيرًا لـ«كوكب الشرق» أم كلثوم فى بداية حياتها الفنية، ومشجعها على تطوير الغناء المصرى، وكان مجرد ذكر اسمه كواحد من كبار رموز مصر المعجبين بغنائها كفيلاً بحمايتها ممن يضعون العراقيل أمام مسيرتها الفنية، ورغم ذلك لم تكن فترة تولِّيه منصب شيخ الأزهر جيدة بالنسبة إليه.

اللافت أن تاريخ اليوم الذى تولى فيه الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الأزهر (١٦ فبراير ١٩٤٦) هو نفسه تاريخ اليوم الذى تُوفِّى فيه بعد عام بالضبط (١٦ فبراير ١٩٤٧)، وقصة ترشيحه لـ«المشيخة» فيها صراعات حزبية، وتدخل ملكى، بما يعطى فى النهاية شكا قويا حول ما يقال بأن «الأزهر» كان مستقلا وبعيدا عن التدخلات السياسية وقتئذ.

فى قصة تولِّيه شيخًا للأزهر، التى يأتى بها الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «الأزهر.. الشيخ والمشيخة»، ومذكرات حسن يوسف، وكيل الديوان الملكى، سنجد الخلاف بين الديوان الملكى والملك فاروق، وسنجد تغييرًا من مجلس النواب لشروط المنصب حتى تتوافق مع رغبة الملك فاروق.

القصة تبدأ بعد وفاة الشيخ مصطفى المراغى، شيخ الأزهر، فى أغسطس ١٩٤٥، التى واكبها ترشيح الديوان الملكى للشيخ عبد المجيد سليم للمنصب، وكانت الشروط كلها منطبقة عليه، فهو عالم وورع وتقى، وعضو بهيئة كبار علماء الأزهر، وكان صاحب ولاء للقصر الملكى، حيث عمل فيه إمامًا للملك «فؤاد» والد «فاروق»، لكن الملك «فاروق» فاجأ الجميع بالرفض، وأمر بترشيح مصطفى عبد الرازق الذى كان وزيرًا للأوقاف.

رغبة الملك فاروق اصطدمت بمشكلة تتمثل فى أن «عبد الرازق» لم يكن عضوًا فى هيئة كبار علماء الأزهر، ولا ينطبق عليه شرط أن يكون مرشح للمشيخة مضى عليه ١٠ سنوات فى التدريس بالأزهر، و«عبد الرازق» لم يمارس التدريس فى الأزهر، وقام بتدريس الفلسفة فى جامعة القاهرة «فؤاد الأول وقتئذ» فقط، التى تطورت معه لأن يكون مؤسسًا لقسم (الفلسفة الإسلامية) فى الجامعة.

تنفيذ الأمر الملكى أدى بحكومة «النقراشى» إلى أن تتقدم بتعديلات إلى مجلس النواب على شروط تولى منصب «شيخ الأزهر»، ورغم معارضة «الوفد» فإن «النواب» قرر إلغاء شرط عضوية هيئة كبار العلماء، وتعديل شرط التدريس فى الأزهر عشر سنوات إلى أن يشمل التدريس أيضًا فى «جامعة فؤاد» أو «جامعة فاروق» لمدة خمس سنوات.

من قلب الأزهر، جاءت معارضة الشيخ عبد المجيد سليم، مرشح الديوان الملكى الذى تنطبق عليه الشروط، والشيخ مأمون الشناوى، وكيل الأزهر، الذى تقدم باستقالته من منصبه احتجاجًا على تخطِّيه من قِبل الملك وديوانه.

شغل مصطفى عبد الرازق منصب شيخ الأزهر، وظل مدة عام لم يحقق فيه شيئًا، وعانى الفشل الكبير، وشكا كثيرًا مما يتعرض له من الأزهريين، وأعلن ندمه على قبول المنصب.

١٧ فبراير عام ١٩١٥
طلاب مدرسة «الحقوق»
يرفضون استقبال السلطان حسين كامل

فى زمن الاحتلال البريطانى لمصر (١٨٨٢-١٩٥٤) يحتفظ التاريخ فى صفحاته، بممارسات الاحتلال السوداء التى كانت تبدأ وتنتهى عند معنى واحد، هو أن فى مصر شعبا لا يستحق الحياة، غير أن هذا الشعب العظيم كان يرد بدروس فى المقاومة من أجل الحرية والاستقلال.

فى واحدة من هذه الصفحات نقف أمام اللحظة التى تم فيها عزل الخديو «عباس حلمى الثانى»، وتنصيب «حسين كامل» سلطانا على مصر. كان القرار صادرا من حكومة الاحتلال البريطانى فى شهر ديسمبر ١٩١٤، وكان ضمن قرار أشمل وهو إعلان الحماية البريطانية على مصر، سبقه فرض الأحكام العرفية، وكان إعلان الحرب العالمية الأولى السبب فى هذه الإجراءات الاستثنائية.

شهدت مصر أثناء هذه الحرب طوفانا من جنود الإمبراطورية البريطانية من كل لون، وصدرت أوامر بجمع متطوعين من شباب مصر بالإكراه، كأيدٍ عاملة تمهد الطرق، وتحفر الخنادق، وتجهيز المنطقة الواقعة من شرق قناة السويس حتى نهر الأردن.

كانت جموع الشباب تُساق من القرى مربوطة فى الخيول إلى المعسكرات والقطارات التى تنقلهم إلى أماكن العمل، وتشهد كوكب الشرق أم كلثوم

فى مذكراتها المنشورة بصحيفة الجمهورية عام ١٩٧٠، أنها رأت قوافل رجال مربوطة بالحبال تجرهم الخيول فى طريقهم إلى المعسكرات، وذلك أثناء تنقلها مع والدها لإحياء الموالد فى القرى المجاورة لقريتها «طماى الزهايرة» بـ«السنبلاوين»، محافظة الدقهلية.

وطبقًا لتقديرات جاءت فى كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية» للكاتب والمؤرخ محمد صبيح، بلغ عدد الذين سيقوا للتطوع تحت فحيح السياط «مليونا ومائة وسبعين ألف مصرى، كما أضيف ١٢ ألفا من احتياطى الجيش المصرى لدعم الجيش البريطانى».

أمام هذه المظالم، يأتى السؤال: «هل قاوم الشعب المصرى؟»، والإجابة تأتى فى أكثر من رد فعل، منها محاولة لجموع من المجندين بالسير من معسكراتهم إلى ميدان عابدين احتجاجًا، وخشى «السلطان» أن يكون هناك «عرابى» جديد، فقوبل الاحتجاج بقمع عنيف.

كان للطلاب صوت مقاوم فى هذا الحراك الوطنى، ففى مثل هذا اليوم (١٧ فبراير ١٩١٥)، وكما يقول «صبيح»: «كان حسين كامل على موعد للذهاب إلى مدرسة الحقوق بعد أقل من شهرين على تنصيبه حاكما، لكن الطلاب قرروا الامتناع عن حضور المناسبة فغابوا عن الدراسة حتى لا يقابلوا السلطان الجديد الذى ارتضى أن يأتى إلى الحكم بإرادة الاحتلال، ويحدث فى حكمه كل هذا الإذلال للمصريين».

يضيف «صبيح» : «قامت الإدارة بالتحقيق مع ٥٤ طالبا، وصدرت ضدهم أحكام بالفصل والحرمان النهائى من الامتحانات، غير أن هناك واقعة مقابلة تحمل طرفة وسياسة فى آنٍ واحد، ففى نهاية هذا العام استقبل «السلطان» طلاب البعثات، ومنح كل طالب ٥٠ جنيها، فشكره فى خطبة الطالب «طه حسين» الذى سيصبح فيما بعد عميدا للأدب العربى، وفى أول صلاة جمعة تالية للحدث، كانت المقابلة حديث خطيب المسجد الذى كان يصلى فيه «السلطان»، وأشاد «الخطيب» بحسن استقبال السلطان للطلبة، خصوصا عندما جاءه «الأعمى» فأكرمه، وما عبس فى وجهه وما تولى، وغضب العلماء من هذا التعريض ونسبوا لإمام المسجد أنه مرتد».

١٨ فبراير عام ١٨٥٦
السلطان العثمانى يُصْدر الخط الهمايونى «للمسيحيين» ومحمد على يسبقه

فى علاقة المسلمين بالمسيحيين فى مصر حكايات تعكس طبيعة الحالة السياسية والحضارية لزمنها، ولأن مصر ظلت قرونًا تحت حكم الدولة العثمانية، فلم تكن استثناء من الوضع السيئ للمسيحيين فى البلاد التى تقع تحت حكمها.

فى مثل هذا اليوم (١٨ فبراير ١٨٥٦)، حدث انقلاب فى الحالة التى ظل المسيحيون عليها، حيث أصدر السلطان عبد المجيد الأول قانون تنظيم بناء دُور العبادة فى الولايات التابعة للدولة العثمانية، ويطبق على كل الملل والأديان غير الإسلامية، وعرف بـ«إصلاح الخط همايونى»، وينص على: المساواة بين كل المواطنين فى الدولة العثمانية، وينتخب بطاركة رؤساء الكنائس من كل الملل، وتكون فترة انتخابهم حتى مماتهم، ولا يحق لأحد نزع سلطان البابا إلا من كنيسته على وجوب إبلاغ فقط من الباب العالى باسم البابا الجديد فى كل مرة، كما ينص القانون على أن السلطان شخصيا وفقط له الحق فى ترخيص بناء وترميم الكنائس والمقابر الخاصة لغير المسلمين، وإعفاء الكنائس من الضرائب والمصروفات، وتشكيل مجلس مكون من رجال الكنيسة (كهنة أو رهبان) ورجال من خارج الكنيسة (مسيحيين غير الرهبان والكهنة) لإدارة شئون الملة والمعروف باسم المجلس المِلِّى العام.

ونص القانون على عدم إجبار أى شخص على ترك دينه، ومحو كل الألفاظ التى تمسُّ فئة من الناس مثل الدين والملة، ويكون حق التعيين فى مناصب الدولة المدنية والعسكرية بالكفاءة من دون تمييز فى الدين، وإلزام كل مواطنى الدولة بالخدمة العسكرية، وتكون الدعاوى القضائية بين المسيحيين والمسلمين فى دواوين عبارة عن محاكم خاصة يرأسها قضاة من الطرفين.

كانت مصر قبل صدور هذا القانون قد قطعت شوطا فى تقدم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، فمنذ لحظة اعتماد محمد على باشا على المصريين فى حكمه لمصر، سعى إلى القضاء على التفرقة بين المسلم والمسيحى التى كان من أبرز مظاهرها ارتداء المسيحيين والأروام للزى الأزرق والأسود، ولا يتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة غالية الثمن.

يذكر «نوبار باشا»- عمل وزيرا «لمحمد على»- فى مذكراته: «لم يكن مسموحًا للرعية بأن يبقى على ظهر دابته إذا التقى بتركى أو مسلم، حيث كان يتحتم عليه الترجُّل كرمز للاحترام والخضوع، ثم يمر أمامه حاملا نعليه فى يديه».

وفى قصة تحمل دلالات عميقة يحكى نوبار: «حدثت جريمة فى الإسكندرية ارتكبها مركبى عربى، وكان الضحية شابا مسيحيا قتل، وألقيت جثته فى الماء، وتم القبض على القاتل وإيداعه فى السجن لحين تنفيذ حكم الإعدام فيه، ونُصبت المشنقة بالقرب من عمود بطليموس، فسارت جموع غفيرة من الناس خلف المحكوم عليه بالإعدام أثناء اقتياده لتنفيذ الحكم، وتردد همسا: «كيف يشنق مسلم لأنه قتل كافرا؟ ألم يعلمنا أساتذتنا فى القانون أن حياة مسلم تساوى حياة عشرة من الكفرة، وإذا تم شنق هذا الرجل فعلينا قتل تسعة من هؤلاء المسيحيين، وبمجرد أن أعلن طاهر بك رئيس البوليس أن الوالى أمر بشنق أى شخص تسوِّل له نفسه بإبداء أى ملاحظة، ووضع الجثة بجوار القاتل، انصرفت الجموع فجأة واختفت».

١٩ فبراير عام ١٩٤٦
مقتل حسنين باشا.. ونازلى لابنها فاروق:
«ده اللى عملك راجل»

أمضى أحمد حسنين باشا، رئيس ديوان الملك فاروق، سهرته يوم الأحد ١٧ فبراير ١٩٤٦ فى منزل الكاتب الصحفى محمد التابعى، وكانت كوكب الشرق «أم كلثوم» بين الحاضرين، وغنت قصيدة «سلوا قلبى» لأمير الشعراء أحمد شوقى، وألحان رياض السنباطى، جلس أحمد حسنين منصتا بكل جوارحه إلى الأغنية.

امتدت السهرة حتى فجر يوم الإثنين، وفى يوم الثلاثاء، ١٩ فبراير، وبينما كان فى سيارته يجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقه إلى مسكنه «ڤيلا بالدقى»، أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة، وبفعل الأمطار التى كانت تتساقط، انزلقت عجلة «اللورى» فلفّت نصف لفة لتصدم سيارة «حسنين باشا»، سمع السائق صوت حسنين باشا: «ياساتر، ياساتر، يارب»، سال الدم من فمه، وبالمصادفة كان «أحمد عبد الغفار» يسير بسيارته، وهو صديقه وزميله من أيام دراستهما فى جامعة أُكسفورد فى بريطانيا، فنزل ليحمل صديقه إلى مستشفى «الأنجلو أمريكان»، وفيها أسلم الروح، ونقلوه إلى داره.

فى حياة «الملك فاروق» يظل «أحمد حسنين» هو لغزها الأكبر، فلم يكن مجرد رئيس ديوانه، وإنما معلمه ومرشده ومهندس سياساته، وهناك من يتهمه بمسئوليته عن إغراق «فاروق» فى حياة اللهو والعبث، وفوق هذا هو

بطل قصة الغرام مع الملكة «نازلى» أُمَّ فاروق التى هامت به عشقا فتزوجته، وطلق زوجته وأم أبنائه «لطيفة هانم»، وجاء موته ليلقى بأثره الكبير عليها ويؤكد ذلك الكاتب الصحفى «محمد التابعى» فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة»، قائلا: «لسوف يقول التاريخ الحق عن نازلى ملكة مصر لم تنفجر، و«تفجُر» إلا بعد موت مروضها أحمد محمد حسنين باشا».

«التابعى» لايقول ذلك إلا من موقع المعرفة الوثيقة والشخصية بكل الأطراف، نازلى، فاروق، حسنين، وكل ما يدور فى كواليس القصر، يكتب عن شخصية «حسنين باشا»، قائلا:

«موضع إعجاب النساء، فيه كل ما يعجب المرأة، كان ممشوق القامة، حلو الحديث، حسن الهندام، جذابا، مؤدبا، إذا أقبل على سيدة يتحدث معها خُيِّل إليها أنه لا يرى سواها ولا يهتم بسواها، وكان إلى جانب هذا رياضيا ممتازا، وبطلا مبرزا من أبطال السيف، ورحَّالة مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه أخطارها، واكتشف واحة أو واحتين، ودوى نبأ اكتشافه فى جوانب العالم، ونال من الأوسمة والنياشين الأجنبية ما لم ينَلْ مصرى فى مثل سنه».

يزيد «التابعى» فى وصف «حسنين باشا»: «ثقافته واسعة متعددة الألوان، كان يستطيع أن يتحدث بسهولة وانطلاق فى الشعر العربى القديم والحديث، وفى المسرح، والفرق بين المدرسة الإنجليزية فى التمثيل والمدرسة الفرنسية، وفى الصيد والقنص، وفى الطيران، وكان يتحدث فى الموضة وتطوراتها، وكان يمكنه أن يناقش وعلى قدم المساواة أية سيدة خبيرة فى الأزياء».

وأخيرا، كان حسنين باشا، والكلام للتابعى: «يجب أن يعتقد فيه الناس الغباء بل «الهبل» وأنه رجل لا يخشى أحد شره، أو طرطور أو ساعى بريد ينقل إليهم الأوامر السامية من جلالة الملك، أو يرفع آراءهم ونصائحهم إلى «السُّدَّة العليا الكريمة»، ومن غير أن يكون له هو رأى أو مشورة فى الموضوع، وصدقه بعضهم فى أول الأمر، ثم اكتشفوا الحقيقة وعرفوه، وكرهوه».

من هذه الخلفية يمكن فهم، لماذا وقعت الملكة «نازلى» فى غرامه، وانطلقت نحوه بكل جوارحها بعد وفاة زوجها الملك «فؤاد».

يلقى «التابعى» الضوء على شخصية «حسنين باشا»، فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة، أحمد حسنين باشا حياته العامة والخاصة»: «تلقَّى «فاروق» خبر مقتل «رائده» و«وزوج أمه»، فكان انشغاله بشىء آخر، طار إلى ڤيلا «حسنين»»، ويقول كريم ثابت مستشار الملك فى مذكراته «عشر سنوات مع فاروق»، الصادرة عن «دار الشروق، القاهرة»: «قال لى لقد جمعت بنفسى كل أوراقه الخصوصية هنا وفى عابدين قبل أن تمتد إليها يد، لم يذرف دمعة واحدة عليه».

ويذكر «التابعى» هذا الموقف تفصيلا: «طار الخبر إلى القصر، وأسرع فاروق وكان يرتدى (روب دى شامبر) وفى قدميه شبشب، وأسرع بملابسه هذه واستقل إحدى سياراته إلى دار حسنين بالدقى، ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين، رائده وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه، ثم قال: «مسكين ياحسنين».

سأل «فاروق» بعدها عن مفاتيح مكتب حسنين، وتناولها ودخل غرفة المكتب، وأغلق وراءه الباب، وكان يبحث عن أية مذكرات كتبها حسنين، وعن عقد زواجه بأمه، وأى أوراق مهمة أخرى قد يكون تركها وراءه.

يواصل «التابعى»: «بعد وفاة «حسنين» بأسبوعين أو ثلاثة، ذهب «فاروق» ليزور أمه نازلى فى قصرها بالدقى، وتسمرت قدماه أمام صدر قاعة القصر، حيث وجد صورة بالحجم الطبيعى لـ«حسنين» وقد جُلِّلت بالسواد، وأمام الصورة جلست «نازلى» وسيدات القصر وخادماته وجميعهن متشحات بالسواد، وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم، توقف «فاروق» لحظة عند باب القاعة، وعقدت الدهشة لسانه، ثم مشى حيث كانت أمه وقال لها وهو يشير بيده إلى الصورة وإلى السيدات والمشايخ: «إيه ده كله؟ وعلشان إيه ده كله، مات، خلاص مات، لزوم ده إيه؟»».

انتفضت نـازلى واقفـة عـلى قدميهـا وانفجـرت فى ابنهـا تصيـح: «ده، ده الـلى عملـك راجـل، ده الـلى حافـظ لـك عـلى عرشـك، بكـره راح تشـوف يجـرى لـك إيـه، بعـد مـوت حسـنين»، وهـز فـاروق كتفـه سـاخرا وانـصرف.

٢٠ فبراير عام ١٩١٠
اغتيال بطرس غالى باشا.. و«الوردانى»:
«قتلته بعقلى وقلبى»

كانت الساعة الواحدة ظهرا فى مثل هذا اليوم (٢٠ فبراير ١٩١٠)، حين خرج بطرس باشا غالى، رئيس الوزراء، من وزارة الخارجية، وبينما يهم بركوب سيارته، اقترب شاب منه متظاهرا برفع عريضة له، لكن المفاجأة كانت فى رصاصتين أطلقهما «الشاب» عليه، وما كاد يلتفت حتى واصل «الشاب» إطلاق رصاصاته، وكان مجموعها ستًّا، لينتقل إلى المستشفى ثم يموت فيها بعد نحو ٢٤ ساعة، ويذكر «أحمد شفيق باشا» فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة، أن الخديو عباس حلمى الثانى، ذهب إلى بطرس باشا فى غرفته بالمستشفى، ثم دنا منه والدموع تنسكب من عينيه ودعا له بالشفاء، وكان الجريح أثناء ذلك يقول: «العفو يا أفندينا، ميرسى، ميرسى».

«كانت الرصاصات الست أول ما فرق الهدوء المصرى» وهذا التعبير البليغ لـ«فتحى رضوان» فى كتابه: «نصف قرن من السياسة والأدب»، وكان القاتل «إبراهيم الوردانى» شابا يبلغ من العمر (٢٤ عامًا)، درس الصيدلة، والتحق بالحزب الوطنى بزعامة محمد فريد، يصفه رضوان: «كان نحيلا قمحى اللون، تشوب وجهه سمرة مصرية، هادئا فى الظاهر، شديد العصبية والحساسية فى الباطن».

حتى يوم «الاغتيال» كان الخصام بين «بطرس غالى» والحركة الوطنية المصرية قد بلغ مبلغه، لم يكن لـ«الخصام» علاقة بأبعاد دينية، أى وضعه فى خانة أن بطرس غالى «مسيحى» يشغل رئاسة حكومة مصر بأغلبيتها المسلمة، وقبلها تولى «نظارة الخارجية ١٣ عاما متصلة من ١٢ نوفمبر ١٨٨٥ حتى ١٩٠٨»، ولما أبلغ الخديو عباس حلمى الثانى المعتمدَ البريطانى فى مصر «ألدن جوست» عن اختياره لـ«غالى» رئيسا للوزراء، سأله «جوست»: ألا يحصل انتقاد من الأهالى بتعيين قبطى رئيسا؟، فرد الخديو: «إنه قبطى ولكنه مصرى».

كان خصام الحركة الوطنية له يقف على أرضية وطنية تمامًا من خلال دوره فى أربع قضايا، الأولى، توقيعه اتفاقية اقتسام حكم السودان مع الاحتلال الإنجليزى فى يوم ١٩ يناير ١٨٩٩، أما الثانية فكانت رئاسته لمحاكمة «دنشواى» يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٠٦ التى انتهت بإعدام أربعة من أهالى القرية، والأشغال الشاقة على ١٢ وجلدهم ٥٠ جلدة، لاتهامهم بقتل ضابط بريطانى مات متأثرا بضربة شمس، أثناء قيام مجموعة من الجنود البريطانيين بصيد الحمام داخل حقول الفلاحين بـ«دنشواى»، وهى القضية التى ألهبت المشاعر الوطنية.

وأما الثالثة، فكانت إعداده لقانون المطبوعات يوم ٢٥ مارس ١٩٠٩، الذى وضع قيودًا على الأقلام والصحف المعارضة لسياسة «عباس حلمى الثانى» المهادنة للاحتلال. وتبقى القضية الرابعة، وهى موافقته على مشروع مد امتياز قناة السويس لبريطانيا ٤٠ عاما جديدة، وكان «الامتياز» المعمول به ينتهى فى عام ١٩٦٨، ومده يؤدى إلى استمراره حتى عام ٢٠٠٨.

وضعت هذه القضايا الأربع «بطرس باشا غالى»، فى مواجهة الحركة الوطنية المصرية، ودفعت «الوردانى» لاغتياله «دون ندم»، وحسب ما يذكره فتحى رضوان فى كتابه «نصف قرن من السياسة والأدب»: «لما دخل الوردانى إلى غرفة النائب العام، لم ينكر فعلته، ولم يندم عليها، وأكد أنه نفذها دون شريك، ولا محرض، ولا معين إلا عقله وقلبه».

ويقـول «أحمـد شـفيق باشـا»: «قبـل أن يُفتـح محـضر التحقيـق الرسـمى مـع «الوردانـى»، سـأله وكيـل الحقانيـة: «لمـاذا فعلـت فعلتـك بالباشـا؟، فأجـاب غاضبـا: لأنـه خائـن للوطـن، فـرد عليـه بقولـه: «يامسـكين لو عرفـت أنـه أكـبر وأصـدق وطنـى فى خدمـة البـلاد مـا فعلـت فعلتـك».

٢١ فبراير عام ١٩٤٦
طلاب مصر يهدون العالم فى «يوم الطالب العالمى»..
بـ«٢٤ شهيدًا»

«أضربت القاهرة إضرابا تاما. أضرب الطلبة فى الجامعة والأزهر والمدارس الثانوية والابتدائية والمتوسطة، وتعطلت المواصلات والمحلات التجارية والصناعية، والصيدليات والمشارب، ومحلات المأكولات بعد أن فتحت فترة فى الصباح لتزويد الأهالى بالأطعمة، كما اشتركت الطالبات كذلك، واستعد لذلك اليوم البوليس وقوات الجيش، كما طاف صدقى، رئيس الحكومة، بأقسام الشرطة للاطلاع على حالة الأمن».

هكذا كان مشهد القاهرة فى مثل هذا اليوم (٢١ فبراير ١٩٤٦)، والذى يسجله كتاب: «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر ١٩٢٢-١٩٥٢»، الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية للدكتور عاصم محروس عبد المطلب، وجاء استجابة لأول بيان لـ«اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة» الذى نادى باعتبار يوم ٢١ فبراير يوما للجلاء.

كان هذا المطلب رسالة احتجاج قوية على ما حدث يوم ٩ فبراير، الذى شهد مظاهرات ضخمة خرجت من جامعة «فؤاد الأول» وتم فتح كوبرى قصر النيل عليها؛ فسقط البعض فى النيل وقتل وجرح نحو ٢٠٠.

تحركت المظاهرات من الجيزة والأزهر والسيدة زينب والعباسية وشبرا الخيمة، تضم قرابة ١٥٠ ألفًا من الشباب، كما تحركت مظاهرة كلية الطب تردد النشيد الذى وضعه ولحنه أعضاء اللجنة ويقول:

«ياشعب قم خض بحار الدماء/ لا تبكِ فالآن وقت الفداء/ هيا نحطم قيود الخضوع/ هيا سويا لنيل الجلاء/ من خاف بالصف يُرمى بعار/ من خاننا سوف يلقى بالدمار/ لن نستجيب لصوت الهدوء/ إن الكفاح هو الانتصار».

تدفقت الجموع على ميدان الأوبرا، حيث كانت الترتيبات لعقد المؤتمر الوطنى العام، واجتمعت كل المظاهرات فيه، وألقى ممثلو الهيئات المختلفة كلماتهم، وقرر المؤتمر ضرورة قطع المفاوضات مع الإنجليز باعتبارها طريق المساومة والمهادنة، والتمسك بالجلاء التام عن وادى النيل. ويسجل كتاب «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر»، أن القوى الرجعية والاستعمار بذلت جهودها لإفساد عظمة اليوم، فنزل صدقى باشا (رئيس الحكومة) إلى الشارع بسيارته وبجانبه حسن البنا، المرشد العام لجماعة الإخوان، محاولين إثناء الجماهير عن الاستمرار فى مظاهراتهم.

اشتعلت المظاهرات بسقوط أول شهيد، وقام المتظاهرون بلفِّه بالعلم المصرى، وطافوا به شوارع القاهرة، وبلغ عدد الذين استُشهدوا حتى الغروب ٢٤ شهيدا و١٣٠ جريحا، ومن بين الذين استشهدوا، محمد فؤاد أحمد الطالب بالدواوين الثانوية، وهو ابن بائع صحف قاطع صحافة الاستعمار، محمد فهمى أبوالنصر خريج معهد التربية، محمد حسن سيد العاصى من المنوفية ومن أبناء الطبقة العاملة، إمام محمد سليمان، كمال محمد سرور، أحمد سيد أبو العزم، أنسى أبوضيف عبد الرحمن، حسين حسن عبد الباقى، يوسف زكى، مصطفى عبد الدايم، وحسب الله رمضان.

امتدت المظاهرات إلى الإسكندرية، بنها، طنطا، زُفْتى، الإسماعيلية، الزقازيق، السويس، شبين الكوم، المنصورة، دكرنس، المحلة، كفر الشيخ، المنزلة، كفر الزيات، السنبلاوين، قويسنا، وأضربت بعض القرى.

فرض الحدث المصرى نفسه على العالم، وتناقلت الصحف العالمية تفاصيله، وانتقلت العدوى إلى دول مجاورة منها سوريا والسودان والأردن ولبنان، وفيها تم الإعلان عن إضرابات عامة تضامنا مع طلاب مصر، وتضامنت حركات طلابية أخرى من دول العالم، وفى الاجتماع التأسيسى لاتحاد الطلبة العالمى فى أغسطس ١٩٤٦، اتخذ قرار بجعل يوم ٢١ فبراير يوما للطالب العالمى.

٢٢ فبراير عام ١٩٥٨
الوحدة بين مصر وسوريا وجمال عبد الناصر رئيسًا

عمت المظاهرات المدن السورية، وأطلق المتظاهرون شعار: «عايزين وحدة باكر باكر.. ويّا الأسمر عبد الناصر»، كان ذلك فى شهر يناير عام ١٩٥٨، ولم يكن فى سوريا مطلب يعلو على مطلب «الوحدة مع مصر»، وفى هذه الأجواء سادت قناعة بأن تحرير فلسطين لن يأتى إلا من باب وحدة مصر وسوريا، واستدعى السوريون أيام صلاح الدين الأيوبى وهزيمة الصليبيين بفضل هذه الوحدة.

كان الحلم العربى يحلق فى الفضاء، وكان الإيمان قويا بأننا أمة تناطح السحاب. كانت معارك الاستقلال من الاحتلال الأجنبى تدور على قدم وساق فى كل البلاد العربية، وكانت مصر هى العون والملاذ، وفى هذا المناخ كان حلم الوحدة العربية يسكن الجميع، فجاءت قصة الوحدة بين مصر وسوريا التى تم الإعلان عنها رسميا فى مثل هذا اليوم (٢٢ فبراير ١٩٥٨)، فأحدثت زلزالا إقليميا ودوليا، وتحالفت قوى الشر من أجل إجهاضها.

الطريق إلى «الوحدة»، مر بمحطات بدأت من أواخر عام ١٩٥٦ حيث طرح الرئيس شكرى القوتلى مشروعا لاتحاد فيدرالى تحت اسم «الدول العربية المتحدة»، ويضم مصر وسوريا كنواة، وفى فبراير ١٩٥٨ طرح صبرى العسيلى، رئيس وزراء سوريا، على جمال عبد الناصر إقامة الوحدة، وفى شهر يوليو ١٩٥٧ طلب مجلس الوزراء السورى إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر، وفى

زيارة لوفد برلمانى برئاسة أنور السادات إلى سوريا فى نوفمبر ١٩٥٧، أعلن البرلمان السورى إرادته فى الوحدة بين البلدين.

أخذ المطلب السورى تطورا لافتا وتصعيدا جديدا، وحسب محمد حسنين هيكل فى «سنوات الغليان»، أنه فى الساعة الثانية من ليل ١١ يناير، فوجئت «القاهرة» بوصول طائرة قادمة من سوريا وعليها ١٤ ضابطا من أعضاء المجلس العسكرى السورى يمثلون الكتل السياسية السورية، والمعروف أن الجيش السورى وقتئذ كان بؤرة للتصارع السياسى والحزبى، أى لم يكن الجيش بعيدا عن السياسة، بل كان فى قلبها.

حمل الضباط مذكرة بطلب الوحدة الفورية الشاملة، والتحق بهم صلاح البيطار وزير الخارجية ممثلا عن الحكومة السورية، وفى يوم ١٦ يناير أقام عبد اللطيف بغدادى، رئيس مجلس الأمة، احتفالا بذكرى إصدار دستور ١٦ يناير، وتمت دعوة الضباط السوريين إليه، وحين دخل عبد الناصر لحضور الاحتفال تحول المبنى لمظاهرة تطالبه بالوحدة، وقال «البيطار»: «جئت ممثلا للحكومة السورية أحمل طلبا رسميا منها بإقامة الوحدة»، وأجهش الحاضرون فى احتفال مجلس الأمة بالبكاء وعلت هتافاتهم.

انتقل الوفد السورى إلى منزل عبد الناصر فى منشية البكرى للاجتماع، وأبلغهم جمال عبد الناصر بموافقته المبدئية، لكنه اشترط إجراء استفتاء شعبى على الوحدة، ووقف النشاط الحزبى فى سوريا، وتوقف تدخل الجيش فى السياسة.

فى ٣٠ يناير اجتمع مجلس الوزراء السورى بالقصر الجمهورى برئاسة الرئيس شكرى القوتلى الذى راح يردد آية: «قُضى الأمر الذى فيه تستفيان»، ووافق الجميع على مطالب عبد الناصر، وأُجرى الاستفتاء يوم ٢١ فبراير، وكانت النتيجة كاسحة فى الموافقة على الوحدة، وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة.

٢٣ فبراير عام ١٩٦٣

إسرائيل تفشل فى اغتيال عالم الصواريخ الألمانى «هانز» بسبب عمله فى مصر

فى حرب مصر مع إسرائيل، هناك حروب «علنية (وأخرى) سرية.. قتال الجيوش هو شكلها المكشوف، وعمليات المخابرات هى سرها المدفون وفيه تقوم إسرائيل بعملياتها القذرة، ومنها على سبيل المثال قيام جهاز «الموساد» بمطاردات العلماء الألمان الذين اجتذبتهم مصر فى خمسينيات القرن العشرين لتشييد صناعة الصواريخ.

تحتاج هذه القصة إلى فصول طويلة فى روايتها، تبدأ من هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، وتقسيمها إلى «شرقية» و«غربية» ثم توقف تصنيعها للصواريخ الذى تفوقت فيه أثناء الحرب، مما أدى إلى تعطل قاعدة واسعة من العلماء والخبراء، فأصبحت ملعبا لأجهزة المخابرات، ومجالاً لصراع دولى تمثل فى جذب هؤلاء العلماء للعمل خارج ألمانيا.

فى طريق طموح مصر إلى القوة والعلم، قررت الاستعانة بعدد من هؤلاء العلماء والخبراء، ووصل سرا مجموعة منهم فى عام ١٩٥٧، وكان من بينهم العالم «وولفجانج بيلز» وهو الساعد اليمنى لـ«براون» أب الصواريخ الألمانية الذى اجتذبته أمريكا، ومع استقدام هؤلاء لمصر نشطت حركة مجالات البحث العلمى المصرى، فتوسعت الدراسات العلمية وتم إيفاد بعثات

متخصصة للخارج، وإنشاء مراكز وهيئات البحث العلمي ومنها المركز القومي للبحث العلمي.

أدى هذا التعاون إلى إطلاق مصر لصاروخي «الظافر» و«القاهر»، فقررت إسرائيل خوض حربها القذرة ضد مصر، لإخراج العلماء الألمان منها بأى طريقة، وكان إرسال الطرود المفخخة إليهم وسيلة، واغتيالهم وسيلة أخرى، وكان منها ما حدث فى مثل هذا اليوم (٢٣ فبراير ١٩٦٣) ضد واحد منهم هو العالم الألمانى دكتور «هانز كلاينفختر»، ويتحدث عنه الكاتب الصحفى محمود مراد فى كتابه: «الحرب الخفية- قصة العلماء الألمان فى مصر».

كان «هانز» فى مدينة «لوراخ» الألمانية، وبينما كان يسير بسيارته فى شوارع المدينة، فوجئ بمن ينزل من سيارة قطعت الطريق أمامه، ليطلق الرصاص عليه وفر مسرعا، فى الوقت الذى نزل فيه «هانز» من باب السيارة الأيسر مسرعا إلى بيته القريب من مكان الحادث، وبفحص البوليس للسيارة، فوجئ بجواز سفر مصرى فيها باسم مقدم طيار «سمير أحمد على»، وذلك فى مخطط يستهدف اتهام الأجهزة الأمنية بتدبيرها لهذه الجريمة.

أفشل هذا المخطط مواطن ألمانى آخر، حيث تقدم إلى الشرطة الألمانية بجواز سفر يؤكد أنه كان فى مصر، وكان مع صديقه الضابط «سمير أحمد على» وقت الحادث فى كازينو «الأوبرج» بشارع الهرم، وقدم صورا فوتوغرافية للقاء، وعليها توقيع بالإهداء من الضابط «سمير»، وبذلك فشلت خطة «الموساد» الإسرائيلى فى إنجاح مزاعمه بأن مصر هى التى تقف وراء محاولة قتل «هانز».

فى اليوم التالى لمحاولة الاغتيال تلقى «هانز» ورقة صغيرة مكتوبا عليها باللغة الفرنسية: «من يأكل اليهود جزاؤه الموت»، وفى اليوم الرابع تلقى رسالة أخرى: «إذا كنت قد أفلَتَّ من الموت فلابد أنك ستموت، من الصعب الوقوف ضدنا، إنك الآن تنتظر مصيرك.. نحن من القوة بحيث لا يصعب علينا أى هدف.. لن تنجو منا».

بعد تلقِّى «هانز» هذه الرسالة ركب أول طائرة متجهة إلى القاهرة.

٢٤ فبراير عام ١٩٥٨
السوريون يحملون سيارة عبد الناصر ويخطب ٢٠ مرة

تلقت دمشق رسالة من القاهرة تفيد بزيارة عبد الحكيم عامر إلى سوريا للإعداد لزيارة جمال عبد الناصر إليها، كان ذلك بعد إعلان الوحدة رسميا بيومين، ويمقتضى الاستفتاء الذى أُجرى لذلك، أصبح «عبد الناصر» رئيسا لـ«الجمهورية العربية المتحدة»، وأصبحت مصر الإقليم الجنوبى لدولة الوحدة، وسوريا إقليمها الشمالى.

توجه رئيس الأركان السورى عفيف البزرى على رأس وفد كبير إلى مطار «المزة» فى دمشق لاستقبال «عامر»، فى مثل هذا اليوم (٢٤ فبراير ١٩٥٨) وكانت المفاجأة الكبرى فى أن «عبد الناصر» هو الذى ينزل من الطائرة، كانت مفاجأة لأنه لم يتم إخبار أحد فى سوريا بالزيارة خوفا من محاولة اغتيال «عبد الناصر»، بعد الغضب الذى أصاب أطرافا إقليمية ودولية من خطوة الوحدة.

فى دقائق قليلة قطع موكب «عبد الناصر» المسافة إلى منزل نائبه «السورى» شكرى القوتلى فى شارع «أبورماية»، كان «القوتلى» نائما فتم إيقاظه، وإخباره بأن عبد الناصر والوفد المرافق له فى صالون المنزل، وجاء «أكرم الحورانى» رئيس المجلس النيابى وكبار المسئولين السوريين، بعد إبلاغهم بأن «عبد الناصر» فى منزل «القوتلى».

وحسب متابعات الصحف المصرية الصادرة فى الأيام التالية للزيارة، وكتاب «سنوات الغليان» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، فإنه بعد دقائق قليلة من وصول «عبد الناصر» إلى منزل «القوتلى»، عم الخبر مدينة دمشق كلها، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها زاحفة إلى شارع «أبورمانة»، وأحاطت الجماهير بمنزل «القوتلى» وهى تهتف لـ«عبد الناصر»، وتطلب منه الخروج إلى الشرفة لإلقاء التحية عليها.

كانت مئات الأمتار فقط تفصل بين منزل «القوتلى» وقصر الضيافة الذى سيحلُّ فيه عبد الناصر، لكن موكب الرئيس استغرق عدة ساعات بسبب مئات الآلاف المحتشدة، وبلغ الترحيب مبلغه برفع الجماهير للسيارة الـ«كاديلاك» التى تقل عبد الناصر من فوق الأرض، فى مشهد لم يحدث لأى رئيس فى أية دولة.

دخل «عبد الناصر» قصر الضيافة، لكن الجماهير لم تنصرف، وبين فترة وأخرى كان يطل من الشرفة لتحية الجماهير والتحدث إليها، وبلغ عدد المرات التى خطب فيها ٢٠ مرة.

تدفق الملايين من المدن السورية إلى دمشق فى اليوم التالى للزيارة، وزحف مئات الآلاف من لبنان فى مواكب لا تنقطع بالسيارات، وصممت وفود لبنانية على عدم الانصراف قبل مقابلتها «عبد الناصر» والتحدث معه ومبايعته، وكان التسابق على من يأتى أسرع من الآخر، حتى يفوز بمكان قريب من القصر يستطيع من خلاله رؤيةَ عبد الناصر بطريقة أوضح.

بات الناس فى العراء أمام قصر الضيافة والشوارع المحيطة به، ينتظرون طَلَّة زعيمهم وكلماته التى يُلْهب بها حماسهم، حتى كان خروجه من الشرفة للتحية والتحدث بمثابة إذن انصراف لجماهير محتشدة، لإحلال جماهير أخرى محلها، وفى المساء صعد «عبد الناصر» إلى الدور العلوى للنوم، غير أن مفاجأة كبيرة كانت فى انتظاره أعلن عنها فى اليوم التالى.

٢٥ فبراير عام ١٩٥٨

عبد الناصر يكشف خطة الانقلاب على الوحدة و«القوتلى»: «لاحول ولاقوة إلا بالله»

أشعل جمال عبد الناصر المنطقة كلها بخطابه الذى ألقاه فى مثل هذا اليوم (٢٥ فبراير ١٩٥٨) فى العاصمة السورية دمشق، كان الخطاب بعد ثلاثة أيام فقط من إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وفى اليوم التالى لزيارته المفاجئة إلى سوريا، والقصة دارت على النحو التالى.

مساء يوم (٢٤ فبراير) صعد عبد الناصر إلى غرفة نومه فى قصر الضيافة، وجاءه رجل سوريا القوى «عبد الحميد السرَّاج»، الذى أصبح نائبا لعبد الناصر فى دولة الوحدة، ليبلغه بتلقِّيه عرضا من العاهل السعودى الملك «سعود» بمائة مليون جنيه إسترلينى مقابل قيادته لانقلاب يحول دون قيام الوحدة، وكان «أسعد إبراهيم» صهر «الملك» هو الوسيط، على أن يقع الانقلاب قبل إعلان نتيجة الاستفتاء (٢١ فبراير)، ويتم دفع ٢٠ مليون جنيه مقدما، والباقى بعد نجاح الانقلاب، وقدم «السراج» وثائقه ومستنداته إلى «عبد الناصر».

القصة بكاملها تأتى فى كتاب «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لـ«هيكل»، بالإضافة إلى الصحف المصرية والعالمية الصادرة وقتئذ، وفى سرد «هيكل» لها، أن الوسيط قال لـ«السراج»: «السفير الأمريكى

سيقدم لنا اعترافه بنظامنا فور إعلان الانقلاب، وكذلك اعتراف الدول الصديقة لأمريكا».

واصل «السراج» مفاجآته لـ«عبد الناصر»: سلمنى أسعد إبراهيم شيكا بمليون جنيه إسترلينى مسحوبا من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك «ميدلاند» فى لندن، وكان مدفوعا لحامله «شيك رقم ٥٢-٨٥٩٠٢»، ثم عاد بعد ذلك بشيك بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه إسترلينى مسحوب من البنك العربى المحدود فى الرياض على بنك «ميدلاند» فى لندن «شيك رقم ٥٨-٨٥٩٠٣»، وشيك آخر بمبلغ ٢٠٠ ألف إسترلينى مسحوب بنفس الطريقة برقم «٥٢-٨٥٩٠٤»، لتصل قيمة هذه الشيكات مليونا و٩٠٠ ألف جنيه إسترلينى كمبلغ مبدئى.

سلم «السراج» لـ«عبد الناصر» صور الشيكات وأذون الدفع المتعلقة بها، وإيصالات بإتمام عملية الإيداع باسمه فى حساب تم فتحه فى البنك العربى المحدود فى سوريا تحت رمز «ع. س، أى عبد الحميد السراج»، ومجموعة من إشارات تحركات الطائرة الملكية السعودية الخاصة التى وضعت تحت تصرف «أسعد إبراهيم»، وكانت تتنقل من دمشق إلى الرياض وبالعكس عدة مرات كل يوم.

يوم (٢٥ فبراير) صباحا، حضر «شكرى القوتلى» إلى عبد الناصر وعرف بالقصة فضرب كفا على كف قائلاً: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وفى ظهر اليوم نفسه قدم «السراج» إلى «عبد الناصر» نص برقية مرسلة من السفارة السعودية فى دمشق إلى الديوان الملكى فى الرياض، نصها: «تأكد أن البناية مفشوشة»، وكانت تعنى أن العملية فشلت لأن «البناية» كانت هى اسمها الرمزى، وكان «القوتلى» هو الذى أبلغ السفارة مسألة اكتشاف القصة كلها، وبعد ساعة خرج عبد الناصر من شرفة الضيافة ليتحدث عن القضية كلها أمام الحشود الموجودة أمام القصر حتى سفوح جبل «قاسيون».

٢٦ فبراير عام ١٨١٥

نابليون يهرب من منفاه ويصيح فى جيش لويس: «هأنذا فاقتلونى»

فى حياة نابليون بونابرت ثراء الحكايات صراعات السياسة فى فرنسا بعد قيام ثورتها الكبيرة عام ١٧٨٩، وحروبه الكبيرة وتأثيره الطاغى على جنود جيشه، حكايات عن لوعته فى الحب والعشق، ودماء الفرنسيين التى كانت تسيل كل يوم فى صراع أجنحة الثورة الفرنسية، وصراع الثورة مع أنصار الملكية.

حكايات عن محاولات انتحاره، وقسوة نهاياته، وصرامة بداياته، فبعد مولده فى ١٥ أغسطس ١٧٦٩، خضع لتربية صارمة من والدته لضبط جموحه، ولما أصبح منفيًا فى جزيرة «سانت هيلانة» عاش سنواته الأخيرة ينتظر نهايته:

قبل نفيه الأخير سبقه نفى «قصير» فى جزيرة «ألبا»، بعد إرغام بريطانيا والدول الحليفة لها له على التنحِّى يوم ١١ أبريل ١٨١٤، لهزيمته ودخول جيوش الحلفاء إلى باريس. رفض الحلفاء أن يتنازل عن العرش لصالح ابنه «نابليون الثانى»، فانصاع وتنازل عن العرش دون قيد أو شرط، قالوا له: «أنت العائق الوحيد فى وجه إحلال السلام فى أوروبا، أنت لست مستعدا للتضحية، لَسْتَ مستعدا أن تبذل الصالح فرنسا»، لم يقاوم الاتهامات، فهو المهزوم الذى لا طريق أمامه غير تجرع المر.

قرر الحلفاء نفيه إلى جزيرة «ألبا» فى البحر المتوسط، وأعطوه السيادة الكاملة عليها، قالوا له: «فلتبقَ إمبراطورًا كما كنت ولكن على هذه الجزيرة

الصغيرة فقط»، كان ذلك قاسيا عليه، فبعد أن كان إمبراطور فرنسا وإيطاليا ومحرك الأحداث فى أوروبا كلها، سيصبح إمبراطورا على جزيرة يسكنها ١٢ ألفا فقط، كاد عقله يطير، أُصيب بإحباط كبير، ابتلع قرصا ساما احتفظ به منذ أن كاد الروس يقبضون عليه أثناء انسحابه فى معركته السابقة ضدهم، لكن السم لم يؤثر لتحلُّل مفعوله بعد احتفاظه به لفترة طويلة.

هربت زوجته «مارى لويز» ابنة إمبراطور النمسا مع طفله إلى «ڤيينا»، فذهب إلى المنفى وحيدا. كانت «مارى» زوجته الثانية بعد تطليقه «چوزفين» التى هجرته إلى عشيق آخر، فخطابات عشقه وغرامه من أماكن القتال إليها لم تؤثر فيها، كما لم تؤثر نجاحاته العسكرية التى جعلته إمبراطورا، وأدى تطليقه «چوزفين» إلى أزمة مع الكنيسة أثناء زواجه من «مارى» عام ١٨١٠، حيث رفض ١٣ كاردينالا حضور حفل زفافه فأمر بسجنهم جميعا.

فى «ألبا» مارس «نابليون» حكمه الإمبراطورى، أظهر الجانب الآخر من حكمه، أنشأ جيشا وأسطولا صغيرا خلال أشهر قليلة، طور مناجم الحديد، وطرق الزراعة فى الجزيرة وفق الأساليب الحديثة، فعل كل ذلك لكن كابده الشوق لزوجته وطفله الموجودين فى النمسا، فهرب من منفاه «ألبا» فى مثل هذا اليوم (٢٦ فبراير ١٨١٥)، ووصل إلى باريس بعدها بيومين، فأطلق الملك «لويس الثامن عشر» جيشا للقبض عليه، فاقترب «نابليون» منه بمفرده، ونزل عن حصانه صائحا: «هأنذا، فلتقتلوا إمبراطوركم إذا شئتم»؛ فصاح الجنود: «يحيا الإمبراطور»، ثم ساروا وراءه نحو باريس ليدخلها.

٢٧ فبراير عام ٢٠١٢
وفاة ثروت عكاشة الذى عمل بمبدأ: «مصر كالحقل البِكْر»

فى سيرة الدكتور ثروت عكاشة ظلال من علاقة المثقف بالسلطة التى لم ينتهِ الجدل بشأنها فى دول العالم الثالث ومنها مصر، وفى حمى هذا الجدل تقفز أسئلة من نوع، متى يكون المثقف صوتا للسلطة؟ ومتى يكون صوتا للمعارضة؟ وما طبيعة السلطة التى يتحدث باسمها؟ وما طبيعة المعارضة التى يندمج بين صفوفها ؟ وبين الاثنين، هل من الصحيح أن ينأى المثقف بنفسه بعيدا عن معترك السياسة (سلطة ومعارضة) ويتفرغ للفكر وتجلياته؟ هى قصة طويلة، ولكل سؤال مما سبق إجابة بحيثيات لها.

«ثروت عكاشة» الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢٧ فبراير ٢٠١٢)، تجتمع عنده كل الأسئلة السابقة، فهو فى الأصل «عسكرى» خريج الكلية الحربية فى أبريل ١٩٣٩، وكان ترتيبه الخامس بين دفعة عددها ١٢٠ دارسا، وهو من جيل «عسكرى» لم يكن يفصل فى اكتساب معارفه ومواقفه الوطنية بين الحياتين: العسكرية والسياسية، ومن هذا التمازج ولد تنظيم «الضباط الأحرار» الذى أسَّسه جمال عبد الناصر وقاد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان «عكاشة» من قيادات التنظيم والثورة.

«عكاشة» الضابط، كان مثقفا موسوعيا بامتياز، وفى سيرة حياته التى كتبها بعنوان «مذكراتى فى السياسة والثقافة»، عمل ملحقا عسكريا فى باريس عام ١٩٥٤، وخلال شغله هذا المنصب حصل بطريقة سرية على خطة العدوان

الثلاثى (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ضد مصر وسلمها إلى جمال عبد الناصر، وفى ٣٠ مارس ١٩٦٠ حصل على الدكتوراه فى الأدب من جامعة باريس، وكان موضوع رسالته عن الأديب المؤرخ «ابن قتيبة الدينورى» و«صدى مدرسة التصوير الانطباعية بفرنسا»، وفى رحلة حياته قدم للإبداع مؤلفات موسوعية مهمة فى الأدب والفن.

فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٧ بدأ العمل سفيرا لمصر فى روما، وفى ٨ أكتوبر ١٩٥٨ استمع فى الراديو خبر تعيينه وزيرا للثقافة والإرشاد القومى، ولما عاد إلى القاهرة وقابل جمال عبد الناصر ليبلغه اعتذاره عن الوزارة، دار بينهما حوار رفيع يكتبه عكاشة فى مذكراته الصادرة عن «دار الهلال، القاهرة»، قال له عبد الناصر: «أنت تعرف أن مصر الآن كالحقل البكر، وعلينا أن نعزق تربتها ونقلبها ونسويها ونغرس فيها بذورا جديدة لتنبت لنا أجيالا تؤمن بحقها فى الحياة والحرية والمساواة، مهمتك هى تمهيد المناخ اللازم لإعادة صياغة الوجدان المصرى، وأعترف أن هذا أشق المهام وأصعبها، وأن بناء المصانع أمر يهون إلى جانب الإسهام فى بناء الإنسان نفسه».

بدأ «عكاشة» مشروعه فى وزارة الثقافة الذى يُعد الأكبر فى تاريخها منذ نشأتها لأول مرة فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨، وتولاها فتحى رضوان لعدة شهور.

استمر «عكاشة»، فى منصبه حتى ١٩٦٢، ثم خرج منها ليتولى رئاسة مجلس إدارة البنك الأهلى، وعاد مرة ثانية وزيرا للثقافة من عام ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧٠، ومع كَمِّ الإنجازات الهائلة التى قدمها، فإن نجاحه، حسبما جاء فى مذكراته، يعيده إلى توافر عامل سياسى يحدده قائلا: «لحسن الحظ كان جمال عبد الناصر معنيا بمسائل الثقافة، حريصا على دعم المشروعات الثقافية، مؤمنا بأن ازدهار الثقافة يؤدى فى مجال الفكر ما يؤديه التصنيع الثقيل فى قطاع الصناعة»، فهل يغطى هذا الرأى من عكاشة جانبا من علاقة المثقف بالسلطة؟

٢٨ فبراير عام ١٩٥٥
استشهاد ٣٩ مصريًا فى غزة يدفع عبد الناصر لطلب السلاح من روسيا

فى الساعة الثامنة والنصف من مساء مثل هذا اليوم (٢٨ فبراير عام ١٩٥٥)، أطلقت إسرائيل غارة «السهم الأسود» على غزة، وكانت حجتها أنها ترد على هجمات الفدائيين المصريين، وكانت غزة وقتئذ تحت حكم مصر.

فى اليوم التالى مباشرة سافر جمال عبد الناصر إلى غزة ليرى بنفسه آثار العدوان الإسرائيلى، وبات ليلته فى العريش، بعد أن قضى النهار فى غزة، وأثناء ذلك قامت إسرائيل بغارة ثانية على مركز مصرى بـ«القطاع».

انتهت الغارتان باستشهاد ٣٩ جنديا مصريا، ومقتل ٨ جنود إسرائيليين، كان «شارون» رئيس وزراء إسرائيل الراحل هو الضابط الذى قاد فرقة المظلات فى هذه الغارة، وكتب عنها فى مذكراته، ترجمة وتحقيق أنطوان عبيد: «بعد انتهاء العملية عدنا من حيث أتينا، نحمل ٨ قتلى و١٤ جريحا، وكان موشى ديان فى انتظارنا وسأل بلهجة جافة: كيف جرت الأمور؟ أجبته: «أنجزنا مهمتنا ولكن بخسائر فادحة، فرد بلا مبالاة: «الأحياء أحياء والأموات أموات».

كانت هذه الكلمات تبدو فى ظاهرها أشبه بحالة الترقب لما سوف تخلفه الغارة من آثار تمتد إلى مستقبل العلاقة بين إسرائيل التى لم يكن مر على

تأسيسها أكثر من سبع سنوات، ومصر التى مر على ثورتها ثلاث سنوات، وأصبح على رأس سلطتها «ضباط»، ثاروا على صيغة الحكم القديمة.

تأمل وإعادة قراءة ما حدث فى لقاء «عبد الناصر» بالسفير الأمريكى فى القاهرة «هنرى بايرود» يوم ١٠ مارس «بعد الغارة بعشرة أيام»، يقود إلى الاعتقاد بأن هذه الغارة تحديدا، كانت الباب الذى خرجت منه التحولات الكبيرة فى منطقة الشرق الأوسط، وصاغت شكل الصراع العربى الإسرائيلى، قال عبد الناصر للسفير الأمريكى، والنص موجود كاملا فى كتاب «ملفات السويس» لمحمد حسنين هيكل: «صوتى بُحَّ حتى الآن فى طلب أسلحة للجيش المصرى، والولايات المتحدة حتى الآن عطلت كل الصفقات فى حين أنها عقدت صفقات مع إسرائيل والعراق».

أضاف عبد الناصر فى شبه تحذير نهائى: «حتى الآن كنا نطلب السلاح لمجرد تسليح الجيش المصرى، وأما الآن فإن السلاح بالنسبة إلينا أصبح قضية حياة، وإنكم تعرفون أننى بعد الثورة قمت بتخفيض ميزانية القوات المسلحة بمقدار ٥ ملايين جنيه عما كانت عليه قبل الثورة، وأما الآن وبعد الغارات المتكررة على قواتنا فإن الأمر أصبح لا يُحتمل، لقد كنت كما شرحت لوزير الخارجية «دالاس» أعتبر أن الخطر الإسرائيلى يكمن فى تخلفنا عن التنمية، وأنا الآن لا أستطيع أن أقنع نفسى بشىء من ذلك، فنحن لا نريد أن نبنى المصانع والمستشفيات والمدارس لكى نسلمها لإسرائيل، ويتحول الشعب المصرى بدوره إلى شعب من اللاجئين».

وزاد عبد الناصر فى حسمه: «أنا مصمم على أن يكون فى يد الجيش المصرى ما يحتاجه من السلاح للنهوض بمسئولياته، وإذا لم تكن الولايات المتحدة على استعداد لبيع السلاح لنا فلتقُل ذلك مرة واحدة وإلى الأبد حتى نعرف كيف نتصرف».

بعد ذلك أقدم عبد الناصر على قراره الشهير بـ«كسر احتكار السلاح» والذهاب شرقا إلى روسيا لاستيراد السلاح.

١ مارس عام ١٨١١
محمد علىّ يذبح المماليك فى القلعة ويشرب جَرْعة طويلة من الماء

هل كانت مذبحة المماليك فى القلعة عملا عظيما لـ«محمد على باشا»؟

هـى حـدث دمـوى بـكل المقاييـس، لكـن هنـاك مـن يـراه تحقيقـا لعـزة مـصر وكرامتهـا التـى حلمـت بهـا منـذ زمـن بعيـد امتـد لسبعة قـرون، ويذهـب إلى ذلـك كتـاب: «محمـد عـلى- رؤيـة لحادثـة القلعـة»، الصـادر عـن الهيئـة العامـة للكتـاب، القاهـرة لمؤلفـه «حسـين كفـافى».

هـى درامـا النهايـات لـ«المماليـك» الذيـن دخلـوا مـصر بشرائهـم مـن دول آسـيا الوسـطى، وعاشـوا فيهـا وحكموهـا قرونـا، وتختلـف الآراء حـول أسـباب المذبحـة، ويذكـر الدكتـور خالـد فهمـى فى كتابـه «كل رجـال الباشـا»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، أن رغبـة محمـد عـلى فى تكويـن جيـش مـصرى قـوى وحديـث كانـت سـببا، فهـو كان يعلـم أن أى محاولـة منـه لإدخـال التكتيـكات والتدريبـات الحديثـة سـوف يقاومهـا المماليـك باسـتماتة، لأنهـم سـيعدُّون هـذه التقنيـات العسـكرية الجديـدة محاولـة لإلغـاء النظـام القديـم الـذى كانـوا يحتكـرون مزايـاه لقـرون مضـت، واسـتبدال نظـام جديـد بـه يعـرض أوضاعهـم المتميـزة لتَحـدٍّ خطـير.

عـن تفاصيـل المذبحـة تقـرأ فى كتـاب «عـصر محمـد عـلى»، الصـادر عـن دار المعـارف، القاهـرة للمـؤرخ عبـد الرحمـن الرافعـى، أن محمـد عـلى دعـا أعيـان المماليـك إلى احتفـال كبـير بمناسـبة تنصيـب ابنـه «طوسـون» قائـدا لحملـة تتوجـه

إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، ولبى المماليك الدعوة وتوجهوا فى أبهى زينة وأفخم هيئة، وبلغ عدد المدعوين نحو ١٠ آلاف شخص منهم ٤٧٠ من المماليك وأتباعهم، وكبار القوم، ومختلف الطوائف، وتناولوا الغداء، وأطلقوا الغناء، حتى نادى المنادى برحيل الموكب، فعزفت الموسيقى وانتظم قرع الطبول وبدأ الموكب فى السير منحدرا من القلعة، ومنحدرا إلى «باب العزب».

لم يكد الجنود يصلون إلى هذا الباب حتى ارتجَّ الباب الكبير بإغلاقه من الخارج فى وجه المماليك، وتحول الجنود بسرعة عن الطريق ليتسلقوا الصخور على الجانبين وأمطروا المماليك بالرصاص، الذين حاولوا الفرار لكن بنادق جنود محمد على كانت تحصدهم من كل مكان بلا رحمة، حتى بلغ ارتفاع الجثث فى بعض الأمكنة إلى أمتار، وتمكن بعضهم من الوصول إلى «طوسون باشا» راكبا جواده منتظرا أن تنتهى تلك المأساة، فترامو على أقدامه طالبين الأمان، ولكنه وقف جامدا لا يُبْدى حركة، وعاجَلهم الجنود بالقتل.

يقول «الرافعى»، إنه لم يعلم بالمؤامرة إلا أربعة من خاصة رجال محمد على، وهم حسن باشا قائد الجنود الأرناؤود، والكتخدا بك محمد لاظوغلى، وإبراهيم أغا حارس الباب، وصالح قوش أحد ضباط الجند، وهو الذى أمر بإقفال باب العزب، وأعطى إشارة القتل، وبينما كان يتأهب لتنفيذ المؤامرة، كان محمد على باشا جالسا فى قاعة الاستقبال ومعه أمناؤه الثلاثة، وظل فى مكانه هادئا إلى أن بدأ الموكب يتحرك، واقتربت اللحظة الرهيبة فساوره القلق والاضطراب، وساد القاعة صمت عميق إلى أن سمع إطلاق أول رصاصة، وكانت إيذانا ببدء المذبحة، فوقف وامتقع لونه، وعلا وجهه الاصفرار وتنازعته الانفعالات المختلفة، وأخذ يسمع دوى الرصاص، وصيحات الذعر والاستغاثة، وهو صامت لا ينبس بكلمة.

تضاءل صوت الرصاص فاطمأن «الباشا»، وعندئذ دخل عليه المسيو «ماندريشى» طبيبه الإيطالى وقال له: «لقد قضُى الأمر واليوم يوم سعيد لسموكم»، فلم يُجِب عليه بشىء، وطلب قدحا من الماء فشربه جرعة طويلة.

لم ينجُ من المذبحة إلا اثنان، الأول هو «أمين بك»، وتختلف الآراء حول طريقة هروبه، فبينما يقول البعض إنه كان فى مؤخرة الركب، ولما شعر ببداية

إطلاق النار قفز بفرسه من فوق سور القلعة، وتركه يلقَى مصيره وفر هاربا إلى الشام، وهناك من يقول إنه جاء متأخرا إلى الحفل، ولما وجد الباب مغلقا شعر بالمكيدة ففر إلى الشام، أما المملوك الثانى الذى نجا فيُدعى «على بك السلانكلى» فلم يحضر الاحتفال لانشغاله فى إحدى القرى.

على مدى ثلاثة أيام انتشر جنود محمد على يفتكون بكل من يلقونه من المماليك وأتباعهم ويقتحمون بيوتهم فينهبون ما تصل إليه أيديهم، ويبلغ عدد القتلى نحو ألف مملوك ونهب خمسمائة بيت، ولم يتوقف هذا إلا بنزول محمد على باشا إلى شوارع القاهرة ليسيطر على جنوده، وهكذا حقق الانفراد بالحكم.

٢ مارس عام ١٧٩٩
«مينو» يتزوج «زُبَيْدة» بعد إشهار إسلامه ويقول: «للمسلمات شهوة عنيفة»

«زوجتى طويلة القامة، مبسوطة الجسم، حسنة الصورة من جميع الوجوه، لها عينان رائعتان، ولون بشرتها هو اللون المصرى المألوف، وشعرها طويل فاحم، وهى لطيفة الطبع، وجدتها تتقبل كثيرا من العادات الفرنسية بنفور أقل مما توقعت، وأنا لم ألحَّ عليها بعد فى الخروج سافرة على الرجال، فهذا سيأتى شيئا فشيئا، ولن أنتفع بما أباحه النبى من الزواج بأربع نساء خلاف السرارى، فإن فى النساء المسلمات شهوة حارة عنيفة، وفى زوجة واحدة أكثر من الكفاية لى».

الكلمات السابقة للجنرال الفرنسى «مينو» القائد الثالث للحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨)، (خَلَف نابليون وكليبر)، وكتبها فى رسالة إلى أحد جنرالات الحملة، ردا على سؤاله حول زواجه من «زبيدة» ابنة «السيد محمد البواب» أحد أعيان «رشيد». ويؤكد عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى» أن «مينو» لم يقصد «زبيدة» بالذات، وإنما كانت لديه الرغبة فى مصاهرة عائلة تتصل بالسلالة النبوية، مثل عائلة الشيخ الجارم العريقة فى الشرف والعلم، لكن الشيخ تورع من هذه المصاهرة، وأراد أن يسد الطريق، فزوَّج ابنتيه من اثنين من أقاربه.

أقدم «مينو» على الزواج من «زبيدة» فى مثل هذا اليوم (٢ مارس ١٧٩٩)، بعد أن أشهر إسلامه وأعطى لنفسه اسم «عبد الله باشا مينو»، وتم عقد القران فى وثيقة شرعية تضمنت اعتناقه الإسلام. وفيها يؤكد «الرافعى»، أن «زبيدة» هى ابنة «أحد أعيان رشيد»، يشير «ج. كرستوفر هيرولد» فى كتابه «بونابرت فى مصر» إلى تضارب الشهادات عن «زبيدة»: «فمن قائل إنها شابة مغرية، وإن مفاتنها أيقظت شهوات «مينو» المكتهل حتى عبثت بعقله، ومن قائل إنه لم يَرَها قط قبل العرس، ثم تبين أنها لم تكن على ما زُين له من شباب وجمال وثراء، أما «مينو» نفسه فأذاع على الملأ أنها سليلة أسرة من الأشراف؛ لأن أباها وأمها منحدران من سلالة الرسول».

حصل «مينو» على إعفاء من الختان، وتهنئة من نابليون بونابرت على ما عدَّه تضحية فى سبيل القضية الوطنية، وأن عمله أضفى قدرا من المعقولية على وعد بقرب تحول الجيش الفرنسى إلى الإسلام.

وعلى الرغم من أن «مينو» كان يمارس شعائر الدين الإسلامى، بدراسته للقرآن الكريم، وتأدية الصلوات الخمس فى تعبُّد ظاهر، وتأدية صلاة التراويح فى شهر رمضان المعظم فى مساجد رشيد، فإن «كرستوفر» ينقل وصف «الجبرتى» لذلك بأنه «تظاهر لأسباب سياسية».

فى وثيقة الزواج التى يأتى «الرافعى» بنصها كاملًا، بعد أن اكتشفها العلامة على بهجت فى دفترخانة محكمة رشيد الشرعية، يتبين أن محضر عقد القران تم بحضور كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى، المفتى الشافعى، ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتى الحنبلى، ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى، والسيد أحمد بدوى نقيب الأشراف، وأن «مينو» أقر واعترف بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتَى الشهادتين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، تاركا لدين النصرانية والأديان الرديئة على الترتيب والولاء، وشمل العقد شروطا منها أنه دفع «مائة محبوب» كل واحد منها بمائة وثمانين نصفا فضة نظير صداق زوجته المذكورة.

يؤكد «الرافعى» أن «مينو وزبيدة» أنجبا ولدا سمياه بـ«سليمان مراد چاك مينو»، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عام ١٨٠١، سافرت وابنها على سفينة إلى فرنسا، ثم لحق بها «مينو»، وظلت فى عصمته، لكنه تنكر لها وهجرها فى «تورينو» بإيطاليا، وأبدل بها بعض الراقصات واتخذهن خليلاته، وتركها تعانى غُصَص العيش وغصاصة الهجر إلى أن تُوفِّيت بها.

٣ مارس عام ١٩٢٤
إلغاء الخلافة الإسلامية ولُعَاب الملك فؤاد يسيل عليها

حمل قائد الشرطة القرار فى يده، وتوجه إلى قصر السلطان عبد الحميد الثانى، وأمر «الخدم» بإيقاظ «الخليفة النائم»، وبعد لحظات سلمه قائد الشرطة قرار خلعه، وطرده من تركيا، و«إلغاء الخلافة الإسلامية».

الجهة التى أصدرت القرار كانت «الثورة التركية» بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، والوقت كان فى مثل هذا اليوم (٣ مارس ١٩٢٤)، والحالة كانت بمثابة إطلاق الرصاص على الدولة العثمانية «المريضة».

وعلى الرغم مما يتحدث به البعض حتى الآن عن «نكبة إلغاء الخلافة»، و«نكبة إلغاء الدولة العثمانية»، فإن الوهن والضعف الذى أدى إلى دراما النهاية، لا يخفيه السلطان المخلوع «عبد الحميد» فى مذكراته الصادرة عن مؤسسة الرسالة، بيروت، قائلا: «الارتخاء والكسل عَمَّ كل مكان، لم تُعد الطبقة المثقفة تهتم بأمر، ولم يعد الموظفون والعسكريون يثقون حتى بأنفسهم، ليس هناك من يريد أن يعمل ولا أن يعلم».

كان «العامل الداخلى» سببًا رئيسًا فى انهيار الدولة العثمانية التى تأسست عام ١٢٩٩، وقاد إلى أن إلغاء الخلافة الإسلامية كان بمثابة قرار تم إبلاغ «السلطان» به، وبعدها انتهى أمرها، غير أن «عبد الحميد الثانى» فى مذكراته يعيد الأمر كله إلى فلسطين، فهو يؤكد أنه لم يتخلَّ عن الخلافة لسبب ما، سوى ضيقه من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم،

ويقـول إن هـؤلاء الاتحاديـين أصروا عـلى أن أصـادق عـلى تأسـيس وطـن قومـى لليهـود فى الأرض المقدسـة فلسـطين.

ويضيـف: رغـم إصرارهـم فلـم أقبل بصـورة قطعيـة هـذا التكليـف، ووعدونى بتقديـم ١٥٠ مليـون لـيرة إنجليزيـة ذهبـا فرفضـت، وقلـت لهـم: لـو دفعتـم مـلء الدنيـا ذهبـا، فضـلا عـن ١٥٠ مليـون لـيرة إنجليزيـة ذهبـا، فلـن أقبـل بتكليفكـم هـذا، وبعـد جوابـى القطعـى اتفقـوا عـلى خلعـى وأبلغونـى أنهـم سـيبعدوننى إلى «أسـلانيك».

سـقطت الدولـة العثمانيـة، ومعهـا حكايـات «الـدم» بـين السـلاطين، فمنـذ السـلطان «محمـد الفاتـح» كان هنـاك قانـون ثابـت يذكـره «حلمـى النمنـم» فى كتابـه «أيـام سـليم الأول فى مـصر»، وهـو السـماح للسـلطان فـور أن يتـولى العـرش بقتـل الأمـراء المنافسـين لـه، وذلـك بالاتفـاق مـع هيئـة العلـماء الذيـن يعطونـه الفتـوى الشرعيـة، وبنـاءً عليهـا يقتـل السـلطان إخوتـه وأبناءهـم بيقـين منـه أن ذلـك يعفيـه مـن الدسـائس والمؤامـرات ضـده.

لا يتحـدث السـلطان «عبدالحميـد الثانـى» عـن درامـا «الخلـع» و«الطـرد» فى مذكراتـه السياسـية، لكـن الكاتـب الراحـل محمـود عـوض يكتبهـا بإبـداع فى كتابـه «أفـكار ضـد الرصـاص»، مشـيرا إلى أن الشرطـة حملـت الخليفـة المخلـوع وحريمـه فى سـيارة، وتوجهـوا بـه إلى محطـة السـكة الحديـد ليقـلَّ القطـار المتجـه إلى سـويسرا، وعنـد الحـدود توقـف القطـار، وأخـبروه بأنـه ممنـوع دخولـه؛ لأنـه متعـدد الزوجـات، والقانـون السـويسرى يمنـع دخـول متعـددى الزوجـات، وطالبـوه بالعـودة إلى بلـده، ولمـا أخبرهـم بطـرده منهـا، قالـوا لـه إنهـم سـيعطونه تصريحـا مؤقتـا بالدخـول حتـى الاسـتعلام عـن حالتـه الاجتماعيـة، وعـدد زوجاتـه بالضبـط.

كان للقصـة وجـه آخـر فى مـصر، فالملـك فـؤاد سـال لُعَابـه إلى أن يصبـح خليفـة المسـلمين، ولمـا علـم «السـلطان المخلـوع» علـق: «أراه يوشـك أن يكـون مـن الكافريـن».

٤ مارس عام ١٩٢٨
الحكومة ترفض معاهدة رئيسها «ثروت باشا» مع الاحتلال

ألحَّ مصطفى النحاس باشا على رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت باشا، أن يفضى إليه بما أسفرت عنه مباحثاته مع الحكومة البريطانية أثناء زيارته إلى لندن من ٣٠ أكتوبر حتى منتصف نوفمبر ١٩٢٧.

كان النحاس باشا وقتئذ رئيسًا لحزب الوفد من يوم ٢٦ سبتمبر خلفًا للزعيم سعد زغلول الذى تُوفِّى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٧، وكان ثروت باشا رئيسا لحكومة ائتلافية، ولما بلغه وهو فى أوروبا نبأ وفاة «سعد» عاد يوم ١٠ سبتمبر، وظل بالقاهرة وشارك فى حفل «الأربعين»، وفى ٣٠ أكتوبر بلغ لندن، ليواصل المفاوضات التى سأله عنها «النحاس» باشا، وأبقاها سرا مكتوما لا يريد أن يطَّلع عليه أحد، لا برلمان، ولا حكومة، ولا صحافة، ولا أصدقاء، لكنه أخيرا خضع لإلحاح «النحاس» وتكلم.

كشف «ثروت» لـ«النحاس»، عن أن المفاوضات التى أجراها مع وزير الخارجية البريطانى «السير أوستن تشمبرلى»، انتهت لمشروع معاهدة، وزاد «ثروت»: «أنا قبلت معظم بنودها الجوهرية يا مصطفى باشا»، سأله «النحاس» عن قواعد هذه المعاهدة، فرد «ثروت» بإطلاعه على نصوصها كاملة.

يتحدث عبد الرحمن الرافعى فى كتابه: «فى أعقاب الثورة المصرية- ثورة ١٩١٩» عن هذه القصة، ويأتى فيها ببنود المعاهدة وتبلغ ١٤ بندًا، تعزز

جميعهـا الاحتـلال البريطانـى عـلى مـصر، ومنهـا، ألا تتخـذ الحكومـة المصريـة أى موقـف فى البـلاد الأخـرى يفـضى إلى إثـارة صعوبـات لبريطانيـا، وألا تعقـد مـع أى دولـة اتفاقـا يـضر المصالـح البريطانيـة، وتخـوِّل مـصر لبريطانيـا الحـق فى إبقـاء قواتها العسـكرية فى أى مـكان فيهـا، ولزمـن غـير محـدود، وحظـر الطـيران المـصرى فـوق شُـقَّة مـن الأراضى عرضهـا ٢٠ كـم عـلى جانبَـى قنـاة السـويس، ويكـون للرعايـا البريطانيـين الأفضليـة لـو احتاجـت الحكومـة لموظفـين أجانـب.

قـراءة المعاهـدة لأول وهلـة تؤكـد أنهـا لا تعـزز بقـاء الاحتـلال فحسـب، وإنـما تمنـع التنفـس لمـصر، وبعـد مناقشـة حـزب الوفـد لهـا، قـرر رفضهـا، وقـال «النحـاس» لـ«ثـروت»: «إنـه لا لـزوم لعرضهـا عـلى البرلمـان، بـل يكفـى أن ترفضهـا الحكومـة، فالمشـاريع التـى تعـرض عـلى البرلمـان هـى التـى تقبلهـا الحكومـة مبدئيـا».

عقـد مجلـس الـوزراء اجتماعـه فى مثـل هـذا اليـوم (٤ مـارس ١٩٢٨)، ووجـد أمامـه المعاهـدة، فناقشـها ليقـرر فى النهايـة: «مـشروع المعاهـدة لا يتفـق فى أساسـه ونصوصـه مـع اسـتقلال البـلاد وسـيادتها، ويجعـل الاحتـلال العسـكرى البريطانـى شرعيًّـا».

كان الرفـض صدمـة لبريطانيـا دفعتهـا إلى التهديـد والوعيـد، وكان مثـيرا لـ«ثـروت باشـا» الـذى لم يكـن مـع رأى زملائـه الـوزراء فى رفضهـا، فقدم اسـتقالته مـن رئاسـة الـوزراء إلى الملـك فـؤاد فى نفـس اليـوم، متعلـلا بظروفـه الصحيـة، لكـن رفـض المعاهـدة كان هـو الأسـاس.

طـوت قصـة هـذه المعاهـدة حيـاة عبـد الخالـق ثـروت باشـا السياسـية، حيـث تُـوفِّى بعـد رفضهـا بشـهور قليلـة (٢٢ سـبتمبر) تـاركا إرثـا سياسـيا وطنيـا وآراء طيبـة فيـه، منهـا مـا ذكـره الدكتـور طـه حسـين عميـد الأدب العربـى: «كان عظيـم مـصر، رجاحـة حلـم، نفـاذ صـبر، ذكاء فـؤاد، وسَـعَة حيلـة وتفوقـا فى السياسـة».

٥ مارس عام ١٩٦٥
«لوتز».. جاسوس الشمبانيا فى قبضة المخابرات

وصل إلى ميناء الإسكندرية يوم ٧ يناير ١٩٦١، حاملا جواز سفر باسم «وولفجانج سيجموند لوتز»، المهنة «مدرب خيول» والجنسية «ألمانيا الغربية»، وفى سيرته المصطنعة، أنه كان ضابطا فى جيش النازى الألمانى، واختفى بعد هزيمته فى الحرب العالمية الثانية، وعمل مدربا للخيول وجمع ثروة طائلة، ويريد أن يجرب حظه فى حياة جديدة.

أما سيرته الأصلية فهى، ولد من أب ألمانى وأم يهودية ممثلة درجة ثانية، لكن الأب هجرها وعمر الابن ١١ عاما، فهاجرت إلى إسرائيل ومعها ابنها، وفيها بعد التحق بالجيش الإسرائيلى وأصبح ضابطا فى حرب ١٩٤٨، وانتقل إلى المخابرات الإسرائيلية «الموساد»، وبين الأصل والتزييف جاء «لوتز» إلى مصر جاسوسا.

كانت مصر تشق طريقها وقتئذ نحو الصناعة العسكرية، وجلبت إليها علماء وخبراء ألمانًا فى مجال صناعة الصواريخ والطائرات عام ١٩٥٧ (أشرنا إلى جانب منها يوم ٢٣ فبراير الماضى)، ونتج عنها صناعة صواريخ «الظافر» و«القاهر» و«الرائد» وتم تجريبها، مما أزعج إسرائيل فخططت لتطفيش العلماء الألمان بأى وسيلة، وكان «لوتز» ضمن وسائلها، والقصة بتفاصيلها فى كتاب «الحرب القذرة- قصة العلماء الألمان فى مصر» للكاتب الصحفى محمود مراد، وتأتى أيضا فى كتاب «سنوات الغليان» لمحمد حسنين هيكل.

دربت المخابرات الألمانية «لوتز» بالاتفاق مع «الموساد» على كيفية الحياة باعتباره مواطنًا ألمانيًا، وزودته بخبرة الحياة الألمانية بعد أن تعرضت للتآكل، لهجرته إلى إسرائيل وعمره ١١ عاما، وتزوج منها وحارب فى جيشها، ولما أتقن «ألمانيته» الجديدة جاء إلى القاهرة، ليستقر فى ڤيلا بشارع الهرم مع زوجته «مارتا» التى اقترن بها لأغراض «جاسوسية» وبموافقة من «الموساد».

تردد «لوتز» على نادى الفروسية بالجزيرة، وتعرف إلى الكثير من الجالية الألمانية وعلى مصريين محبين للخيول ليصبح من نجوم هذه المجتمعات، واشترى ٥ خيول بـ ١٥٠٠ جنيه من السيدة وجدان البربرى، على الشريعى، أحمد حمزة، ومن مزاد علنى.

استأجر مساحة من عزبة يربى فيها خيوله، أما مَهمَّته السرية طبقا لتكليف الموساد فكانت: من هم العلماء الألمان فى مصر، وأين يقيمون؟ ما مفاتيح شخصياتهم، وهل لديهم نقاط ضعف لاستغلالها؟ وما تحركاتهم ومتى؟ وأين يعملون؟

كانت الحفلات الكثيرة التى يقيمها وسيلة للحصول على المعلومات، خاصة تحت تأثير الخمور، وأطلقوا عليه فى إسرائيل لقب «جاسوس الشمبانيا»، وفى عملياته أرسل طرودا مفخخة إلى العلماء الألمان بمقر إقامتهم بالقاهرة من مكاتب بريدية مختلفة، لكنها لم تُصِبْ أيا منهم لشكهم فيها وإبلاغ أجهزة الأمن بها، وأصابت مصريين.

فى مثل هذا اليوم (٥ مارس ١٩٦٥) تم القبض عليه، وأعلن المتحدث الرسمى باسم جهاز المخابرات إبراهيم البغدادى، خبر القبض عليه فى مؤتمر صحفى، وانتهت محاكمته فى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة، وأفرجت مصر عنه ضمن تبادل أسرى فى ٤ فبراير ١٩٦٨، وسافر إلى إسرائيل مع زوجته «مارتا» التى اعتنقت اليهودية حسب طقوس حاخامات إسرائيل، وأعيد زواجها دينيا من «لوتز».

٦ مارس عام ١٩٢٠
لجنة «ملنر» تغادر القاهرة بعد ثلاثة شهور وعشرات الشهداء

أعـدت المصالـح الحكوميـة تقاريـر وإحصائيـات مفصلـة عـن الأوضـاع فى مـصر، وتلقَّـى الأعيـان أسـئلة حـول أسباب قيـام ثـورة ١٩١٩.

انشـغلت الحكومـة البريطانيـة بالبحـث عـن حـل لهـذا «الزلـزال» المفاجـئ الذى أحدثـه الشـعب المـصرى مـن أجـل الاسـتقلال، لم يتوقـع الاسـتعمار الإنجليـزى الحـدث، وتحـت وقـع المفاجـأة تعامـل بنفـس أسـلوبه منـذ بـدء احتلالـه لمـصر عـام ١٨٨٢، وذلـك بمزيـد مـن مناورات التفـاوض التـى تنتهـى بخطـوات شـكلية لا تنفـذ إلى مطلـب الاسـتقلال.

كانـت التقاريـر والإحصائيـات الحكوميـة، والأسـئلة الموجهـة إلى الأعيـان، هـى بمثابـة العمـود الـذى تصـورت الحكومـة البريطانيـة، أنـه سـيهديها مفتـاح إنهـاء الثـورة، والعـودة إلى الأوضـاع كـما كانـت، وتأسيسًـا عـلى هـذا التصـور قـررت إيفـاد لجنـة إلى مـصر برئاسـة اللـورد «ألفريـد ملنـر» وزيـر المسـتعمرات، وتُعـرف هـذه اللجنـة تاريخيـا باسـم «لجنـة ملنـر».

حـضرت اللجنـة إلى القاهـرة، وقضـت نحـو ثلاثـة شـهور متواصلـة، تـدرس أسـباب الثـورة، وتبحـث عـن عـلاج لهـا، وغادرتهـا فى مثـل هـذا اليـوم (٦ مـارس ١٩٢٠)، ومـن لنـدن دعـا «ملنـر» الوفـد المـصرى الموجـود فى باريـس للذهـاب إلى لنـدن للتفـاوض معـه حـول مـا توصلـت إليـه لجنتـه، وأسـفرت هـذه المفاوضـات

عن تقديم «ملنر» مشروعا للمعاهدة بين مصر وبريطانيا لا يحقق الاستقلال، وهو ما رفضه الوفد المكون من محمد محمود وعبد العزيز فهمي وعلى ماهر.

فى مسألة الرفض ورد فعل الاحتلال البريطانى، تفاصيل كثيرة، غير أن مشهد نضال المصريين أثناء وجود «اللجنة» فى مصر يُعد مصدر فخر للمصريين فى تصميمهم على الحرية والاستقلال، وحسب كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ اليقظة القومية- المجلد الثانى» فإنه فى (٢٤ أكتوبر) ١٩١٩ وفور قدوم «ملنر» إلى القاهرة اندلعت المظاهرات احتجاجًا عليها، وفى الإسكندرية خرج المصلون من مسجد «المرسى أبوالعباس» فى مظاهرات ضخمة، وانتهت إلى مقتل ٥ وجرح نحو ٤٠ شخصًا، وفى ٣١ أكتوبر تكرر نفس الأمر.

وفى يومَىْ ١٥ و١٦ نوفمبر خرجت مظاهرات فى الإسكندرية، وفى القاهرة توجهت مظاهرة ضخمة إلى ميدان عابدين تهتف بالاستقلال وسقوط لجنة ملنر، وحاولت قوة من الجيش تفريق المتظاهرين، فهاجم المتظاهرون قسم شرطة عابدين والموسكى، فاستدعت الحكومة قوة من الجيش البريطانى، ووقعت معركة دامية راح ضحيتها ١٣ قتيلا و٧٩ مصابًا.

امتدت المظاهرات إلى طنطا والمنصورة وشبين الكوم، وقدم محمد سعيد، رئيس الوزراء، استقالته، بسبب عدم موافقته على حضور اللجنة، وفى يوم ١٢ نوفمبر شُكِّلت وزارة برئاسة يوسف باشا وهبة، مسيحى الديانة، وتوجه آلاف المسيحيين إلى الكنيسة المرقسية الكبرى للإعلان عن سخطهم على «يوسف وهبة باشا»، وعقدت الجمعية العمومية للمحامين إضرابا احتجاجا على اللجنة.

فى ١١ ديسمبر تظاهر طلاب الأزهر، وهاجمتهم قوة إنجليزية فتفرق الطلاب وعادوا إلى ميدان الأزهر، لكن بعضهم دخل المسجد فدخل الجنود الإنجليز وراءهم بالأسلحة، واعتدوا على المتظاهرين، وأمام هذه التطورات وقّع علماء الأزهر على رسائل احتجاجية تم إرسالها إلى السلطان فؤاد، ويوسف وهبة، واللورد اللنبى، وفى ١٥ ديسمبر فشلت محاولة لاغتيال رئيس الوزراء «يوسف وهبة».

٧ مارس عام ١٩٦٤

نفاثة مقاتلة مصرية هندية.. ونهرو وعبد الناصر: «كسرنا احتكار العلم»

وصلت مصر إلى مرحلة تصنيع الطائرات، هذه حقيقة لا خيال، وواقع لا مبالغة فيه، لكن هناك محاولات لخلعها من تاريخ مصر.

القصة تبدأ من عام ١٩٥٧ بإنشاء ما يُسمى بـ«مكتب المشروعات الحربية الخاصة» بقيادة المقدم عصام خليل، وإنشاء جهاز «مخابرات الأبحاث العلمية والصناعية العسكرية»، ويشمل «الطاقة الذرية»، وكان من أهم أفرع أجهزة المخابرات فى العالم، وتولاه أيضا المقدم «عصام خليل» الذى صار «لواء» فيما بعد، وراح ضحية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، حيث كان محسوبا ضمن رجال المشير «عامر».

كان الهدف هو وضع مصر على طريق الصناعة العسكرية، وبدأ باستقدام علماء وخبراء ألمان بعد توقف هذه الصناعة فى ألمانيا على أثر هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية، وتم حشد عدد كبير من العلماء والمهندسين والفنيين المصريين حتى أصبح لمصر قاعدة علمية هائلة فى هذا المجال.

فى ٩ يوليو ١٩٦٠؛ أعلن عبد الناصر عن صناعة أول طائرة نفاثة «القاهرة- ٢٠٠» فى مصر، وقال: «إنها طارت بالفعل فى الجو العربى منذ ١٠ أيام، وأثبتت صلاحيتها الممتازة للتدريب»، وبعد هذه الخطوة جاء ما هو

أكثر تقدما، حيث تم تطوير محرك الطائرة ليصبح محركا نفاثا مقاتلا وليس مجرد طائرة تدريب، وأُعلن عن ذلك فى مثل هذا اليوم (٧ مارس ١٩٦٤).

القصة بتفاصيلها فى كتابين مهمين «الفضاء الخارجي واستخداماته السلمية»، الصادر عن سلسلة عالم المعرفة، الكويت للدكتور «محمد بهى الدين عرجون»، وهو واحد ممن عملوا فى هذا المجال، وكتاب «الحرب القذرة- قصة العلماء الألمان فى مصر» للكاتب الصحفى محمود مراد.

كان ذلك ثمرة اتفاق «مصرى هندى»، تتولى فيه مصر صناعة المحرك النفاث المقاتل، وتصنع الهند جسم الطائرة الملائم للمحرك، وفى ٢٣ مارس ١٩٦٤، أعلن «شافان» وزير الدفاع الهندى أمام برلمان بلاده عن تخصيص جزء من ميزانيته لإنتاج الطائرات المقاتلة مع مصر، وفى لقاء الزعيم الهندى «نهرو» بوفد مصر برئاسة عصام خليل، قال: «هذا الإنتاج يضىء بدء حقبة جديدة لبلادنا التى أراها مستضعفة، وأتفق مع رأى صديقنا ناصر الذى سمعته منه فى لقاءاتنا: «إذا كان إنتاج السلاح مهما، فالمهم أن نكسر احتكار العلم كما كُسر احتكار السلاح».

كانت مصانع «هندوستان» فى الهند تنتج جسم الطائرة، بينما تنتج مصانع حلوان المحرك بمصر، والحصيلة كانت صناعة ٨٠ طائرة كاملة من النفاثة «القاهرة ٢٠٠»، وأجزاء لأكثر من ٢٠٠ طائرة، وثلاث طائرات مقاتلة «القاهرة ٣٠٠» للاختبار، وطار النموذج الأول. وفى ٢٤ مارس عام ١٩٧٥، تلقى اللواء عصام خليل خطابا من مصمم الطائرات الألمانى الأشهر «ويلى مسر شميت»، يخبره باختيار المتحف الألمانى فى ميونيخ «رائد المتاحف الأوروبية فى عرض أحدث أنواع الطائرات» لعرض محرك النفاث المصرى «القاهرة ٣٠٠» باعتباره أحد أحسن المحركات الحديثة المتقدمة فى العالم، وذلك فى العيد المئوى للمتحف.

٨ مارس عام ١٩١٨
سعد زغلول بـ«الفرنسية» بعد القبض عليه:
«تشجعوا.. تشجعوا»

ألقت قوات الاحتلال البريطاني القبض على سعد زغلول ومحمد محمود وإسماعيل صدقي وحمد الباسل، وفي اليوم التالي تم نقلهم إلى بورسعيد، ثم إلى جزيرة مالطا، وأثناء القبض على سعد وقبل أن يدخل السيارة العسكرية، قال للمجتمعين في بيته باللغة الفرنسية: «تشجعوا، تشجعوا» وكررها بالفرنسية أكثر من مرة.

كان الحدث في مثل هذا اليوم (٨ مارس عام ١٩١٩)، ونقل نضال المصريين من حال إلى حال، وكان طرح فكرة «توكيل» يوقِّع عليه أبناء الشعب من إبداع هذا النضال، ونص التوكيل على: «نحن الموقعين على هذا، قد أنبنا عنا حضرات.. في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة، حيثما وجدوا للسعي سبيلا في استقلال مصر استقلالا تاما».

فكرة التوكيل جاءت بعد لقاء جمع بين المندوب السامي البريطاني السير «ريجنالد ونجت»، ورشدي باشا رئيس الوزراء، وسأل «ونجت» عن الصفة التي يتحدث بها ثلاثة أفراد عن المصريين كافة؟ فاستفز هذا السؤال سعد زغلول، فدعا إلى العمل على تأليف هيئة تُسمى «الوفد المصري» تجمع له توكيلات تخوِّله حق التحدث باسم البلاد، وتألف هذا الوفد فعلا من سعد

زغلول «رئيسا» وعلى شعراوى، وعبد العزيز فهمى، ومحمد محمود، وأحمد لطفى السيد، وعبد اللطيف المكباتى، ومحمد على علوبة.

شهد بيت سعد زغلول مناقشات حول فكرة التوكيل، وكان الحزب الوطنى ممن شاركوا فيها، حيث اقترح صيغته النهائية، وكما يقول محمد صبيح، فى كتابه «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، احتدمت المناقشات، فقال سعد إنه يُهان فى بيته، فرد عليه «محمد زكى على» عضو الحزب الوطنى: «نحن فى بيت الأمة»، فسُرَّ سعد بهذه التسمية، وأصبحت بعد ذلك مثلا واسما لهذا البيت التاريخى.

التف المصريون حول فكرة التوكيلات، ومن كل محافظات مصر كان يتم جمعها، وكتب سعد إلى المندوب السامى البريطانى يطلب الترخيص للوفد كى يسافر إلى بريطانيا للتفاوض، لكن طلبه قوبل بالرفض، وأبلغوه بأن يتقدم بمقترحات لنظام الحكم فى مصر، على أن يكون فى نطاق الحماية، فكثرت الاجتماعات والخطب، وبدأ الشعور الوطنى فى الفوران، يتقدمه حماس بالغ من سعد زغلول.

وحسبما يذكر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، اجتمع الوفد وحدد ستة مطالب باسم الأمة؛ وهى: الاستقلال التام، الدستور، احترام امتيازات الأجانب، قيام صندوق الدين العمومى بالمراقبة المالية، حياد قناة السويس، وضع استقلال مصر تحت ضمانة جمعية الأمم.

تصاعد غضب الاحتلال البريطانى تدريجيا، وفى ٦ مارس أنذر المعتمد البريطانى سعد زغلول وزملاءه «كتابيا»، وهددهم بمعاملة شديدة بموجب الأحكام العرفية، فخرج «سعد» إلى بيت الأمة، لتداول الأمر، وتم رفض الإنذار وكتابة برقية إلى «لويد جورج» رئيس الوزراء البريطانى، وبعد يومين تم القبض على أربعة من أعضاء الوفد ونفيهم إلى مالطا، واجتمع باقى «الوفد» برئاسة على شعراوى، وأرسلوا احتجاجات إلى الملك فؤاد، وأخرى إلى ملك بريطانيا، لكن الاحتجاج الأهم هو انطلاق شرارة ثورة ١٩١٩ يوم ١٠ مارس.

٩ مارس عام ١٧٩٦
نابليون يتزوج عشيقته چوزفين ثم يخاطبها: « ما أحببتِ قَطّ يا قاسية»

«إن صورتك تملأ علىّ حياتى، وذكريات الليلة الماضية تسكرنى، ولا تترك لى ثانية واحدة من الراحة، أيتها الحبيبة الحلوة والوحيدة، أية آثار غريبة تتركينها فى قلبى؟ هل أضايقك؟ هل أغضبك؟ هل تزايلك الراحة؟ قلبى يحطمه الأسى، ويتملكه القلق، وكيف تكون لى راحة وقد تسلطت على عواطفك الجياشة التى ترسل إلىّ من شفتيك وقلبك أشعتها التى تحركنى، آه، لقد كشف لى الليل عن أن صورتك فى مخيلتى ليست هى أنت، وسوف آراك بعد ثلاث ساعات، فيا حبيبتى الجميلة تقبلى منى ألوف القبل، ولكن لا ترديها إلىّ لأنها تحرق قلبى بنارها».

هذه الرسالة التى تنبض بالمشاعر والرقة والأحاسيس، لم يكتبها شاعر ولا روائى، ولكن كتبها قائد عسكرى وإمبراطور هو نابليون بونابرت إلى حبيبته «چوزفين»، هى تعطينا مفتاحا للجانب الآخر من حياة هؤلاء، الذين شغلوا العالم، وخلدوا أسماءهم فى صفحات التاريخ بأمجاد سياسية وعسكرية.

كانت «چوزفين» الأرستقراطية هى عشق نابليون، لكنه لم يكن عشقها، وكانت تكبره بسبعة أعوام، لكنه قال عنها: «هى أول امرأة تبعث الثقة فى نفسى غير المجربة، أسكرنى مديحها فى صفاتى العسكرية، فقصرت الحديث عليها من دون الآخرين»، وقصتهما معا فى عشقه وخيانتها، وغرامه وانصرافها،

وولعـه بـكل شـىء فيهـا، وضجرهـا مـن تفاصيلـه، نقرؤهـا فى كتـاب «المـرأة فى حيـاة نابليـون» تأليـف كرسـتوفر هيـبرت، ترجمـة عمـر سـعيد الأيوبـى.

أعدمـت الثـورة الفرنسـية زوجهـا الجنـرال «ألكسـندر ديـه بورهانيـه» عـام ١٧٩٤، ثـم سرقـت قلـب نابليـون مـن أول لقـاء بينهـما، وكان لتقديـم الشـكر إليـه بسـبب إعادتـه لابنهـا سـيف زوجهـا المصـادر، وكان عمـره وقتئـذ ٢٧ عامـا (مواليـد ١٧٦٩) حـين تعـرف إليهـا، وحسـب كتـاب «نابليـون بونابـرت» لمؤلفيـه «فيلكـس ماركـوم وإميـل لودڤيـج»: «كان يتعجـل عـلى الـدوام قـدره لبلـوغ مصيره المحتـوم، وطفولتـه لم تكـن بالمرفهـة أو السـعيدة، حتـى إنـه لم يكـن يحـب بعـد أن أصبـح إمبراطـورا أن يتحـدث عنهـا، وكان ذلـك سـببا فى تفسـير البعـض لانجذابـه لجوزفـين، بأنهـا تعـود إلى عواطـف مكبوتـة سـببتها لـه قسـوة والدتـه».

تزوجـا فى مثـل هـذا اليـوم (٩ مـارس ١٧٩٦)، وقـدم لهـا صداقـا مقـداره (١٥٠٠ فرنـك)، واتفقـا عـلى أن يحتفـظ كل منهـما بأموالـه مسـتقلا. كان الـزواج قبـل أن يذهـب عـلى رأس جيشـه الـذى سـيغزو إيطاليـا، ولمـا بـدأ رحلـة الغـزو انتظـر أن تلحقـه، لكنهـا تعللـت بسـوء حالتهـا الصحيـة، وظـن أن سـوء حالتهـا بسـبب حملهـا منـه، لكـن الحقيقـة أن علاقـة عشـق جديـدة بدأتهـا مـع ضابـط برتبـة مـلازم اسـمه «هيبوليـت تشـارلز»، وأمـام الشـائعات التـى وصلتـه عـن مسـلكها الجديـد، كتـب لهـا قائـلا: «إن السـعادة كانـت تداعـب روحـى، وهـى الآن مليئـة بالأسـى، إنـك مـا أحببـتِ قـط يـا قاسـية، يلـوح لى أنـك قـد اتخـذتِ قـرارك، وتيقنـتِ مـن الطريـق الـذى سـتمضين فيـه بعـد تركـى لـك، وأنـا لا أتمنـى لـك إلا السـعادة، حتـى إذا كانـت وسـيلتك للحصـول عليهـا، هـى عـدم إخلاصـك لى، ولا أقـول الخيانـة».

قـررت «جوزفـين» السـفر إليـه فى إيطاليـا، وفى كتـاب «المـرأة فى حيـاة نابليـون» تأليـف كرسـتوفر هيـبرت، ترجمـة عمـر سـعيد الأيوبـى، هيئـة أبوظبـى للسـياحة والثقافـة: «اصطحبـت معهـا إلى إيطاليـا عشـيقها الـذى اسـتمرت عـلى علاقـة بـه حتـى عـودة نابليـون مـن مـصر عـام ١٧٩٩».

١٠ مارس عام ١٩٦٩
جنازة مليونية لعبد المنعم رياض..
وعبد الناصر يذوب بين الجموع

لم يكن يوم ١٠ مارس ١٩٦٩ عاديا فى تاريخ مصر، هو يوم احتشد فيه ما يقرب من مليون شخص لتشييع جثمان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض، رئيس أركان الجيش المصرى، الذى استُشهد فى اليوم السابق، أثناء وجوده فى الخطوط الأمامية لجبهات القتال مع العدو الإسرائيلى.

لم يكن استشهاد «رياض» حدثا عاديا، فهو القائد الذى أوكل إليه جمال عبد الناصر مسئولية إعادة بناء الجيش المصرى من الناحية القتالية بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وكان قائدا عسكريا فذا من طراز قيادات الجيوش التى تجمع بين العلم والتواجد بين الجنود فى ميادين القتال.

فى كتاب «نسر مصر- عبد المنعم رياض حيا وشهيدا»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة لمؤلفه «عبد التواب عبد الحى»، وهو سيرة ذاتية لـ«رياض» نتأكد أننا أمام رجل لم يهدأ من البحث عن المعرفة، ليس فى مجاله العسكرى فقط، وإنما فى شتى علوم المعرفة، كان قارئا للفلسفة والتاريخ والأدب والشعر، وكان يهوى الاستماع للموسيقى، ويتحدث الإنجليزية والفرنسية بإجادة، ويتعلم حتى الإجادة الألمانية والروسية، ويلِمُّ بالإسبانية والإيطالية.

لم يكن «رياض» من جنرالات المكاتب، ولأنه كذلك كان يتنقل باستمرار بين وحدات الجيش، ليتعرَّف على الطبيعة أحْوال جنوده الذين كانوا يستعدون

على قدم وساق لمعركة تحرير الأرض، وفى يوم ٩ مارس سافر إلى خطوط الجبهة الأمامية، ليزور عدة مواقع عسكرية كان من بينها «الموقع نمرة ٦»، ومن خلاله راح بمنظاره يلاحظ حركة العدو على الشاطئ الآخر من القناة، وفجأة انهالت دانات المدفعية الإسرائيلية على الموقع، لتطوله إحداها كما طالت الضابط الذى كان يرافقه، وبعد خمس دقائق ناداه الضابط: «إزى الحال يافندم؟»، لكنه لم يتلقَّ ردًا، وتلقى عبد الناصر خبر استشهاده أثناء اجتماعه بالحكومة، فكان زلزالا كبيرا ظهر عليه أثناء الجنازة فى اليوم التالى.

«رياض» كما يصفه محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع، الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»: «لم يكن منذ بدايته ضابطا عاديا، كان عاشقا للعسكرية المصرية مؤمنا بأنه لا حياة لمصر بغير جيش قوى يحميها، والجيش القوى يعنى الجيش الذى يستعد لحرب قادمة، وليس لحرب سابقة، يعنى التبحر فى العلم العسكرى».

يحتوى كتاب «اليوم السابع» على شهادة من العماد مصطفى طلاس، وزير الدفاع السورى، قالها لـ«محمود عوض» عن مشهد جنازة «الشهيد» وكان مشاركًا فيها: «مع أننى عشت فى القاهرة من قبل إلا أننى فى ذلك اليوم فوجئت بأن شوارع القاهرة وميادينها اتسعت فجأة لكى تضم مئات الآلاف من المصريين خرجوا بعفوية يشاركون فى الجنازة»، ويضيف طلاس: «فى إحدى النقاط ذاب عبد الناصر من بيننا وسط الناس، وهم جميعا يتدافعون إليه، كل واحد حريص على الاقتراب منه ليقول له: البقية فى حياتك ياريس، ولايهمك ياريس، الثأر ياريس، معك ثلاثين مليون عبد المنعم رياض ياريس».

يواصل طلاس: «تطلعت حولى فوجدت أن طاقم الحراسة الخاص بالرئيس جمال عبد الناصر ذاب هو الآخر وسط الناس، تطلعت من جديد فوجدت رؤساء أركان الحرب القادمين من الدول العربية للمشاركة تحولوا هم أيضا إلى مواطنين يغمرهم الانفعال، ومددت يدى يمينا وشمالا لأقول لهم، فلتتشابك أيدينا معا لنصبح طاقم حراسة للرئيس، نحيط بالرئيس،

نحمى الرئيس، وفى المساء ذهبنا إلى الرئيس نستأذنه فى العودة، واقتربت منه لأقول له: سيادة الرئيس هذا التفاعل الذى شهدناه اليوم من الشعب المصرى هو أكبر عزاء لك فى استشهاد عبد المنعم رياض، فقاطعنى قائلا: «لا ياطلاس، أنا ذهبت الجنازة لمشاركة الناس وليس لتقبُّل العزاء فى رياض، العزاء الوحيد عندى وعند كل العسكريين المصريين هو تحرير الأرض، كل الأرض».

١١ مارس عام ١٩١٩
«محمد عزت البيومى» أول شهداء ثورة ١٩١٩
والمظاهرات تطوف القاهرة

«استمر إضراب الطلاب، تعطل سير الترام وأضرب سائقوه وسائقو سيارات الأجرة التاكسى، اضطرب سير مركبات «الأمينبوس»، فتعطلت المواصلات فى جميع أنحاء العاصمة، وأقفل معظم التجار متاجرهم، وأقفلت البيوت المالية أبوابها، وتجددت المظاهرات تطوف أنحاء المدينة حتى صارت فى شبه مظاهرة عامة، وأصدر القائد العام أمرا بمنع المظاهرات وإنذار من يخالفون هذا الأمر بالمحاكمة العسكرية، وتم إلصاق هذا الإنذار على الجدران فى الشوارع والميادين».. هكذا رسم عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩ صورة اليوم الثالث من أحداث الثورة التى بدأت يوم الأحد ٩ مارس.

بدأت أحداث الثورة بإضراب طلاب مدرسة الحقوق عن تلقّى الدروس، وانضم إليهم طلاب مدارس «المهندسخانة» و«الزراعة» و«التجارة» و«الطب»، وتم اعتقال ٣٠٠ طالب، وتواصلت المظاهرات فى اليوم التالى (الإثنين ١٠ مارس)، حيث أعلن طلاب المدارس الأميرية والأزهر الإضراب.

شهد اليوم الثالث من أيام الثورة أول مصادمات بين القوات البريطانية والمتظاهرين، بميدان باب الحديد «رمسيس»، ثم شارع عماد الدين، كما شهد

هـذا اليـوم سـقوط أول شـهيد للثـورة، وتحقـق عبـد الرحـمن الرافعـى مـن اسـمه، حيـث أُشـيع أنـه مصطفـى ماهـر أمـين، لكـن «الرافعـى» ومـن واقـع دفـتر وفيـات قسـم السـيدة زينـب توصـل إلى أن أول الشـهداء هـو محمـد عـزت البيومـى، ابـن عبـد المجيـد البيومـى المحامـى الشرعـى بالمنصـورة، أمـا مصطفـى ماهـر أمـين فكان استشـهاده يـوم ١٩ مـارس، وكان طالبـا فى المدرسـة الثانويـة السـعيدية وعمـره ١٦ عامـا، وأصيـب فى مظاهـرة بجهـة الأزهـر، وشُـيعت جنازتـه فى موكـب رهيـب.

فى ثـورة ١٩١٩ الكثـير ممـا يقـال، وأهمـه عـلى الإطـلاق هـو: هـل كان لهـا قيـادة خططـت لهـا وفجرتهـا، أم أنهـا انطلقـت بـإرادة شـعبية خالصـة ودون توجيـه مـن أحـد، وهـل توقعهـا الاحتـلال البريطانـى لمـصر؟

عـن هـذه الأسـئلة، يجيـب الكاتـب والمفكـر عبـاس محمـود العقـاد فى كتابـه «سـعد زغلـول.. سـيرة وتحيـة» مكتبـة حجـازى القاهـرة، قائـلا: «إن أناسـا كثيريـن ومنهـم بعـض المصريـين، ليعجبـون إذا عرفـوا أن هـذه الثـورة المفاجئـة، لم يقـع فيهـا تنظيـم، ولم يكـن فيهـا رأس مدبـر عـلى الإطـلاق، وأن مظاهـرة الطلبـة الأولى وقعـت عـلى غـير علـم سـابق مـن الوفـد، بـل عـلى خـلاف النصيحـة التـى سـمعها الطلبـة مـن بعـض أعضائـه الذيـن بقـوا فى القاهـرة بعـد اعتقـال سـعد وأصحابـه الثلاثـة، لكنهـا هـى الحقيقـة التـى نؤكدهـا بعـد اسـتقرائها مـن مصـادر عديـدة».

ويضيـف العقـاد: «الطلبـة أصبحـوا مضربـين فى مدارسـهم يـوم المظاهـرة، وهـم مختلفـون فى الخـروج أو البقـاء، ثـم خطـر لفريـق منهـم أن الخـروج ربـما خالـف مشـيئة الوفـد، وأفسـد عليـه رأيـا يفكـر فيـه، أو خطـة يتوخاهـا، فبعثـوا إلى «بيـت الأمـة» أفـرادا منهـم يسـتفسرون ويعـودون بـما يسـتقر عليـه رأى الأعضـاء، وهنـاك التقـوا «عبـد العزيـز فهمـى» فأفضـوا إليـه بقصدهـم، وأبلغـوه بهيـاج الطلبـة، وتحفزهـم للخـروج والتظاهـر فى أحيـاء العاصمـة، فثـار بهـم وانتهرهـم انتهـارا شـديدا، وهـو يقـول لهـم مـا معنـاه: «المسـألة ليسـت لعـب أطفـال، دعونـا نعمـل فى هـدوء، ولا تزيـدوا نـار الغضـب اشـتعالا عنـد القـوم».

١٢ مارس عام ١٩١٩
ثورة ١٩١٩ تشتعل بقطع السكك الحديدية و المواصلات

تنوعت وسائل تعبير المصريين عن غضبهم أثناء ثورة ١٩١٩، فبينما كانت المظاهرات تعمُّ البلاد منذ أن تفجرت الثورة يوم ٩ مارس، حدث تطور نوعى فى مثل هذا اليوم (١٢ مارس)، تمثل فى قطع المواصلات بجميع أنواعها.

كانت المظاهرات قد امتدت من القاهرة إلى الإسكندرية وطنطا ودمنهور والمنصورة وشبين الكوم والزقازيق والفيوم وبنى سويف والمنيا وأسيوط، ومع اتساع نطاقها كانت تتسع وسائل التعبير عن الغضب، حتى بلغت ذروتها بوسيلة قطع المواصلات لتشمل خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون، وكان خط القطار الواصل بين طنطا وتلاَ، هو أول الخطوط التى تم قطعها، وامتدت إلى مختلف الخطوط لتنقطع المواصلات بين القاهرة والأقاليم، وبين البلاد بعضها وبعض، وتعذر على الناس أن ينتقلوا من جهة إلى أخرى إلا بطريق المراكب فى النيل والترع.

يستفيض المؤرخ «عبد الرحمن الرافعى» فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، فى ذكر مسألة قطع المواصلات بجميع أنواعها، ويذكر تجربة شخصية له فيها تتمثل فى سفره من القاهرة إلى المنصورة عبر مركب من النيل، بعد قطع كل وسائل المواصلات بين القاهرة والأقاليم.

وفى تقريره عن الأحداث، قال اللورد ملنر يوم ١٦ مارس: «قُطعت سكك الحديد والأسلاك التلغرافية فى القاهرة وبين الوجهين القبلى والبحرى،

وقطعت المواصلات ما بين القاهرة والوجه القبلى، ولم يأتِ يوم ١٨ مارس حتى كانت مديريات البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية قد جاهرت بالثورة».

ولما وصلت الأنباء إلى العاصمة عن قطع السكك الحديدية، أصدر القائد العام للقوات البريطانية بلاغا، يتوعد فيه كل من يتلف أو يشرع فى إتلاف خطوط المواصلات الحديدية أو البرقية أو التليفونية بالإعدام رميا بالرصاص، وعلى الرغم من إرسال هذا الإنذار إلى المحافظين والمديرين لتعليقه فى المدن والبنادر والقرى، فإنه لم يؤدِّ إلى شىء.

وفى محاولة أخرى لوقف هذا الخطر، قررت السلطة العسكرية تحميل القرى التى تتلف بالقرب منها السكك الحديدية نفقات إصلاحها، وكذلك المحطات المحترقة بالقرب منها، وتصاعدت حدة التهديد بإعلان السلطات أنها ستحرق القرية التى هى أقرب من غيرها لمكان التدمير، واستهدف هذا التهديد تحديدا إنزال العقوبة الجماعية للقرى لتحفيزها على أن يقوم أهلها بحراسة خطوط السكك الحديدية، والقبض على الذين يقومون بتخريبها وتسليمهم إلى السلطات.

واستدعى الجنرال «بلفن» القائد العسكرى العام بالنيابة، بعض الأعيان والوزراء السابقين إلى مركز القيادة البريطانية لمناقشة هذه القضية، وأبلغهم بأنه إذا استمرت هذه الحوادث فسيقوم بتدمير العمائر والبيوت وإحراق القرى، وقال لهم: «استدعيتكم إلى هنا لأنذركم هذا الإنذار، واعلموا أنه آخر ما أوجهه من الإنذارات، فاعملوا كل ما فى وسعكم لتهدئة الأهالى، ومنعهم من إحداث القلاقل، وإلا فإننى منفذ خطتى».

استخدمت السلطات العسكرية عدة إجراءات؛ منها استخدام الطائرات الحربية فى بعض النواحى للسهر على حماية خطوط السكك الحديدية، وحدث أن أُطلقت النيران على بعض الطائرات وهى تقوم بأعمال دورية، فردت الطائرات بقاذفات مدفعية فوقع قتلى وجرحى، ومنعت السلطات خروج الناس من منازلهم من التاسعة مساء حتى الرابعة صباحا، كما قررت منع انتقال سكان القرى من قرية إلى أخرى من غروب الشمس حتى شروقها.

١٣ مارس عام ١٨٤١
تحديد توريث الحكم فى أسرة محمد علىّ.. والباشا يصفه بـ«السخيف»

استشاط محمد علىّ باشا غضبا من الرسالة التى تلقاها من السلطان العثمانى، وكتبها فى مثل هذا اليوم (١٣ مارس ١٨٤١)، والمعروفة تاريخيا باسم «خَطِّى شريف». كانت الرسالة تتعلق بتحديد نظام وراثة الحكم فى أسرة محمد على، وحسب كتاب «الفرعون الأخير.. محمد على»، الصادر عن منشورات الجمل، تأليف جيلبرت سينويه، فإن الرسالة كان تحمل بصمات إنجلترا وفرنسا، وترى أنه من الضرورى تضييق هذه الوراثة بشروط خاصة تسجن مصر فى حدود ضيقة من الاستقلال الداخلى والخارجى، ومجمل القول أن الأمر تم تصوره على قياس عنق محمد على، فماذا احتوى هذا النظام الذى تقرأ قصته ونصوصه فى «الفرعون الأخير»؟

- عندما يفرغ عرش مصر، يصعد إليه أحد الأبناء الذكور الذى يفضله ويختاره السلطان، وبحسب مبدأ الخلافة يُطبق أبدًا، وفى حال عدم وجود خلفاء ذكور، فإن الباب العالى يمنح حكومة مصر لمن يشاء.

- لا يعطى امتياز وراثة الحكم الممنوح لحاكم مصر أىَّ حق من حقوق غير ما للباشوات الآخرين، ومعاهدات وقوانين الإمبراطورية تطبق فى مصر كما فى باقى الباشويات، فالشكل واللقب والقيمة النقدية هى نفسها كما فى تركيا.

- يعود ربع دخل مصر الخام من الآن فصاعدًا إلى السلطان من أجل الحاجات العامة للإمبراطورية، أما الأرباع الثلاثة المتبقية فتبقى لسد نفقات التحصيل والإدارة، إضافة إلى دفع قيمة القمح الذى يتعين على مصر إرساله كل سنة إلى المدينتين المقدستين: مكة والمدينة، وتُجبى كل الضرائب باسم السلطان حتى لا يتعرض الأهالى للابتزاز وإلى جبايات غير نظامية.

- لا يمكن لمصر بناء منشآت حربية إلا بإذن السلطان، ولا ينبغى لجيشها أن يتجاوز عشرين ألف رجل، يقيم ألفان منهم فى إسطنبول، أما اللباس الموحد والشارات فإنها مطابقة تمامًا لمثيلاتها لدى قوات الإمبراطورية، فى حين أن تعيين ضباط البر والبحر حتى درجة مقدم يعود إلى الحكومة المصرية، أما الضباط الأعلى رتبة فيكونون من اختيار السلطان.

- مادام امتياز التوريث لحكومة مصر خاضعا للشروط المعلن عنها أعلاه، فإن عدم تنفيذ أى منها يدفع إلى سحب هذا الامتياز.

حمل مبعوث الباب العالى ويدعى «سعيد مهيب أفندى» وثيقة «خَطِّى شريف» إلى محمد على، فغضب منها أشد الغضب قائلا: «هل يريدون إنكار ابنى إبراهيم، هو رجل ممن يطالبون بحقوقهم والسلاح فى أيديهم، ومهما كانت تربية أبنائى لامعة، فلن يرضوا أبدًا الامتثال لغير أكبرهم سنا، فسعيد بحار ممتاز، ويتحدث العديد من اللغات، وله مواهب متميزة، لكن ما من أحد من إخوته سيمتثل له على حساب إبراهيم، وبدون هذا ليس هناك من توريث ممكن، أما بخصوص انتزاع حقى فى اختيار ضباط جيشى وشكل ولون الزى الموحد فإنه سخيف، وسأصير محتقرًا من أتباعى لو قبلت به، وكيف يمكن حكم مصر بعشرين ألف رجل، أتساءل كيف يمكن حكم مصر بمثل هذا العدد القليل ؟ ألا يرون أن هذا البلد هو مفتاح أفريقيا ولربما مفتاح إسطنبول؟».

استمر خلاف محمد على والسلطان الباب العالى أربعة أشهر؛ حتى تم تعديل النظام إلى «أن يعود العرش للذكر الأكبر سنا»، وحق تعيين «الباشا» لضباط الجيش حتى رتبة عقيد، وتحديد الضريبة بمبلغ نهائى قدره ٤٠ مليون قرش.

١٤ مارس عام ١٩٢٢
مصر من «السلطنة» إلى «المملكة» و«فؤاد» ملكها الأول

«باشا، خديو، سلطان، ملك»، لكل لقب من هذه الألقاب قصة فى تاريخ أسرة محمد على التى حكمت مصر من عام ١٨٠٥ حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، فهو اللقب الذى كان يسبق كل حاكم لمصر من هذه الأسرة، غير أن الانتقال من لقب إلى آخر كان يحمل قصة، ومنها قصة الانتقال من حكم «السلطنة» إلى حكم «المملكة»، ففى مثل هذا اليوم ١٤ مارس ١٩٢٢، نشرت «الوقائع المصرية» آخر أمر سلطانى من «السلطان أحمد فؤاد»، لتصبح مصر فى اليوم التالى مباشرة «مملكة مصر».

فى كتابه «فؤاد الأول- المعلوم والمجهول»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة للدكتور يونان لبيب رزق، يتحدث عن قصة حكم مصر مع ألقاب «الباشا، الخديو، السطان، الملك»، مشيرا إلى أن أمر السلطان أحمد فؤاد كان نهاية لقصة طويلة وبداية لقصة قصيرة، القصة الطويلة بدأت فى عام ١٨٠٥، بعد أن تولى محمد على حكم مصر، ونجح من خلال صراعات دموية مع السلطان العثمانى، فى أن يجعل الحكم وراثيا فى أسرته، بمقتضى تسوية ١٨٤٠/ ١٨٤١.

اللقب الأول «الباشا» تمتع به كل من: محمد على وإبراهيم وعباس الأول وسعيد وإسماعيل لفترة استمرت أربع سنوات من حكمه، وكان هو اللقب الذى يتمتع به سائر ولاة الإمبراطورية العثمانية، حيث انتشر الباشوات فى العديد من أرجاء الإمبراطورية.

أما اللقب الثانى «الخديو»، فحصل إسماعيل عليه من «الباب العالى» بعد أربع سنوات من اعتلائه الحكم (١٨٦٣)، ولم يمنحه «الباب العالى» هذا اللقب مجانا بل دفع فيه أموالا باهظة، وحسب تعبير «يونان لبيب رزق»: «دفع فيه دم قلبه»، مما أدى إلى زيادة أعباء الديون على مصر، التى قادت فى النهاية إلى التدخل الأجنبى وخلع «إسماعيل» من الحكم.

أما اللقب الثالث «السلطان»، فجاء أواخر عام ١٩١٤ نتيجة إعلان الحماية البريطانية على مصر، وقطع علاقة التبعية القانونية التى ربطت بينها وبين حكومة الآستانة «الدولة العثمانية»، وجاءت تسمية «السلطان» بعد قرار حكومة الاحتلال البريطانى بخلع الخديو عباس حلمى الثانى، كما جاءت بعد مشاورات بين بريطانيا والأمير حسين كامل بن إسماعيل وعم الخديو المخلوع، والمرشح ليكون خليفة له.

وحتى يكون هناك فرق بين لقب «السلطان» لحاكم مصر، ولقب «السلطان» لحاكم «الباب العالى» فى الآستانة، جرى وصف «صاحب جلالة» لحاكم الآستانة، أما سلطان مصر فكان نصيبه وصف «صاحب العظمة».

كان لقب «صاحب العظمة السلطان» هو الأقصر عمرا فى تاريخ ألقاب حكام مصر، حيث دام ٨ سنوات فقط، وانتهى فى مثل هذا اليوم ١٩٢٢ ليكون لقب «الملك» هو السائد وحمله «فؤاد» ثم ابنه فاروق، حتى أصبحت مصر جمهورية مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

١٥ مارس عام ١٨٩٥
ورثة الخديو إسماعيل يختلفون على تقسيم التركة

علت جبين الخديو عباس حلمى الثانى سحابةٌ من الحزن، وخفتت الأصوات فلا تسمع إلا همسا، وذلك بعد تلقيه برقية من الآستانة بتركيا تفيد وفاة جده الخديو المعزول «إسماعيل» يوم ٢ مارس ١٨٩٥، هكذا يصف «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان «عباس حلمى الثانى» الحالة فى مذكراته الصادرة عن هيئة قصور الثقافة، القاهرة، ويقول: «ورد البرق بنعيه فى صباح يوم ٢ مارس، وإنه أوصى قُبَيل وفاته بجميع أملاكه وأمواله إلى قريناته الثلاث، واختار البرنس إبراهيم حلمى باشا، ومحمد راتب باشا للوصاية عليهن».

كان الحزن كبيرا، فالفقيد يحتل مكانة خاصة عند «الحفيد»، ورغم ذلك فشل الحفيد فى أن يحقق رغبة «الجد» فى العودة إلى مصر فى فترة مرضه الأخيرة التى انتهت بموته، ورغم محاولاته أكثر من مرة لتلبية رغبة جده، مستندا إلى أن الأطباء هم الذين أشاروا إلى إسماعيل بأن مناخ مصر هو الأنسب له فى مرضه، فإنه اصطدم بمجلس النظار الذى رفض حتى تم إغلاق هذا الملف نهائيا، فسلم «إسماعيل» بقدره الذى يحتم عليه الموت خارج مصر، وبعد سنوات العزل التى عاشها فى إيطاليا ثم تركيا، واستمرت من ١٨٧٩ وحتى موته.

فور تلقى الخديو عباس الثانى الخبر، سافر إلى الإسكندرية ونزل بقصر المنتزه انتظارا لوصول الجثمان، ولحق به عمه البرنس حسين كامل ابن الفقيد، وفى يوم ٧ مارس تلقى برقية بتحرك الباخرة التى تقل الجثمان.

وفى يوم ٩ مارس وصلت باخرتان إلى الإسكندرية، واحدة منهما تقل الجثمان، وبقيت الجثة فى الحَجْر الصحى مدة يومين حتى تم نقلها إلى القاهرة فى قطار خاص، ويذكر «شفيق باشا» مراسم تشييع الجثمان التى تمت يوم ١٢ مارس، حتى اجتمع أصحاب الشأن فى ميراث الفقيد فى مثل هذا اليوم (١٥ مارس) لتوزيع التركة حسب الوصية التى تركها إسماعيل باشا.

تجمع المشيعون من جميع طبقات الأمة يفدون بملابسهم الرسمية، وتحرك موكب الجنازة يتقدمه الخديو «عباس الثانى» والبرنسيسات وكبار المعيَّة وخلفهم النظار والقناصل، وأُطلقت المدافع تحية للجثمان، وكان رجال الجيش على الجانبين منكسى بنادقهم، وسار الموكب حتى وصل إلى ميدان الأوبرا، فتخلف الخديو وأحمد مختار باشا، وقناصل الدول، وظل الباقون حتى مسجد الرفاعى حيث صُلى على الجثة، ووقفت البرنسيسات يتقبلن العزاء من المشيعين، وأطلق مائة مدفع فى القاهرة والإسكندرية عند الدفن، وأضيئت المدينتان بمصابيح الغاز.

ترأس الخديو «عباس الثانى» مجلسا مخصوصا من البرنسيسات أصحاب الشأن فى الميراث، وحضر الاجتماع مفتى الديار المصرية وقاضى الإسكندرية، وبحث المجلس فيما قرره الفقيد قبل وفاته، وهو أن سراى القصر العالى وقصر الزعفران وإن كانا باسمه، إلا أنهما فى الحقيقة ملك زوجاته الثلاث، شهرت هانم أفندى، وجنانير هانم، وجشت أفندى هانم أفندى، وكان يملك كذلك حق التصرف فى تفتيش حلوان فوقفه أثناء مرضه عليهن.

ووافق أكثر الورثة فى هذه الجلسة على ما قرره الفقيد قبل وفاته، إلا أن البرنس فؤاد باشا والبرنسيس جميلة هانم أفندى، عارضا الوقفية والإقرار، ولم تكن البرنسيسات زوجات الفقيد يرغبن فى الوقفية، لأن زوجهن الراحل ترك دينًا يزيد على المائتى ألف جنيه، واشترط عليهن تسديده من ريع وقف حلوان وأملاكهن الخصوصية.

١٦ مارس عام ١٩١٩
أول مظاهرة نسائية فى مصر بعد يومين من استشهاد «حميدة خليل»

بـدأ السيدات مسيرتهن سيرًا على الأقدام، حملت النساء المحجبات أعلامًا يتعانق على صفحاتها الهلال والصليب، حدث ذلك فى مثل هذا اليوم (١٦ مارس ١٩١٩).. كان الشعب المصرى يكتب ملحمته العظيمة بثورة ١٩١٩ التى تفجرت يوم ٩ مارس.

كسرت المرأة المصرية الطوق المفروض عليها، وخرجت للمرة الأولى فى تاريخ مصر فى مظاهرة يقول عنها المفكر الكبير أحمد أمين فى مذكراته، الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «كان منظرًا جريئًا مدهشًا لم يروِ التاريخ مثله فى مصر»، وفيما كان قوام المظاهرة- حسب وصف «أمين»- لفيف من الآنسات والسيدات الراقيات، فإنها جاءت بعد يومين من سقوط أول شهيدة مصرية من عامة الشعب اسمها «حميدة خليل»، وسقطت بطلق نارى من جندى بريطانى أمام مسجد الحسين، وتبعتها شهيدات أخريات، تذكر هدى شعراوى فى مذكراتها، الصادرة عن دار المدى، دمشق، أسماءهن: «عائشة عمر، فاطمة رياض، نجيبة سعيد إسماعيل، سعدية حسن، شفيقة محمد عشماوى»، وشُيعت فى جنازة شعبية مهيبة، سار المشاركون فيها صامتين خلف نعشها الملفوف بعلم مصر.

من مذكرات هدى شعراوى، وكتاب «رائدات الحركة النسوية المصرية»، الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، تأليف مارجو بدران، نعرف

أن المظاهرة كان عددها بين ١٥٠ و ٣٠٠ سيدة، تجمعن فى بيت حرم «أحمد أبوإصبع باشا» فى جاردن سيتى، وتركن سياراتهن وعرباتهن التى تجرها الخيول، وبدأن السير على الأقدام، يرفعن لافتاتٍ مكتوبًا عليها باللغتين الإنجليزية والفرنسية: «يحيا المدافعون عن العدالة والحرية»، و«يسقط الظالمون المستبدون وليسقط الاحتلال».

توجهت المظاهرة إلى بيت الأمة، فحاصرها الجنود الإنجليز، وأحاطوها بالسلاح، وسدوا الشوارع، وكان صفوف من الطلاب تتبعها لحمايتها، وفى رسالة من قائد الشرطة البريطانية، توماس رسل، إلى ابنه، يذكرها فى مذكراته، يشرح فيها ما حدث فى هذه المظاهرة التى لم يتوقعها: «كانت مشكلتى هى مظاهرة قامت بها السيدات الأهليات فى القاهرة، وأرعبتنى هذه المظاهرة إذ إن تركها تمر فى الشوارع ستجمع جمهورًا كبيرًا حولها بلا شك، وكانت التعليمات التى سأصدرها هى أن توقف، وإيقاف مسيرة يعنى استخدام القوة، واستخدام القوة ضد النساء يوقعك فى الخطأ، حسنًا، لقد تجمعن فى سيارات وغيرها، ثم ترجَّلن منها وبدأن المشى فى مسيرة، تركتهن يمضين قليلا، ثم سددت عليهن الطريق بقوات الشرطة المدعمة بالجيش، وعند ذاك اضطرت تلك الكائنات العزيزات أن يبقين فى حر الشمس ساعة ونصفًا، وليس أمامهن ما يجلسن عليه إلا حجر الرصيف».

يضيف «رسل»: «تحركت ضدهن قوة ضاربة كبيرة مع عدم استعمالها، إذ كان استعمال القوة مخصصًا للطبقات الدنيا، وعند إشارة أعطيتها أغلقت نطاق الشرطة حولهن، ووجد السيدات طريقهن مسدودًا بطابور مرعب من رجال الشرطة المصريين المجندين إلزاميًا نبهت عليهم من قبل عدم استعمال العنف، ولكنّ رؤساءهم الضباط أعطوهم ترخيصًا كبيرًا لاستخدام سخريتهم الريفية التى يتمتعون بها ضد السيدات المتكلفات فى الأناقة».

كان حدث المظاهرة جللًا، فهو الأول من نوعه فى تاريخ مصر، ولهذا وكما تقول هدى شعراوى: «انتظرنا الأجانب أمام السفارات حتى يلقوا الورود تحت أقدامنا».

١٧ مارس عام ١٧٩٩
نابليون يستولى على «حيفا»
والطاعون يتمكن من جنوده فى «يافا»

أمر نابليون بونابرت قوات جيشه الفرنسى باحتلال «حيفا»، فكان له ما أراد فى مثل هذا اليوم (١٧ مارس١٧٩٩).

أقام قيادته على جبل الكرمل، فاستطاع، بحسب ما جاء فى كتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «كرستوفر هيرولد»، «أن يشرف على الخليج الجميل كله، ولكنه لم يبْدُ فى عينيه جميلا، ذلك أنه رأى أمام عكا بارجتين إنجليزيتين وعدة زوارق إنجليزية، وبعض السفن التركية، فأرسل لضابطه الكابتن «ستانْدليه»، الذى كان مقررًا أن يأتى بالأسطول حاملا مدفعية الحصار من دمياط إلى عكا، طالبا إليه إما ألا يبرح دمياط، وإما أن يبقى فى يافا إن كان بارحها فعلا».

يضيف «هيرولد»: «فى ذات اليوم الذى أملى فيه بونابرت هذا الأمر (١٨ مارس) كان الكابتن «ستانْدليه» وأسطوله يدنوان من رأس الكرمل، أى أنه وصل فى الموعد الذى سيكون ضده تماما، وضد خطط نابليون الحربية، وصل ولم يفطن إلى السفن الإنجليزية إلا وهى واقفة على رأسه تماما، واستولى الإنجليز على سِتٍّ من ناقلاته، وفرت ثلاث بينها سفينة «ستانْدليه»».

كان ذلك مقدمة لفشل نابليون فى الاستيلاء على «عكا»، لكن استيلاءه على «حيفا» دون مقاومة كان بمثابة استكمال مساره الذى بدأ باستيلائه على «يافا» (٧ مارس ١٧٩٩)، والمسار كله كان حلمه بالاستيلاء على عكا.

استولى «نابليون» على «حيفا»، بعد عشرة أيام من استيلائه على «يافا»، وفى خلال هذه الأيام العشرة، وحسب ما كتبه «عبد الرحمن الرافعى» فى الجزء الثانى من كتاب «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر»: «نهب الجنود الفرنسية يافا وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان باعتراف المؤرخين الفرنسيين واستمر النهب والقتل يومين متوالين، ويؤكد هؤلاء المؤرخون أن أشلاء الجثث التى تركت بها عدة أيام كانت من أسباب انتشار وباء الطاعون الذى كان من عوامل فشل الحملة الفرنسية على سوريا».

دخل «نابليون» حيفا، تسبقه مأساة أخرى فى معركة «يافا»، وكما يقول الرافعى: «بعد انتهاء المعركة، كان فى المدينة نحو ثلاثة آلاف مقاتل من الجنود العثمانية، آثروا التسليم وإلقاء السلاح فى يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، ومنها ضمان أرواحهم بعد استسلامهم، ومعاملتهم كأسرى حرب، لكن نابليون بعد أن فكر طويلا فى أمرهم، أمر بإعدامهم جميعا رميا بالرصاص، بحجة أنه عاجز عن إطعامهم وحراستهم فى بلاد نائية لم يستتبَّ له فيها الأمر».

استثنى «نابليون» من مذبحة الـ٣ آلاف جندى «عثمانى» أربعمائة مصرى؛ بينهم عمر مكرم الذى هاجر إليها من مصر بعد معركة «الأهرام»، وأمر بإعادتهم إلى مصر بعد أن رفضوا الالتحاق بجنود الجيش الفرنسى، ويقول «الجبرتى» كما ينقل الرافعى: «عاتبهم نابليون على نقلهم وخروجهم من مصر، وأنزلهم فى مركب وأرسلهم إلى دمياط من البحر».

١٨ مارس عام ١٩٦٥
الملك فاروق يموت بعد كيلو لحم ونصف تورتة!

هل مات الملك فاروق مسمومًا بمؤامرة دبرتها المخابرات المصرية؟

مات «فاروق» فى مثل هذا اليوم (١٨ مارس ١٩٦٥) فى إيطاليا التى عاش فيها منذ خرج من مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

عاصفة طبيعة موت «فاروق» هبت منذ سنوات، حين قيل على لسان إبراهيم البغدادى الذى شغل منصب محافظ القاهرة أيام الرئيس السادات، بأنه دس السم له فى عصير «الجوافة» فى المطعم الذى كان يتردد عليه، وكان البغدادى يشغل أيامها منصب قنصل مصر فى أمريكا، وسافر خصيصا لهذه المهمة لمدة شهر عمل فيه «جرسون» فى المطعم حتى يتم مهمته.

وعلى الرغم من أن الأطباء الإيطاليين قالوا إن فاروق رجل بدين يعانى ضغط الدم المرتفع، وضيق الشرايين، ومثله لابد أن يقتله الطعام، فإن الجدل تواصل بشأن ما ذكره «البغدادى»، حتى جاءت شهادة «مرتضى المراغى»، آخر وزير داخلية فى عهد الملك فاروق (شغل منصبه من يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢)؛ لتؤكد ما ذكره الأطباء الإيطاليون.

فى مذكرات المراغى بعنوان «شاهد على حكم فاروق»، الصادرة عن دار المعارف، القاهرة يقول نصا: «بسبب الحكايات الكثيرة التى ترددت عن وفاة فاروق، ومن بينها اتهام أحد ضباط الثورة بأنه دس السم لفاروق فى

طعامـه، فقـد مارسـت فضـولى وظللـت أتـردد طويـلا عـلى المطعـم الـذى مـات فيـه إلى أن كسـبت صداقـة صاحبـه، والمطعـم موجـود فى شـمال إيطاليـا، وعندمـا عـرف صاحـب المطعـم- بعـد أن كسـبت صداقتـه- أننـى مـصرى، أخـذ يحدثنـى عـن فـاروق وتـردده الطويـل عـلى مطعمـه، وقلـت لـه إنـه كان غريبـا أن يمـوت فـاروق فى سـن ٤٥ عامـا هكـذا فجـأة وهـو يـأكل.

يضيـف «المراغـى»: «نظـر إلىّ «صاحـب المطعـم» وقـال لى سـاخرا: يـأكل.. وأضـاف مـا معنـاه بالإيطاليـة بـل قـل كان «يحشـى»، سـأل «المراغـى» صاحـب المطعـم: «هـو أكل إيـه؟»، فأجابـه بقائمـة غريبـة قائـلاً: بـدأ فـاروق طعامـه بتنـاول سـلطانية إسـباجتى كبـيرة عليهـا كـوم مـن المحـار، وهـو طبـق معـروف فى إيطاليـا اسـمه «إسـباجيتى الأجانـدولا»، والمفـروض فيمـن يأكلـه ألا يـأكل غـيره، ولكـن فـاروق أكل كميـة تُقـدم تقريبـا لثلاثـة زبائـن، ثـم أتبـع هـذا الطبـق بقطعـة لحـم خاصـة زنـة قرابـة كيلـو مـن نـوع مميـز اسـمه «فوليرانتينـا»، وهـو يعـد مـن أحسـن أنـواع اللحـوم ويحضرونـه خصيصـا مـن فلورنسـا، والمفـروض أن يشـترك أربعـة فى أكل مثـل هـذه القطعـة التـى أكلهـا فـاروق، ولكـن فـاروق التهمهـا وحـده ومعهـا بـدون مبالغـة صينيـة بطاطـس.

يضيـف «المراغـى» أن صاحـب المطعـم أكـد لـه أن «الحلـو» الـذى اختتـم بـه فـاروق كان «خفيفـا» وعبـارة عـن ٥ أصابـع مـوز، وخمـس تفاحـات، ونصـف تورتـة، ويقـول: «لم يكـن سرا أن فـاروق كان مريضـا بالقلـب، ونصحـه الأطبـاء بتخفيـف وزنـه، ولكنـه كان قـد انجـرف إلى حـب الطعـام بصـورة مذهلـة، وعندمـا التهـم هـذه الوجبـة الغريبـة كتمـت عـلى أنفاسـه ومـات فيهـا».

قيمـة هـذه الشـهادة، أنهـا تأتـى مـن رجـل كان مـن المحكـوم عليهـم بالسِّـجنْ فى زمـن «جمـال عبـد النـاصر» وكان يعيـش فى إيطاليـا ودول أوروبيـة أخـرى.

١٩ مارس عام ١٧٩٩
«أحمد باشا الجزار» يدفن أحلام نابليون تحت أسوار عكا

«لم أكن أعلم عندما أقلعت بى السفينة إلى مصر ما إذا كان وداعى لفرنسا سيكون أبديا، لكننى ما شككت لحظة فى أنها ستدعوننى يوما ما إليها، على أن آمالى قد اتجهت إلى الشرق واستهوتنى فتوحاته العظيمة وصرفتنى عن التفكير فى أوروبا، لكن هذه الأحلام والآمال قد دُفنت تحت أسوار عكا»، هكذا قال نابليون بونابرت عن هزيمته فى هذه المدينة التى بدأ حصاره لها فى مثل هذا اليوم (١٩ مارس ١٧٩٩)، واستمر ٦٢ يوما.

هى هزيمة يخلدها التاريخ لأنها أجهضت حلم نابليون فى بناء «دولة شرقية» يحكمها، كان سيزحف إلى سوريا بعد عكا، ويجبر تركيا على الإذعان لشروطه، مما يمكّنه من الزحف برا إلى الهند أو الوصول إلى القسطنطينية، وبذلك يقع هذا الامتداد الجغرافى تحت الاحتلال الفرنسى.

فى هذا الفصل من التاريخ يقفز اسم حاكم عكا «أحمد باشا الجزار»، المولود فى البوسنة، ثم نزح منها لينخرط فى سلك البحرية التركية وتركها ليبيع نفسه إلى تاجر رقيق فى أسواق الآستانة، فحمله التاجر إلى القاهرة، واشتراه على بك الكبير فكان ذراعه فى التخلص من بعض بكوات المماليك، فحمل لقب «الجزار»، وبعد بضع سنوات تشاجر مع على بك، فرحل من مصر إلى القسطنطينية ومنها إلى سوريا ليحتمى بيوسف أمير الدروز، وعمل ضابطا تحت قيادة والى دمشق، وبعدها عُين حاكما لبيروت، واختلف مع

الأمير يوسف بعد أن سرقه، وبعد مناورات منه استطاع الفوز بحكم ولاية عكا.

في القصص التي تم تداولها عن «الجزار» ويتحدث عنها كتاب بونابرت في مصر، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة، تأليف ج. كرستوفر هيرولد: «كان رجلا ذا طبيعة مشاغبة، مزهوا على الطريقة البوسنية، دفن في الجدران عددا كبيرا من المسيحيين اليونانيين حين أعاد بناء أسوار بيروت ليدفع عنها غزو الروس، وعلى الرغم من ذلك كان يبدو أن له جوانب طيبة، فكان يطعم الفقراء، ويوظف من شوَّه أجسادهم، ويوظف أرامل الرجال الذين قتلهم، ومهما يكن من شيء فإن الجزار كان ذا خلق قوي».

كان «الجزار» بين الستين والسبعين من العمر وقت حصار «نابليون» لعكا، ويقول «هيرولد»، إن السنوات أكسبته حسا سياسيا مرهفا أنبأه بأن «بونابرت» لا يمكن الوثوق به حليفا، وأن مقاومته له ستعني أنه لن يحتمل الاحتفاظ طويلا بسلطانه على مصر، ومن هنا كانت رسائل «نابليون» إليه سواء أكانت تتملقه أم تهدده ما هي إلا وسيلة لإضحاكه أو إثارة غضبه الشديد.

كان التحالف الإنجليزي العثماني ورقة كبيرة ساعدت «الجزار» على مقاومة حصار نابليون لعكا، وفي تفاصيل قيادته للمعركة التي استمرت نحو شهرين نعرف مثلا، أنه شاهد جنوده يتركون أماكنهم بمجرد رؤيتهم للفرنسيين يهاجمون، فساقهم «الجزار» كالأنعام إلى أماكنهم وأطلق رصاصتين من مسدسه على المهاجمين، ثم صاح لجنوده: مِمَّ تخافون، ألا ترون أنهم يهربون؟ فعاد جنوده إلى أماكنهم، وبعد دقائق كان الفرنسيون يهربون بالفعل.

٢٠ مارس عام ١٨٠٠
ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين من بولاق..
و«البشتيلى» بطلها

كانت النفوس متحفزة لمقاومة الفرنسيين، فلاقت الدعوات التى انتشرت فى مختلف أنحاء مصر بالثورة، تجاوبًا كبيرًا.

فى مثل هذا اليوم (٢٠ مارس ١٨٠٠) شبت نار الثورة ضد الفرنسيين الذين جاءوا لاحتلال مصر وسوريا ١٧٩٨.. يخلد تاريخنا المصرى هذه الثورة باسم «ثورة القاهرة الثانية» التى بدأت من «بولاق»، وواصلت شعلتها حتى يوم ٢١ أبريل ١٨٠٠، أما ثورتها الأولى فكانت فى أكتوبر ١٧٩٨.

كانت «الثورة الثانية» أوسع وأشمل وقادها عمر مكرم، نقيب الأشراف، وأحمد المحروقى، كبير التجار، والشيخ الجوهرى، ابن الشيخ محمد الجوهرى.. تصدرت هذه «النخبة» صفحات التاريخ باعتبارها قائدة الثورة، غير أن هناك شخصية أخرى اسمها «مصطفى البشتيلى» يذكرها عبد الرحمن الجبرتى باعتبارها من أبرز دعاة ثورة القاهرة الثانية.

يقول «الجبرتى»: «أما بولاق فإنها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله من دعاة الثورة، وهيجوا العامة وهيَّئوا عصيهم وأسلحتهم، ورمَّحوا وصفَّحوا، وأول ما بدءُوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر «النيل»، وعنده حرس منهم فقتلوا من

أدركـوه منهـم ونهبـوا جميـع مـا بـه مـن خيـام ومتـاع وغـيره، ورجعـوا إلى البلـد وفتحـوا مخـازن الغـلال والودائـع التـى للفرنسـاوية، وأخـذوا مـا أحبـوا منهـا وعملـوا كرانـك حـوالى البلـد ومتاريـس».

كان «البشـتيلى» مـن أعيـان بـولاق، وسُـمى نسـبة إلى «بشـتيل» التابعـة لمحافظـة الجيـزة، واعتقلـه الفرنسـيون قبـل الثـورة بعـدة أشـهر، بعـد أن أبلغهـم وشـاة أن فى وكالتـه قـدورًا مملـوءة بالبـارود، ففتشـوا الوكالـة ووجـدوا فيهـا بالفعـل القـدور المملـوءة بالبـارود.

فى وقائـع الثـورة كـما يرويهـا «الجبرتـى» أن أهـل بـولاق حملـوا مـا وصـل إليهـم مـن السـيوف والبنـادق والرمـاح والعـصِىّ، واتجهـوا بجمـوع صـوب قلعـة قنطـرة الليمـون «قلعـة كامـان» لاقتحامهـا، فـرد الفرنسـيون عليهـم بنـيران المدافـع والبنـادق، مـا أوقـع ثلاثمائـة مـن الثـوار، فأثـار ذلـك ثائـرة الأهـالى فى باقـى القاهـرة.

عمـت الثـورة أنحـاء المدينـة، واتجـه نحـو عـشرة آلاف إلى معسـكر القيـادة العامـة للجيـش الفرنسـى، ومقـره فى الأزبكيـة، ثـم ازدادت الأعـداد إلى نحـو ٥٠ ألفًـا امتـلأت بهـم الشـوارع والميادين والأسـطح، وحملـوا البنـادق والأسـلحة والعـصى، واندفـع الجميـع تتقدمهـم طائفـة مـن المماليـك والانكشـارية، وانضـم إليهـم النسـاء والأطفـال، فـكان لهـم نـداءات وصيحـات تصـمّ الآذان، وهبـت عاصفـة الثـورة عـلى أحيـاء العاصمـة كلهـا.

وعـلى الرغـم مـن الحالـة الشـعبية التـى كانـت عليهـا ثـورة القاهـرة الثانيـة، فإن ضمـن وقائعهـا السـلبية وقـوع بعـض الاعتـداءات ضـد مسـيحيين فى المدينـة، وإن كان الأمـر امتـد إلى مسـلمين أيضًـا متهمـين بالمـوالاة للفرنسـيين، ومنهـم محافـظ المدينـة «مصطفـى أغـا»، و«خليـل البكـرى» الـذى تـم الاعتـداء عليـه والسـير بـه فى الشـارع عـارى الـرأس تتبعـه الشـتائم والسـباب.

فى مقارنـة بـين ثورتَـى القاهـرة الأولى والثانيـة، يتحـدث المـؤرخ عبـد الرحمـن الرافعـى فى الجـزء الثانـى مـن كتابـه «تاريـخ الحركـة القوميـة وتطـور نظـام الحكـم

فى مصر»، بأن الثورة الأولى لم تشهد اعتداءات ضد المسيحيين؛ لأن قيادتها كانت مصرية خالصة، أما الثورة الثانية فكان فى قيادتها أتراك ومماليك، مما أدى إلى وقوع هذه الاعتداءات السافرة.

٢١ مارس عام ١٩٦٨

هزيمة إسرائيل فى «الكرامة» والملك حسين على دبابة محترقة

وقف العاهل الأردنى، الملك حسين بن طلال، على ظهر دبابة إسرائيلية محترقة، وقبلها كان ياسر عرفات يحمل بندقيته مارًّا بين الفدائيين الذين تحصنوا فى مواقعهم لخوض معركة «الكرامة» ضد العدو الإسرائيلى.

كان الحدث كبيرا وموقعه فى بلدة «الكرامة» الأردنية التى تجمعت بها قوات الفدائيين الفلسطينيين بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ لجعلها قاعدة انطلاق للعمليات الفدائية ضد الاحتلال الإسرائيلى، ومع ازدياد العمليات، قررت إسرائيل شن هجوم شامل على البلدة، وبدأته فى الساعة الخامسة والنصف بعد فجر مثل هذا اليوم ٢١ مارس ١٩٦٨.

حملت المعركة للطرفين معانى كبيرة، فهى لـ«الأردن» ومنظمة التحرير الفلسطينية تأتى بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وكانت هناك حاجة عربية لتأكيد أن تلك الهزيمة ليست إلا جولة فى الصراع العربى الصهيونى، وأن المقاومة هى السبيل لاستعادة الأرض، أما بالنسبة إلى إسرائيل فكانت تعبيرا عن غرور القوة الذى يستهدف فكرة أن الهزيمة من إسرائيل قدر للمنطقة العربية.

حشدت إسرائيل للمعركة أربعة ألوية عبارة عن لواءين مدرعين ولواء المظليين ٣٥ ولواء المشاة ٨٠، تدعمها وحدات من المدفعية الميدانية ووحدات هندسة عسكرية، وتغطية جوية بأربعة أسراب ناقلة، بالإضافة إلى عدد من الحوامات كاف لنقل كتيبتى مشاة مع معداتها، وبلغ عدد هذه القوات ١٥ ألف جندى على جبهة امتدت نحو ٨٠ كيلومترًا على طول نهر الأردن.

فى مواجهة القوة الإسرائيلية الكبيرة، كانت قوة فلسطينية قوامها ٣٠٠ فدائى، تتقدمها منظمة فتح بقيادة ياسر عرفات وصلاح خلف «أبوإياد» وفاروق قدومى، ومعهم بالطبع الجيش الأردنى، وانتشر الفدائيون على الجبال والأماكن القريبة، بما يعنى فرضهم لأسلوب حرب العصابات التى تتم فى الشوارع بتكتيكات قتالية مفاجئة، ويشكل هذا النوع من القتال إزعاجا كبيرا لإسرائيل التى تعتمد على حروب الجيوش النظامية.

كان لسلاح المدفعية الأردنى مهام قتالية كبيرة عظيمة، ومع الفدائيين تكامل الاثنان على خط المواجهة ضد القوات الإسرائيلية، وظهر أسلوب حرب العصابات باستخدام الفدائيين لسلاح الـ«آربى چى» والقنابل اليدوية والسلاح الأبيض، وحزم فدائى نفسه بحزام ناسف، وألقى جسده على دبابة ففجرها ليطول التفجير دبابات أخرى.

استمرت المعركة نحو ١٦ ساعة، وتناقلتها وسائل الإعلام العالمية، ودمرت خلالها القوات الإسرائيلية نحو ١٤٧ منزلا، و١٠ دبابات و١٠ آليات مختلفة، وأسرت نحو ١٤٧ عربيا، واستُشهد نحو ١٧ فدائيا و٢٠ أردنيا و٦٥ جريحا بينهم ٤ ضباط.

لكن الخسائر الإسرائيلية كانت فادحة، حيث سقط نحو ٧٠ قتيلا، وجُرح أكثر من مائة، وتم تدمير ٤٥ دبابة و٢٥ عربة مجنزرة و٢٧ آلية مختلفة، وسقط ٥ طائرات، واستغاثت إسرائيل لوقف القتال الذى تم بتدخلات دولية بعد ١٦ ساعة من المعارك فى شوارع «الكرامة».

كانت المعركة درسا قاسيا من الجيش الأردنى والفدائيين الفلسطينيين لإسرائيل، عبَّر عنه حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى بقوله: «إن إسرائيل فقدت فى هجومها على الأردن آليات عسكرية تعادل ثلاثة أضعاف ما فقدته إسرائيل فى حرب حزيران «يونيه»».

تبقى معركة «الكرامة» صفحة ناصعة فى تاريخ الصراع العربى الصهيونى، وتخلدها الأردن بوصفها انتصارا مستحقا لجيشها العربى.

٢٢ مارس عام ١٩٤٨
جماعة الإخوان تقتل الخازندار.. وزوجته:
«مش قلت لك يا أحمد»

صرخت الزوجة بأعلى صوتها: «أنا مش قلت لك، أنا مش قلت لك يا أحمد بك، أنا مش قلت لك».

كانت الصرخة من زوجة المستشار أحمد الخازندار الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة، لسماعها طلقات رصاص على بعد ٥٠ مترا من بيتهما في حلوان، فخرجت حافية القدمين وقلبها يخفق، لتشاهد شخصا مُضرَّجًا في دمائه ويلتف آخرون حوله لمساعدته، فوجئت «الزوجة» بأن القتيل زوجها، فأخذته في أحضانها وصوتها يشق السماء: «أنا مش قلت لك.. أنا مش قلت لك يا أحمد بك».

تدافعت الدماء على صدر الزوجة الذى ودعها قبل دقائق، وطبع قبلتين على طفليه، ومع النَّزيف تناثرت من حقيبته أوراق قضايا كان يحملها متوجها بها إلى المحكمة في «باب الخلق».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم (٢٢ مارس ١٩٤٨)، وأطلقت الزوجة صرختها، لأنها عاشت مع زوجها أياما من التهديدات التى تلقاها لإجباره على التخلى عن نظر قضية محاكمة عناصر من جماعة الإخوان، ضُبطوا فى الإسكندرية أمام نادى الجيش الإنجليزى ومعهم قنابل لم تنفجر، وتخلت

دائـرة أخـرى عـن نظرهـا بسـبب التهديـدات، فأُحيلـت إلى دائـرة «الخازنـدار» الـذى صمـم عـلى مواصلتهـا، وحكـم عـلى المتهمـين بالأشـغال الشـاقة، فـكان الحكـم عليـه مـن «التنظيـم الخـاص» للجماعـة بالقتـل، ونفـذ الجريمـة شـابان بتخطيـط مـن «عبـد الرحمـن السـندى»، قائـد التنظيـم.

انتقـل إلى مـكان الحـادث رئيـس الـوزراء محمـود فهمـى النقراشـى، ومحمـد محمـود باشـا رئيـس محكمـة الاسـتئناف، وعبـد الرحمـن عـمار وكيـل الداخليـة، ومرتـضى المراغـى مديـر الأمـن العـام الـذى يحكـى القصـة كاملـة فى مذكراتـه «شـاهد عـلى حكـم فـاروق» قائـلا: «قبضـت الشرطـة عـلى الشـابين وبـدأ التحقيـق معهـما فى قسـم حلـوان، وأسرعـت بحكـم وظيفتـى إلى القسـم لحضـور اسـتجوابهما، فرأيتهـما هادئـين باسـمين، أحدهمـا ضخـم الجثـة طويـل، والآخـر قصـير نحيـف، وسـأل وكيـل النيابـة أولهـما عـن اسـمه، فأجـاب: «ولمـاذا تريـد معرفـة اسـمى؟»، وسـأل الثانـى، فأجـاب: «اسـأل زميـلى يقـول لـك اسـمى وضحـك، فنهرهمـا وكيـل النيابـة وأعـاد سـؤاله، فذكـرا اسـميهما»، فسـألهما: «هـل أطلقتـما الرصـاص عـلى المستشـار الخازنـدار؟»، فـردا بـكل بـرود: «ومـن هـو الخازنـدار؟»، ثـم امتنعـا عـن الإجابـة عـلى أى سـؤال».

القاتـل الأول اسـمه «محمـود سـعيد زينهـم» وعمـره ١٩، مـن الجيـزة، وكان طالبـا فى مدرسـة الصناعـات الميكانيكيـة، وبطـل مصارعـة فى وزنـه وفـاز ببطـولات عديـدة، وتـرك التعليـم الثانـوى عـدة مـرات لتكـرار رسـوبه والتحـق بالمدرسـة الصناعيـة، أمـا القاتـل الثانـى فهـو حسـن محمـود عبـد الحافـظ (١٨ عامًـا) أحـد أبطـال لعبـة الهوكـى بالنـادى الأهـلى، وكان يسـكن بالمنـزل رقـم ١٢ شـارع نافـع ابـن زايـد بالجيـزة.

اسـتدعت النيابـة حسـن البنـا مرشـد «الإخـوان» وأنكـر صلـة المتهمـيْن بالجماعـة، لكـن التحقيقـات كشـفت عـن أن المتهمـين راقبـا «الخازنـدار» عـدة أيـام، وتبـين لهـما أنـه يذهـب إلى عملـه صبـاح كل يـوم بالمواصـلات العامـة، ويقطـع الطريـق مـن بيتـه إلى محطـة القطـار فى حلـوان عـلى قدميـه، وفى ليلـة الحـادث باتـا فى منـزل عبـد الرحمـن السـندى قائـد التنظيـم الخـاص.

٢٣ مارس عام ١٩١٩
« جمهورية زُفْتى » بقيادة الأخوين يوسف وعوض الجندى

«هنا جمهورية زُفْتى المستقلة».. لم يكن هذا الشعار خيالًا ليس له ظل على الأرض، إنما حقيقة واقعة فى قرية زفتى بمحافظة الغربية التى أعلنت فى مثل هذا اليوم ٢٢ مارس ١٩١٩، «جمهورية زفتى المستقلة».

كان الحدث من تجليات نضال الشعب المصرى فى ثورة ١٩١٩، وأبطاله شقيقان هما «يوسف الجندى» و«عوض الجندى»، والقصة يحكيها الكاتب الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين فى كتابه «أيام لها تاريخ»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، وكتاب المؤرخ عبد الرحمن الرافعى «ثورة ١٩١٩»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة.

كان لـ«يوسف» مكتب محاماه فى «ميت غمر» بمحافظة الدقهلية، بينما كان لـ«عوض» مكتب فى «زفتى»، ويفصل النيل بينهما، وكان الشقيقان معروفين بين صفوف الحركة الوطنية فى القاهرة، ففى سنة ١٩١٣ اشتبك «عوض الجندى» مع عضو من مؤيدى الحكومة فى قاعة الجمعية التشريعية لأنه كان يقاطع سعد زغلول بكثرة فقبضوا عليه، ووجهوا إليه تهمة تعليق منشورات على أسوار البرلمان، أما «يوسف» ففصلوه فى سنة ١٩١٤ من كلية الحقوق، لتحريضه الطلاب على الإضراب، احتجاجًا على إعلان الحماية الإنجليزية على مصر عقب الحرب العالمية الأولى.

انفجرت الثورة و«يوسف الجندى» فى قريته زفتى، ويقول «بهاء» إن أنظار القرويين اتجهت إليه، ينتظرون منه أن يفعل شيئًا، فقرر أن تعلن «زفتى» و«ميت غمر» استقلالها، وبدأ فى إجراءات عملية تكرس هذا الاستقلال، فأعلن عن تشكيل لجنة للثورة من بعض الأعيان والأفندية والتجار الصغار، من بينهم عوض الكفراوى، والشيخ مصطفى عمايم، وإبراهيم خير الدين، وأدمون بردا، ومحمد السيد، ومحمود حسن، واتخذت لجنة الثورة مقرًا لها فى الدور الثانى من مقهى يملكها يونانى عجوز اسمها «قهوة مستوكلى».

قاد «يوسف الجندى» مظاهرة ضخمة استولت على قسم البوليس، وعرض المأمور «إسماعيل حمد» أن يكون مستشارًا للدولة الجديدة، ثم استولت على محطة السكة الحديدية، ومكتب التلغراف، وتقرر جمع التبرعات من الأعيان حتى تكون هناك ميزانية للدولة، وتوجهت هذه الأموال إلى ردم البرك والمستنقعات والشوارع، وإصلاح الجسور، وتم تشييد «كشك» على ضفة النيل لعزف الموسيقى، وتوزع تلاميذ المدارس إلى فرق لحفظ الأمن، ومراقبة توزيع مواد التموين، والإشراف على رى الأراضى، وكان فى القرية مطبعة خاصة يملكها «محمد أفندى عجينة» فطبعت قرارات لجنة الثورة لتوزيعها إلى الأهالى.

طارت الأنباء إلى القاهرة، ومنها إلى لندن، فتقرر إرسال قوة عسكرية من الجنود الأستراليين، وفى الوقت نفسه نشط الخونة الذين أرادوا أن يتنصلوا مما يحدث، فحرروا خطابات إلى السلطات فى القاهرة، لكن المأمور «إسماعيل حمد» وبخبرته الأمنية كان يتوقع ذلك، فكان يسهر الليل ليفض الخطابات، ويتخلص مما تحمل من وشايات ضد «دولة زفتى». وتجلى ذكاء «إسماعيل حمد» مرة أخرى حين طلب الأستراليون تسليم ٢٠ من الأهالى «العصاة» لجلدهم، فاقترح تسليم «الخونة»، وقد كان، ولما طلبوا تسليم «يوسف الجندى»، تم تهريبه ليظهر بعد ١٥ يومًا وهو يخطب للثورة فى «جروبى» بالقاهرة.

٢٤ مارس عام ٨٠٩
«الأمين» خليفة للمسلمين بعد وفاة والده هارون الرشيد

بلغ الخليفة العباسى هارون الرشيد، من القوة مبلغا عظيما، لكن ولديه «الأمين والمأمون» كانا دراما حياته، فبقدر ما كان يمسك دولة العباسيين من أطرافها إلى قلبها بكل قوة، لم يكن يشعر بالاطمئنان إلى بقائها فتيَّة بعد وفاته، فولداه يضمران الشر لبعضهما البعض. ومما يُروى أن «الرشيد» فى أواخر أيامه كشف عن بطنه لأحد أصدقائه، فإذا عليها عصابة من حرير، ثم قال له: «هذه علة أكتمها عن الناس كلهم، وكل واحد من ولدى على رقيب، وما منهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسى ويستطيل دهرى».

اشتدت العلة على هارون الرشيد وهو فى طريقه إلى خراسان للقضاء على ثورة «رافع بن الليث» وتُوفِّى فى مثل هذا اليوم (٢٤ مارس ٨٠٩)، وبمقتضى هذه الوفاة، أصبح فى نفس اليوم ابنه «الأمين» خليفة المسلمين الجديد.

بدأ الطريق إلى «الأمين» من اللحظة التى خضع فيها «هارون» لتأثير زوجته «زبيدة» ابنة عمه «جعفر المنصور»، والتى أقنعته بأن يعطى ولاية العهد لابنه «الأمين» لأنه هاشمى خالص، وتقاطعت هذه الرغبة فى البداية مع رغبة «هارون»، الذى كان يميل إلى إعطاء ولاية العهد لـ«المأمون» باعتباره الأكبر، والأكثر رجاحة فى العقل والتفكير والأدب والتزامه بأدب السلاطين والخلفاء، بينما كان «الأمين» مستهترا، غير أن نقطة ضعف «المأمون» ظلت

فى أمـه «مراجـل» التـى كانـت جاريـة فارسـية، وماتـت بعـد ولادتـه بأيـام قليلـة، لكنهـا تركـت لـ«المأمـون» مسـألة أن نصفـه «أعجمـى».

لبـى «هـارون» رغبـة زوجتـه «زبيـدة» وأعطـى ولايـة العهـد لـ«الأمـين» وعمره ٥ سـنوات، عـلى أن يخلفـه شـقيقه «المأمـون»، وكانـت هـذه القسـمة الطريـق إلى الفتنـة بـين الشـقيقين، ويحفظهـا تاريخنـا الإسـلامى باسـم: «الفتنـة الثالثـة» بعـد فتنتَىْ قتـل عثـمان بـن عفـان، ثـم قتـل عـلى بـن أبـى طالـب (رضى الله عنهـما).

أعطـى المأمـون «البيعـة» لأخيـه «الأمـين»، وأقـام فى خراسـان وأهـدى لأخيـه تحفـا ونفائـس، غـير أن الشـك بينهـما كان قائـما فى النفـوس، ومـن وراء السـتار كانـت «زبيـدة» أم «الأمـين» تواصـل مخططهـا للمسـتقبل بإقنـاع ولدهـا بـأن يخلـع ولايـة العهـد مـن شـقيقه «المأمـون» عكـس مـا قـرر والـده.

أمـر «الأمـين» بالدعـاء لابنـه موسـى بولايـة العهـد، بعـد ولى العهـد «المأمـون» والقاسـم، فانطلقـت شرارة الفتنـة بـين الشـقيقين، لتتحـول إلى حـروب، وسـاعد عليهـا سـوء حكـم «الأمـين» ممـا صرف عنـه الكثـير مـن الأتبـاع والقـادة.

فى الجولـة الأخـيرة مـن صراع الاثنـين، كان نصيـب «الأمـين» القتـل، ولمـا بلـغ «زبيـدة» هـذا الخـبر بعثـت برسـالة إلى «المأمـون» تقـول فيهـا: «أهنئـك بخلافـة قـد هنـأت نفسـى بهـا عنـك قبـل أن أراك، ولئـن كنـت قـد فقـدت ابنـا خليفـة، فقـد عُوِّضـت ابنـا خليفـة لم ألـده وأسـأل الله أجـرا عـلى مـا أخـذ، وإمتاعـا بـما عـوض» وأكرمهـا المأمـون حتـى ماتـت.

٢٥ مارس عام ١٩٦٦
وفاة «القصبجى».. المجدد الأعظم فى الموسيقى العربية

قال لى الموسيقار الكبير الراحل كمال الطويل فى لقاء بمنزله بحى «الزمالك» عام ١٩٩٦، إنه سأل الموسيقار محمد القصبجى: «لماذا تكتفى بأن تكون عازفا للعود فى الفرقة الموسيقية التى تصاحب أم كلثوم فى حفلاتها الغنائية، وأنت المجدد الأعظم فى الموسيقى العربية؟»، فأجابه القصبجى: «مش عارف يا كمال كل ما أنوى أعمل لحن جديد لأم كلثوم يطلع لى عفريت».

قال لى كمال الطويل هذه الكلمات، وأنا أحصل منه على شهادة حول علاقته بأم كلثوم، وضمَّنتها فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر»، الصادر عن جزيرة الورد، القاهرة، وامتد الحديث إلى الكبار الذين سبقوه، ومنهم محمد القصبجى الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢٥ مارس ١٩٦٦).

لم تكن شهادة «الطويل» هى الوحيدة فى حق «القصبجى» فالموسيقىّ اللبنانى توفيق الباشا يصفه بـ«أستاذ النغم بكل تعقيداته»، وفى كتابه «السبعة الكبار فى الموسيقى العربية المعاصرة» يقول المؤرخ الفنى والموسيقى اللبنانى فيكتور سحاب: «القصبجى هو المؤلف الموسيقى الكبير المكتمل الشروط».

محمد القصبجى المولود يوم ١٥ أبريل ١٨٩٢ (بعد مولد سيد درويش بـ٢٩ يوما)، فى قصة حياته الشخصية والفنية دراما كبيرة اسمها «أم كلثوم»، فهو الأب الفنى الحقيقى لها منذ انتقالها من قريتها «طماى الزهايرة» محافظة

الدقهلية إلى القاهرة، وقدم لها فى بدايتها أعظم الألحان التى نقلت الغناء العربى إلى عصر جديد، وبلغ ذروة تألقه مع أغنية «رق الحبيب» عام ١٩٤٤، ولم تكتمل المسيرة بينهما بنفس المستوى، واعتقدت «أم كلثوم» حسب رأى المؤرخ الموسيقى محمود كامل: «أن إلهامه نضب»، غير أن ڤيكتور سحاب يطرح سؤالا: «ليس من وسيلة للتيقن بأيهما السبب، وأيهما النتيجة، أهو النضوب فى إلهامه أدى إلى عزوفها، أم عزوفها أدى إلى نضوبه حقا؟».

لم يكن هذا النضوب وليد الصدفة، وإنما كان حبه الملتهب لأم كلثوم وصدها له بمثابة العامل الذى قهره إبداعيا معها، بعد أن فشل فى الوصول إلى الصيغة الإنسانية التى توصل لها الشاعر أحمد رامى لحسم مسألة حبه لها، حيث قرر أن يضع لوعة حبه الضائع فى أشعار غنائية تتغنى بها.

قدم القصبجى عشرات الألحان من الألوان الغنائية المختلفة لـ«منيرة المهدية، أم كلثوم، أسمهان، سعاد محمد، ليلى مراد، كارم محمود، شهرزاد، عبد الغنى السيد، فتحية أحمد، نجاة على، نور الهدى»، وغيرهم، وشملت «المونولوج، والطقطوقة، والقصيدة».

فى كتابها «محمد القصبجى- الموسيقى العاشق»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، تتحدث الدكتور رتيبة الحفنى، عن سنواته الأخيرة التى عاش فيها وحيدا خاصة بعد أن طلبت منه أم كلثوم الراحة، فلم يُعد يظهر معها فى فرقتها الغنائية، وأدى ذلك إلى اكتئابه، وظل فى منزله نحو عامين يعانى العزلة وعدم سؤال الناس، مما زاده مرضا وقلة رغبته فى الحياة، وفى يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ أُصيب بجلطة فى المخ وشلل نصفى أيسر، ونجا منها وطالبه الأطباء بالراحة، إلا أنه لم يستسلم بل حضر اجتماع لجنة الموسيقى الذى كان مقررا أن يناقش ترشيحه للحصول على جائزة الدولة التقديرية، ولم يحصل عليها.

٢٦ مارس عام ١٩٣٨

منع قبول «مومسات» جديدات والاكتفاء بـ« المرخصة»

كان فى مصر نشاط شرعى ورسمى اسمه «البِغَاء»، له قوانينه ولوائحه ورجاله وسيداته، ومر بمراحل نشاط وانكماش، ومن أيامه التى تحفظها كتب التاريخ، يوم (٢٦ مارس ١٩٣٨) الذى قرر فيه وزير الصحة «عدم قبول مومسات جديدات، وعدم الترخيص بفتح بيوت دعارة جديدة غير الموجودة فعلا».. كان هذا هو نص القرار الذى يحمل وراءه حكاية طويلة عن تاريخ البغاء فى مصر.

هى قصة قديمة، لكننا نبدؤها من عصرنا الحديث، منذ وقت اعتراف الحكومة به ووضع لائحة بيوت العاهرات فى ١٥ يوليو ١٨٩٦، ولائحة ثانية فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٥، والتى قالت شروطها: أن يكون للبيت باب واحد فقط، ولا يجوز وجود اتصال بينه وبين مساكن أخرى أو محلات عمومية، وبيت العاهرات هو البيت الذى تجتمع فيه امرأتان أو أكثر من المتعاطيات عادة فعل الفحشاء، ولو كانت كل منهن ساكنة فى حجرة منفردة منه، أو كان اجتماعهن فيه وقتيًا.

والراغبون فى فتح بيت للعاهرات يتقدمون بطلب للمحافظة قبل فتحه بـ ١٥ يومًا، ويُحدد فيه الاسم والسن ومحل الميلاد، وأن يكون بالغًا وغير محكوم عليه بعقوبة جنائية لارتكابه جناية عادية، أو سرقة أو تزوير أو نصب أو خيانة أمانة، ولا يجوز للبوليس دخول هذه البيوت نهارًا لضبط المخالفات،

ولا يجوز لهم الدخول ليلًا إلا عند حدوث ما يخل بالأمن العام، أو عند حدوث استغاثة.

فى كتاب «البغايا فى مصر» لمؤلفه عماد هلال، وكتاب «مجتمع القاهرة السرى ١٩٠١-١٩٥١» للدكتور عبد الوهاب بكر، الصادرين عن «العربى للنشر والتوزيع، القاهرة» نعرف حدود هذا النشاط الآثم الذى عرفته مصر، وتم تقنينه فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ونعرف أماكنه وطبيعة رجاله ونسائه، ومن أشهر مناطقه، الأزبكية، باب الشعرية، العباسية، السيدة زينب، بولاق، الخليفة، الوايلى، هذا بخلاف الأقاليم.

جاء قرار وزير الصحة بعدم قبول مومسات جديدات فى يوم ٢٦ مارس ١٩٣٨، على خلفية حملة ضارية قادها الشيخ محمود إبراهيم أبوالعيون، انتهت إلى تجريم هذا النشاط عام ١٩٤٩، وذلك من خلال سلسلة من المقالات فى الصحف، ومع انعقاد أول برلمان مصرى عام ١٩٢٤ أرسل «أبوالعيون» طلبًا يقترح فيه العمل على إلغاء البغاء رسميًا فى مصر، ولاقت الحملة تجاوبا فى المحافظات، وكان مجلس محلى بنها أول من قرر إلغاءه، لكن الداخلية رفضت، وتلته بعد ذلك محافظات أخرى.

المثير فى هذه القضية، المعركة التى نشبت بين «أبوالعيون» وبعض الأحزاب ورموز السياسة والفكر، خاصة حزب «الأحرار الدستوريين»، وجريدة «السياسة» برئاسة الدكتور محمد حسين هيكل، حيث شنت هجومًا ضاريًا على «أبوالعيون» ووصل إلى حد وصف محرر «السياسة» له بـ«الشيخ الباغى البذىء الأحمق»، و«الشيخ الدجال»، كما قال فكرى أباظة الكاتب الصحفى والنائب البرلمانى: «إلغاء البغاء جريمة»؛ غير أن الدكتور إبراهيم الدسوقى أباظة قال: «من العار أن يبقى البغاء رسميًا فى مصر»، وكانت حجة الرافضين أن إلغاءه سيعنى انتشاره سريًا، وبالتالى ستصعب الرقابة عليه!

٢٧ مارس عام ١٩٣٤
رحيل «مختار» الذى رد لمصر بعض حظها من المجد الفنى

«كان يرى أن أيام مرضه الطويل هى هذا الحائط الذى هيأه لاستقبال مرحلة جديدة، أُصيب فى يده التى هى أداة إبداعه، لكنه رغم ذلك أبقى على أمل الشفاء، ومعه آمال واسعة بإنجاز مشروعات أخرى عظيمة، كان رغم المرض يتحدث عن تمثاله لـ«الإسكندر الأكبر» الذى سيقيمه بمدخل الإسكندرية، وتمثاله لـ«أحمد عرابى»، وعن معانى الثورة التى يود أن يعبر عنها من خلاله، لكن المرض كان يحيله يوميًا إلى هزال حتى عجّل به فى مثل هذا اليوم، ٢٧ مارس ١٩٣٤».

هكذا يتحدث بدر الدين أبوغازى، الناقد الفنى الراحل، وزير الثقافة عام ١٩٧٠، عن معجزة مصر الفنية «مختار»، والحديث فى كتابه «المثّال مختار» الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

كانت رحلة محمود مختار فى الحياة قصيرة، لكنه كان باعثًا للنهضة الفنية الحديثة فى مصر.. عاش ٤٣ عامًا (مواليد ١٠ مايو ١٨٩١)، لكنه وكما يقول «أبوغازى»: «أثر مختار فى مجال الفنون كأثر محمد عبده فى مجال الإصلاح الاجتماعى، وأثر سعد زغلول فى مجال الزعامة القومية والسياسية، وأثر طلعت حرب فى المجال المالى والاقتصادى، وحياته كحياتهم خلقت الظروف وصنعت الحوادث، وخطت بإرادة الإصرار أثرًا كبيرًا».

«مختار» ابن الجيل الذى كان يبحث لمصر عن ذاتها، الجيل الذى وضع أسسًا لنهضة مصر الحديثة بكل تجلياتها الفكرية والسياسية التى مهدت لثورة ١٩١٩، وتواصلت بعد الثورة.

أبدع «مختار» تماثيل «نهضة مصر»، و«سعد زغلول»، و«أم كلثوم»، وتراثًا ضخمًا من تماثيل الميدان، وتكمن معجزته الفنية، كما يقول «أبوغازى»، فى قدرته على التعبير عن شخصية بلده، وفى إبداع أسلوب فنى خاص به، رغم تيارات العصر المتعارضة.. وبرغم انقطاع تجربة مصر فى النحت منذ آلاف السنين لم يقتصر تراث «مختار» على تماثيل الأشخاص، وإنما «أخذ من حياة القرية قصائد منحوتة صاغ منها أجزاءها ومشاعرها وأفراحها».

خرج «مختار» من قريته بمحافظة الدقهلية فلاحًا مجهولًا إلى القاهرة للدراسة، واستكملها فى باريس عام ١٩١١، فيصبح هناك «حدوتة فرنسا».. وكدليل على اعتراف الحكومة الفرنسية بنبوغه اقتنت منه تمثال «عروس النيل»، ووضعته فى مقدمة تُحفها بمتحف «چى دى بوم» الذى أنشأته خصيصًا لتحفظ فيه ما تقتنيه من أعمال مشاهير الفنانين فى بلاد العالم.

وعلى الرغم من أنه قضى حياته فى فرنسا، فإنه ظل ابن مصر المعجون بتفاصيل حواريها وقراها وبسطاء شعبها، ومن هذه الروح امتلك طبيعة الثائر وروح التمرد على الأوضاع، وصاحب الأفكار التى يودعها فى تماثيله، يؤكد فيها سيادة الشعب وقيمه.

ويحكى «أبوغازى» أنه عندما بدأ عمل تمثال للملك فؤاد، وأبدى الملك ملاحظة رأى فيها «مختار» أنها مساس بكرامته الفنية، لم يتردد فى أن يتوقف عن العمل، ويحطم التمثال، وصنع تمثالًا كاريكاتوريًا للملك، وكاد هذا الموقف يطيح به، لولا أن تداركه بعض الأصدقاء، وألقوا ظلالًا حجبت معالم الحدث.

بعد أيام من وفاته كتب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين: «مختار رد إلى مصر بعض حظها من المجد الفنى».

٢٨ مارس عام ١٩٤١
السفير البريطانى يخاطب حكومته: القاهرة مقلب عام للاجئين

كان لـ«القاهرة» وجه آخر فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، منه ما سمته «أرتيميس كوبر» بـ«الوافدين الجدد»، وذلك فى كتابها «القاهرة فى الحرب العالمية الثانية»، الصادر عن دار الموقف العربى، ترجمه الكاتب محمد الخولى.

نقرأ فى الكتاب عن تدفق اللاجئين من دول «البلقان» على مصر بعد اجتياح الجيش النازى لها، وفى تلخيص بليغ لمشهدهم، تقول المؤلفة: «كان منهم أفراد بغير اسم وبغير وطن، يتشبثون بأحمالهم وأطفالهم، ولكن كان من بينهم أيضا موكب صغير من الرءُوس المتوَّجة فى البلقان».

تقصد المؤلفة بـ«الرؤوس المتوجة» الملوك وأسرهم الذين تركوا بلادهم، ولأن مصر كانت تحت الاحتلال البريطانى والقرار قراره، جهزت السلطات البريطانية كل شىء لمجىء هؤلاء «الوافدين» حتى تكتب الحرب كلمتها الأخيرة.

يتحدث الكتاب عن أن أول مجموعة ملكية تصل إلى القاهرة خلال هذه الفترة تألفت من الوصى السابق على عرش يوغسلافيا، الأمير «بول» مع زوجته الأميرة «أولجا» وأبنائهما الثلاثة، واللافت -كما يقول الكتاب- أن رئيس الوزراء المصرى حسين سرى باشا لم يكن تم إخطاره بوصول هذه الأسرة الملكية، مما أثار ثائرته، حسبما يذكر السفير البريطانى فى مصر «مايلز لامبسون»أو «اللورد كليرن» فى مذكراته.

لم يكـن تجاهـل بريطانيـا للحكومـة المصريـة فى ذلـك أمـرا اسـتثنائيا، وإنـما صـار عـلى نفس النهـج باسـتمرار، وكتـب «مايلـز» فى مثل هـذا اليـوم ٢٨ مـارس ١٩٤١ يصـف الطريقـة التـى تتعامـل بهـا لنـدن مـع القاهـرة فى ذلـك عـلى أنهـا: «مقلـب عـام تلقـى فيهـا باللاجئين السياسـيين».

تكـرر غضـب «حسـين سرى» مـرة ثانيـة بعـد أن وصـل إلى مـصر مجموعـة مـن أعيـان الـصرب قوامهـا ثلاثـون، وكانـت الترتيبـات التـى تمـت بشـأن وصولهـم وإقامتهـم تتـم بعيـدا عـن الحكومـة المصريـة التـى كان الاحتـلال يعاملهـا بتجاهـل تـام، ولا يعيرهـا أى نـوع مـن الاحـترام، وأوصى هـؤلاء بالإبقـاء عـلى الأمـير «بـول» تحـت رقابـة مشـددة، حتـى لا يتآمـر ضدهـم، وفى هـذا الشـأن الرقابـى لم يكـن الأمـر مصريـا، وإنـما شـأن بريطانـى يـدور عـلى أرض مـصر.

فى هـذا الجانـب تأتـى قصـة الملـك جـورج، ملـك اليونـان، وحسـبما يأتـى فى الكتـاب: «هـرب مـن أثينـا مثـل يسـوع المسـيح عـلى ظهـر حمـار، وإن كان يرتـدى قبعـة مـن الخـوص وكان معـه رئيـس وزرائـه «عمانويـل سـوديروس» وعـدد مـن أعضـاء العائلـة المالكـة، وطـاروا جميعـا إلى «كريـت» لأن الملـك أراد البقـاء عـلى أرض يونانيـة حتـى آخـر لحظـة ممكنـة، ثـم فى منتصـف مايـو تـم إجلاؤهـم إلى القاهـرة، وذلـك دون معرفـة أيضـا مـن الحكومـة المصريـة.

كان للملـك اليونانـى جـورج عشـيقة تدعـى «جويـس بريتـين جونـز» وطلـب أن تلحـق بـه، وكانـت وزارة الخارجيـة البريطانيـة تـرى أن تأثيرهـا عـلى الملـك جـورج أمـرا مفيـدا مـن جميـع النواحـى، ولهـذا لبـت مطلبـه، وأرسـل «أنتونـى إيـدن» وزيـر الخارجيـة البريطانـى رسـالة إلى السـفير البريطانـى فى مـصر «مايلـز لامبسـون» يطلـب فيهـا العنايـة بـ«جويـس»، واعتبـار زيارتهـا إلى القاهـرة أمـرا فى طـى الكتـمان الشـديد.

٢٩ مارس عام ١٩١٠
مظاهرات ضد خطاب «روزڤلت» فى الجامعة المصرية

«إن بعض الجهلاء يعتقدون أن منح الأمة دستورًا على الورق، خاصة إذا كان مفتتحًا بعبارات فخيمة، من شأنه أن يمنح الأمة قوة الحكم الذاتى، مع أن شيئًا من ذلك لا يكون بتاتًا».

كانت الكلمات السابقة للرئيس الأمريكى «تيودور روزڤلت» الذى شغل منصبه منذ عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٩، وألقاها فى الجامعة المصرية «جامعة القاهرة» فى مثل هذا اليوم (٢٩ مارس ١٩١٠)، بعد ترك منصبه بنحو عام وثلاثة أشهر، وكان ضيفًا على مصر بعد جولة صيد له فى أفريقيا استمرت شهرين، زار فى نهايتها السودان، وألقى فيها خطابًا أشاد فيه بالاحتلال البريطانى لمصر.

توجه «روزڤلت» إلى الجامعة المصرية بدعوة من رئيسها الأمير فؤاد (الملك فؤاد فيما بعد) ليلقى فيها خطابه الذى فاجأ المصريين به.

أشعل الخطاب غضب الحركة الوطنية المصرية، خاصة أنه جاء فى توقيت كانت تطالب فيه بالاستقلال عن الاستعمار البريطانى، بالإضافة إلى نضالها من أجل وضع دستور وطنى، ولأن الخطاب سار عكس هذه المطالب تمامًا، عَدَّته الحركة الوطنية طعنًا فى ظهرها، وتشجيعًا لبقاء الاحتلال فى مصر.

وحين نتأمل هذا الخطاب الآن، سنجده يعبر عن طبيعة استعمارية خالصة، تحمل نظرة استعلائية حملتها دول الاستعمار الغربى للمنطقة، كما أنه يفتقد أى

روح دبلوماسية، حيث وصف صراحة مطالب الحصول على الدستور لبلد فى ظروف مصر بـ«الجهل».

كانت ردود الفعل قوية على ما ذكره «روزفلت»، ويسجلها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «محمد فريد»، مشيرًا إلى أنه فى مساء نفس اليوم اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى، وكان أكبر الأحزاب المصرية وقتئذ، وكتبت اللجنة ردًا قويًا تؤكد فيه رفضها الخطاب، وأرسلته إلى «الضيف الأمريكى»، وأرسلته إلى إدارة الجامعة المصرية، معلنة احتجاجها على السماح بإلقاء الخطاب فى دارها، ومنحها «الخطيب» لقب الدكتوراه بعده، وأرسلته إلى الصحف الأوروبية والأمريكية الكبرى.

وأقام الحزب مؤتمرًا بمسرح «بيلوت باسك» بشارع عماد الدين، ألقى فيه «على فهمى كامل»، شقيق الزعيم مصطفى كامل، خطابًا ناريًا، خرج الحاضرون بعده فى مظاهرة هائلة تحمل علم مصر، وسارت حتى فندق «شبرد»، مقر إقامة «روزفلت»، وهتفوا بسقوطه وبالاستقلال والدستور.

ولم تقتصر الاحتجاجات والمظاهرات على القاهرة، بل امتدت إلى الإسكندرية، فعندما وصل «روزفلت» إلى الميناء ليستقل الباخرة إلى أوروبا، فوجئ بمظاهرة حاشدة تستقبله فى الميناء تهتف بنفس الهتافات التى استمع إليها فى القاهرة.

وعمّ الغضب الصحافة المصرية، حيث أفردت صحيفة «اللواء»، لسان حال الحزب الوطنى، صفحاتها للتنديد بما ذكره الضيف الأمريكى، وفى صحيفة «المؤيد» كتب صاحبها الشيخ على يوسف مقالًا ناريًا يرفض الخطاب، وانتقل الغضب إلى ميدان الشعر، حيث كتب الشاعر «حافظ إبراهيم» قصيدة قال فيها:

أى خطيب الدنيا الجديدة شنف سمع مصر بقولك المأثور

إنما شوقها لقولك يا «روزفلت» شوق الأسير للتحرير

٣٠ مارس عام ١٩٥٩
معركة بين عبد الناصر وخروشوف.. ومصر تنقل طلابها من موسكو لواشنطن

وقف جمال عبد الناصر أمام مئات من ضباط الجيش يخطب قائلاً: «إننا نريد صداقة الاتحاد السوفيتى ونرفض سيطرته»، ثم أضاف: «الشيوعيون يشنون حربا مسعورة ضدنا، تساندهم فى ذلك قيادة الاتحاد السوفيتى، وبذلك فإن هذه الأحزاب أثبتت أنها ليست إلا عميلًا لقوة كبرى».

قال «عبد الناصر» الكلمات السابقة فى مثل هذا اليوم (٣٠ مارس ١٩٥٩)، فى سياق هجوم كاسح ومتبادل مع القيادة السوفيتية بزعامة «خروشوف»، وتابعها العالم أجمع لأسباب كثيرة، أهمها دفء العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى، فى مقابل برودتها بين مصر وأمريكا.

كان الخلاف عقائديًا وسياسيًا فى آنٍ واحد، لكن الأهم فيه أن مصر وقتئذ لم تسلم إرادتها لقوة كبرى بحجم الاتحاد السوفيتى، القطب الثانى المهيمن على العالم، وجاء هجوم «عبد الناصر» فى فصل من الهجوم المتبادل بين الطرفين بسبب الاشتباكات الدامية بين الشيوعيين والقوميين العرب فى العراق، وتدخل فيها الاتحاد السوفيتى علنًا لصالح الشيوعيين، ولما حدثت المشادات بين «عبد الناصر» و«خروشوف»، أعلنت تنظيمات شيوعية مصرية تأييدها للقيادة السوفيتية، فرد «عبد الناصر» باعتقال عدد كبير من أبناء هذه التنظيمات.

غير أن هذا الفصل من التاريخ يشمل قصة من المفيد التوقف أمامها كثيرًا، لأنها تتعلق بمسألة استقلالية القرار الوطنى، ويرويها محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، وتبدأ بتلقِّى «عبد الناصر» بعض الرسائل من طلبة البعثات الدراسية المصرية فى الجامعات السوفيتية، يشتكون فيها من سوء المعاملة التى بدءُوا يتلقونها فجأة، وكان أشد ما أثاره خطاب من طالبة تدرس العلوم الطبيعية النووية، قالت فيه إنها تجد نفسها مرغمة على النوم فى غرف تضم ثلاث طالبات من جنسيات مختلفة، وهن شيوعيات مقاتلات، ويتحدثن معها بإهانة، بدعوى أن مصر غيرت سياستها، وتخلت عن المعسكر التحررى، ثم شكت من أن غرف النوم تقع فى عنابر مختلطة للجنسين.

يقول «هيكل» إن «عبد الناصر» أطلعه على هذه الخطابات، وقال له إنه يريد ردًا موجعًا فى هذا الموضوع بالذات، وطلب منه أن يتوجه إلى السفير الأمريكى، ريموند هير، ليسأله إن كان باستطاعة أمريكا توفير أماكن فى جامعاتها لهؤلاء الدارسين المصريين، حتى يفهم السوفييت أن مصر ليست رهينة لأحد.

يضيف «هيكل»، أنه قابل السفير الأمريكى وناقش معه الموضوع، فسأله السفير عن عدد الدارسين المطلوب توفير فرص لهم للدراسة، ونبهه إلى أن الفترة الدراسية للربيع بدأت فى الجامعات الأمريكية، فأجابه «هيكل» أن عدد الدارسين قرابة مائتين، فأمسك «هير» رأسه بيديه مفزوعًا من العدد، وقال، إن الأمر يحتاج إلى قرار على أعلى مستوى فى الولايات المتحدة، وإنه سيكتب فيه ليس فقط إلى وزارة الخارجية، وإنما إلى البيت الأبيض. ويقول «هيكل» إنه عند منتصف الليل اتصل به «هير» ليقول له إنه تلقى قبل دقيقة واحدة ردًا إيجابيًا على الطلب، وإن كل القواعد سوف يجرى كسرها، وإن نفوذ الرئيس «إيزنهاور» سوف يجرى استعماله لدى الجامعات الأمريكية لتقبل هذه الأعداد، وتم نقلهم بالفعل.

٣١ مارس عام ١٩٧٥
رحيل يوسف صِدِّيق بطل ثورة يوليو وعدو فلسفة «امشى جنب الحيط»

يحكى يوسف صديق البطل التاريخى فى قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أنه كان طالبا صغيرا فى بداية المرحلة الثانوية، وكان يعيش فى القاهرة تحت ولاية قريب له، وهو موظف صغير يعيش على فلسفة «امشى جنب الحيط»، وتصور يوسف صديق أن تلك الفلسفة هى طوق النجاة لمواصلة الحياة، غير أنه وفى يوم من أيام عام ١٩٢٤ كان عائدا من المدرسة «الخديوية» إلى المنزل، فشاهد جمعا من الطلاب يخطب فيهم طالب من «البكالوريا»، وبعد متابعته انتهى به الأمر إلى مشاركته فى مظاهرة زحفت إلى بيت سعد زغلول «بيت الأمة»، لتنضم إلى آلاف الطلاب، ولما خطب فيهم «سعد» انفعل «صديق» بحماس كبير، ثم توصل إلى فساد فلسفة «امشى جنب الحيط»، ليتحول إلى نقيضها تماما حتى رحيله فى مثل هذا اليوم (٣١ مارس ١٩٧٥)، بعد حياة بدأت يوم ٣ يناير ١٩١٠ بقرية «زاوية المصلوب» مركز الواسطَى محافظة بنى سويف.

فى مذكراته التى تأتى مع شهادات أخرى فى كتاب «من أوراق يوسف صديق»، الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة نعرف بعضا من سيرة هذا الرجل العظيم، الذى لولاه لما نجح خروج تنظيم الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ضد الملك فاروق، فهو الذى ترك المستشفى حيث كان يُعالج من نزُف فى الرئة، ليقود كتيبته ويقتحم مقر القيادة العامة للقوات

المسلحة ويعتقل العديد من قادتها، وعلى رأسهم قائد الجيش الفريق «حسين فريد».

أنقذ تحركه الثورة، على الرغم من أنه جاء قبل ساعة الصفر المتفق عليها بنحو ساعة، والسبب أن مخطط الضباط الأحرار كان قد انكشف لـ«الملك فاروق» الموجود فى الإسكندرية، وكانت قيادة القوات المسلحة تعقد اجتماعا فى القاهرة لاتخاذ إجراء مضاد لإجهاض مخطط الانقلاب على «الملك»، والإجراء المضاد بالطبع هو اعتقال أعضاء التنظيم.

وحين نرد تصرف «يوسف صديق» لأصوله سنجد فيه تطبيقا عمليا لرفضه لفلسفة «امشى جنب الحيط»، نجد فيها قلب «الفارس» الذى سيظل متوهجا بالتمسك بما يؤمن به، فيختلف باحتدام مع مجلس قيادة ثورة يوليو، وينحاز إلى محمد نجيب ضد جمال عبد الناصر، ويحكمه فى ذلك يساريته التى اهتدى إليها وآمن بها فكرا منذ أن كان ضابطا فى الجيش.

خلافاته مع جمال عبد الناصر هى الآن فى ذمة التاريخ وفى عهدة المؤرخين للحكم عليها، مع الأخذ فى الاعتبار أنها قادته إلى السجن تارة، والسفر إلى الخارج تارة أخرى، وتحديد إقامته أحيانا، غير أننا أمام ثائر يجمع بين الرومانسية الحالمة، والواقعية الصلبة، فى الرومانسية الحالمة هو يكتب الشعر، وفى الواقعية الصلبة يسعى لأن يجعل من صفاء الشعر حقيقة فى الواقع.

فى وفاة جمال عبد الناصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، كتب قصيدة رثاء بعنوان «دمعة على البطل»، قال فيها:

«بكتك عيون أهل الأرض حولى

فكيف أصون بين الناس دمعى

رسمت لنا الطريق وسوف نمضى

على هذا الطريق بغير رجع»

١ أبريل عام ١٩٨٧
وفاة «القِدِّيس الصعلوك» عبد الرحمن الخميسى فى موسكو

يلخص الكاتب الكبير محمود السعدنى حياة وشخصية عبد الرحمن الخميسى، قائلا: «يكفى الخميسى أنه هو الذى مهد الطريق أمام يوسف إدريس وسعاد حسنى ومحرم فؤاد والشاعر الشرنوبى الذى مات فى ريعان الشباب تحت عجلات قطار فى طريقه إلى دمنهور، صحيح أن الخميسى نام فى حدائق القاهرة ولكنه نام فى أفخر أحيائها وفى أفخم شققها، وعاش حياته كلها فى قصص حب متصلة، وصادَق الأثرياء وصادق الفقراء، واشتغل بالسياسة وعاملها معاملة الأدب».

عبد الرحمن الخميسى، هو قصة إنسانية فريدة، كان شاعرا، مؤلفا موسيقيا، مؤلفا، مخرجا، مذيعا، صحفيا، مناضلا، ممثلا، ومن أشهر أدواره دور الشيخ يوسف فى فيلم «الأرض» لـ«يوسف شاهين»، ورغم كل ذلك فإنه وحسب تعبير الكاتب «كامل زهيرى»: «كانت حياته أروع أشعاره».

كتب عنه أحمد بهاء الدين: «دهشت عندما قرأت فى نعيه أنه تُوفِّى عن سبعة وستين عاما فقط، لا لشيخوخته، فقد كان أكثر من عرفت شبابا ونشاطا وحركة، ولكن لكثرة ما أنتج، وكثرة ما عاش، وكثرة ما سُجن، وكثرة ما سافر فى أنحاء الدنيا، وكثرة ما ترك من الأبناء والبنات فى شتى عواصم العالم».

أما الشاعر والكاتب «كامل الشناوى» فقال: «تمنيت أن أكون على شاكلة الخميسى، ألوى ذراع الحياة كلما عاندتنى، الخميسى فى الحقيقة هو التجسيد الحى لواقع أحلامى التى لم تتحقق أبدا».

فى قرية «منية النصر» بمحافظة الدقهلية كان ميلاده (١٣ نوفمبر ١٩٧٠)، وفى مثل هذا اليوم (١ أبريل ١٩٨٧) كانت وفاته فى موسكو التى عاش فيها ١٣ عاما متصلة، وبين الحياة والموت عاش عمره الذى يمكن تلخيصه فى قوله: «آمنت بأن الإنسان على ضوء محبته للناس والأشياء، يستطيع بذلك أن يمتلك النور الذى يكشف به أسرار الحياة، وأن يرى أجزاء المثل الأعلى بادية أو خافية داخل كل ظاهرة»، وحين تطالع سيرته يستوقفك فيها معنى وقيمة فضيلة الاستغناء التى تعطى للإنسان قوة وكرامة، ويستوقفك جمال الحياة حين تزخر بهؤلاء الموهوبين بالعطاء بلا حدود.

فى سيرة «الخميسى» التى يستعرضها يوسف الشريف فى كتابه «القديس الصعلوك»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، يحكى قصة اكتشافه لسندريلا السينما المصرية سعاد حسنى، وجعلها بطلة فيلم حسن ونعيمة الذى كتب قصته، وجاء ذلك بعد أن شاهدها لأول مرة: «واقفة لصق حوض مياه فى الممر، تغسل بعض ملابسها، وتدعكها دعكا بيديها، وخصلات شعرها تغطى جبينها، وأجزاء من وجهها، ولم أكن أدرى لحظتها أن جدائل شعرها المنسكبة، تختزن وراءها تلك اللؤلؤة النادرة المثال والتى أصبحت تخلب بالفن قلوب الملايين».

ترك «الخميسى» مصر لرفضه قرار الرئيس أنور السادات بطرد الخبراء السوفيت من مصر قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكان السادات وقوى اليسار كلها قد دخلا فى حالة طلاق بائن، بعد الحرب، وهاجر «الخميسى» إلى لبنان ثم العراق، حتى حط فى موسكو عام ١٩٧٤، وفيها حصل على وسام «لينين للسلام»؛ تقديرا لدوره كواحد من أبرز المناضلين والمبدعين فى العالم الثالث.

٢ أبريل عام ١٩٦٨
البابا كيرلُّس يؤكد ظهور العذراء
فى كنيسة الزيتون والآلاف يحتشدون

ظهـرت فتـاة فى ملابـس بيضـاء تقـف عـلى أعـلى القبـة البحريـة لكنيسـة العذراء بـ«الزيتـون»، فظـن المـارة أنهـا ترغـب فى الانتحـار، فتجمعـوا صارخـين: «حاسـبى يـا سـت»، وبعـد لحظـات رأى النـاس شـعاع نـور باهـرا يأتـى مـن فـوق القبـة الكـبرى للكنيسـة، وتشـكَّل النـور إلى فتـاة متشـحة بثيـاب بيضـاء بجـوار الصليـب الـذى يعلـو القبـة الوسـطى.

كانـت القصـة يـوم ٢ أبريـل ١٩٦٨، وفـور إثارتهـا شـغلت مـصر كلهـا، ليبـدأ الحديـث عـن أن هـذا الظهـور هـو للسـيدة مريـم العـذراء التـى تجلـت فى مناظـر «نورانيـة روحانيـة». ولم يتوقـف الأمـر عـلى هـذا اليـوم بـل كان مفتتحـا لنفـس الحـدث طـوال الأيـام التاليـة، حتـى أصـدر البابـا كيرلـس يـوم ٤ مايـو بيانا رسـميا قـال فيـه: «إن ظهـور العـذراء فى كنيسـة الزيتـون حقيقـة»، وأضـاف البيـان: آلاف المواطنـين مـن مختلـف الطوائـف قـرروا بيقـين رؤيـة العـذراء، واتفـق وصفهـم بشـهادات جماعيـة، وأن العـذراء ظهـرت فى ليـالٍ مختلفـة وبأشـكال مختلفـة، وكانـت تتحـرك وتمشـى وتواجـه المشـاهدين وتباركهـم وتشـفيهم.

ظهـرت الصحـف المصريـة بـ«مانشـيتات» يـوم ٥ مايو ١٩٦٨ عـن بيـان «البابا»، وأجـرت تحقيقـات ميدانيـة مـن موقـع الحـدث، وجمعـت شـهادات لمَنْ وصفتهـم بـ«شـهود العيـان»، ومنهـا شـهادة «فـاروق محمـد عطـوة سـائق بهيئـة النقـل العام»،

قال فيها: «سمعت صياح بعض المارة فخرجت مسرعا لأعرف ما الأمر، فوجدت الناس متجمهرين أمام الكنيسة، يشيرون إلى القبة، فرأيت سيدة تلبس ملابس بيضاء وتقف فوق القبة البحرية، وكأنها تنوى الانتحار ولكنها لم تتحرك، ودققت النظر فوجدتها على شكل راهبة، وفجأة طار فوقها حمام أبيض»، وقال مأمون عفيفى ويعمل مدربا لسائقى النقل العام: سمعت خفير الجراج يصيح بصوتٍ عالٍ «نور فوق القبة»، فخرجت بسرعة وشاهدت بعينى سيدة تتحرك فوقَ القبة ويشع منها نور غير عادى، فأضاء ظلمة المكان المحيط بالقبة، ودققت النظر إليها وظل بصري متعلقا بها، فتبينت أنها العذراء، ورأيتها تمشى فوق القبة الملساء، جسمها شعلة من النور وكانت تسير فى هدوء».

توافقت شهادات رؤساء الطوائف المسيحية فى مصر مع شهادات المواطنين، كما زادت الصحف بالحديث عن معجزات الشفاء لمواطنين مسلمين ومسيحيين من أمراض مستعصية، وأخذت القضية اهتماما بالغا على المستوى الرسمى للدولة، وفى كتاب «البابا كيرلس وعبد الناصر»، الصادر عن دار الإسراء، القاهرة لـ«محمود فوزى»، قال إن الرئيس جمال عبد الناصر رآها بنفسه ومعه حسين الشافعى سكرتير المجلس الإسلامى الأعلى، وذلك من شرفة ڤيلا أحمد زيدان كبير تجار الفاكهة المواجهة للكنيسة.

وقالت وزارة السياحة، إنها أرسلت تقريرا عن ظهور «العذراء» إلى سفارات مصر والمكاتب السياحية بالخارج.. استمر الحدث طوال شهر ونصف الشهر، وبلغ زواره مئات الآلاف، غير أن الحديث عن السياق السياسى الذى وقع فيه، كان ينقل الموضوع إلى رؤية أخرى، فهو جاء بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، التى أدت إلى بدء تدريجى فى ظهور التيارات الدينية المتطرفة، ردا على هزيمة «المشروع القومى»، وتزامن معه ميل «اجتماعى» إلى تصديق حديث الخوارق التى كانت فى وجهة نظر البعض أنها «خرافات».

٣٠ أبريل عام ١٩٦٠
عبد الناصر يزور آثار الهند ونهرو «يداعبه»:
«لا تزال فى عنفوان الشباب»

فى ألبوم صور الزعيم الخالد جمال عبد الناصر صورة شهيرة له، وهو ينظر باهتمام وتأثر للزعيمة الهندية الراحلة «أنديرا غاندى»، وهى تضع يديها على وجهها لتخفى بكاءها، الذى جاء بعد أن قال لها عبد الناصر: إن والدها «نهرو» كان زعيما عظيما، وإنه استفاد منه كثيرا. كانت الصورة بعد سنوات من وفاة نهرو الذى ورثت ابنته زعامته، وبعد سنوات من بدء علاقة صداقة متينة مع مصر، كان الزعيمان الكبيران عنوانها، ووجدت عمقها العالمى فى قيام الاثنين مع الزعيم اليوغسلافى «تيتو» بتأسيس كتلة عدم الانحياز، التى شهدت مجدها فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.

فى يوم ٢٩ مارس ١٩٦٠ بدأ عبد الناصر زيارة للهند، وسط ظروف تشهد تعاظما فى دور البلدين، وطموحا كبيرا لهما للحاق بركب التقدم وسجل تعاونهما تصنيع طائرة مشتركة، صنعت مصر محركها، وصنعت الهند غطاءها الخارجى، وتلك قصة طويلة سجلت نفسها بحروف من نور، ووقت استكمالها قال نهرو للوفد المصرى فى زيارته إلى الهند للتباحث حولها: «أتفق مع صديقى ناصر فى أنه لابد أن نكسر احتكار العلم»، وذلك فى إشارة إلى تصميم «الغرب» على أن يكون العلم بحوزته وحده.

فى اليـوم السـادس للزيـارة، وكان فى مثـل هـذا اليـوم (٣ أبريـل ١٩٦٠)، وحسبما ذكـرت صحيفـة الأهـرام فى عددهـا الصـادر يـوم (٤ أبريـل)، قـضى «عبـد النـاصر» يومـه بـين الآثـار القديمـة والمدينـة التـى كانـت عاصمـة الهنـد منـذ ٤٠٠ سـنة، وزار ضريـح «الشـيخ سـالم» الـذى يعتـز بـه المسـلمون هنـاك، وزار «البـاب العـالى» و«منصـة الشـطرنج»، و«تـاج محـل» إحـدى عجائـب الدنيـا السـبع، ولمـا أبـدى رغبتـه فى زيـارة قـبر الإمبراطـور «اكيـار»، قـال لـه مرافقـوه: إنهـم لم يتخـذوا التدابـير الأمنيـة اللازمـة، فـرد: «لا لـزوم للترتيبـات»، وفوجـئ السـياح بـه بينهـم يحمـل الكامـيرا ويلتقـط الصـور، ويـدور حـول القـبر متأمـلا بنـاءه.

كان برنامـج الزيـارة حافـلا، وهـو مـا عـبر عنـه «نهـرو» فى رسـالة قصـيرة تركهـا لـ«عبـد النـاصر» فى آخـر يـوم للزيـارة ويأتـى بنصهـا محمـد حسـنين هيـكل فى كتابه «سـنوات الغليـان»: «كان أمامكـم برنامـج حافـل بالزيـارات، وأرجـو ألا يكـون ذلـك قـد أرهقكـم، وعـلى أى حـال فأنتـم لا تزالـون فى عنفـوان الشـباب ومعتادون عـلى العمـل الشـاق، لكننـا لم نفـرغ مـن كل مـا كنـا نعتـزم بحثـه»، وأنتـم تعلمـون أننـى سـوف أحـضر فى الشـهر المقبـل مؤتمـرا لرؤسـاء حكومـات «الكومنولـث» فى لنـدن، وأتمنـى أن أسـتطيع قضـاء يومـين أو ثلاثـة فى مـصر فى طريـق عودتـى، فـإذا اسـتطعت أن تعطينـى وقتـا كافيـا يومَـىْ ١٥ و١٦ مايـو، وإذا كان ذلـك يناسـبكم، فإنـى أقـترح أن أتوقـف فى القاهـرة لنسـتكمل فيهـا مـا بدأنـاه هنـا، وإذا أذنـت لى، فإنـى أريـد أن أقـضى ثلاثـة أيـام فى مـصر يومـين منهـا معـك فى القاهـرة، ويـوم ثالـث أتمنـى أن أزور فيـه السـد العـالى، وربـما معابـد الأقـصر، فـإن ذلـك يجعلنـى أشـعر بنبـض كل مـن مـصر التـى تتطـور بسرعـة ومـصر القديمـة العريقـة.

٤ أبريل عام ١٩٧٩

إعدام الزعيم الباكستانى «بوتو» بعد سنوات من قول عبد الناصر له: «المستقبل أمامك»

بحث الزعيم الباكستانى «ذو الفقار على بوتو»، عن قائد للجيش بلا ميول سياسية، فاختار «ضياء الحق» رئيسا للأركان يوم (١ أبريل ١٩٧٦)، ومنحه رتبة «الفريق» متخطيا أقدمية خمسة ضباط. رأى «بوتو» فى «ضياء» أنه ضابط محترف ويلعب «الجولف» لكن فى «يوم ٥ يونيه ١٩٧٧»، قاد «ضياء الحق» انقلابا ضد «بوتو»، ثم أحاله إلى المحكمة متهما باغتيال نائب برلمانى معارض، وقضت المحكمة بإعدامه، وصم ضياء الحق أذنه أمام النداءات الدولية بعدم تنفيذ الحكم، ونفذه فى مثل هذا اليوم (٤ أبريل ١٩٧٩).

شغل «بوتو» المولود فى عام ١٩٢٨ مناصب عديدة فى بلاده بعد استقلالها عن الهند، كان وزيرا للتجارة ثم الخارجية، وأسس حزب الشعب عام ١٩٦٧، وأصبح رئيسا للبلاد بعد هزيمتها من الهند ١٩٧١، ثم رئيسا للوزراء بعد وضع دستور جديد جعل نظام الحكم برلمانيا.

كان لـ«بوتو» صفحة مشرفة فى علاقته مع مصر أثناء حكم جمال عبد الناصر، يذكرها الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «حرب الثلاثين سنة- الانفجار»، فبعد أن ترك منصب وزير الخارجية، وسافر إلى جنيف للإقامة فيها لاجئا، راودته فكرة أن يقابل «عبد الناصر»، وبعث إلى

مصر طلبا بذلك فأجابته، وحدث اللقاء يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٦، واستمر أكثر من ساعة ونصف الساعة.

قال «بوتو» لـ«عبد الناصر»، إنه أحس أن من واجبه أن يجيء ليضع تحت تصرفه كل ما يعرفه عن الأوضاع التى ستؤثر فى مصائر كل المعتقدين بإمكانية الحرية والتنمية فى آسيا وأفريقيا، وأضاف: «أنت الوحيد الباقى من الزعماء الكبار لحركة التحرر الآسيوى الأفريقى، وأرجوك أن تعرف أنهم خارجون لاصطيادك يا سيدى»، وواصل «بوتو» حديثه و«عبد الناصر» يستمع إليه باهتمام بالغ: «السياسة الأمريكية بدأت تدخل فى مرحلة نشيطة جدا فى آسيا وأفريقيا، وأخذت وكالة المخابرات الأمريكية توجيهات من الرئيس جونسون باتباع سياسة هجومية فى كل مكان، ورغم مأزقهم العسكرى فى فيتنام فقد أصبحوا يعتقدون أن الموقف الدولى ملائم، فهناك من وجهة نظرهم كما استنتج من مقابلات عديدة مع الساسة الأمريكيين، خصوصا فى اجتماعات الحلف المركزى، فرصٌ سانحة فى أكثر من موقع من العالم».

تعرض «بوتو» إلى علاقته بالرئيس الباكستانى «محمد أيوب خان»، وسفره للإقامة المؤقتة فى «چنيف» وسأله عبد الناصر عن عمره، فأجابه: «٣٧ عاما» فعلق عبد الناصر: «مازال مستقبلك أمامك»، وواصل «بوتو»: مشكلتى الشخصية مؤجلة، ولكن ما يقلقنى هو موقفكم أنتم، واستوضحه «عبد الناصر» متسائلا: «تقصد سياسة الجمهورية العربية المتحدة؟»، ورد بوتو فورا: «لا بل أقصدك أنت شخصيا، وما يحيرنى هو كيف أن يتصرفوا معك؟».

طال الحديث، واختتم «بوتو» كلامه قائلاً: «أردت أن أضع ما لدىَّ تحت علمك تاركا لك الباقى»، وبعد نحو عام وقعت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

٥ أبريل عام ١٨٠٠

المملوك «مراد بك» يخون ثورة القاهرة الثانية ويمد «كليبر» بحطب لحرق العاصمة

كانت ثورة القاهرة الثانية (٢٠ مارس ١٨٠٠) تواصل شعلتها ضد الحملة الفرنسية، وكان قادة المماليك الذين شاركوا فيها يبحثون عن أى مغنم لهم من الحملة التى كان «كليبر» قائدها وقتئذ بعد سفر نابليون إلى فرنسا، كانت مقاومتهم للفرنسيين من أجل مصالحهم الخاصة ليس أكثر، ويشير «كليبر» فى مذكراته كما يجىء فى كتاب «بونابرت فى مصر» إلى واحد من أكبر قادتهم قائلا: «أرسل لى مراد بك عدة قطعان من المواشى ليبرهن على إخلاصه، لكنه فى الوقت نفسه كان يكتب إلى الصدر الأعظم بأنه مقيم فى طرة خصيصًا ليمنعنا من جلب المؤونة من الصعيد».

أثناء ثورة القاهرة الثانية، ظل «مراد بك» مقيمًا فى طرة بعيدًا عن حركات القتال، وتمت مفاوضات الصلح بينه وبين «كليبر»، وحدث التوقيع عليها فى مثل هذا اليوم (٥ أبريل ١٨٠٠)، بينما كانت مدافع الفرنسيين تمطر قنابلها على سكان القاهرة، وكان الهدف منها بالطبع هو انسحاب اتباع «مراد بك» من الثورة، مقابل مكسب يحصل عليه، وبالتالى إعطاء مدد من الزمن يطيل بقاء الفرنسيين فى مصر، وتدل نصوص المعاهدة على ذلك.

تألفت نصوص المعاهدة من عشر مواد، ويأتى بها عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر- الجزء الثانى»، وتنص على:

اعتراف القائد العام للجيش الفرنسي بصفته ممثلًا للحكومة الفرنسية بمراد بك أميرًا وحاكمًا للوجه القبلي، ويخوله بناء على ذلك السلطة على تلك البلاد ابتداء من «بلصفورة» الكائنة بمديرية «جرجا» إلى أسوان، فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعه لصاحب الولاية على مصر، وحدد الخراج فى الاتفاقية بـ ٢٥٠ كيسًا، علاوة على ١٥ ألف أردب من القمح، و٢٠ ألف إردب من الشعير والحبوب، ويُخصص لـ«مراد بك» إيراد جمرك القصير وإسنا.

يحل الجيش الفرنسى فى «القصير» على أن يكون لـ«مراد بك» الحق فى إبقاء فصيلة من الجنود المماليك فيها، وعليه دفع نفقات الحامية الفرنسية فيها، وألا يقل عدد جنود هذه الحامية عن مائتى جندى، وعلى كل من الطرفين أن يسلم الطرف الآخر الجنود اللاجئة إليه، ولا يجوز لكل منهما قبول الفلاحين الذين يمتنعون عن دفع الضرائب، ويفرون إلى منطقة الطرف الآخر.

تكون إقامة «مراد بك» فى «بندر جرجا»، وعليه أن يوفد إلى القاهرة أحد البكوات من أتباعه مندوبًا عنه لدى القائد العام يقيم بالقاهرة، ويضمن القائد العام لـ«مراد بك» تمتعه بإيراد المنطقة التى يحكمها، ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته، وإذا حصل هجوم على المنطقة التى يحتلها الجيش الفرنسى فعلى «مراد بك» أن يرسل إليها قوة من جنوده، توازى على الأكثر نصف قواته، ويتعهد القائم العام بألا يقبل أى اتفاق فيه مساس بالمزايا المخولة لـ«مراد بك» فى هذه المعاهدة.

سلم «مراد بك» العثمانيين اللاجئين إليه إلى القوات الفرنسية، وسعى إلى أعوانه فى القاهرة إلى تسليم المدينة، ولما فشل أشار إلى «كليبر» بإحراق القاهرة، وبالفعل سلمه مراكب محملة أحطابًا.

٦ أبريل عام ١٢٥٠
لويس التاسع ملك فرنسا أسيرًا فى المنصورة
بعد هزيمة الصليبيين

أُصيب لويس التاسع، ملك فرنسا، بمرض عُضَال شارف به على الموت، وعندما شفى منه قطع عهدًا على نفسه بأن ينجز شيئًا كبيرًا يعترف من خلاله بفضل الله عليه، فقرر تجهيز حملة صليبية لتنفيذ ما سموه بـ«تحرير بيت المقدس»، وكانت الحملة هى السابعة (عام ١٢٤٨) فى مسلسل الحملات الصليبية، وأولها كان عام ١٠٩٥.

كانت الحملات الصليبية فى جوهرها استعمارًا استيطانيًا يفعل فى الأرض العربية مثلما فعلت إسرائيل بفلسطين، وجاءت إلى المنطقة حلًا لأزمات سياسية فى بلادها، كما حدث فى «الحملة السابعة»، ويقول عنها المؤرخ الدكتور محمود سعيد عمران فى كتابه «الحروب الصليبية»: «لعبت البابوية دورًا فى هذه الحملة للتخلص من مضايقات الملوك والأمراء، حتى تخلو الساحة بابتعاد لويس الذى كان له موقف حازم نحو رجال الدين».

حكم لويس التاسع فرنسا منذ ١٢٢٦ حتى ١٢٧٠، ولم يتوقع يومًا أنه سيقع أسيرًا فى مدينة المنصورة فى مثل هذا اليوم (٦ أبريل ١٢٥٠)، بعد هزيمة منكرة لجيشه على أيدى المماليك.

فى كتابه «عصر سلاطين المماليك»، الصادر عن دار العين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة للمؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم، يتحدث

عن معركة المنصورة التى تواصلت جولاتها لأسابيع حتى انتهت بأسر لويس التاسع، ويشير إلى أن الظاهر بيبرس هو الذى أعد الخطة الماكرة لقتال «الفرنج»، ووافقت عليها شجرة الدر، صاحبة النفوذ الفعلى، حيث مات زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء المعركة، لكنها أخفت الخبر حتى لا يرتب آثارًا سلبية.

قامت خطة «بيبرس» على تشييد عدة كمائن من الفرسان داخل المدينة، وبقاء الأهالى فى منازلهم دون حركة، مع الاستعداد للانقضاض على فرسان العدو فى اللحظة المناسبة، ودخلت القوات الصليبية إلى المدينة فوجدوها صامتة، ولما تجولوا فى شوارعها ظنوا أن الحامية والأهالى فروا منها، وبينما هم يبحثون عن الغنائم، فتح عليهم فرسان المماليك وأهالى المنصورة والمتطوعون أبواب الجحيم من كل ناحية، فتبعثرت القوات الصليبية فى كل ثنايا المدينة، ووضع الأهالى المتاريس أمامها وقذفوها بـ«القذائف المنزلية» من فوق أسطح المنازل، وكان عدد القتلى كبيرًا، من بينهم شقيق الملك «الكونت أرتوا»، وعدد كبير من النبلاء، والذين نجوا فروا على أقدامهم ليلقوا بأنفسهم فى النيل، بعد أن طاردهم الأهالى بالسهام والحراب والسيوف.

فى اليوم التالى لمعركة المنصورة عقد فارس الدين أقطاى الصالحى، القائد العام للجيوش المصرية، مجلس حرب عرض فيه معطفًا قصيرًا عليه شارة البيت الملكى الفرنسى كان يرتديه شقيق لويس التاسع «أرتوا» الذى قُتل فى المنصورة، ظنًا منه أنه معطف الملك نفسه، وأعلن أن مقتل الملك يستوجب مهاجمة الجيش الفرنجى بلا تردد، وبدأ هجومًا جديدًا تمكن الفرنج من صده، ليتكرر مرة أخرى حتى ساءت أحوال الفرنج، فطلب لويس التاسع الهدنة، وعرض تسليم مدينة دمياط التى احتلها من قبل مقابل تسليمه «بيت المقدس»، وقوبل طلبه بالرفض، وتجدد القتال حتى وقعت الهزيمة كاملة لجيش «لويس»، وتم أسره فى قرية مِنْية عبد الله، ونُقل إلى دار «ابن لقمان».

٧ أبريل عام ١٩٦٦
أم كلثوم تغنى الأطلال للسنباطى.. وعبد الوهاب: أعظم ما سيبقى من غناء

فى عام ١٩٦٤، غنت أم كلثوم للمرة الأولى من ألحان محمد عبدالوهاب أغنية «إنت عمرى»، تأليف الشاعر الغنائى أحمد شفيق كامل، كان الحدث كبيرا، ورسم المبدع صلاح جاهين كاريكاتيرا فى صحيفة الأهرام لـ«أم كلثوم» كفتاة صغيرة تلعب «نط الحبل»، وكان ذلك تعبيرا عن كسر النمط «السنباطى» لغنائها، ومن هذه الخلفية كان التحدى كبيرا أمام «رياض السنباطى» لإعادة «أم كلثوم» إلى حظيرته الموسيقية، فجاءت قصيدة «الأطلال» التى قدمتها للمرة الأولى فى مثل هذا اليوم (٧ أبريل ١٩٦٦).

«الأطلال» ألفها الشاعر «الطبيب» إبراهيم ناجى، وأضافت إليها «أم كلثوم» عددا من الأبيات من قصيدة «وداع» لنفس الشاعر، وكان ذلك بعد وفاته بنحو ١٣ عاما، ومما قاله لى الموسيقار عمار الشريعى، أن أم كلثوم كانت خائفة من عدم تجاوب الجمهور بقوة مع لحن الأغنية وكلماتها، خاصة أنها من نوع القصائد الصعبة، كما أنها جاءت بعد سنوات بدأت من مطلع الستينيات، دخلت فيها تجارب مع «بليغ حمدى» الذى كان فى مطلع الثلاثينيات من العمر، بالإضافة إلى «محمد عبد الوهاب»، وأضفى الاثنان عليها طابعا موسيقيا مختلفا، يعتمد على الإيقاع الموسيقى الأكثر سهولة، فى مواجهة «البناء الموسيقى المشابه للبناء المعمارى هندسيا للسنباطى»، حسب

تعبير عمار الشريعى، الذى ضمَّنته فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر» الصادر عن دار «جزيرة الورد».

شجعها السنباطى بقوة على غناء «الأطلال»، مؤكدا لها نجاحها الجماهيرى، وقد كان، ولما فاجأها جمهور حفلها فى «قصر النيل» بالتجاوب، خرجت من الحفل متجهة إلى «السنباطى» بمنزله فى ساعة متأخرة من الليل، وكان من عادته عدم حضور حفلاتها، ووجدته يعيد مع أسرته الاستماع إلى الأغنية على تسجيل «كاسيت»، فدخلت معه فى عناق تعبيرا عن سعادتها.

فى سهرة تليفزيونية على القناة المصرية الثانية للإعلامية فريال صالح عام ١٩٩٨، روى الشاعر فاروق شوشة، قصة ذات مغزًى، قال فيها: إنه كان وآخرون فى ضيافة الموسيقار محمد عبد الوهاب فى منزله، وسأل «عبد الوهاب» الحاضرين عن أفضل لحن غنائى قدمته «أم كلثوم»، فتبارى الجميع فى الحديث، وكانت «الأطلال» هى محل الاتفاق، وبينما انشغل الجميع بطرح مبرراتهم، كان «عبد الوهاب» يستمع بصمت.

يضيف «شوشة» أن الجميع لم ينتبهوا إلى أنهم فى حضرة «عبد الوهاب» الذى قدم لـ«أم كلثوم» ألحانا جميلة، وعلى أثر ذلك تحدثوا براحتهم تماما، دون التعرض منهم إلى لحن واحد من ألحانه لها، ولما أفاقوا انتبهوا إليه، فوجدوا دموعه تسيل، مما أوقعهم فى حرج بالغ، وحاول البعض استدراك ما فعلوه، بالتوجه إلى عبد الوهاب: «أنت الأستاذ الكبير»، لكنه سرعان ما أعفى الجميع من الحرج قائلاً: «أتفق معكم على أن الأطلال هى أروع ما غنت أم كلثوم، وأعظم ما سيبقى من أغنيات أم كلثوم».

٨ أبريل عام ١٩٧٠
استشهاد ٣٠ طفلًا فى غارة جوية إسرائيلية على مدرسة بحر البقر

كانت الساعة التاسعة وعشرين دقيقة من صباح الأربعاء يوم ٨ أبريل ١٩٧٠، حين أطلقت الطائرات الإسرائيلية صواريخها وقنابلها على مدرسة بحر البقر بقرية أكياد محافظة الشرقية.

كانت المدرسة عبارة عن دور واحد يضم ثلاثة فصول تضم كل يوم ١٣٠ تلميذا أعمارهم من السادسة إلى الثانية عشرة، وفى يوم الغارة حضر ٨٦ تلميذا يرتدون المرايل، ويحملون حقائبهم المدرسية.

علا الصراخ، وسالت الدماء على الكراريس، واستشهد ٣٠ طفلا ومدرسا، وأُصيب ٣٦ طفلاً، و١١ عاملا، ورغم هذا الجرم قالت إسرائيل عنهم: «كانوا أطفالا فى منظمة تخريبية»، وقال المتحدث العسكرى الإسرائيلى: «إن الطيارين الإسرائيليين التزموا الدقة فى ضرب الأهداف العسكرية وحدها».

هكذا رأت إسرائيل أن المدرسة بأطفالها هدفٌ عسكرى، وهو ما قاله موشى ديان، وزير الدفاع الإسرائيلى، لراديو إسرائيل: «المدرسة التى ضربتها إسرائيل هدف عسكرى»، وإلى الأمم المتحدة أرسل «يوسف نكواه» مندوب إسرائيل رسالة قال فيها: «تلاميذ المدرسة الابتدائى كانوا يرتدون الزى الكاكى اللون، ويتلقون التدريب العسكرى»، هكذا واجهت إسرائيل المجتمع الدولى بالكذب، لتدارى جريمتها البشعة التى جاءت بعد جريمتها

بغارة لطائراتها على عمال مصنع أبى زعبل يوم ١٢ فبراير ١٩٧٠، واستُشهد فيها ٧٠ عاملا، وأُصيب ٦٩.

وكى تبقى هذه الجريمة حية وشاهدة على الجرم الصهيونى، تم جمع الكراريس، وبعض متعلقات الأطفال من مرايل وأقلام وكتب وأحذية، وما تبقى من ملفات، فضلا عن بقايا لأجزاء من القنابل التى قصفت المدرسة، وتم وضعها جميعا فى متحف عبارة عن حجرة أو فصل، وتعلو حجرة المتحف عبارة مكتوبة بخط اليد: «متحف شهداء بحر البقر».

جاءت هذه الجريمة فى سياق سياسى، كانت مصر تعيد فيه بناء قواتها المسلحة بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وذلك من أجل الاستعداد لحرب تحرير الأرض التى سلبتها إسرائيل فى «النكسة»، كما جاءت والجيش المصرى يخوض حربه الباسلة «حرب الاستنزاف»، وبينما كانت الجهود المصرية تسير يوما بعد يوم نحو العهد الذى قطعته على نفسها، عهد الإصرار على استعادة الأرض، كانت إسرائيل تسعى من غاراتها ضد الأهداف المدنية المصرية إلى كسر الإرادة المصرية، وعبر عن ذلك موشى ديان بقوله: «هدفنا من هذه الغارات، بعيدا عن جبهة المواجهة الفعلية فى قناة السويس، هو أن نحافظ على معنويات الشعب الإسرائيلى، وتقويض الزعامات السياسية والعسكرية فى مصر».

شملت معركة إعادة بناء القوات المسلحة، شحن أسلحة جديدة من الاتحاد السوفيتى، تشمل صواريخ جديدة، وبناء حائط صد الصواريخ لتحمى سماء مصر من أى غارات إسرائيلية فى العمق المصرى، وحسب ما ذكره الكاتب الصحفى «محمود عوض» فى كتابه «اليوم السابع.. الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة: «بمجرد أن بدأت المخابرات الإسرائيلية تسجل دلالات شحنات السلاح الجديدة إلى مصر، بدأت إسرائيل تتصاعد بغارتها ضد المدنيين فى العمق المصرى، لتتخذ طابعا هيستيريا ومحموما، وفى سباقها مع الوقت لمنع الصواريخ الجديدة من اتخاذ مواقعها طبقا للخطة المصرية، زادت من توحشها ضد المدنيين داخل مصر».

٩ أبريل عام ١٩٤٨
إبادة «دير ياسين» الفلسطينية.. و«بيجن»:
لولاها ما قامت إسرائيل

كان الوقت فجرًا، وقرية «دير ياسين» الفلسطينية نائمة، والعصابات الصهيونية تدخلها من شرقها وجنوبها وشمالها حتى يفاجئوا السكان وهم نائمون فى مثل هذا اليوم (٩ أبريل ١٩٤٨)، كان كل شىء معدًا لمذبحة كبيرة، لا تزال وقائعها ماثلة فى الذاكرة العربية، كدليل على بشاعة الدولة الصهيونية، وإقامتها عبر حرب إبادة شنتها ضد الفلسطينيين.

يقشعر البدن كلما عدنا إلى مراجع التاريخ لقراءة وقائع المذبحة، وفى موسوعة «الصهيونية» للمفكر الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيرى، نقرأ جانبًا من تفاصيلها التى تقول إن العصابات الصهيونية دخلت القرية فجرًا والسكان نائمون، وقوبل الهجوم بالمقاومة فى بادئ الأمر، مما أدى إلى مصرع ٤ وجرح ٤٠ من الصهاينة.

ويقول «المسيرى» نقلًا عن شهادة للكاتب الفرنسى باتريك ميرسيون، إن المهاجمين لم يستطيعوا التقدم أمام القتال العنيف، ولمواجهة صمود أهل القرية استعان المهاجمون بدعم من قوات «البالماخ»، وهى «الاشتراكية اليسارية» الموجودة فى أحد المعسكرات القريبة من القدس، حيث قامت بقصف القرية بمدافع الهاون لتسهيل مهمة المهاجمين، ومع حلول الظهيرة أصبحت القرية خالية تمامًا من أى مقاومة، ليبدأ استخدام الديناميت، وذلك بتفجير بيوت

القريـة بيتًـا بيتًـا، وبعـد أن انتهـت المتفجـرات لديهـم قامـوا بتنظيـف المكان مـن آخـر عنـاصر المقاومـة عـن طريـق القنابـل والمدافـع الرشاشـة، حيـث كانـوا يطلقـون النـيران عـلى كل مـن يتحـرك داخـل المنـزل مـن رجـال ونسـاء وأطفـال وشـيوخ، وأوقفـوا العـشرات مـن أهـل القريـة إلى الحوائـط، وأطلقـوا النـار عليهم، واسـتمرت أعـمال القتـل عـلى مـدى يومـين.

كانـت عمليـات الإبـادة تتـم بـدم بـارد، حيـث قامـت القـوات الصهيونيـة بعمليـات تشـويه سـادية شـملت التعذيـب وبـتر الأعضـاء، وذبـح الحوامـل، والمراهنـة عـلى نـوع الأجنـة، وتـم إلقـاء ٥٣ مـن الأطفـال الأحيـاء وراء أسـوار المدينـة القديمـة، واقتيـد ٢٥ مـن الرجـال الأحيـاء فى حافـلات ليطوفـوا بهـم داخـل القـدس طـواف النـصر عـلى غـرار الجيـوش الرومانيـة القديمـة، ثـم تـم إعدامهـم رميًـا بالرصـاص، وأُلقيـت الجثـث فى بئـر القريـة، وأُغلـق بابهـا بإحـكام لإخفـاء معـالم الجريمـة، وكان الهـدف مـن كل ذلـك هـو إرسـال رسـالة إلى القـرى الفلسـطينية الأخـرى.

كانـت القريـة صغـيرة وعـدد سـكانها نحـو ٤٠٠ نسـمة، قتـل منهـم فى المذبحـة ٢٦٠ مـن الشـباب والشـيوخ والأطفـال والنسـاء، وعـلى الرغـم مـن بشـاعة المجـزرة، فـإن قـادة الكيـان الصهيونـى عَدُّوهـا مفخـرة لهـم، ورأوا فيهـا جسـرًا نحـو تحقيـق حلـم إقامـة دولـة إسرائيـل، وعـبر عـن ذلـك مناحـم بيجـن، رئيـس وزراء إسرائيـل فى السـبعينيات مـن القـرن المـاضى وحتـى السـنوات الأولى مـن الثمانينيـات، وكان رئيسًـا لعصابـة «الإرجـون» التـى نفـذت المذبحـة، ففـى رسـالة بعـث بهـا إلى «رعنـان»، قائـد المنظمـة المحلى للعصابـة قـال: «تهنئتـى لكـم لهـذا الانتصـار العظيـم، وقـل لجنـودك إنهـم صنعـوا التاريـخ».

وفى كتابـه «الثـورة» قـال «بيجـن»، إن مذبحـة ديـر ياسـين أسـهمت مـع غيرهـا مـن المجـازر الأخـرى فى تفريـغ البـلاد مـن ٦٥٠ ألـف عربـى، وأضـاف قائـلًا: «لـولا ديـر ياسـين لمـا قامـت إسرائيـل».

١٠ أبريل عام ١٩٦٠
مانشيت «الأخبار» يربط مقتل «السفاح» بعبد الناصر فى «باكستان»

انتهت زيارة جمال عبد الناصر إلى الهند ليتوجه منها إلى باكستان يوم (٩ أبريل ١٩٦٠)، وحسب رأى الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان-١٩٦٧»: «كان عبد الناصر حريصا فى كل مرة يزور فيها الهند بروابط عدم الانحياز، على أن يزور باكستان بدواعى رابطة الإسلام، وفى هذه الزيارة كان يعرف مقدما أنه ليس لديه الكثير مما يناقشه مع حكومة باكستان، لكنه كان يقصد لقاء شعبها».

كان احتفاء الشعب الباكستانى بـ«عبد الناصر» كبيرا، وانشغل المصريون بحدث آخر وقع فى نفس اليوم الذى بدأ فيه عبد الناصر زيارته إلى باكستان، حيث استطاعت الشرطة قتل السفاح «محمود أمين سليمان» الذى استوحى نجيب محفوظ قصته فى رواية «اللص والكلاب». كان مقتل «محمود» نهاية لقصة «سفاح»، لم يكن له علاقة مبكرة بعالم الإجرام، فهو جاء إلى الإسكندرية من محافظة المنيا فى بداية الخمسينيات من القرن الماضى، ثم سافر إلى لبنان وعمل فيها عدة سنوات، وعاد بمال وفير، وإتقان للكلام باللهجة اللبنانية، ووقع فى حب «بطة» وتزوجها، ولما قلت أمواله، كان هَمُّه هو الإبقاء على حالة السعادة التى وفرها لـ«بطة»، فاحترف سرقة الفيلات والشقق الفاخرة،

وبلـغ عـدد سرقاتـه ٢٧ فى الأحيـاء الراقيـة بالقاهـرة والإسـكندرية، واسـتعان فى ذلـك بشـقيق «بطـة» الـذى أبلـغ عنـه.

شـاعت قصـة «محمـود سـليمان» غـير أنهـا اكتسـبت شـهرتها الكـبرى بعـد هروبـه مـن السـجن، الـذى جـاء بعـد أن تكـرر غيـاب زوجتـه عـن زيارتـه فى السـجن، وشـغله ذلـك حتـى عـرف أنهـا دخلـت فى علاقـة مـع محاميـه وحرمـاه مـن طفلتـه، فقـرر الهـرب للانتقـام منهـما، ومـع تغطيـات الصحـف لقصـة الهـروب ونـشر صورتـه للاسـتدلال عليـه، أصبـح «سـليمان» حديـث المصريين، ونسـج الكل شـائعات عنـه ذهبـت إلى حـد الأسـاطير، ومـن ضمنهـا أنـه سرق الفنانـين الكبـار ومنهـم ڤيـلا «أم كلثـوم»، وكانـت أغـرب الشـائعات أنـه عـرض عـلى جمـال عبـد النـاصر فى مكالمـة تليفونيـة، إحضـار رقبـة الزعيـم العراقـى «عبدالكريـم قاسـم»، الـذى كان وقتهـا عـلى خـلاف كبـير ومحتـدم مـع جمـال عبـد النـاصر، كـما انتحـل البعـض صَـوت «سـليمان» فى مكالمـات تليفونيـة لإثـارة الذعـر.

كان «سـليمان» يتنقـل متخفيـا مـن مـكان إلى آخـر، حتـى توصلـت الشرطـة إلى مكانـه فى مغـارة بحلـوان وحاصرتـه ٧٥ دقيقـة، وطالبتـه بتسـليم نفسـه لكنـه قاومهـا بالرصـاص، حتـى تلقـى ١٧ رصاصـة أوقعتـه قتيـلا.

لم تنتـهِ القصـة عنـد هـذا الحـد، ففـى اليـوم التـالى لـ (مثـل هـذا اليـوم ١٠ أبريـل)، كتبـت صحيفـة الأخبـار المانشـيت الخـاص بهـا وشـمل السـطر الأول منـه: «مـصرع السـفاح»، أمـا السـطر الثانـى فـكان: «عبـد النـاصر فى باكسـتان»، وذلـك دون فاصـل بينهـما، ممـا فـسره البعـض بأنـه بمثابـة وصـف لـ«عبـد النـاصر» بـ«السـفاح»، وقيـل إن ذلك كان سـببا مبـاشرا لتأميـم الصحافـة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠، غـير أن هنـاك مـن يؤكـد أن قـرار التأميـم كان معـدا قبـل ذلـك.

١١ أبريل عام ٦٨٥
عبد الملك بن مروان خليفة للأمويين بعد مقتل أبيه على يد زوجته

ينقـل المؤرخـون إن الخليفـة الأمـوى «مـروان بـن الحكـم» تـزوج مـن السـيدة «فاختـة بنـت هاشـم» بعـد وفـاة زوجهـا الخليفـة يزيـد بـن معاويـة بـن أبى سـفيان، الـذى تـرك لهـا مـن الأبنـاء ثلاثـة، هـم «معاويـة» و«خالـد» و«أبوسـفيان».

كانـت المصلحـة هـى أسـاس هـذا الـزواج الـذى تـم بعـد اختيـار الأمويـين لـ«مـروان» خليفـة لدولتهـم، حيـث أراد السيطرة عـلى «فاختـة» مـن أجـل إزاحـة ولدهـا «خالـد» مـن ولايـة العهـد لصالـح ابنـه «عبدالملـك»، وكان هـذا عكـس مـا أرادتـه «الزوجـة» لولدهـا «خالـد»، حيـث خططـت لأن يكـون خليفـة مثـل أبيـه «يزيـد»، وعوضـا عـن ابنهـا «معاويـة» الـذى حمـل اسـم جـده، وتـولى الخلافـة لوقـت قصـير باسـم «معاويـة الثانـى» ثـم اعتزلهـا قائـلا: «والله إن كانـت الدنيـا عـزا فقـد نلنـا حظنـا منهـا، وإن كانـت شرا فكفـى مـا أصابنـا منهـا»، ولمـا طلبـوا أن يرشـح خليفـة بعـده بكـى قائـلا: «مـا أصبـت حلاوتهـا فلـماذا أتحمـل مرارتهـا».

هـذه الخلفيـة قـادت إلى قيـام «فاختـة» بقتـل زوجهـا «مـروان»، حـين تأكـدت أن ولايـة العهـد سـتكون مـن نصيـب «عبدالملـك» وليـس لابنهـا «خالـد»، وينتمـى هـذا النـوع مـن التـصرف إلى «دسـائس القصـور» التـى تلعـب فيهـا النسـاء دورا بـارزا.

أخـذ «عبدالملـك بـن مـروان» البيعـة للخلافـة فى مثـل هـذا اليـوم «١١ أبريـل ٦٨٥»، وحقـق فى وفـاة أبيـه المفاجئـة، وطبقـا لمـا جـاء فى كتـب الـتراث، ومنهـا

ما ذكره محمد بن سعد فى «الطبقات الكبرى، تحقيق وتعليق حمزة النشرتى، عبد الحميد مصطفى، عبد الحفيظ فرغلى»، توصل عبد الملك إلى أن زوجة أبيه فاختة هى التى قتلت أباه، فأراد أن يقتلها، فقالوا له إنه عار عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة، فنجت من عقابه بقتلها.

انصرف «عبد الملك بن مروان» إلى شئون الحكم بلَمِّ شمل دولة الأمويين، التى كانت مهددة فى ملكها، وكانت هناك بلاد خارج سيطرتها، ففى «مكة» أقام «عبد الله بن الزبير» خلافة موازية احتجاجا على قتل جيش يزيد لسيد الشهداء الحسين بن على (رضى الله عنه) فى موقعة كربلاء، وأرسل «عبدالملك بن مروان» رجله القوى «الحجاج بن يوسف» على رأس جيش إلى مكة للقضاء على تمرد «ابن الزبير»، وحاصر «الحجاج» البيت الحرام وضربه بـ«المنجنيق» بعد أن لجأ إليه «ابن الزبير»، وانتهت هذه الجولة بقتل «ابن الزبير» وقطع رأسه وأرسله إلى «عبد الملك»، وصلب باقى جسده أمام الحرم، ولم يسمح بدفنه إلا بعد تدخل والدته «أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنهما).

استمر حكم عبدالملك بن مروان نحو ٢١ عاما، استطاع خلالها أن يعيد للدولة الأموية قوتها، ومن إنجازاته تعريب الدواوين التى كانت بـ«القبطية» فى مصر، وبالفارسية فى «فارس»، وباليونانية فى الشام.

١٢ أبريل عام ١٩٤٥
ضبط عشيقة للملك فاروق فى القصر..
وزوجته«فريدة»: «لا يحق أن يحاسبنى »

أشيع عن الملك فاروق ملك مصر أنه زير نساء، لكن مستشاره المقرب «كريم ثابت» يطرح وجهة نظر أخرى فى مذكراته «فاروق كما عرفته» يقول فيها: «كان فاروق كـ«رجل» يشكو «مركب نقص» لا يستريح منه أبدا لنشوئه على علة جسمانية دائمة، وكانت علته المادية تُشْعره دائما بأنه أقصر من سائر الرجال باعا فى دنيا النساء، وأضعف منهم بأسا فى مباشرة أحداثها، وتلك علته، يستحيل عليه أن يكون «زير نساء»»، ويؤكد «ثابت» أن «فاروق» كان يعوض عجزه فى أن يكون «زير نساء» بشائعات عن علاقاته النسائية الكثيرة.

فى مثل هذا اليوم (١٢ أبريل ١٩٤٥)، شهد القصر الملكى قصة من قصص العلاقات النسائية لـ«الملك» نقل وقائعها السفير البريطانى فى القاهرة إلى لندن، وتأتى فى كتاب «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، وبدأت باكتشاف السيدة «نعمت مظلوم» الوصيفة المناوبة لـ«الملكة فريدة» زوجة «فاروق»، بوجود سيدة ترتدى ملابس السهرة، وتتمشى فى الصالون الملحق بجناح «الملك» فاقتربت منها وسألتها عن اسمها وسبب وجودها، ومن أين دخلت؟

ردت السيدة: «أنا دخلت من الباب»، وحاولت الانصراف مسرعة، لكن وصيفة الملكة أمسكت بها، وخرجت «الملكة» على وقع الأصوات المرتفعة،

ولما شاهدت «السيدة الغريبة»، طلبت مسدسا لتقتلها، وتحت التهديد بالقتل، قالت السيدة إن اسمها «ليلى شيرين»، وذكرت أنها جاءت إلى القصر عدة مرات من قبل عندما كان «الملك» يدعوها بنفسه، وأنها جاءت هذه المرة بواسطة مكتب الشئون الخاصة «مكتب بوللى بك»، وأبلغوها أن الملك يطلبها وأن كلمة السر فى القصر الليلة هى «المنتزه».

تحت تهديد سلاح «فريدة» «كتبت «ليلى شيرين» بخط يدها اعترافا بعلاقتها مع «الملك»، وأخذته «فريدة» فى يدها وهى تقول لوصيفتها «نعمت مظلوم»: «هذه المرأة تقول أيضا إنها حامل من فاروق»، وأضافت الملكة، أنها لمحت فى يد «ليلى شيرين» خاتما عليه صورة الملك «فاروق» واعترفت لها بأنها تلقته هدية منه.

خرجت القصة من حيز «القصر» إلى الحكومة برئاسة النقراشى باشا، وأصرت على إبلاغ النائب العام بالواقعة، وكلفت السيدة «نعمت مظلوم» إبلاغَ مأمور قسم عابدين، وأُجريت التحقيقات التى أظهرت أنْ «الملك» أعطى «ليلى شيرين» موعدا للقاء مبكرا من أول الأسبوع وبعد عشاء يحضره مع الوفد المسافر إلى سان فرانسيسكو للمشاركة فى وضع ميثاق الأمم المتحدة، ثم حدث أن تم إلغاء العشاء، ونسى الملك أن يلغى موعده الغرامى الذى تم ترتيبه له بعد انتهاء العشاء وذهب إلى الفيوم، وهكذا جاءت «ليلى شيرين» فى موعدها ولم تجد الملك.

وبعد مشاورات بين الحكومة والقصر تقرر اعتبار «ليلى شيرين» مجنونة، وأمكن تحرير شهادة بذلك من مستشفى الدكتور «جيلات»، وبالفعل أودعت مستشفى الأمراض العقلية، أما فريدة فلم تكن مقتنعة، وأبدت رضاها؛ لأنها حصلت من «ليلى شيرين» على اعتراف كامل يثبت استهانة «فاروق» ليس فقط بكرامتها كزوجة، ولكن بقصر عابدين كمقر للعرش، ثم أضافت: «فاروق بعد ذلك لا يحق له أن يرفع عينيه فىَّ، أو يحاسبنى على شىء».

كان هذا الحدث مما زادها تمسكا بطلب الطلاق، ولم تسكت عنه إلا عندما أقنعها رئيس الوزراء «محمود فهمى النقراشى» أن المصالح العليا للبلد

لا تتحمــل الآن فضائــح، عــلى أن الأمــر الــذى نســتغربه جميعــا هــو: لمــاذا اختــار «فــاروق» قــصره الملكــى لمواعيــده الغراميــة، وهــو القــادر عــلى إيجــاد مســاحة لغرامياتــه فى ألــف مــكان آخــر؟!

١٣ أبريل عام ١٥١٧
إعدام طومان باى وجثته على باب زويلة ثلاثة أيام

انتهى الموكب الأخير لـ«طومان باى» عند باب زويلة، شق شوارع القاهرة من الشرق إلى الغرب، وهو يسلم على أهل القاهرة المصطفين على جانبَى الطريق، ولم يكن يعلم أنه سوف يُشنق إلا عندما وصل.

«لما تحقق أنه يشنق وقف على أقدامه على باب زويلة، قال للناس الذين حوله: اقرءُوا لى سورة الفاتحة ثلاث مرات، فبسط يده وقرأ سورة الفاتحة ثلاث مرات، وقرأت الناس معه، ثم قال للمشاعلى: «اعمل شغلك»، فلما وضعوا الخيَّة فى رقبته ورفعوا الحبل، انقطع به فسقط على عتبة باب زويلة، وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع إلى الأرض، ثم شنقوه وهو مكشوف الرأس، وعلى جسده شاياه جوخ أحمر، وفوقها ملوطة بيضاء بأكمام كبار، وفى رجله لباس جوخ أحمر».

هكذا يصف «ابن إياس» فى «المختارات من بدائع الزهور» الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة، مشهد إعدام «طومان باى» بقرار من السلطان العثمانى «سليم الأول»، الذى يستكمله بقوله: «فلما شُنق وطلعت روحه صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف، فإنه كان شابا حسن الشكل سنه نحو أربعة وأربعين عاما، وكان بطلا شجاعا تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب وحده بنفسه».

كان وصـول «طومـان بـاى» إلى بـاب زويلـة هـو نهايـة فـترة أسره فى أيـدى العثمانيـين، وجـاءت بعـد هزيمتـه فى المعركـة الفاصلـة التـى جمعـت جيشـه بجيـش العثمانيـين، وكانـت بعـد هزيمتـه فى المعركـة الأولى المعروفـة تاريخيًـا بموقعـة الريدانيـة (٢٢ ينايـر ١٥١٧)، وظـن العثمانيـون أن الأمـر قـد دان لهـم، غـير أن «طومـان بـاى» عـاد ليحشـد قواتـه، وظـل فى حالـة كـر وفـر مـع العثمانيـين لمـدة ثلاثـة أشـهر تقريبًـا، حتـى كانـت المعركـة الفاصلـة فى الجيـزة التـى حسـمها العثمانيـون لصالحهـم بفضـل البـارود والرصـاص.

وينسـب «أحمـد بـن زنبـل» إلى «السـلطان الشـاب» أنـه كتـب قصيـدة شـعر مـن مائـة بيـت ألقاهـا أمـام الهـرم الأكـبر، وحسـبما يذكـر الدكتـور عـماد أبوغـازى فى كتابـه «طومـان بـاى السـلطان الشـهيد» فـإن القصيـدة يـروى فيهـا طومـان بـاى قصـة حربـه مـع «سـليم الأول»، وممـا جـاء فيهـا:

«دمـوع العـين فاضـت مـن مـآق — وقلبـى ذاب مـن كثـر احـتراق
فـلا نـارى طفاهـا دمـع عينـى — ولا دمعـى يفيـض مـن اختنـاق
وبـى أسـف عـلى أسـف وحـزن — وهـم فـوق هـم واشـتياق
عـلى زمـن تقـضى فى نعيـم — بمـصر والعـلا والعـز راق»

بعـد أن فقـد «طومـان بـاى» جيشـه فـر متجهًـا إلى الشـمال نحـو «تروجـة» بالبحـيرة فى ضيعـة تسـمى «البوطـة» ليحتمـى عنـد الشـيخ «حسـن بـن مرعـى» وابـن أخيـه «شـكر»، وأقسـما لـه عـلى المصحـف «سـبعة أيـمان» أنهـما لا يخونانـه ولا يغـدران بـه ولا يدلسـان عليـه، فصدقهـما «طومـان بـاى»، وكان «مرعـى» أعـز أصدقـاء «السـلطان الشـاب»، وأمـده «طومـان بـاى» بمسـاعدات ماليـة كثـيرة، لكـن «مرعـى» لم يحفـظ الجميـل، ولا أثمـر فيـه الخـير، وخـان صديقـه بإبـلاغ «سـليم الأول» عنـه، والـذى أرسـل عسـاكره ليقبضـوا عـلى «طومـان بـاى».

فى قصة مقاومة «طومان باى» للعثمانيين، وأسره، وإعدامه، نضع أيدينا على هؤلاء الذين يختارون «شرف الحياة»، فتبقى سيرتهم العطرة مدى الحياة كرمز للمقاومة، وفى دراما نهايته يتحدث المؤرخون بأن الناس لم تصدق نبأ القبض عليه، ولما بلغ «سليم الأول» ذلك، طلع به من «بولاق» ليشق القاهرة إلى باب زويلة حتى يتأكد الناس من القبض عليه.

لم يكتفِ «سليم الأول» بإعدام «طومان باى»، وإنما أبقى جثته معلقة على باب زويلة لمدة ثلاثة أيام حتى جافت رائحته، وفى اليوم الثالث أنزلوه وأحضروا له تابوتًا، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان الغورى، حيث غُسِّل وكُفن وصُلِّى عليه، ثم دفن فى حوش خلف قبة الغورى، وغسله وكفنه وصلى عليه القاضى «أصيل الطويل» حسب وصية «طومان باى».

ومما يقال أن الكفن كان من ثياب أرسلها له قاتله «سليم الأول»، الذى أرسل له أيضًا ثلاثة أكياس من الفضة للتصدق بها عليه.

انتهت حياة «طومان باى»، وكما يقول «ابن إياس»: «كان ملكا حليما، قليل الأذى، وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، وكانت هذه المدة فى غاية التعب والنكد وقاسى شدائد ومحنا وحروبا وشرورا وهجاجا فى البلدان».

١٤ أبريل عام ١٨٥٥م
١٠ آلاف جندى مصرى يسافرون لمحاربة روسيا على أرض القرم

طمع القيصر الروسى «نيقولا الأول» فى «الآستانة»، فقدم إنذارا نهائيا فى مايو ١٨٥٣ إلى «الباب العالى»، للاعتراف بحماية «القيصر» لجميع المسيحيين الإغريق المقيمين فى الدولة العثمانية، ولما رفض «الباب العالى» الإنذار، أصدر «القيصر» أمرا لجنوده بالزحف والإغارة على إمارتَى الدانوب (رومانيا فيما بعد).

رأى السلطان عبد المجيد، سلطان الدولة العثمانية، أن شبح الحرب يهدد سلامة الدولة، فطلب من عباس باشا والى مصر، نجدة من الجنود المصريين، فامتثل «الوالى»، وأمر بتعبئة أسطول مكون من ١٢ سفينة مزودة بـ٦٤٢ مدفعا و٦٨٥٠ جنديا بقيادة الفريق سليم فتحى رسل باشا، وقبل إبحارهم من الإسكندرية ذهب إليهم عباس باشا، وخطب فيهم حاثا على القيام بالواجب، واستمرت الرحلة ثلاثة أسابيع، ووصلت الآستانة يوم ١٤ أغسطس، وفى أثناء الطريق تُوفِّى ٢٠ شخصا، وتعرض ٣٠٠ لمخالب المرض.

قصة الحرب كلها والدور المصرى فيها تأتى فى كتاب مهم بعنوان «الجيش المصرى فى الحرب الروسية-المعروفة بحرب القرم من ١٨٥٣-١٨٥٥»، الصادر عن مكتبة مدبولى، القاهرة، للأمير «عمر طوسون».

قـدم «عبـاس باشـا» مسـاعدات للدولـة العثمانيـة فى هذه الحـرب، شـملت تبرعا منـه بـ«٨٠٠٠ كيـس بـ٤٠ ألف جنيه مـصرى»، وابنـه إلهامى باشـا تبرع بـ«٢٠٠٠ كيـس قيمتهـا ١٠ آلاف جنيـه مـصرى»، وقـدم حسـن باشـا المنسـترلى ٧٠٠٠ كيـس قيمتهـا ٣٥ ألـف جنيـه مـصرى تـبرع بهـا الموظفـون فى مـصر، وأرسـل «عبـاس» ٥ آلاف و٦٢٤ ثوبـا مـن الملابـس إلى الآسـتانة برسـم جنـود الآلايـات المصريـة، وفى ١٤ أكتوبـر ١٨٣٥، أرسـل السـلطان عبـد المجيـد إلى عبـاس باشـا فرمانـا بالتركيـة يُعْلمـه فيـه بإعـلان تركيـا الحـرب عـلى روسـيا، ويأمـره بالتنبيـه عـلى الأهـالى بالدعـاء بنـصرة الدولـة العليـة، وعـدم التعـرض لرعايـا الـروس والـدول المتحابـة فى مـصر، وفى ٤ نوفمـبر، دارت معركـة عنيفـة بـين الـروس والجنـود المصريـين فى ناحيـة «أو لتنيـزا» وأبـدى فيهـا الجنـود المصريـون بسـالة نـادرة، وفى ١٢ ينايـر ١٨٥٤ اشـترك عـدد منهـم فى مقاتلـة الـروس المرابطـين عـلى الأرصفـة التـى أمـام مدينـة «سلسـترة»، وحاربوهـم بشـجاعة وبسـالة حتـى فـروا داخـل البـلاد.

فى ٢٧ مـارس ١٨٥٤، أعلنـت فرنسـا وإنجلـترا الانضـمام إلى جانـب تركيـا، وبلـغ عـدد الجنـود المصريـين فى روسـيا ٢٢ ألـف جنـدى عـدا البحـارة، وفى ١٤ يوليـو ١٨٥٤ تـوفى عبـاس باشـا، وتـولى بعـده سـعيد باشـا الحكـم، وسـافر إلى الآسـتانة ليقـدم واجـب الطاعـة للسـلطان عبـد الحميـد، ويتنـاول مـن يديـه فرمـان التوليـة، وأراد سـعيد أن يبرهـن عـلى تفانيـه فى الإخـلاص للسـلطان، فكتـب مـن الآسـتانة إلى مدير ديـوان عمـوم الجهاديـة أمـرا فى ٢٤ أغسـطس بتجهيـز ١٠ آلاف جنـدى و٣٦ مدفعـا لترسـل مـددا إلى الجيـش التركـى فى القـرم.

فى أوائـل عـام ١٨٥٥، تـم حشـد الجنـود المصريـين الذيـن أمـر سـعيد باشـا بإرسـالهم، وأبحـرت السـفن بهـم مـن الإسـكندرية فى مثـل هـذا اليـوم (١٤ أبريـل ١٨٥٥)، لينضمـوا إلى الجنـود الذيـن سـبق وأرسـلهم عبـاس باشـا، وعـلى هـذه الأرض سـقط شـهداء مصريـون ودُفنـوا فيهـا، ومنهـم سـليم باشـا فتحـى قائـد العسـكر المصريـة.

١٥ أبريل عام ١٨٤٨
«إبراهيم» نائبًا افتراضيًا بعد إصابة محمد على بـ«اضطراب العقل»

أُصيب محمد على باشا والى مصر بمرض «الدوسنتاريا» الحادة وترك مصر متجها إلى جزيرة «مالطا» للمثول فى الحجر الصحى، ومع استفحال المرض لجأ الأطباء إلى دواء عبارة عن محلول نترات الفضة التى نجحت فى وقف المرض، لكنها نالت من قدرته العقلية التى اضطربت.

يتحدث «نوبار باشا» وزير «محمد على» ومستشاره الكبير فى مذكراته الشخصية، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، عن أن نظرات «إبراهيم» لوالده كانت كلها قلقا وحيرة، ويقول «نوبار»: «لم يكن من الممكن أن أقول إن محمد علىّ فقد عقله تماما لأنه فى لحظات ما كان يدرك تماما الحالة التى هو عليها ويراقب نفسه، فما إن يشعر بأنه سوف يدخل فى نوبة هذيان أو فقدان العقل، إلا وقد كان يختلى بنفسه، فى عزلة تامة محاولا بكل قوة أن يستعيد تسلسل أفكاره، سواء أكان يستطيع هذا أم لا، إلا أن هيئته ومظهره لم يتغيرا».

يقول «نوبار» إنه لم يكن فى استطاعتهم الإعلان عن جنون محمد على، ولم يكن أيضا الاعتراف بسلامة قواه العقلية، وتقرر عدم تغيير أى شىء فى سير الأمور من الناحية الشكلية، ولجأ النظار ورؤساء الإدارات فقط إلى «إبراهيم» لتلقِّى الأوامر أو عرض مقترحاتهم عليه، وطُرحت فكرة تكوين مجلس وصاية برئاسة «إبراهيم» إلا أن الأخير رفضه.

ووفقا لكتاب «الفرعون الأخير- محمد على» للكاتب الفرنسى «جيلبرت سينويه» الصادر عن «منشورات الجمل»، فإن تردد إبراهيم لم يدُم طويلا، فمجلس الوصاية شرع فى تأدية وظائفه بدءا من مثل هذا اليوم (١٥ أبريل ١٨٤٨)، وكانت الأوامر والقرارات تصدر باسم محمد على، لكن إبراهيم هو من أصبح يحكم، وكان ذلك يعنى أنه «نائب الباشا» افتراضًا.

أراد «إبراهيم» أن تكون له السلطة الفعلية وليس الوصاية، ويشرح «نوبار باشا» فى مذكراته، الدراما التى عاش فيها «إبراهيم» حتى يحقق ما يريد، قائلا إنه كان يخشى من فكرة شفاء والده الذى سيجعله يدفع حياته ثمنا لكل عمل فعله لتدعيم سلطته رسميا، لأن محمد على كان سيعدُّه اغتصابا للسلطة، وفكر «إبراهيم» بحكمة فوجد أن تكوين مجلس وصاية يستلزم تأييد وموافقة «الباب العالى» كى يصبح شرعيا، ويعترف به ممثلو القوى العظمى فى مصر، كما كان يمكنه أيضا استغلال الموقف وتقلُّد السلطة دون النظر إلى مجلس وصاية أو غيره، لكن هذا كان يستلزم أيضا تأييد وموافقة الباب العالى.

أمام هذا التحدى لم يكن أمامه سوى الذهاب إلى «القسطنطينية» لطلب الولاية، لكن كانت أمامه مشكلة العثور على حجة للسفر، وفى أثناء دراسته للبحث عن تبرير لسفره، داهمته إصابة قوية فى الرئة، وانتشرت «الكوليرا» بشكل مفاجئ فى الإسكندرية، واتخذ قراره فى الحال، إذ وجد فى انتشار المرض حجة مُثْلَى يبحث عنها للذهاب إلى الآستانة، فأصدر أوامره بتجهيز السفينة الحربية الوحيدة الباقية من الأسطول الذى كونه محمد على، ليبحر إلى الجهة التى تمنحه القرار الذى يريده.

١٦ أبريل عام ١٩٥٧
غرام السفير كمال الدين صلاح بالصومال
ينتهى باستشهاده فى مقديشيو

«كان مندوب مصر فى مجلس الأمم المتحدة بالصومال يعبر الشارع أمام بيته فى العاصمة (مقديشيو)، وفجأة هجم عليه رجل يحمل سكينا طويلة، وطعنه فى ظهره، وظل يطعنه إلى أن سقط مُضرَّجًا بدمائه، وتمكن بعض الذين رأوا الحادث من القبض على القاتل، أما مندوب مصر فقد كانت لديه بقية من قوة مد بها يديه إلى الوراء وانتزع السكين المغروسة فى ظهره، ولكنهم عندما وصلوا به إلى المستشفى، كان قد أسلم الروح».

«هكذا قرأ الناس مصرع السفير كمال الدين صلاح فى الصومال، وهو يحمل اسم الأمم المتحدة، ويمثلها فى إعداد شعب الصومال للاستقلال».

الكلمات السابقة كتبها الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين فى مقدمة كتابه «مؤامرة فى أفريقيا»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ويحكى فيه قصة استشهاد «كمال الدين صلاح» فى «مقديشيو» فى مثل هذا اليوم (١٦ أبريل ١٩٥٧)، بعد أن سافر إليها فى مَهمَّة سياسية دولية فوقع فى غرام «الصومال»، ووقع أهلها فى غرامه، وعبر هذا الغرام كتب قصة فريدة للدور المصرى فى أفريقيا، وصفحة مشرقة فى الدبلوماسية المصرية.

ولد كمال الدين صلاح فى ٢٨ مايو ١٩١٠، وبدأ حياته مناضلا فى الحزب الوطنى الذى أسَّسه «مصطفى كامل» حسب قول «فتحى رضوان» فى كتابه «نصف قرن بين السياسة والأدب»، وفى أبريل ١٩٥٤ كان قنصلا لمصر فى مرسيليا، وعندما تلقى قرار نقله إلى الصومال، لم يكن لمصر تمثيلٌ دبلوماسيٌّ فيه، لكن الأمم المتحدة كانت شكلت مجلسا للوصاية عليه يتكون من مصر والفلبين وكولومبيا لمراقبة نقله من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الاستقلال، وكان «كمال صلاح الدين» هو ممثل مصر فى هذا المجلس.

كان يكتب يومياته فى الصومال، ويرسل خطابات لزوجته، واعتمد «بهاء الدين» عليهما فى كتابه، وفى واحدة منها يتحدث عن جولته بسيارته فى أنحاء الصومال واختلاطه بالأهالى، وحديثه وصلاته معهم فى المساجد، ويصف أحوال الناس بالفقر الشديد، وعيش الكثير منهم على الفطرة كيوم هبط جدنا آدم إلى الأرض، ورؤيته لعشرات الألوف فى الغابات والمراعى شبه عرايا ليس على أبدانهم سوى ما يستر عوراتهم ويأكلون مما يحصلون عليه من جود الغابة.

اكتسب «كمال صلاح الدين» ثقة طوائف الصوماليين فى فترة قصيرة، وأصبح مستشارهم الأول فى كل شىء، ووضع لهم خطة اقتصادية لمعالجة الفقر، وخاض معهم معركة «اللغة»، فبينما كانت الأطراف الاستعمارية تريد أن تجعل من اللغة المحلية لغة رسمية، كانت الأطراف الصومالية الفاعلة تريد «العربية» لغة البلاد الرسمية، وساندها «صلاح الدين» فى ذلك أمام الأمم المتحدة.

أدى ذلك وغيره إلى أن يكون التخلص منه هدفا يسعى إليه ستة أطراف؛ هى: فرنسا، إنجلترا، إيطاليا، أمريكا، بلجيكا، وإثيوبيا، بهدف إنهاء الوجود المصرى، بعد أن التف الصوماليون حوله فى شخص «كمال صلاح الدين» فحدثت عملية الاغتيال، وودعه الصوماليون فى جنازة مَهيبة وصلوا عليه فى مبنى البرلمان، ورافق جثمانه وفد صومالى قابل الرئيس جمال عبد الناصر.

١٧ أبريل عام ١٥١٧
«سليم الأول» يستعد لنقل الصفوة إلى تركيا

سرت الشائعات المخيفة فى أرجاء القاهرة، بأن السلطان «سليم الأول» قرر أن يأخذ عددًا من المصريين معه إلى «إسطنبول» عاصمة الدولة العثمانية، فانقسم الناس حول تصديقها، وهناك من أكد أن «سليم الأول» لن يُقْدم عليها، فهو حقق حلمه بالسيطرة على مصر، وهناك من صدقها لقناعتهم بأن «سليم الأول» يستطيع أن يفعل أى شىء.

كانت الشائعة غريبة، وجاءت بعد عمليات القتل والنهب والتدمير التى اتبعها السلطان «سليم الأول» حين دخل القاهرة بجيشه، فأثارت ذعرًا بين الأهالى. سرت الشائعة فى مثل هذا اليوم (١٧ أبريل ١٥١٧)، ويتحدث عنها الكاتب الصحفى والمؤرخ حلمى النمنم فى كتابه «جذور الإرهاب- أيام السلطان سليم الأول فى مصر»؛ قائلاً: «كانت الشائعة غريبة ولغرابتها لم يصدقها كثيرون»، وفى يوم الجمعة الذى جاء بعد أول يوم سرت فيه، ثبت أن الأمر حقيقى، واجتمع عدد من رجال «سليم الأول» ووزرائه فى المدرسة الغورية لتحديد المسافرين إلى «إسطنبول»، واستدعوا المطلوبين، وكانوا من الصفوة الثقافية فى مصر، المتمثلة فى «القضاة والشهود»، بالإضافة إلى الحرفيين المهرة من الحرف المختلفة، مثل «المبلطين والمرخمين والحدادين»، وهؤلاء كانوا بمثابة المعلمين والمهندسين، فى وقت لم يكن فيه تعليم للهندسة.

يقـول «النمنـم»: «هـؤلاء هـم الذيـن أجـادوا الفنـون وأتقنوهـا وعلموهـا للأجيـال التاليـة، وهـم الذيـن أنشـئُوا البيـوت المملوكيـة والمسـاجد والمـدارس، وأبدعـوا المشربيـات والأبـواب والسـقوف والسـجاجيد وصنعـوا الصوانـى المكفتـة وغيرهـا».

اختـاروا أيضًـا رجـال الرأسـمالية المصريـة مـن كبـار التجـار الذيـن يقـودون حركـة نقـل البضائـع والتجـارة بـين مـصر ودول العـالم، ويبعثـون بالرحـلات لاستكشـاف الأسـواق والبضائـع الجديـدة، وطلبـوا جماعـة مـن أعيـان اليهـود، وكان اليهـود جـزءًا مـن نسـيج المجتمـع المـصرى، ويعملـون فى قرابـة ٢٥٠ حرفـة يدويـة، فضـلًا عـلى ممارسـتهم قرابـة ١٧٠ نمطًـا مـن النشـاط فى مجـالات الاقتصـاد والإدارة والتعليـم والتجـارة والمـال، وكان اليهـود موجوديـن فى الجهـاز الإدارى للدولـة بنسبة أعـلى مـن نسـبتهم السـكانية، وربـما لهـذا السـبب كـما يقـول «النمنـم»: «لم يطلـب العثمانيـون أى يهـودى، ولكـن طلبـوا مجموعـة مـن أعيانهـم».

كان الأمـر كلـه بمثابـة تفريـغ حقيقـى لمـصر مـن كوادرهـا الكبـيرة فى المجـالات المختلفـة، فى مقابـل تكويـن قاعـدة مـن الفنيـين والعلـماء تقـود النهضـة فى «إسـطنبول»، ممـا تـرك أثـره العميـق فى تراجـع مـصر وتأخرهـا.

فى المدرسـة الغوريـة التـى تـم اسـتدعاء المطلوبـين إليهـا، جـرى تحديد المسـافرين إلى «إسـطنبول»، ولم يتركوهـم للعـودة إلى بيوتهـم وأعمالهـم ثانيـة، بـل ألزمـوا كل واحـد منهـم أن يأتـى بضامـن يضمنـه، وكلـما أحـضر أحـد الضامـن لـه، يتـم إطـلاق سراحـه، وكان هـذا الأسـلوب هـو القيـد الـذى وضعـوه مـن أجـل ألا يفـر أحـد، فـإن تخلـف شـخص عـن السـفر أو امتنـع يأتـوا عـلى الفـور بالضامـن لمحاسـبته، بـما يعنـى أنـه لم يكـن هنـاك أمـام أحـد مجـال للاختيـار أو الاعـتراض عـلى السـفر، فالموضـوع كلـه مفـروض وواجـب النفـاذ، ودارت العجلـة وسـافر أول فـوج بعـد ثلاثـة أسـابيع.

١٨ أبريل عام ١٩٥٥
عبد الناصر يحضر باندونج ويرفض تحذير أمريكا باغتياله من الإخوان

جاء مسئول المخابرات الأمريكية، كيرميت روزفلت، إلى القاهرة وفى يده تقرير لجمال عبد الناصر، يحذره من مخطط لاغتياله ترتبه جماعة الإخوان فى أثناء وجوده فى إندونيسيا لحضور مؤتمر «الحياد الإيجابى» الذى عُقد فى مثل هذا اليوم (١٨ أبريل ١٩٥٥) بمدينة باندونج.

أراد «روزفلت» منع حضور «عبد الناصر» للمؤتمر بأى طريقة، وحسبما جاء فى كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لمحمد حسنين هيكل، حمل التقرير تفاصيل عن نشاط «الإخوان» وقوتهم فى إندونيسيا، ومعلومات مفصلة عن اجتماعات فى العاصمة الإندونيسية «جاكارتا»، وقررت فيها جماعة الإخوان فى مصر الانتقام من «عبد الناصر» بعدما حدث لها على أثر فشل محاولاتها لاغتياله عام ١٩٥٤، والقبض على كوادرها ومحاكمة المتورطين فى هذه المحاولة، وعلى رأسهم مرشد «الجماعة» المستشار حسن الهضيبى، فماذا كان رد فعل جمال عبد الناصر، على مسؤول المخابرات الأمريكية؟

يجيب هيكل، بأن «عبد الناصر» أزاح كل هذه التقارير والمعلومات جانبًا قائلًا: «لن أتخلف عن اجتماعات باندونج».

كان المؤتمر بداية لمرحلة التعاون الجماعى لدول العالم الثالث، وطريقًا إلى بروز كتلة عالمية جديدة لا تنحاز إلى حدة الاستقطاب بين الغرب بقيادة أمريكا، والشرق بقيادة الاتحاد السوفيتى، كما كان النواة الحقيقية لحركة عدم الانحياز. وحضر المؤتمر ٢٩ دولة، وشارك زعماء أبرزهم: الزعيم الهندى «نهرو»، والإندونيسى «سوكارنو»، والصينى «شوين لاى»، وجمال عبد الناصر، وكانت مشاركته هى سفره الأول خارج مصر بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولعب «عبد الناصر» دورًا كبيرًا فى إنجاح المؤتمر الذى كاد أن يفشل بسبب خلافات الرؤى، كما خاض معركة ضد دعوة إسرائيل للمشاركة فيه.

قبل انعقاد المؤتمر، وجه الداعون وكانوا خمس دول آسيوية، دعوة إلى إسرائيل بصفتها الآسيوية، فاتصل «عبد الناصر» بـ«نهرو» و«أونو»، رئيس وزراء بورما، موضحًا لهما أن حضور إسرائيل سيعنى عدم حضور الدول العربية، واقتنع «نهرو»، لكن «أونو» بعث إلى «عبد الناصر» رسالة يقول له فيها، إنه لا يستطيع سحب دعوة من بلد فى آسيا وجُهت إليه الدعوة فعلًا، فكتب «عبد الناصر» رسالة إليه يشرح فيها تركيبة إسرائيل، ودورها فى خدمة الاستعمار فى المنطقة.

عاد «أونو» يكتب لـ«عبد الناصر» بأن بقية الدول الآسيوية قد تُطلب حلًا يشمل حجة مقنعة لمنع إسرائيل من الحضور، ثم أضاف أنه قد لا يكون ملائمًا للعرب أن يفرضوا صراعهم مع إسرائيل على أصدقائهم فى آسيا وأفريقيا، ثم تساءل «أونو» عن الأساس الذى يمكن أن يرتضيه العرب لحل الصراع العربى الإسرائيلى، وبعث إليه «عبد الناصر» ليقول له إن العرب على استعداد لقبول قرار التقسيم، فإذا ما قبلته إسرائيل فإن الطريق يصبح ممهدًا، ويبدو أن «أونو» اتصل بإسرائيل وعرف رفضها القاطع لقرار التقسيم، حيث اتصل «أونو» بجمال عبد الناصر ليقول له إنه تأكد الآن أن إسرائيل مصممة على العدوان، ولا تريد حلًا معقولًا، ولهذا قرر بالتشاور مع «نهرو» وبقية المجموعة التى دعت إلى المؤتمر، سحبَ الدعوة الموجهة إلى إسرائيل.

١٩ أبريل عام ١٨٠٥
محمد علىّ يستقر فى منزله بالأزبكية
ويطالب خورشيد باشا برواتب جنوده

أشار «محمد على» إلى «الباب العالى» فى تركيا باسم «خورشيد باشا» حاكم الإسكندرية ليكون حاكما لمصر، فكان الصدى طيبا،واستحسن «السلطان» الاقتراح، فأصدر قراره بتعيين «خورشيد».

كان «خورشيد» موجودا فى الإسكندرية، ينتظر على أحر من الجمر، ولما بلغه قرار «السلطان» سارع إلى الرحيل من الإسكندرية مع حرس الشرف، ونزل من مركبه الشراعية فى الثانى من أبريل إلى بولاق بالقاهرة، وأدت له المدفعية التحية، ودخل إلى العاصمة بطريقة شرعية.

وفقا لكتاب «الفرعون الأخير» لـ«جيلبرت سينويه»، الصادر عن «منشورات الجمل» ترجمة عبد السلام المودنى، فإنه بعد قرابة عشرين يوما من دخول «خورشيد باشا» القاهرة، وصل رسول من «إسطنبول» بفرمان التعيين، ولأن وسائل الاتصال لم تكن بالسرعة المعروفة الآن، فقد كانت بعض القرارات فى أغلب الأحوال يتم إصدارها على مرحلتين، مرة شفهية أو برقية سريعة، على أن يتلوها «فرمان» مكتوب بالتفصيل، وهذا ما حدث مع «خورشيد باشا».

فى «الفرمان » الثانى المكتوب، كان النص: «تُسلَّم الحكومة فى مصر إلى أحمد خورشيد باشا، وقد اهتدينا فى اختيارنا هذا إلى ما نعرفه عنه من أهلية للتصرف، ومن استقامة وذكاء وحكمة إدارته».

علـى الرغـم ممـا شـمله «الفرمـان» مـن كلـمات شـكر وتقديـر واستحسـان فى حـق «خورشـيد باشـا»، فإنـه جـاء عـلى كتلـة مـن اللهـب، ومرحلـة اضطـراب شـديدة عاشـت فيهـا مـصر منـذ رحيـل الحملـة الفرنسـية ١٨٠١، وكان «محمـد عـلى» هـو الرجـل الـذى يديـر كل شـىء، فالسـلطة العسـكرية فى يديـه، وكان يخطـط للحظـة صعـوده للحكـم، بطريقـة جديـدة، تتمثـل فى أن يكـون حاكـمًا بـإرادة شـعبية بمقاييـس هـذا الزمـان.

لم تنعـم مـصر بالهـدوء، فالحكومـة لا تسـتطيع توفـير المـال، والبلـد مـوزع بـين «المماليـك» و«الألبـان»، وأضـاف «خورشـيد باشـا» إليهـم ميليشـيات جديـدة تُسـمى «الدلهيـون» أى «المجانـين» لإحـداث تـوازن مـع الآخريـن، وكانـت غالبيتها مـن الأكـراد، وبمجـرد دخولهـم إلى القاهـرة جلبـوا عليهـم سـخط الشـعب بسـبب سـوء نظامهـم وأذيتهـم للنـاس. أمـا محمـد عـلى فيبلغـه «خورشـيد باشـا» بدعـوة «البـاب العـالى» لـه وللقـادة العسـكريين الألبـان بالرحيـل عـن مـصر، لكـن بقـى هـذا «حـبرًا عـلى ورق»، وظـل «محمـد عـلى» فى مـصر يترقـب اللحظـة التـى يبـدأ منهـا طريقـه إلى الحكـم، وللوصـول إليـه كان يضـع كل «كـرات اللهـب» فى الطريـق أمـام خصومـه وحتـى حلفائـه دون أن يشـعروا.

كانـت كـرة اللهـب الأولى مـن محمـد عـلى، هـى مغادرتـه لمـصر العليـا ومعـه كل الألبـان الموجوديـن تحـت إمرتـه، زاحفـين إلى القاهـرة بذريعـة مطالبـة «الباشـا» برواتبهـم المتأخـرة، أمـا كـرة «اللهـب الثانيـة» فكانـت اسـتغلال البـدو للاضطراب الـذى يعصـف بالعاصمـة ليعيثـوا فسـادا فى مـصر السـفلى، وأمـا كـرة «اللهـب الثالثـة» فكانـت زيـادة التجـاوزات إلى حـد عـدم جـرأة أحـد حتـى لـو كان مسـلما عـلى الخـروج إلى شـوارع القاهـرة، وقيـام الجنـود بسـجن ضباطهـم ورؤسـائهم، ونهبهـم لكل شـىء موجـود أمامهـم فى الطرقـات والبيـوت، ولم يعـد لـ«الباشـا» أى سـلطة، وبلـغ الوضـع مرحلـة سـيئة جـدا، إلى حـد أنـه لا يمكـن أن يسـتمر طويـلا.

جـاءت كـرة اللهـب الرابعـة بـ«تَعسْـكُر» محمـد عـلى تحـت أسـوار طـرة يـوم ١٤ أبريـل، وتظاهـر أفـراد قواتـه بأنهـم لم يحـضروا إلا للمطالبـة برواتبهـم، وهـو مـا جعـل «الدلهيـين» لا يقابلونهـم بعـداء. وفى مثـل هـذا اليـوم (١٩ أبريـل ١٨٠٥)،

يدخـل «محمـد عـلى» بقواتـه إلى العاصمـة، ويسـتقر فى بيتـه بـ«الأزبكيـة»، ويوجـه فى اليـوم نفسـه إنـذارا إلى «خورشـيد» بتأديـة رواتـب الجنـود الألبـان التابعـين لـه.

كان ذلـك فى إطـار خطـة مُحكمـة يديرهـا الباشـا ليصـل إلى هدفـه وهـو «حكـم مـصر».

٢٠ أبريل عام ١٩٥٦
عبد الناصر فى السعودية وحاكم اليمن يسأله عن زواج فاتن حمامة وعمر الشريف

كان اللقاء بين جمال عبد الناصر والعاهل السعودى الملك سعود والأمير فيصل فى جدة، وكان عبد الناصر هو الذى سعى إلى اللقاء بعد أن تأكد من محاولات أمريكية للتفريق بينه وبين الملك سعود، فقرر السفر إلى السعودية فى مثل هذا اليوم (٢٠ أبريل ١٩٥٦).

كان نجم «عبد الناصر» يصعد بسرعة الصاروخ، وكانت أمريكا تسعى لوقف زحف تأثيره فى المنطقة، فقامت بتخويف الملك «سعود» من «عبد الناصر» والقول بأنه ثائر متطرف، وحسب كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، لمحمد حسنين هيكل، فإن «عبد الناصر» صارح الملك سعود والأمير فيصل فى كل شىء، وكان لمصر بعثة عسكرية فى السعودية، وقيل إن أفراد البعثة ينشرون دعايات معينة فى الجيش السعودى، فقال «عبد الناصر» لـ«سعود»: «أرجوك أن تعتبر نفسك قائدا أعلى لكل عسكرى مصرى يعمل فى السعودية، وإذا بلغك عن أحدهم شىء ولو بمجرد النظر، فلك أن تصدر أمرا بعودته إلى مصر، وثق أن ذلك لن يؤثر على علاقاتنا».

وأضاف عبد الناصر: «كل التقارير التى تصلنى تؤكد أن خطة الغرب الآن هى التفريق بيننا وعلينا ألا نعطيهم فرصة مهما كان الثمن»، ورد الملك سعود

بأنـه لم يصلـه شـىء عـن نشـاط غـير مرغـوب فيـه للبعثـة العسـكرية المصريـة، وبالعكـس فـإن لديـه مـا يؤكـد أنهـم أكثـر النـاس جـدا وإخلاصـا فى خدمـة المملكـة».

شـهدت الزيـارة حدثـا آخـر كان طرفـه حاكـم اليمـن الإمـام «أحمـد» الـذى دعتـه القيـادة السـعودية لحضـور اللقـاء، فالتقـى عبـد النـاصر لأول مـرة، وروى «الإمـام» لـ«عبـد النـاصر» كيـف تغلـب عـلى محنـة الانقـلاب عليـه الـذى قـاده ضابـط فى الجيش هـو «أحمـد الثلايـا»، حيـث تـم القبـض عليـه وحبسـه فى إحـدى غـرف القـصر، ورفـض أن يعطيهـم خاتـم الملـك «ومـد يـده وفـرد إصبعـه لكـى يـرى عبـد النـاصر الخاتـم فى إصبعـه، وكان خاتمـا مـن الذهـب يتوسـطه حجـر مـن العقيـق حُفـر عليـه اسـمه».

وبعـد عـدة أيـام سـمع الإمـام «أحمـد» ضجـة مـن الحريـم لأن الحـرس حاولـوا منـع إحـدى زوجاتـه مـن الخـروج، وغـلى الـدم فى عروقـه وصـاح: «لا يُعتـدى على النسـاء وأحمـد فى المدينـة»، ثـم هجـم عـلى أحـد الحـراس وانتـزع منـه سـلاحه، ومـضى صائحـا وهـو يجـرى: «الله أكـبر»، ولمـا وصـل إلى سـاحة القـصر والحـرس مـن حولـه مشـدود مأخـوذ، صعـد إلى بـرج عـالٍ يتوسـط السـاحة، وأخـذ مدفعـا رشاشـا مـن أحـد الجنـود وراح يطلـق النـار فى كل اتجـاه، وهـو يكـبر ويهلـل، وظـن النـاس والحـرس خـارج القـصر أن الانقـلاب فشـل،وأن «الإمـام» عـاد إلى مُلْكـه فتدفقـوا إليـه بالتأييـد وتـم القبـض عـلى قـادة الانقـلاب، وأطـاح بـرءُوس ٣٦ منهـم، وعلقهـا عـلى شـجرة أمـام القـصر عـبرة لمـن اعتـبر.

يقـول هيـكل، إن «عبـد النـاصر» كان يسـمع القصـة ويتابـع تفاصيلهـا مسـتغربا ومسـتمتعا فى الوقـت نفسـه، وتصـور أن المناقشـة يمكـن أن تتجـه بعـد ذلـك إلى موضوعـات أكثـر أهميـة، ولكـن «إمـام اليمـن» انتقـل إلى قصـة أخـرى فاجـأ بهـا «عبـد النـاصر».

التفـت «إمـام اليمـن» إلى الرئيـس جمـال عبـد النـاصر، وعـلى وجهـه ملامـح جـد – وسـأله: «بـالى مشغـول لأنـى لم أعـرف أخبـار مـصر»، ورد عليـه «عبـد النـاصر»: «مـصر بخـير»، لكـن شـاغل «إمـام اليمـن» كان شـيئا آخـر غـير

شـواغل «عبـد النـاصر» الـذى فوجـئ بالإمـام يسـأله: «هـل تزوجـت فاتـن حمامـة مـن عمـر الشريـف أو ليـس بعـد؟».

لم يكـن لـدى «عبـد النـاصر» جـواب علـن هـذا السـؤال المفاجـئ، فقـال لـه ضاحـكا: «الشـيخ الباقـورى ربـما يعـرف وقـد يسـتطيع أن يفتيـك فى هـذا الموضـوع»، كان الباقـورى وزيـر الأوقـاف ومرافقـا لعبـد النـاصر فى الزيـارة.

يعلـق «هيـكل» : «اتضـح أن إمـام اليمـن فى عزلتـه البعيـدة فى صنعـاء مدمـن لقـراءة المجـلات المصريـة، وأنـه يتابـع آخـر القصـص عـن حيـاة نجـوم المـسرح والسـينما فى مـصر، وأن حياتهـم الخاصـة تشـغله كثـيرا».

٢١ أبريل عام ١٨٠٠
معاهدة استسلام ثورة القاهرة الثانية..
والثوار يقتلون زعيمهم « البشتيلى»

قبض الفرنسيون بقيادة «كليبر» على الحاج «مصطفى البشتيلى» زعيم ثوار ثورة القاهرة الثانية، وطلبوا من أتباعه أن يقتلوه، لأنه السبب فيما حل بهم، فضربوه بالعصى حتى مات.

كان قتل «الثوار» لزعيمهم «البشتيلى»، وبأمر من الفرنسيين الذين احتلوا مصر (١٨٩٨-١٨٠١)، حدثا دراميا ومأساويا كبيرا، فالرجل الذى لبى نداء المقاومة وقاد، وحرك، ينتهى به الأمر على هذا النحو المأسوى.

كان «الحدث» خطوة فى طريق هزيمة الثورة، حيث تم فى مثل هذا اليوم (٢١ أبريل ١٨٠٠) توقيع اتفاقية مع كليبر على الاستسلام بعد وحشية الفرنسيين فى القتل، وتدمير وحرق القاهرة منذ أن بدأت الثورة يوم ٢٠ مارس.

تعهد كليبر بأن يُصْدر عفوا عاما عن جميع أهالى القاهرة، وعن المصريين الذين اشتركوا فى الثورة، ولكنه اشترط ألا يغادر المدينة أحد من المصريين بقصد اللحاق بالجيش العثمانى.

فى سيرة «البشتيلى» ما يدلنا على رجل ثائر بمقاييس وقتئذ، فهو تاجر من أعيان بولاق، وابن لمنطقة «بشتيل» لكنه كان مقاوما عنيدا، وحسب رواية

«الجبرتى» عنه: «تحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله من دعاة الثورة، وهيجوا العامة وهيّئوا عصيهم وأسلحتهم ورمّحوا وصفّحوا، وأول ما بدءُوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيين الذى تركوه بساحل البحر (النيل)، وعنده حرس منهم فقتلوا من أدركوه منهم، ونهبوا جميع ما به من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا إلى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا منها، وعملوا كرانك حول البلد ومتاريس».

اعتقله الفرنسيون قبل ثورة القاهرة الثانية، بعد أن فتشوا وكالته فوجدوا فيها قدورا مملوءة بالبارود، وأفرجوا عنه بعد فترة، ولم تهمد عزيمته بسبب الاعتقال، فقد خرج منه إلى التحريض مباشرة على الثورة.

«البشتيلى» بهذا الوصف كان قائدا ميدانيا لا يقبل الحلول الوسط، ولهذا كان تحريض «كليبر» للثوار على قتله بمثابة انتقام، وتصفية لهذا النوع من القيادة التى ترى فى المقاومة سبيلا وحيدا لمقاومة الاحتلال حتى يرحل، ومن هنا رأى «كليبر» فى قتله رسالة ترويع وعبرة للآخرين لإخماد الثورة نهائيا.

بعد توقيع معاهدة الاستسلام، أعد الأتراك والمماليك العدة للرحيل من القاهرة، ويقول «الجبرتى»: إنهم ارتحلوا بطريق بلبيس وسار معهم زعماء الثورة من المصريين، أمثال عمر مكرم نقيب الأشراف، والسيد أحمد المحروقى كبير التجار، وهاجر من العاصمة آلاف ممن توقعوا انتقام الفرنسيين، فتفرقوا فى البلاد، وكانوا محقين فى مخاوفهم لأن كليبر نقض عهده.

قبل أن يجف حبر معاهدة الاستسلام، أمر «كليبر» بالاقتصاص من سكان القاهرة جميعهم بفرض غرامات جسيمة بلغت ١٢ مليون فرنك، نصفها نقدا ونصفها عَرُوضًا، وألزم سكان المدينة بتسليم ٢٠ ألف بندقية و١٠ آلاف سيف و٢٠ ألف طبنجة ومصادرة أملاك السيد أحمد المحروقى كبير التجار، وفرض على السيد محمد السادات ١٥٠ ألف ريال، والشيخ مصطفى الصاوى ٥٠ ألف ريال، والشيخ محمد الجوهرى وأخيه الشيخ فتوح ٥٠ ألف ريال، وأمر بتوزيع الباقى على سكان المدينة على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم واعتقل خمسة عشر رجلا من كبرائهم رهينة لوفاء هذه الغرامة.

٢٢ أبريل عام ١٨٤٦
«إبراهيم باشا» فى باريس يبحث عن الصناعة والحب العُذْرىّ

وصل إبراهيم باشا ابن محمد على أخيرا إلى باريس، استقبله الشعب الفرنسى فى مثل هذا اليوم (٢٢ أبريل ١٨٤٦) بحماسة وألق تجاوزا المألوف.

استغرق موكبه من المحطة إلى قصر الإليزيه ساعتين، هكذا يصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير- محمد على»، الصادر عن منشورات الجمل، ترجمة عبد السلام المودنى. زيارة إبراهيم باشا إلى باريس، التى بدأت فى مثل هذا اليوم (٢٢ أبريل ١٨٤٦)، والتفاصيل أكثر تأتى فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة.

يقول نوبار: «فى باريس كانت الجموع تسرع نحو موكبه فى كل مرة يخرج فيها من قصر الإليزيه أو يدخل إليه».

كان «نوبار باشا» وزير ومستشار «محمد على» فى صحبة «إبراهيم» فى هذه الزيارة، وعبر أربعين يوما قضاها «إبراهيم باشا» فى فرنسا يكشف الكثير مما كان يحلم به «إبراهيم» لمصر.

خلال الأربعين يوما تعاقبت المقابلات والحفلات ودعوات العشاء دون توقف، بالإضافة إلى الزيارات الرسمية مثل زيارة مصنع «الجوبلان» للنسيج والسجاد، ثم بعض المصانع الأخرى.

يذكر نوبار، أن إبراهيم كان يبحث عن كل التفاصيل باهتمام شديد، ويناقش أدق الأمور وفى جيبه قطعة من الخبز كان يأكل منها أثناء زيارته

للمصنع، كان يعرف كل شيء يتعلق بالصناعة، وعلى علم بكل ما تحقق من تقدم فى هذا المجال، لأنه درس كل هذه المعلومات من خلال التقارير التى كانت تصل إليه مع القادمين إلى مصر من ذوى المكانة الرفيعة أثناء فصل الشتاء، ليحلوا ضيوفا على الوالى محمد على حيث كان «إبراهيم» يتجاذب معهم أطراف الحديث،ويؤكد نوبار: «أستطيع القول بأنهما لم يكونا بمعزل عن أى أمر يتعلق بالسياسة والتقدم العلمى فى أوروبا».

فى وقائع الزيارة، أن ملك فرنسا استقبل «إبراهيم» رسميا، وسهر مع العائلة الملكية الفرنسية، لكن «إبراهيم»، كان مشغولا بحال مصر بالمقارنة مع أوروبا التى رآها.

يقول «نوبار»، إنه رأى هذا الرجل الذى سفك الدماء وأشعل النار فى «المورة» يبكى عندما رأى الريف فى ضواحى مدينة «أجين»، فتصور أن الدموع نتيجة آلام عضوية انتابته فجأة، لكن إبراهيم قال له: «لا.. انظر كم هى جميلة!»، وبالفعل كان نهر «الدوردونى» ينساب وسط السهول والمزارع الخضراء، وعلى شاطئيه المحصولات الغنية بالخير والرخاء، وأكمل يقول: «إنى أبكى لأنى أرى هذه البلاد تنعم بالرخاء بينما مصر تعانى من البؤس على رغم أن أرضها أكثر خصوبة، سوف أغير كل ذلك إذا أمد الله فى عمرى».

كان لأحوال المرأة الأوروبية نصيب، يحكى «نوبار» أن إبراهيم روى له أنه كان ذات يوم فى لو كوكبى: يتنزه فى الريف فقابلته امرأة أعجبته فعرض عليها صرة من الذهب، ورفضت صحبته ونهرته، وتساءل: «هل يمكن أن يكون هذا ممكنا عندنا، فى الشرق نتحدث عن الحب العذرى والأبوى؟ إننا نخدع أنفسنا، إن البحث عنهما يجب أن يكون هنا».

٢٣ أبريل عام ١٩٠٨
رحيل قاسم أمين بعد عشر سنوات من الغضب

كـم مـن المآسـى تعـرض لهـا «قاسـم أمـين» بسـبب كتابـه «تحريـر المـرأة»! وصفـه معارضـوه بـ«الزنديـق» و«الفاجـر» و«الإباحـى»، ثـم امتـد الأمـر إلى مـا هو أفـدح، وفى كتـاب «أفـكار ضـد الرصـاص»، سلسـلة اقـرأ، دار المعـارف، القاهـرة لـ«محمـود عـوض»، نقـرأ واحـدة مـن تلـك المآسـى.

يقـول عـوض: «عندمـا عـاد قاسـم أمـين إلى منزلـه فى المسـاء أدرك بعـد خمـس دقائـق أنـه ارتكـب غلطـة فظيعـة، لقـد توقـع أشـياءَ كثـيرة، ولكنـه لم يتوقـع هـذا المنظـر الـذى يـراه أمامـه داخـل منزلـه فى شـارع الهـرم».

كان المنظـر عبـارة عـن رجـل غريـب يقـول لـ«قاسـم» ببسـاطة شـديدة: «أنـا عـاوز السـت بتاعتـك»، فـرد عليـه بهـدوء شـديد: «عاوزهـا فى إيـه؟»، رد الرجـل: «عـاوز أجتمـع بيهـا، عـاوز أختلـط معاهـا، عاوزهـا تخـرج معايـا»، ومـرت لحظات صمـت ووقاحـة قبـل أن يسـتأنف الرجـل الغريـب حديثـه مسـتفزا قاسـم أمـين: ألسـت تدعـو إلى سـفور المـرأة، إلى اختلاطهـا بالرجـال ومسـاواتها بهـم؟ ألسـت تنـادى فى كتابـك بـأن تنـزع المـرأة حجابهـا وتكسـب حريتهـا كاملـة؟ أليـس هـذا كتابـك «تحريـر المـرأة»؟ ورد «قاسـم أمـين» ببسـاطة: نعـم هـذا كتابـى، ولكنـك أسـأت فهـم أفـكارى فى هـذا الكتـاب».

صـدر كتـاب «تحريـر المـرأة» عـام ١٨٩٨، وتُـوفِّى «قاسـم أمـين» فى مثـل هـذا اليـوم (٢٣ أبريـل ١٩٠٨)، وبـين إصـدار الكتـاب ورحيـل صاحبـه، مضـت عـشر

سنوات واجه فيها معارك كبيرة، وكما يقول «عوض» فى كتابه: «خشى قاسم أن يتحمل وحده مسئولية إصدار الكتاب فعرض على صديقه «أحمد شفيق باشا» رئيس الديوان الخديو الذى تخرج فى مدرسة العلوم السياسية والحقوق بباريس أن يشاركه، ولكن الخوف تغلب على «شفيق» فاعتذر لأن «الأفكار لم تتهيأ بعد لقبول مثل هذه الدعوة».

تصدى «الكتاب» لقضايا تعليم المرأة وحجابها، لم يدْعُ إلى السفور وإنما دعا إلى «الحجاب الشرعى»، وقال عن تعليمها: «لست ممن يطلبون المساواة بين الرجل والمرأة فى التعليم فذلك غير ضرورى»، وطبقا لذلك كان مُصْلحًا أكثر منه ثائرا ومتمردا، وبالرغم من ذلك كله لم يرحمه أحد، ولم يجرؤ الكثير من أصدقائه على مساندته، وعاقبه الخديو «عباس حلمى الثانى» بمنعه من دخول قصر عابدين عقابا على «أفكاره الفاجرة»، أما الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وأحمد لطفى السيد فرغم موافقتهم على الكتاب، بل قراءته قبل طبعه، فإنهم التزموا الصمت فى مواجهة عاصفة الغضب ضده، فلم يجرؤوا على تأييده علنا، كما كان الزعيم مصطفى كامل من أشد أعداء دعوة «قاسم أمين»، وأفرد صفحات جريدته «اللواء» لعدة أشهر للهجوم عليه والتشكيك فى وطنيته، أما جريدة «المؤيد» التى تحمست للكتاب فى البداية، فانقلبت عليه وفتحت صفحاتها للمعارضين وكان على رأسهم «محمد فريد وجدى».

مات «قاسم أمين» بالسكتة القلبية وعمره ٤٣ عاما، وبعد رحيله تحولت أفكاره إلى «أيقونة» وحظى اسمه بشهرة النجوم.

٢٤ أبريل عام ١٩٠٨
أحمد حلمى يُصْدر جريدة «القطر المصرى»؛
فيصبح أول سجين رأى فى مصر

كان فى السابعة من عمره وقت عودته من «الكُتّاب»، فرأى جنود الاحتلال الإنجليزى يهاجمون بائع بطاطا جوالا، وينهبون تجارته وهو يبكى، ويحاول جمع ما يستطيع جمعه من تجارته المبعثرة، ولكنهم التهموا ما معه ولم يكتفوا بذلك، بل ضربوا البائع بالسكين، وعاد الطفل منفعلا ثم نام، وفى الصباح قص ما شاهده على خاله، فقال له: هؤلاء عساكر من الفرنجة جاء بهم الخديو ليحموه.

ألقت هذه القصة فى نفس «أحمد حلمى»- المولود فى فبراير ١٨٧٥- بغضا للإنجليز وكرها لـ«الخديو»، ولما شب أصبح ثائرًا وصحفيًّا، ويظل فى سجلات التاريخ أول مصرى يتم سجنه أربعة أشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية «الخديوية».

جاء الحكم على أثر تزعم «حلمى» لمظاهرة قوامها ٢٥ ألف مصرى خرجت يوم (٣١ مارس ١٩٠٩) احتجاجا على العودة للعمل بقانون المطبوعات الصادر عام ١٨٨١، وقضت المحكمة فى القضية نفسها بتعطيل جريدة «القطر المصرى» التى كان يملكها ويرأس تحريرها، وصدر العدد الأول منها فى مثل هذا اليوم (٢٤ أبريل ١٩٠٨)، كما شمل الحكم إعدام كل ما ضبط ويضبط من العدد «٣٧» للجريدة.

كانت الصحافة لـ«أحمد حلمى» ثورة يتنفس منها ضد الظلم، وكانت «الميادين» مجاله المفتوح فى الخطابة لتعبئة المصريين ضد الاحتلال وفساد الحكم، وفى كتاب «أحمد حلمى- سجين الحرية والصحافة»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، للدكتور «إبراهيم المسلمى»، نتتبع سيرة ثائر لم يكن رماديا فى نضاله.

كان «المحرر الأول» فى جريدة «اللواء» لسبع سنوات متصلة بدأت من العدد الأول لها عام ١٩٠٠، وارتبط بعلاقة وطيدة بمؤسسها الزعيم الوطنى مصطفى كامل، ويوم دفنه خطب على قبره بلوعة قائلاً: «صديقى، أخى، أستاذى، إمامى، انهض إلى تلك الجموع الهائلة، فاخطب بينها بلسانك الفصيح، تكلم فينا، لتُحْيى نفوسنا وتقوى عزائمنا».

وبعد رحيل مصطفى كامل، استقال من «اللواء»، ليصدر بعد ثلاثة أسابيع صحيفة «القطر المصرى»، ويحدد خطها السياسى فى: السعى بكل الوسائل لتقوية الارتباط بين المسلمين والأقباط، وتجنب البحث فى كل ما يجر الكلام على الأديان، أو تفضيل واحد منها على الآخر مراعاة لعواطف من يدينون به، والتقليل من مناقشة الجرائم وعدم التعرض لأشخاصها بقدر المستطاع، خصوصا إذا كانوا من الضعفاء الذين يكتب لهم ما ينشر بأسمائهم مما لا يستطيعون أن يقرءُوه مصريًا أو مُعرَّبًا.

شقت «القطر المصرى» طريقها بنجاح كبير، وصدرت فى البداية أسبوعية صباح كل جمعة، وبرغم الأمطار الشديدة التى صاحبت ظهور العدد الأول، فإنها وزعت بالكامل فى نفس اليوم، وأعيدت طباعتها، وكان ذلك أول مرة يعاد فيها طبع جريدة مصرية سياسية طبعة ثانية.

بعد ستة أشهر، وبالتحديد يوم ١٦ أكتوبر ١٩٠٨، تحولت إلى يومية، وبلغ أثرها حد أن الخديو عباس كان يقرؤها خلافا لعاداته، ولم يكن يطالع غيرها من الصحف المصرية، وكان ضباط الجيش من جمهورها، ولما منعتها الحكومة السودانية، كان الضباط يخفونها فى طيات ملابسهم.

٢٥ أبريل عام ١٩٢٥
أحمد لطفى السيد فى الجامعة العبرية
بدعوة من الحركة الصهيونية

كان للحركة الصهيونية نفوذ فى مصر فى عشرينيات القرن الماضى، واستمر بين صعود وهبوط حتى حرب ١٩٤٨، كان لها صحف، سياسيون، كُتّاب، مثقفون، وجالية يهودية تحتضن كل الأنشطة الصهيونية، وفى كتاب «وعليكم السلام- مصر وإسرائيل والعرب والمستقبل»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للكاتب محمود عوض، يكشف الكثير من هذا الفصل الغامض فى تاريخ الصراع العربى الصهيونى، يحدثنا مثلا عن أن «حاييم وايزمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية فى زيارته الثانية لمصر عام ١٩٢٥، رغب بمجرد وصوله للقاهرة فى زيارة بيت إسرائيلى، وأقامت اللجنة الإدارية لهذا البيت حفلة شاى تكريما للزائرين، ومنهم الكثير من كبار المشتغلين بالحركة الصهيونية فى مصر، وخطب «وايزمان» عن واجب يهود مصر نحو الحركة الصهيونية، مُنوِّهًا بالمساعى المشكورة التى يبذلها الحاخام الأكبر «ناحوم أفندى» فى سبيل الحصول على مؤازرة كبار الأعيان للصهيونية، ثم ألقى «الحاخام الأكبر» خطبة بليغة أعلن فيها رغبته الأكيدة فى الاشتغال للحركة الصهيونية فى مصر، وفى نشاط مماثل وصل إلى مصر وفد للمعلمين والمعلمات اليهود العاملين فى المدارس بالمستعمرات الصهيونية فى فلسطين، واهتمت الحكومة بهم اهتماما بالغا ونزل الوفد فى ضيافة وزارة المعارف.

كان النفوذ الصهيوني يحاول كسب مناطق نفوذ فى مصر كل يوم، وفى مثل هذا اليوم (٢٥ أبريل ١٩٢٥) قررت إسرائيل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس، ورأت أن يكون مهيبا وضخما ومؤثرا ويحمل دلالات عميقة، فوجهت الدعوة إلى شخصيات عديدة فى دول العالم، وحسب ما يذكره «عوض»: «كان تركيزهم الأول فى الشرق الأوسط على مصر، حتى يُشاع وهمًا بأن مصر تقف إلى جوار الحركة الصهيونية ضد شعب فلسطين».

بذلت إسرائيل جهودا مستميتة من أجل أن تحضر شخصية مصرية بارزة، فوجهوا الدعوة إلى الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية سابقا، لكنه أهملها، ثم وجهوها إلى الدكتور «أحمد زكى باشا» الملقب بـ«شيخ العروبة فى مصر»، فاعتذر لكبر سِنّه، وعدم تحمله مشقة السفر، فعرضوا عليه تسهيلات، لكنه قال لهم: «لن أحضر لحفلة تسىء لأهل فلسطين، الذين هم فى حالة حداد بسبب هذه الجامعة».

اخترقت «الحركة الصهيونية» مصر «من أعلى»، حيث قبلت الحكومة دعوة حضور افتتاح الجامعة العبرية، واختارت «أحمد لطفى السيد» مدير «الجامعة المصرية» ليمثلها.

كان الخبر صادما فى فلسطين، وفى رسالة حملت توقيع رئيس الجمعية الإسلامية فى نابلس قال: «إشراك لطفى بك السيد بافتتاح الجامعة العبرية باسم مصر، يؤلم الأمة العربية بأسرها، نرجو المحافظة على ما بيننا من حقوق اللغة والتاريخ والجوار والأخلاق والعادات».

هاجمت الصحف الوطنية المصرية «لطفى السيد» وحكومة «زيور باشا» التى أوفدته، وأمام غليان الغضب الشعبى، أصدر «لطفى» بيانا بعنوان: «الأستاذ لطفى السيد يدافع ويعتذر»، قال فيه إنه قَبِل الدعوة بارتياح اعتقادا منه أنها من معهد علمى لا علاقة له بالسياسة، لكن المبالغة فى الاحتفال كانت بالقدر الذى رآه انطوى على ترويج للدعوة الصهيونية.

٢٦ أبريل عام ١٩٦٠
العمال العرب يقاطعون السفن الأمريكية ردًا على مقاطعة «كليوباترا» المصرية

لجأت إسرائيل إلى مجلس الأمن الدولى عام ١٩٥٩ تشكو مصر لفرض سيادتها على معبر قناة السويس رغم أنه معبر دولى للملاحة البحرية، وعبر هذه السيادة لا تسمح لسفن إسرائيل بالمرور فى القناة.

رد جمال عبد الناصر فى حديث للصحفى الهندى «كارانجيا»، بأنه حتى لو حصلت إسرائيل على قرار من مجلس الأمن بحقها فى المرور من القناة، فإن مصر لن تنفذ، إلا إذا نفذت إسرائيل ما يخصها من قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم والخاصة بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة لأراضيهم أو تعويضهم.

أرادت إسرائيل أن ترد على تصميم «عبد الناصر»، بعدم استخدام إسرائيل لمعبر القناة، فقررت المواجهة فى أمريكا، وعبر علاقتها القوية مع اتحاد البحارة الأمريكيين، دفعته إلى إصدار بيان يعلن فيه مقاطعة عمليات البواخر المصرية فى الموانئ الأمريكية، وكان مخططها السرى أن تمتد عملية المقاطعة إلى دول أوروبا الغربية واليابان.

فى يوم ١٩ أبريل ١٩٦٠، دخلت الباخرة المصرية «كليوباترا» إلى ميناء نيويورك، تحمل شحنة من القطن المصرى طويل التيلة مُصدَّرة إلى أمريكا، ورفض عمال الميناء تفريغها تنفيذا للمقاطعة، وفشلت كل الجهود المصرية

لدى الحكومة الأمريكية لفك الأزمة، وكما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»: «ظلت الباخرة كليوباترا أياما طويلة على رصيف ميناء نيويورك يحيط بها طابور من أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين لمنع الاقتراب إليها، حتى لا تلجأ القنصلية المصرية فى نيويورك، وهى المكلفة برعاية أمرها، إلى أى ترتيبات أخرى لتفريغها، بغير واسطة أعضاء اتحاد البحارة الأمريكيين».

ارتفعت حرارة القضية، بعد أن انتقلت كلمتها إلى العمال العرب الذين سجلوا فيها واحدة من معاركهم المجيدة فى تاريخ النضال العربى، ففى مثل هذا اليوم (٢٦ أبريل ١٩٦٠) اجتمع اتحاد العمال العرب فى القاهرة، برئاسة «سالم شيتا» وهو ليبى الجنسية، وأسعد راجح (الأمين العام وهو يمنى الجنسية)، وقرر الاتحاد، حسب جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم ٢٧ أبريل ١٩٦٠، أن مقاطعة السفينة العربية «كليوباترا» عمل عدوانى ضد الدول العربية كلها، وأن الموانئ العربية بما فيها الدول العربية غير الممثلة فى الاتحاد ستقوم بتنفيذ قرار المقاطعة.

لم يكن القرار حبرا على ورق، ففى مصر قررت النقابات العمالية مقاطعة البواخر الأمريكية فى موانئ الجمهورية العربية المتحدة، وجرى تطبيقه فى موانئ الإسكندرية وبورسعيد واللاذقية والسويس، وانضمت إليه موانئ بيروت وطرابلس والعقبة والكويت والرباط وبورسودان وموانئ ليبيا وتونس واليمن والسعودية، بدرجة أصبحت معها المقاطعة العربية للبواخر الأمريكية شبه كاملة.

كانت الباخرة «إنتربرايز» تقترب من ميناء الإسكندرية، وتم إبلاغها بأن العمال ينتظرونها على الرصيف وهم يحملون لافتات تقول: «لا ماء، لا وقود، لا طعام، لا شحن، لا تفريغ، لا خدمات من أى نوع للبواخر الأمريكية»، فغيرت وجهتها لكنها وقعت تحت قبضة العمال فى ميناء بورسعيد، حيث كانت متجهة إلى الشرق الأقصى، وفى بيروت قاطع العمال باخرة «مولين فيكتورى» و«سانتا لوتشيا»، واضطرت باخرتان أخريان إلى التراجع، وفى اللاذقية قاطع العمال الباخرة «مونتويك».

٢٧ أبريل عام ١٩٣٥
استقالة شيخ الأزهر «الأحمدى الظواهرى»
بسبب مظاهرات «الجمعة اليتيمة»

أبلغ «زكى الإبراشى» ناظر الخاصة الملكية، الشيخ «الأحمدى الظواهرى»: «جلالة الملك اختار فضيلتكم لتكون شيخ الجامع الأزهر الجديد وهو شديد الثقة فيكم».

رد «الظواهرى»: «إنى مغتبط شديد الاغتباط بثقة مولاى الملك، فطلب الإبراشى: «أرجو من فضيلتكم مقابلة عدلى يكن باشا رئيس الوزراء فإنه يريد مقابلتكم»، وتمت المقابلة.

فى مذكرات «الظواهرى» بعنوان «السياسة والأزهر»، الصادرة عن دار الاعتماد، القاهرة، يحكى «الشيخ» أنه بعد قرار التعيين، قال له الملك أثناء زيارته له لشكره: «كنت أريد أن أعينك فى المرة الأولى ولكن يظهر ربنا أراد أن يمتحنك»، فرد عليه الشيخ: «إنى أحمد الله يا مولاى أن نجحت فى الامتحان، وإنى لعاجز عن شكر مولاى على الثقة الغالية التى وضعتها فى شخصى الضعيف».

قصة تعيين «الظواهرى» التى انتهت باستقالته من منصبه فى مثل هذا اليوم (٢٧ أبريل ١٩٣٥)، واحدة من القصص التى توضح حال الأزهر حين يصبح موضع اجتذاب بين القوى السياسية، إدراكا منها بأهميته لدى المسلمين داخليا وخارجيا.

فى يوليو ١٩٢٧ تُوفِّى شيخ الأزهر، الشيخ أبو الفضل الجيزاوى، وحسب كتاب «الأزهر- الشيخ والمشيخة»، لحلمى النمنم، أراد الملك فؤاد تعيين الشيخ الظواهرى للمنصب، لكن الحكومة كانت منحازة للشيخ «مصطفى المراغى»، وتعطل الأمر عشرة شهور بسبب وفاة سعد زغلول، حتى أصدر الملك قرار تعيين «المراغى» فى مايو ١٩٢٨، لكنه استقال يوم ٨ أكتوبر ١٩٢٩ بسبب رفض «الملك» مشروع قانون إصلاح الأزهر، وكان ذلك انعكاسا لرفض «فؤاد» للقانون الصادر يوم ٢٢ مايو ١٩٢٧، والذى ترك للملك حق تعيين شيخ الأزهر ولكن بناء على أمر يصدره وليس مرسوما ملكيا، ثم يصدر الأمر بناء على ترشيح رئيس الوزراء، بما يعنى شراكة بين الحكومة والملك فى إصدار القرار.

رد «الظواهرى» الدَّيْن لـ«فؤاد» فألغى القانون سنة ١٩٣٠، مما أعاد سلطة «الملك» على الأزهر، وتزامن ذلك مع تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزراء، وإلغائه العمل بدستور ١٩٢٣ ووضع دستور جديد معروف تاريخيا بدستور «١٩٣٠» ضمن للملك سيطرته الكاملة على الأزهر.

اجتمعت خصومتان فى توقيت واحد ضد «الظواهرى» أثناء شغله منصبه، واحدة من الأزهريين التقليديين لمحاولاته الإصلاحية، والثانية مع الأحزاب المعارضة لدكتاتورية إسماعيل صدقى، حيث وقف «الظواهرى» فى خندق «صدقى» والملك فؤاد، فتألب عليه الجميع.

احتشد الأزهريون فى مظاهرة بعد صلاة الجمعة اليتيمة أمام مسجد عمرو ابن العاص يوم ٥ يناير ١٩٣٥، وكان رئيس الوزراء إسماعيل صدقى يحضرها، هتف المتظاهرون ضد «الشيخ» يطالبون بإقالته و«إنقاذ الإسلام منه».

شعر «الظواهرى» بالحرج وأراد الاستقالة، لكن الملك فؤاد طالبه بالبقاء، فوافق حبا لـ«فؤاد» الذى كان أقرب المشايخ إلى قلبه وعقله، لكن الضغوط تواصلت وبلغت ذروتها بذهاب وفد من العلماء إلى القصر الملكى يطلب استقالة «الظواهرى»، وجاءت الاستقالة، ليعود المراغى شيخا للأزهر.

٢٨ أبريل عام ١٩٣٦
وفاة الملك فؤاد.. وزوجته نازلى تحطم قيودها وتنطلق

تلقى «سراى القبة» خطابا من الأمير «فاروق» الذى كان يدرس فى لندن، تسلم والده الملك «أحمد فؤاد» الخطاب وكانت سعادته به كبيرة، كان «فاروق» يبلغ من العمر وقتئذ ١٦ عاما، بينما عمر والده «فؤاد» ٦٨ عاما.

وضع «الملك» نظارته على عينيه فى الساعة الواحدة و٢٧ دقيقة، وضغط على زر الكهرباء لإضاءة المصباح المثبت بجوار مقعده، وتناول خطاب ابنه ليقرأه، وبسطه بيديه أمام عينيه، لكن تهدلت اليدان فجأة، وسقط الخطاب، فأسرع الأطباء لكنهم وجدوا أن «الملك» أُسلمت روحه فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا فى مثل هذا اليوم (٢٨ أبريل ١٩٣٦).

خرجت صحيفة الأهرام فى اليوم التالى (٢٩ أبريل) بصورة كبيرة لـ«فؤاد» فى الصفحة الأولى وعنوان: «مات الملك» وبجوارها صورة بنفس الحجم لـ«فاروق» وعنوان: «عاش الملك».

مات «فؤاد» وابنه لم يكن بجواره فى مصر، وكان المانع سياسيا، حيث كانت بريطانيا كبلد احتلال لمصر تضبط كل شىء وفقا لمصالحها ولما تريد، وتشير إلى هذا المعنى الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، قائلة: إن الملك والملكة أبديا رغبتيهما فى عودة الابن على وجه السرعة ليكون بجوار أبيه وقت احتضاره، ولكن لندن تمنعت فى ذلك، إذ لم تكن تضمن أن يعود إليها مرة أخرى.

كانت وفاة «فؤاد» نهاية فترة لرجل حكم مصر من عام ١٩١٧، ويمكن فهم سياساته فى ضوء ما ذكره السفير البريطانى فى مصر «اللورد كيلرن» فى مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب- سلسلة تاريخ المصريين، وقال فيها: «الملك فؤاد رغم أنه كان فى نظرى زبونا سيئا أحيانا، فإنه كان عاملا مهما جدا فى الموقف، لأننا كنا نستطيع أن نجعله يتصرف كما نريد فى النهاية، والواقع أنه كان أشبه بستار أخير بيننا وبين أحزاب مصر السياسية، وأى تصرف كنا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه».

يتحدث «كيلرن» عن مشاركته فى جنازة «فؤاد» حيث سار خلف النعش ساعتين، ومما كتبه عما رآه فيها: «طوال الطريق كانت تضايقنى أصوات النساء وهن يولولن وخاصة فى شارع محمد على، وقال لى صدقى باشا الذى كان يسير بجوارى إن هذا «الصُّوَات» ليس من الإسلام فى شىء، وأفزعنى أكثر من ذلك منظر الذبائح التى أحضروها وذبحوها أمامنا فى الشارع، ولم أنسَ بعد ذلك بسهولة هذه الحيوانات وهى تصارع الموت والدماء تغطى الشارع حول أقدامنا».

فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة يتحدث مؤلفه محمد التابعى عن جانب آخر من وفاة «فؤاد» قائلا: «لم تمض أسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الأوساطَ الخاصة المتصلة به، بأن «السجينة» حطمت قيودها وانطلقت، وهى لا تزال بعد ترتدى ثياب الحداد»، وكانت السجينة المذكورة هى الملكة نازلى زوجة فؤاد، التى كانت تقول لكل من تقابله وتأمن جانبه: «أنا سجينة الملك فؤاد».

٢٩ أبريل عام ١٩٤٥
هتلر يتزوج من عشيقته «إيڤا» ٤٠ ساعة وينتحران

كان «هتلر» يقود ألمانيا، وكانت «إيڤا براون» تعمل فى محل للتصوير بمدينة ميونيخ يديره مصور «هتلر» الرسمى، ولما رآها سألها: «آنسة إيڤا، هل تسمحين لى بدعوتك لحضور عرض الأوبرا معى، فأنا كما ترين محاط بالرجال، وأعلم أى نوع من المتعة يمكن أن أنعم بها فى صحبة امرأة؟».

تم اللقاء ليكون بداية قصة عشق بين الاثنين دامت نحو ١٢ عاما، ولم تظهر تفاصيلها إلا بعد انتحارهما سويا، بعد زواج رسمى تم فى مثل هذا اليوم (٢٩ أبريل ١٩٤٥) واستمر ٤٠ ساعة فقط.

وضع هتلر حدا لنهايته بإرادته وحدد طريقتها بعد تأكده من أن سقوط «برلين» فى أيدى القوات الروسية عام ١٩٤٥ أصبح أمرا منتهيا، كان السقوط هو هزيمة لـ«ألمانيا» ونازية هتلر، التى دمرت العالم بالحرب العالمية الثانية.

تركت الحرب ملايين الضحايا من طرفيها «المحور والحلفاء»، لكن حكاية العشق التى جمعت «هتلر» و«إيڤا براون» كانت دراما من نوع خاص، فبينما كانت دماء الملايين تسيل حول العالم بإشارة إصبعه، لم يكن عنيفا معها مطلقا، كان طفلا وديعا معها، يداعبها، فتداعبه، يصرخ فى وجه العالم بدمويته، ويهمس فى أذنها عشقا وغراما.

وحسب كتاب «مأساة إيفا براون»، الصادر عن عز الدين للنشر، بيروت لـ«سمير شنحاني»، الذى ينقل عن القاضى سهانو فى كتابه «عشرة أيام بين هتلر والموت»: «صوته الأجش الذى يرعب الملايين لم يكن ينزل على سمعها إلا بردا وسلاما، كان يدعوها ابنتى الصغيرة (باتشرلى)، ويداعب يدها تحت المائدة، ويمنحها السيارات والسائقين والخدم، ويضع تحت تصرفها قطارا خاصا».

كان يقول إنه لن يستطيع الزواج، لأنه تزوج ألمانيا، وأقنعها بذلك، لكنه أكد لها أنها ستبقى عشيقته إلى الأبد، وفى الوقت نفسه كان حريصا على ألا يعلم الشعب الألمانى عن وجودها فى حياته، وظل هذا الوضع قائما، «يعاملها هى كطفل مدلل»، وتقوم هى بتدليله فى خلواتهما فتنادى عليه (أدى)».

دراما انتحارهما معا بدأت حينما خرجت من حجرة هتلر فى المخبأ الذى كان يجمعه وأعوانه، كانت مشيتها هادئة، وعيناها تلمعان، وأعلنت: «ستسمعون اليوم نبأ تدهشون له».

بعد لحظات استدعى هتلر أمينة سره السيدة «يونغة»، وطالبها بكتابة ما يمليه عليها، وبقى الباب مفتوحا بحيث يسمع الجميع ما يقول: «أما بعد أن انتهت سنوات النضال والكفاح التى أبعدتنى عن فكرة الزواج وتبعاته وقيوده فقد قررت الآن قبل انتهاء أجلى، أن أتزوج هذه الفتاة التى ظلت السنين الطوال الصديق الصدوق، وجاءت بملء اختيارها إلى هذه المدينة المحاصرة لتشاركنى، وبمحض إرادتها ستسير معى إلى الموت».

تناول الجميع وجبة الغداء الأخيرة، واتشحت «إيفا» بالسواد وشحبت ملامحها، وارتدى هتلر سروالا أسود وسترة رمادية، وصافحهم واحدا وحدا بعد الغداء، وإيفا من ورائه، ثم دخلا إلى حجرتهما، ووقف الحارس على الباب، ثم استمع الجميع إلى صوت الرصاص.

انكبَّ هتلر على وجهه ورأسه على منضدة صغيرة ودماؤه تسيل، أما رأس إيفا فكان مسنودا على كتفه اليسرى وعيناها نصف مغمضتين، قتل «هتلر» نفسه «وقتل «إيفا براون».

٣٠ أبريل عام ١٩٤٣
رحيل «عبد الحميد الديب».. شاعر البؤس

نـذره والـده وكان جـزارا لتلقـى التعليـم الدينـى فى الأزهـر الشريـف، حتـى يصبـح عالمـا أزهريـا، فتلقـى تعليمـه فى «كُتَّـاب القريـة» قبـل بلوغـه سـن التاسـعة، وبعدهـا أرسـله إلى القاهـرة لنيـل الشـهادة الأهليـة مـن الأزهـر، لكـن حيـاة العاصمـة خطفتـه إلى طريـق البـؤس والتـشرد، ليكتسـب لقـب «شـاعر البـؤس».

ولـد «عبـد الحميـد الديـب» فى يوليـو ١٨٩٨، ورحـل فى مثـل هـذا اليـوم (٣٠ أبريـــل ١٩٤٣)، ومـن الميلاد إلى المـوت عـاش حيـاة دراميـة، وكتـب شعـرا جميـلا، واقـترب مـن قامـات كبـيرة كانـوا شـهودا عـلى حياتـه، ومـن أبرزهـم: عبـد الرحمـن الخميسـى، كامـل الشـناوى، محمـود السـعدنى، الفنـان سـيد درويـش، طاهـر أبوفاشـا، عبـد الحميـد قطامـش، محمـد عـودة، وآخـرون، وعـلى الرغـم مـن كل ذلـك عـاش حيـاة بائسـة، يلازمـه النحـس أينـما كان

فى كتابـه «صعاليـك الزمـن الجميـل» الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، يكتـب «يوسـف الشريـف» فصـلا طويـلا وشـاملا بعنـوان «عبـد الحميـد الديـب شـاعر تعقبـه النحـس»، يعتمـد عـلى شـهادات مـن عرفـوا هـذا الرجـل، الـذى لم يذكـره رثـاء فى الصحـف، باسـتثناء مـا ذكـره الشـاعر كامـل الشـناوى: «اليـوم مـات شـاعر تعـرى، واكتسـت الأضرحـة، جـاع وشـبعت الـكلاب».

يحكـى «أبوفاشـا» أن «الديـب» انكـب عـلى تـراث العـرب الشـعرى قديمـه وحديثـه حتـى حفـظ معظمـه، وعندمـا حـاول أن يقـرض الشـعر لأول مرة انسـاب

كالشلال على شفتيه سريعا وتلقائيا من وحى اللحظة، فكان الشعر لعبته وملهاته، يهفو إليه كلما استبد به الهم والشقاء، أو تطلع إلى الحب والطعام واستفزه أحد بكلمة نابية».

يقول «الشريف»: إن حال الديب خلال فترة الدراسة والتكوين والأمل المنشود، تلتها فترة من الانحراف عن الخط المستقيم الذى قدره لنفسه كشاعر واعد، حفلت بالمواجهات الصعبة، فبينما كان ينتظر أن يهبط عليه المال والمكانة، كان حظه السيئ أن هبط عليه الفقر والضياع.

عاش «الديب» ليله ونهاره يبحث عن لقمة العيش وأى مأوى يوفر له ساعات نومه، وحسب قول كامل الشناوى لـ«يوسف الشريف»، كان إذا عثر على عمل فى مصنع أو وظيفة فى الحكومة أو صحيفة، لم يكن ذلك تكريما لشعره، ولا إعجابا بموهبته، ولكن لمجرد الشفقة على ما يعانيه من محنة الفقر والجوع والضياع، ويعبر عن ذلك فى إحدى قصائده:

يا أمة جهلتنى وهى عالمة ... أن الكواكب من نورى وإشراقى
أعيش فيكم بلا أهل ولا سكن ... كعيش منتجع المعروف أفاق
وليس لى من حبيب فى دياركمو ... إلا الحبيبين أقلامى وأوراقى
لم أدر ماذا طعمتم فى موائدكم ... لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى
بين النجوم رجال قد رفعتهم ... إلى السماء فسدوا باب أرزاقى».

فى شعره الهجائى تجده لاذعا بما فيه الكفاية، وعلى سبيل المثال ألقى قصيدة فى اجتماع حاشد لحزب الوفد، وصفقوا له طويلا، لكن لم يجد أحدا منهم يعزمه على الطعام، فغير رأيه فى النحاس قائلا:

«راجع زمانك أيها الكأس.. ... فاليوم لا نحس ولا نحاس
لم يبق من مجد الزعامة كله.. ... إلا قميص أزرق ولباس».

كان «الديب» ساخرا كبيرا، وكامل الشناوى «عمدة الساخرين»، وصاحب أشهر المقالب، وكان لـ«الديب» نصيب منها، ويروى يوسف الشريف

نقــلا عــن «الشــناوى»، أنــه اصطحبــه إلى الفيــوم لأداء واجــب العــزاء فى شــيخ للأعــراب، وهنــاك كان اســتقبال المعزيــن القادمــين مــن بعيــد حــول موائــد العشــاء وفقــا للتقاليــد البدويــة.

انكــبَّ «الديــب» يعــوض نهمــه المكبــوت للطعــام، حتــى شــبع مــن أكل لحــوم الخــراف المشــوية والفَتَّــة، وبعدهــا جلــس إلى جــوار «الشــناوى» فى سرادق العــزاء للاســتماع إلى تــلاوة القــرآن الكريــم، وتحــت وطــأة الشــبع إلى حــد التخمــة غفــا فى النــوم.

تنبــه «الشــناوى» قبــل أن يــشرع «الشــناوى» فى الشــخير، وعندئــذ لكــزه فى جنبــه يحثــه عــلى اليقظــة والانتبــاه، ثــم أشــار إليــه أن يلقــى كلمــة عــزاء فى الفقيــد، فقــد كان خطيبــا مفوهــا، حيــث وقــف عــلى دكة خشــبية مرتفعــة يتطلــع إلى جمــوع المعزين وكان معظمهــم مــن أصحــاب العمائــم، ثــم صــاح بأعــلى صوتــه: «أيهــا النــاس، قال رســول الله (صــلى الله عليــه وســلم): إذا مــات عزيــز عليكــم فحلــوا عمائمكــم».

خيــم الصمــت عــلى الــسُّرادق، بينــما راح المعــزون يحلــون شــال عمائمهــم صاغريــن، ثــم ارتفــع صوتــه مــن جديــد: «فــإذا حللتــم عمائمكــم فأعيدوهــا كــما كانــت وضعوهــا فــوق رءُوســكم»، وفعلــوا.

كان فى الــسرادق عــالم أزهــرى أخذتــه المفاجــأة فحمــل عمامتــه هــو الآخــر، ومضــت دقائــق قبــل أن يتنبــه إلى أنــه لا صحــة للحديــث الــذى رواه «الديــب»، ووقــف يكذبــه، حتــى أمســك الحــاضرون بتلابيــب «الشــاعر البائــس» وأخــذوا يلقنونــه درســا قاســيا لــزم بســببه الفــراش شــهرا.

١ مايو عام ١٩٤٥
«جوبلز» وزوجته يقتلان أطفالهما الستة ثم ينتحران

عندما قرر الزعيم الألمانى «هتلر» وزوجته «إيفا براون» الانتحار، أبلغ وزير دعايته «جوبلز» بقراره، وأمره بمغادرة «برلين»، فكتب «جوبلز»: «أمرنى «الفوهرر» أى هتلر، بمغادرة برلين، كى ألعب دورا كعضو فى الحكومة الجديدة التى اختارها، ولكنى مضطر لعصيان أوامره، وتشترك معى زوجتى وأطفالى الستة فى هذا العصيان، فالإنسانية والولاء الشخصى تمنعنا من التخلى عن «الفوهرر» فى هذه الساعة من المحنة الشديدة».

«جوبلز» هو وزير دعاية هتلر، وأسطورة الحرب النفسية وصاحب مقولة: «اكذب حتى يصدقك الناس» و«كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسى».

هو صاحب الدعاية النازية الذى صور هتلر للألمانيين بأنه المنقذ، وأكدت ظاهرته أن الذى يملك وسائل الإعلام يملك القول الفصل فى الحروب وتعبئة الشعوب حتى لو كان ذلك ضد مصلحتها.

قرر «هتلر» الانتحار بعد دخول الجيش الروسى «برلين» ليكتب نهاية الحرب العالمية الثانية بهزيمة النازية فى ألمانيا، وأيضا قرر «جوبلز» مع زوجته التخلص من أطفالهما الستة قبل انتحارهما، لنكون أمام دراما إنسانية رهيبة.

فى كتاب «داخل الرايخ الثالث» لـ«ألبرت سيبر» وزير تسليح هتلر، الذى عرضته بتوسع مجلة «الهلال» فى مارس ١٩٧١، يحكى تفاصيل الساعات

الأخيرة فى المخبأ الذى كان هتلر ومعاونوه فيه، ويحكى كيف كانت نهاية «جوبلز» وزوجته وأطفالها.

يقول «سبير»، إن «جوبلز» وزوجته وأطفاله الستة كانوا يعيشون وقتئذ فى حجرة محصنة تحت الأرض ضيوفا على هتلر كى ينهوا حياتهم، ويضيف: «كان جوبلز أكثر قوة من هتلر ولم يُبدِ أية إشارة على أنه كان يعلق أهمية على البقاء حيا، اصطحبنى إلى قاعة صغيرة تحت الأرض حيث كانت زوجته نائمة على فراش بسيط، وشعرت بهمها الرهيب بسبب اقتراب الساعة التى عندها سيموت أولادها الستة».

فى مثل هذا اليوم (١ مايو ١٩٤٥) وفى الثامنة مساء، جاءت الساعة التى سينفذ فيها «جوبلز» وزوجته مخطط الانتحار.

كانت هى جميلة قوية العزيمة، وكان أطفالها يمرحون فى المساحة المتسعة أمام حجرتهم بالمخبأ، كانوا بالترتيب «هيلا ١٢ سنة، هيلدا ١١ سنة، هيلموت ٩ سنوات، هولد ٧ سنوات، هيرا ٧ سنوات، هايد ٣ سنوات»، وتبدأ أسماؤهم بحرف «الهاء» تأثرا بـ«هتلر».

استدعت الأم أطفالها، فقدت أعصابها لأنهم كانوا يمرحون فرحين، لكنها نبهت على إحدى صديقاتها من العاملات معها، بأن تساعدها لو أصابها ضعف عند قتل الأطفال، وفعلت الصديقة.

أوقفت الأم أطفالها عن اللعب، ورصتهم أمامها، وأمرت طبيبا موجودا فى المخبأ بحقنهم بإبر سامة، تم تجريبها قبل يوم واحد فى «كلب» هتلر.

تساقط الأطفال، وخرج «جوبلز» وزوجته من الغرفة، وبعد أن ودعا الجميع اتجها إلى الحديقة القائمة فوق الملجأ، وتولى أحد الجنود من الحراس إطلاق النار على رأسَى الاثنين، وحمل الحراس جثث الأطفال إلى حيث جثتى الأب والأم، وتم سكب أربع صفائح بنزين فوقهم واشتعلت النار فى الجميع.

٢ مايو عام ١٨٧٦
الخديو إسماعيل يقرر إنشاء «صندوق الدَّيْن»

حين تولى إسماعيل حكم مصر يوم ٢٠ يناير ١٨٦٣، أقام حفل استقبال ضخما لكبار الموظفين المصريين والقناصل، وألقى خطبة أعلن فيها أنه سيكرس كل قواه ودأبه لرخاء البلد، وقال: «إن النظام والاقتصاد فى النفقات هما أساس أية إدارة جيدة، وسأتابع بكل ما فى وسعى تطبيق هذا النظام والاقتصاد فى النفقات لكى أعطى مثالا للجميع»، فهل التزم «إسماعيل» بهذا الطرح ؟

فى كتابه «الإمبراطورية المصرية فى عهد إسماعيل»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة، يقول مؤلفه المؤرخ «محمد صبرى السوربونى»: «لم ينفذ إسماعيل الجزء الذى يؤكد فيه أن النظام والاقتصاد فى النفقات هما أساس أية إدارة جيدة»، ويضيف: «كان ذا طبيعة مزدوجة، وكان لديه تناقض بين ملكاته، خصوصا بين الذكاء والشخصية، وبين الإدراك والتنفيذ، ولذلك سنجده فى مجال المالية يدعو إلى الاقتصاد فى النفقات والتوفير طوال فترة حكمه، ولكنه بدد أموالا جمة، وكان يرى الفخاخ التى ينصبها المصرفيون الأوروبيون، ولكنه ترك نفسه يقع فيها».

ظل حكم إسماعيل يسير بثنائية «السفه فى الإنفاق» و«إنجاز المشروعات العظيمة»، كان «سفه الإنفاق» يأتى فى سياق يقول عنه «السوربونى»: «بعد وفاة محمد علىّ شغف ولاة مصر بحياة التهتك والملذات والاحتفالات الفخمة

التى لا يتصورها عقل، وكانوا يحبون متعتهم فى الأبهة والفخامة، ويصرفون ببذخ لإشباع ملذاتهم العارضة، ففى فصل الشتاء كانوا ينتهزون أية فرصة عيد ميلاد أو رجوع من سفر أو مجىء أحد الأجانب لإقامة الحفلات الراقصة وسباقات الخيل والولائم، وتغرق القصور فى الأنوار المبهرة، وكان ذلك كله يتناقض تناقضا كليا حادا مع البؤس الذى يعانى منه الشعب».

ترتب على «سفه الإنفاق» تراكم الديون على مصر فتغير مصيرها، وقاد إلى التدخل الأجنبى الذى هيأ الفرصة تماما فيما بعد لاحتلالها من بريطانيا، وكان من صور هذا التدخل السافر إنشاء «صندوق الدائنين» الذى اقترحه الوكلاء الماليون الفرنسيون، ووافق عليه «إسماعيل» وأصدر مرسوما به فى مثل هذا اليوم «٢ مايو ١٨٧٦».

وحسب كتاب «عصر إسماعيل» للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى: «كانت مهمة الصندوق أن يكون خزانة فرعية للخزانة العامة تتولى تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية، وخصص له إيراد مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط، وعوايد الدخولية فى القاهرة والإسكندرية، وإيراد جمارك الإسكندرية والسويس وبورسعيد ورشيد ودمياط والعريش، وإيراد أطيان الدائرة السنية».

ونص مرسوم إنشاء الصندوق على أنه يختص بتسليم النقود المخصصة لوفاء الديون العمومية، ويتولى إدارته مندوبون أجانب تنتدبهم الدول الدائنة، ويعينهم الخديو وفقا لهذا الانتداب، ونص على أن يقوم محصلو الإيرادات بتسليمها إلى «الصندوق» وليس وزارة المالية، وألا تصدر الحكومة أى تعديلات ضريبية تؤدى إلى نقص الإيرادات، ولا تعقد أى قروض جديدة ولا تصدر أى إفادات مالية على الخزينة إلا بعد موافقة إدارة الصندوق، وأن تكون المحاكم المختلطة هى الجهة المختصة للفصل فى الدعاوى المرفوعة من «الصندوق» ضد الحكومة خدمة لأصحاب الدين.

٣ مايو عام ١٩٥٨
عبد الناصر يتوضأ فى بيت خروشوف
ويصلى الجمعة فى مسجد بـ«موسكو»

فى منـــــزل الرئيـس السـوفيتى «خروشـوف» اسـتقبلت عائلتـه الرئيـس جمـال عبـد النـاصر الـذى كان فى زيـارة إلى الاتحـاد السـوفيتى، كان اليـوم «جمعـة»، وكانـت زوجـة «خروشـوف» وأولاده وأحفـاده فى سـعادة بالغـة للقـاء «عبـد النـاصر»، وقبـل صـلاة الجمعـة طلـب «عبـد النـاصر» التوجـه إلى «مسـجد موسـكو» للصـلاة، فصحبـه «خروشـوف» إلى حجرتـه الخاصـة للوضـوء، وذلـك حسـب جريـدة الأهـرام «٤ مايـو ١٩٥٨» وكان «الاتحـاد السـوفيتى» يأخـذ مـن «الشـيوعية» معتقـدا سياسـيا وقتـئـذ، واعتبرتـه الدوائـر الغربيـة والإسـلامية وقتهـا «دولـة ملحـدة».

كانـت هـذه واحـدة مـن وقائـع زيـارة عبـد النـاصر إلى الاتحـاد السـوفيتى التـى بـدأت فى نهايـة شـهر أبريـل ١٩٥٨، حسـب مـا نقلتـه جريـدة الأهـرام فى تغطيتهـا للحـدث، وكان مثـل هـذا اليـوم «٣ مايـو» هـو اليـوم الخامـس للزيـارة، وشـهد زيـارة «عبـد النـاصر» لجامعـة موسـكو، واسـتقباله بحفـاوة بالغـة، وهتافـات له من طلابهـا وأسـاتذتها، وفى المـدرج الرئيـس للجامعـة وأمـام ٣ آلاف طالـب خطبـت طالبـة باللغـة الروسـية، متحدثـة عـن الأثـر الكبـير الـذى أحدثتـه مقاومـة مـصر للعـدوان الثلاثـى ١٩٥٦، ثـم اختتمـت كلمتهـا بهتـاف قالتـه باللغـة العربيـة: «تحيـا الصداقـة العربيـة السـوفيتية»، وتحـدث عبـد النـاصر فالتهـب حمـاس الحاضريـن.

كانت الزيارة بعد شهور قليلة من الوحدة بين مصر وسوريا «٢٢ فبراير ١٩٥٨»، وتكون الوفد المرافق لـ«عبد الناصر» من مصريين وسوريين، أبرزهم أكرم الحورانى نائب عبد الناصر، والمعروف أن الاتحاد السوفيتى لم يكن إيجابيا نحو «الوحدة المصرية السورية»، وهاجمتها الأحزاب الشيوعية العربية، ومما يذكر فى ذلك أنه فى الوقت الذى أبرزت فيه الصحف الغربية الكبرى خبر «الوحدة» كمتغير هز منطقة الشرق الأوسط، نشرته صحيفة «البرافدا» لسان حال الحزب الشيوعى السوفيتى فى صفحة داخلية وبمساحة ١٣ سطرا.

وفى كتابه «سنوات الغليان» يتحدث محمد حسنين هيكل عن هذه الزيارة، مشيرا فيها إلى أن ثلاث قضايا تصدَّرت المباحثات، وهى: إسرائيل، والوحدة العربية، والأحزاب الشيوعية والعالم العربى.

ويشير «هيكل» إلى أن السوفيت حاولوا اختبار مدى التماسك بين الأعضاء المصريين والأعضاء السوريين فى الوفد المرافق لـ«عبد الناصر»، وراحوا يستكشفون ما إذا كان إلحاحهم على الوحدة قضية اقتناع بعيد المدى أم أنها ضغوط الظروف.

تناولت الزيارة قضايا كثيرة، منها خطة التصنيع فى دولة الوحدة، وكان تعليق السوفيت عليها بأنها «شديدة الطموح»، وتناولت مشروع إنشاء السد العالى، ومسألة التعاون النووى.

سأل السوفيت «عبد الناصر» عن نشاط «العلماء الألمان» فى مصر فى مجال صناعة الطائرات والصواريخ، وكانت مصر بدأت شوطا قويا فيها، واستقدمت علماء ألمانًا كبارا أسهموا فى تشييد صناعة الصواريخ فى بلادهم، واستخدمها «هتلر» فى الحرب العالمية الثانية.

رد «عبد الناصر» على أسئلة السوفيت حول العلماء الألمان: «أنتم هنا فى الاتحاد السوفيتى ومنافسوكم هناك فى واشنطن تسابقتم على العلماء الألمان، وإذا كنا قد استطعنا أن نقنع بعضهم بالذهاب إلى مصر، فإن هدفنا الأساسى كان ألا نتخلف عن تكنولوجيا الطيران والصواريخ، فهذا هو هدفنا بالدرجة الأولى».

٤ مايو عام ١٩٦٧

«مونتجُمْرى» يسأل عامر: فى أى حرب حصلت على لقب ماريشال؟

تبادل الرئيس جمال عبد الناصر مع القائد البريطانى الشهير الفيلد مارشال «مونتجمرى» ثلاث رسائل فى أواخر عام ١٩٦٦، تتعلق برغبته فى زيارة مصر فى الذكرى الـ ٢٥ لمعركة «العلمين» الشهيرة التى انتصر فيها على القائد الألمانى الشهير «روميل» فى الحرب العالمية الثانية، وطلب «مونتجمرى» من «عبد الناصر أن يزور ميدان المعركة.

رحب عبد الناصر بالقائد البريطانى، ولبى مطالبه بأن يصطحب معه بعض زملاء السلاح الذين شاركوه المعركة، وأن يرتدى زيه العسكرى الذى كان يلبسه أثناء الحرب، وأن يرفع علم قيادته أثناء الحرب على السيارة التى ستقله من القاهرة إلى «العلمين».

وصل «مونتجمرى» إلى مطار القاهرة يوم ٣ مايو ١٩٦٦ بملابسه العسكرية ونياشينه رغم تقاعده وعمره الـ٧٩ عاما، واصطحبه الفريق أول عبدالمحسن مرتجى قائد القوات البرية المصرية إلى المنصة الرئيسية، حيث عزفت الموسيقى «عظيم السلام»، وتفقد حرس الشرف من طلبة الكلية الحربية، ثم توجه إلى استراحة كبار الزوار بالمطار، ومنها إلى القصر الجمهورى ليقيد اسمه فى سجل التشريفات.

فى اليوم التالى من وصوله والذى يوافق مثل هذا اليوم «٤ مايو ١٩٦٧» أى قبل نكسة ٥ يونيه بشهر، سافر «مونتجمرى» إلى «العلمين» زار خلالها مقابر الجنود البريطانيين ووضع إكليلاً من الأزهار وألقى كلمة مؤثرة.

يتحدث «محمد حسنين هيكل» عن أجواء هذه الزيارة، وحواره خلالها مع القائد البريطانى الشهير فى كتابه «زيارة جديدة للتاريخ»، ويستوقفنا فى الحوار قضيتان أثارهما «مونتجمرى»، الأولى سؤاله لـ«هيكل»: لماذا يتحول الجنرالات عندكم إلى السياسة؟ ورغم توضيح «هيكل» للظروف التى قادت إلى ذلك، رد: «قد أكون على استعداد لفهم موقف «ناصر»، لكن هناك ضمن المجموعة ضابط آخر، أصبح «ماريشال سياسيا»، وكان يقصد «عبدالحكيم عامر»، وأضاف: «الماريشالية لا تكون إلا بقيادة الجيوش فى الميدان وليس من أى سبب آخر».

وفى مقال للمؤرخ العسكرى جمال حماد بـ«المصرى اليوم»، ١ مايو ٢٠١٠ تناول هذا الحدث بتفاصيل أخرى، قال «حماد»، إنه فى لقاء «مونتجمرى» بـ«عبد الناصر» كان «عامر» موجودا ورتبة «المشير» على كتفيه، والنياشين على صدره، وقدمه عبد الناصر إليه: أعرفك بـ«فيلد مارشال عبد الحكيم عامر»، فرد «مونتجمرى»: أعرفه، ثم توجه إلى عامر بسؤال: «فى أى حرب حصلت على اللقب؟»، فساد صمت طويل لم تقطعه إلا كلمات الترحيب بالضيف.

أما القضية الثانية، فتتعلق برفض زيارة «مونتجمرى» مقابر الجنود الألمان والطليان فى «العلمين»، ويبرر ذلك بقوله: الجنود والضباط الألمان والطليان الذين تضمهم المقابر، كانوا أعدائى وكنت أحرض جنودى على قتلهم، القتال ليس لعبة رياضية، وإنما هو أن تقتل عدوك أو يقتلك، وأن أجىء الآن وأزور قبور الذين طلبت من جنودى أن يقتلوهم وأطاعونى، فمعناه أننى أتلاعب بمشاعرهم، الألمان الأحياء قبلوا سلامنا ورضخوا له، أما الآخرون هنا «ألمان هتلر» فلا مساومة معهم أحياء وأمواتا.

٥ مايو عام ١٩٤٩
محاولة فاشلة لاغتيال الإخوان رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى

بعد اغتيال «محمود فهمى النقراشى باشا» رئيس الوزراء على أيدى جماعة الإخوان يوم ٢٨ ديسمبر١٩٤٨، استمرت موجة القتل والإرهاب فى عام ١٩٤٩، وكانت «الجماعة» هى التى تقف وراءها، وبدأ العام بمحاولة فاشلة لنسف محكمة استئناف القاهرة، فى يوم ١٣ يناير، والمعروف أن التنظيم الخاص للجماعة، هو الذى كان يدير وينفذ هذه المخططات الإرهابية، وفى يوم السبت ١٢ فبراير من العام نفسه، كان اغتيال حسن البنا مؤسس ومرشد الجماعة على أيدى مجهولين.

كانت رصاصات الإرهاب تتواصل من جماعة الإخوان، بما يعنى إدخال اللعبة السياسية كلها إلى منحى خطير، والمثير أن هذه الرصاصات كانت توجَّه إلى مصريين كوسيلة اختارتها «الجماعة» لتصفية خلافاتها مع خصومها.

كان مثل هذا اليوم «٥ مايو ١٩٤٩» من أيام رصاصات إرهاب الإخوان فى مصر، حيث شرع عدد من شباب «الجماعة» فى قتل رئيس الوزراء «إبراهيم عبد الهادى»، ويتحدث المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الثالث من كتابه «فى أعقاب الثورة المصرية- ثورة ١٩١٩» الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن هذه الحادثة قائلاً: إن جماعة من شباب الإخوان استأجروا خصيصا منزلا بمصر القديمة، يقع على الطريق الموصل من القاهرة إلى حلوان.

كان منـزل «إبراهيـم عبـد الهـادى» يقـع فى المعـادى، أمـا المنـزل «المسـتأجر» فاختـاره الشـباب فى مكانـه بمـصر القديمـة، حيـث يمـر «عبد الهـادى» عليـه يوميا، فى طريقـه مـن المعـادى إلى مقـر مجلـس الـوزراء، والعـودة منـه فى مـصر.

عـاش الشـباب عـدة أيـام فى البيـت المسـتأجر، يراقبـون الحـال، ويتابعـون تحـركات رئيـس الـوزراء، حتـى حـددوا موعـد تنفيـذ عمليتهـم الإرهابيـة باغتيالـه يـوم ٥ مايـو.

كان «عبـد الهـادى» مـن القيـادات البـارزة فى حـزب «السـعديين» الـذى كان يتزعمـه «النقراشـى باشـا»، ووفقـا لمذكـرات مرتـضى المراغـى آخـر وزيـر داخليـة قبـل ثـورة يوليـو ١٩٥٢، «شـاهد عـلى حكـم فـاروق»: كان تعيـين الملـك لـ«عبـد الهـادى» خليفـة لـ«النقراشـى» فى رئاسـة الـوزراء، يعنـى أن رئيـس الـوزراء الجديـد فى عزمـه شـىء واحـد، وهـو أن ينتقـم لزعيمـه، وأن يقـضى عـلى جماعـة الإخـوان، فشـنت الحكومـة عليهـم حملـة لا هـوادة فيهـا، وقبـض عـلى عـدد كبـير منهـم وأودعوهـم السـجون، وادعـى الكثـير منهـم أنهـم لاقـوا معاملـة وحشـية تناولـت تعذيبهـم وضربهـم وحرمانهـم مـن الطعـام وزيـارة الأقـارب، ولم ترهـب الحملـة الإخـوان، فـأرادوا أن يعملـوا عمـلا يحـدث دويـا مروعـا يـدل عـلى أنهـم أقويـاء، وأن «حكومـة عبـد الهـادى لا تقـدر عـلى قـص جناحهـم».

فى اليـوم المحـدد لتنفيـذ عمليـة اغتيـال «عبـد الهـادى» راقـب «شـباب الجماعـة المكلـف بالتنفيـذ»، والمقيـم فى المنـزل المسـتأجر بـ«مـصر القديمـة»، سـيارة رئيـس الـوزراء، ومـرت سـيارة ظنوهـا سـيارته، فهاجموهـا بإلقـاء القنابـل، وإطـلاق الرصـاص عليهـا مـن مدفـع رشـاش، فبـادر سـائق السـيارة بـالإسراع بهـا، فتفادى الرصاصـات الكثيفـة، ونجـا مـن فيهـا.

كانـت المفاجـأة أن السـيارة لم تكـن سـيارة «إبراهيـم عبـد الهـادى باشـا»، وإنـما سـيارة «حامـد جـودة» رئيـس مجلـس النـواب، الـذى لم يُصَـب بسـوء.

٦ مايو عام ١٩٥٢
نقابة الأشراف تعلن: نَسَب الملك فاروق إلى «الحسين»

«الفـاروق يجمـع بـين مجـد الملـك وشرف النسـب»، كان هـذا هـو عنـوان كبـير لموضـوع صحفـى نشرتـه صحيفـة الأهـرام فى عددهـا الصـادر فى مثـل هـذا اليـوم «٦ مايـو ١٩٥٢»، وتنـاول اكتشـافا توصلـت إليـه «نقابـة الأشراف» برئاسـة «محمـد البيـلاوى» وهـو ثبـوت نسـب الملـك فـاروق إلى «آل البيـت».

قـال نقيـب الأشراف، إنـه تـشرف بمقابلـة «مولانـا المعظـم» بقـصر القبـة الملـك «فـاروق»، ورفـع لجلالتـه تقريـرا عـن تحقيـق نسبه، وقـرار نقابـة الأشراف فى هـذا الشـأن، وأضـاف «البيـلاوى»، أن سـعادة «حسـين الجنـدى باشـا» وزيـر الأوقـاف الأسـبق أثنـاء تولِّيـه الـوزارة، لاحـظ أن اسـم المغفـور لـه محمـد شريـف باشـا الكبـير يبـدأ باسـم السـيد «محمـد شريـف»، فدعـاه ذلـك إلى الاتصـال بـى، وبحـث الأسـانيد الموجـودة بالـوزارة والموضوعـات التاريخيـة، فـدل البحـث عـلى أن تلقيب «شريـف باشـا» بـ«السـيد» منشـؤه أنـه مـن سـلالة الإمـام «الحسـين بـن عـلى (رضى الله عنـه)، وثبـت لنقابـة الأشراف صحـة هـذا النسـب، وأصـدرت قـرارا بثبـوت نسـب حـضرة صاحـب الجلالـة الملـك المعظـم إلى السـلالة النبويـة الشريفـة.

قـرأ «البيـلاوى» قـرار النقابـة الـذى جـاء فيـه، أن السـيد «فـاروق الأول» ملـك مـصر والسـودان، هـو ابـن السـيدة «نـازلى» بنـت السـيدة «توفيقـة» بنـت السـيد «محمـد شريـف باشـا» الـذى ينتهـى نسـبه إلى سـيدنا «عبـد الله الحسـين السِّبْط»، ولهـذا قـررت النقابـة صحـة نسـب حـضرة صاحـب الجلالـة السـيد «فـاروق الأول»

ملك مصر والسودان ابن السيدة «نازلى» بنت السيدة «توفيقة»، بنت السيد «محمد شريف باشا»، ابن السيد أحمد سعيد، ابن السيد محمد شريف، إلى الإمام سيدنا ومولانا الإمام «عبد الله الحسين السبط»، ابن سيدتنا «فاطمة الزهراء»، بنت سيدنا ومولانا محمد رسول الله المصطفى الأمين بالشهرة والتواتر، وأعقب جلالته حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولىّ عهد مصر والسودان، وأمير الصعيد وأميرنا بتسجيله بسجل الأنساب طبقا للمجتمع.

تضع الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر» الصادر عن دار الشروق، القاهرة، هذه القضية فى سياق أشمل من مجرد العثور على نسب «فاروق» إلى الأشراف، وتقول، إن «كريم ثابت» مستشار الملك شارك وزير الأوقاف الأسبق «حسين الجندى» فى هذا البحث، وتم إدخال كلمة «السيد» على الدعاء لـ«فاروق» فى المساجد، وتضيف: «كان ذلك من سخريات القدر، بأن سليل آل البيت يغوص فى الملذات».

كان «فاروق» يحاول استعادة شعبيته المفقودة، بربط نفسه بقضايا ذات طابَع دينى، مثل الحرص على حضور المناسبات الدينية، وأمره بقيام صلاة خاصة من أجل القضية الإندونيسية، حيث كانت قوات الاحتلال الهولندى تشن عمليات حربية ضد شعب إندونيسيا فى مقاومته من أجل الاستقلال، وجاءت مسألة نسبه إلى الأشراف فى هذا السياق، لكن وكما تقول الدكتورة لطيفة سالم: «جاء كل ذلك بنتيجة عكسية، فصورته الخاصة امتلأت بأنواع اللهو المختلفة».

٧ مايو عام ١٩٤٥
ألمانيا توقع صَكَّ استسلامها فى الحرب العالمية ظهرًا

كانت الساعة الثانية والدقيقة الواحدة والعشرين بعد الظهر، حسب التوقيت الفرنسى، فى مثل هذا اليوم «٧ مايو ١٩٤٥»، حين تم توقيع صك استسلام ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، أما المكان الذى شهد هذه اللحظة فكان فى دار مدرسة صغيرة، هى مركز قيادة الجنرال «إيزنهاور»، قائد القوات المشتركة لدول الحلفاء فى هذه الحرب.

كان هذا الاستسلام بمثابة انتهاء الحرب بعد ٥ سنوات و٨ أشهر و٦ أيام، سقط خلالها ما بين ٦٢ و٧٨ مليون قتيل، كما جاء بعد ٥ سنوات و٧ أشهر و١٨ يومًا من قول الزعيم النازى الألمانى هتلر: «عدد الأسرى البولنديين يزداد دقيقة بعد أخرى، فيرتفع من ٥٠ ألف أسير فى الدقيقة إلى ٧٠ ألفًا، فـ ١٠٠ ألف، ويهددنا الإنجليز بأن الحرب ستطول إلى ثلاث سنوات، ولكن مهما دامت، فإن كلمة التسليم لن تخرج من فم ألمانى حتى لو استمرت الحرب أربع أو خمس أو ست أو سبع سنوات».

قال «هتلر» كلماته بفخر وخُيلَاء، كأنه يمسك النصر بيديه، وأنه لن يغادره أبدًا، لكنه وبعد حصار الجيش الروسى «الأحمر» لمدينة برلين وغزوها، لم يجد مفرًا من الاستسلام الذى وقع بعد أن أقدم على الانتحار يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥.

فى تفاصيل توقيع صك الاستسلام كان كل شىء معدًا لإذلال ألمانيا بجدارة، وحسب تغطية صحيفة «الأهرام» للحدث فى يوم «٨ مايو ١٩٤٥»: لم يحضر «إيزنهاور» قائد الانتصار لحظة التوقيع، لكنه استقبل القائدين الألمانيين اللذين وقّعا عليه، وهما الجنرال «بودل»، والجنرال «هانس فريدبيرج»، وسأل الاثنين قبل توقيعهما عدة مرات عما إذا كان يدركان بدورهما أهمية شروط الاستسلام المفروضة على ألمانيا، وإذا كان فى استطاعتهما تنفيذها، فردا: «نعم، نعم»، وبعد التوقيع طلب الجنرال «بودل» أن يتكلم، فلما سمح له بهذا قال بألم وحسرة: «بتوقيعى هذا أضع مصير الشعب الألمانى والقوات المسلحة الألمانية فى أيدى الظافرين».

كان الصك الأول للاستسلام يتألف من ١٥ صفحة كبيرة، ويُعنى بكل ما يحتمل أن يخرج عن اتفاق السلاح، ويضمن صك الاستسلام الثانى تعيين المكان الذى يتم فيه تسليم البحرية الألمانية بما فى ذلك الغواصات الكبيرة بصفة رسمية إلى الحلفاء، ويشير بإسهاب وتفصيل إلى أماكن وجود القوات المسلحة الألمانية، ويجرد القوات الألمانية من الأسلحة القتالية.

كانت شروط الاستسلام تعنى إدخال ألمانيا لسنوات مقبلة من المعاناة والصعوبات الكبيرة، وهذا بالضبط ما أشار إليه وزير الخارجية الألمانى «شفيرين فون كروسيك» فى بيانه للشعب الألمانى، والذى قال فيه: «يجب ألا يخامر أحدا منا شىء من الغرور أو الوهم بشأن صرامة الشروط التى سيفرضها أعداؤنا على الشعب الألمانى، فمن واجبنا الآن أن نواجه مصيرنا مواجهة صريحة، ولا يمكن أن يشك أحد فى أن المستقبل سيكون شاقًا لكل واحد منا».

٨ مايو عام ١٩٤٣
«النحاس» باشا يلغى قرار إغلاق «شُعَب الإخوان»

فى لقاء عاجل مع مصطفى النحاس باشا، زعيم حزب الوفد ورئيس الوزراء، طلب السفير البريطانى اعتقال حسن البنا، مرشد جماعة الإخوان، ومطاردة أنصاره، لأنهم نشطون فى الدعوة للألمان ضد الإنجليز «أثناء الحرب العالمية الثانية».

عن قصة هذا اللقاء يتحدث «النحاس» فى مذكراته الصادرة عن دار العصور الجديدة، القاهرة ، تحقيق أحمد عز الدين، قائلا، إنه طلب من مدير الشئون الدينية أن يستدعى «البنا»، فأبدى فؤاد سراج الدين رغبته فى أن يلتقى أولا بوكيل «الجماعة» أحمد السكرى، وتم اللقاء فى منزل فؤاد باشا، ليسفر عن لقاءٍ ثانٍ فى نفس المكان بين «النحاس» و«البنا».

يقول «النحاس» فى مذكراته: «تحدث الشيخ حديثا دينيا روحيا خرج من قلبه، فصادف هوًى فى نفسى، واسترحت إليه، وأكد أنه هو وجماعته وأنصاره لا يهتمون إلا بأن تكون بلادهم حرة، خالصة من كل غُلّ».

تأثر «النحاس» بما سمعه من «البنا» فقال له: «لن أعتقلك، ولن أمسَّك بسوء، أو أقف حجر عثرة فى طريق دعوتك، وكل ما أطلبه منك أن تجعل دعوتك خالصة لوجه الله، وأن تأمر أتباعك بألا ينشطوا ضد أى جهة من الجهات، حتى إذا حان أوان الجهاد كنت معك ومؤيدك فى سبيل الكفاح لإعلاء كلمة الله، ومادمتُ على رأس الوزارة فلن يمسك سوء».

ويزيد «النحاس» بقوله: «خاطبني السفير وألحَّ عليّ في اعتقاله، ومصادرة أموال الجماعة، والقبض على رؤسائها فرفضت، وقلت له: «أنا مسئول عن تصرفاتها»».

هذه القصة التي يذكرها النحاس باشا في مذكراته تدخل ضمن طبيعة العلاقة بين «الوفد» و«الإخوان» قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. كان «الوفد» هو أكبر الأحزاب المصرية وقتئذ، وكانت «الجماعة» تثبت أقدامها بقوة، وتحاول الزحف إلى قمة المشهد السياسي الذي يتحكم فيه طرفان رئيسان، هما القصر الملكي، والسفير البريطاني، وفي عموم الحالة الحكايات بين «الوفد» و«الإخوان» فيها مناورات وتحالفات وتباعد واقتراب.

ومن صور التباعد قرار لـ«النحاس» في فبراير ١٩٤٣ بإغلاق «شُعَب الجماعة»، والإبقاء فقط على المركز العام، وإن ظل مراقبا، ثم يلغي قراره ويسمح لـ«الإخوان» في مثل هذا اليوم «٨ مايو ١٩٤٣» بعقد مؤتمراتهم، ويرى البعض أن هذا القرار استفادت منه «الجماعة» كثيرا في الانتشار الذي ازداد وتواصل حتى الآن، فلماذا جاء هذا التحول؟

في دراسة له عن «الإخوان والوفد» - منشورة بجريدة «اليوم السابع» - يضع الدكتور حمادة حسني، أستاذ التاريخ بجامعة قناة السويس، قضية «الكتاب الأسود» الذي وضعه مكرم عبيد باشا، ويشتمل على ما وصفه بـ«فساد الوفد»، ويقول إن «النحاس» خشي أن يؤيد الإخوان مكرم عبيد، وأن يتضامنوا معه مستغلين «الكتاب الأسود»، فسعى «النحاس» إلى الحصول على تأييد الإخوان، والتحالف معهم فألغى قرار «إغلاق الشُّعب».

٩ مايو عام ١٩٦٤
«خروشوف» يبكى.. ويسخر من عبد السلام عارف

وصلت الباخرة التى تقِلُّ الزعيم السوفيتى «خروشوف» إلى ميناء الإسكندرية صباح مثل هذا اليوم «٩ مايو ١٩٦٤»، كان الوفد المرافق له كبيرا ورفيعا، وكان الحدث الذى سيشارك فيه فى مصر عظيما، وهو انتهاء المرحلة الأولى من مشروع السد العالى.

كان الكاتب الصحفى «محمد حسنين هيكل» مصاحبًا لـ«خروشوف» منذ بدأ إبحار الباخرة من «يالتا»، بوصفه رئيسًا لتحرير صحيفة الأهرام، مما أتاح له أن يتحدث فى كتابه «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، عن هذه الزيارة من زوايا متعددة، فعلى ظهر الباخرة قال «خروشوف» لـ«هيكل»، إن تقارير وصلته بأن الحكومة المصرية تقلل من أهمية وصوله إلى مصر، فنفى له هيكل ذلك.

وفى كتاب «السد العالى- هرم الإرادة المصرية»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يذكر المؤلفان محمد الشافعى ومحمد يوسف، أن المشير عبد الحكيم عامر كان فى استقبال الباخرة على ظهر زورق حين وصلت إلى الإسكندرية، مما دفع «خروشوف» إلى القول: «من الواضح أن جمال عبد الناصر يلتزم بالبرتوكول، لأنه أرسل لاستقبالى المشير عامر، لأنه رئيس دولة وأنا رئيس وزراء»، وعندما صعد «عامر» إلى ظهر الباخرة سأله خروشوف عن عبد الناصر، فأجاب بأنه فى انتظاره على رصيف الميناء،

فابتهج.

وصل «خروشوف» إلى القاهرة بالقطار من الإسكندرية، واخترق الشوارع من السكك الحديدية إلى قصر القبة، وجماهير غفيرة كانت فى استقباله على طول الطريق المؤدى إلى «القبة»، مما جعله يقول لـ«هيكل»: «لم أرَ فى حياتى ما رأيته اليوم»، وبعد خمسة أيام وفى يوم ١٤ مايو تحديداً، كان الحدث التاريخى بتحويل مجرى النيل والانتهاء من بناء المرحلة الأولى من مشروع السد.

كانت مدينة أسوان وقتئذ محط أنظار العالم كله، وفيها تزاحم مئات الآلاف من المصريين والوفود الإعلامية العالمية وسفراء العالم فى مصر، وحضر «خروشوف» والرؤساء، العراقى عبد السلام عارف، والجزائرى أحمد بن بيلا، واليمنى عبد الله السلال، وفى تمام الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا، مد الزعماء أيديهم مع يد عبد الناصر على الزر المخصص لنسف السدين المؤقتين فى مدخل قناة التحويل، لتؤكد مصر للعالم انتصار إرادتها فى معركة السد الخالدة، حيث رفضت أمريكا والبنك الدولى تمويله.

خطب «خروشوف» فى الاحتفال بلغة روسية، وكان يتوقف بين جملة وأخرى حتى يستطيع مترجمه أن يعيد للجماهير ما قاله رئيسه بلغة عربية ركيكة لم تكن تثير سامعيه.

وخطب «عبد الناصر» و«بن بيلا» و«عارف»، ويحكى «هيكل» أنه بعد انتهاء مراسم الاحتفال عاد «خروشوف» إلى فندق «كارتاراكت» للاستراحة، واستدعاه ليسأله: لم أفهم حماسكم الزائد لـ«عارف»، هل ستظل العنزة معنا طوال الرحلة؟ فسأله هيكل عما يقصده بـ«العنزة»، فمد يده إلى إحدى صحف الصباح، وفى صفحتها الأولى صور الضيوف وأشار بيده: «عارف، عارف، ألا تراه فى هذه الصورة أشبه ما يكون بالعنزة».

١٠ مايو عام ١٥١٧
ترحيل أول فوج من المصريين المهرة إلى إسطنبول
وملاحقات لقضاة هاربين

خرجت جماعة من اليهود بنسائهم وأولادهم إلى ميناء بولاق، وتوجهوا منه إلى ميناء الإسكندرية، ومنه إلى «إسطنبول» عاصمة الدولة العثمانية، وذلك تنفيذا لقرار السلطان العثمانى «سليم الأول» بترحيل العمال المهرة فى كل أنواع الحرف من مصر، وامتد إلى القضاة والشيوخ، مما كان له أكبر الأثر فى وقف تطور الحياة بمصر.

لم يكن اليهود وحدهم ضمن الفوج الأول فى الترحيل الذى بدأ فى مثل هذا اليوم «١٠ مايو ١٩١٧»، وإنما شمل مسلمين ونصارى من البنائين والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين، ومر هذا اليوم بهدوء لكن الأحزان والآلام كانت لدى الجميع لإخراجهم من بلادهم إلى بلد آخر لا يعرفون مصيرهم فيه، وفى اليوم التالى الذى كان سيرحل فيه فوج آخر من القاهرة إلى الإسكندرية، ومن ضمنه قضاة، حدث ما يؤكد أحزان المصريين من قرار «سليم الأول».

يتحدث الكاتب والمؤرخ «حلمى النمنم» عنه فى كتابه «جذور الإرهاب- أيام سليم الأول فى مصر»، عن أنه فى اللحظة الأخيرة اعترض اثنان من القضاة على السفر كلٌ بطريقته، وكان أحدهما شافعيا، والثانى حنفيا.

كان القاضي الشافعي اسمه «شمس الدين الحلبي»، أراد ألا يسافر فأعلن ذلك صراحة، لكن تم حمله عنوة من بيته إلى بولاق حيث السفينة التى ستقلُّه إلى الإسكندرية، لكن العثمانيين أوسعوه ضربا، وأنزلوه المركب رغم أنفه، وكان ذلك بمثابة تأديب عنيف له.

أما القاضي الثاني «الحنفي» وهو «بدر الدين بن الوقاد»، فاختار طريقا آخر وأسلوبا مختلفا فى الاعتراض، حيث اختفى تماما عن الأنظار، وبحث عنه العثمانيون فى كل مكان وفشلوا فى الوصول إليه والإمساك به، وربما يكون هذا الرجل خرج من القاهرة كلها إلى أى مكان آخر فى مصر، أو بقى فيها لكنه عاش باسم مستعار مع تغيير فى هيئته.

واغتاظ العثمانيون من هروبه فقرروا معاقبة الضامن له، وكان يدعى «يونس» ويعمل «نقيب الجيش»، ويقول «ابن زنبل»: «حصل لنقيب الجيش من الدفتردار ما لا خير فيه، وبهدله، وهمّ بضربه»، وبالطبع كان هذا العقاب دافعا إلى أن يكون الضامنون وسيلة رقابة صارمة على من يضمنونهم.

قُدِّر عدد الذين تم إخراجهم من مصر بـ«١٨٠٠»، وفى تقديرات أخرى بعدة آلاف، ووفقا لتلك التقديرات، وكان عدد سكان القاهرة قرابة ٢٥٠ ألفا، وبخروج هذا العدد انهارت الصناعات والحرف فى مصر، بالإضافة إلى أن هناك خمسين صنعة تعطلت وبطلت أثناء وجود «سليم الأول» فى مصر.

فى دراما هذه القصة هناك روايات يذكرها مؤرخو هذه المرحلة، منها أن إحدى السفن التى كانت تقلُّ المصريين غرقت بعد سفرها من الإسكندرية ولم ينجُ منها أحد من ركابها، وغرق نحو ٤٠٠ منهم جماعة من الأعيان، وهناك رواية عن أنه بعد عام أحضر شخص عثمانى إلى القاهرة خطابات من المرحلين إلى أهاليهم كلها لوعة وأسى وقالوا إن الكثير منهم تُوفُّوا فى إسطنبول، وفى كل الأحوال أدى هذا القرار إلى تأخر مصر كثيرا.

١١ مايو عام ١٩٦٠
«الموساد» يخطف أكبر مساعدى هتلر بعد اختفاء ١٠ سنوات فى الأرجنتين

كان «أدولف آيخمان» المولود عام ١٩٠٦ واحدا من أبرز القادة النازيين الألمان الذين عملوا إلى جوار «هتلر»، وعَدَّته إسرائيل الوحش الذى أشرف على أفران الغاز فى محرقة اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

تحمل قصة «آيخمان» مع اليهود مفارقات عدة، ففى طفولته كان الأطفال يعيرونه بـ«اليهودى» لأن بشرته تميل إلى اللون الأدْكَن عكس بياض بشرة الأوروبيين، وفى عام ١٩٣٧ حاول دخول فلسطين لدراسة جدوى ترحيل اليهود من ألمانيا إليها، لكن السلطات البريطانية رفضت منحه تأشيرة الدخول، فجاء إلى القاهرة وفيها التقى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين، كما التقى أحد عناصر «الهاجاناه»، وانتهى إلى كتابة تقرير يرفض فيه فكرة الترحيل لأسباب اقتصادية، ولأن إقامة دولة يهودية تتعارض مع الفكر النازى بعد انتهاء الحرب.

وبعد هزيمة «هتلر» استطاع الهروب من معسكرات أسرى النازيين، وظل مختفيا باسم مستعار داخل ألمانيا حتى عام ١٩٥٠، ليهرب فى العام نفسه عبر إيطاليا إلى الأرجنتين، وعاش فيها باسم جديد هو «ريكاردو كلمنت»، وأنه من مواليد «بولتسانو» فى إيطاليا ومهنته «ميكانيكى» وحالته الاجتماعية «عَزَب»، وبعد استقراره كتب لزوجته فى النمسا: «عم الأطفال مازال حيا»، ففهمت المقصود، وأعدت وثائق السفر ليلتئم شمل الأسرة فى الأرجنتين.

عـاش «آيخـمان» أو «ريـكاردو» ١٠ سـنوات متخفيـا حتـى حامـت شـكوك «الموسـاد» حولـه، فقامـت بمراقبتـه، وفى كتـاب «هـذه الدنيـا» لـ«أحمد بهـاء الدين»، أخبـار اليـوم، القاهـرة، الـذى يتنـاول قصـة هـذا الرجـل يقـول، إن مراقبتـه يومـا بعـد يـوم وأسـبوعا بعـد أسـبوع، لتسـجيل كل حركـة لـه، كان منتظـما فى حياتـه جـدا، لا شـىء يتغـير أبـدا، وفى يـوم مـن الأيـام حـدث تغيـير بسـيط، لقـد اشـترى «آيخـمان» عنـد عودتـه مـن المصنـع باقـة فاخـرة مـن الـورد حملهـا معـه، وعندمـا وصـل إلى البيـت، فتحـت لـه زوجتـه وأعطاهـا باقـة الـورد فى إعـزاز كبـير، وأخـذ الذيـن يراقبـون يفكـرون فى السـبب: مـا المناسـبة التـى تجعلـه يشـترى هـذا الـورد اليـوم؟

يضيـف «بهـاء»، أن الذيـن يراقبونـه أخـذوا يراجعـون مـا لديهـم مـن أوراق تضـم كل المعلومـات، واكتشـفوا السـر، أن يـوم ٢١ مـارس هـو نفـس اليـوم الـذى تـزوج فيـه «آيخـمان» مـن زوجتـه، كان ذلـك يـوم ٢١ مـارس ١٩٣٥، فأرسـلوا فى تلـك الليلـة إلى تـل أبيـب برقيـة نصهـا: «الرجـل هـو الرجـل»، وعـلى الفـور بـدأ التفكـير فى الخطـوات التاليـة، خطـوات اختطافـه التـى تمـت فى مثـل هـذا اليـوم «١١ مايـو ١٩٦٠» وشـحنه جـوا إلى إسرائيـل، بعـد عمليـات تمويـه وخـداع قـام بـه جهـاز «الموسـاد» الإسرائيـلى.

تلقـى رئيـس الـوزراء الإسرائيـلى «بـن جوريـون» خـبر اعتقـال «آيخـمان» فلـم يصـدق فى البدايـة، وبعـد أن تيقـن ألقـى بيانـا قصـيرا أمـام الكنيسـت قـال فيـه: «يجـب عـلى أن أعلـن للكنيسـت أنـه منـذ فـترة قصـيرة اكتشـفت الأجهـزة الأمنيـة الإسرائيليـة مـكان أحـد عتـاة المجرمـين ضـد اليهـود «أدولـف آيخـمان»، المسـئول هـو وكبـار زعـماء النازيـة عـما أطلقـوا عليـه الحـل النهائـى لمشـكلة اليهـود أى إبـادة سـتة ملايـين يهـودى بأوروبا، آيخـمان رهـن الاعتقـال فى البـلاد، وسـتتم محاكمتـه قريبـا فى إسرائيـل وفقـا لقانـون محاكمـة النازيـين وأعوانهـم لسـنة ١٩٥٠».

فى ١١ أبريـل ١٩٦١ بـدأت محاكمـة «آيخـمان»، وفى ١٥ ديسـمبر صـدر حكـم الإعـدام ضـده، وقبـل التنفيـذ تقـدم بالتـماس للسـماح لـه باعتنـاق اليهوديـة، ولمـا سُـئل عـن السـبب، أصر عـلى أن يتحـدث فقـط أمـام الصحفيـين فوافقـوا، وكانـت

المفاجـأة حـين قـال أمـام صحفـيِّ العـالم: «أردت اعتنـاق اليهوديـة ليـس حبـا فيهـا ولا فى إسرائيـل، لقـد كنـت أكثـر إنسـانية معكـم، بينـما كنتـم أكثـر خبثـا وقـذارة، أيهـا الـكلاب إن أرض فلسـطين ليسـت إرثكـم ولا أرضكـم، فـما أنتـم إلا عصابـة مـن الإرهابيـين ومصـاصى الدمـاء، فـذات يـوم سـيأتيكم هتلـر عربـى يجتـث وجودكـم اجتثاثـا».

فى ٣١ مايـو، التـف حبـل المشـنقة حـول رقبتـه وكانـت آخـر كلماتـه: «سـوف نلتقـى قريبـا، عشـت كمؤمـن بالـرب، امتثلـت لأحـكام الحـرب وعلـم بـلادى».

١٢ مايو عام ١٩٣٢
الخديو عباس حلمى الثانى
يوقِّع وثيقة تنازله بعد ١٨ عامًا من عزله

كان الخديو عباس حلمى الثانى يعتقد فى التفاؤل والتشاؤم من بعض الأقدام والأشخاص، وحين تلقى خبر عزله عن حكم مصر بقرار من الاحتلال البريطانى، كان فى قصره المطل على خليج «البوسفور» فى «إسطنبول»، وكانت هناك سيدة التحقت بخدمته أخيرا، ولم يكن رئيس ديوانه «أحمد شفيق باشا» يستريح لها، فقال لـ«الخديو»، إن هذه السيدة شؤم عليه، فرد الخديو، لكنها ساعدتنى ماديا فى هذه الظروف الحرجة.

يروى «شفيق باشا» القصة السابقة فى مذكراته الصادرة عن قصور الثقافة، القاهرة ويقول إنها كانت محاولة منه للتخفيف والترويح عن الخديو، بعد أن تلقى خبر عزله، لكنه لم يفلح فى إزالة القلق والتوتر الذى كان عليه الخديو، فسأله شفيق عن السبب، فأجاب بأن قلقه لسببين، الأول، تخوُّفه من مصادرة الإنجليز لأملاكه، بسبب انضمامه لأعدائهم، والعمل على إرسال حملة تركية إلى مصر، أما السبب الثانى فهو عدم تحديد مدة هذه الحملة، والتصريح فيها برجوعه إلى عرشه.

قرر الاحتلال الإنجليزى تولية السلطان حسين كامل أحد أعمام «عباس حلمى الثانى» الحكم، وبعد «حسين» جاء شقيقه الملك فؤاد، ومرت سنة

وراء سنة و«المخلوع» يرفض خلعه، ولأنه ظل على هذا الوضع، كان احتمال عودته هاجسا يشغل «الملك فؤاد» تحديدا.

فى كتاب «نصف قرن بين الأدب والسياسة»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، يقول مؤلفه «فتحى رضوان»: «كان فؤاد يتصور فى كثير من حركات بعض الأعيان الذين يعرفون (عباس حلمى) أنها مؤامرة لخلعه، ولذلك كان لابد من أن تعمل بريطانيا، ويعمل الملك فؤاد ما فى وسعها لحمل «عباس حلمى الثانى» على الإقرار بالنظام الملكى القائم، وأن يتنازل عن كل حق له فى ميراث العرش، وعن كل ما كان يملكه من أطيان شاسعة وعمارات وعقارات فى مصر».

ظلت المفاوضات مع «عباس حلمى الثانى» سنوات طويلة حول ذلك، ولعبت بريطانيا دورا كبيرا فيها لكنه كان يرفضها، ولما تضاءل أمله، وكذلك تقدمت السن به، واستقر الملك فؤاد على عرشه، وقع على الوثيقة المطلوبة فى مثل هذا اليوم «١٢ مايو ١٩٣٢»، وكان ذلك أثناء رئاسة إسماعيل صدقى للحكومة.

بدأت الوثيقة بقوله، إنه مغتبط بما رآه من خطى مصر الثابتة فى سبيل توثيق استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسى وبين حاجتها وأمانيها، وأنه توصل إلى ذلك من خلال متابعته لما تحرزه البلاد من تقدم فى جميع المجالات.

وشملت «وثيقة التنازل» تأكيد «عباس حلمى الثانى» على التزامه للأمر الملكى الصادر فى ١٣ أبريل بوضع نظام توريث العرش فى المملكة المصرية، والقانون الخاص بإقرار تصفية أملاكه باعتبارهما جزءا لا يتجزأ من الدستور المصرى.

وختم «الخديو» الوثيقة بإقراره بأن الملك فؤاد الأول بن إسماعيل ملك مصر الشرعى، وأنه لذلك يعلن أن تنازله عن كل مطالبه ناشئ عن أنه كان «خديوى» لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أم عن المستقبل.

وانتهى «عباس حلمى الثانى» إلى الدعاء للملك بصالح الدعوات، وأن يحيط ولى عهد المملكة الأمير فاروق بعين عنايته، وليزيد فى إسعاد مصر فى حاضرها ومستقبلها

كانت هذه الوثيقة بمثابة إسدال الستار على قضية ظلت معلقة من فترة عزل «عباس حلمى الثانى» عام ١٩١٤ حتى يوم ١٢ مايو ١٩٣٢.

١٣ مايو عام ١٨٠٥
العلماء والشيوخ يختارون محمد علىّ واليًا ..
وخورشيد : «لن يعزلنى هؤلاء الفلاحون»

لجأ القضاة والشيوخ والعلماء إلى بيت محمد علىّ، بعد أن بدا لهم أن خورشيد باشا حاكم مصر يستعد للقضاء عليهم بسبب ثورتهم ضده بقيادة عمر مكرم.

قالوا لمحمد على: «فاض الكيل نريد أن نخلع خورشيد باشا».

فرد عليهم بكثير من الحياء: «ومن تريدون أن يحل محله؟»، فيأتيه الرد بدون موارية: «بالنظر إلى الكرم والعدل اللذين أظهرتهما أعمالكم نحو الشعب، فإننا لا نفكر فى غيركم، ستكونون الحاكم وسنخضع لشروطكم».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم «١٣ مايو ١٨٠٥»، ويكتب مشهده وتداعياته «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير» قائلا، إن محمد على تظاهر برفض ما عرضه عليه وفد القضاة والشيوخ والعلماء لأنه «استراتيجى محنك»، وادّعى أنه غير كفء لهذا المنصب، لكن العلماء أصروا، وبعد نحو ساعة أحضروا عباءة مبطنة بالفرو وقفطانا، وقام عمر مكرم نقيب الأشراف بمساعدة الشيخ الشرقاوى بإلباسها لـ«الباشا» الذى سيحكم مصر.

تمت عملية تلبيس «محمد على»،«العباءة» و«القفطان» وقت العصر، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة، حسب قول «شفيق غربال» فى كتابه «محمد

على الكبير»، وكان هذا على الرغم من معارضة فريق الألبانيين، ويشير «غربال» إلى أن «الألبانيين» هنا لا يعنى اقترانهم بـ«محمد على»، فهم كان لهم كيانهم ولهم رياستهم الخاصة بهم.

تعهد محمد على رسميا بأن يحكم بالعدل واحترام حقوق الشعب المصرى، وألا يأخذ أى قرار دون العودة إلى العلماء، وأضاف أنه إذا أخلف شيئا من وعوده فإن لهؤلاء العلماء أنفسهم الحق فى عزله.

علم «خورشيد باشا» بما حدث فقرر المقاومة، قائلاً: «عُيِّنت من قِبل السلطان، ولن يعزلنى هؤلاء الفلاحون»، فرد العلماء بالكتابة إلى السلطان فى الآستانة بتركيا للحصول منه على موافقة تعيين محمد على.

يقول «سينويه»: كان الحدث يشكل استثناء، فلأول مرة فى تاريخ مصر يختار رجال الدين والأعيان من أبناء البلد قائدهم ويتدخلون بصفة مباشرة لدى مستعمرهم لصالحه، هى المرة الأولى التى يبدو فيها أن المصرى يملك مصيره.

أصبح خبر تعيين «الباشا» الجديد لدى الشعب المصرى الذى وجد نفسه فى لحظة مصيرية، فإما أن تتحقق إرادته التى عبر عنها القضاة والشيوخ والعلماء، وإما ينتصر «خورشيد باشا» بجنوده، ولأن المصريين صمموا على فرض إرادتهم قام بعضهم ببيع ثيابهم لشراء سكين أو خنجر أو بندقية، وجاب عمر مكرم شوارع القاهرة لتحفيز الناس، فكانت المفاجأة بترك جنود «خورشيد» رئيسهم لوحده يواجه مصيره منفردا.

كان «خورشيد باشا» أثناء الثورة ضده متحصنا فى القلعة لا يغادرها، حسب ما يذكره «عبد الرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، وكان المصريون يواصلون ثورتهم مصممين على تنفيذ إرادتهم، واستمر الأمر على هذا النحو شهرا تسلح فيه النساء والأطفال بالحجارة وأخذوا مواقعهم فى الشرفات، وهاجموا جنود خورشيد حيثما وُجدوا، وكلما كان الإصرار على إبقاء الوضع على ما هو عليه كان حماس الثورة يزداد، حتى جاء فرمان «السلطان

العثمانى» الذى نص: «يوافق الباب العالى على اختيار العلماء لشخص محمد على، ويعلن أحمد خورشيد باشا استقالته من مهامه، ويتعين عليه السفر إلى الإسكندرية مع كل الاحترام الواجب له، وهناك عليه الانتظار للتعليمات التى ستُوجه له، وتعيينه فى حكومة أخرى».

١٤ مايو عام ١٩٧٥
السادات فى الكويت وأحد كبارها يهاجمه بعنف خلال عشاء بسبب عبد الناصر

شهدت مصر بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ حملة ضارية ضد جمال عبد الناصر، ويؤكد الكاتب الصحفى الراحل أحمد بهاء الدين فى كتابه «محاوراتى مع السادات»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «كان السادات هو مخطط وموجه هذه الحملة».

كان «بهاء» شاهدا على رد فعل عنيف بسبب هذه الحملة ضد السادات فى أثناء زيارته إلى الكويت، والتى بدأت فى مثل هذا اليوم «٣ مايو ١٩٧٥»، وكان يعمل وقتها رئيسا لتحرير مجلة العربى الكويتية، والمثير أن رد الفعل كان على أرض الكويت، والأكثر إثارة أنه كان من أحد كبار القوم الكويتيين.

قبل بداية زيارة السادات إلى الكويت بأيام، شهدت مصر جدلا عنيفا فجّره الكاتب الصحفى الراحل جلال الدين الحمامصى فى كتاب له بعنوان: «حوار حول الأسوار»، يتهم فيه عبد الناصر باختلاس ١٠ ملايين دولار كانت قرضا من العاهل السعودى الملك سعود لمصر.

وأمام غضب الرأى العام من هذا الاتهام الذى تجاوز كل الحدود، قرر السادات تشكيل لجنة للتحقيق برئاسة الدكتور على الجريتلى، أحد أبرز خبراء ووزراء الاقتصاد فى تاريخ مصر، وأعلن السادات نتائجها ببراءة عبد الناصر

فى خطاب أمام مجلس الشعب، لكن التقرير لم يتم نشره للناس، مما دفع «بهاء الدين» إلى التعليق بقوله: «تلك كانت طريقة السادات فى بقاء الشبهة تحوم فى الفضاء»، دار هذا فى مصر، فما الذى دار فى الكويت؟

فى أثناء الزيارة وبالمصادفة، كان مجلس الأمة الكويتى سوف يصدق على آخر اتفاقية تكمل انسحاب الشركة الإنجليزية التى كانت تحتكر بترول الكويت وتسليمها آخر مابقى من نصيب لها إلى حكومة الكويت، وانتهز نواب البرلمان الكويتى الفرصة، ليردد كل منهم فى تعليقه على نجاح الكويت فى المفاوضات وفى امتلاك بترولها كله، أنه لابد فى هذه المناسبة من ذكر جمال عبد الناصر الذى كان أول من قال: «بترول العرب للعرب»، وفى وقت كان يبدو فيه هذا الكلام حديث خرافة وفى كفاحه الطويل لتكسير أنياب الأسد البريطانى؛ مما جعل إنجلترا تغير سياستها وتسلم على مائدة المفاوضات ما لم يكن أحد يستطيع أن يحدثها فيه.

يجزم «بهاء»: «أن جزءا من خطابات النواب كان مقصودا به أن يسمع عنه أنور السادات»، لكن المفاجأة الكبرى كانت فيما حدث بعد.

أُقيمت لـ«السادات» مأدبة عشاء رسمية، وكان «بهاء» مدعوا لها ضمن مئات من الشخصيات الكويتية والمصرية، ووقع حادث غريب مفاجئ، إذ تقدم إلى السادات أحد كبار القوم من الكويتيين، وقال له على مسمع من الموجودين المحيطين: «يا سيادة الرئيس، نحن لا نقبل أن يقال فى مصر إن جمال عبد الناصر قد اختلس عشرة ملايين دولار، وأنا شخصيا، ويشهد كل الإخوان الواقفين، أننى كنت ضد جمال عبد الناصر، وكنت ضد حرب اليمن بالذات، ولكن أن يقال إن جمال عبد الناصر الذى كانت خزائن مصر كلها فى يديه، وخزائن العرب إذا شاء، قد اختلس عشرة ملايين دولار، فهذا عار على الأمة العربية كلها، والتى كان عبد الناصر شئنا أم أبينا رمزا لها فى العالم كله، وإننى أطلب من سيادتك أن تقول لنا أى مبلغ ترون أنه فى ذمة جمال عبد الناصر للخزانة المصرية، وسوف ندعو الشعب الكويتى للتبرع به وتسديده عنه، وسيجمع الشعب الكويتى أى مبلغ فى أقل من ٢٤ ساعة».

كان الحدث مدويا ويستكمل «بهاء» أنه بعد انتهاء حفل العشاء، أسرع إلى قصر «دسمان»، مقر إقامة السادات، وبادره قائلاً:

«أرأيت يا ريس رد فعل حكاية العشرة ملايين دولار بتاعة عبد الناصر؟».

فرد السادات: «نعم رأيت هنا وفى الرياض بل رأيت وأنا فى القاهرة»، فالشيخ جابر الأحمد، ولى العهد الكويتى وقتها، كان يعترض على سياسة عبد الناصر الاقتصادية، لكنه ما إن قرأ هذه الحكاية حتى أرسل خطابا لى يقول فيه: «إن عبد الناصر كان رمزا للعرب جميعا وعرفنا العالم عن طريقه، ولا يجوز أن يقال عنه اليوم هذا الكلام غير القابل للتصديق».

يختتم «بهاء الدين» هذه القصة بقوله: «سألت الدكتور الجريتلى عن القضية، فأجاب: «قبلت رئاسة اللجنة لأننى كنت واثقا من النتيجة، فعبد الناصر أكثر كبرياء من أن يقبل بأى إفساد».

١٥ مايو عام ١٩٥٠
فاروق يطلب من «مجلس البلاط الملكى» الحَجْر على أمه «نازلى»

يلخص الكاتب الصحفى محمد التابعى علاقة الملك فاروق بأمه «نازلى» فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة» بقوله: «كان فاروق يحب أمه، ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها، كانت تناديه أمامنا وأمام رجال الحاشية وخدم الفنادق «فاروق»، وكان هو يخاطبها أو يناديها دائما «ماچستيه» أى صاحبة الجلالة، وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا، وكانت كلمتها عنده لا تُرد».

تهاوت المُثُل العليا التى كان يراها «فاروق» فى أمه، بعد أن وجدها عاشقة ملهوفة لأحد موظفى القصر الملكى، وهو أحمد حسنين باشا الذى شغل منصب رئيس الديوان الملكى لـ«فاروق».

أصبحت الأم مأساة للابن، وعلى الرغم من وفاة «حسنين باشا» فى فبراير عام ١٩٤٦، فإن المأساة امتدت لتصبح فى عام ١٩٥٠ دراما كبيرة لم يتوقعها «فاروق»، حيث سافرت نازلى وابنتاها الأميرتان «فايقة» و«فتحية» إلى أوروبا ومنها إلى أمريكا ولم تعد، وشجعت «فتحية» على الارتباط ثم الزواج بـ«رياض غالى» الشاب المسيحى الذى أعلن إسلامه من أجل إتمام الزيجة.

فشلت كل محاولات «فاروق» من أجل وقف تصرفات أمه، وعودتها إلى مصر ووقف مشروع زواج «فتحية» و«رياض»، وحسب كتاب «فاروق الأول وعرش مصر» للدكتورة لطيفة سالم: «فشلت كل محاولات «فاروق»

بـما فى ذلـك وسـيلة الترجـى والاسـتعطاف التـى اسـتخدمها مـع أمـه، كـما فشـل فى الضغـط عـلى السـفير الأمريكـى فى مـصر مـن أجـل طـرد ريـاض غـالى مـن أمريـكا، وأمـام كل ذلـك لم يجـد أمامـه وسـيلة إلا عقـد مجلس البـلاط فى مثـل هـذا اليـوم «١٥ مايـو ١٩٥٠»؛ ليأخـذ قـرارا بالحَجْـر عـلى الملكـة وتجريدهـا مـن لقبهـا والتفريـق بـين فتحيـة وريـاض غـالى».

تقـدم «الديـوان الملكـى» برسـالة إلى «مجلـس البـلاط»، تشـمل جميـع المسـتندات وهـى عبـارة عـن التحريـات الخاصـة التـى قامـت بهـا السـفارة المصريـة فى أمريـكا حـول شـخص «ريـاض غـالى أفنـدى»، والكيفيـة التـى تعـرف بهـا إلى جلالـة الملكة نـازلى، والأميرتـين منـذ عـام ١٩٤٦، والطـرق التـى كان يسـتغل بهـا أموالهـن.

وتقـدم الملـك فـاروق بمذكـرة إلى «المجلـس» تتألـف مـن صفحتـين مـن الحجـم الكبـير وقّعهـا باسـمه، ويأتـى بنصهـا كامـلا محمـد حسـنين هيـكل، فى كتابـه «سـقوط نظـام»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، وفيهـا، أن جلالـة الملـك أرسـل إلى جلالـة الملكـة الوالـدة برقيـة يوضـح فيهـا مـا يسـاور جلالتـه مـن الألم المريـر، ويناشـدها أن تكـفّ عـن هـذا الـزواج (فتحيـة وريـاض)، ويدعوهـا أن تقـدر مـا قـد ينشـأ عـن إصرارهـا عـلى مـا اعتزمتـه مـن العواقـب الوخيمـة السـيئة، ولكنهـا أصرت عـلى موقفهـا.

واشـتملت مذكـرة «فـاروق» عـلى بيـان تفصيـلى بالمبالـغ التـى تـم إرسـالها إلى «نـازلى» والأميرتـين «فائقـة وفتحيـة» فى الفـترة مـن صيـف سـنة ١٩٤٦ حتـى عقـد مجلـس البـلاط، وتبلـغ نحـو أربعمائـة وثلاثـة وثمانـين ألـف جنيـه، وتبـين أن رياض اسـتولى عـلى أربعـين ألـف جنيـه منهـا، واختتـم «الملـك» مذكرتـه بالقـول: «لهـذا كلـه أود أن نقـف عـلى مـا يشـير بـه المجلـس مـن إجـراءات نحـو هـذا الـزواج، ومـا يصـح أن يُتبـع نحـو جلالـة الملكـة».

اسـتمر «مجلـس البـلاط» فى جلسـاته لمناقشـة الموضـوع، وجـاءت قراراتـه عـلى النحـو التـالى:

- من حيث إن زواج المسلمة من غير مسلم باطل بطلانا أصليا ولا يترتب عليه أى أثر من آثار الزوجية طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، ومن حيث إنه إذا أسلم شخص فعلا وتزوج بمسلمة عريقة فى الإسلام فإن هذا العقد إذا حصل بغير رضاء الوالىّ أو العاصب لا يصح، لذلك قرر المجلس التفريق فورا بين حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فتحية، وبين رياض غالى بالحيلولة بينهما ووضعهما تحت يد حضرة صاحب الجلالة الملك للمحافظة عليها إلى أن يفصل فى الدعوى، وعلى السلطات المختصة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ذلك.

- قرر المجلس منع حضرة صاحب الجلالة الملكة نازلى من التصرف فى أموالها، وتعيين حضرة صاحب السعادة «نجيب سالم باشا» ناظر خاصة جلالة الملك مديرا مؤقتا على جميع أموالها إلى أن يُفصل فى طلب الحجر.

- قرر المجلس وقف صاحبة الجلالة الملكة «نازلى» عن أعمال الوصاية على حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة «فتحية»، وتعيين سعادة «نجيب سالم باشا» وصيا مؤقتا لإدارة أموالها إلى أن يفصل فى طلب عزل جلالة الملكة «نازلى» عن الوصاية.

١٦ مايو عام ١٩٣٠
محاولة اغتيال فاشلة لرئيس الحكومة صدقى باشا..
والمتهم: « جاب لى المصايب»

دار الحوار بين المحكمة والمتهم بمحاولة اغتيال إسماعيل صدقى باشا، رئيس الوزراء، على نحو غريب، وكانت وقائعه كالآتى:

المحكمة: أنت يا محمد لما سألك حضرة قاضى الإحالة عن التهمة، قلت إنك ستفصح عن شريكك أمام محكمة الجنايات.

المتهم: أنا مُصرّ على ما قلت، والشريك ده هو مخى اللى حرقه البوليس السياسى.

المحكمة: مخك هو اللى قال لك تقتل صدقى باشا؟

المتهم: مخى شريكى.

المحكمة: مادام مخك حرضك فمعنى هذا أنك كنت بتفكر فى قتل صدقى با شا.

المتهم: أفكر فى المصايب اللى جابها لى صدقى باشا، ومخى قال لى كده، وأنا قلت حرام.

كان المتهم شابًا اسمه محمد الغلال، الشهير بـ«سلطان»، ويعمل «طباخًا» ويقيم بمنطقة «باب البحر» فى «درب سعادة، عطفة الطوشى»، وكان المستهدف

هـو إسـماعيل صدقـى باشـا، رئيـس الحكومـة، وجـرت المحاولـة عـلى رصيـف محطـة القاهـرة فى مثـل هـذا اليـوم «١٦ مايـو ١٩٣٠»، حيـث كان «صدقى باشـا» فى طريقـه إلى الإسـكندرية ومنهـا إلى أوروبـا، وبينـما هـو يقـف بـين مودعيـه، اخـترق «الغـلال» نطـاق الشرطـة، وبيـده بعـض الصحـف، وتحتهـا مسـدس لاسـتخدامه فى تنفيـذ مخططـه.

كلـمات «المتهـم» أمـام المحكمـة عـبرت عـن طبيعـة مرحلـة حكـم «صدقـى باشـا»، والتـى بـدأت بصـدور أمـر ملكـى لـه بتشـكيل الـوزارة بعـد اسـتقالة وزارة الوفـد برئاسـة مصطفـى النحـاس باشـا، وعـلى الرغـم مـن مشـاركته سـعد زغلـول فى تأسـيس حـزب الوفـد، واعتقالـه معـه هـو وعـدد مـن الزعـماء عـام ١٩١٩، ونفيهـم إلى «مالطـا»، فإنـه انفصـل عـن «الوفـد» بعـد فـترة قليلـة مـن تأسيسـه، وأصبـح مـن أشـد خصومـه، وقريبًـا مـن القـصر الملكـى.

شـهدت فـترة حكومـة «صدقـى» تضييقًـا بالغًـا فى الحريـات، ويتحـدث عنهـا باسـتفاضة مصطفـى النحـاس فى مذكراتـه التـى حققهـا الكاتـب الصحفـى أحمـد عـز الديـن، فهـو الـذى ألغـى العمـل بدسـتور ١٩٢٣، وفصّـل دسـتور ١٩٣٠ عـلى مقـاس الملـك فـؤاد، ولاقـى معارضـة واسـعة لتقييـده الحريـات السياسـية، ومنحـه سـلطات أوسـع للملـك، كـما شـهدت فترتـه تزويـرًا للانتخابـات، يتحـدث عنهـا المـؤرخ عبـد الرحمـن الرافعـى قائـلا: «أوعـزت الحكومـة إلى لجـان الانتخابـات بـأن تـزوِّر محاضرهـا، بحيـث تثبـت فيهـا حضـور الناخبـين كذبًـا وزورًا، وكانـت سـابقة خطـيرة اتبعتهـا الإدارة فى العمليـة الانتخابيـة، كلـما أرادت اصطنـاع برلمـان صُـورى»، وأسـس هـذا النهـج لشـكل الانتخابـات التـى شـهدتها مـصر طويـلًا، وكان يتـم تزويرهـا بنفـس أدوات انتخابـات «حكومـة صدقـى».

أغلـق «صدقـى باشـا» عـدة صحـف، وعلـق سـلامة موسـى عليهـا بقولـه: تـم إقفـال ثلاثـة مصانـع مصريـة وهـى، «البـلاغ» لصاحبهـا أحمـد حافـظ عـوض، و«اليـوم» لصاحبهـا توفيـق ديـاب، و«البـلاغ» لصاحبهـا عبـد القـادر حمـزة، أمـا عـن «الأهـرام» التـى لم يَطُلْهـا ضرر فقـال عنهـا: «هـذه هـى الأهـرام الجديـدة التـى تسـير مـع كل حـزب، وتجـرى مـع كل ريـح، وتضحـك منـا جميعًـا».

١٧ مايو عام ٢٠٠٢
رحيل الفريق عبد المنعم واصل الذى قال:
«ابنى واحد من ١٤٩ ضابطًا فى اللواء»

كان العميد عبد المنعم واصل فى المستشفى يوم ٧ يونيه ١٩٦٧ للعلاج من إصابة لحقت به أثناء القتال عند جبل لبنى بوسط سيناء، أثناء حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، وحضر إليه اللواء سعد عثمان قائد الفرقة التاسعة «المجموعة الخاصة»، وطلب منه تشكيل سرية دبابات للهجوم المضاد على منطقة «جلبانة» شرق القناة، لنجدة كتيبة الصاعقة التى كانت لا تزال تدافع عن القنطرة شرق ضد هجوم إسرائيلى، وبالفعل تم تشكيل سرية من ١٢ دبابة، وعيَّن «واصل» ابنه النقيب «طارق» لقيادتها.

عبرت «السرية» القناة، واشتركت مع عناصر الصاعقة فى قتالٍ ضارٍ، ضد الدبابات الإسرائيلية التى انسحبت بعد أن مُنيت بخسائر، ولما دخل الطيران الإسرائيلى المعركة دمر سرية الدبابات، وشتت عناصر الصاعقة، ولم ينقذها إلا العقيد إبراهيم الرفاعى.

بعد هذه المعركة وكما يقول «واصل» فى كتابه «مذكرات وذكريات»، عاتبه اللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش وقتئذ على تعريض ابنه للخطر فى تلك الظروف، فرد عليه «واصل»: «ابنى واحد من ١٤٩ ضابطا فى اللواء، وأى ضابط منهم كان سيتعرض لنفس الخطر، فلماذا لا يكون ابنى هو ذلك الضابط؟».

تعطى هذه القصة ملمحا عن سمات شخصية «واصل» الذى رحل عن عالمنا فى مثل هذا اليوم «١٧ مايو ٢٠٠٢»، وموقعه الفريد فى تاريخ العسكرية المصرية، فهو واحد من أبطال الجيش المصرى، ومنذ تخرُّجه فى الكلية الحربية عام ١٩٤٠ خاض حروبا منها، «العالمية الثانية، ١٩٤٨، ١٩٥٦، حرب الاستنزاف، أكتوبر ١٩٧٣».

فى حرب ١٩٦٧ رفض الاستسلام للهزيمة، وقاد اللواء مدرع فى معركة رهيبة فى منطقة «أم القطف» و«جبل لبنى» بوسط سيناء، وكبد القوات الإسرائيلية خسائر بلغت ٤٧ دبابة و٦ عربات مجنزرة، اعترف بها موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى وقتئذ، ولعب دورا كبيرا فى إعادة بناء القوات المسلحة بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، مع الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية، والفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وكان من قيادات حرب الاستنزاف التى يقول عنها فى مذكراته: «هى الأب الشرعى لنصر أكتوبر ١٩٧٣».

تولى «واصل» قيادة الجيش الثالث فى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٠، واستمر قائده حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ليحصل بعدها على رتبة «فريق»، وكان لقيادته الفذة أثر كبير فى النصر الكبير على إسرائيل.

فى مذكراته بعنوان «الصراع العربى الإسرائيلى»، الصادرة عن مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، يؤكد أنه كتبها بإلحاح من زوجته وابنيه، «طارق» الذى رحل عن دنيانا منذ سنوات، و«طلال» العالم الكبير الذى هاجر إلى أمريكا عام ١٩٦٨، لكنه لم ينقطع عن خدمة مصر فى مجالات مهمة ومؤثرة.

يتحدث «واصل» فى المذكرات عن أهم الدروس التى يستخلصها من مشاركته فى حروب مصر، وأكثر ما يلفت فيها، إشارته المهمة إلى عدم تدخل القيادة السياسية فى قرارات القيادات العسكرية، مشيرا فى ذلك إلى الخسائر التى نتجت من موقف جمال عبد الناصر فى حرب ١٩٦٧ لدعم سوريا فى مواجهة الحشود الإسرائيلية على حدودها، أما السادات فأدى قراره بتطوير الهجوم شرقا إلى ثغرة الدفرسوار أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣.

١٨ مايو عام ١٩٦٥
إعدام الجاسوس «إيلى كوهين»
صديق الرئيس السورى أمين الحافظ

ذهب الرئيس السورى أمين الحافظ بنفسه إلى السجن العسكرى ليلتقى صديقه الذى تم اكتشافه جاسوسا لإسرائيل، لم تستغرق المقابلة أكثر من دقيقة، سأله فيها: «من أنت؟»، فأجاب: «إيلى كوهين من تل أبيب».

استرجع الرئيس سنوات الصداقة التى جمعتهما وقت أن كان إيلى كوهين هو «كامل أمين ثابت»، وبين الأصل والحقيقة دارت قصة هذا الجاسوس فى أربع دول، مصر التى ولد فيها بالحى اليهودى بالإسكندرية يوم ١٨ ديسمبر ١٩٢٤، وإسرائيل التى هاجر إليها فى ديسمبر ١٩٥٦، والأرجنتين التى سافر إليها فى مارس ١٩٦١، وسوريا التى أعدم فيها فى مثل هذا اليوم «١٨ مايو ١٩٦٥».

فى كتابه «سنوات الانفجار» يأتى الكاتب الصحفى «محمد حسنين هيكل» بالقصة فى سياق حديثه عن حرب الجواسيس بين العرب وإسرائيل، والتى شهدت ذروتها فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.

كان «إيلى كوهين» ابنا لأبوين هاجرا من حلب إلى مصر، ودرس فى مدرسة «الليسيه الفرنسية»، وتعلم الفرنسية والعبرية، واقترب من النشاط الصهيونى السياسى فى مصر التى غادرها نهائيا بتأشيرة «سفر بلا عودة» فى ديسمبر ١٩٥٦، فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر.

وصل إلى نابولى بإيطاليا، ومنها إلى «حيفا» فى فلسطين المحتلة، وفيها التقطه جهاز الموساد، وأعد خطة لزرعه فى سوريا، وتم تأهيله لكى يصبح مليونيرا مغتربا من أصل سورى على أن يعود إلى وطنه.

سافر إلى الأرجنتين بجواز سفر سورى وباسم «كامل أمين ثابت»، وهناك اندمج فى الجاليتين السورية واللبنانية، وأصبحت له شركة ملاحة وحسابات متعددة فى بنوك سويسرا والأرجنتين، وتكونت صداقة بينه وبين العقيد «أمين حافظ» الملحق العسكرى لسوريا فى الأرجنتين، والذى أصبح فيما بعد رئيسا لسوريا على أثر انقلاب عسكرى، وبعد أن تولى الرئاسة جاءه من الأرجنتين ليهنئه، وعرض «الحافظ» عليه أن يعود إلى سوريا ليستثمر فيها، ونصحه «الموساد» أن يُبْدى تردده قبل موافقته، وخلال فترة تردده كان يزور سوريا بانتظام،وعبر علاقته بـ«أمين الحافظ» كانت كل الأبواب المغلقة تُفتح له، وزار مع الرئيس السورى الجبهة الأمامية.

ويرى سوريون أن الكشف عن كوهين تم بالمصادفة، ويذهب إلى هذا الاعتقاد «عبد الهادى البكار» المذيع السورى ذائع الصيت فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وذلك فى مذكراته «أسرار سياسية عربية، الصادرة عن دار الخيال، القاهرة، غير أن القصة الحقيقية يكتبها «هيكل» ورواها لى «فتحى الديب»، أحد مؤسسى جهاز المخابرات المصرية، فى لقاء معه فى منزله بمصر الجديدة عام ٢٠٠٠.

يقول «هيكل»، ويتفق معه «الديب»، إن المخابرات المصرية وصلتها صور لزيارة أمين الحافظ إلى الجبهة، ولفت نظرَ ضابط مخابرات وجهُ شخص غريب فيها، وتم البحث عن حقيقته حتى توصل ضابط مخابرات فى مجال مكافحة الصهيونية إلى أنه «إيلى كوهين» الذى كان مُراقبًا فى مصر قبل خروجه منها.

على الفور سافر ضابط مخابرات مصرى رفيع إلى دمشق ومعه ملف كامل بالموضوع، وعرض القصة كلها على العميد «أحمد سويدانى» قائد الأمن

الداخلى بسوريا، ليتم القبض على الجاسوس والحكم عليه بالإعدام علنا في ساحة «المرجة» بدمشق، وظلت جثته متدلية من الفجر حتى العاشرة صباحًا.

عَدَّته إسرائيل بطلا قوميا، وحاولت الحصول على رُفاته لكن سوريا رفضت.

١٩ مايو عام ١٩١٧

«عز الدين يكن» يحبس «أم كلثوم».. وزوجته تتوسط

ذهبت أم كلثوم لإحياء ليلة فى قصر «عز الدين يكن بيك» بحلوان بمناسبة ليلة «الإسراء والمعراج»، ولما رآها جُنَّ جنونه ورفض أن تغنى.

كان ذلك فى مثل هذا اليوم «١٩ مايو ١٩١٧»، قبل انتقالها نهائيا إلى القاهرة من قريتها «طماى الزهايرة» بمحافظة الدقهلية، وظلت حتى سنواتها الأخيرة، تذكر ما حدث لها فى هذه الليلة كعلامة على معاناتها الكبيرة فى بداياتها، وفى مذكراتها بجريدة «الجمهورية» يناير ١٩٧٠ تسرد تفاصيلها، مؤكدة أنها فتحت لها عالما آخر لم تعرفه من قبل، فبعد أن رآها «عز الدين يكن»، أمر أن تبقى فى بدروم القصر، ومن معها، حتى لا يراها أحد، واستدعى الشيخ إسماعيل سكر لإحياء الليلة.

قضت «أم كلثوم» ليلة رهيبة فى البدروم تبكى دون انقطاع، فرقَّ قلب «الخدم» وأبلغوا زوجة «عز الدين»، فنزلت إليها لترتمى «أم كلثوم» فى أحضانها قائلة: «حرام كده نتحبس هنا، طيب سيبونا نروَّح مادام مفيش ليلة، أعمل إيه حظى كُده، وأنا ياست كنت واضعة أمل على الليلة بتاعتكم دى، أنا قلت لأبويا وأنا فى الطريق إن السعد موعدنا بعد المعازيم الكبار ما يسمعونى، لكن ربنا يمكن له حكمة فى اللى حصل».

ربَّتت «زوجة البيك» على أكتاف «أم كلثوم» وأحاطتها بذراعيها هامسة: «أنت صعبانة علىَّ خالص والنبى، أصل عز «بيه» يا بنتى كان فاكرك

مبهرجة زى الستات اللى بيغنوا فى مصر»، فردت أم كلثوم: «أنا يا ست عايشة فى الفلاحين، ما أقدرش أتبهرج وألبس غير الحشمة، إحنا ناس بتوع ربنا بندوَّر على لقمة العيش بعرقنا، واللى جاى يدوب على قد اللى رايح».

رق قلب الزوجة لـ«أم كلثوم»، فطلبت منها الغناء، فغنت: «سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع ويبصر»، وخرجت زوجة «البيه» والدموع تبلل خديها وصعدت إلى زوجها لتقنعه بسماع هذا الصوت النادر، فاستمع إليها وحيدا، ثم قال لها: «حقك علىَّ يا بنتى، سامحينى علشان خاطر النبى، أنا هاعوض لك كل اللى حصل، هاديكى زى ما أنت عايزة، إنت تستاهلى مال قارون».

وطلب منها الغناء أمام المدعوين فغنت ليهتز الحاضرون لها بمن فيهم الشيخ إسماعيل سكر، الذى اشترك مع بطانة «المطربة المفاجأة»، بعد أن شاهد «البيه» يخلع طربوشه، وكان هذا التصرف دليل الإعجاب فى مثل هذه الحالات.

كان أجر «أم كلثوم» لهذه الليلة طبقًا للعقد الموقَّع ثلاثة جنيهات، وهو مبلغ مُجزٍ وكبير وقتئذ، وذلك خلاف مصاريف الانتقال، وكان من ضمن بنود العقد أنه فى حالة تأخرها يدفع والدها الذى وقع على عقد الاتفاق عشرة جنيهات غرامة، فقرر «البيه» أن يمنحها أكثر مما نص عليه العقد.

كانت تجربة بمثابة تعبيد الأرض للسيدة التى شقت طريقها لتكون «كوكب الشرق» بجدارة.

٢٠ مايو عام ١٩٢٨
إزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر..
والملك يبحث عن مبدعه «مختار»

هى امرأة مصرية فلاحة واقفة رافعة الرأس، وعلامات الأنفة والأمل بادية على وجهها، وتحت قدميها تمثال أبى الهول، هذه الفلاحة واقفة يدها اليمنى على رأسه تدعوه إلى النهوض من رقاده، وسمع هذا النداء فرفع رأسه نحوها، وأخرج صدره من الرمل، وأذناه تصغيان لنداء من تستنهضه.

هذا هو تمثال «نهضة مصر» حسب وصف «واصف بطرس غالى» فى جريدة «الأخبار» المصرية فى مايو ١٩٣٠.

احتشد الآلاف فى الساعة السادسة والنصف من محافظات مصر، لمشاهدة لحظة رفع الستار عن «التمثال» الذى أبدعه محمود مختار فى مثل هذا اليوم «٢٠ مايو ١٩٢٨» أمام محطة السكك الحديدية بالقاهرة ليكون فى استقبال الداخلين للعاصمة، ثم انتقل إلى مكانه الحالى أمام جامعة القاهرة.

تمت إزاحة الستار فى احتفال رسمى، ألقى فيه رئيس الوزراء كلمة الحكومة، كما ألقى الشاعر على الجارم قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقى، وفى كتاب «المثَّال مختار»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، لـ«بدر الدين أبو غازى»، يتحدث عن خطوات بدء عمل هذا التمثال منذ أن بدأ كفكرة فى باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بعد أن تعرف «مختار» إلى

الوفد المصرى الذى سافر إلى العاصمة الفرنسية برئاسة سعد زغلول لعرض القضية المصرية، وكان «مختار» يقيم فيها، وشقت سمعته عنان السماء فى مجال النحت فى «عاصمة الفن».

بدأت حملة اكتتاب لتنفيذ «التمثال»، ولاقت تجاوبا كبيرا من المصريين، وبلغت قيمة الاكتتاب ستة آلاف وخمسمائة جنيه، واعتمدت الحكومة له ١٢ ألف جنيه، ثم ثمانية آلاف أخرى، وتشكلت لجنة له برئاسة حسين رشدى وعضوية ويصا واصف، واصف غالى، الدكتور حافظ عفيفى، محمد محمود خليل، عبد الخالق مدكور، فؤاد سلطان، عبد القوى أحمد، وأمين الرافعى.

يتحدث «أبوغازى» عن طبيعة «مختار» الثائر على الأوضاع، مشيرا إلى أنه يوم إزاحة الستار وفى لحظة الاحتفال الباهر، انعزل مختار بعيدا عن مظاهر الاحتفال مع مجموعة من الأصدقاء، وعندما طلب الملك استدعاءه، لم يجده رجال التشريفات، وبدأ الحرج يرتسم على الجو، وأخيرا وجدوه بعد بحث فى الجانب الآخر من الميدان يمزح مع بعض الأصدقاء.

استغرق عمل التمثال ستة أشهر، لكنه انتظر شهورا لإزاحة الستار عنه، وعقب افتتاحه ترددت فى البرلمان رغبة فى مكافأته، فقال رئيس الوزراء: «إن المجد والفَخَار اللذين أحرزهما مختار بإقامة تمثاله فى أكبر ميادين العاصمة يفوق كل مكافأة مادية».

لم يحصل «مختار» على أى تقدير رسمى من نياشين أو أوسمة، وفى رسالة منه إلى وزير الأشغال العمومية قال: «إزاء العطف الذى أظهرته نحوى الأمة والبرلمان والحكومة وما طوقتنى به من المعروف بالمساعدة على إنجاز التمثال الذى أعده مفخرة فى حياتى، أقر لمعاليكم من الآن بأنى أترك أمر التعويض المذكور لمحض تقدير الحكومة بعد إنجاز التمثال وتسليمه، دون أن يكون لى الحق فى الالتجاء إلى أية سلطة أخرى قضائية أو غيرها فى شأن ذلك عدا البرلمان».

٢١ مايو عام ١٩٨٣
رحيل أمل دُنْقُل.. شاعر الكتابة على علب الثقاب والسجائر

فارق الشاعر أمل دنقل سرير الآلام إلى الأبد فى مثل هذا اليوم «٢١ مايو ١٩٨٣»، وهو يبلغ من العمر ٤٣ عامًا فقط، وضع فيها تجربته الشعرية التى تعد من أهم تجارب الشعر العربى.

رحل شاعر «لا تصالح» وهو فى ذروة إبداعه، مما دفع الشاعر العراقى الكبير سعدى يوسف إلى القول: «فقد الشعر المصرى أمله فى تطور الخطوة التالية لصلاح عبد الصبور تطورًا حاسمًا، ولسوف ينتظر الشعر المصرى طويلا حتى يبزغ فيه شاعر له سمات «أمل» الأساسية.

يذكر ملامح حياته الأولى فى حوار له مع الصحفى اللبنانى وليد شميط فى مجلة «الأسبوع العربى» ٢٥ فبراير ١٩٧٤: «ولدت فى قرية بأقصى الصعيد بالقرب من الأقصر، كان والدى رجل دين وكان متزمتًا، ومن هنا اكتسبت نشأتى الأولى بعض الصلابة، وربما بعض الخشونة والجفاف، لم يكن يسمح لى بأى تهاون فى أداء واجباتى أو فى المطالبة بحقوقى فى الوقت نفسه، كان والدى رجلًا مثاليًا فى حياته العامة والخاصة، عندما مات وكنت فى العاشرة ظلت حياتى على النمط نفسه الذى صوره قبل وفاته».

هو «الجنوبى» الذى يصف مسيرته سعدى يوسف فى كتابه «أفكار بصوت هادئ» الصادر عام ١٩٨٣: «أمل دنقل شأنه شأن يحيى الطاهر عبد الله الذى غادرنا مبكرًا أيضًا، لم يفارقه لحظة اعتزازه بمنحدره الطبقى،

بأنـه فقـير جـاء إلى المدينـة كـى يكمـل رحلـة أردناهـا طويـلًا، وكان «أمـل» أمينًـا إلى فقـره فكـرًا وسـلوكًا وحركـة، كان بعيـدًا عـن تلـك «الفهلـوة» التـى يتصـف بهـا أولئـك المثقفـون الذيـن وضعـوا أنفسـهم فى خدمـة آلهـة رومـا الجديـدة، مـن أجـل أن ينالـوا بعضًـا مـن فتـات، وشـيئًا مـن حظـوة، ولقمـة يحسـبونها دسـمة بينـما هـى لا تكفـى كـى يتبلّـغ بهـا كلـب السـيد نفسـه».

يضـع «أمـل» نفسـه فى حـوار مـع جهـاد فاضـل بمجلـة «الحـوادث» اللبنانيـة «مـارس ١٩٨٣» فى «جيـل الهزائـم» الـذى بـدأ احتكاكـه الفعـلى فى الواقع بمشـاهدة المفكريـن والشـعراء والمثقفـين فى المعتقـلات فى عـام ١٩٥٩، وبدايـة انهيـار المـد الوطنـى بانفصـال الوحـدة المصريـة السـورية عـام ١٩٦١.

فى دراسـة لـه بعنـوان «أوراق الطفولـة والصبـا» المنشـورة فى مجلـة «إبـداع»، القاهـرة، أكتوبـر ١٩٨٣، يتحـدث الدكتـور سـلامة آدم الـذى رافـق «أمـل» فى الجنـوب منـذ الطفولـة قائـلاً: «عـاش حيـاة البسـطاء، وظـل عنوانـه «مقهـى ريـش، ميـدان سـليمان باشـا»، لا يحمـل أوراقـا ولا يحلـم بغـير الشـعر، ولا يملـك بيتًـا حتـى بعـد زواجـه عـام ١٩٧٨، وظـل يتنقـل بـين الفنـادق والحجـرات المفروشـة حتـى اسـتقر عـلى سريـره الأبيـض فى معهـد السرطـان، ولم يكُـفّ لحظـة واحـدة عن كتابـة الشـعر، كان يكتبـه عـلى علـب الثقـاب، وهوامـش الصحـف اليوميـة وعلـب السـجائر، وعندمـا يكتـب يمتنـع تمامًـا عـن تنـاول الطعـام، وتبـدأ رحلـة الانتقـال مـن مقهـى إلى مقهـى، ويظـل يـشرب فقـط دون اهتـزاز ودون غيـاب، وكان يسـمى هـذه الحالـة بـ«المعايشـة النصفيـة للواقـع».

٢٢ مايو عام ١٩٦٧
عبد الناصر فى القاعدة الجوية بـ«أبو صوير»
والعالم يشتعل لإغلاق خليج العقبة

كانت الساعة الثانية بعد الظهر، وجمال عبد الناصر يستقل طائرة عسكرية إلى قاعدة أبو صوير الجوية، ومعه زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعلى صبرى نواب الرئيس، وفى القاعدة كان فى انتظارهم عبد الحكيم عامر وشمس بدران وزير الحربية، والفريق أول صدقى محمود قائد القوات الجوية، والفريق أول عبد المحسن المرتجى قائد قوات الجبهة.

أمام ٢٠٠ ضابط طيار تحدث عبد الناصر فى مثل هذا اليوم «٢٢ مايو ١٩٦٧»، ليطلق الشرارة التى تصاعد تأثيرها فى المنطقة والعالم حتى كانت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

تحدث عبد الناصر، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، عن أسباب الأزمة التى افتعلتها إسرائيل بحشد القوات أمام الجبهة السورية لاحتلال مواقع مشروعات نهر الأردن، وحددت لتنفيذها يوم ١٧ مايو، وقال: «تحركنا فعلا يوم ١٤ مايو، ثم طلبنا بعد ذلك أن تنسحب قوات الطوارئ، وقررنا إغلاق خليج العقبة، ولن يمر العلم الإسرائيلى بعد الآن فيه، وسيادتنا على الخليج لا ينازعنا فيها أحد، وإذا هددتنا إسرائيل بالحرب، فإن جوابنا على ذلك سيكون مرحبا بالحرب».

نـص القـرار الـذى أصـدره نائـب القائـد الأعـلى «عبـد الحكيـم عامـر» بعنـوان «قفـل خليـج العقبـة» عـلى سـبع نقـاط كانـت عـلى النحـو الآتـى:

أولاً: يقفـل مدخـل خليـج العقبـة اعتبـارا مـن باكـر ٢٣ مايـو ١٩٦٧، أمـام جميـع السـفن التـى تحمـل العلـم الإسرائيـلى، وكذلـك ناقـلات البـترول عـلى اختـلاف جنسـياتها والمتجهـة إلى إيـلات.

ثانيًـا: يسـمح للسـفن الخارجـة مـن الخليـج عـلى اختـلاف جنسـياتها بالخـروج منـه.

ثالثًـا: يقـوم لنـش طوربيـد نهـارا، والسـفينة «رشـيد» ليـلا بمعارضـة السـفن التـى تحمـل العلـم الإسرائيـلى، وكذلـك ناقـلات البـترول مـن الجنسـيات المختلفـة المتجهـة إلى إيـلات فى المنطقـة جنـوب خليـج العقبـة، لتحذيرهـا مـن دخـول الخليـج.

رابعًـا: إذا لم تسـتجب إحـدى السـفن المذكـورة إلى تحذيـر لنـش الطوربيـد نهـارا أو السـفينة «رشـيد» ليـلا، يقـوم لنـش الطوربيـد أو السـفينة رشـيد بإبـلاغ قائـد منطقـة شرم الشـيخ باسـم السـفينة وموعـد وصولهـا إلى مضيـق «تـيران».

خامسًـا: عنـد وصـول إحـدى هـذه السـفن إلى مضيـق «تـيران» تقـوم المدفعيـة بـضرب طلقـة إنـذار أمـام السـفينة، وتحذيرهـا بواسـطة محطـة الإشـارة البحريـة، ويصـير تكـرار الـضرب والتحذيـر أمـام السـفينة مـرة أخـرى، إذا لم تسـتجب للطلقـة الأولى.

سادسًـا: إذا لم تسـتجب السـفينة إلى طلقتَـى الإنـذار بغـرض تعطيلهـا أولا، يتـم إغراقهـا إذا لم تمتثـل بعـد ذلـك.

سـابعًا: يـصرح بالمـرور للسـفن التـى تحرسـها سـفن حربيـة، ولا يتـم الاعـتراض أو الاشـتباك مـع السـفينة أو السـفينة الحربيـة، حتـى لـو كانـت السـفينة المحروسـة ترفـع العلـم الإسرائيـلى.

لاقـى القـرار تأييـدا كاسـحا مـن الجماهـير العربيـة، ورفضـا عنيفـا مـن أمريـكا والغـرب وإسرائيـل، أمـا الاتحـاد السـوفيتى، فعـبَّر عـن موقفـه فى رسـالة سـلمها سـفيره فى مـصر لـ«عبـد النـاصر» بعـد العـودة مـن «أبوصويـر»، وكانـت عبـارة عن نسـختين واحـدة مكتوبـة عـلى الآلـة الكاتبـة باللغـة الروسـية، والثانيـة بخـط اليـد باللغـة العربيـة، وفى الاثنتـين تأييـد كامـل لموقـف مـصر.

٢٣ مايو عام ١٩٦٧
بدء موعد إغلاق خليج العقبة و«قنبلة دخان» من چونسون

كانت الأيام السابقة على حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ بمثابة إعداد للمسرح الدولى والإقليمى للحرب التى ستشنها إسرائيل، وفى مثل هذا اليوم «٢٣ مايو ١٩٦٧» كان بدء تفعيل قرار مصر بإغلاق خليج العقبة أمام السفن التى تحمل العلم الإسرائيلى، وناقلات البترول على اختلاف جنسياتها المتجهة إلى «إيلات». كان القرار نقطة الارتكاز «الظاهرية» لإسرائيل وأمريكا لتنفيذ خطتها بالتخلص من «الديك الرومى». وهو لقب لـ«جمال عبد الناصر».

فى هذا اليوم، وكما يأتى فى كتاب «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لـ«محمد حسنين هيكل»، تلقى «عبد الناصر» رسالة من الرئيس الأمريكى «چونسون» سلمها السفير الأمريكى الجديد فى مصر «ريتشارد نولتى» إلى وزير الخارجية المصرى محمود رياض، كانت الرسالة رقيقة، لكنها، وحسب وصف هيكل، «قنبلة دخان تغطى النوايا».

جاء فى الرسالة: «لقد تابعت من بعد جهودك فى تطوير وتحديث بلادك، وأستطيع أن أحس كبرياء وطموحات شعبك، وإصرارهم على الدخول بسرعة فى العالم الجديد والمشاركة على قدم المساواة فيه، وأنا أفهم طبيعة القوى السياسية النشيطة فى منطقتكم والمطامح والتوترات والذكريات والآمال التى تتحرك عندهم، ومهمتك ومهمتى هى ألا ننظر إلى الوراء، وإنما نتقدم

لإنقاذ الشرق الأوسط والمجتمع الإنسانى كله من حرب لا أعتقد أن أحدا يريدها».

كانت هناك مذكرة مختلفة أمام «چونسون» من مستشاره للأمن القومى «والت روستو» تكشف ما كان يدور فى الخفاء.

قالت المذكرة نصا لـ«چونسون»: «من الصواب لكم تغطية موقفكم بالنسبة للرسالة الموجهة إلى ناصر أن تفعلوا ما يلى: إبلاغ أشكول (رئيس وزراء إسرائيل» أنكم أرسلتم هذه الرسالة، وإرسال رسالة أخرى إلى «الأتاسى» «رئيس سوريا»، وهاتان الرسالتان توفران تغطية موقفكم، لأن هناك احتمالا حتى وإن كان ضئيلا لقيام ناصر بنشر رسالتكم لكى يبالغ فى تصوير أهميته الذاتية، وهكذا فالأفضل أن نبعث بوسائل مماثلة إلى «أشكول» و«الأتاسى»، ولكى توضحوا أنكم لا تعدُّون ناصر «mr.big» السيد الكبير فى المنطقة ولكنكم تناشدون الجميع ضبط النفس، وأنا أعتقد أن هناك بعض الحكمة فى اقتراح الاثنين».

بين «مناورات الرسالتين» كانت تقف شخصية «چونسون» حاكم أمريكا بالصدفة بعد اغتيال كنيدى فى نوفمبر ١٩٦٣ وكان نائبا له، وعن سماته الشخصية، يقول محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع.. الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»: «قرر الصحفى الأمريكى «روبرت كارو» التفرغ لكتابة سيرة چونسون، تصورت أننى سأحب چونسون، تصورت أنه رجل فقير جدا وغير متعلم وظل يكره الكتب والتعليم طوال حياته، وكان فظا بشكل ما، ولكننى تصورت أيضا أن فى قلبه يوجد أحد الأشياء العظيمة المحركة وهو أن يساعد الناس الذين ولد بينهم، تصورت أن هذا هو الرجل الذى سأكتب عنه، وسأستمتع بالمهمة، ولكن بعد وقت قصير من بدايتى بالعمل، أدركت أن هذه الصورة لدىَّ كانت ناقصة وقاصرة بشكل ملموس، هذا رئيس لم يعرفه أحد، إنه أكثر رؤساء أمريكا فسادا».

٢٤ مايو عام ١٩١٩
الملك فؤاد يتزوج من نازلى بعد أن وصفته بـ«الصايع»

كانت «نازلى» قريبة إلى أسرة «سعد زغلول» تشاركهم فى إعداد الطعام فى كثير من الأيام، وكانت تسمع دائما «سعد» وهو يحكى لزوجته «صفية» عن فضائح البرنس «أحمد فؤاد»، وحسب كتاب «الملكة نازلى غرام وانتقام» للكاتب الصحفى «رشاد كامل»، أنها ذات مرة تجرأت أمام الجميع فقالت: «مسكينة تلك الفتاة التى سيوقعها حظها العاثر لتصبح زوجة لهذا «الصايع»، ولم تعرف أنها هى التى ستكون هذه «المسكينة»».

عقد «فؤاد» قرانه على «نازلى» فى مثل هذا اليوم «٢٤ مايو ١٩١٩»، كان فارق العمر بينهما نحو ٢٠ عاما، كانت الزوجة الثانية لـ«فؤاد»، وكان زوجها الأول، هى صارت «ملكة» وأصبحت كما يقول «محمد حسنين هيكل» فى كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة: «واحدة من ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢».

كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه: «أنا سجينة الملك فؤاد»، هكذا تصف حياتها مع زوجها، حسب الكاتب الصحفى «محمد التابعى» فى كتابه «من أسرار الساسة والسياسة»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، ويأتى التابعى بقصة زواجها من «فؤاد»، ومنها نعرف بدء الطريق نحو صعودها إلى أن تكون من ثلاث سيدات يمسكن بخيوط السياسة المصرية.

يقول «التابعى» إنه سمع من رواة ثقات من أقاربها أنها أرغمت على هذا الزواج، وكانت تحب شابا من أقاربها، وكان أملها فى الزواج منه كبيرا

إلى أن خطبها عظمة السلطان أحمد فؤاد من أبيها «عبد الرحيم صبرى»، وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت فى الصباح الباكر من قصر أبيها ولجأت إلى حبيبها، وراح الفتى يتنقل وهى معه من دار صديق إلى دار صديق خوفا من مطارديه، فقد انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عنها، وأخيرا أدرك الفتى ألا فائدة، وأنه قد يصيبه بطش السلطان، فأركبها حنطورا وأعادها إلى قصر أبيها فى المساء.

يضيف «التابعى» أنه تم عقد القران، وأصبحت «نازلى» صاحبة العظمة السلطانة، لكنها حبيسة فى القصر، عليها فى كل ردهة وكل رُوَاق وغرفة عيون وأرصاد ولا تغادر القصر إلا بإذن، ولا تزور ولا تُزار إلا بإذن، كان أحمد فؤاد شديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة، التى أصيبت من «فؤاد» بعدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيُّح اللثة أو «البيورى».

ويقول «التابعى» إنه بعد وفاة الملك قال له الدكتور «ستانكيفتش» الروسى الأصل وطبيب الأسنان الخاص بـ«الأسرة الملكية»، إن فى فم الملكة نازلى تسع أسنان عايمة أو ملخلخة بسبب تقيح اللثة، ولما كان يعرف أن «فؤاد» عنده نفس الداء «تقيح اللثة» سألها ذات يوم لكى يتأكد من أصل العدوى وسببها: «هل جلالة الملك يقبلك من فمك؟ فضاقت عيناها قليلا وبدا فيها حقد وسخط قائلة: «يقبلنى فى فمى؟ إنه لا يكتفى بمجرد التقبيل».

٢٥ مايو عام ١٩٥٠
أمريكا تنذر الأميرة فتحية وزوجها
وترفض طلب «فاروق» بتفريقهما

سُئلت الأميرة «فتحية» عن رأيها فى معارضة شقيقها الملك «فاروق» لزواجها من «رياض غالى»، فأجابت: «غايتى الوحيدة أن أجعل زوجى سعيدا، وأن أنجب له عددا كبيرا من الأطفال».

كان ذلك ضمن وقائع مؤتمر صحفى جرت وقائعه فى «سان فرانسيسكو» بأمريكا، حضرته الملكة «نازلى» والأميرة «فتحية» و«رياض غالى»، ويأتى به محمد حسنين هيكل فى كتابه «سقوط نظام» واستهدف المؤتمر الرد على القرارات الصادرة من «مجلس البلاط الملكى» فى مصر، والتى عَدَّت زواج «فتحية» المسلمة من «رياض» المسيحى باطلا، وقرر المجلس: «التفريق فورا بالحيلولة بينهما ووضعها تحت يد حضرة صاحب الجلالة الملك».

كانت هذه القضية واحدة من القضايا التى زلزلت كيان «الأسرة المالكة»، والتى بدأت وقائعها فى صيف ١٩٥٠ بدءا من شهر مايو، حيث تزوجت «فتحية» من «رياض غالى» يوم العاشر منه، وكانت بصحبة والدتها الملكة نازلى التى تركت مصر قبل ذلك بشهور وبصحبتها ابنتاها «فتحية وفائقة».

لم يكن لجوء «فاروق» إلى «مجلس البلاط الملكى» هو الوسيلة الوحيدة التى اتبعها من أجل الضغط على أمه لإعادتها إلى مصر ووقف هذا الزواج،

وإنما خاطب الحكومة الأمريكية بطردهما، وهذا ما يتضح فى وقائع المؤتمر الصحفى وكانت وقائعه كالتالى:

سُئلت الأميرة «فتحية» عن وقع قرارات مجلس البلاط فى نفسها، فأجابت: «حسنا، هذا ما كنت أريده منذ زمن».

و سئلت الملكة «نازلى» عن رأيها فى هذه القرارات، فأجابت بقولها: «لقد كنت أتوقع هذا الأمر، لذلك فهو لا يهمنى فى شىء».

وسئل رياض غالى فى الموضوع فقال: «إن هذه القرارات لا تهمنى، ولا تهم زوجتى فى شىء، ولكن اهتمامنا الآن مُنصبّ على ما يمس جلالة الملكة «نازلى» من هذه القرارات».

«كانت الملكة نازلى قد اعتبرت أن فاروق انتهز الفرصة ليستولى على ثروتها من الأرض والعقارات والأثاث والتحف والأموال السائلة»، وأضاف رياض غالى: «على أى حال فإن لدينا من المال ما يكفينا بعض الوقت، أما فيما يتعلق بالزواج الدينى، فإننا نعد العدة الآن لإتمامه فى خلال بضعة أيام».

سئل «رياض غالى» عما يعتزمه الآن بعد أن تلقى إنذار مكتب الهجرة «الأمريكى»، بضرورة مغادرة البلاد فى مدة لا تتجاوز مثل هذا اليوم «٢٥ مايو ١٩٥٠»، فقال إنه يفكر مع زوجته «فتحية» فى السفر إلى جزر «هاواى» حيث لا تزال تقيم الأميرة «فائقة» مع زوجها «فؤاد صادق».

وفيما يتعلق بقرار مجلس البلاط الملكى الخاص بتفريق «فتحية» و«رياض»، بوصف أن زواج المسلمة من غير المسلم باطل بطلانا أصليا، ولا يترتب عليه أى أثر من آثار الزوجية طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، فإن السلطات الأمريكية ترى أنه لا يمكن اتخاذ خطوات عملية فى سبيل تنفيذه.

٢٦ مايو عام ١٨٨٢
البارودى يستقيل .. وعرابى: «من كان معنا فليَقُمْ»

حضر الأسطولان الإنجليزى والفرنسى إلى مياه الإسكندرية، وخاطبت الدولتان مصر بالتهديد والوعيد، كان ذلك بسبب اشتداد الخلاف بين الوزارة برئاسة محمود سامى البارودى، والخديو توفيق.

خاطبت الدولتان الخديو بضرورة استقالة الحكومة، وحسب كتاب «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى، أنه فى يوم ٢٥ مايو ١٨٨٢، جاءت تعليمات الحكومتين الفرنسية والبريطانية إلى قنصليهما فى مصر، ومضمونها تقديم بلاغهما النهائى إلى الوزارة المصرية وانتظار الجواب منها، وبعد ظهر ذلك اليوم قدم القنصلان البلاغ إلى البارودى فى شكل مذكرة «نوتة»، طلبا فيها استقالة الوزارة، وإبعاد «عرابى باشا» عن القطر المصرى مؤقتا مع حفظ رتبته ومرتباته ونياشينه، وإقامة عبد العال حلمى باشا وعلى فهمى باشا الديب فى الأرياف، بجهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبتهما ومرتباتهما ونياشينهما.

كان الحدث كبيرا، ويأتى فى مجمل أحداث أخرى، تتضافر جميعها لتهيئة «المسرح» لاحتلال بريطانيا لمصر، والذى سيأتى فيما بعد، ويوم أن تلقت الحكومة مذكرة التهديد، اجتمعت لمناقشة الأمر، وقررت رفض مطالب الدولتين، وينقل «الرافعى» عن «البارودى» قوله، بأنه نصح عرابى بقبولها فلم يقبل هو وإخوته، وأيد هذه الراوية «أحمد بك رفعت» سكرتير مجلس

الوزراء، إذ قال إن «البارودى» أفضى إليه بأنه مقتنع بقبول هذه المطالب ولكن «الجهادية» لم تقتنع، فقال له «أحمد بك رفعت»: «أقنعهم»، فأجابه «البارودى»: «لا يمكنني، فإننا متحالفون مع بعض».

ذهب «الخديو» مذهبا مختلفا عما ذهبت إليه الحكومة، حيث أعلن قبول مطالب الدولتين، مما أغضب الحكومة، فقدمت استقالتها فى مثل هذا اليوم «٢٦ مايو ١٨٨٢» وقبل الخديو الاستقالة، وهاجت الخواطر وخاصة بين الضباط لأن قبول استقالة الوزارة معناه إقصاء عرابى عن وزارة الحربية.

فى اليوم التالى للاستقالة، بلغ التحدى ذروته، ففى منزل «محمد سلطان باشا» رئيس مجلس النواب، اجتمع النواب وكبار العلماء، وانضم إليهم «عرابى» وجمع من كبار الضباط، منهم «عبد العال حلمى»، وعلى فهمى باشا، ومحمد عبيد بك، وعدد من صغار الضباط والجنود الذين دخلوا الاجتماع فى شكل مظاهرة عسكرية، وطالبوا علنا بخلع الخديو.

ويتحدث «عرابى» عن وقائع هذا الاجتماع فى مذكراته، الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، وتشمل خطبته التى قالها أمام الاجتماع، وهاجم فيها الخديو ورفض الخضوع لمطلب بريطانيا وفرنسا، ونادى بخلعه وقال: «من كان معنا فليقُمْ»، ويصف «الرافعى» الحال بعد هذه الكلمة من عرابى، بقوله: «حدثت ضجة كبيرة فى المكان، ووقف الضباط، ولكن معظم النواب والملكيين لم يقوموا، فتهددهم الأميرالاى محمد بك عبيد بالسيف، فظلوا جالسين، وتبين من ذلك الموقف أن النواب لا يوافقون عرابى على خلع الخديو».

والملاحظ أن تناول «الرافعى» لقضية الثورة العرابية، عبر كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى» لا يؤيد مسارات الثورة العرابية، ويصف «عرابى» فى كثير من خطواته بـ«المتهور».

٢٧ مايو عام ١٨٦٦

«إسماعيل» يغير نظام وراثة العرش بـ«ثلاثة ملايين جنيه»

كانت لديوان الخديو إسماعيل قصص كثيرة أثقلت كاهل مصر فأغرقتها، ومن بينها مسألة وراثة العرش، فبينما قَبِل جده «محمد على باشا» فرمان الدول الكبرى عام ١٨٤١ بأن يئُول عرش مصر إلى أكبر أفراد «الأسرة العلوية» سنًا، سعى «إسماعيل» إلى أن يئُول العرش إلى أكبر أنجاله، وبذل جهدًا كبيرا لتحقيقه.

كان سلاح المال هو أداة إسماعيل فى هذا المسعى، وحسب كتاب «عصر إسماعيل»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى، قام إسماعيل بدفع ثلاثة ملايين من الجنيهات لـ«الآستانة» عاصمة الدولة العثمانية، ليعدل نظام وراثة العرش، ليحصل عليه فى مثل هذا اليوم «٢٧ مايو ١٨٦٦».

ويؤكد «الرافعى» أن تركيا اشترطت مقابل هذا التغيير زيادة الجزية السنوية من ٤٠٠ ألف جنيه عثمانى إلى ٧٥٠ ألفا أى ما يقرب من الضعف، وهى زيادة فادحة تحملتها مصر، وبلغت قيمتها حتى سنة ١٩٤١ وهى السنة التى زالت فيها السيادة العثمانية ما يزيد على ١٥ مليون جنيه مصرى، والمثير أن الحكومة الخديوية بعد زوال السيادة التركية قبلت تحويل الجزية إلى دائنى تركيا، وتعهدت بدفع أقساط ديونهم السنوية خصما من الجزية حتى عام

١٩٥٥، وإذا حسبنا خسارة مصر منها منذ إقرارها عام ١٨٦٦ إلى سنة ١٩٥٥، فسنجد أنها بلغت ما يزيد على ٢٥ مليون جنيه مصرى عدا فوائدها.

ويشير محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس» إلى أن جمال عبد الناصر، وهو يبحث فى مسألة إعادة تنظيمه لهياكل الدولة وجد أن مصر مستمرة فى هذا الأمر، ففوجئ بذلك وتم وقفه، ولم تكن هناك مستندات يتم بمقتضاها مطالبة تركيا بهذه الأموال التى دفعتها مصر لتنفيذ رغبة «إسماعيل» ببقاء الحكم فى أسرته، والذى تواصل مع ابنه توفيق، ثم عباس حلمى الثانى، فالسلطان حسين كامل، ثم الملك أحمد فؤاد الأول، وأخيرا الملك فاروق.

لماذا فعل «إسماعيل» ذلك؟

يجيب «الرافعى» بأن السبب لا علاقة له بمصلحة مصر من بعيد أو قريب، وإنما يدور فى نطاق الصراع العائلى بينه وأخيه من أبيه مصطفى فاضل وعمه عبد الحليم، حيث كان يسود بينهم الشقاق والخلاف، ولم يكن إسماعيل يخفى كرهه لهما وحقده عليهما، وكانا لا يخفيان نفس المشاعر ناحيته، ولذلك سعى إلى حرمانهما من وراثة العرش الذى كان سيئُول إلى أحدهما حسب الفرمان المعمول به من عام ١٨٤١.

اللافت أكثر فى هذه القصة أن تركيا لم تقف استفادتها بالحصول على الأموال من «إسماعيل» وفقط، وإنما امتد للأميرين «عبد الحليم ومصطفى فاضل» حيث تسابق الاثنان فى دفع الأموال إلى «الآستانة» من أجل إفساد مخطط إسماعيل، وبذلك استفادت من الجهتين.

فى تسابق الطرفين على دفع الأموال لتركيا حسم إسماعيل السباق لصالحه لأنه دفع أموالا أكثر، وأخذت هذه القصة بعدا دراميا، حين تقرر عزل إسماعيل فلم يظهر وفاء ابنه توفيق الذى كان، حسب «محمد عودة» فى كتابه «ليبراليون وشموليون»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «أسعد الناس بعزل والده من أجل أن يتولى هو الحكم».

٢٨ مايو عام ١٩٤٦
أول قمة عربية فى «أنشاص» وتوقيع ميثاقها بـ«الروب دى شامبر»

شعر عاهل الأردن الملك عبد الله بـ«النُّعَاس»؛ فاتفق مع الملك «فاروق» وسائر المجتمعين على أن يأذنوا له بالذهاب إلى فراشه، خصوصا أنه سيسافر فى ساعة مبكرة من الصباح، وقال إنه سيمضى «الميثاق» عندما يستيقظ.

كان الحدث الذى أدى إلى نعاس الملك عبد الله، هو مؤتمر «القمة العربية» الأول فى تاريخ العرب فى مثل هذا اليوم «٢٨ مايو ١٩٤٦»، ودعا إليه الملك فاروق حاكم مصر، وكانت «أنشاص» هى مكان انعقاده.

تذكر الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها «فاروق الأول وعرش مصر»، أنه منذ نهاية عام ١٩٤٤ كان «فاروق» يتحرك تجاه فلسطين، وراح يتحدث عن قضيتها فى لقاءاته بالضيوف الأجانب، ويتعرض للموقف الأمريكى المتعاطف مع اليهود، وكيف أنه يؤدى إلى أن واشنطن ستخسر العرب، ويبين للسفير البريطانى أن قيام دولة يهودية يتمخض عنه إقامة علاقات لها مع السوفيت، وكان يتصور أن اتباعه لهذه النغمة سيدفع بريطانيا للتحرك الإيجابى ضد اليهود.

فى عام ١٩٤٦، نشرت لجنة التحقيق «الأنجلو أمريكية» تقريرها وأوصت فيه بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، فبعث فاروق برسائله الخاصة حول ضرر ذلك،

ودعا ملوك ورؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر فى «أنشاص»، وحضره قادة وممثلو الأردن وسوريا والعراق ولبنان والسعودية واليمن، وافتتحه فاروق، وارتكزت المناقشات على الرفض لأى هجرة يهودية جديدة إلى فلسطين.

فى مذكرات كريم ثابت مستشار «فاروق» التى تحمل عنوان «عشر سنوات مع فاروق»، يتحدث بالتفصيل عما دار فى كواليس «قمة أنشاص»، ويقول مثلا، إن فاروق انتهز فرصتها ليُظْهر للملك عبد الله ملك الأردن، والأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق، أنه لا يحابى السعوديين، فبالغ فى تكريمهما والعناية بهما، حتى إنه فى إحدى المآدب اختار بنفسه شرائح اللحم وقدمها بيديه إلى «عبد الله».

فى اليوم الأخير للاجتماع تم الاتفاق على الميثاق النهائى، لكن لم تُعطَ مُسوَّدته إلى «الخطاطين» لكتابته إلا فى ساعة متأخرة، فكان من الطبيعى أن يتأخر «الخطاطون».

وقرب الساعة الثانية صباحا انتهوا من المهمة، وتسلم «فاروق» النسخة النهائية للميثاق، ودعا المجتمعين للتوقيع عليها، وكان الملك عبد الله نائما، فقال فاروق: «سأوقظ الملك عبد الله، وأطلب منه أن يوقع الآن»، فالتفت إليه الشيخ بشارة الخورى رئيس لبنان قائلا: «لئلا يغير رأيه فى الصباح»، وهُرع «فاروق» إلى الجناح الخاص بـ«عبد الله» وطرق بابه بقوة، ثم ارتفع صوت الملك عبد الله من الداخل مفزوعا: «من، من، خير إن شاء الله»، فرد «فاروق»: «أنا فاروق.. إحنا جينا علشان جلالتك تمضى».

فتح الملك عبد الله الباب وعيناه الناعستان تكذبان تأكيده لفاروق بأنه لم يزعجه بإيقاظه بتاتا، ثم جلس ووقع على الميثاق وهو يرتدى «الروب دى شامبر»، ويقول «كريم ثابت»: لعله أول ميثاق أُمضى بـ«الروب دى شامبر».

٢٩ مايو عام ١٩٧٨
موت الملكة نازلى بعد ٢٠ عامًا من تحوُّلها إلى الكاثوليكية

فى إحدى كنائس «لوس أنجيليس» بأمريكا، تمت مراسم دفن الملكة نازلى عبد الرحيم صبرى ودفنها بـ«كاليفورنيا».

ماتت الملكة فى مثل هذا اليوم «٢٩ مايو ١٩٧٨»، وعمرها ٨٤ عاما شهدت فيها عواصف هائلة منذ أن تزوجت الملك فؤاد، وأنجبت منه «فاروق» الذى ورث عرش أبيه، وقصتها بعد سفرها إلى أوروبا ثم أمريكا وبقائها فيها منذ عام ١٩٤٦ وحتى رحيلها، كانت دراما حقيقية، ومن أهم محطاتها تحولها من الإسلام إلى المسيحية التى ماتت عليها.

عن قصة تحولها إلى المسيحية، يقول الكاتب صلاح عيسى فى كتابه «البرنسيسة والأفندى»، إن «نازلى» اعتنقت المسيحية عام ١٩٥٨، وبررت ذلك بأنها نجت من موت محقق على أثر العمليات الجراحية المتكررة التى أُجريت لها فى أحد المستشفيات الكاثوليكية، وأنها نذرت قبل إجراء إحدى هذه العمليات أن تعتنق «الكاثوليكية» إذا أمد الله لها فى عمرها ونجت من الموت، ولهذا رأت أن تفى بنذرها، وأن تعود إلى دين ومذهب جدها الكولونيل «أونتلم أوكتاف سيف»، وكان ضابطا فرنسيا جاء مع الحملة الفرنسية إلى مصر، لكنه تخلف عن العودة، وأشهر إسلامه وأصبح قائد ومدرب الجيش المصرى حتى عصر «سعيد باشا».

لم ترتدَّ «نازلى» وحدها عن الإسلام لتعتنق «المسيحية»، وإنما فعلت ذلك أيضًا ابنتها «فتحية» التى غادرت مصر معها عام ١٩٤٦، وتزوجت فى عام ١٩٥٠ من «رياض غالى» المسيحى، وقيل وقتها إنه أشهر إسلامه، كما أقدمت ابنتها «فائزة» على نفس الفعل. وكان لـ«فائزة» دراما من نوع آخر، فحسب كتاب «سقوط نظام» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، نجحت فائزة فى تهريب مجوهراتها عن طريق الحقيبة الدبلوماسية للملحق العسكرى التركى الكولونيل «محمد نور الدين»، لكن الضابط الذى قام بالتهريب لم يسلم المجوهرات إلى الأميرة فى باريس كما كان متفقا عليه، ووجدت الأميرة نفسها مفلسة فى العاصمة الفرنسية، فأكملت رحلتها إلى كاليفورنيا تشارك والدتها حياتها، وكذلك تدخل معها فى عقيدتها الدينية الجديدة (المسيحية الكاثوليكية).

عاش الثلاثة فى أمريكا «مسيحيات كاثوليكيات»، ويرجح صلاح عيسى، أن «نازلى» هى صاحبة فكرة التحول إلى المسيحية، إذ كانت منذ بداية شبابها تؤمن بالسحر والتنجيم وقراءة الفنجان وضرب الرمل واستكشاف الطالع، واللافت هنا هو ما ذكرته «نازلى» دفاعا عن تزويجها لابنتها الأميرة «فتحية» المسلمة، إلى «رياض غالى» المسيحى الذى قيل إنه أشهر إسلامه، حيث علقت فى حديث لصحيفة أخبار اليوم: «فتحية بزواجها من رياض غالى تكسب ثواب الذى كسب لدينه مؤمنا جديدا»، وهذا التبرير الدينى تناسته بعد ذلك باعتناقها المسيحية.

عاشت «نازلى» فى أمريكا حياة بائسة حتى رحيلها، ففى عام ١٩٧٣ أعلن البنك الفيدرالى الأمريكى عن إفلاسها وجدولة ديونها وبيع ممتلكاتها بالمزاد العلنى، لتواجه بعدها حياة صعبة حتى رحيلها.

٣٠ مايو عام ١٩٦٧
الملك حسين فى زيارة مفاجئة لمصر ويعود بـ«عبدالمنعم رياض»

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الثلاثاء الموافق مثل هذا اليوم «٣٠ مايو ١٩٦٧»، كان العاهل الأردنى الملك حسين فى مكتب الرئيس «جمال عبد الناصر» فى قصر القبة، اصطحب رئيس وزرائه «سعد جمعة»، واللواء «عامر خماش» قائد الأركان الأردنى، وحضر عبدالحكيم عامر الاجتماع إلى جانب عبد الناصر.

كان كل شىء يقود إلى حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، وكانت هذه الزيارة واحدة من الأحداث الغامضة التى خيمت على المنطقة قبل الحرب، فتوجهات السياسة الأردنية والإعلام الأردنى توحى بشىء آخر، واستغرب «عبد الناصر» حين علم برغبة «الملك» فى الزيارة التى تقررت قبلها بيوم واحد.

وفى كتابه «الانفجار» يحاول محمد حسنين هيكل فك غموض هذه الزيارة، قائلا: «إنه فيما بعد ثار سؤال كبير لعله ظل مكتوما حتى الآن»، وهو: ما الذى كانت تعرفه الولايات المتحدة عن نية الملك فى الحضور إلى القاهرة، وعن حضوره فعلا، وعن محادثاته فيها ونتائجها بما فيها اختيار قائد مصرى للجبهة الأردنية؟

فى مطالعة محضر الاجتماع الذى أورده «هيكل» فى كتاب «الانفجار»، قال جمال عبد الناصر بالحرف: «لقد كنتم تطالبون منذ سنين بقفل خليج العقبة، وكنتم تعرفون بلا شك أن ذلك معناه مواجهة مع إسرائيل، وربما مواجهة مع

أمريكا، المواجهة مع إسرائيل قد تصل إلى الحرب، وكنت أشعر أن أمنيتكم أن أدخل مع اليهود فى معركة، وأن اليهود يضربوننا».

رد الملك حسين: «أمتنا تواجه مسئولية مصيرية، والصدام مع إسرائيل حتمى سواء أردنا استرداد الحقوق أو مقاومة التوسع».

شمل الاجتماع قضايا كثيرة من بينها سؤال الملك حسين عن الجبهة السورية، فاتصل عبدالحكيم عامر بالسوريين، وجاء الرد: «نعارض إطلاع الأردنيين على خططنا».

أما القضية الأهم فكانت طلب الملك بأنه يريد قائدا عسكريا مصريا لقيادة العمليات على الجبهة الأردنية، واقترح اسم الفريق عبدالمنعم رياض، ورغم دهشة «عبد الناصر» فإنه وافق، ثم طلب الملك حسين أن يأخذ «رياض» معه على طائرته عائداً به إلى الأردن.

هكذا انتهى الاجتماع بسفر «رياض» إلى الأردن، وبقى «لغز» الزيارة، وفى محاولة لفكه يتحدث «هيكل» عن رسالة تلقتها مصر من مندوب المخابرات المصرية فى نيويورك «على إسماعيل»، وكان يعمل تحت ستار أنه دارس للإدارة العليا فى جامعة كولومبيا بنيويورك.

يقول «على إسماعيل» فى رسالته، إن مقابلة سرية تمت بين الجنرال «خمَّاش» والسفير الأمريكى فى عمان الأول من يونيه ١٩٦٧، طلب فيها «خماش» من «السفير» سرعة نقل ٢٥ طائرة نفاثة مقاتلة سبق إرسالها من أمريكا إلى الأردن، كان هذا المطلب قبل أن تبدأ المعركة وبعد ساعات من زيارة «حسين» إلى مصر، ويبدا غريبا أن الملك الذى جاء إلى مصر ليطلب قائدا مصريا للجبهة الأردنية، كان شاغله فى اليوم التالى أن يبعد طائراته عن قواعدها!

٣١ مايو عام ١٩٣٤
بِدْء الإذاعة الحكومية بقراءة للشيخ محمد رفعت

بدأ بث الإذاعة للمملكة الرسمية بتلاوة للمقرئ الشهير محمد رفعت، كان ذلك يوم الخميس الموافق مثل هذا اليوم «٣١ مايو ١٩٣٤» فى عهد الملك «أحمد فؤاد الأول»، وفى كتابه «فؤاد الأول- المعلوم والمجهول» يسرد المؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق تفاصيل هذا الحدث الذى نقل مصر من حال إلى حال.

قبل أن تدخل الحكومة إلى هذه الخطوة، كانت هناك المحطات الإذاعية الأهلية التى بلغ حد الانفلات فيها درجة عالية، وصفها الكاتب الصحفى أحمد الصاوى محمد فى مقاله اليومى «ما قَلَّ ودَلّ» فى الأهرام يوم «٢٠ مايو ١٩٣٤» بقوله: «انقلب فى الراديو كل شىء رأسا على عقب، وأصبحت المواعيد تلقى فيه، فيقول أحد العاطلين: انتظروا فلانا فى قهوة كذا الساعة كذا، وتستأجر شركات مالية هذه المحطات فتظل تصرخ ثلاث مرات فى النهار تتهم بعضها البعض بالنصب وغش الجمهور، وأصبحت كل صعلوكة تدفع نصف ريال فى الشهر يُنادى باسمها من الراديو خمس مرات فى النهار لأنها طلبت الأسطوانة الفلانية، وما إلى ذلك من السخافات وغناء المعدِّدات، وتكرر نمرة بيتها واسم حارتها وزقاقها».

دعت هذه الحالة الحكومة إلى إطلاق «الإذاعة الحكومية»، وتعهدت فى عقد الامتياز مع شركة «ماركونى» بإغلاق المحطات الأهلية، مما دعا أصحابها إلى الإضراب ثلاثة أيام قبل البث الرسمى للإذاعة الحكومية.

فى اليوم الأول للبث الإذاعى، وبعد تلاوة الشيخ محمد رفعت آيات من القرآن الكريم ألقى الشاعر المعروف على الجارم قصيدة شعر بعنوان: «تحية جلالة الملك»، تبعه فاصل موسيقى للآنسة «أم كلثوم»، ثم ألقى «حسين شوقى» نجل أمير الشعراء أحمد شوقى أبياتا من قصيدته عن «النيل»، وكان شوقى تُوفِّى قبلها بعامين، وجاء فى مطلع القصيدة:

«من أى عهد فى القرى تتدفق   وفى أى كف فى المدائن تغدق»

تتابَع البرنامج، وكما قالت صحيفة الأهرام: «جاء دور الأستاذ المفتنَ محمد عبد الوهاب فى الختام، فحرك أوتار القلوب واستولى على الأفئدة بصوته الساحر وفنه المنتخب، وود الجمهور لو استعاد بعض ما سمع ولكن هيهات».

لم يتم البث من «استوديو» كما جرت الحال بعد ذلك، وإنما، وحسب جريدة الأهرام: «كان مكان الإلقاء هو الذى يلقى فيه المغنون والمحاضرون، وانهمك حضرة الهمام سعيد بك لطفى رئيس الإذاعة فى العمل متحملا أكبر عبء من الجهد والمشقة لتكون الإذاعة على أدق الضوابط الفنية».

يشير «يونان لبيب رزق»، إلى أن ولادة هذه المؤسسة لم تكن سهلة، شأنها فى ذلك شأن باقى المؤسسات ذات الصلة المباشرة بالجماهير، صحيح أن عدد من يحوزون أجهزة الاستقبال فى ذلك العصر كان محدودا، لكنه كان قابلا للانتشار السريع، هذا من ناحية، ولأنه اقتحم على الناس بيوتهم من ناحية أخرى، وكان اقتناء أية أسرة لمثل هذا الجهاز مناسبة سعيدة، يتوافد عليهم مع حدوثها الجيران والأقارب لتقديم واجب التهنئة.

١ يونيه عام ١٩٦٧
ديجول لـ«عبد الناصر»: «لا تتركوا السيارة تندفع إلى المجهول»

توجهت أنظار العالم نحو مصر قبل حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، كانت القاهرة مركز الأحداث، وكان الجميع - كما يقول محمد حسنين هيكل - فى كتابه «الانفجار» على اتصال بمصر بين ناصح ومحذر.

وفى مثل هذا اليوم «١ يونيه ١٩٦٧» دخل الرئيس الفرنسى شارل ديجول على خط الأزمة، كانت هناك رسالة يريد إرسالها إلى «عبد الناصر»، فاستدعى السفير المصرى بقصر الإليزيه لنقلها، ويتحدث عنها «هيكل» فى كتابه، ويعطى ملمحًا فيها عن طبيعة شخصية «ديجول»: «كان يؤْثِر الاختصار فيما يقول ويلقى بخطوط عريضة تاركا لسامعيه أن يفسروها على النحو الذى يشاؤون».

لم تَـزِدْ مقابلة «ديجول» لـ«النجار» على عشر دقائق، وشملت بندين فقط، الأول أنه يرى ضرورة عقد مؤتمر قمة رباعى، للسيطرة على اندفاع الحوادث، ويود أن يؤكد للرئيس عبد الناصر أن هدفه من ذلك ليس فرض وصاية على العالم لحساب الدول الأربع الكبرى، إنما رأيه أن عملًا على مستوى القمة الدولية هو وحده الذى يستطيع أن يحرك «فرامل السيارة المندفعة بأقصى قوتها إلى المجهول».

وقال فى البند الثانى إنه يريد أن يتصل الرئيس «ناصر» بالاتحاد السوفيتى لكى يغير رأيه فى معارضة اجتماع على مستوى القمة، وفى تقديره أن موافقة

الاتحاد السوفيتي على «قمة عربية» سوف تكون مفيدة للطرف العربي، فليس من صالحه أن يجرى علاج الأزمة فى الشرق الأوسط على القمة بين القوتين العظميين وحدهما، لأن ذلك إذا حدث فسوف يجعل علاج الأزمة مرتهنًا بعمل العلاقات بين القوتين الكبيرتين، وبالتالى يُدْخلها إلى مجال المساومات والتوازنات مع مناطق أخرى للتوتر فى العالم، وبالتالى فإنه يجعل علاجها مسألة صفقات أكثر منه أى شىء آخر.

خرج السفير المصرى من مقابلة «ديجول» ليجلس بعض الوقت مع مدير مكتبه الذى شرح له تفصيلًا سياسة «ديجول» إزاء الأزمة، ناصحًا أن تقوم مصر باهتمام أكبر بأوروبا وفرنسا بالذات.

فى حديث مدير مكتب «ديجول» مع السفير، أثار نقطة مهمة لازالت تمثل عجزا لدى العرب، دولا ومؤسسات، وهى كيفية مخاطبة الغرب، حيث نصح بتعزيز الجهود للوصول إلى الرأى العام الفرنسى، واقترح تنظيم حملات إعلام تواجه الحملة الإسرائيلية التى تقوم على توجيهها مجموعة من اليهود المتعاطفين مع إسرائيل، وعلى رأسهم البارون «دى روتشيلد»، واقترح إرسال مبعوثين مصريين إلى فرنسا للاتصال بكل القوى الشعبية بما فى ذلك الحزب الشيوعى، والاشتراكيون بقيادة فرانسو ميتران، الرئيس الفرنسى فيما بعد.

وأضاف مدير مكتب «ديجول»: «لا تتصوروا أن هؤلاء سوف يأخذون الخط مع موسكو»، وقال: «فى حملتنا الانتخابية للرئاسة، ورغم كل سمعة ديجول وهيبته، استعنًا بمكتب للعلاقات العامة، تولى كل شئون الصحافة والتليفزيون والفنانين وغيرهم، ونفس الشىء يفعله الإسرائيليون أيضًا رغم كل ما لهم هنا من قواعد».

أرسل السفير المصرى رسالة بكل ما حدث إلى مصر، لكن الساعة كانت تدخل للانفجار.

٢ يونيه عام ١٩٦٤

چونسون يجتمع مع «أشكول».. ومساعد وزير الخارجية الأمريكى للسفراء العرب: «مواكبكم مثل الجنازات»

لم تكد طائرة الزعيم السوفيتى «خروشوف» تقلع من مطار القاهرة عائدة إلى «موسكو» بعد زيارة طويلة إلى مصر، حتى كانت طائرة رئيس وزراء إسرائيل «ليفى أشكول» تهبط فى «فيلادلفيا» الأمريكية، التى وصلها بادئا زيارة رُتبت على عجل للاجتماع بالرئيس الأمريكى چونسون.

كان لقاء «چونسون وأشكول» فى مثل هذا اليوم «٢ يونيه ١٩٦٤»، وذلك بعد يومين من بدء زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى أمريكا، كانت «القاهرة» وقتئذ، وكما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، قد وضعت العلاقات العربية السوفيتية على أساس سليم، بعد المفاوضات التى أجراها خروشوف فى القاهرة مع «عبد الناصر»، وشارك فى جانب منها الرئيس الجزائرى «أحمد بن بيلا» الذى كان زائرا لمصر مع الرئيس العراقى عبدالسلام عارف، وجاءوا جميعا للمشاركة فى احتفالات مصر بتحويل مجرى مياه النيل.

وبقدر ما شهدت هذه الزيارة تأسيسا لنمو العلاقة فى مجالات التصنيع والتسليح واستصلاح الأراضى، شهدت أيضا حوارات فكرية راقية بين خروشوف وعبد الناصر وبن بيلا حول الشيوعية وأحزابها فى المنطقة العربية، ونقد الزعيمين العربيين لها لتصادمها مع الإسلام.

قال عبد الناصر لـ«خروشوف»: لابد من الاتفاق على أن بين القوميين العرب والشيوعيين خلافا يحسن بالأطراف جميعا أن يسلموا بوجوده، فالإسلام هو الجوهر الحضارى للقومية العربية، والإسلام دين سماوى، والمؤمنون به ليسوا مستعدين للمساومة فيه سياسيا مهما كان الثمن، وتطرق «بن بيلا» إلى شرح التناقضات التى لابد من الاعتراف بها بين عقائد الغرب وجوهرها الإسلام، وبين العقائد المادية للفكر الماركسى، ثم تطرق من ذلك إلى الحديث عن دور التنظيمات الشيوعية فى العالم العربى.

كان «چونسون» فى انتظار «أشكول» على أبواب البيت الأبيض، ووفقا لـ«هيكل» رحب بعبارات لم يسمعها أحد من قبل، صادرة عن رئيس أمريكى موجهة إلى رئيس وزراء إسرائيل، فقد قال «چونسون» موجها كلامه إلى «أشكول»، إن إسرائيل لها أن تعرف وأن تثق بأن لها صديقا وفيا وحميما فى البيت الأبيض، وأن سلامة وأمن إسرائيل هما جزء لا يتجزأ من سلامة وأمن الولايات المتحدة.

كان كلام «چونسون» بكل ما شمل من قطع فى تأييد إسرائيل، أشبه بالقنبلة التى وقعت على السفراء العرب فى واشنطن، وبعد تدارس الموقف منهم واتصالهم برؤساء وملوك بلادهم، قرروا تسليم احتجاج جماعى باسم العرب جميعا إلى وزارة الخارجية الأمريكية، وبالفعل توجهوا إلى الوزارة واستقبلهم مساعد وزير الخارجية الأمريكى الذى قال لهم: «إن مواكب السفراء العرب آن لها أن تتوقف، وأنها أصبحت مثل مواكب الجنازات».

عَدَّ السفراء العرب ما سمعوه استفزازا بالغا، فغادروا مكتب مساعد وزير الخارجية الأمريكى؛ معلنين أنهم قرروا التشاور مع حكوماتهم فيما عدُّوه إهانة جماعية لحقت بهم، وتلقت العواصم العربية والجامعة العربية وأمينها العام عبد الخالق حسونة تقريرا من السفراء بما حدث.

٣ يونيه عام ١٨٩٩
محمد عبده مفتيا ويقول: مكثت عشر سنوات لأكنس وساخات الأزهر من دماغى

«فضيلة حضرة الشيخ محمد عبده، مفتى الديار المصرية، بناء على ما هو معهود فى حضرتكم من العلامة وكمال الدراية، قد وجهنا لعهدكم وظيفة إفتاء الديار المصرية، وأصدرنا أمرنا هذا لفضيلتكم للمعلومية، والقيام بمهام هذه الوظيفة، وقد أخطرنا الباشا رئيس مجلس النظار بذلك».

كان هذا هو نص أمر الخديو «عباس حلمى الثانى» بتعيين «الشيخ» مفتيا للديار المصرية فى مثل هذا اليوم «٣ يونيه ١٨٩٩»، ويعد المرسوم فى تاريخ منصب الإفتاء، تحولا فى العلاقة بين هذا المنصب ومشيخة الأزهر، حيث كان منصب الإفتاء يضاف إلى وظيفة مشيخة الأزهر، فأصبح الشيخ محمد عبده «أول مُفْتٍ مستقل» فى تاريخ مصر، غير أن قصة «الفصل» بين المنصبين نفسها كادت أن تُغْضب «الشيخ»، بل كاد أن يرفض منصب «الإفتاء» بسببها، وتلك قصة يرويها «محمد رشيد رضا» فى مؤلفه الضخم «تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده»، الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

توقع «الخديو» أن يرفض «الشيخ» الإفتاء بدون «مشيخة الأزهر»، فكلف صديقه مصطفى باشا فهمى رئيس النظار (الوزراء) وحسن بك عاصم رئيس التشريفات، أن يحسنا له القبول، وقال الخديو لـ«عاصم»: «أخبر صديقك بأنه إذا لم يقبل الإفتاء الآن فإننى أعد ذلك منه إيقاعا لى فى صعوبة

شخصية مع الاحتلال، وأنا أعترف بأنه قليل عليه ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها».

يقول «محمد رشيد رضا» إنه كان أول من قابل «الأستاذ الشيخ» بعد العلم بقرار الإفتاء، وإنه ذهب إليه فى داره بـ«عين شمس» فوجده واجما كئيبا، يضيف «رشيد رضا»: «لم أهنئه فظن أننى لم أعلم فسألنى: ألم تعلم بما جرى فى الإسكندرية؟ (يقصد أن القرار صدر من الخديو فى الإسكندرية)، قلت له: بلى ومالى آراك واجما؟ فرد: هذه وظيفة ليس فيها عمل، وذكر لى تفصيل ما حصل من أوله إلى آخره، وأن الخديو قال لمستشار الحقانية: الآن وجدت لك مفتيا تستطيع أن تفهم منه ويفهم منك بلا واسطة ولا ترجمة، قلت: إذا لم يكن لغيرك فى هذه الوظيفة غير إفتاء الحكومة فيما تستفتى فيه، وإفتاء محاكمها فى مسائل الحكم بالقتل، فأنت لن تكون كذلك».

لم يتخلف «محمد عبده» عن معارضة الحاكم المستبد، ورغم أن «الخديو عباس حلمى الثانى» عيَّنه مفتيا، فإنه ووفقا لسيرته الذاتية الصادرة عن دار الهلال، القاهرة، تحقيق «طاهر الطناحى»،: «كان يقف من العدالة وحق الوطن ما اشتهر عنه فى عدة مواقف، حتى أصبح العدو الأكبر لـ«الخديو عباس».

ويروى «الطناحى»، أن بعض المنافقين للخديوى والموالين للعائلة الخديوية سنة ١٩٠٢، دعوا الخديو إلى الاستعداد لإقامة ذكرى جده محمد على بمناسبة مرور مائة عام على حكمه فى مايو ١٩٠٥، فوجد «الأستاذ الإمام» فى الاحتفال بالذكرى تقديسا للاستبداد، وكتب مقالا فى مجلة المنار عام ١٩٠٢، وضعه «الطناحى» فى تحقيقه لسيرة «الإمام» قال فيه عن محمد على: «أخذ يرفع الأسافل ويعليهم فى البلاد والقرى، كأنه كان يحن لشبه فيه، ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللئام، ولم يبقَ فى البلاد إلا آلات له، يستعملها فى جباية الأموال وجمع العساكر بأية طريقة».

فى سنوات شغله لمنصب الإفتاء والذى استقال منه عام ١٩٠٥ ورحل عن عالمنا فى العام نفسه، أصدر فتاوى مهمة شمل ٨٠٪ منها مشكلات خاصة

بالحياة المالية والاقتصادية ومشكلات الأسرة، ولأنه كان تنويريا بامتياز اصطدم بمشايخ الأزهر دائما، وحسبما جاء فى أعماله الكاملة التى حققها الدكتور محمد عمارة، قال عن هؤلاء المشايخ، إنه مكث عشر سنين وهو يكنس من دماغه ما علق فيه من وساخة الأزهر، ولم يبلغ ما أراده من النظافة.

لم يتورع عن نعت الأزهر بـ«الإسطبل» و«المارستان» و«المخروب»، ولهذا رد عليه شيوخ الأزهر بما يعيب والدته بكلام بذىء، وكتبوا عن أستاذه جمال الدين الأفغانى كتابا بعنوان «تحذير الأمم من كلب العجم»، وكتبوا عن محمد عبده كتابا بعنوان: «كشف الأستار فى ترجمة الشيخ الفشار».

٤ يونيه عام ١٩٨٥

رحيل أحمد رامى.. الشاعر الذى اتهمه «اليسار» بـ«الماسوشية» ثم أعاد أكتشافه

«أُصيب أبى بالاكتئاب، وظل قابعا فى غرفته معتكفا بها يقرأ الشعر القديم، فرجعت من أمريكا لأكون بجانبه، وفى يوم وفاته دخلت عليه غرفته أقبِّله قبل خروجى للعمل فوجدت حرارته مرتفعة فأخبرت والدتى وذهبت، وعندما عدت الساعة الثانية ظهرا، وجدته قد تُوفِّى.

هكذا تحدث الابن «توحيد» فى حوار له لمجلة الإذاعة والتليفزيون «١٩ يونيه ٢٠١٠» عن الأب الشاعر الكبير «أحمد رامى» الذى توفى فى مثل هذا اليوم «٤ يونيه ١٩٨١» عن عمر يناهز «٨٩ عاما».

أحمد رامى هو قرين أم كلثوم فى رحلة غنائها الطويلة، التى امتدت من مطلع عشرينيات القرن الماضى وحتى رحيلها عام ١٩٧٤، هو من أعطى لأغنيتها سمات كانت مجالا للتجاذب بين «اليمين» و«اليسار» فى زمانها، تؤكدها شهادة منشورة للشاعر الكبير سيد حجاب فى جريدة «القاهرة» شهر «فبراير ٢٠٠٥» بعنوان «أم كلثوم بين اليمين واليسار».

يقول «حجاب»: إنه فى مستهل الستينيات من القرن الماضى، كان وبعض الزملاء يدرسون هندسة المناجم بجامعة القاهرة، ويضيف: «كان يحلو لنا أن نعابث زميلنا «توحيد رامى»، ابن الشاعر الرائع «أحمد رامى»، وكانت

مغايظتنا لـه وغلاستنا عليـه تـدور دائـما حـول بعـض أشـعار أبيـه التـى تغنـت بهـا «أم كلثـوم» مـن مثـل: «حتـى الجفـا محـروم منهـم»، أو «عـزة جمالـك فـين مـن غـير ذليـل يهـواك»، كنـا نعـير «توحيـد» بـأن رؤيـة أبيـه «رامـى» للحيـاة والحـب تجاوزهـا الزمـن، وأن هـذه المشـاعر المَرَضِيـة التـى يعـبر عنهـا تحمـل قـدرا عاليـا مـن «الماسوشـية»، وأن هـذا النـوع مـن الغنـاء لا يلبـى الحاجـات الروحيـة لشـباب جيلنـا، وأن الفـن الأقـرب لمشـاعرنا والأصـدق تعبـيرا عـن زماننـا هـو غنـاء عبدالحليـم حافـظ لأشـعار محمـد عـلى أحمـد ومرسـى جميـل عزيـز، وألحـان محمـد الموجـى وكـمال الطويـل.

يضيـف «حجـاب»: إن «توحيـد» كان يـرد عـلى اسـتفزازاتنا قائـلا: «وانتـم إيـش فهمكـوا يـا شـيوعيين فى الفـن والحـب ولا الحيـاة»، ويزيـد حجـاب: «فى تلـك الأيـام كانـت تشـيع بـين بعـض اليسـاريين الشـباب مقـولات خائبـة حـول الفـن والحيـاة، فالفنـون مـرآة للواقـع، ونجيـب محفـوظ كاتـب البرجوازيـة الصغـيرة، بينـما محمـد صدقـى هـو أديـب البروليتاريـا».

ذابـت تلـك المقـولات الخائبـة مـع مـرور الأيـام، وعـن هـذا التحـول يختتـم «حجـاب» شـهادته: «التقيـت بـ«توحيـد» صديقـى اللـدود بعـد سـنوات غيـاب طويلـة، وكانـت قـد جـرت فى النهـر ميـاه كثـيرة، كانـت شـمس أكتوبـر ١٩٧٣ قـد أشرقـت وغابـت ورحلـت عنـا أم كلثـوم، ورحـل بعدهـا رامـى، وكان «توحيـد» يعـود إلى مـصر بعـد هجـرة طويلـة إلى الولايـات المتحـدة، وكنـت أندفـع فاتحـا ذراعَـيَّ لـه، و«توحيـد» يسـتقبلنى بابتسـامته هامسـا: «أظـن كان عندكـم حـق شـوية فى كلامكـم عـن شـعر أبويـا»، وأظـن أننـى قلـت لـه وأنـا أعانقـه: «لا، أظـن إحنـا كنـا مفتريـين شـويتين، وأبـوك رامـى ده شـاعر عبقـرى، وأم كلثـوم دى حاجـة مـا تتكـررش، إحنـا بـس اللى كنـا مـش فاهمـين».

٥ يونيه عام ١٩٦٧
٤٩٢ طائرة لإسرائيل أنهت القواعد الجوية المصرية في ثلاث ساعات ونصف

كانت الساعة الثامنة صباحًا فى مثل هذا اليوم «٥ يونيه ١٩٦٧» حين قامت أول موجة من الطائرات الإسرائيلية، وعددها ١٧٤ طائرة، بغارات على القواعد الجوية فى العمق المصرى، ابتداء من «أبوصوير» على الضفة الغربية لقناة السويس، وحتى مطار الأقصر فى جنوب الوادى، ثم لحقتها موجة ثانية من ١٦١ طائرة ركزت على المطارات المتقدمة فى سيناء، بعدها كانت الموجة الثالثة من ١٥٧ طائرة، لإنهاء كل ما تبقى من حطام على المطارات والقواعد الجوية المصرية.

انتهى كل شىء تمامًا فى الساعة الحادية عشرة والنصف، فى واحدة من الحروب الخاطفة الحافلة بزلزال من المفاجآت، وحسب محمد حسنين هيكل فى كتاب «الانفجار»: «بجهد ٤٩٢ طائرة مركزة فى ثلاث موجات، كان مصير معركة سنة ١٩٦٧ تقرر فعلًا، وأصبح ما تلا ذلك كله حتى توقف القتال رسميًا يوم ٩ يونيه مجرد تفاصيل لا تغير فى الصورة النهائية للمعركة شيئًا، ولا تنقص فيها أو تزيد، ذلك أن ضربة الطيران الإسرائيلى أدت مباشرة لنتيجتين:

الأولى، أن القيادة العسكرية المصرية فقدت أعصابها وتوازنها، وهذا هو الهدف الأكبر لفكرة الحرب الخاطفة، أما النتيجة الثانية فكانت أن الجيش

المصرى أصبح فى وضع عسكرى لا يطاق، فبدون غطاء من طائراته فوقه، ومن سيطرة كاملة على الأجواء للعدو».

سيطرت إسرائيل على الأجواء، وقرر عبد الحكيم عامر، القائد العام للقوات المسلحة، الانسحاب فجر يوم ٦ يونيه. ويصف «هيكل» هذا القرار بـ«المنطقى» من ناحية المبدأ، لكن مصيبته فى طريقة تنفيذه وأسلوبه، ذلك أن نظرية الحرب الخاطفة حققت أثرها على القائد العام، وأفقدته أعصابه وتوازنه.

بلغت الخسائر فى اليوم الأول من القتال نحو ٢٩٤ شهيدًا، ارتفعت إلى ٦٨١١ شهيدًا بعد قرار الانسحاب يوم ٦ يونيه، ومع طريقة تنفيذه حتى مساء يوم ٨ يونيه، هذا بخلاف عدد الأسرى.

كانت خطة إسرائيل، وكما يقول هيكل، «إعادة بالنص للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، بعد أن تمكنت من الحصول على ملف عمليات الطيران البريطانى أثناء العدوان الثلاثى، وتسلَّم عزرا وايزمان قائد الطيران الإسرائيلى الذى انتقل ليصبح مديرًا للعمليات سنة ١٩٦٧ الخطة البريطانية، وقال فى مذكراته إنه كان يعيش مع الخطة، ويحلم بها، ويتمثل تفاصيلها، ويدرب رجاله عليها، وتولى مع عدد من مساعديه مهمة ترتيبها لملاءمة الأوضاع المستجدة، ثم تسلم الخطة منه نائبه وخليفته فى قيادة الطيران الجنرال موردخاى هود».

كان الرئيس الأمريكى «چونسون» يتابع الموقف على طريقته الخاصة، وفى تسجيل شهادتها للتاريخ الشفهى لعصر رئاسة «چونسون» تقول ماتيلدا كريم، عشيقة «چونسون»:

«جاء الرئيس مبكرًا صباح يوم ٥ يونيه إلى البيت الأبيض الذى كنا نقيم فيه فى واشنطن بعد عودتنا معه من تكساس، وكنت لا أزال فى فراشى

حينما دخل غرفة نومى ومعه اثنان من المرافقين، ووقف أمام سريرى وقد اعتدلت جالسة فيه، وقال لى: «لقد نشبت الحرب فى الشرق الأوسط، وهناك من يتساءلون عمن بدأها، أما أنا وأنت فنعرف تمامًا من بدأها».

٦ يونيه عام ١٩٦٧
إسرائيل تحتل العريش وغزة وخان يونس..
وعامر للسفير السوفيتى: «أين أنتم؟»

مر اليوم الأول على حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، ونحن الآن فى يومها الثانى، وأصبحت الحقائق على الأرض على نحو كارثى لمصر والمنطقة العربية، سقطت العريش، وانفتح المحور الشمالى أمام القوات الإسرائيلية المدرعة، وفى المساء أذاعت إسرائيل أن عناصر قواتها وصلت إلى قناة السويس، وفى فلسطين تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على مدينتَىْ «غزة» و«خان يونس»، وسقطت نابلس وتحركت القوات الإسرائيلية فى اتجاه نهر الأردن مع قتال حول القدس الشرقية.

فى الساعة الخامسة، أصدر عبدالحكيم عامر، القائد العام للقوات المسلحة، قرارا بالانسحاب العام لجميع قوات سيناء إلى غرب قناة السويس على أن يُنفذ على مراحل، وهو القرار الذى أثر سلبا على أداء الجيش المصرى وعلى مسار الحرب بالنسبة له.

كان موقف «الاتحاد السوفيتى» محيرا رغم العلاقة الوثيقة له مع مصر، وفى كتابه «الانفجار» يذكر محمد حسنين هيكل، أن السؤال الذى كان يلح فى مبنى القيادة العامة المصرية هو: «أين الاتحاد السوفيتى؟!».

ويقدم «هيكل» الإجابة بقوله، إنه فى صباح هذا اليوم دعا «عامر» السفير السوفيتى فى مصر «ديمترى بوجدايف» إلى مقابلة عاجلة، وبدا فيها «عامر» أنه فقد أعصابه إلى درجة أنه راح يتساءل عما إذا كان ما يراه أمام عينيه نتيجة لتواطؤ أمريكى سوفيتى، وحاول تخفيف الصدمة التى لمسها على تقاطيع السفير السوفيتى، فقال له، إنه ليس هو القائل بذلك، ولكنه ينقل رأيا عاما بين الضباط.

احتدت المناقشة بين «المشير» و«السفير»، حيث قال عامر: «الأمريكان أعطوا لإسرائيل أحسن ما عندهم من سلاح، وأنتم رحتم تؤخرون فى طلباتنا، وعندما تستجيبون لا تعطوننا ما يوازى السلاح الأمريكى الذى تحصل عليه إسرائيل».

عرف «عبدالناصر» بما دار بين «المشير» و«السفير» فدعا «بوجدايف» إلى مقابلته فى نفس اليوم، وطلب منه نقل رسالة إلى «كوسيجين» رئيس الوزراء السوفيتى اشتملت على سبع نقاط، أهمها قوله إن الخسارة فى الطائرات المصرية لم يصحبها لحسن الحظ خسارة موازية فى الطيارين، ومطلوب بأقصى سرعة طائرات تعوض ما ضاع فى الضربة الأولى، وبها يستطيع الطيران المصرى فى ظرف ثمانٍ وأربعين ساعة على الأكثر أن يستعيد إمكانية عودته إلى الظهور فى سماء المعركة، والتأثير على مجراها.

أكد «عبدالناصر» أنه ينتظر ردا سريعا على ما طلبه، وكانت المفاجأة التى تلقاها عبدالناصر، أن السفير السوفيتى أبلغه بعد ساعات من نقل رسالته، أن القيادة السوفيتية وافقت على إمداد مصر بأعداد كبيرة من الطائرات سوف تتقرر أنواعها خلال الساعات المقبلة، وقال إن القيادة رغبة منها فى تجنب استفزاز أمريكا، تفضل أن تبعث بهذه الطائرات داخل الصناديق إلى الجزائر، ومن هناك تتولى الجزائر شحنها إلى مصر سواء بالصناديق أو بتركيبها وإرسالها إلى مصر، وكان معنى ذلك ضياع أسبوع على الأقل، فى الوقت الذى يتغير فيه الموقف على جبهات القتال كل دقيقة.

٧ يونيه عام ١٩٩٥
رحيل الشيخ إمام عيسى الذى أصر على إهانته للرئيس السادات رسميًا

فقد بصره فى السنة الأولى من عمره، وعندما بلغ الخامسة ذهب إلى «الكُتاب» لحفظ القرآن الكريم، ويتذكر الشيخ إمام عيسى هذه الأيام: «كنت أستمع وأنا فى السابعة إلى عماتى وأمى وهن يغنين أثناء تنقية القمح فى مناسبات الحج والفرح، كان غناء شجيا، يأخذنى ويجعلنى لا أتحرك، وكان يصل الحال بهن إلى البكاء وهن يغنين، ومن هؤلاء اكتشفت معنى الغناء».

كان الشيخ «إمام» الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٧ يونيه ١٩٩٥» هو صوت الغناء الذى شق طريقه بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ بأشعار أحمد فؤاد نجم. وعلى الرغم من أن ظاهرة الاثنين ولدت قبل النكسة، لكن بعدها، وكما يقول الناقد والمؤرخ الموسيقى فرج العنترى فى عدد خاص لمجلة القاهرة عن الفنان الراحل صدر عام ١٩٩٥، أصبحا رافدَى «المقاومة الساخنة». ويصف الكاتب الصحفى كامل زهيرى ألحانه: «فيها قسوة وفكاهة وروح مصرية ذكية، إنما أقرب إلى ألحان الشعب وكلماته وقفشاته، إنها تبتعد عن ألحان الأباجورات والقطيفة والكورسيه والباروكة».

ويحكى الكاتب الروائى خيرى شلبى قصة طريفة عن عدم انضمام الشيخ «إمام» للإذاعة، حيث تقدم لاختبارات الإذاعة كمطرب وملحن فى أوائل الخمسينيات، وكان رئيس لجنة الاختبار حافظ عبد الوهاب، مكتشف

عبد الحليم حافظ، وحين مَثُل الشيخ إمام أمامه أراد «حافظ» أن يستعرض خبراته الموسيقية، فراجع الشيخ إمام فى ضبط إحدى النغمات، فرد عليه بغلظة كاشفًا جهله بالموسيقى، وأعطاه ما يشبه الدرس الذى ابتلعه على مضض.

أراد حافظ عبد الوهاب رد الإهانة فانتهز فرصة تعثر صوت الشيخ إمام فى كحة مفاجئة، فقال: «المفروض تبطل الحشيش يا إمام»، فشوَّح «إمام» فى وجهه: «مش حابطل ومش هاغنى فى الإذاعة بتاعتك»، ومنذ ذلك التاريخ لم يدخل باب الإذاعة، إلا بعد أن ذاعت شهرته فى النصف الثانى من عقد الستينيات، حيث دُعى لتسجيل بعض الألحان لبعض البرامج.

كانت السبعينيات من القرن الماضى هى قمة الشيخ إمام فى الغناء التحريضى ضد الرئيس الراحل أنور السادات ونظامه، وتعددت محطاته وإبداعاته الغنائية، حيث انضم لمظاهرات الطلاب ١٩٧٢، والتى طالبت السادات بالحرب لتحرير الأرض، وتحولت إلى اعتصام شهير داخل الجامعة انضم إليه مثقفون، وقدم وقتها أغنية «رجعوا التلامذة يا عم حمزة للجد تانى/ يا مصر انتى اللى باقية وانت أصل الأمانى».

وبعد زيارة «السادات» إلى القدس غنى من كلمات أحمد فؤاد نجم: «قوتة المجذوب أبو برقوقة/ بزبيبة غش وملزوقة/ كداب ومنافق وحرامى/ ودماغه مناطق موبوءة»، وقدمها فى حفلة بـ«هندسة عين شمس»، فأُحيل إلى المحكمة العسكرية.

سأله المحقق: هل تقصد إهانة رئيس الجمهورية؟، فأجاب: «نعم»، فأخذت المحققَ الشفقةُ بهذا الرجل الضرير، فكتب الإجابة: «لا أقصد»، وعندما تلا عليه محضر تحقيق ليوقِّع عليه، غضب وبكى قائلا للمحقق: «هل تستغل فقدانى للبصر، لو أننى أخشى الإجابة ما غنيت؟، هل تريد إثبات جبنى فى محضر رسمى؟».

٨ يونيه عام ١٩٦٧
عامر يهدد بالانتحار.. وعبد الناصر يعنِّفه:
«لا تُضِف الفضيحة إلى المصيبة»

وضعت دراما نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ الكل فى ذهول كامل، وظهر ذلك فى مساء مثل هذا اليوم «٨ يونيه ١٩٦٧»، ويروى محمد حسنين هيكل جانبا من هذه الدراما فى كتابه «الانفجار»، دارت وقائعها فى مكتب المشير عبد الحكيم عامر بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان قائدها الأعلى.

أعلن «عامر» وسطَ مجموعة من قواده أنه سينتحر، وحمل مسدسه متوجها إلى حمام ملحق بمكتبه مصمما على إنهاء حياته بيده، وعندما تكالب عليه عدد من رجاله ينتزعون من يده المسدس، ارتمى على مقعده، ووضع رأسه بين كفيه، ومال على مكتبه لمدة دقائق ساد فيها قاعة مكتبه صمت رهيب وحزين.

ذهب «شمس بدران» وزير الحربية إلى التليفون يتصل بـ«عبدالناصر» قائلا: «المشير مصمم على الانتحار»، فأسرع عبدالناصر إلى مركز القيادة العليا، ليجد «عامر» كما يصف «هيكل» قد ضيع أعصابه تماما، وراحت أحواله النفسية تتأرجح من النقيض إلى النقيض، بالحديث تارة عن خيانات حوله، ثم يقفز إلى الاعتراف بمسئوليته، ثم ينتقل بعدها إلى أن الموقف ليس ميئوسًا منه بعد، وأنه يفكر فى خطة جديدة لمواصلة القتال، ثم يعاوده خاطر الانتحار ويلوم الذين منعوه من التنفيذ.

قال «عبدالناصر» لـ«عامر» بصوت مجروح، إنه يرجوه ألا يضيف الفضيحة إلى المصيبة.

انفجر «عامر» منهارا بالكامل يوزع المسئوليات على كل الناس ناسيا نفسه، ثم أضاف عبدالناصر: أى نظام يعجز عن حماية حدود وطنه يفقد شرعيته، وأنه مهما كانت أحزاننا الآن، فإن علينا أن نعرف أن دورنا انتهى نهاية مأساوية، ولم يبقَ أمامنا إلا مهمة أخيرة هى ترتيب «أوضاع البلد»، بما يمكن معه تحقيق انتقال إلى ظروف تختلف اختلافا بيِّنًا عما هى الآن.

اعترت «عامر» نوبة هياج قائلا: «كل شيء لم يضِع بعد».

سأله «عبدالناصر» بأسى: «ما الذى بقى لم يضع ؟».

رد عامر: «المقاومة الشعبية، ثم راح يتحدث عن توزيع السلاح على الشعب لكى يقاوم».

فى هذا اللقاء، وحسب رواية هيكل، قال «عبدالناصر» لـ«عامر» إنه أصبح مقتنعا بضرورة اعتزاله للحياة العامة، فقد انتهى دوره وانتهت فى رأيه ثورة ٢٣ يوليو وما بقى منها من مبادئ ومنجزات أصبح فى أيدى الناس، وأضاف، ليس لنا أن نعطل طريقهم فى تدبير أمورهم على النحو الذى يرونه عندما تخف حدة الظرف العصيب الذى تواجهه الأمة الآن، ثم استدرك بملاحظة بدا أن تفكيره انتقل إليها وهى مشاعر القوات العائدة من سيناء بعد توقف القتال، واحتمال وقوع مشكلات بينها وبين جماهير الشعب التى انقضت عليها نتائج المعارك.

اقترح «عبدالناصر» تقديم استقالته، على أن يكون شمس بدران رئيسا مؤقتا، وكان ظنه أن وجود «بدران» على رأس الدولة وهو وزير الحربية قد يكون عاملا قادرا على تفادى احتمال الصدام بين الشعب والجماهير.

٩ يونيه عام ١٩٦٧
عبد الناصر يتنحى.. و«الملايين» تطالبه بالعودة..
ويتساءل : «ما الذى حدث؟»

كانت الساعة السابعة مساء، حين أطل جمال عبدالناصر على شاشة التليفزيون المصرى ليعلن التنحى، ظهر بوجهه فى مثل هذا اليوم «٩ يونيه ١٩٦٧»، وبدا وكأن عشر سنوات أخرى أُضيفت إلى عمره (كان يبلغ وقتئذ ٤٩ عاما).

أعلن مسئوليته عما حدث من هزيمة أمام إسرائيل وقال: «رغم أى اعتبارات فإنى أتحمل المسئولية».

وأعلن استعداده لأى مساءلة، وحين جاء إلى الفقرة التى يعلن فيها تنحِّيَه عن الحكم، تأثر صوته محاولا السيطرة على بكاء يكاد يغالبه.

كان تنحيه نموذجا للقائد الذى يتحمل المسئولية، وفى كتابه «الانفجار» يذكر محمد حسنين هيكل فى سرده لقصة هذا اليوم الطويل ما ذكره عبدالناصر له: «عبدالحكيم عامر ضيع أعصابه تماما وضيع جيشه من قبلها، ولكننى المسئول، لا أستطيع أن ألوم أحدا إلا نفسى، والواقع أننى غاضب من نفسى بأكثر مما يتصور، لا أستطيع أن أتصور ما سيفعله الناس، والله لو أنهم أخذونى إلى ميدان التحرير وشنقونى فيه لما اعترضت عليهم، لهم الحق».

سرد «هيكل» لقصة التنحى يأتى من واقع أنه كان بجوار «عبدالناصر» خلال هذا اليوم، وكلفه كتابة «خطاب التنحى»، وناقشه فيه، وكان رأى عبدالناصر أن يتولى «شمس بدران» وزير الحربية الرئاسة مؤقتا، واتفق على ذلك مع عبدالحكيم عامر، لكن «هيكل» وحسب روايته أقنعه بـ«زكريا محيى الدين»، وهو الرأى الذى أخذ به وأعلنه فى خطاب التنحى.

مضت نصف ساعة على «الخطاب» تزلزلت خلالها الأرض العربية من المحيط إلى الخليج، حيث خرج الملايين يرفضون التنحى، كانت الشوارع عبارة عن طوفان بشرى قوامه ملايين يهتفون: «ناصر.. ناصر.. هنحارب.. هنحارب».

كانت دهشة زكريا محيى الدين بالغة، وسأل هيكل: «لماذا فعلتم ذلك، وهل هذا معقول؟» وكانت المظاهرات فى الشوارع تهتف ضده وتطالبه بألا يقبل ما كلف به، وإلا فهو خائن، ويعلق «هيكل» على ذلك قائلا: «كنت بنفسى قادرا على رؤية مدى الصدق فى قوله من نظرة واحدة عبر النافذة من مبنى مؤسسة الأهرام إلى كوبرى الجلاء، فقد أصبحت الجماهير عليه كتلة واحدة متدفقة هادرة زاحفة لا تعرف إلى أين، ولكن صراخها كان يمكن تمييزه الآن بصيحة ناصر».

قال زكريا محيى الدين إنه فى طريقه إلى بيت الرئيس جمال عبدالناصر ليطلب منه تغيير قراره.

كان المشهد متكررا فى كل العواصم العربية، وتدفقت بحور من البشر إلى الشوارع ولعلع صوت الرصاص فى بيروت، وتكون حصار بشرى مخيف حول بيت عبدالناصر.

أبلغ «شعراوى جمعة» وزير الداخلية «هيكل»، أن القاهرة معرضة لحريق أسوأ من حريق القاهرة ١٩٥٢ ما لم تصدر من جمال عبدالناصر كلمة، وحاصر أعضاء مجلس الأمة مبنى المجلس، وفى منتصف الليل اتصل عبدالناصر بـ«هيكل» ليسأله بصوت مثقل: «ما الذى حدث؟».

١٠ يونيه عام ١٩٦٧
عبد الناصر يعدل عن التنحّي معلقًا: هذا الشعب غريب

قصة هذا اليوم «١٠ يونيه ١٩٦٧» موصولة باليوم السابق، وكلاهما فى تاريخ مصر والعرب علامة على الإرادة الشعبية التى صممت على رفض تنحى جمال عبدالناصر.

أعلن عبدالناصر تنحيه عن الحكم يوم ٩ يونيه، مضى اليوم طويلا، ثقيلا، كئيبا، لكن الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج التى خرجت ترفض التنحى، كانت هى نقطة الضوء وسط الظلام الدامس الذى غطى مصر والمنطقة بنكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

«ليه؟»، كان هذا هو سؤال «عبدالناصر» لمحمد حسنين هيكل، حسبما ورد فى كتابه «الانفجار».

عبر السؤال عن استغراب «عبدالناصر» مما يحدث، وجاء السؤال بعد بحر الجماهير التى أحاطت بمنزله فى منشية البكرى، واقتحم بابه مجموعة من المسئولين المتحسبين لطلوع الصباح، وصعد بعضهم إلى غرفته ودخلها عدد منهم يضعون أمامه صورة الموقف.

نزل «عبدالناصر» من غرفته إلى مكتبه، وراح يطالع تقارير وكالات الأنباء العالمية، وشملت مشاعر الصدمة التى انتابت وفود الدول الآسيوية والأفريقية فى الأمم المتحدة، وكيف أنهم أجهشوا بالبكاء علنا فى أروقة الأمم المتحدة، كما أن الرئيس الفرنسى «ديجول» بعث إليه برسالة مؤثرة قال فيها:

«إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم، وما يهم هو الإرادة والشجاعة الحقيقية فى مواجهة المحن، وأما الأوقات السعيدة فلا تستدعى ذلك».

أجهش الرئيس اللبنانى «شارل الحلو» بالبكاء فى قصر بعبدا، وتحدث إليه الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف تليفونيا باكيا: «أناشدك باسم الشعب العراقى وباسم العروبة أن تبقى».

اتصل الرئيس السودانى «إسماعيل الأزهرى» ورئيس الوزراء محمد أحمد المحجوب، يبلغانه أن الخرطوم سوف تحترق إذا لم يعدل عن تنحيه، وتلقى من القيادة السوفيتية رسالة مهمة تطالبه بالعودة والاستعداد لتلبية كل مطالبه، وكذلك من سكرتير عام الأمم المتحدة «يوثانت».

استمرت الملايين فى الشوارع، فعلق عبدالناصر مندهشا: «هذا الشعب غريب، تصورت أنه سينصب لى مشنقة فى ميدان التحرير، فإذا به يتصرف على عكس ذلك تماما».

قرر الذهاب إلى مجلس الأمة ليلقى بيانا صباح يوم ١٠ يونيه، لكن تعذر ذلك لأن كل الطرق مغلقة بالجماهير ولا سيطرة لأحد عليها، فبعث برسالة لرئيس مجلس الأمة «أنور السادات» لتلاوتها على أعضاء المجلس المعتصمين بداخله من مساء يوم ٩ يونيه، وجاء فيها:

«كنت أتمنى لو ساعدتنى الأمة على تنفيذ القرار الذى اتخذته بأن أتنحى، ويعلم الله أننى لم أصدر فى اتخاذ هذا القرار عن أى سبب غير تقديرى للمسئولية، وتجاوبا مع ضميرى، وما أتصور أنه واجبى، وإنى لأعطى هذا الوطن راضيا وفخورا كل ما لدىَّ حتى الحياة إلى آخر نفس فيها، إن أحدا لا يستطيع ولا يقدر أن يتصور مشاعرى فى هذه الظروف إزاء الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا، وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها بإصرارها على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن، ولا أعرف كيف أفى بهذا الحق، ولا كيف أعبر عن عرفانى تجاهه».

١١ يونيه عام ١٨٨٢
مشاجرة «الحمار» بين «المالطى» و«العجان» تنتهى إلى احتلال مصر

دقت الساعة الثانية بعد الظهر، فشهدت مدينة الإسكندرية الحدث الذى أدى إلى احتلال مصر ٧٢ عاما، واللافت أنه كان مشاجرة بسبب «حمار».

فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة يروى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى القصة كاملة، وبدأت بشجار بين أحد المالطيين من رعايا الإنجليز، وأحد أبناء الإسكندرية ويدعى «السيد العجان»، الذى كان يملك «حمارا»، استأجره «المالطى»، وطاف به من صبيحة النهار متنقلا من مقهى إلى آخر، وانتهى طوافه إلى حانة «خمّارة» قريبة من مقهى «القزاز» بالقرب من مخفر اللبان بآخر شارع «السبع بنات»، فطالبه «العجان» بأجرة ركوبه، فلم يدفع له سوى قرش صاغ واحد، فجادله فى قلة الأجر، وانتهى الجدل بطعن «المالطى» لـ«العجان» عدة طعنات دامية بسكين مات على أثرها.

هُرع رفاق القتيل إلى مكان الحادث للإمساك بالقاتل الذى فر إلى أحد المنازل المجاورة، وتجمع «المالطيون واليونانيون» الساكنون بالقرب من مكان الحادث وأطلقوا النار، فسقط قتلى وجرحى من أهل وأصحاب القتيل، فتحركت «طبقة الدهماء» بالعصى والهراوات للاعتداء على الأوروبيين.

أرسل قسم «اللبان» إلى المستر «كوكسن» قنصل إنجلترا لإيفاد أحد موظفي القنصلية لإخراج «المالطي» من المنزل الذي هرب فيه، ولما ذهب «كوكسن» أُصيب بجروح بالغة من ضربه بالعصا والحجر، وأصيب أيضا قنصل اليونان وقنصل إيطاليا، واستمرت الأمور على هذا النحو حتى الساعة الخامسة، حيث قدم الجنود ففرقوا المتجمهرين، وانتهت الفتنة ليسود المدينة سكون رهيب، بعد أن أُلزِم الناس بيوتهم وخلت الطرقات من المارة وانقضى الليل والناس في وجل وفزع، وكانت الحصيلة ٤٩ قتيلا، منهم ٣٨ أجنبيا، والباقي من أبناء الإسكندرية.

يرى «الرافعي» أن هذه المذبحة كانت نذيرا لـ«العرابيين» بأن مصر قادمة على خطر كبير، إذ لم يكن خافيا أن السياسة الإنجليزية دبرت الوسائل لوقوعها تحقيقا لأغراضها في مصر، واتخذها القناصل ذريعة لمخاطبة ولاة الأمور في القاهرة للمطالبة بحماية الأجانب وأموالهم في البلاد.

اجتمعت الأنباء التي تناقلها الأجانب في مصر على أن حربا قادمة لا محالة، ولهذا وقعت عملية نزوح جماعية، فبلغ عدد الراحلين يوم ١٢ يونيه أكثر من عشرة آلاف مهاجر من مختلف الجنسيات، نزلوا إلى البحر متفرقين في البواخر والسفن الشراعية، ولم تعارض إدارة جوازات السفر ولا الجمارك أحدا منهم في النزول إلى البحر، فكثرت جموع المهاجرين يحملون أموالهم وأمتعتهم، وامتلأ الميناء بالسفن المقلة لهم.

استمرت الهجرة حتى بلغ عدد الراحلين ٣٢ ألفا حتى يوم ١٨ يونيه، وارتفع إلى ٦٠ ألفا قُبَيل ضرب الإسكندرية الذي تم في ١١و١٢ يوليو، والذي انتهى باحتلال مصر.

ويؤكد «الرافعي» أن كل دولة أعدت سفينة لنقل رعاياها، فهرع الفقراء والمعوزون إلى النزول إليها، وتسلل الأوروبيون من كل ناحية في مصر قاصدين الميناء حتى خُيل لمن يرى جموعهم أنه لم يبقَ منهم أحد في مصر.

١٢ يونيه عام ١٩٦٧
«بومدين» لـ«السوفيت»: «لم أحضر للغداء والعشاء» ويقدم مائة مليون دولار لتسليح مصر

أبلغ الرئيس الجزائرى «هوارى بومدين» القيادة السوفيتية أنه لا يريد حفلات تكريم على غداء أو عشاء، وأنه يعتذر عن قبول أى مناسبات اجتماعية، وقال للقيادة السوفيتية: «أنا لم أجئ كى أتناول الغداء أو العشاء، وإنما لأفهم»، فرد عليه سكرتير الحزب الشيوعى «بريجنيف»: «أنا وزملائى نفضل أن نسمع منك أولا».

كانت هذه البداية الملتهبة مُفتتَحًا لزيارة «بومدين» إلى موسكو فى مثل هذا اليوم «١٢ يونيه ١٩٦٧» بنصيحة من جمال عبدالناصر بعد نكسة يونيه ١٩٦٧، وهى من الصفحات المشرقة للزعيم الجزائرى «بومدين» فى علاقته بمصر.

حسب محضر اجتماع «الزيارة» الذى جاء فى كتاب «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لمحمد حسنين هيكل، سأل بومدين:

«ما حدود الوفاق بينكم وبين الأمريكيين؟ إننا نراه وفاقا من جانب واحد، أنتم تتصرفون بأقصى درجات الضعف وهم يتصرفون بأقصى درجات القوة».

قاطعه رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين: «نحن لا نتصرف بضعف».

رد بومدين: «بل تتصرفون بمنتهى الضعف، وإذا كنتم تتصورون أننى جئت إلى هُنا لكى أجاملكم فإنى لن أفعل ذلك، والحقيقة أننا لسنا وحدنا

الذيـن هزمنـا، وإنـما أنتـم هزمتـم فى نفـس الوقـت معنـا، بـل قبلنـا، وإذا كنتـم لا تـرون أن ميـزان القـوى العالميـة قـد تحـول لصالـح الناحيـة الأخـرى فهـذه مصيبـة، وإذا كنتـم تـرون ذلـك ولا تفعلـون شـيئا فهـذه مصيبـة أكـبر، لقـد تركتـم مـا حـدث يحـدث دون رد فعـل منكـم إلا بالبيانـات والمقـالات».

رد «كوسيجين»: «هـل تريدنـا أن ندخـل فى حـرب نوويـة؟ وهـل تقـدِّرون مـا معنـى الحـرب النوويـة واحتمالاتهـا؟».

رد بومديـن: «هـذا كلام ينبغـى أن تفكـروا فيـه قبـل الأحـداث وليـس بأثـر رجعـى بعدهـا».

وتدخـل «بريجنيـف» مناديـا «بومديـن» بـ«الرفيـق»: «إن الاتحـاد السـوفيتى لم يكتـفِ بالبيانـات والمقـالات، وإنـما قـدم لأصدقائـه العـرب مـا يحتاجـون إليـه مـن السـلاح، ولكنهـم لم يُحسـنوا اسـتعماله».

فقـد «بومديـن» أعصابـه قائـلا: «ليكـن، نحـن لا نحسـن غـير أن نسـوق الجـمال ولا نعـرف كيـف نقـود الطائـرات الحديثـة، فتعالـوا أنتـم وأرونـا مـا تسـتطيعون عملـه»، معلوماتـى تؤكـد أن السـلاح الإسرائيـلى كان متفوقـا.

رد كوسـيجين: «حاولنـا أن نسـتجيب لطلباتكـم وقدمناهـا بأسـعار مريحـة، بـل إنكـم لم تسـددوا حتـى ربـع تكاليـف مـا حصلتـم عليـه».

استبد الغضـب بـ«بومديـن» فقـال إنـه كان يتخـوف مـن مثـل هـذه الملاحظـة، واسـتعد لهـا بـأن طلـب مـن وزيـر الماليـة الجزائـرى تحويـل مائـة مليـون دولار لصالـح وزارة الدفـاع السـوفيتية، ثـم أخـرج «الصـك» بالمبلـغ، وكان يحتفـظ بـه فى ملـف أمامـه، فاحمـر وجـه كوسـيجين قائـلا: «لسـت تاجـر سـلاح حتـى تعاملنـى بالشـيكات».

رد بومدين: أنا لم أبدأ، وإنما أنت الذى تحدثت عن نصف وربع الثمن.

تكهـرب جـو الاجتـماع، فاقـترح بريجنيـف رفـع الجلسـة لاسـتراحة قصـيرة، وانتهـت الزيـارة بقـرار أن يقـوم رئيـس الدولـة «بادجورنـى» بزيـارة مـصر.

١٣ يونيه عام ١٩٨٠
الموساد يغتال يحيى المَشدّ.. وصدام حسين لزوجته: «فقدت أخًا عزيزًا»

فى الحجرة رقم ٩٤١ بفندق «الميريديان» بباريس كان عالم الطاقة النووية المصرى الدكتور يحيى المشد جثة هامدة، مهشمة الرأس، ودماؤه تغطى سجادة الحجرة، وقعت الجريمة فى مثل هذا اليوم «١٣ يونيه ١٩٨٠».

كان «المشد» يشرف على البرنامج النووى العراقى، وكانت أخبار «البرنامج» تتوالى باعتباره حلما عربيا لو تمكنت منه دولة عربية، فسيؤدى إلى إحداث التوازن مع إسرائيل باعتبارها الدولة التى تمتلك سلاحا نوويا فى المنطقة، ولأجل ألا يحدث ذلك، خططت إسرائيل لعدم السماح بمرور الحلم العراقى إلى النور.

«يحيى المشد» المولود فى مدينة بنها عام ١٩٣٢، هو ابن مرحلة المد العربى التى تولدت بفضل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان النهوض العلمى أحد أجنحتها، حيث اختير لبعثة الدكتوراه من لندن عام ١٩٥٦، لكن العدوان الثلاثى على مصر فى نفس العام حول مساره إلى «موسكو»، ليعود منها عام ١٩٦٣ وانضم إلى هيئة الطاقة النووية، وعمل فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية فى قسم الهندسة النووية الذى أمر عبدالناصر بإنشائه، وكانت بعثته مع آخرين بمثابة القاعدة العلمية البشرية، لبدء المشروع النووى

المصرى وكانت باكورته فى «أنشاص»، لكن الحلم توقف بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، ومع تبخره نهائيا تعطلت مسيرة هؤلاء العلماء.

فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٥، وقَّع الرئيس العراقى صدام حسين اتفاقا مع فرنسا للتعاون النووى، وعلى أثر ذلك اجتذبت العراق علماء مصر ومنهم «المشد»، وظل دوره سريا، وحين تم اغتياله بقى «الفاعل» مجهولا على الرغم من وضع إسرائيل فى دائرة الاتهام، حتى ظهرت الحقيقة فى فيلم تسجيلى مدته ٤٥ دقيقة عرضته قناة «ديسكفرى» الوثائقية الأمريكية بعنوان «غارة على المفاعل» وتم تصويره بالتعاون مع الجيش الإسرائيلى.

يذكر «الفيلم» أن «الموساد» استطاع اختراق مُفَوضية الطاقة الذرية الفرنسية، وحدد شخصية «المشد» الذى يتردد على باريس لصالح صدام حسين، فعرضوا عليه إغراءات مالية ونسائية مقابل تبادل المعلومات حول المفاعل النووى، وعندما وجدوا أنه لا يهتم بالتعاون معهم قرروا القضاء عليه.

فى دراما قصته، تحكى حرمه السيدة «زنوبة الخشخانى» لبرنامج وثائقى خاص عن اغتياله أعده الإعلامى «يسرى فودة» لقناة «الجزيرة»، أنها طلبت الرئيس صدام حسين تليفونيا فرد عليها، قالت له: أنا حرم الدكتور المشد، فرد عليها: «أهلا بيكى فى بلدك يا أختى إحنا كلنا جنبك»، فردت: «أنا عايزة أقابل جنابك»، فقال: «تتفضلى بكره الساعة ٦ بعد الظهر».

وفى الموعد المحدد ذهبت السيدة زنوبة فقال لها صدام: «أهلا بكم بأهلى وقرايبى وإخواتى فى بلدكم، اتفضلوا» تقول: جه على كنبة عريضة قعد فى النص، وأنا على اليمين و«ليا» على الشمال، وحط إيديه علينا زى نسر، وقال: «أنا فقدت أخ، أخ عزيز علىَّ وهو الدكتور المشد، أنتم لو طلبتم روحى ما تفدهوش، روحى نفسها، أنتم أهلى، تطلبى تقعدى معانا فى العراق أبنى لك قصر جنب قصرى، أعمل لك اللى أنت عايزاه».

١٤ يونيه عام ١٨٠٠
سليمان الحلبى يقتل كليبر .. وامرأة ترشد عن مكانه

انطلق من ميدان الأزبكية دوى طبل ينذر بالخطر، ولم تمضِ دقائق حتى كانت جميع الطبول فى القاهرة تدعو الجنود إلى مراكزهم، وبسرعة البرق انتشر خبر مصرع «كليبر» قائد الحملة الفرنسية على مصر بعد عودة «نابليون» إلى باريس، ووفقا لكتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «ج. كرستوفر هيرولد»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «لجأ الأهالى إلى بيوتهم محتمين بها خشية العاقبة، بينما اندفع الجنود كالمجانين فى الشوارع يضربون كل من يقف فى طريقهم»، ويقول الجاويش فرنسوا فى يومياته: «إننا قتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفنا من الرجال».

كان الحدث بعد الثانية ظهرا فى مثل هذا اليوم «١٤ يونيه ١٨٠٠»، وبطله «سليمان الحلبى» الذى جاء من سوريا إلى مصر عاقدا العزم على قتل «كليبر»، واعتمادا على «الجبرتى» ومراجع فرنسية أخرى، يروى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر» هذه القصة، قائلا، إن «كليبر» كان يسير بصحبة المسيو «بروتان» المهندس المعمارى عائدين إلى دار القيادة العامة، وبينما هما سائران خرج عليهما رجل يكمن وراء بئر عليها ساقية، فاقترب من «كليبر» كمن يريد أن يستجديه أو يتوسل إليه، فلم يَرْتَب الجنرال فى نية ذلك السائل، لكنه لم يكد يلتفت إليه حتى عاجله القاتل بطعنة خنجر مميتة أصابته فى صدره.

صاح «كليبر»: «إلَّى أيها الحارس» ثم سقط على الأرض مُضرَّجًا فى دمه، فأسرع «بروتان» فى تعقب «الحلبى» للإمساك به وضربه بعصاه فوق رأسه، لكن حصل هو الآخر على نصيبه بست طعنات سقط بسببها على الأرض فاقد الوعى بجوار «كليبر» الذى لم يكن قد فارق الحياة بعد، وزيادة فى الإصرار على الاطمئنان على قتل «كليبر» عاد «الحلبى» مرة ثانية ليزيد طعناته ثلاثا أخرى، نفذت الأولى منها إلى القلب فكانت هى القاضية.

اختفى «الحلبى» عن الأنظار، ولم يبقَ فى مكان الحادث سوى جزء من عمامته، اختفى وراء حائط، وبعد ساعة من البحث أشارت عليه امرأة رأته من بيت سطح مجاور لاثنين من الملازمين لدار «كليبر».

تم القبض عليه، وساقه الجنديان الفرنسيان إلى «دار أركان الحرب». شملت القرائن ضده ظهور آثار دماء على الحائط الذى كان مختفيا وراءه، وكانت ملابسه ملوثة بالدماء، بالإضافة إلى العثور على خنجر مدفون تحت التراب فى نفس المكان الذى كان يختبئ فيه.

سيق «الحلبى» إلى الجنرال «مينو» فتم وضعه بين جماعة من العمال وضع بينهم خصيصا للتأكد من صحة التعرف عليه، وتعرف عليه «بروتان»، وتبين من الشهود أنه كان يتبع خطوات «كليبر» قبل تنفيذ عملية القتل بعدة أيام، وشاهدوه فى «الجيزة» يسعى للدخول إلى مقر «كليبر» بحجة تقديم عريضة إليه، لكن سكرتير الجنرال رفض الإذن بالمقابلة.

١٥ يونيه عام ١٩٥٩
«جيفارا» يسأل عبد الناصر:
كم من اللاجئين المصريين أُجبروا على مغادرة البلاد؟

قال المناضل العالمى «تشى جيفارا» لـ«جمال عبدالناصر»: «لا أعرف إلى أين سأذهب، لكن الشىء الوحيد الذى ينتظرنى هو أن أقرر أين أعثر على مكان أكافح فيه من أجل الثورة العالمية، وأقبل تحدى الموت».

سأله عبدالناصر: «لماذا تتحدث دائما عن الموت؟ أنت شاب وعلينا أن نموت من أجل الثورة إذا كان ذلك ضروريا، ولكن من الأفضل بكثير أن نعيش من أجلها».

كان «جيفارا» فى زيارة ثانية للقاهرة عام ١٩٦٥، وخلالها دارت حوارات عديدة له مع جمال عبدالناصر عن الثورة والدولة، وعن الموت والحياة، وعن كاسترو، والانقلابات العسكرية، والاستعمار العالمى، وعن حلم الثورة الذى يبحث عنه جيفارا فى كل مكان. كان عبدالناصر، وكما يقول الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم»: «يحب جيفارا ويشعر بميل عاطفى خاص نحوه، وتعزز هذا الحب فى زيارته الثانية إلى القاهرة».

أما زيارته الأولى التى بدأت فى مثل هذا اليوم «١٥ يونيه ١٩٥٩» واستمرت ١٥ يوما، فكانت لأغراض أخرى، وكما يقول هيكل: «لم تسفر عن شىء مؤثر»، لكن حاصل جمع الزيارتين كان رؤى رائعة متبادلة بين عملاقين فى التاريخ، واحد فهم العلاقة بين «الدولة والثورة» وهو جمال عبدالناصر،

والثانى وهب نفسه لـ«الثورة»، ولم يُطِق الاستمرار فى جهاز الدولة، فأصبح ضميرا لكل المناضلين فى العالم.

جاء «جيفارا» إلى مصر عام ١٩٥٩ ليدرس تجربة الإصلاح الزراعى التى بدأها عبدالناصر بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بأيام قليلة، والتقى «عبدالناصر» للمرة الأولى، وفى اللقاء روى «تشى» لـ«عبدالناصر» أنه عندما كان كاسترو يجابه المصاعب والنكسات، وهو يقود حرب العصابات فى قمم التلال الكوبية سنة ١٩٥٦، كان يستمد الشجاعة من الطريقة التى صمدت بها مصر للعدوان الثلاثى البريطانى الفرنسى الإسرائيلى عام ١٩٥٦، وكيف أن عبدالناصر كان مصدر قوة روحية وأدبية لهم.

تطرَّق الحديث بين الاثنين حول الإصلاح الزراعى، وفيه بدا الخلاف الجوهرى فى رؤيتهما.

سأل جيفارا: «كم من اللاجئين الأجانب أُجبروا على مغادرة البلاد؟».

فرد عبدالناصر بأن عددهم لم يكن كبيرا، وأنهم كان معظمهم من «المصريين البيض»، أى من فئة أصحاب الجنسيات الأجنبية الذين تَمَصَّروا بحكم إقامتهم فى مصر.

علق جيفارا: «هذا يعنى أنه لم يحدث شىء كبير فى ثورتكم، إننى أقيس عمق التحول الاجتماعى بعدد الأشخاص الذين يمسهم ويؤثر فيهم بحيث يبدءُون فى الإحساس بأنه لم يعد لديهم مكان فى المجتمع الجديد».

شرح «عبدالناصر» لـ«جيفارا» أن ما يفعله هو تصفية امتيازات طبقة معينة وليس تصفية أفراد تلك الطبقة، وأضاف أنه يريد أن يفتت سلطة الإقطاعيين، لكنه لا يريد أن يحرم أفراد هذه الطبقة الإقطاعية من أن يصبحوا أعضاء نافعين فى المجتمع الجديد إذا شاءوا.

أصر جيفارا على وجهة نظره ولم تتمخض زيارته للقاهرة عن شىء يذكر.

١٦ يونيه عام ١٩٦٧
موشى ديان يجلس بجوار التليفون
انتظارًا لمكالمة استسلام «عبد الناصر»

جلس جمال عبدالناصر وحيدا فى غرفة منزله، واضعا رأسه بين كفيه، ومتمتما بكلمات قليلة صدرت فى تلك اللحظة بإحساس غريزى بأكثر مما صدرت بحكم معلومات قاطعة، لقد دخل عليه أحد كبار مساعديه فسمعه وهو يتمتم كما لو كان يكلم نفسه: «لقد عرفوا كيف يصطادوننى».

هكذا يكشف محمود عوض فى كتابه «اليوم السابع.. الحرب المستحيلة حرب الاستنزاف»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن أحد المشاهد الدرامية التى حدثت بسبب نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

«اصطياد عبدالناصر» كان هدف أمريكا وإسرائيل، وظنا أن ما حدث فى ٥ يونيه هو طريق الاستسلام لمخطط إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط. كان «التليفون» والجلوس بجواره ضمن الأشياء التى ترددت وقتئذ، جلس الرئيس الأمريكى جونسون بجواره، وفعل نفس الشىء «موشى ديان» وزير الدفاع الإسرائيلى، وذلك انتظارا لشىء ما.

كان الجلوس بجوار التليفون من قادة إسرائيل وأمريكا يعنى شيئا واحدا، وهو تنفيذ ما يطمحون إليه، وهو «استسلام جمال عبدالناصر»، وفى مثل هذا اليوم ١٦ يونيه ١٩٦٧ وطبقا لما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»،

قال موشى ديان إنه جالس على الضفة الشرقية من قناة السويس فى انتظار أن يدق جرس التليفون حاملا إليه طلبا من الجانب الآخر من القناة «جمال عبدالناصر»، يقول فيه إنه على استعداد للجلوس معه على مائدة مفاوضات لبحث شروط الصلح.

تصريح «ديان» صدَّرته صحف العالم، وجاء فى سياق سياسى عام يصفه محمود عوض: «كانت إسرائيل تريد أن تفرض شروط المنتصر لأنه ليس أمام العالم العربى من بديل سوى الإذعان، وأول ما تطلبه إسرائيل هو أن يأتى إليها العرب على مائدة التفاوض المباشر».

انتظار «ديان» تزامن مع كلام «أبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل: «إن ما تريده إسرائيل «الآن» بسيط جدا، وما تريده هو الأمن والسلام»، ويعلق «عوض» على ذلك: حتى لا يقع أحد ضحية البراءة الظاهرة للكلمات، فإن «إيبان» يستدرك بسرعة قائلا: «لكن الأمن والسلام لهما مضمون إقليمى يتعلق بالأرض».

كان «الانتظار إلى جوار التليفون» موجودا فى ضفة أخرى من العالم، ففى «واشنطن» جلس «جونسون» ينتظر مع مستشاريه المكالمة التى تحمل خبر انهيار مصر من الداخل بانقلاب عسكرى، أو بإفلاس اقتصادى، أو بثورة شعبية، أو بكل هذا معا، فتلك هى المقدمة التى لا يمكن بغيرها المضى فى «إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط».

الانتظار بجوار «التليفون» كان يعنى حسب قول «عوض»: الطموحات الإسرائيلية افترضت أن مصر قبلت نتائج حرب يونيه باعتبارها الكلمة الأخيرة، ولن تفكر مطلقا فى إعادة بناء جيشها، كما أنها لن تتمكن من ذلك، وسوف يتجرع عبدالناصر، أو من يحل محله، مرارة التقوقع داخل عزلة يدعمها العالم العربى، لكن بدلا من الانهيار حدث العكس وتمسك المصريون والعرب بـ«عبدالناصر» الذى لم يقترب من التليفون.

١٧ يونيه عام ١٨٠٠
إعدام «سليمان الحلبى» على خازوق ورفض طلبه بشربة ماء

سأل المحقق الفرنسى الشخص الذى تم القبض عليه بتهمة قتل «كليبر» عن اسمه، وسبب إقدامه على ارتكاب جريمته، فأنكر معرفته بها، وبالتعذيب القاسى جاء الاعتراف.

قال المتهم: «اسمى سليمان محمد أمين الحلبى»، عمرى ٢٤ سنة، وأبى تاجر من حلب.

سأله المحقق: «لماذا جئت إلى القاهرة، ولماذا أقدمت على الجريمة؟» فحكى القصة كاملة.

اعترف بأنه غادر سوريا إلى بيت المقدس، ثم حضر إلى القاهرة خصيصا لقتل «كليبر»، وقضى واحدا وثلاثين يوما حتى ينفذ خطته، وطبقا لنص التحقيقات التى تضمَّنها كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية»، المجلد الثانى لمؤلفه «محمد صبيح» قال سليمان، إن رؤساء الجيش العثمانى هم الذين حرضوه، حيث التقى بضابط من ضباط الجيش العثمانى اسمه «أحمد أغا»، كان يعرفه منذ أن كان رئيسا للإنكشارية فى حلب، وكان هذا الضابط معزولا من وظيفته، وجاء إلى القدس ليسعى إلى مقابلة الصدر الأعظم ويلتمس منه إعادته إلى منصبه.

شكا «سليمان» إلى «أغا» من مظالم إبراهيم باشا والى حلب لوالده، وإجباره على أداء غرامات فادحة، وطالبه بالتدخل من أجل أن يرفع عن والده الظلم، فوعده «أغا» بمساعدته على أن يسافر إلى مصر لاغتيال «كليبر».

قبل «سليمان» العرض، وحضر إلى القاهرة التى كان يعرفها من قبل حين حضر إليها وقضى فيها ثلاث سنوات كاملة لطلب العلم فى الأزهر، وظل يراقب الموقف يوما بعد يوم لتنفيذ خطة الاغتيال التى صمم عليها.

أصدر الجنرال «مينو» يوم ١٥ يونيه ١٨٠٠ أمرا بتشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة «الحلبى» ومعه آخرون اعدَّتهم المحكمة شركاء له، لأنهم عرفوا بمخططه ولم يبلغوا عنه، وهم محمد الغزى، أحمد الوالى، عبد الله الغزى، عبدالقادر الغزى، وكذلك مصطفى أفندى البروسه الذى بات عنده سليمان أول ليلة حضر فيها إلى القاهرة.

قضت المحكمة فى مثل هذا اليوم «١٧ يونيه ١٨٠٠» باعتبار سليمان الحلبى وشركائه الأربعة مذنبين، وبراءة مصطفى أفندى وإطلاق سراحه، وحكمت بإحراق يد سليمان اليمنى ثم إعدامه على الخازوق، وترك جثته تأكلها الطير، وإعدام شركائه الأربعة بقطع رؤوسهم وإحراق جثثهم بعد الإعدام مع مصادرة أموال المتهم «عبد القادر الغزى»، وكان هاربا ولم يكن عنده مال.

يصف كتاب «بونابرت فى مصر» لحظات تنفيذ الأحكام، والتى بدأت بتنفيذ قطع الرؤوس، وكان الفحم أثناء ذلك يُحمى فى مجمرة، ولم يشكُ سليمان ويده تشوى على الجمر، ولكن حين انزلقت جمرة إلى مرفقه، نبه إلى أن الحكم عليه لم يذكر المرفق بل اليد فقط، ورأى «برطلمين» وهو منفذ الحكم، أن هذه مماحكة من سليمان، وقال سليمان إن برطلمين نصرانى كلب، وأصر على حقوقه حتى أُزيحت عن مرفقه الجمرة.

بعد حرق اليد بدأت عملية «الخوزقة»، وتم تنفيذها على خمس خطوات، كان الحاضرون لا يرون فى هذا الإجراء الوحشى مشكلة، بل يرون فيه إجراء عاديا لا غبار عليه، ولما أتم «برطلمين» القسم التمهيدى من العملية، رفع

الخازوق قائما وعليه سليمان ثم غرس فى الأرض، ورجا سليمان جنديا فرنسيا واقفا أن يعطيه شربة ماء، وكان على وشك أن يناوله زمزميته لولا أن منعه «برطلمين» قائلا: «أقل شربة من الماء كفيلة بقتله فورا، فيتعطل مجرى العدالة».

جاء تنفيذ الأحكام فى حق سليمان وباقى المتهمين بعد تشييع «كليبر» ودفنه فى مقبرة أُعدت خصيصا بحديقة «قصر العينى»، وبعد ساعات قضى «سليمان» نحبه وهو على الخازوق.

١٨ يونيه عام ١٩٥٣
إعلان الجمهورية برئاسة محمد نجيب..
والأمير محمد عبد المنعم يبكى

ذهب اللواء محمد نجيب إلى الأمير محمد عبد المنعم الوصى على العرش الملكى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ليبلغه بخبر إلغاء الملكية، وتحول مصر إلى «الجمهورية»، فاهتز عاطفيا، ويقول «محمد نجيب» فى مذكراته «كنت رئيسا»، الصادرة عن المكتب المصرى الحديث، القاهرة: «بكى الأمير «عبد المنعم» وهو يسمع الكلمة الأخيرة فى حكم أسرة محمد على».

جاء اللقاء فور إصدار مجلس قيادة الثورة بيانا، يعلن فيه إلغاء النظام الملكى فى مثل هذا اليوم «١٨ يونيه ١٩٥٣»، ووجه البيان أعنف نقد إلى أسرة محمد على، قائلا:

«إن تاريخ أسرة محمد على فى مصر كان سلسلة من الخيانات التى ارتُكبت فى حق هذا الشعب، وكان من أولى هذه الخيانات إغراق إسماعيل فى ملذاته، وإغراق البلاد بالتالى فى ديون عرضت سمعتها وماليتها للخراب، حتى كان ذلك سببا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادى الآمن الأمين، ثم جاء «توفيق» فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة فى سبيل محافظته على عرشه، فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحمى الغريب على العرش الذى استنجد بأعداء البلاد على أهلها، وفاق «فاروق» كل من سبقوه من هذه الشجرة، فأثرى وفجر، وطغى وتجبر وكفر، فخط لنفسه

نهايته ومصيره، فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التى فرضت عليها نتيجة لهذه الأوضاع».

وبعد هذه المقدمة ذكر البيان قرارات قيادة الثورة، وكان أولها نصا: «نعلن اليوم باسم الشعب إلغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة».

ثانيًا: إعلان الجمهورية وتولى الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الثورة رئاسة الجمهورية، مع احتفاظه بسلطاته الحالية فى ظل الدستور المؤقت الصادر فى ١٠ فبراير ١٩٥٣.

ثالثًا: يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال، ويكون للشعب الكلمة الأخيرة فى تحديد نوع الجمهورية، واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

وفى اليوم نفسه، أصدر «محمد نجيب» قرارا جمهوريا بـ«تعيين حضرة الصاغ أركان حرب محمد عبدالحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة ويمنح رتبة اللواء، وتعيين سليمان حافظ، مستشارا قانونيا لرئيس الجمهورية بمرتب ٣ آلاف جنيه فى السنة».

تقرر تعديل التشكيل الوزارى، وفى التعديل الجديد أصبح البكباشى جمال عبدالناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية، وأصبح عبداللطيف البغدادى وزيرا للحربية، وتم تعيين صلاح سالم وزيرا للإرشاد القومى ووزيرا للدولة لشئون السودان.

بمقتضى إعلان الجمهورية وتولى محمد نجيب منصب رئيس الجمهورية، كان من الطبيعى أن ينتقل «نجيب» إلى قصر عابدين، لممارسة مهام منصبه، لكنه رفض وفضل البقاء فى منزله بـ«حلمية الزيتون»، ويقول فى مذكراته «كنت رئيسا لمصر»، مذكرات محمد نجيب، المكتب المصرى الحديث، الطبعة الثانية ١٩٨٤: «رغم أن بيتى بسيط ولا يليق بأن يكون بيتا لرئيس الجمهورية،

ورغـم بعـده عـن قلـب العاصمـة، فقـد فضلـت البقـاء فيـه، لكـى أقنـع الآخريـن بالتقشـف وإعطـاء المثـل لهـم».

يضيـف «نجيـب»: «عندمـا قالـوا لى إن مرتـب رئيـس الجمهوريـة سـيكون سـتة آلاف جنيـه فى السـنة أى خمسـمائة جنيـه فى الشـهر، عرضـت التنـازل عـن نصـف هـذا المرتـب طـوال فـترة الرئاسـة، نظـرا لمـا تتطلبـه الدولـة مـن أمـوال تسـتدعيها المشروعـات الجديـدة».

١٩ يونيه عام ١٩٦٥
انقلاب بومدين على بِنْ بيلاًّ فى الجزائر
بعد منتصف الليل بعشر دقائق

بعد منتصف الليل بعشر دقائق، أطفأ الرئيس الجزائرى «أحمد بن بيلا» النور فى غرفة نومه فى الفيلا التى يسكن فيها، وأغمض عينيه ونام.

بعد ساعتين تماما وصل إلى «الڤيلا» خمسة من كبار الضباط فى الجيش الجزائرى، وفتح العقيد «طاهر الزبيرى» رئيس أركان حرب الجيش باب الغرفة، ودخل الباقون معه، ومد يده إلى مفتاح النور فأداره، وامتلأت الغرفة بضياء مفاجئ.

فتح «بن بيلا» عينيه على مفاجأة الضوء، وجلس فى سريره ينظر بدهشة إلى الضباط ويحاول استجماع حواسه.

بادره «الزبيرى» قائلا: «سى أحمد، إن المناضلين الحقيقيين تحملوا مسؤولياتهم فى هذا البلد»، ولم يفهم «بن بيلا» على الفور، فتطلع إلى «الزبيرى» باستغراب دون أن يقول شيئا، ثم قال «الزبيرى»: «سى أحمد، أنت لم تعُد رئيسا للجمهورية، ويلزمك الآن أن تستريح».

هكذا يصف محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، الصادر عن مؤسسة الأهرام القاهرة، اللحظات التى تم فيه انقلاب «هوارى بومدين» وزير الدفاع الجزائرى على رئيسه «أحمد بن بيلا» فى مثل هذا اليوم «١٩

يونيه ١٩٦٥»، وكانت ختاما دراميا لقصة نضال طويلة جمعت الاثنين ضد احتلال فرنسي للجزائر استمر ١٣٠ عاما، ورحل عام ١٩٦٣ بعد أن قدمت الجزائر مليون شهيد، وساندتها مصر بقوة في مشهد ثورتها بالسلاح وإيوائها لرموزها خاصة «أحمد بن بيلا»، الذي اكتشفه «فتحي الديب» مسؤول دائرة الشؤون العربية التابعة لرئاسة الجمهورية.

في كتابه «عبدالناصر وثورة الجزائر»، الصادر عن دار المستقبل العربي، القاهرة، يشرح «الديب» وبالتفصيل الدور المصري منذ لحظة اكتشافه لـ«بن بيلا» وتقديمه إلى عبدالناصر عام ١٩٥٤، وحتى الانقلاب، وطبقا لـ«هيكل» و«الديب»: «كانت مصر على علم بكل الخلافات التي احتدمت بين «بن بيلا» و«بومدين»، وفشلت وساطتها بين الاثنين.

بعد الانقلاب كتب «عبدالناصر» خطابا إلى «بومدين»، قال فيه: «إن تنحية الأخ أحمد بن بيلا كانت صدمة عاطفية للجماهير العربية على اتساع العالم العربي كله، وليس ذلك بالأمر المستغرب لمكانه في الثورة الجزائرية، ولمكانة الثورة الجزائرية في النضال العربي، ولست أخفي عليك أنه يوم تنحيته كان يوم حزن عميق في الجمهورية العربية المتحدة».

كان بن «بيلا»، أول رئيس للجزائر «١٩ أكتوبر ١٩٦٣» وذلك بعد استقلالها، حكم الفرنسيون عليه بالسجن ٧ سنوات عام ١٩٥٠ وهرب بعد عامين، واختطف الفرنسيون طائرة كانت تقلُّه عام ١٩٥٦، ليبقى سجينا عامين ونصف العام، وبعد الانقلاب عليه ظل سجينا حتى أفرج عنه الرئيس «الشاذلي بن جديد» يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٨٠، لتبلغ سنوات سجنه ما يقرب من ٢٠ عاما من أجل بلاده.

كان بَشُوشًا ومبتسمًا على الدوام، وفي لقاء لي معه عام ٢٠٠٠ في حوار مطول استمر نحو ثلاث ساعات، سألته عما يحمله نحو الذين انقلبوا عليه، فأجاب مبتسما ومتسامحا: «أخذت نصيبي وأخذوا نصيبهم، فليسامحنا الله جميعا».

٢٠ يونيه عام ١٩٤٨
انفجار قنبلة فى حارة اليهود تقتل وتصيب ٦٣ يهوديًا

انفجرت قنبلة فى حارة اليهود «القرّائين» بالقاهرة، فأدت إلى مقتل اثنين وعشرين يهوديا، وجرح واحد وأربعون آخرون، وأُصيب العديد من المبانى بأضرار فادحة، حدث هذا فى مثل هذا اليوم «٢٠ يونيه ١٩٤٨»، وتوجهت أصابع الاتهام إلى جماعة الإخوان.

كانت مصر تعيش أجواء حرب ١٩٤٨، التى جاءت بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، حيث دخلت مصر بالإضافة إلى أربعة جيوش عربية فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ بحلم أن يتم القضاء على قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، الذى منح اليهود نصف الأرض الفلسطينية لقيام دولة إسرائيل عليها، وكان ذلك بمثابة الخطوة التى ألقت بظلالها الكثيفة على أوضاع اليهود فى مصر.

حسب كتاب «يهود مصر من الازدهار إلى الشتات»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة للدكتور محمد أبوالغار: «قال الدكتور محمد حسين هيكل فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ عند مناقشة قضية فلسطين، وبوصفه رئيسًا لمجلس الشوري المصرى: عندما يسيل الدم الفلسطينى فى إسرائيل سوف يؤدى بالضرورة إلى إسالة الدم اليهودى فى البلاد العربية، مهما حاولت الحكومات العربية بإخلاص منع ذلك».

قبل هـذا التحذير، وكان انفجار القنبلة فى حارة اليهود فى مثل هـذا اليوم نموذجًا عمليًا عليه.

وفى كتابه «شتات اليهود المصريين»، دار الشروق، القاهرة، يتحدث الباحث جوئل بينين عما حدث فى تفجير ٢٠ يونيه قائلا: «قامت السلطات المصرية بإلقاء اللوم بشكل غير مقنع على ألعاب نارية مخزنة بمنازل يهودية، وكذلك على العداء بين طائفتَى «القرائين» و«الربانيين»، وذكرت صحيفة الأهرام أن رد فعل الشرطة ورجال الإطفاء حيال الحريق كان سريعًا وفعالًا، لكن شهود العيان اليهود الذين كانوا بموقع الحادث شهدوا بأن استجابة السلطات تميزت بالبطء والإهمال، وتم وضع التقارير والتعليقات الخاصة بالحادثة التى وردت فى صحيفة «الكليم» تحت رقابة مشددة، وقام المحررون بترك مساحات خالية فى مقالاتهم فى أعداد كثيرة صدرت عقب عملية القنبلة، احتجاجًا على تعامل الحكومة مع الحادث ومسألة الرقابة».

وجريدة «الكليم» هى واحدة من الصحف اليهودية التى ظهرت فى القاهرة منتصف الأربعينيات من القرن الماضى، ويقول الكاتب الصحفى محمود عوض فى كتابه «وعليكم السلام»، دار المعارف، القاهرة : «دعت صحيفة الكليم بسرعة إلى شحذ همم الشباب كى يهاجروا إلى تلك البلاد- فلسطين».

تكررت الهجمات فيما بعد على متجرَىْ «شيكوريل» و«أوريكو» بشارع ٢٦ يوليو يوم ١٩ يوليو، تبعه إلقاء قنابل على متجرى «عدس» و«جاتينيو» يومَىَ ٢٨ يوليو، و١ أغسطس، وفى يوم ٢٢ سبتمبر وقع انفجار فى حارة اليهود الربانيين، أسفر عن مقتل ١٩ وجرح ٦٢، وكانت آخر الهجمات ضد يهود القاهرة هى تدمير الشركة الشرقية للدعاية والإعلان، وهى شركة كبيرة ظلت تعمل فى أثناء الحرب، وحدث ذلك عن طريق قنبلة ألقيت عليها فى يوم ١٢ نوفمبر.

فى محاكمة تم إجراؤها عام ١٩٥٠ لمتهمين من جماعة الإخوان، تم توجيه الاتهام لأعضائها بتنفيذ كل هجمات القنابل على يهود القاهرة من يونيه إلى نوفمبر ١٩٤٨، وهى الفترة التى بدأت معها هجرة اليهود المصريين.

٢١ يونيه عام ١٨٠٠
الأقباط يعترضون على إغلاق الجامع الأزهر.. و« شيخه » يخاطبهم: «اكفونا شر دسائسكم يا قبطة»

تحـول الجامـع الأزهـر إلى مـكان مهجـور، تـم دق أبوابـه بالمسـامير للتأكـد مـن أنـه لا أحـد يتسـلل إليـه، أوقفـت الصـلاة بـه، ولم يعُـد مكانـا تنطلـق منـه المقاومـة ضـد الفرنسـيين، حـدث هـذا فى مثـل هـذا اليـوم «٢١ يونيـه ١٨٠٠» بعـد مقتـل «كليـبر»، قائـد الحملـة، عـلى يـد «سـليمان الحلبـى».

فى تاريـخ الجامـع الأزهـر حـدث أن تـم إغلاقـه مرتـين، الأولى كانـت فى عهـد صـلاح الديـن الأيوبـى الـذى أراد أن يحـد مـن الثقافـة الشـيعية التـى غلبـت عـلى «الأزهـر» فى العـصر الفاطمـى، واسـتمر إغلاقـه نحـو ٩٨ عامـا.

أمـا المـرة الثانيـة فكانـت عقـب مقتـل «كليـبر»، واسـتمر الإغـلاق نحـو عـام ويقـول الدكتـور عبـد العزيـز محمـد المنشـاوى فى كتابـه «الأزهـر جامـع وجامعـة»، الصـادر عـن مكتبـة الأسرة، القاهـرة، إن التحقيـق فى مقتـل «كليـبر» كان يتجـه إلى تصيُّـد القرائـن أو الأقـوال التـى تثبـت علـم الشـيخ الشرقـاوى شـيخ الجامـع الأزهـر، أو علـم غـيره مـن كبـار العلـماء بمـشروع القتـل، ولكـن لم يسـفر التحقيـق فى النهايـة عـن شـىء مـن ذلـك، لكـن قلـوب الفرنسـيين لم تطمئـن إلى سـلامة موقـف علـماء الأزهـر وطلبتـه، وكان تقديرهـم أن قيـام القاتـل «سـليمان الحلبـى» ثلاثـين يومـا فى الأزهـر ينسـج فيـه خيـوط فعلتـه، دليـل عـلى أن الأزهـر هـو المكان الصحـى الـذى تدبـر فيـه المؤمـرات لاغتيـال القـادة الفرنسـيين.

ويقول «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى»، دار المعارف، القاهرة : «رأى العلماء أن الأزهر أصبح عرضة للريبة والتفتيش، فعرضوا على الفرنسيين إقفاله مؤقتًا»، واتخذ هذا القرار شيخ الأزهر «عبدالله الشرقاوى»، والشيخان «المهدى والصاوى»، وجاء قرارهم بعد أن ذهب الجنرال «مينو» خليفة «كليبر» فى قيادة الحملة الفرنسية إلى الأزهر بصحبة قومندان المدينة «الجنرال بليار» والأغا «المحافظ»، وطافوا به وشرعوا فى حفر ما به من الأماكن بحجة التفتيش عن السلاح، فأخذ طلبة العلم فى نقل أمتعتهم منه، ونقل كتبهم، وإخلاء الأروقة، وكتب الفرنسيون أسماء الطلبة فى كشوف وأمروهم ألا يؤووا بالجامع غريبًا، وأخرجوا منه المجاورين العثمانيين ومنهم الشوام».

رأى المشايخ الثلاثة أن بقاء الجامع مفتوحا سيعرضه لأخطار، وبالتالى فمن الأفضل إغلاقه، وذهب «الثلاثة» إلى «مينو»يستأذنونه فى إغلاق الجامع وشرحوا له وجهة نظرهم التى تتمثل فى منع الريبة، لأن الأزهر له سعة لا يمكن معها الإحاطة بكل من يدخله.

وافق «مينو» على اقتراح المشايخ الثلاثة دون استشارة نقيب الأشراف «خليل البكرى» ولا الشيخ «السادات» ولا الأعيان الذين هم صفوة المجتمع وقتئذ، وكان قرار الإغلاق سيترتب عليه وقف الدراسة وتعطيل الصلاة غير أن اللافت هو موقف الأقباط، فحسب ما يذكره «حلمى النمنم» فى كتابه «الأزهر الشيخ والمشيخة»، أن الأقباط أصابهم الذهول من قرار الإغلاق، فقالوا للشيخ «الشرقاوى»: «هذا لا يصح ولا يتفق»، وكان هذا الرأى أكثر إدراكًا لقيمة الأزهر ودوره.

غضب الشيخ «الشرقاوى» من غضب الأقباط وشكواهم فرد بعبارة تنم عن الخوف الشديد: «اكفونا شر دسائسكم يا قبطة»، ويعلق «النمنم» على هذا الرد الغريب قائلًا: «لا ندرى ما الدسيسة فى ذلك؟ فالشيخ الشرقاوى كان يتصرف بمنطق وعقلية الخوف البالغ».

٢٢ يونيه عام ١٨٨٣
«الكوليرا» تظهر فى دمياط وتنتقل فى المحافظات.. والضحايا ٦٠ ألفًا.

لم يمر أقل من عام على الاحتلال الإنجليزى على مصر حتى حلت كارثة انتشار وباء الكوليرا، وأطلق المصريون عليه اسم «الهيضة» و«الشوطة»، وجاءت تسمية «الشوطة» تعبيرًا عن انتشار حالات الوفيات، وسرعتها الرهيبة بين المصريين فى القرى والكفور والنجوع من الدلتا إلى الصعيد.

هى محنة عاشها المصريون، وكانت ثنائية الفقر والجهل بمثابة البيئة الخصبة التى ساعدت على انتشارها، ويسجلها المؤرخ «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «مصر والسودان»، مشيرا إلى أن المرض ظهرت حالته الأولى فى دمياط فى مثل هذا اليوم «٢٢ يونيه ١٨٨٣»، وانتشر منها إلى باقى القطر.

ويسجل «الرافعى» اختلاف الآراء حول مصدر المرض، فقال بعضهم إنه نشأ فى دمياط ذاتها، وانتشر لقلة العناية بالوسائل الصحية، وقال آخرون إنه وافد من الهند، وهو الرأى الذى أيدته الملابسات، حيث أظهرت التحقيقات أن أحد قبطان البواخر البريطانية التى وصلت لمصر قادمة من الهند نزل إلى البر، وجاء إلى دمياط، ولم يكد يصل إليها حتى ظهر الوباء فيها، وساعد على سريان عدواه بها رطوبة مناخها، وكثرة ما فيها من الحوارى الضيقة المتعرجة، ومرور خليج فى وسطها يستقى منه سكانها، ويصل ماء النيل إلى

الأراضي المجاورة لها، وكان سببًا في زيادة الرطوبة في منازلها، وزاد منها قلة الوسائل الصحية التى كانت عليها مصر.

حضرت بعثات طبية دولية لفحص المرض للوقوف على أسبابه، فأثبتت أنه قادم بالفعل من الهند، وانتشر من دمياط إلى المدن الأخرى، وعلى الأخص فى مدن شربين والمنصورة وطلخا وسمنود والمحلة الكبرى وطنطا وزُفْتى وميت غمر والسنبلاوين ومنوف وكفر الزيات ودمنهور وكفر الدوار والإسكندرية ورشيد وبورسعيد والإسماعيلية والسويس والزقازيق، ثم القاهرة وبنها والجيزة وبنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا.

وتكشف خريطة انتشار «الكوليرا» أو «الهيضة» أو «الشوطة» أنه غطى تقريبًا كل أنحاء مصر، وكان حصاده كارثة بكل المقاييس، حيث بلغ عدد المتوفين فى دمياط ١٩٣٦ شخصا، وفى الإسكندرية ١٠٣٤، وفى شبين الكوم ١١٢٠، وحصلت القاهرة على نصيب الأسد، حيث بلغ عدد ضحايا المرض فيها وحدها ٥٦٦٤.

كان المصريون مع كل صباح يترقبون فيما بين عوائلهم من سيصيبه المرض الذى يؤدى إلى الوفاة مباشرة، نظرًا لعدم وجود أى إسعافات سريعة، وكانت حالة التداوى من الأمراض المنتشرة وقتها تعتمد على الوصفات واللجوء إلى الشيوخ وأعمال السحر، وفيما كان يحدث ذلك، كانت الحكومة- وحسب قول «الرافعى»- تكافح بكل ما لديها، حيث أنشأت لجانًا فى القاهرة والإسكندرية ودمياط والمنصورة وغيرها لإسعاف المصابين وإرشادهم إلى طرق الوقاية.

يتحدث «الرافعى» عن أن حالة الهلع التى أصابت المصريين جميعًا وقتئذ، ظلت على وضعها، خاصة أن المرض انتشر انتشارًا مروعا فى الأحياء الآهلة بالسكان، ثم خفت وطأته فى أواخر شهر أغسطس، أى بعد نحو أكثر من شهرين، وأمكن استئصاله فى شهر ديسمبر بعد أن بلغ عدد الضحايا ٦٠ ألفا.

٢٣ يونيه عام ١٩٩٥
رحيل عاطف الطيب..
وقائمة أفضل مائة فيلم مصرى تشمل ثلاثة من إخراجه

«أتلمَّس المشاكل التى تهم المواطن من الطبقة المتوسطة، وبالذات من أبناء جيلى، ويجب أن نكون شاهدين على عصرنا بلا تزييف أو تشويه، فأنا أترجم ما يمكن أن يمس كل ما يعتمل داخل الناس ويؤثر فيهم، كل ما يهزهم فى حياتهم اليومية، وخلاصة القول أن نحاول التعبير بصدق وأمانة وعيوننا على ما يحدث فى مجتمعنا، فى الحياة، ونشحن هذا بأعمالنا الفنية».

هكذا لخص المخرج عاطف الطيب الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٢٣ يونيه ١٩٩٥» رؤيته لأعماله الفنية التى لا يفصلها عن همومه كمواطن عاش مرحلتين متناقضتين فى تاريخ مصر، الأولى مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حيث ولد قبلها بخمس سنوات «٢٦ ديسمبر ١٩٤٧» بجزيرة «الشوارنية» مركز المراغة محافظة سوهاج، وعاش سنوات الثورة بمعاركها الكبيرة من أجل الاستقلال الوطنى والعدالة الاجتماعية، وبعد أن أنهى دراسته التحق جنديا بالجيش من عام ١٩٧١ حتى ١٩٧٣.

عاش «الطيب» مرحلته الثانية، فبعد خروجه من الجيش والانتصار على إسرائيل فى حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وجد مصر تدخل مرحلة جديدة تسحق الطبقة المتوسطة التى تكونت بفضل ثورة ٢٣ يوليو، ويتحول فيها الصديق إلى عدو بالسلام مع إسرائيل، ومع ما سُمى بـ«الانفتاح الاقتصادى» تسيّد

أسلوب «الفهلوة» فى مقابل تراجع قيم العمل، وانفتح الطريق أمام تيارات التكفير التى تطاير معها رصاص الإرهاب.

هكذا كان الواقع هو الخميرة الجاهزة لطبخة «الطيب» السينمائية، التى وجدناها فى نموذج «حسن» بفيلم «سواق الأتوبيس» الذى خاض معركة تحرير الأرض كجندى فى الجيش، وبعد خروجه وجد الفاسدين يتسيدون المشهد فى مقابل انسداد فرصة العيش بكرامة أمامه وأمام أبناء جيله الذين حلموا فضحّوا من أجل حلمهم، وحين وجد وهو يقود أتوبيس هيئة النقل العام لصا، ترك الأتوبيس وأصرّ على ملاحقته حتى أمسك به، وناوله بكل عزم وقوة لكمات بقبضة يديه صائحا «يا ولاد الكلب».

سرت صيحة «يا ولاد الكلب» على كل الألسنة، وأصبح المشهد كله أيقونة سينمائية فاضحة لمرحلة الفساد التى نخرت فى جسد مصر، وبقدر ما عبرت عن حالة انكسار جيل، شددت على أن المقاومة اختيار لا فكاك منه.

لم ينجب «عاطف الطيب» أطفالا، لكنه كان يسابق الزمن فى رحلة حياته القصيرة، ليترك عددا أكبر من الأفلام التى أخرجها «٢١ فيلما» وجعلته واحدا من أهم مخرجى السينما المصرية عبر تاريخها، وحسب رأى الناقد الفنى طارق الشناوى: «يظل نقطة فارقة فى تاريخ السينما المصرية ومخرجا استثنائيا، وفى مجمل أفلامه قدم السينما كما يريدها وبشروط لا تتناقض مع السوق، تختلف أعماله أحيانا لكن بدرجة لا تصل إلى حد التناقض».

فى مسيرته السينمائية ترك ثلاثة أفلام ضمن أفلامه الـ«٢١» فى قائمة أفضل مائة فيلم أنتجتها السينما المصرية، حيث احتل فيلم «سواق الأتوبيس» المرتبة الثامنة، واحتل فيلم «البرىء» المرتبة الـ«٢٨»، وفيلم «الحب فوق هضبة الهرم» احتل المرتبة الـ«٦٧».

٢٤ يونيه عام ١٨٧٩
أوروبا تعزل «إسماعيل» فى منتصف الليل.. ووالدته تخشى خروجه

تجاوز الوقت منتصف الليل، ومع ذلك كانت هناك مقابلة عاجلة مع الخديو إسماعيل فى قصر عابدين، ولم يصبر قناصل فرنسا وإنجلترا وألمانيا حتى الصباح، فأسرعوا مهرولين إلى «القصر» فى مثل هذا اليوم «٢٤ يونيه ١٨٧٩».

فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل باشا»، الصادر عن مكتبة مدبولى، القاهرة، يقول إلياس الأيوبى: «لما عرف فى دار الحريم أن الأوروبيين يطلبون مقابلة الخديو فى تلك الساعة من الليل، وقع الصوت وقامت القيامة، وعجت الدار بمن فيها عجا لا يوصف، وخافت سمو الوالدة أن تكون هناك مكيدة ضد حياة ابنها، فرجته بعدم الخروج، ولكنها لما علمت أن الأوروبيين إنما هم قناصل ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وأن شريف باشا بصحبتهم، رضيت أن يقابل زائريه».

نزل الخديو منفعلا جدا، سأل: «ما الخبر؟»، فأبلغوه: «لابد من استقالتك»، فأظهر تكدرا من أنهم أقلقوه فى هذا التوقيت غير المناسب حتى يبلغوه بهذا الخبر، وقال: «لن أستقيل».

لم يكن حديث عزل «إسماعيل» جديدا، ففى يوم ١٩ يونيه طلب قنصلا فرنسا وإنجلترا مقابلته، بناء على التعليمات الواردة إليهما من دولتيهما، وأبلغاه

نصا: بأن الحكومتين الفرنساوية والإنجليزية متفقتان على الإشارة لسموك رسميا بالاستقالة، ومغادرة القطر المصرى، فإذا اتبع سموك هذه النصيحة فإن الحكومتين ستعملان معا على منحك مرتبا سنويا كافيا، وعلى حفظ نظام الوراثة الذى بمقتضاه سيخلف ابنك الأمير محمد توفيق سموك على عرش مصر، وإذا رفضت التنازل، وأجبرتهما على مخاطبة السلطان «العثمانى» رأسا، فإنك لن تستطيع الاعتماد على تعيين راتب سنوى لك، ولا على حفظ حق الوراثة للأمير محمد توفيق.

فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، رئيس مجلس النظار والرجل القوى فى حكم مصر من أواخر عهد محمد على وحتى انتهاء عصر إسماعيل، يتحدث عن أن إسماعيل قرر التنازل لكنه سحب قراره بعد أن شجعه وكيله لدى «الباب العالى» على المقاومة، غير أن جلسة مجلس الوزراء برئاسة «السلطان» عبدالحميد قررت عزله، لأنه لم يكن يليق بالإمبراطورية أن يتنازل بناء على رغبة القوى العظمى بعيدا عن السلطان، فـ«إسماعيل» كان مرتبطا بحاكمه الأعلى بموجب الفرمانات، وبالتالى كان على حاكمه هو الذى يقرر مصيره فى الحكم واتخاذ الإجراءات ضده.

بعد مقابلة منتصف الليل، جاء اليوم التالى «٢٥ يونيه» مزودا برغبة الخديو أن يقابل «القوة بالقوة»، طالما لا يستطيع التمسك بحقوقه الأدبية، فأمر بإعداد مشروع مرسوم يرفع عدد الجيش المصرى، وناقش أمر إغراق الأراضى المحيطة بالإسكندرية لمنع الأعداء من التقدم إلى داخل البلاد، واستدعى إليه كبار ضباطه، واستوثق من إخلاصهم وولائهم، ولكنه وجد منهم فتورا، وقرأ التردد على وجوه معظمهم، وعزم التخلى عنه على وجوه البعض، وأكد له أحد المخلصين أنه لا ينتظر أن يقوم الجندى المصرى بنصرته، إذا كان العزل بإرادة سلطانية، فأدرك أن اللعبة ضاعت وأن الأمر قد قضُى، واستعد للرحيل.

٢٥ يونيه عام ١٩٦٨
عبد الناصر يفتتح الكاتدرائية ..
ويقول للبابا كيرلس: «لا تكسف أولادى »

فى تمام الساعة التاسعة صباحا يوم ٢٥ يونيه ١٩٦٨، حضر الرئيس جمال عبدالناصر إلى السرادق الكبير بجوار مبنى الكاتدرائية الجديد، ومعه حاكم إثيوبيا الإمبراطور «هيلاسلاسى»، لافتتاح «الكاتدرائية» الجديدة بالعباسية.

كان البابا كيرلس وقيادات الكنيسة فى استقبال الزعيمين، وكانت هى الزيارة الثانية لـ«الرئيس» للكاتدرائية، وكانت الأولى يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٥ لوضع حجر الأساس، وخطب فيها قائلا: «حينما تقابلت أخيرا مع البابا فى منزلى، فاتحته فى بناء الكاتدرائية، وأن الحكومة مستعدة للمساهمة، ولم يكن قصدى المساهمة المادية فهى أمرها سهل، ولكن كنت أقصد الناحية المعنوية».

فى كتاب «البابا كيرلس وعبدالناصر»، يروى مؤلفه الكاتب الصحفى محمود فوزى، أن البابا كيرلس تعود على زيارة عبدالناصر فى منزله، وفى إحداها جاء أولاده يحملون حصالاتهم، فقال «الرئيس» لـ«البابا»: «أنا علمت أولادى وفهمتهم إن اللى يتبرع لكنيسة زى اللى يتبرع لجامع، والأولاد لما عرفوا إنك بتبنى كاتدرائية صمموا على المساهمة فيها، وقالوا هنحوش قرشين، ولما ييجى البابا كيرلس حنقدمهم له، وأرجو ألا تكسفهم وخذ منهم التبرعات»، فأخرج «البابا» منديله ووضعه على حجره فوضعوا تبرعاتهم ثم لفها وشكرهم وباركهم».

فى كتابه «خريف الغضب»، يوضح محمد حسنين هيكل، أنه كان طرفا فى قرار بناء الكاتدرائية، ونقل «البابا» إليه رغبته ومصاعبها فى أنه لم يكن يريد اللجوء لموارد من خارج مصر، كما أن التبرعات المحتملة من داخل مصر كانت قليلة، لتأثير القرارات الاشتراكية على أغنياء المسيحيين والمسلمين، إلى جانب أن المهاجرين الأقباط الجدد لم يكونوا بعد فى موقف يسمح لهم بمد يد المساعدة السخية، ثم إن أوقاف الأديرة القبطية أثرت فيها أيضا قوانين إلغاء الأوقاف.

تحدث «البابا» مع «هيكل» فيما يفكر فيه، ونقل «هيكل» الأمر إلى «عبدالناصر» الذى تفهَّم رغبة «البابا» مدركا حسب قول هيكل ثلاث حقائق، أولها، أهمية حقوق أقباط مصر فى التركيب الإنسانى والاجتماعى لشعبها الواحد، والمركز الممتاز للكنيسة ودروها فى التاريخ المصرى، ووعيه بمحاولات استقطاب مجلس الكنائس العالمى بنفوذ الغرب فيه للكنيسة المصرية.

قرر عبدالناصر مساهمة الدولة بنصف مليون جنيه فى بناء الكاتدرائية، نصفها نقدا ونصفها الآخر يُقدم عينا بواسطة شركات المقاولات التابعة للقطاع العام التى يمكن أن يُعهد لها فى البناء.

أثناء الافتتاح صعد عبدالناصر والبابا وهيلاسلاسى لإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية، فأمسك عبدالناصر بيد البابا متألما ومتوكئا، وصدرت عنه أنَّة خفيفة، فسأله البابا: «مالك يا سيادة الرئيس، فيه حاجة، فيه أى ألم، طيب دا أنا اللى حقى أتألم من أثر الجلطة التى أصابتنى فى العام الماضى».

رد عبدالناصر: أنا أشعر بألم فى ساقى.

رد البابا: ولماذا لم تخبرنا وكنا على أتم الاستعداد للتأجيل حتى تتمكن من الشفاء. رد عبدالناصر: «لا، أنا سعيد بذلك».

٢٦ يونيه عام ١٨٧٩
«الخديو إسماعيل» يجمع مجوهرات نسائه .. وينحنى لولده

«اختار الخديو إسماعيل من نساء حريمه أقربهن إلى قلبه، وجمع من الكل حليهن ومصاغهن، وكان ثمنها شيئا كثيرا، واستدعى عدة من صائغى الأقباط وأقامهم بـ«عابدين» يشتغلون ليلا ونهارا فى نزع الحجارة والفصوص الكريمة ليسهل نقلها والتصرف فيها، وجرد السراى من كل رياشها الثمينة التى كانت ملكه الشخصى، ومن آنيتها الذهب الخالص والمرصعة، وقُدِّر ثمنها بثمانمائة ألف جنيه، ومن كل طنافسها القديمة وأثاثها الفاخرة ولوحاتها ونجفاتها الفضية، ولم يبقَ لخَلَفَه من ٢٤ طاقم سفرة فخمة سوى طاقمين وكانا أقلها قيمة، وأرسل جميع ذلك ما عدا نسائه إلى الإسكندرية فى صناديق مقفلة، ذهب بها حالا إلى يخته «المحروسة»».

الوصف السابق يكتبه «إلياس الأيوبى» فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد إسماعيل باشا»، ويشرح الحالة التى كان عليها «الخديو» بعد أن قرر السلطان العثمانى «عبدالحميد» عزله بناء على رغبة صممت عليها الدول الكبرى وقتئذ، وفى مقدمتها فرنسا وإنجلترا.

كان إسماعيل قد تم إبلاغه بالقرار شفهيا يوم ٢٤ يونيه، لكن الرسالة المكتوبة كانت فى مثل هذا اليوم «٢٦ يونيه ١٨٧٩»، ويقول «الأيوبى» إنه فى ضحى «٢٦ يونيه» جىء ببرقية مكتوبة بالتركية عنوانها: «إلى إسماعيل باشا، خديو مصر سابقا»، ورفض كل من كان فى «سراى عابدين» أن يكون أحدهم

أول مـن يحمـل هـذا الخبر إلى «الخديـو» حتـى جـاء «شريـف باشـا، وزيـر مـصر الأكـبر» وذهـب بهـا إلى «إسـماعيل» ليفتحهـا ويقـرأ فيهـا قـرار العـزل، وتعيـين صاحـب السـعادة محمـد توفيـق باشـا فى منصـب الخديويـة، وكانـت نفس البرقيـة قـد تـم إرسـالها إلى «توفيـق».

التفـت «إسـماعيل» إلى شريـف باشـا قائـلا: «ادْعُ سـمو توفيـق باشـا حـالا»، كانـت برقيـة تلغرافيـة أخـرى تلقاهـا «توفيـق» مـن «البـاب العـالى»، تطالبـه باسـتدعاء جميع العلماء والموظفـين ووجهـاء البـلاد وأعيانهـا مسـتخدمى الحكومـة لإبلاغهـم بالقـرار الجديـد.

ونصـت البرقيـة عـلى أن تكـون المنـاداة بـ«توفيـق» خديويّـا بعـد ظهر اليـوم «٢٦ يونيه».

وصـل «توفيـق» إلى «عابديـن»، وصعـد إلى والـده فى الـدور العلـوى، كان «إسـماعيل» يجلـس وحيـدا حزينـا يسـبح فى ذكرياتـه والأسـباب التـى أدخلتـه إلى هـذا النفـق، وبينـما هـو عـلى هـذه الحـال دخـل «توفيـق»، وحسـب وصـف «الأيوبـى»: نهـض إسـماعيل وتقـدم للقيـاه، وأخـذ يـده ولثمهـا قائـلا: «أسـلم عـلى أفندينـا» ثـم قبَّلـه عـلى وجنتيـه، وتمنـى لـه أن يكـون أوفـر حظـا وأكـبر سـعادة مـن أبيـه، وبعـد ذلـك انحنـى أمامـه ودخـل دائـرة حريمـه، تـاركا لابنـه المتأثـر تأثـرا عميقـا منصبـه وقاعـة عرشـه.

تـم اسـتدعاء كل مـن أوصـت بهـم برقيـة «البـاب العـالى» إلى القلعـة للمنـاداة أمامهـم بـ«توفيـق» خديويـا، وبعـد المنـاداة دوت المدافـع، وبعدهـا اسـتقبل «توفيق» المهنئـين مـن قناصـل الـدول وكبـار الموظفـين وأعيـان ووجـوه وعلـماء ورؤُوس أديـان.

فى المسـاء أخطـر «إسـماعيل» ابنـه توفيـق أنـه يرغـب فى مغـادرة مـصر يـوم ٣٠ يونيـه، لكنـه لم يحـدد جهـة السـفر، وتلـك قصـة أخـرى.

٢٧ يونيه عام ١٩٠٦
أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والسجن لـ٢١ فلاحًا فى «دنشواى»

كان الجمع غفيرًا للاستماع إلى الحكم الذى ينتظره كل المصريين فى حادثة قرية دنشواى بمحافظة المنوفية.

الحادثة هى التى يحفظها التاريخ كشاهد على وحشية الاحتلال الإنجليزى لمصر، ووقعت يوم ١٣ يونيه ١٩٠٦ أثناء رحلة لضباط إنجليز كانوا يصطادون الحمام فى «دنشواى»، فأصابوا امرأة وشيخ الخفر وخفيرًا وأشعلوا النار فى «جرن قمح»، وجرح ضابطان إنجليزيان جروحًا خفيفة، ومات ضابط آخر كان أُصيب برأسه، وقطع نحو ثمانية كيلومترات هربا من الاشتباكات التى دارت بينهم وبين الأهالى، ولما وصل إلى سوق «سرسنا» سقط من الإعياء ومات متأثرًا بضربة شمس.

تم القبض على ٥٢ من أهل دنشواى، وفر سبعة آخرون مطلوبون، وقرر بطرس باشا غالى، وزير الحقانية، تشكيل محكمة مخصوصة برئاسته، وتكونت هيئتها من ثلاثة إنجليز، ومن مصر أحمد فتحى بك زغلول، رئيس محكمة مصر الابتدائية، شقيق سعد زغلول، وعثمان بك مرتضى، رئيس أقلام وزارة الحقانية وشغل موقع سكرتير المحاكمة.

بدأت جلسات المحاكمات يوم ٢٤ يونيه، وكان إبراهيم الهلباوى هو محامى الإنجليز، وتكونت هيئة الدفاع عن المصريين من أحمد بك لطفى السيد، وحمد بك يوسف، وإسماعيل بك عاصم.

قام إبراهيم الهلباوى بدور «المحامى العمومى»، أى الذى يتولى الدفاع والحديث باسم «الإنجليز»، ويقول أحمد شفيق باشا فى الجزء الثانى من مذكراته: «بعد انتهاء الاستجوابات والدفاع قام إبراهيم الهلباوى بك وقال: لا يوجد مصرى لا يشاركنى فى شعورى نحو الحادثة، ولذلك أطلب الحكم على المتهمين بأشد العقوبة»، ثم قال: «فإذا تقدمت إليكم وطلبت رفع كل رحمة من نفوسكم لمعاقبة هؤلاء المتهمين وخصوصا رؤساء العصابة لا أكون مغاليا».

فى مذكراته الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة، يدافع «الهلباوى» عن موقفه كمحامٍ للإنجليز أمام الاتهامات التى طالته بخيانة قضية بلاده لصالح الاحتلال، ويشير إلى أن الجلسة التى نظرت القضية تمت فى صيوان كبير يسع نحو ٣ آلاف شخص، ودُعى إلى شهود المحاكمة الأعيان والعُمُد من مديرية المنوفية والمديريات التى حولها.

فى صباح مثل هذا اليوم «٢٧ يونيه» تلا سكرتير الجلسة الأحكام، وشملت ٢١، وقضت بالإعدام شنقًا فى قرية دنشواى لـ«حسن على محفوظ، ويوسف حسن سليم، والسيد عيسى سالم، ومحمد زهران»، والأشغال الشاقة المؤبدة لـ«محمد عبدالنبى، مؤذن القرية، وأحمد عبدالعال محفوظ»، والأشغال الشاقة ١٥ عاما ضد أحمد محمد السيسى، والأشغال الشاقة ٧ سنوات لـ«محمد على أبوسمك، وعبده البقلى، وعلى على شعلان، ومحمد مصطفى محفوظ، ورسلان السيد على، والعيسوى محمد محفوظ»، والحبس مع الشغل سنة واحدة لـ«حسن إسماعيل السيسى، وإبراهيم حسنين السيد، ومحمد الغباشى السيد»، وجلد كل واحد منهم خمسين جلدة، وتنفذ فى «دنشواى»، وخمسين جلدة لكل من السيد العوفى، وعزب عمر محفوظ، والسيد سليمان خير الله، وعبدالهادى حسن شاهين، ومحمد أحمد السيسى.

يقول عبدالرحمن الرافعي فى كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»، إن هذا الحكم فاق كل ما كان يتوقعه المتشائمون، وخلا من كل إنصاف وعدل، إذ كانت الحادثة راجعة أصلا إلى عدوان الضباط البريطانيين، ولم يقع اعتداء من الأهليين إلا بعد أن أُصيبت إحدى نسائهم، وحُرق جرن لهم، ولم يمُتْ من الضباط الإنجليز سوى ضابط واحد، ثبت من تقرير الطبيب الشرعى الإنجليزى أن السبب المباشر لوفاته هو ضربة الشمس التى أصابته من شدة الحر.

٢٨ يونيه عام ١٩٠٦
تنفيذ الإعدام والجَلْد لفلاحى دنشواى.. واللعنة لـ«الهلباوى»

«رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا، ودهشة عصبية بادية فى الأيدى وفى الأصوات، كان الحزن على جميع الوجوه».

هكذا يصف «قاسم أمين» الحال الذى كان المصريون عليه فى مثل هذا اليوم «٢٨ يونيه ١٩٠٦»، «حيث تم تنفيذ الأحكام ضد ٢١ فلاحا حكمت عليهم المحكمة فى قضية دنشواى»، بالإعدام على أربعة، والأشغال الشاقة المؤبدة والسجن والجلد على الآخرين.

فى مقال له بجريدة «الفيجارو» الفرنسية كتب الزعيم الوطنى «مصطفى كامل» مقالا يصف فيه قسوة مشهد تنفيذ الأحكام؛ قائلا: «نُصبت المشانق، ووضعت آلات الجلد والتعذيب فى وسط دائرة مساحتها ٢١٠٠ متر، وأحاطت عساكر «الدارجون» الإنجليزية بالمحكوم عليهم، والتفت الخيالة المصرية حول الإنجليز، وتولى المستر «متشل» مستشار الداخلية ومعه مدير المنوفية أمر التنفيذ، وتقدم إليهما ابن أول المحكوم عليهم بالشنق سائلا مقابلة والده ليتلقى وصاياه الأخيرة، فرفضا قبول هذا الرجاء الذى هو أعز ما يرجوه الإنسان ويحتمه الشرع والعدل».

«فى منتصف الساعة الثانية امتطت الجنود الإنجليز خيولها، وشهرت سيوفها وبدأ الشنق بعد ذلك بدقيقة، فشنق رجل، ولبث أفراد عائلته وأقاربه، وكل أهالى القرية وهم عن بعد يملئون الفضاء بصراخهم الممزق

للقلوب وجلد اثنان أمام الجثة»، هكذا يواصل مصطفى كامل مقاله فى «الفيجارو» وترجمته الكاملة فى كتاب «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية» لمؤلفه عبدالرحمن الرافعى، ويضيف: «تكرر هذا المنظر ثلاث مرات، واستمر ساعة من الزمن، منظر وحشى مهيج للعواطف، بكى منه بعض الحاضرين الأوروبيين بدموع الحنان، وأبدوا النفور الشديد مما رأوا»، وذهب كل واحد يكرر كلمة أحد المشنوقين: «لعنة الله على الظالمين، لعنة الله على الظالمين».

نُقلت هذه القضية بكل مآسيها إلى فضاء عالمى يفضح الاحتلال، وكان لـ«مصطفى كامل» الفضل فى ذلك، حيث كان موجودا فى فرنسا للعلاج، ورغم نصيحة الأطباء له بالراحة، فإنه حين وصلته أنباء ما حدث، نشط فى الكتابة للصحف الفرنسية والبريطانية، وخطب فى محافل بالعاصمتين باريس ولندن، وأسفر هذا التحرك إلى إقالة اللورد «كرومر» من منصبه كمعتمد بريطانى لمصر.

أضافت هذه القضية رصيدا وطنيا جديدا لـ«مصطفى كامل»، وفى الوقت نفسه سحبت رصيدا من تلك الشخصيات التى تسببت فى الأحكام ضد الفلاحين، فالمحامى «إبراهيم الهلباوى» ارتبط اسمه فى سجل التاريخ بوصف «جلاد دنشواى»، وعلى الرغم من دفاعه عن نفسه فى مذكراته، فإن هذا لم يفده فى شىء، ولم ينْفِ عنه أنه كان محامى الإنجليز فى المحكمة.

وكان نصيب «بطرس باشا غالى» وزير الحقانية الاغتيال بعد نحو أربع سنوات من الحكم، فهو الذى أصدر قرار تشكيل المحكمة برئاسته، أما فتحى باشا زغلول فيقول عنه «الهلباوى»: رُقِّى فتحى من رياسة محكمة مصر إلى وكالة وزارة الحقانية مباشرة، مع أن الدور فى الترقية من رئيس محكمة ابتدائية إلى قاضٍ بالاستئناف تخطاه مرارا»، وبقى منبوذًا ومطارَدًا بتهمة صداقته للإنجليز.

٢٩ يونيه عام ١٩٤٢
«النحاس» :«ظنى خاب فى صديق العمر»..
ومكرم : «أهله يغتنموننى فرصة للثراء»

يـروى مصطفـى النحـاس باشـا الزعيـم الوطنـى والتاريخـى لحـزب الوفـد، ورئيـس الحكومـة عـدة مـرات قبـل ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢، أنـه ذهـب ذات ليلـة لحضـور جلسـة مجلـس النـواب، وكان أحـد نـواب المعارضـة يتكلـم فى اسـتجواب، ووجّـه النقـد للوزيـر المختـص ثـم أعقبـه عضـو ثـانٍ، فانتقـد الحكومـة كلهـا ورئيسـها لأنهـا مسـؤولة عـن هـذا التـصرف مسـؤولية كاملـة، فـإذا بـ«مكـرم» يطلـب الكلمـة فأيـد صاحـب الاسـتجواب وزميلـه فيـما قـالاه، وسـأله رئيـس المجلـس: هـل تتكلـم بصفتـك الشـخصية أم بصفتـك الحكوميـة؟، فأجـاب: «أتكلـم بصفتـى سـكرتيرا لـ«حـزب الوفـد» ووزيـرا للماليـة».

انتفـض «النحـاس باشـا» وكـما يقـول فى مذكراتـه «ربـع قـرن مـن السياسـة فى مـصر ١٩٤١ - ١٩٥٢» تحقيـق أحمـد عـز الديـن: «لم يبـقَ فى قـوس الصبر منـزع، ولا السـكوت محـل فاسـتأذنت رئيـس المجلـس فى أن أتكلـم ووقفـت، وقلـت بصفتـى رئيسـا لـ«الوفـد» المـصرى أعلـن أن معاليـه لم يعُـد سـكرتيرا لـ«الوفـد»، وبصفتـى رئيسـا للـوزراء أعلـن أنـه لم يعـد وزيـرا للماليـة».

يعلـق «النحـاس باشـا» عـلى مـا فعلـه قائـلا: «ظنـى خـاب فى صديـق العمـر وتقديـرى أخطـأ فى رفيـق النفـى والسـجن والجهـاد، ولم أضِـقْ بـه مـع تكـرار اعتداءاتـه بـل احتملتـه حتـى بلـغ السـيل الزُّبَـى».

كان الحدث في مثل هذا اليوم «٢٩ يونيه ١٩٤٢»، وكانت الدراما فيه بالغة لأن طرفيها قلب واحد في قيادة الحركة الوطنية التي تزعمها حزب الوفد قبل ثورة ١٩٥٢، ولأن الفراق كان مفاجئا، وتطور فيما بعد إلى إقدام «مكرم عبيد» لإصدار ما عرف بـ«الكتاب الأسود»، تعددت التفسيرات في أسبابه.

محمد حسنين هيكل يرى في كتابه «سقوط نظام»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، أن الفراق بين الاثنين كان من تدبير الملك فاروق، ورئيس ديوانه أحمد حسنين باشا، انتقاما من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢. أما «النحاس» نفسه فيقول في مذكراته، إن «القسم السياسي» الذي أنشأه في الحكومة ليرفع إليه تقارير صحيحة من الداخل والخارج، قدم له تقريرا بأن عددا من أنصار مكرم عبيد وأصدقائهم يجلسون في «بار اللواء» بـ«شارع شريف» ولا حديث لهم إلا الطعن في رئيس الوزراء وتصرفاته، والاستثناءات التي يغدقها على أنصاره.

يضيف «النحاس» أن التقارير توالت عليه بأن هؤلاء القوم يطعنون في عِرْضه ويتناولونه بالقبيح من الشائعات، ويعدد «النحاس» وقائع أخرى جعلته كما يقول: «أفيق من غشاوتي وأنفض عن نفسي تراب الثقة الكبرى التي وضعتها في مكرم، واحتملت في سبيله وفي سبيل رضاه غضبا كثيرا من الإخوان، واستياء عدد غير قليل من الزملاء، ولكنني تذرعت بالصبر وقلت لعل الله يهديه في آخر لحظة سواء السبيل ولكنه لم يهتدِ.

أما «عبيد» فيفسر ما حدث بقوله: «لم نكد نستهل عهدنا في الحكم متصافحين متضامنين، حتى بدا لأهل النحاس باشا وأنسبائه أن يغتنموها فرصة لطلب الشراء على يد صديق النحاس»، ويقصد في ذلك نفسه كوزير للمالية.

٣٠ يونيه عام ١٨٧٩
الخديو إسماعيل يغادر مصر وحريمه يكسرن الأوانى الثمينة

شحن الخديو إسماعيل كل ما يريد حمله فى قطار يتوجه إلى الإسكندرية، استعدادا لشحن «المحروسة» التى ستقلُّه إلى الخارج بعد عزله من حكم مصر.

فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد إسماعيل باشا»، يصف مؤلفه «إلياس الأيوبى»، مكتبة مدبولى، القاهرة، «مشهد الوداع الأخير منه لمصر، فى مثل هذا اليوم «٣٠ يونيه ١٨٧٩»، فبينما سعدت زوجاته وباقى حريمه اللاتى اصطحبهن إلى منفاه، ودع باقى حريمه الوداع الأخير، ويقال إن حزن السيدات اللواتى تخلى عنهن بلغ مبلغا يفوق التصور، وأنهن فى غضبهن على عدم اصطحابه كسرن عدة أوانٍ ثمينة ومرايا بما بلغ قيمته ٨ آلاف جنيه.

خرج «إسماعيل» من «سراى عابدين» بعد الظهر متوجها إلى المحطة وبصحبته المختارات من نسائه وجواريه وولداه حسن وحسين، وكان ولده إبراهيم فى إنجلترا، وأما فؤاد فكان لا يزال صبيا لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره.

وقفت عربات فى خارج السراى كى تقِلَّ السيدات الحريم اللاتى تخلى عنهن، ودوت أصوات ندب وولولة منهن، ولما وصل إلى المحطة عانق ابنه توفيق عناقا أخيرا، وقال له باكيا: «كنت أود يا أعز البنين لو استطعت أن أزيل بعض المصاعب التى أخاف أن توجب لك ارتباكا، على أنى واثق

بحزمـك وعزمـك، فتـوَصَّ بإخوتـك وسـائر الأهـل بـرا، واتبـع رأى الشـورى، وكـن يـا بُنِـى أسـعد حـالا مـن أبيـك».

التفـت «إسـماعيل» إلى الحاضريـن قائـلًا: «إنـى وأنـا تـارك مـصر، أعهـد بالخديو ابنـى إلى ولائكـم وإخلاصكـم»، ثـم قبَّـل «توفيـق» يـد والـده واسـتودعه واسـتودع إخوتـه المسـافرين معـه.

يصـف «الأيوبـى» هـذه اللحظـة قائـلًا: «كان المنظـر مؤثـرا للغايـة، ولم يسـتطع إلا القليـل منـع بكائهـم» ويضيـف: قـام القطـار وإذا بمجموعـة زغاريـد ماجـت فى الآفـاق مودعـة لـه بتهكـم، فاسـتوقف البحـث والاسـتفهام، وعلـم بأنهـا صـادرة مـن نسـاء «المفتـش» إسـماعيل صديـق، كنـوع مـن الشـماتة فى الخديـو المخلـوع، ولكـن المسـالمين اعتبروهـا ابتهاجـا بـ«الخديـو» الجديـد.

بلـغ القطـار محطـة الإسـكندرية، ونـزل «إسـماعيل» ليركـب فى عربـات مقفولـة إلى «الترسـانة» ومنهـا فى زوارق إلى ظهـر «المحروسـة»، وكانـت مكتظـة بأصحـاب المقامـات الرفيعـة وكبـار الجاليـات الغربيـة الذيـن جـاءوا لتوديعـه، وقبـل أن يتفجر تأثـرا اسـتأذن الحاضريـن، وبعـد نصـف سـاعة رفعـت المحروسـة مراسـيها لتبتعـد عـن الشـاطئ متجهـة إلى نابـولى فى إيطاليـا حيـث سيقيم.

لم تكـن الإقامـة فى إيطاليـا اختيـاره الحـر، وإنـما ذهـب إليهـا بعـد رفـض السـلطان العثمانـى عبـد الحميـد طلبـه بالإقامـة فى الآسـتانة أو أزمـير، لكـى يكـون فى بـلاد ملائمـة لمعيشـته الشرقيـة، لم تكـن أقـدام «عبـد الحميـد» ثبتـت عـلى عـرش أجـداده، فخـاف أن يقـدم الضيافـة لـه، ولم يكتـفِ بذلـك بـل بـدأ يفكـر فى إلغـاء الامتيـازات التـى تـم منحهـا لـه.

علـم ملـك إيطاليـا «أمبرتـو» بمحنـة صديـق والـده، فـأسرع ليضـع تحـت تصرفـه قـصرا مـن قصـوره بضواحـى نابـولى.

انطلقـت «المحروسـة» فى ميـاه البحـر بعـد أن أطلقـت «طابيـة نابليـون الفرنسـية»، والسـفينة الإنجليزيـة الراسـية فى المينـاء مدافعهـا تحيـة للمسـافر، وكان ذلـك آخـر إكـرام لـه فى مـصر.

شـهدت شـواطئ نابـولى دراما جديـدة، فحين وصلـت «المحروسـة «بقـى «إسـاعيل» مقيـا عـلى ظهرهـا ١٥ يومـا، كأنـه يعدُّهـا جـزءًا مـن مـصر وقطعـة منهـا، يعـز عليـه أن يفارقهـا، ففكـر أن يضمهـا إلى أملاكـه الشـخصية، وبالفعـل أرسـل إلى الحكومـة يطلـب منهـا ذلـك، لكنهـا رفضـت وأوقعـت الحجـز عـلى مرتبـه السـنوى فاضطـر إلى التخـلى عنهـا، فنـزل إلى الـبر وأقـام فى منـزل بضعـة أيـام حتـى تـم تجهيـز القـصر لـه، وانتقـل إليـه بزوجاتـه وأولاده ونسـائه وحاشـيته.

١ يوليو عام ١٩٦٠
خطاب مزور يزعم اتصال البابا كيرلس مع «بن جوريون»

«إنهم يحاولون الوقيعة بيني وبين بابا الأقباط كيرلس»، كان هذا تعليق جمال عبدالناصر على قضية شغلت الرأى العام حول خطاب قيل إن «البابا كيرلس» بطريرك الكنيسة المرقسية، أرسله إلى «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل فى مثل هذا اليوم «١ يوليو ١٩٦٠».

كانت العلاقة بين «عبدالناصر» و«كيرلس» مميزة، ولم يكن هذا يروق لمشعلى الفتنة الطائفية فى مصر، وإسرائيل فى مقدمتها، ولأن النار تأتى من مستصغر الشرر، كان من الممكن أن تحدث فتنة بين المسيحيين والمسلمين بسبب هذا الخطاب المزعوم الذى دارت قصته بين القاهرة والقدس وبيروت وبغداد.

وفى كتابه «عبدالناصر والبابا كيرلس» يأتى الكاتب الصحفى محمود فوزى بالقصة كاملة قائلا، إن الخطاب المزور حمل توقيع البابا، وسكرتيره الروحى، ووكيل عام البطريركية، وخاتم الكنيسة، وكان الكلام مكتوبا على ورق تم تزويره ليبدو أنه خاص بـ«الكنيسة».

نص الخطاب: «من كيرلس السادس المدعو بنعمة الله بابا بطريرك الإسكندرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية وجنوب أفريقيا والسودان والشرق الأدنى وسائر الكرازة المرقسية، إلى السيد بن جوريون رئيس حكومة إسرائيل المؤيدة بنعمة الرب».

وإننا لا يسعدنا إلا أن نرفع قلوبنا وأيدينا إلى الله جل وعلا أن يكلأ رجال حكومتكم بعنايته ويحرسكم بقوة واقتدار وعظمة مجده، وأن يشتت شمل من يقف فى طريقكم، وأن يكون مصيرهم الغرق فى البحر الأحمر، وذلك لأنه بعبادة موسى النبى خلص بنو إسرائيل من عبودية فرعون قديمًا، وشق لهم فى البحر طريقًا، ونحن ندعو لكم بالنصر على مراوغة القرن العشرين.

وبهذه المناسبة السعيدة لسفر ابننا القُمُّص «مكارى السريانى» السكرتير الروحى الأول لحضور مؤتمر الكنائس العالمى فى أمريكا، نبعث لسيادتكم بتحياتنا بشموله بصالح الدعوات، ونأمل أن تكون هذه الرسالة فاتحة خير وبركة للشعب الإسرائيلى كله، كما يسعدنا جدا أن نعتبر هذه الرسالة بمثابة استعطاف سيادتكم بأن تسمحوا للدكتور الأنبا باسيلوس مطران القدس والشرق الأدنى بتحصيل ما يخص الأقباط من إيرادات شهرية تحت رعايتكم، وهذا كل ما طلب على حسب تعليمات سيادتكم ونعمة الرب تشملكم.

كان الخيط الأول فى كشف هذه الجريمة بلاغا تلقاه قسم شرطة عابدين بمحضر رقم ١٦٣ من يوسف محمود الشيخ على صاحب «استوديو فريد» أمام محكمة عابدين، وقال، إن شخصًا يرتدى الزى الكهنوتى يتردد على محله، وعندما سأل العمال عن سبب تردده قالوا له: «يكتب شكاوى ويصور صورا ضد البابا كيرلس».

وبتتبُّع هذا الشخص تبين أنه راهب مطرود اسمه «أرمانيوس الأنطونى»، واختلس قبل طرده إيرادات حدائق الموز التابعة للكنيسة بالقدس وأريحا، وحين كشفه مطران القدس ضربه وهرب، ولبس العباءة والعقال وتسلل إلى داخل إسرائيل حيث اصطاده «الموساد»، وعاد إلى القدس ثم جاء إلى القاهرة ليشرع فى جريمته.

٢ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يحاصر الإسكندرية ويقول لـ«محمد كُرِّيم»: أنت جاهل أو مغرور

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل حين تمكن نابليون بونابرت وجنود الحملة الفرنسية من النزول إلى البر على بعد ثلاثة أميال من الإسكندرية، وفى الساعة الثامنة صباح مثل هذا اليوم «٢ يوليو ١٧٩٨» توقفت الطوابير الفرنسية عن الزحف أمام مدفع مقاوم لا أكثر من الأسوار الخارجية للمدينة.

وفى كتابه «بونابرت فى مصر»، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، يقول مؤلفه «ج. كرستوفر هيرولد»: «بذل الفرنسيون بعض المحاولات للاتصال بالمدافعين عن المدينة، الذين شوهدوا متكاثرين على قمة الأسوار، وفجأة انطلقت من أفواههم صرخات مخيفة، كانت من أفواه الرجال والنساء والأطفال، وفى الوقت نفسه انطلقت نيران المدفعية صوب الفرنسيين، فأصدر بونابرت أمرا بالنفخ فى الأبواق لدعوة الجيش للهجوم فتضاعفت قوة الصراخ».

ويقول المؤرخ الأمريكى «خون كول» فى كتابه «مصر تحت حكم بونابرت»: «وثق نابليون فى أن مدينة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نسمة سوف تستسلم فى مواجهة قوة عسكرية جبارة، غير أن أهل المدينة الذين حملوا السلاح مدفوعين إلى القتال بما تردد من صياح قادتهم وصراخ نسائهم

وأطفالهـم احتشـدوا فى التحصينـات الممتـدة أعـلى الأسـوار، واتخـذوا مواقعهـم فى الأبـراج، ووجـد الفرنسـيون أنفسـهم فى مرمـى وابـل متصـل مـن النـيران التـى أطلقهـا خمسـمائة مـن المماليـك الخيالـة، يقودهـم محمـد كُرَيِّـم محافـظ البحـيرة وأهـل الإسـكندرية المسـلحون، وعـلى حـين غِـرَّة كشـف الأمـراء أو قـادة الجنـد مـن داخـل المدينـة عـن مدافعهـم التـى انطلقـت قذائفهـا ضـد الأعـداء»، وأرسـل «بونابـرت» رسـالة متعجرفـة إلى محمـد كريـم يطالبـه فيهـا بالاستسـلام قائـلًا: «إن الأعـمال العدائيـة التـى اسـتقبلتنى بهـا أثـارت دهشـتى، إنـك إذا مـا اعتقـدت أنـك قـادر عـلى مقاومتـى بمدفعـين أو ثلاثـة، فإنـك إمـا جاهـل أو مغـرور قـد بلـغ بـك الجهـل والغـرور مداهمـا، وإن لم أرَ رايـة بيضـاء ترفـرف فـوق الأسـوار فى عـشر دقائـق فلسـوف أحمِّلـك المسـؤولية أمـام الله عـن نزيـف الـدم الـذى سـيجرى هـدرا، وقريبـا سـيبكى الضحايـا الذيـن أرسـلتهم إلى حتفهـم بسـوء تقديـرك».

العجرفـة التـى تظهـر مـن رسـالة «بونابـرت» إلى «كريـم»، تظهـر فى أن القائـد الفرنسـى لا يجـد فى نفسـه غازيـا مـن الطبيعـى أن يجـد مقاومـة ضـده، أما الوحشـية التـى كان الفرنسـيون عليهـا فى الفتـك بالمقاومـين فنجـد شـهادة عنهـا مـن أحـد جنـود الحملـة، وكان يشـترك فى فرقـة «كليـبر»، والشـهادة منشـورة فى كتـاب «بونابـرت فى مـصر»، ويقـول فيهـا: «ظننـا أن المدينـة استسـلمت وشـد مـا أدهشـنا أن ينهـال علينـا رصـاص البنـادق ونحـن نمـر أمـام المسـاجد، فأمرنـا قائـد اتفـق وجـوده هنـاك أن نقتحـم بـاب المسـجد ولا نُبْقـى عـلى أحـد فيـه، وهكـذا هلـك الرجـال والنسـاء والأطفـال بحـد السـناكى، ولكـن لمـا كانـت العواطـف الإنسـانية أقـوى مـن الانتقـام، فقـد توقفـت المذبحـة حـين تعالـت أصواتهـم طلبًـا للرحمـة فاسـتحيينا ثلثهـم».

مر يوم ٢ يوليو، وفى اليوم التالى كان الموقف مغايرا..

٣ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يخاطب المصريين:
«أعبد الله وأحترم نبيَّه والقرآن العظيم»

استسلم «محمد كريم» بعد مفاوضات مع «نابليون بونابرت» توصلت فى المساء لاستسلام الإسكندرية، وفى صباح مثل هذا اليوم «٣ يوليو ١٧٩٨»، أعلن خضوعه، وأقسم يمين الولاء لـ«نابليون»، ويتحدث كتاب «بونابرت فى مصر» عن هذا التحول: «رأى بونابرت من حسن السياسة أن يكون كريما، فغفر لمحمد كريم مقاومته للهجوم، وثبته حاكما للإسكندرية، ووكل إليه حفظ النظام وتموين الفرنسيين، ولعله فى هذه اللحظة تحول من القائد إلى الحاكم، وهذا انقلاب يتطلب ضربا رفيعا جدا من الدجل».

أخبر «بونابرت» الوسطاء بينه وبين «المقاومة» أنه سيُضطر إلى قتل المشايخ والأعيان والعلماء بحد السيف إذا استمروا فى المقاومة، وهذا إجراء صارم يود أن يتجنبه لو استطاع، ولهذا استسلم «كريم».

فى مشهد الاستسلام، يستوقفنا تعبير «الدجل» كوصف لـ«نابليون» لتعيينه محمد كريم حاكما للإسكندرية، ويطبقه على منشور وجَّهه إلى أهل مصر، وأمر بأن يُعلق فى أرجاء «الإسكندرية» وتتم قراءته على الملأ وطبعه باللغات: العربية والتركية والفرنسية.

المنشور يحتوى على أشياء متعددة، فيها لعب على أوتار المشاعر الدينية، يبدأ المنشور بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له، ولا شريك فى ملكه».

وبعد الاستهلال باسم الله، يمضى المنشور قائلا: «من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية «السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرتة»، يا أيها المصريون، قد قيل لكم إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح، فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه تعالى وأحترم نبيَّه والقرآن العظيم».

يقول «هيرولد» فى كتابه «بونابرت فى مصر، مكتبة الأسرة، القاهرة، إن بونابرت تعمد أن يضرب على وتر المشاعر الدينية للمسلمين، وجمع جمعا غريبا بين هذا وبين الشعارات التحررية المألوفة فى الثورة الفرنسية، ولعل هذا المزج العجيب هو الذى كان يدور فى ذهنه حين تحدث فى سنواته الأخيرة عن «القرآن الجديد» الذى كان فى نيته أن يضعه ليحقق به أهدافه، ويحمله بيمينه وهو يغزو بلاد الشرق.

بعد سنوات طويلة وفى منفاه بـ«سانت هيلانة» يعترف نابليون أن هذا المنشور: «قطعة من الدجل ولكنه دجل من أعلى طراز»، وقال: «على الإنسان أن يصطنع الدجل فى هذه الدنيا لأنه السبيل الوحيد للنجاح»، وذلك حسبما يأتى فى «بونابرت فى مصر».

دانت الإسكندرية لـ«نابليون» وكان حالها كما كتب الفرنسى «جوبير» لأخيه: «ترى فى الأسواق الخراف والحمام والتبغ، ثم عددا كبيرا من الحلاقين يضعون رءُوس زبائنهم بين رُكَبهم كأنهم يستعدون لقطعها لا لحلقها، وكانت النساء قليلات فى الشوارع إلا نساء الطبقات الدنيا اللائى أثار مظهرهن تقزز الفرنسيين، وكن يرتدين جلبابا واحدا أزرق فى العادة قذر دائما، ويسرن حافيات الأقدام عاريات السيقان، ويلطخن حواجبهن بالكحل وأظافرهن بالحناء، ويكشفن فى مرح عن أى عضو من أعضائهن إلا وجوههن، أما الأطفال فعراة».

٤ يوليو عام ١٩٥٣
فتحى الديب ضابط المخابرات يطلق «صوت العرب» بصوت أحمد سعيد.

«مرت ساعات النهار طويلة مثيرة للأعصاب، وشعرت شعور الأب الذى ينتظر وليده، وحان الوقت، واستمعت إلى دقات قلبى فى أذنى، وبدأت صوت العرب ترى النور على الهواء، وركزت أنفاسى وكلى آذان صاغية أتابع فقراتها لفظًا لفظًا كمستمع وناقد».

هكذا يصف الرجل الذى أسَّس إذاعة «صوت العرب» حاله وقت انطلاق إذاعة «صوت العرب» فى مثل هذا اليوم «٤ يوليو ١٩٥٣»، هو فتحى الديب، ضابط المخابرات المصرية، مسؤول قسم الشؤون العربية فى رئاسة الجمهورية، وحلقه الوصل بين جمال عبدالناصر وحركات التحرر العربية.

وفى كتابه «عبدالناصر وتحرير المشرق العربى»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يكشف الكثير من الأسرار التى أحاطت بدوره، بدءًا من تكليف «عبدالناصر» له بمَهمَّته الجديدة عام ١٩٥٣، وتنفيذ هذه المهمة فى شمال أفريقيا وسوريا ولبنان والسعودية ودول الخليج وعمان، وتأسيس «صوت العرب» حتى تكون الصوت الإعلامى المعبر عن هذا التحرك، وذلك وعيًا بأهمية دور الإذاعة وقتئذ، باعتبارها النافذة الإعلامية المؤثرة فى الحشد والتعبئة والتوعية، وكانت هى وقتها المعادل الطبيعى لـ«الفضائيات» حاليًا.

يشرح «الديب» كيف ولدت فكرة «صوت العرب» والإعداد لها، واختياره لأحمد سعيد، مذيعها ومهندسها التاريخى، وأول صوت ينطلق منها قبل أن يصبح مديرها، وكان معه منذ البداية نادية توفيق كمسؤولة عن المادة الترفيهية والموسيقية.

فى الساعة السادسة مساء يوم ٤ يوليو ١٩٥٣، انطلقت «صوت العرب» كبرنامج لمدة نصف ساعة موزعة على خمس فقرات، هى، لحن مميز خاص يتميز بالصبغة العربية ومدته دقيقة، ونشرة أخبار متضمنة جميع الأخبار فى الوطن العربى، ومدتها من ٧ إلى ١٠ دقائق، وتعليق سياسى يتناول حدث اليوم من وجهة نظر ثورة يوليو، وبالأسلوب الذى يخدم التعريف بأهدافها ومدته لا تتخطى ١٠ دقائق، وانتهاء البرنامج بإعادة إذاعة اللحن المميز.

مرت أول ثلاثين دقيقة فى عمر «صوت العرب» بسلام ونجاح، وفيما بعد تحولت نصف الساعة من برنامج إلى محطة إذاعية، أصبحت قبلة العرب الإعلامية، وأصبح تعليقها الذى يقدمه أحمد سعيد من أشهر المواد الإذاعية، واشتهرت الإذاعة إلى حد الهوس العربى بها، ومما هو شائع أن مواطنًا يمنيًا سأل فى أثناء شرائه «راديو ترانزستور»: «هو بيذيع أحمد سعيد ولا لأ؟»، ومواطنًا آخر يركب الجمل فى صحراء الجزيرة العربية ويمسك الراديو ليستمع إليها.

خاضت «صوت العرب» معاركها العظيمة، ويسجلها أحمد سعيد فى مذكراته المهمة غير المنشورة، والتى اطلعت عليها بالكامل، ومن أبرزها معركة نفى فرنسا للعاهل المغربى الملك محمد الخامس إلى مدغشقر، ودورها المساند لنضال الشعب المغربى حتى عاد الملك، ومساندتها للثورة الجزائرية منذ أن جاء إليها شاب يسأل عن المسؤولين عنها، فاستقبله أحمد سعيد، وسهرا الليل معًا، وتكررت المقابلات بعدها لعدة أيام، حتى قدمه إلى فتحى الديب، وكان هذا الشاب هو أحمد بن بيلا، قائد ثورة الجزائر، وأول رئيس لها.

٥ يوليو عام ١٨٣٠
فرنسا تحتل الجزائر بسبب مروحة «الدَّاى حسين»

كان الجزائريون يحتفلون بعيد الأضحى فى يوم ٢٧ إبريل عام ١٨٢٧، ولم يكونوا يعرفون أن هذا اليوم سيقودهم إلى الاحتلال من الفرنسيين لمدة ١٣٠ عاما كاملة، بدأت من مثل هذا اليوم «٥ يوليو ١٨٣٠»، فكيف كانت القصة؟

كان «الداى حسين» حاكم الجزائر (تابعة للدولة العثمانية)، يستقبل المهنئين بعيد الأضحى فى قصره، وحضر القنصل الفرنسى «دوفال»، فطلب منه «الداى» إيضاحا عن سبب امتناع ملك فرنسا وحكومتها عن الرد عليه، فأجابه القنصل الفرنسى بصلف شديد، بأن مليكه أسمى من أن يتنازل بالرد على «داى» الجزائر، فغضب الداى وكان ممسكا فى يده بمروحة، فلوح بها فى وجه القنصل الفرنسى، وهو يأمره بالخروج من القصر.

فى كتابه «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية، المجلد الأول»، يقول مؤلفه «محمد صبيح» إن فرنسا ثارت بسبب ما حدث، واعتبرت أن قنصلها تعرض بـ«ضربة المروحة» لإهانة بالغة حتى لو كانت المروحة من «ريش النعام»، فانتهزت الفرصة وأرسلت بعض القطع البحرية إلى مياه الجزائر، وتم تكليف «الداى» بتقديم الاعتذار وتحية العلم الفرنسى، لكن «الداى» لم يُقِمْ وزنا لهذه الحركات الاستفزازية ورفض الإنذارات الفرنسية، فحاصرت القوات الفرنسية البلاد برا وبحرا من يوم ١٦ يونيه ١٨٢٧ حتى ١٤ يونيه

١٨٣٠، وأغمضت بريطانيا عينيها عن وجود الأسطول طوال هذه الفترة، وذلك فى سياق تحالف الدولتين معًا فى تقسيم دول المنطقة فيما بينهما.

أبدى حاكم الجزائر فى أول الأمر شجاعة وتصميما على المقاومة لهذا الحصار المضروب، لكنه لم يكن على استعداد تام لمقاومة طويلة تستمر ثلاثة أعوام كاملة، فأعلن الاستسلام، وقبول كل شروط فرنسا، وهى:

يتم تسليم حصون مدينة الجزائر للقوات الفرنسية، ويتعهد القائد العام للقوات المحتلة بضمان ممتلكات «الداى» وحريته الشخصية، ولـ«الداى» وأسرته مطلق الحرية فى مغادرة المدينة أو البقاء فيها، وفى الحالة الأخيرة يتعهد القائد الفرنسى بحمايته، ويضمن القائد الفرنسى العام تمتع الجنود بنفس الحماية والمزايا الأخرى، ويتعهد القائد الفرنسى بشرفه أن تظل حرية إقامة الشعائر الإسلامية مكفولة.

وقام الفرنسيون بحصر ممتلكات «الداى» والأعيان الذين غادروا الجزائر فضلا على الأموال المحبوسة والموقوفة، واعَدُّوا ذلك حقا خالصا لهم.

بعد نحو ثلاث سنوات و١٧ يوما، وبالتحديد فى يوم ٢٢ يوليو ١٨٣٤، أخذ الاحتلال الفرنسى للجزائر تحولا كبيرا، حيث أصدرت الحكومة الفرنسية قانونا بضم الجزائر إلى الممتلكات الفرنسية، أى أنها لم تعُد دولة قائمة بذاتها حتى لو كانت تحت الاحتلال، وإنما أصبحت أشبه بـ«محافظة» أو «ولاية» فرنسية تسرى عليها القوانين الفرنسية، وحاكمها هو حاكم فرنسا، وحتى تاريخ إصدار هذا القانون لم يكن الاحتلال الفرنسى قد تجاوز المدن الساحلية الجزائرية، وبعد صدوره صدرت الأوامر باحتلال المدن الداخلية، ولاقت قوات الاحتلال مقاومة عنيفة كما حدث فى مدينة وهران.

٦ يوليو عام ١٨٠١
«مينو» يوصى بزوجته «زُبَيْدة» فى وداع «الديوان»

استمع أعضاء «الديوان» فى آخر اجتماع له، إلى آخر رسالة تليت عليه، وكانت من الجنرال «مينو» القائد الثالث لـ«الحملة الفرنسية»، وأوصى فيها بزوجته السيدة «زبيدة»، وأبدى أسفه لوفاة «مراد بك»، وأطرى فضائله، وعزّى الست «نفيسة خاتون» زوجته، وقال إن جيوش الجمهورية الفرنسية انتصرت فى أوروبا، وعما قريب ستنتصر فى مصر.

ختم «مينو» رسالته بدعوته إلى الله تعالى «أن ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال»، ووقعً عليها باسم «عبدالله جاك مينو». كان اجتماع الديوان فى مثل هذا اليوم «٦ يوليو ١٨٠١»، وكان الأخير فى عمره الذى بدأ يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٨ بقرار من نابليون، وبعد مرور ٢٥ يوما من غزوه لمصر.

كانت رسالة «مينو» حدثا طريفا فى سياق انعقاد اجتماع «الديوان»، حيث أرسلها وهو فى الإسكندرية يحارب الجيش الإنجليزى والعثمانيين، بينما كانت المفاوضات تتواصل فى القاهرة من أجل جلاء قوات الحملة الفرنسية عن مصر، وفى يوم ٢٧ يونيه ١٨٠١ تم توقيع اتفاق رحيلها، وعقد «الديوان» اجتماعا كجلسة وداع، ويقول المؤرخ «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الثانى»، دار المعارف، القاهرة، إن الفرنسيين أظهروا تلطفا كبيرا مع أعضاء الديوان، وجاملهم الأعضاء كذلك فى جوابهم، وأنه من غرائب المصادفات أن الجنرال «مينو»

كان يجهـل توقيـع الصلـح، وكان يظـن وهـو فى الإسـكندرية أن الحـرب مسـتمرة، فأرسـل رسـالته إلى أعضـاء الديـوان قبـل انعقـاد آخـر جلسـة، وتليـت عـلى مسـامع الأعضـاء رغـم أنهـا صـارت لغـوا بعـد التوقيـع عـلى الصلـح.

طُويـت بهـذه الجلسـة قصـة الديـوان الـذى مـر بدوريـن، يشرحهـا «الرافعـى» عـلى نحـو أنـه بـدأ بتأسـيس نابليـون لـ«ديـوان القاهـرة» وتألف مـن تسـعة أعضاء، وديـوان فى كل مديريـة، ثـم أسـس ديوانـا عامـا، وهـو هيئـة تتألـف مـن مندوبـين يمثلـون القاهـرة وسـائر مديريـات القطـر المـصرى، ولم يجتمـع الديـوان العـام إلا مـرة واحـدة فقـط.

أمـا الـدور الثانـى فجـاء بعـد ثـورة القاهـرة الأولى «أكتوبـر ١٧٩٨»، حيـث أبطـل نابليـون ديـوان القاهـرة عقابـا لأهلهـا عـلى ثورتهـم، ثـم بـدا لـه بعـد إخمـاد الثـورة أن يعيـده عـلى نظـام جديـد فى ديسـمبر عـام ١٧٩٨، فجعلـه مـن هيئتـين: «الديـوان العمومـى»، وهـو مؤلـف مـن ٦٠ عضـوا يمثلـون سـكان القاهـرة عـلى اختـلاف طبقاتهـم، و«الديـوان الخصـوصى» مـن أربعـة عـشر عضـوا ينتخبهـم أعضـاء الديـوان العمومـى، أمـا دواويـن الأقاليـم فبقـى نظامهـا كـما وضعـه نابليـون.

استمر هـذا النظـام متبعـا فى جملتـه طـوال عهـد كليـبر، أى بعـد مغـادرة نابليون مـصر عائـدا إلى فرنسـا، وتـولى كليـبر قيـادة الحملـة، وجـرى وقـف العمـل بنظـام «الديـوان» بعـد إبـرام معاهـدة العريـش، واسـتمر وقفـه مـع ثـورة القاهـرة الثانيـة حتـى مقتـل كليـبر، وبعـد أن خَلَفَـه «مينـو» أعـاد الديـوان عـلى نظـام جديـد إذ جعلـه هيئـة واحـدة مؤلفـة مـن تسـعة أعضـاء ووسـع فى اختصاصـه.

٧ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون يغادر الإسكندرية ويوصى كليبر

قـرر نابليـون مغـادرة الإسـكندرية للزحـف بجيشـه إلى القاهـرة، والإبقـاء عـلى الجنـرال «كليـبر» مـع تعيينـه حاكـما للمدينـة التـى أُصيـب فيهـا أثنـاء المقاومـة التـى قادهـا «محمـد كريـم» ضـد جنـود الحملـة، ورأى نابليـون الإبقـاء عليـه حتـى يُشـفى مـن جراحـه.

قبـل أن يشـد «نابليـون» رحالـه أوصى «كليـبر» بـأن يبـذل كل مـا فى وسـعه لاسـتبقاء العلاقـات الحسـنة مـع الأهـالى، وإبـداء كل أنـواع الاحـترام للمُفْتـين ورؤسـاء المشـايخ فى المدينـة، ويقـول «عبدالرحمـن الرافعـى» فى كتابـه «تاريـخ الحركـة القومية-تطـور نظـام الحكـم فى مصر-الجـزء الأول»، دار المعـارف، القاهـرة: إن نابليـون فـرض عـلى المدينـة بعـد احتلالهـا غرامـة حربيـة قدرهـا ١٥٠ ألـف فرنـك، وهـى غرامـة فادحـة إذا قيسـت بـما كانـت عليـه المدينـة وقتئـذ مـن الفقـر والتأخـر الاقتصـادى.

جـاءت مغـادرة «نابليـون» الإسـكندرية بعـد نحـو ثلاثـة أيـام مـن قـراره تنصيـب «محمـد كريـم» حاكـما للمدينـة، وفى يـوم المغـادرة (مثـل هـذا اليـوم ٧ يوليـو ١٧٩٨) كتـب إليـه خطـاب التنصيـب وقـال فيـه:

إلى السـيد محمـد كريـم، لقـد سُرَّ القائـد العـام سرورا تامـا مـن الخطـة التـى سـلكها السـيد محمـد كريـم منـذ قـدوم الجيـش الفرنسـى، وإعرابـا عـن هـذا السـرور يعينـه فى وظيفـة محافـظ دائـرة الإسـكندرية، وسـتصل إليـه أوامره بواسـطة

الجنرال «كليبر» القائد العام للجهة، وهذا لا يمنعه من أن يراسل القائد العام رأسا متى شاء، وعلى الجنرال كليبر أن يطلب منه كل ما تقتضيه مهام الجيش الفرنسى وبوليس دائرة العرب.. التوقيع «بونابرت».

فى أمر تهيئة الأوضاع فى الإسكندرية حتى يرحل منها «نابليون» مطمئنا يستوقفنا مشهدان.. الأول، عن شخصية «محمد كريم» والطريقة التى عامله بها «نابليون» حيث قال له: «أخذتك والسلاح فى يدك، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير، ولكنك استبسلت فى الدفاع، والشجاعة متلازمة مع الشرف، لذلك أعيد إليك سلاحك، وآمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة»، وجاء هذا التقدير من «نابليون» على خلفية بطولة «كريم» وليس لترحيبه بالاحتلال، وسيظهر ذلك فيما بعد بإعدام «كريم».

أما المشهد الثانى، فكان فى اتفاق «نابليون» و«مجلس الأعيان» الذى انتهى إلى وثيقة نصت على: «يستمر الأعيان على العمل بقوانينهم، والقيام بشعائرهم الدينية، وفض المنازعات بينهم مع مراعاة العدل والابتعاد عن مسالك الهوى، ولهم أن يختاروا القاضى الذى يتولى القضاء فى محكمة الشرع من خيار العلماء المشهود لهم بالاستقامة والتقوى، وعليه ألا يقضى فى أمر إلا بعد الرجوع إلى رأى مجلس العلماء، ويتعهدون على ألا يخونوا الجيش الفرنسى ولا يعملوا عملا يضر بمصالحه، ويتعهد القائد العام بأن يمنع أى جندى من التعدى على أهالى الإسكندرية، وألا يجبر أى أحد من الأهالى على تغيير دينه وتغيير شعائره، ووقّع على الاتفاق، «إبراهيم البرجى مفتى الحنفية، وسليمان الكلاف مفتى المالكية، ومحمد المسيرى، وأحمد عبدالله الشافعى، وحسن كانيد، وعباس القويضى، ومصطفى محمد».

٨ يوليو عام ١٩٧٢
السادات يطرد الخبراء السوفيت وابنته تغنى «ليالى موسكو»!

دعا الرئيس أنور السادات وزير الدفاع السوفيتى المارشال «جريتشكو» إلى زيارة القاهرة، ورتب بنفسه تفاصيل الزيارة لكى يكون لقاؤه حارا به.

دعا «السادات» المارشال «جريتشكو» إلى منزله فى الساعة السابعة مساء، قبل أن يتوجه إلى حفل عشاء أقامه له الفريق محمد أحمد صادق وزير الحربية فى نادى الضباط بـ«الزمالك»، لكن «المارشال» لم يصل إلى النادى قبل الساعة الحادية عشرة مساء، حيث أصر «السادات» إمعانا فى إظهار حفاوته على استبقائه، وغنت له إحدى بناته أغنية عن «ليالى موسكو» تعلمتها حينما كانت تحضر معسكرا للشباب فى الاتحاد السوفيتى.

وصل «المارشال» إلى نادى الضباط سعيدا مبتهجا بالود الذى أظهره له الرئيس السادات، ويحكى محمد حسنين هيكل هذه القصة فى كتابه «خريف الغضب» كدلالة على حرص السادات على إظهار متانة علاقته مع «السوفيت»، وهو ما يتناقض مع الحالة التى ظهر عليها فى مثل هذا اليوم «٨ يوليو ١٩٧٢» حين أعلن قراره الشهير بطرد الخبراء السوفيت من مصر.

كان عددهم نحو ٢٠ ألف خبير جاءوا فى مرحلة حرب الاستنزاف لتدريب الجيش المصرى على أسلحته السوفيتية الجديدة التى طلبها جمال عبدالناصر بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، استعدادا لخوض معركة تحرير الأرض فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وذلك فى سياق عمق العلاقات بين البلدين فى خمسينيات وستينيات

القرن الماضى، وشهدت تقديم العون السوفيتى فى بناء السد العالى ومئات المصانع؛ أبرزها مصنع الحديد والصلب فى حلوان.

فى كتاب «ذات يوم فى مصر» الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ترجمة على فهمى عبد السلام، وأنور محمد إبراهيم ، ويتضمن شهادة عدد من الخبراء السوفيت الذين كانوا فى مصر وشملهم القرار، يكشف السفير السوفيتى وقتئذ «ف. م. فينوجرادوف»، استدعاء السادات له ليعلن وبدون إبداء مبررات وبعصبية شديدة الاستغناء تماما عن خدمات العسكريين السوفيت، ويقول: «هذه قصة دراماتيكية وشائقة مفاتيحها موجودة فى اتصالات السادات بأمريكا، وأدى هذا القرار لتهليل قيادات أمريكا وإسرائيل».

يضيف السفير السوفيتى أن القيادة السوفيتية عَدَّت قرار السادات واجب التنفيذ، وغادرت كل القوات العسكرية السوفيتية مصر بانتظام فى خلال أسبوع، وكانت هناك مشاهد مؤثرة عندما لم يخجل الكثير من الجنود والضباط المصريين فبكوا وهم يفترقون عن معلميهم وأصدقائهم السوفيت.

بالرغم مما يقوله السفير السوفيتى بأن «مفاتيح القرار موجودة فى اتصالات السادات بأمريكا»، فإن الحدث كان مفاجئا لـ«أمريكا والغرب» والشاهد ما يقوله السفير نفسه: «زارنى السفير الإنجليزى للتأكد من حقيقة مغادرة العسكريين السوفيت لمصر»، وعندما سمع تأكيدى لذلك قال: «قبل ذلك كنا نجتهد لحل أزمة العرب وإسرائيل بسرعة حتى يخرج العسكريون السوفيت من الشرق الأوسط».

وعن ذلك أيضًا، يقول هيكل إن السادات تصور أنه بمجرد إعلانه قراره فإن الأمريكيين سيكونون سعداء لدرجة تجعلهم يستجيبون لأى شىء يطلبه، وكانت حساباته خاطئة، وكما قال هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية وقتئذ: «لماذا لم يُقلْ لنا ما كان ينوى أن يفعله؟، ربما لو قال لنا لكنا قدمنا له شيئا فى مقابله».

٩ يوليو عام ١٨٠٥
محمد علىّ يتلقى فرمانًا رسميًا بتنصيبه واليًا على مصر

فى ورقة تم العثور عليها فى اليوم الذى رحل فيه عن القاهرة متوجها إلى الإسكندرية، كتب خورشيد باشا آخر والٍ عثمانى لمصر بخط يده: «أترك خلفى رجلا سيصير أكبر متمرد فى الإمبراطورية، لم يكن سلاطيننا قط فى يوم من الأيام بمثل حيلة هذا الرجل المتقد النشاط».

كانت الورقة التى حملت هذه «العبارة النبوءة» فى دار الوالى المخلوع، وأما الرجل الذى يقصده فهو «محمد على باشا» الذى تلقى من السلطان العثمانى فرمانا رسميا بتنصيبه حاكما لمصر فى مثل هذا اليوم «٩ يوليو ١٨٠٥»، وهذا الجانب من القصة نجده فى كتاب «الفرعون الأخير-محمد على»، تأليف «جيلبرت سينويه»، ترجمة «عبد السلام المودنى».

نص الفرمان على: «إلى محمد على، والى جدة سابقا، ووالى مصر منذ العشرين من شهر ربيع الأول، يوافق الباب العالى على اختيار العلماء لشخص محمد على، ويعلن أحمد خورشيد باشا مُقالاً من مهامه، وإلى ذلك يتعين عليه السفر إلى الإسكندرية مع كل الاحترام الواجب له، وهناك عليه انتظار التعليمات التى ستوجه له وتعيينه فى حكومة أخرى».

لم يكتب «السلطان العثمانى» هذا الفرمان بمحض إرادته، وإنما خضوعا لإرادة الشعب المصرى الذى ثار بقيادة «عمر مكرم» ضد التعيينات التى تأتيه من سلطة الدولة العثمانية «الباب العالى»، باعتبار أن مصر تقع تحت

حكم هذه الدولة، وصمم الشعب على أن يختار حاكمه بإرادته فرفض تعيين «خورشيد باشا»، واجتمع وكلاء الشعب من العلماء ونقباء الصناع يوم ١٣ مايو ١٨٠٥ وقرروا تنصيب محمد على حاكما، وهو ما يُعد أول اختيار حقيقى من الشعب المصرى عبر ممثليه لحاكمه.

فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر-الجزء الثانى» يقول «عبدالرحمن الرافعى»، إن المجتمعين انتقلوا إلى «دار محمد على» لإبلاغه بقرارهم فقالوا له: «إننا لا نريد هذا الباشا «خورشيد» واليا علينا، ولا بد من عزله من الولاية»، فقال محمد على: «ومن تريدونه واليا؟»، فرد الجميع بصوت واحد: «لا نرضى إلا بك، وتكون واليا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير».

كان القرار إذن هو قرار الشعب، لكن «خورشيد باشا» استخف به حين أبلغه به الزعماء الذين قادوا هذه الثورة فقال: «إنى مُولًّى من طرف السلطان، فلا أعزل بأمر من الفلاحين، ولا أنزل من القلعة إلا بأمر من السلطنة»، وبدأ فى تحصين القلعة وبتزويد رجاله بالسلاح والذخيرة من أجل إخضاع القاهرة، وفى المقابل دعا زعماء الشعب الأهالى إلى حمل السلاح وحصار القلعة، واحتشد الثائرون فى ميدان الأزبكية حتى مَلُوه، واعتزم الزعماء أن يعيدوا إبلاغ الوالى بقرارهم، ويطلبوا منه احترامه منعا للفتنة وحقنا للدماء، وتطورت الأحداث وتصاعدت بين الطرفين، حيث صمم «خورشيد باشا» على عناده، وصمم الزعماء على ألا تعود العجلة إلى الوراء، حتى كان فرمان السلطان العثمانى.

يتحدث كتاب «الفرعون الأخير» عن أن خورشيد باشا لما وجد أنه فقد دعم السلطان، وتخلى عنه رجاله، قرر الاستسلام، شرط ألا يُرغم على تقديم أى كشف عن الحسابات المالية.

١٠ يوليو عام ١٩٧١
عبد الحليم حافظ يرفض إذاعة بيان انقلاب ضد الحسن الثانى فى إذاعة المغرب

اقتحم جنود الانقلاب ضد العاهل المغربى الملك الحسن الثانى مبنى الإذاعة المغربية، وسيطروا عليها بعد أن قتلوا أفراد الحراسة، ثم دخلوا إلى الاستوديو، حيث كان عبدالحليم حافظ يسجل أغنية خاصة بمناسبة احتفال «الحسن» بعيد ميلاده الثالث والأربعين، تأليف «محمد حمزة» وألحان «بليغ حمدى»، ويقول مطلعها: «أقبل الحسن علينا - ومن الحسن ارتوينا».

كان الحدث فى مثل هذا اليوم «١٠ يوليو ١٩٧١»، والمعروف تاريخيا باسم «انقلاب الصخيرات» وقاده الجنرال «محمد المذبوح» قائد الحرس الملكى، وتزامن تنفيذه مع وجود عشرات الفنانين المصريين والعرب فى المغرب بدعوة من الملك الحسن لإحياء حفلات غنائية بهذه المناسبة، ومن هؤلاء، محمد عبدالوهاب، بليغ حمدى، شادية، فريد الأطرش، وديع الصافى، محمد قنديل، محمد العزبى، محمد رشدى، هدى سلطان، محمد الموجى، عفاف راضى، منير مراد، محمد حمزة، الممثل صلاح ذو الفقار، والكاتب الصحفى محمود عوض، والفرقة الماسية بقيادة أحمد فؤاد حسن.

يروى الدكتور «هشام عيسى» طبيب الكبد المشهور والطبيب الخاص لـ«عبدالحليم حافظ» قصة هذا اليوم فى كتابه «حليم وأنا»، الصادر عن دار الشروق، القاهرة، حيث كان مرافقا لعبدالحليم، ويتحدث كشاهد عن تفاصيل

كثيرة، وأبرزها ما حدث مع «حليم» أثناء وجوده فى استوديو الإذاعة، وكان معه ملحن مغربى ضرير اسمه «عبدالسلام عارف»، حيث دخل أحد ضباط الانقلاب، ومعه ورقة تحتوى على بيان، وقال لـ«حليم»: «تم قتل الحسن، وعليك أن تلقى هذا البيان إلى الأمة المغربية».

فكر «حليم» للحظات، وحسب ما ذكره هو لـ«عيسى» فيما بعد، فإنه واجه أصعب اختبار فى حياته، فإذا كان الملك قد قُتل ورفض هو إذاعة البيان، فربما يُقْدم هؤلاء على قتله، أو حتى إخراجه من الإذاعة دون حراسة، حيث تدور المعركة فى الخارج، وإن قَبِل إذاعة البيان مرغما تحت التهديد، فربما أدى ذلك إلى أسوأ النتائج بالنسبة إليه كفنان له شعبية جارفة، وصديق للملك الذى يسعى لعلاجه من المرض ويحترمه.

رفض حليم إذاعة البيان وفضل مجابهة الخطر، وقال للضابط: «أنا فنان لا أعمل فى السياسة، وأكره أن أنخرط فيها»، فتحول الضابط إلى «الملحن الأعمى» الذى سجل البيان تحت تهديد السلاح، وواصلت الإذاعة بثه دون تعليق.

ظل «حليم» وصاحبه سجينين فى الاستوديو حتى المساء حين اقتحم الإذاعة مجموعة من جنود الملك وهم يطلقون النار فى الخارج، وفور اقترابهم من غرفة الاستوديو لجأ زعيمهم إلى حيلة ذكية ليقبض على مذيع البيان، حيث فتح باب الاستوديو وأطل على الداخل متظاهرا بأنه أحد أفراد الانقلاب حضر للمؤازرة، وفجأة رفع سلاحه، وأمر الجميع بإلقاء السلاح، ولم يطلق عليهم النار، فتفادى وقوع مذبحة، كان من الممكن أن تودى بحياة عبدالحليم الذى قبع فى سكون على مقعده حتى أحاط به جنود الملك وحملوه إلى غرفة آمنة.

١١ يوليو عام ١٩٦٧
«بومدين» يسأل «عبدالناصر» عن لغز الملك حسين

وجَّه الرئيس الجزائرى، هوارى بومدين، حديثه إلى جمال عبدالناصر: «سيادة الأخ الرئيس، أنت لديك ألغاز لم تستطع حلها، وأنا أيضا لدىَّ لغز أبحث عن حل له، هذا اللغز هو الملك حسين، ملك الأردن، نحن كنا نعلم بأن الأردن ظل حتى يونيه ١٩٦٧ يتبع خطا سياسيًا مختلفًا، وأنا لا أعرف ما الذى حصل ليسبب هذا التغيير، وأريد أن أعرف معلوماتك عنه».

كان الحوار فى اجتماع بالقاهرة بين الزعيمين، وحضره وفدان من البلدين يوم ١٠ يوليو ١٩٦٧، وامتد الاجتماع إلى اليوم التالى، مثل هذا اليوم «١١ يوليو»، لبحث أسباب نكسة ٥ يونيه، وكيفية العبور منها، وتُعد محاضر هذه الاجتماعات بين «عبدالناصر» ونظرائه من زعماء العرب والعالم من أهم المراجع، لمعرفة الحقائق كاملة عن هذه المرحلة العصيبة التى لازالت آثارها ممتدة حتى الآن.

طبقا لمحضر اجتماع «عبدالناصر»، و«بومدين»، كانت هناك مباراة رائعة فى التفكير والتحليل، وتؤكد عظمة الزعيم الجزائرى فى موقفه مع مصر خلال محنتها الكبرى بعد النكسة.

يأتى محمد حسنين هيكل بنص محضر الاجتماع بين الزعيمين فى كتابه «الانفجار»، مؤسسة الأهرام، القاهرة، وحسب ما جاء فيه، فإن «عبدالناصر» أجاب عن سؤال «بومدين» بقوله: «يمكن يكون الملك تصور كما تصور

غيره أننا فى الطريق إلى انتصار كبير، ولكن الظروف خيبت حساباته كما خيبت حساباتنا جميعًا، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول بكل ما يستطيع مع الأمريكان، وأنا اتصلت به بعد أن أعلنّا نحن قطع العلاقات مع الأمريكان نتيجة لما ثبت من اشتراكهم فى العدوان علينا، وقلت له إننى أستثنيه من هذا الطلب بسبب أوضاعه الخاصة، وقلت له إنك لن تستطيع أن تستعيد الضفة الغربية إلا إذا وافقت أمريكا».

رد «بومدين»: «سؤالى عن التغيير المفاجئ الذى حدث فى موقف الأردن، وهو يمثل لغزًا لى، وسؤالى هو فى الواقع عن انعكاسات هذا الأمر على المستقبل، إذا كنا سوف نقاتل، وليس هناك بديل من أن نقاتل، فلابد أن نعرف بالضبط من هم معنا فى الخط لأنه فى القتال يستحيل أن يكون هناك ناس على خطين».

سادت فى قاعة الاجتماع لحظة صمت بدت طويلة، قطعها «عبدالناصر» بالقول: «بالنسبة لما حدث فهناك بالفعل تغيير مفاجئ فى موقف الأردن، وأنا كنت آخذه ببساطة، ويبدو أن الأخ بومدين لديه وجهة نظر أخرى، وبالنسبة للحاضر فأنا أرى أن الملك حسين يواجه مشكلة صعبة فقد فيها نصف مملكته، ويتحتم علينا الوقوف معه، وأما المستقبل فلا أستطيع أن أضمن شيئًا».

انضم الملك حسين إلى الاجتماع، وحضر إليه من الطائرة مباشرة، وقبل انضمامه سأل «عبدالناصر» «بومدين»: «ماذا ترى أن أقول له؟» فأجاب: «رأيى أن نترك له الحرية المطلقة فى العمل إذا كان يستطيع استعادة الضفة».

انفعل «بومدين» قائلًا لـ«عبدالناصر»: «مشكلتنا نحن العرب أننا لم نتعلم كيف نموت».

١٢ يوليو عام ١٨٨٢
الإنجليز يحرقون الإسكندرية.. وتوفيق:
«ولاد الكلب الفلاحين»

سأل أحد الأميرالات الذين فى معيَّة الخديو توفيق: «ما مصير الإسكندرية لو ضربها الإنجليز؟».

أجاب الخديو: «ستين سنة» وهز كتفيه.

قال الضابط: لكن السكان سيحرقونها، فأرجو أن تتوسط لدى الأميرال «سيمور»، والوقت لم يزل يسمح بذلك، استدعِ ذو الفقار وأمُرْه أن يحافظ على المدينة، فعنده من الرجال الكفاية.

أجاب الخديو: «فلتُحرق المدينة جميعها ولا يبقَ فيها طوبة على طوبة، حرب بحرب، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رأس ولاد الكلب الفلاحين، وسيذوق الأوروبيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب».

الواقعة يرويها الشيخ الإمام محمد عبده فى مذكراته التى حققها طاهر الطناحى، دار الهلال، القاهرة، وتتعلق بضرب الإسكندرية من الأسطول الإنجليزى فى الساعة السابعة والنصف صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢، والذى قاد إلى احتلالهم لمصر، ويفسر الطناحى تعبير «ستين سنة» التى قالها الخديو بـ«لعله (الخديو) يقصد ستين سنة احتلال إنجليزى».

يروى «أحمد عرابى» وقائع هذا اليوم فى مذكراته، مشيرا إلى أن القتال استمر بين الإنجليز والجيش المصرى إلى قُبيل الغروب، ويقول إن مقذوفات المدافع بحوزة المصريين لم تكن تصل إلى المراكب الإنجليزية الموجودة فى البحر، وهى توجه نيرانها إلى الإسكندرية، ويضيف أنه فى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر، وإعطائهم الماء، وحمل الجرحى منهم، وتضميد جراحهم ونقلهم إلى المستشفيات، واستُشهد مائة رجل وامرأتان من المتطوعات.

اجتمع الخديو والنظار ورئيس مجلس النواب فى المساء، وتقرر أنه فى حالة معاودة الضرب فى اليوم التالى «مثل هذا اليوم ١٢ يوليو ١٨٨٢»، يتم رفع الراية البيضاء علامة لإعادة الصلات الودية مع الأميرال سيمور (قائد الأسطول البريطانى)، وكانت الفكرة تنم عن نوايا طيبة من «عرابى» ورجاله، وتواطؤ من الخديو، فالأسطول الإنجليزى كان يقود معركته لغرض الاحتلال وليس مجرد «حرب» تأديبية تتلوها هدنة، ولهذا تجدد الضرب يوم ١٢ يوليو، ولما رُفعت الراية البيضاء، لم يتراجع وأصر على مواصلة ضرب المدينة وحرقها لتنفيذ مخططه الأكبر.

يرسم الشيخ محمد عبده صورة مأساوية فى مذكراته عما حدث يوم ١٢ يوليو، مشيرا إلى احتراق المدينة، وإصابة الإسبتالية (المستشفى) وهروب المرضى والجرحى، وكان عليها علم الهلال الأحمر، ويقول: «دخل أولاد على للنهب، أما الهاربون فكانوا كالأعاصير أو كما انكسر سده فاندلق، يتصل بعضهم ببعض مزدحمين متراكمين، فى حالة عقلية أشبه بالجنون، سائقين أمامهم أو حاملين على ظهورهم ما خف حمله من أمتعتهم، حيوان، أثاث ضئيل، ثياب رثة حتى بعض المفروشات التى لا قيمة لها».

يضيف محمد عبده: كان الحر شديدا وغيم من الغبار سد الأفق، وأظلم الجو، نساء يبحثن عن أولادهن، يتشاجر بعضهن مع بعض، يتضاربن، فى اختلاط لا يمكن التعبير عنه، عربات بلا عجل استعملت مساكن، عربات من كل نوع، بعضها ساقط فى المحمودية، بعضها مقلوب، بعضها بخيل، وبعضها بغير خيل، روائح شى اللحم، صياح على المارة: «الخبز الخبز».

١٣ يوليو عام ١٨٥٤
مقتل الوالى «عباس»..
وشائعات عن إغراء عمته نازلى مملوكَيْن بجسدها

أعلن طبيب القصر رسميًا أن وفاة الوالى «عباس باشا» كانت لأسباب طبيعية، ونتيجة لمرض مجهول الاسم تسبب فى انهياره.

جاء هذا الإعلان بعد كتمان الخبر ٤٨ ساعة، تم خلالها نقل الجثمان من قصره بمدينة بنها إلى قصره فى العباسية فى وضح النهار، بعد أن تم إجلاسه بثيابه الرسمية فى عربة تجرها أربعة خيول، كما لو كان على قيد الحياة، وجلس إلى جانبه «ألفى بك» وهو أحد عبيده ومندوبه الخاص للمراسم.

هكذا كانت وفاة «عباس باشا» فى مثل هذا اليوم «١٣ يوليو ١٨٥٤» حسبما جاءت فى «مذكرات نوبار باشا»، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وهو أبرز الوزراء الذين عملوا مع محمد على وابنه إبراهيم ومن بعده «عباس» ثم سعيد حتى إسماعيل باشا.

لم يكن إعلان طبيب القصر صحيحًا، فلا هو مات بمرض مجهول، ولا كانت الوفاة لأسباب طبيعية، وإنما تم قتله فى قصره بمدينة بنها، ويقول «نوبار» إن أربعة من مماليكه طعنوه أثناء نومه، وهناك قصة طويلة حول كيفية تنفيذ عملية القتل، لكن الاختلاف جاء حول جهة التحريض، وأكثرها إثارة ما يذكره «نوبار»، بأن «نازلى هانم» عمة عباس هى التى

حرضت على قتله طبقًا لما أخبره البعض، وأنها أغرت اثنين من المماليك بجسدها قبل الحادث بأيام قليلة، ويعلق نوبار: «ليس هناك ما يعطينى الحق فى تصديق هذه الرواية، لكن لا يوجد ما يمنعنى من الأخذ بها».

كان يوم مقتل «عباس باشا» حفيد محمد على هو نهاية لفترة حكمه لمصر التى بدأت من يوم ٢٤ نوفمبر ١٨٤٨، ويصفها «نوبار» بقوله: «مصر كلها كانت على مدى حكمه تشبه سراى عباس، حيث لم يكن الناس يتزاورون أو حتى يدعو بعضهم بعضا، وكان كل فرد يعيش منطويًا ومنعزلًا، لأن خليفة إبراهيم كان رجلًا قاسيًا إلى حد التوحش».

يضيف نوبار: «ذات مرة قال لى إننى قادر على فعل أى شىء، وكل من حولى يجب أن يكونوا مثلى قادرين على فعل أى شىء»، وفى مرة أخرى أمر بحياكة فم إحدى وصيفاته لأنها تجرأت على التدخين فى جناح الحريم مخالفة بذلك أوامره، ولما كانت حظائره تضم خيرة وأجمل سلالات الخيول العربية، فقد منع الدخول إليها تمامًا مثل الحرملك».

كانت هذه التصرفات انعكاسًا لطباعه الحادة، التى كانت وكما يقول «نوبار» : «برهان على أنه لم يكن يشعر بالرغبة فى الاستمتاع بالمباهج أو العيش فى حياة الترف والبذخ سواء هو أو من حوله».

بالرغم من أن ما يذكره «نوبار» يرجح الآراء التى اعَدَّت عهد عباس سيئا وتراجعا حادا عما بدأه جده «محمد على باشا» من نهضة، فإن «نوبار» يقول عنه: «كان سيدا عظيما وكبيرا، وكان يحلو له أن يردد دائمًا: «أنا وزير ابن وزير وحفيد وزير، أنا لست تاجرًا مثل جدى وعمى، وإذا كان من واجبى حماية التجار فهذا لا يعنى أنه من المفروض أن أقلدهم»» .

١٤ يوليو عام ١٩٤٤
أسمهان تغرق والمخابرات الإنجليزية تشيع أن أم كلثوم قتلتها

«كان الحزن على أسمهان ومازال كبيرا، إذ ليس فى كل يوم ترحل أميرة كهذه»، هكذا يصف المؤرخ الفنى الدكتور نبيل حنفى فى كتابه «الغناء المصرى-أصوات وقضايا»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة، اليوم الذى شُيعت فيه جنازة الفنانة «أسمهان» بعد موتها غرقا فى مثل هذا اليوم «١٤ يوليو ١٩٤٤»، ويحكى فى كتابه قصة موتها كاملة.

كانت «أسمهان» تصور فيلمها الثانى والأخير «غرام وانتقام»، وقبل انتهاء التصوير حصلت على إجازة من إدارة استوديو مصر، لقضاء إجازة فى رأس البر، وفى الثامنة والنصف من صباح الجمعة «مثل هذا اليوم ١٤ يوليو»، استقلّت سيارتها «طراز الكود» من أمام ڤيلتها بشارع الهرم، وبرفقتها صديقتها وسكرتيرتها «مارى قلادة»، وكان يقود السيارة فضل محمد نصير، السائق فى «الاستوديو».

قبل الساعة الحادية عشرة بدقائق، وعند قرية «سرنفاش» التابعة لمركز «طلخا»، محافظة الدقهلية اصطدمت السيارة بحفرة كبيرة نتجت عن أعمال حفر تمت بعرض الطريق، وذلك لإمرار ماسورة تحمل الماء من ترعة الساحل إلى أرض أحد كبار الوزراء المطلة على الطريق.

كان الاصطدام من القوة بدرجة أطاحت بالسيارة إلى أعماق الترعة، وبينما تمكن السائق «فضل» من القفز من باب السيارة الأمامى وقبل أن تهوى إلى

الماء، لقيت «أسمهان» و«ماري قلادة» مصرعهما غرقا في الجزء الخلفي من السيارة، لفشلهما في فتح أبواب السيارة المغلقة عليهما.

كانت التحقيقات الأوَّلية وردود الفعل تتوالى، بينما يستحث الموسيقار «مدحت عاصم» بالعمل مع العمال طوال الليل لحفر قبر «أسمهان» في قطعة أرض بمدافن الإمام الشافعي، اشتراها شقيقها الفنان «فريد الأطرش» بعد وفاتها مباشرة.

في الحادية عشرة من صباح السبت «١٥ يوليو ١٩٤٤» توقف المرور تماما بوسط القاهرة، عندما تحرك موكب الجنازة الشعبية بآلاف المشيعين، يتقدمهم شقيقها فريد والموسيقار محمد عبد الوهاب.

انطلقت الشائعات تحمِّل البعض مسؤولية وفاة «أسمهان»، وكان أطرفها شائعة بأن «أم كلثوم» هي التي حرضت السائق على هذا الفعل حتى لا تزاحمها فنيا، وبالطبع لم يكن هذا الكلام صحيحا من بعيد أو قريب، وظل الأمر لغزا، حيث حصل السائق على حكم بالسجن شهرين لمسؤوليته عن الحادث لأنه كان يسير بالسيارة مسرعا، وتُوفِّي حاملا سره معه.

وفي كتابه «أسمهان لعبة الحب والمخابرات» الصادر عن سلسلة «كتاب اليوم، أخبار اليوم، القاهرة»، يشير مؤلفه «سعيد أبو العينين» إلى أن أصابع الاتهام في تدبير مصرع أسمهان تشير إلى أجهزة المخابرات التي لعبت معها ولحسابها، ثم انقلبت عليها ولعبت ضدها، وهي أجهزة مخابرات بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وينقل «أبو العينين» عن «عزيز المصري باشا» في كتابه «أبو الثائرين» الذي صاغه محمد عبد الحميد، أن المخابرات الإنجليزية هي التي قتلتها، ثم أطلقت شائعة أن «أم كلثوم» هي التي دبرت الحادث للتغطية، وعملت على ترويج الشائعة وانتشارها.

١٥ يوليو عام ١٨٩٦
الحكومة تعدل لائحة بيوت العاهرات

عرفت مصر تجارة البِغَاء زمنا، ووضعت له قوانين ولوائح مُنظَّمة، وجمعت أموالا فى خزائنها منه، وفى مثل هذا اليوم «١٥ يوليو ١٨٩٦»، وضعت نظارة الداخلية تعديلات على لائحة «بيوت العاهرات» التى سبق إصدارها فى أول يوليو عام ١٨٨٥، وهى اللائحة التى تؤرخ لبداية تسجيل العاهرات وإعطائهن تذاكر تُسجل بها مهنهن وتاريخ الكشف الطبى عليهن.

شملت اللائحة بتعديلاتها ١٦ مادة، وتأتى فى كتاب «البغايا فى مصر-دراسة تاريخية واجتماعية من ١٨٣٤ - ١٩٤٩»، الصادرة عن العربى للنشر، القاهرة، تأليف «عماد هلال»، وعَرَّفت بيوت العاهرات بـ«كل محل يجتمع فيه امرأتان أو أكثر من المتعاطيات فعل الفاحشة يعد بيتا للعاهرات، ولجهات الإدارة أن تقرر ما إذا كان ينبغى اعتبار البيت من ضمن بيوت العاهرات».

واشترطت اللائحة أنه لا يجوز فتح بيوت للعاهرات إلا فى الأخطاط التى تعين لذلك، خاصة بأمر يصدر من المحافظ أو المدير، ويجب أن يكون بكل منها باب عمومى واحد فقط، ولا يجوز مواصلة بينها وبين مساكن أخرى أو دكاكين أو محلات عمومية، وحددت الأشخاص الذين لا يجوز لهم أن يفتحوا أو يديروا بيوتا للعاهرات وهم، القُصَّر غير بالغى الرشد، والمحجوز عليهم، والمحكوم عليهم بسبب ارتكاب جناية عادية «غير سياسية»، والمحكوم عليهم لارتكاب سرقة، أو إخفاء أشياء مسروقة، أو نصب، أو نشل، أو خيانة

بعـد ائتـمان، أو إخفـاء أشـقياء، أو مجاهـرة بهتـك حرمـة الآداب، أو تحريـض قـاصر علـى الفسـق، وذلـك إذا كان قـد مـضى عـلى الحكـم الصـادر عليهـم أقـل مـن خمـس سـنين، أو يكـون قـد صـدر عليهـم فى خـلال خمـس السـنين التاليـة لصـدور الحكـم، حكـم بالحبـس فى مـواد الجنـح.

فى كتابـه «مجتمـع القاهـرة السـرى-١٩٠٠ - ١٩٥١»، الصـادر عـن العربـى للنـشر، القاهـرة، يؤكـد المـؤرخ الدكتـور عبـد الوهـاب بكـر، عـلى أنـه خـلال الحملـة الفرنسـية أُقيـم فى «غيـط النوبـى» المجـاور للأزبكيـة فى القاهـرة أبنيـة للبغاء عـلى هيئـة خاصـة، وفرضـوا عـلى مـن يدخلهـا رسـما معينـا، إلا إذا كان مصرحـا لـه بورقـة يحملهـا صـادرة مـن السـلطات الفرنسـية تبيـح لـه الدخـول دون أجـر، وظل البغـاء نشـطا فى عهـد محمـد عـلى «١٨٠٥-١٨٤٨» حتـى أصـدر فى يونيـه ١٨٣٤ قانونـا حظـر فيـه الرقـص العمومـى للنسـاء والبغـاء فى القاهـرة، وتقـرر عقـاب المخالِفـات لهـذا القانـون بالجلـد ٥٠ جلـدة فى المـرة الأولى، وبالأشـغال الشـاقة لمـدة سـنة أو أكثـر فى حالـة تكـرار المخالفـة، وتضمنـت العقوبـات أيضـا، إبعـاد المومسـات والراقصـات إلى «إسـنا» و«قنـا» و«الأقـصر»، فى محاولـة منـه لتطهـير العاصمـة مـن هـذا النشـاط، أو تهميـش نشـاط النسـاء العموميـات بدفعهـن إلى حافـة المجتمـع.

تـرك قانـون «محمـد عـلى» آثـارا سـلبية رغـم مقاصـده الصحيحة، حيـث تحولت المغنيـات والراقصـات إلى البغـاء باعتبـاره مهنـة تتـم فى الخفـاء، وانتـشرت بـؤره فى «الجنـوب» لسـعى الأجانـب للاسـتمتاع بهـذه الحرفـة المحـرم ممارسـتها فى القاهـرة، وفى عهـد «الـوالى عبـاس» رُفـع الحظـر عـن البغـاء والرقـص والغنـاء، وعـادت المشـتغلات بهـذه الحـرف لممارسـة نشـاطهن فى العاصمـة، وزادت الضرائـب التـى تُحصَّـل منهـن.

١٦ يوليو عام ١٢١٢

هزيمة المسلمين فى الأندلس فى معركة «العقاب»

بعث البابا «أنوسنت الثالث» بنداء إلى كل أوروبا: «هى حرب صليبية لا يحل الغفران على من لا يساعد أو لا يشارك فيها»، كان هذا النداء دفعة كبيرة فى إحدى الحروب ضد دولة الأندلس التى أسهمت فى زوالها عام ١٤٩٢، وكان إعلانها عام ٧١١ ميلادية.

كان النداء فى المعركة المشهورة تاريخيا بـ«العقاب» التى وقعت فى مثل هذا اليوم «١٦ يوليو ١٢١٢»، ضد دولة الموحدين بقيادة السلطان محمد الناصر، وشكلت نقطة تحول فى تاريخ دولة المسلمين فى الأندلس.

فى وقائع المعركة تفاصيل تبدأ قبل ١٦ يوليو ١٢١٢، حيث قام «ألفونسو الثامن» بتأليب مسيحيِّى أوروبا ضد المسلمين فى الأندلس، ونجح فى ذلك مما شجعه فى عام ١٢٠٩ على نقض هدنة كان وقَّعها عام ١١٩٥ مع «الناصر» بعد هزيمته فى معركة «الأرك» عام ١١٩٥، وكان نتيجة هذا النصر توطيد حكم المسلمين فى الأندلس وتوسعة أراضيهم، لكن ذلك لم يَرُق أبدا لـ«ألفونسو الثامن» فتحين الفرصة للانتقام.

تجسد نقض الهدنة من ألفونسو الثامن فى اقتحامه لـ«حصن رباح» فى وسط الأندلس، فأعلن السلطان محمد الناصر الجهاد وأمر بتجهيز الجيوش لإيقاف المد الصليبى، وكان قوام جيش «محمد الناصر نحو ٣٠٠ ألف مقاتل وقدَّره آخرون بنحو نصف مليون لكثرة عدد المتطوعين».

سارع «الناصر» بجيشه واستقر فى إشبيلية وأرسل جزءا من جيشه لتحرير قلعة رباح، وبعد حصار دام ٨ أشهر استطاع المسلمون أن يعيدوا ذلك الحصن، واستغل ألفونسو الثامن هذا الوضع وبعث إلى البابا «أنوسنت الثالث» يدعوه إلى الإعلان عن حرب صليبية فى أوروبا، واستجاب له البابا، فأمر بمساعدته وأعلنها حربا صليبية لا يحل الغفران على من لا يساعد ولا يشارك فيها، فأرسلت إيطاليا وفرنسا الجنود لدعم هذا التحالف المسيحى الذى يدير معركته باسم الدين.

كانت شرارة القتال بين الطرفين على أطراف جبال «الشارات» يوم ١٦ يوليو ١٢١٢، وعلى الرغم من البداية القوية لجيش «محمد الناصر» فإنه لم يواصل بنفس درجة قوة البداية؛ مما أدى إلى هزيمته ومقتل الكثير من المقاتلين وانسحب الباقون إلى بلاد المغرب، وبالغت الروايات الإسبانية فى قولها بأن عدد القتلى المسلمين فى هذه المعركة بلغ ١٠٠ ألف، أما «محمد الناصر» ففر من ميدان المعركة بعد أن رأى هزيمة جيشه ومقتل ابنه فى القتال، وجلس فى خيمة منتظرا الموت أو الأسر، إلا أن جموع المسلمين المنسحبة أجبرته على الفرار معها، فانطلق حتى وصل إلى إشبيلية ومنها إلى مراكش وتُوفِّى بعدها بفترة قصيرة.

عجَّلت هزيمة «العقاب» بسقوط دولة الموحدين فى المغرب وجنوب إسبانيا والتى زالت نهائيا عام ١٢٥٢، ويرى الدكتور محمد عبد الله عنان فى موسوعته «تاريخ الأندلس»، الصادرة عن مكتبة الأسرة، القاهرة، أن معركة العقاب لم تكن خسارة معركة، وإنما نهاية دولة الأندلس فبعد ٣٠ عاما منها، استولى الإسبان على أكثر من ٩٠٪ من أراضى الأندلس.

١٧ يوليو عام ١٩٦٤
زعماء أفريقيا يتحدثون عن أحزان القارة السمراء فى القاهرة

«هنـا والآن.. أتقـدم إليكـم باقـتراح ينـص عـلى إقامـة حكومـة اتحاديـة لـكل أفريقيـا، وإنشـاء قيـادة عسـكرية موحـدة».

طـرح هـذا الاقـتراح الرئيـس الغانـى «نكرومـا»، أمـام مؤتمـر القمـة الأفريقيـة فى القاهـرة والـذى عقـد فى مثـل هـذا اليـوم «١٧ يوليـو ١٩٦٤»، ويُعـد المؤتمـر الأول فى رسـم السياسـات الأفريقيـة، وكان سـبقه مؤتمـر فى إثيوبيـا عـام ١٩٦٣ اقتـصر فقـط عـلى إنشـاء منظمـة الوحـدة الأفريقيـة والتوقيـع عـلى ميثاقهـا.

كانـت الجلسـة الأولى للمؤتمـر تعبـيرا متجـددا عـن أحـزان أفريقيـا، وبالعـودة إلى المناقشـات التـى دارت خلالهـا، سـنجد تـلاً مـن المـرارات فى حلـق آبـاء النضـال الأفريقـى، وينقـل وقائعهـا كتابـا «سـنوات الغليـان»، الصـادر عـن مؤسسـة الأهـرام، القاهـرة، لمحمـد حسـنين هيـكل، و«مذكـرات محمـود ريـاض» وزيـر الخارجيـة، الصـادرة عـن دار المسـتقبل العربـى، القاهـرة.

اشـتكى «نكرومـا» مـن الاحتـكارات المسـيطرة مثـل احتـكار «أوبنهايمـر»، وشرح أثنـاء كلامـه أن «أوبنهايمـر» ابتلـع ١٠٤ شركات، تحتكـر فيـما بينهـا ٨٠ مـن مـاس العـالم.

انفعـل رئيـس مـالى «موديبوكيتـا» متحدثـا عـن التمييـز العنـصرى قائـلًا: «ألا تعرفـون أيهـا السـادة أن العنصريـة هـى الابنـة الشرعيـة للعبوديـة».

لحقـه «نكرومـا»: «إن بريطانيـا كانـت تاجـر العبيـد الأكـبر فى التاريـخ»، وأضـاف، أنـه وجـد وثائـق فى «أكـرا» «عاصمـة غانـا» مـن عهـد الاحتـلال تثبـت أن عـدد العبيـد الذيـن أسرهـم البريطانيـون وشـحنوهم إلى مسـتعمراتهم، أو تاجروا فيهـم حيـث شـاءوا يصـل إلى ٥٠ مليونـا مـن البـشر.

كان الرئيـس الجزائرى أحمـد بـن بيـلا، أحـدث الرؤسـاء الأفارقـة الذيـن اعتلـوا كرسـى الحكـم مـن بـاب النضـال ضـد الاسـتعمار الفرنسـى، وتحـدث متوافقـا مـع كل هـذه الأصـوات التـى تسـتدعى أحزانـا هائلـة.

ذكـر «بـن بيـلا» قصـة آخـر مقيـم عـام فرنسـى فى الجزائـر قبـل الاسـتقلال، والـذى وصـل بـه الأمـر إلى حـد شـحن كل مـا كان موجـودا فى القصـور مـن تحـف وأثـاث، حتـى إنـه حمـل معـه لمبـات الكهربـاء التـى كانـت تـضىء قـصره وتحـول فيـما بعـد إلى قـصر الشـعب.

التحـم الرئيـس الغينـى «نيريـرى» مـع هـذا الشـحن، فتسـاءل: هـل يعقـل أن بلـدا مثـل بلجيـكا يسـتعمر بلـدا مثـل الكونجـو، وهى أكـبر منـه ٧٧ مرة، والأسـوأ أن مسـتعمرة مثـل الكونجـو كانـت مـن أولهـا ملـك شـخص واحـد هـو «ليوبولـد السـادس» مـن سـنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٨، وهـذا جعلـه أغنـى رجـل فى العـالم فى زمانـه ومسـيطرا عـلى أهـم مناجـم الذهـب والنحـاس والمـاس ومـزارع المطـاط وتجـارة العـاج، ومـات أكثـر مـن ٥ ملايـين كونجـولى جوعـا مـن أَسْر عبوديتـه.

قفـز «نيريـرى» مـن المـاضى إلى الحـاضر قائـلًا: «والآن أمامنـا فى الكونجـو الجنـرال موبوتـو وهـو يزعـم أن الله قـد هـداه فـرأى النـور، ولسـت مسـتعدا أن أصـدق أن المعجـزة التـى حدثـت للقديـس بولـس يمكـن أن تتكـرر مـرة أخـرى مـع الجنـرال موبوتـو».

كان إيقـاع الـكلام سـاخنا عـلى هـذا النحـو وبقـدر مـا كان يفتـح بـاب الأحـزان، فـإن الحـماس أخـذ الرئيـس نكرومـا ليتقـدم باقتراحـه حـول قيـام حكومـة اتحاديـة أفريقيـة، وعـلى الرغـم مـن هـذا الحـماس النضـالى، فـإن «عبدالنـاصر» واجـه مشـكلة مـع الحاضريـن.

١٨ يوليو عام ١٩٦٤

نكروما يعلن أمام القمة الأفريقية بالقاهرة..:

«من حقى عمل تمثال لى فى أمريكا»، والقادة يضجون بالضحك

تحدث الرئيس جمال عبدالناصر، وقاطعه الرئيس الغانى نكروما، فكان سجالا قصيرا لكنه رفيع بين الزعيمين فى جلسات مؤتمر القمة الأفريقية بالقاهرة، وكان يومها الثانى فى مثل هذا اليوم «١٨ يوليو ١٩٦٤»، وتقرأ وقائعه فى كتابَىْ «سنوات الغليان» لـ«محمد حسنين هيكل» و«مذكرات محمود رياض-الجزء الثالث» وكان زيرا لخارجية مصر وقتئذ.

شعر جمال عبدالناصر بالقلق مما أُثير فى جلسات اليوم الأول «١٧ يوليو»، حيث استدعى الزعماء الأفارقة أحزانا كثيرة نتيجة سياسات الاحتلال لدول القارة، وتمخض هذا الاستدعاء عن اقتراح طرحه نكروما بضرورة إقامة حكومة اتحادية لكل أفريقيا.

قال عبد الناصر، إننا نريد لهذا المؤتمر إطلالة على مستقبل أفريقيا، وليس مجرد نُواح على أحزان ماضيها، وأنا أول من يعرف ثقل الميراث الاستعمارى ومصائبه، ولكننى أعرف أيضا أننا إذا تركنا مشاعرنا للغضب، فسوف توجهنا إلى الانتقام، وهذا شىء سلبى لا يحقق لنا شيئا، وإنما يتركنا بكثير من المرارة فى حلوقنا.

وأضاف عبدالناصر، أنه يجد نفسه حائرا بين نغمتين تترددان فى المؤتمر، نغمة المطالبين بأكثر مما تتحمله الظروف مثل حكومة واحدة لكل أفريقيا،

وجيش واحد، ونغمة المطالبين بقبول الأمر الواقع والرضا بأحكامه، وتلك أقل كثيرا مما تسمح به الظروف، وظروف أفريقيا فى الحقيقة تسمح لها بتحقيق أشياء عملية كثيرة، ونقطة البداية الصحيحة أن تتمكن أفريقيا أولا من حل مشكلات النزاع على الحدود، فكل دولة منا على نزاع مع جيرانها حول تقسيم الحدود، ونحن جميعا نسلم بأن هذه الحدود لا تمثل أى حقائق جغرافيا، أو حقائق تاريخ، أو حقائق أمن، وأنها مجرد خطوط رُسمت على خرائط بحدود الاستكشافات أو امتيازات الشركات الاستعمارية الكبرى المستغلة.

وعند هذه النقطة قاطعه الرئيس نكروما قائلًا: إن هذه الاستكشافات التى قام بها الرحالة الأوروبيون وادعوا بعدها أنهم وضعوها على خريطة العالم هى أيضا إهانة، فأنا لا أعرف كيف استكشفوا ما كان موجودا قبل أن يوجدوا هم، وعندما يجىء رجل مثل «ليفينجستون» ويقول إنه اكتشف الكونجو، فإننى أشعر بنار تشتعل فى رأسى، فالكونجو كان موجودا قبل أن يولد «ليفينجستون»، وكان سكانه يعيشون على ضفافه منذ أقدم عصور التاريخ.

أضاف «نكروما»، كان الأجدر بـ«ليفينجستون» أن يقول إنه أوروبى وصل إلى الكونغو وطاف بأرجائه، ولكن أن يقول إنه اكتشفه فهذه وقاحة، وإلا فمن حقى وأنا غانى زار أمريكا أن أقول إننى اكتشفتها، وأن أطالب بوضع تمثال لى أمام مبنى «الكابيتول».

فور أن ذكر «نكروما» أنه يطالب بوضع تمثال له أمام مبنى «الكابيتول» ضج الملوك والرؤساء الحاضرون بالضحك.

استعاد جمال عبدالناصر إلقاء كلمته متحدثا عن قضايا أخرى، مشيرا إلى مشكلات التخلف التى تعانى منها القارة، وثرواتها المنهوبة، وقلة الكوادر الفنية والإدارية، وقال إن مصر تضع خبرتها فى ذلك لصالح دول القارة، وتواصل المؤتمر وتواصل معه فتح قضايا أخرى.

١٩ يوليو عام ١٩٦٤
«عبد الناصر» يختار «أديس أبابا» مقرًا لمنظمة الوحدة الأفريقية

نحن الآن فى ثالث أيام مؤتمر القمة الأفريقية، «مثل هذا اليوم ١٩ يوليو ١٩٦٤»، وكانت فعاليته بدأت يوم ١٧ يوليو فى القاهرة.

اقترح الرئيس جمال عبدالناصر أن تكون العاصمة الإثيوبية «أديس أبابا» مقرا دائما لمنظمة الوحدة الأفريقية، ولم يقترح «القاهرة» على الرغم من أن نفوذ مصر فى أفريقيا وقتئذ يؤهلها لذلك، فلماذا؟

جاء اقتراح «عبد الناصر» كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة لاعتبارات مصرية خالصة تتعلق بالعلاقة مع إثيوبيا، لإيمانه الدائم أن مصر عليها مراعاة مشاعر أديس أبابا إلى أقصى حد ممكن فى إطار سياستها المائية، ولأجل ذلك جاء اقتراحه بـ«أديس أبابا» مقرا للمنظمة الوليدة.

ويضيف هيكل أنه بصرف النظر عن اعتراضات بعض الزعماء الأفريقيين الجدد على شخص الإمبراطور هيلاسلاسى حاكم إثيوبيا، الذى يبدو وكأنه شخصية منتزعة من قلب أساطير القرون الوسطى، فإن جمال عبدالناصر كان يؤمن بأن أحدا لا يحق له أن ينكر دوره فى الكفاح الأفريقى، كما أن مصر عليها أن تجامله إلى آخر الحدود، حتى وإن كان حكمه الإقطاعى نقيضا لأفكار ودعوات مصر الثورية.

كان الموقف من إسرائيل من أهم الصعوبات التى واجهت «عبدالناصر» مع الزعماء الأفارقة خلال هذا المؤتمر، وحسب مذكرات «محمود رياض-الجزء الثالث» وكان وزيرا للخارجية وقتئذ، فإن الدعاية الإسرائيلية السوداء فى أفريقيا كانت تزعم أن إسرائيل حصلت على استقلالها بعد كفاح مرير ضد الاستعمار البريطانى الذى كان يحتل أراضيها، وأنها تتعرض حاليا لتهديد الدول العربية بالقضاء عليها والاستيلاء على أراضيها.

أمام تأثر قادة أفريقيا بهذه الدعاية الإسرائيلية تحدث عبدالناصر بأن مشكلة إسرائيل هى مشكلة حساسة، ومبعث الحساسية فيها أن هناك عددا من زملائنا وأصدقائنا يتصورون أننا نلحُّ على خطر إسرائيل من تأثير صراعنا كعرب معها، وأننا نريد توريط أفريقيا فى مشاكلنا الإقليمية، ونحن نختلف مع هذه النظرة، فحين نثير قضية إسرائيل أمام أفريقيا، فنحن نفعل ذلك من يقيننا، بأن إسرائيل من نفس الطينة العنصرية التى وجدت فيها جنوب أفريقيا (كانت وقتئذ تحت حكم التمييز العنصرى).

أضاف عبدالناصر: «أعددنا تقريرا مفصلا عن مجالات التعاون بين إسرائيل وجنوب أفريقيا، وهى مجالات تمتد من تجارة العبيد الآثمة، وحتى ميدان التعاون النووى المشبوه»، وواصل عبدالناصر: «من جانبنا نحن لا ننوى أن نطرح عليكم اتخاذ أى قرارات فيما يتعلق بأفريقيا، ونؤثر أن تجىء أى اقتراحات بهذا الصدد من أفارقة غير عرب، إذا هم اقتنعوا بمحض إرادتهم بأن إسرائيل خطر على أفريقيا بمقدار ما هى خطر على العرب».

وحسب «مذكرات محمود رياض»: كانت هذه أول مرة يستمع فيها غالبية الرؤساء لوجهة النظر العربية من رئيس عربى، يكنون له كل تقدير لمساندة حركات التحرر الأفريقية، وهو ما عبر عنه الرئيس «باندا»، رئيس مالاوى فى نهاية الاجتماعات عندما تحدث عن دور عبدالناصر فى تحرير أفريقيا والمساعدات التى قدمها إلى مالاوى قبل استقلالها.

٢٠ يوليو عام ١٨٨٢
«عرابى» يرد بجمعية عمومية على عزله بقرار «توفيق»

«إلى أحمد عرابى باشا.. إن سفرك إلى كفر الدوار مصحوبا بالجند وخروجك من الإسكندرية بعد القتال، وتعطيلك الخطوط الحديدية والبريد، ومنعك لمهاجرى الإسكندرية من العودة إلى أوطانهم واستمرارك على إعداد التجهيزات الحربية، وعدم امتثالك لأوامرنا والقدوم إلى الإسكندرية، كل ذلك ألجأنا إلى عزلك من وظيفتك فأنت بمقتضى هذا الأمر المرسل إليك معزول من الآن من نظارتَى الجهادية والبحرية».

كان هذا هو نص قرار الخديو توفيق بعزل «أحمد عرابى» من منصبه فى مثل هذا اليوم «٢٠ يوليو ١٨٨٢»، وفى مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة يقول «عرابى»، إن هذا الإعلان تلاه منشور صدر من الخديو تم تعليقه فى شوارع الإسكندرية يفصل فيه الأسباب التى دعته إلى قرار العزل، ويدافع فيه عن نزول الإنجليز إلى مدينة الإسكندرية، مشيرا إلى أنهم سيعودون إلى بلادهم بعد استتباب الأمن والراحة فى أنحاء مصر وإعادة سلطة الخديو المسلوبة.

كان «عرابى» وقت صدور هذا القرار فى كفر الدوار يعد العدة ليصد تقدم الإنجليز من الإسكندرية، ولم يكترث لما فعله «توفيق»، واستمر فى استعداداته، وطالب بعقد جمعية عمومية للنظر فى قرار العزل وهو ما حدث يوم ٢٣ يوليو.

كان يوم ١٧ يوليو هو اليوم الذى تداخلت فيه عوامل متعددة دفعت «توفيق» لإصدار قرار العزل، ففيه وكما يقول كل من «أحمد عرابى» فى مذكراته، و«عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، أرسل الخديو توفيق تلغرافا من سرايا رأس التين إلى عرابى بكفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية ويحمّله تَبِعة ضرب الإسكندرية، ويدافع عن حسن مقاصد الإنجليز، ويأمره بالحضور إلى رأس التين ليتلقى منه التعليمات، وفى نفس اليوم بعث راغب باشا رئيس مجلس الوزراء خطابا إلى عرابى يبلغه فيه بمخالفته لأوامر الخديو فيما يقوم به من وسائل الدفاع، وعزم الخديو عزله من منصبه.

رفض «عرابى» كل هذه التحذيرات وبعث إلى الخديو رسالة بذلك، وأرسل إلى جميع المديريات والمحافظات تلغرافات يتهم فيها الخديو بممالأة الإنجليز وحذر الجميع من اتباع أوامره التى تخالف حالة الحرب، ودعا إلى عقد جمعية عمومية من الذوات والأعيان والعلماء يعرض عليها الموقف، ويطلب منها إصدار قرار فى شأن الخديو، وفيما يجب عمله لصالح الأمة، وصلاحية مثل هذا الوالى عليها.

فى مساء يوم ١٧ يوليو، وفى مقر وزارة الداخلية اجتمع العلماء والأعيان والرؤساء الروحانيون والوجهاء وكبار موظفى الحكومة، وبلغ عدد المشاركين نحو ٤٠٠ شخص، وعُرضت عليهم الرسائل المتبادلة بين عرابى والخديو، فقرروا بالإجماع وجوب مداومة الاستعدادات الحربية، مادامت بوارج الإنجليز فى السواحل وجنودهم فى الإسكندرية، وقرروا استدعاء الوزراء من الإسكندرية للاستفهام منهم عن حقيقة الأمر.

استشاط الخديو توفيق غضبًا من القرارات التى اتخذتها «الجمعية العمومية» وعَدَّها تحديا لإرادته، فأصدر أمره بعزل «عرابى» وتعيين عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية مكانه، لكن تطورات الأحداث لم تنتهِ عند هذا الحد حيث عادت «الجمعية» للانعقاد بطلب من عرابى.

٢١ يوليو عام ١٩٥٨
٣٦ حبشيًا فى انتخابات البابا كيرلس السادس

كادت إثيوبيا أن تتسبب فى بطلان انتخابات البطريرك البابا كيرلس السادس، لولا مفاوضات قادها الدكتور «كمال رمزى إستينو» وزير التموين وقتئذ.

وتعود هذه القصة إلى الوقت الذى بدأ فيه الاستعداد لانتخابات البطريرك البابا كيرلس السادس، وكانت فى أعقاب وفاة الأنبا يوساب يوم ١٢ نوفمبر ١٩٥٦، حيث تم فتح باب القيد للناخبين وفقا للائحة البطريرك الصادرة عام ١٩٤٢، وبمقتضى هذه اللائحة تقرر فتح باب الترشح يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦، وتقدم أربعة آلاف ناخب لقيد أسمائهم من بينهم سبع نساء، وتقرر فتح باب الترشح لمنصب البطريرك الجديد بعد شهر واحد من فتح باب القيد للناخبين كما تقضى بذلك اللائحة، ولكن فجأة وقع خلاف كبير بين المجلس المقدس والمجلس المِلِّى العام.

وفى كتاب «البابا كيرلس وجمال عبدالناصر» لـ«محمود فوزى»، يشرح طبيعة هذه الخلافات وكيفية تسويتها، مشيرًا إلى أن المجلس المقدس تمسك بقرار سبق أن اتخذه من قبل فى عهد «الأنبا يوساب» برفع سن الترشح لمنصب البطريرك إلى ٤٥ سنة، لكن المجلس الملى رفض ذلك، فضلًا عن خلافات حول أحقية المرأة فى أن تقيد نفسها فى جدول الانتخابات، وانتهت هذه الخلافات بقرار من المجلس المقدس بوقف انتخابات البطريرك حتى صدرت لائحة جديدة للانتخابات فى نهاية عام ١٩٥٧، خفضت السن إلى ٤٠ عامًا مع شروط أخرى.

طبقًا لهذه الشروط تم فتح باب القيد من جديد فى جدول الناخبين فى يناير عام ١٩٥٨، وبلغ عدد الذين قُيدت أسماؤهم يومها ٧٥٥ ناخبًا، وتم فتح باب الترشح لمنصب البطريرك، وكان من بين المرشحين «القُمُّص مينا البراموسى المتوحد» الذى ستختاره القرعة الهيكلية لمنصب البطريرك، ويختار لنفسه اسم «كيرلس السادس».

سارت الأمور على هذا النحو، حتى ظهرت مشكلة وهى أن اللائحة الجديدة نصت على اشتراك ٣٦ ناخبا من إثيوبيا فى الانتخابات التى ستنتهى بفوز البابا كيرلس، واتصلت البطريركية بسفارة إثيوبيا، فأوفدت أديس بابا وفدا إلى القاهرة لإجراء مفاوضات مع المجلس المقدس، وانتهت إلى أن توفد إثيوبيا عددا من الناخبين يماثل عدد الناخبين فى مصر، ولكن بشرط أن يبقى البطريرك من أبناء مصر الأقباط الأرثوذكس، وتم توقيع اتفاق بذلك فى مثل هذا اليوم «٢١ يوليو عام ١٩٥٨».

قبل بدء الانتخابات، أخطرت البطريركيةُ السفارةَ الإثيوبية بموعد الانتخابات، ولكن لم يصل أحد من الناخبين الإثيوبيين للقاهرة، وكانت مشكلة تهدد بوقف إجراء الانتخابات.

بذل وزير التموين الدكتور كمال رمزى إستينو جهودا كبيرة فى اتصالاته ومفاوضاته مع الإثيوبيين، انتهت بالاتفاق على إجراء الانتخابات فى موعدها بدون الإثيوبيين مع موافقتهم عليها، وعلى ذلك تمت الانتخابات وكان البابا كيرلس السادس أحد الثلاثة الذين فازوا لكنه كان أقلهم حصولا على الأصوات، ومع ذلك جاءت القرعة به.

فى ١١ مايو ١٩٥٩، تم ترسيمه فى حفل حضره مندوبًا عن الرئيس جمال عبدالناصر، أنور السادات سكرتير الاتحاد القومى، ووجه البابا كيرلس كلمة باللغة الحبشية إلى الشعب الإثيوبى، وكانت الإذاعة الإثيوبية تنقل احتفال الترسيم على الهواء مباشرة.

٢٢ يوليو عام ١٩٦٢
إطلاق «الأستاذ الجاهز»: «الظافر» و«القاهر»

كان جمال عبدالناصر فى استراحة المعمورة بالإسكندرية يقضى إجازة قصيرة، فتلقى مكالمة من المشير عبدالحكيم عامر يخبره فيها أن «الأستاذ» أصبح فى حالة جيدة جدا، وأنه يريد النهوض وأن يلقاه.

كان «الأستاذ» الذى يقصده «المشير عامر» هو صاروخ صناعة مصرية، أصبح مستعدا للانطلاق، مما يعنى تحولا كبيرا فى المنطقة بأسرها، وتلك قصة طويلة تتعلق بصناعة الصواريخ فى مصر التى بدأت عام ١٩٥٧ على أيدى العلماء الألمان الذين استجلبتهم مصر بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، وتفاصيلها نقرؤها فى كتاب «الحرب القذرة» للكاتب الصحفى محمود مراد، وكتاب «الفضاء الخارجى واستخداماته السلمية» لعالم الفضاء المصرى الدكتور محمد بهى الدين عرجون.

وقائع يوم إطلاق صاروخَى «الظافر» و«القاهر» فى مثل هذا اليوم «٢٢ يوليو ١٩٦٢»، كانت تتويجا لجهود سابقة فى مجال محاولة صناعة السلاح، سعت مصر أن تشق الطريق إليه.

يقول «مراد» إن عبدالناصر فهم من مكالمة المشير «عامر» أن الصاروخ استعد للانطلاق، ومن استراحته فى المعمورة طلب «عامر» ليسأله عن مدى الثقة فى نجاح التجربة، فقال له «المشير» إن فريق العمل واثق كل الثقة لكن الدول الكبرى أحيانا تفشل فى اللحظة الحرجة.

أضاف «المشير» متسائلا لـ«عبدالناصر»: «ألست واثقا يا ريس، أم ماذا؟».

رد عبدالناصر: «أنا واثق لكن خطر لى أن يحضر الصحفيون العرب والأجانب عملية الإطلاق حتى يكون الإعلان من عندنا، وبشكل لائق بدلا من أن يعلنه الآخرون مشوشا».

أجاب «عامر»: فليحضروا.

علق عبدالناصر: «كنت أعرف أن هذا رأيك، عموما تأخذ رأى العلماء والمسؤولين فى القاعدة».

فى صباح يوم ٢٠ يوليو، كانت الإفادة النهائية من المشير للرئيس: كل من فى القاعدة يطلبون من الرئيس أن يعتمد عليهم، ولن يخيب أمله فيهم وفى «الأستاذ».

فى التاسعة و٤٧ دقيقة صباحا، وأمام عبدالناصر وبحضور عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وعبدالحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات وحسين إبراهيم وعلى صبرى، انطلقت أربعة صواريخ واحدا وراء الآخر، صاروخان من «القاهر» وصاروخان من «الظافر».

التفت «عبدالناصر» إلى عصام خليل المشرف على الصناعات العسكرية وصافحه بشدة: «مبروك، مبروك يا عصام»، والتفت إلى جميع الحاضرين قائلا: «لقد حققتم اليوم انتصارا ضخما لأمتكم العربية كلها».

يتحدث الفريق «سعد الدين الشاذلى» رئيس أركان الجيش المصرى أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، عن أنه كانت هناك مشكلات حقيقية فى تصنيع هذه الصواريخ، وأنه بحث عن العدد الموجود منها فى مخازن القوات المسلحة للبحث فى كيفية الاستفادة مما هو موجود فى الحرب مع إسرائيل، ويذهب «الشاذلى» إلى حد شكه فى أن الدعاية التى أنفقت على هذه الصواريخ كانت لأغراض سياسية.

وفى كتابه «سنوات الغليان» يتحدث محمد حسنين هيكل، عن هذا اليوم، قائلا، إنه على الرغم من أن تجربة هذين الصاروخين أثبتت نقصا لا بد من استكماله فى أجهزة التوجيه، فإن ظهور صواريخ مصرية كان حدثا فى المنطقة.

كان المشرف على مشروع الصواريخ هو أحد العلماء الألمان الذين شاركوا وهو الدكتور «وولفانج بيلز»، وهو الذى أشرف فيما بعد على صناعة الصواريخ فى الصين.

٢٣ يوليو عام ١٨٨٢
فتوى شرعية من شيخ الأزهر :
«الخديو توفيق خائن لوطنه ومارق من دينه»

«الخديو توفيق قد مرق من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده».

هذه الكلمات القاطعة هى نص الفتوى الشرعية التى صدرت بحق الخديو توفيق، ولم تكن هناك سابقة أو لاحقة لها فى حكم مصر.

مصدر قوة الفتوى وتفرُّدها فى تاريخ مصر أنها صادرة من الشيخ محمد عليش شيخ الأزهر، والشيخ حسن العدوى، والشيخ محمد أبوالعلا الخلفاوى، وعلماء آخرين كانوا يشاركون فى اجتماع «الجمعية العمومية» المنعقد فى مثل هذا اليوم «٢٣ يوليو ١٨٨٢»، فى دار وزارة الداخلية وبدعوة من أحمد عرابى للرد على قرار الخديو توفيق بعزله.

كان انعقاد هذه الجمعية هو الثانى له خلال أيام، وحضره ثلاثة من الأمراء وشيخ الأزهر وقاضى قضاة مصر والمفتى ونقيب الأشراف وبطريرك الأقباط الأرثوذكس وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون ومديرو المديريات والأعيان وعُمُد ومشايخ قرى.

وفيما يقدر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «الزعيم الثائر أحمد عرابى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عدد الحاضرين بـ«٥٠٠»، يحدده صلاح

عيسى فى كتابه «الثورة العرابية» بـ«٢٦٠»من ممثلى طبقات الأمة، فى حين لا يذكر «أحمد عرابى» العدد الحقيقى فى مذكراته.

تلا الشيخ الإمام محمد عبده للمجتمعين المنشورات التى أصدرها أحمد عرابى، والأوامر الصادرة من الخديو توفيق، وألقى «على باشا الروبى» خطبة تناول فيها الخديو بالقدح، ويقول «صلاح عيسى»: إن «الروبى» حرض الحاضرين على الموافقة على قرار بتوقيف أوامر الخديو أى خلعه، وهاجم «سلطان باشا رئيس مجلس النواب» الإنجليز، وشرح ما ارتكبوه من فظائع وجرائم فى الإسكندرية، وقال إن الإنجليز من مدة يودون الاستيلاء على مصر، وإنه لا يصح عزل عرابى بل يلزم الاستمرار على المحاربة، وركز «الروبى» بشدة على القتال، وأكد أن انحياز الخديو إلى الإنجليز مسألة لم يعد فيها شك.

وتليت صورة استفتاء موجه إلى العلماء حول موقف الخديو، فجاء الرد من الشيوخ: «الخديو توفيق قد مرق من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده».

وطلب «يعقوب سامى» وكيل وزارة الجهادية «الحربية» ورئيس المجلس العرفى المنعقد، من الحاضرين رأيهم فى أوامر الخديو التى تصدر إليه منه، وكذلك ما يصدر من حضرات نظارات المقيمين معه، وسأل: «هل يلزمنى قبولها وتنفيذها أم لا؟».

انتهى الاجتماع إلى ثلاثة قرارات، هى: رفض قرار الخديو بعزل عرابى عن منصبه وتثبيته فى هذا المنصب، وتوقيف الخديو أو عزله هو ومجلس النظار «الوزراء» الموجود معه فى الإسكندرية، وعدم تنفيذ أوامرهم، حيث إن الخديو خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف، وعرض القرارات السابقة على الأعتاب الشاهانية «أى السلطان العثمانى» بواسطة وكلاء النظارات.

ويرى «صلاح عيسى» أنه بهذه القرارات استكملت القوى الثورية شرعيتها الخاصة، والمعارك دائرة بين الجيش البريطانى والجيش المصرى، وكانت أوسع الجماهير الشعبية قد التفت حول قيادة عرابى تسهم فى المعركة وتبذل لها الجهد.

٢٤ يوليو عام ١٩٥٦

عبد الناصر لأمريكا: «موتوا بغيظكم موعدنا يوم الخميس»

كانت الساعة التاسعة صباح يوم الثلاثاء الموافق مثل هذا اليوم «٢٤ يوليو ١٩٥٦»، حين وصل الرئيس جمال عبدالناصر إلى معمل تكرير البترول بـ«مسطرد» لافتتاح خط أنابيب البترول الجديد «السويس-القاهرة» ومعمل التكرير، وكان برفقته بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء.

قبل أن يبدأ «عبدالناصر» جولته لمشاهدة المعمل ونهاية الخط، التفت إلى محمود يونس رئيس الهيئة العامة للبترول قائلا: «اتكلم واشرح ولا تتوقف عن الشرح سواء كنت أسمع لك أو لا»، فيما يعنى أن آخر شىء يفكر فيه الرئيس هو ما يشرحه يونس له.

أدرك «يونس» شرود الرئيس وانصراف ذهنه عن كل ما يسمع، وحرصا منه على سلامته قال له: «أرجو ألا تلمس أى ماسورة فى المعمل لأنها ساخنة جدا لأن الوقت لم يسمح بتغليفها».

وقائع هذا اليوم الذى كان مفتتحا لقصة طويلة لمصر مع التحدى والكبرياء والإرادة الوطنية، تقرؤها فى كتاب «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، للمهندس عبدالحميد أبوبكر، سكرتير الهيئة العامة للبترول وقتئذ، وكان حاضرا لافتتاح خط أنابيب البترول الجديد.

يقول «أبوبكر: «إنه أثناء الافتتاح ارتجل الرئيس جمال عبدالناصر كلمة، كنا نتوقع أنها سوف تتناول البترول الوطنى، لكنها انصبتّ على سحب العرض الأمريكى لتمويل السد العالى، وحملة التشكيك فى سلامة اقتصادنا الوطنى».

قال الرئيس: «قامت فى واشنطن ضجة تعلن، وقد تجردت من الحياء، بل تجردت من أى مبدأ من المبادئ التى تقوم على أساسها علاقات الدول، تعلن كذبا وخداعا وتضليلا أن الاقتصاد المصرى يدعو إلى الشك، إنى أنظر وأقول موتوا بغيظكم، والرد الذى سأقوله لهم على هذا الكلام اليوم هو غير الرد الذى سأقوله لهم يوم الخميس المقبل إن شاء الله».

وبعد حفل الافتتاح دعا عبدالناصر المهندس محمود يونس إلى مكتبه بمقر مجلس الوزراء الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا، فاصطحب «أبوبكر» إلى اللقاء، وكان ظنهما أنه متعلق بالبترول وقضاياه.

بمجرد أن جلس «يونس» بدأ فى عرض تقرير يحمله عن مشكلات البترول، واستمع الرئيس بلا تعليق، حتى سأله فجأة: «إيه معلوماتك عن قناة السويس؟»، فأجاب يونس بأن معلوماته قليلة.

مرت لحظات صمت حتى قال له عبدالناصر: «قررنا تأميم القناة».

قام يونس على الفور من مقعده معانقا عبدالناصر، ثم عاد ليكمل عبدالناصر: «أنا أكلفك بهذه المهمة يا محمود»، وللحظات لم ينطق محمود بكلمة واحدة.

كان المهندس «أبوبكر» موجودا خارج الاجتماع فاستدعاه عبدالناصر ليسأله عن معلوماته عن القناة، ثم أبلغه أيضا بقرار التأميم، وقبل أن يغادر الاثنان المكتب، أعطاهما الرئيس كتبا عن القناة وملفا بعنوان: مذكرة عن الشركة العالمية لقناة السويس «مقدمة من إدارة التعبئة».

قال عبدالناصر وهو يودعهما: القرار سيكون فى خطابى بعد غد الخميس، وبدء تنفيذ العملية سيكون عندما أذكر كلمة «ديليسبس»، وانصرف الاثنان للتجهيز طوال ٥٥ ساعة لواحد من أهم أحداث القرن العشرين.

٢٥ يوليو عام ١٩٦٩
بدء «المجموعة ٣٩ قتال» بقيادة «إبراهيم الرفاعى»

بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ كان التحدى الأكبر أمام مصر هو إعادة بناء القوات المسلحة استعدادا لمعركة تحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلى، وفى هذا السياق رتبت القيادة السياسية والعسكرية نفسها على خوض عمليات ضد إسرائيل؛ حتى تبقى تحت الضغط المتواصل واستنزافها المستمر.

فى مثل هذا اليوم «٢٥ يوليو ١٩٦٩» كانت العسكرية المصرية على موعد مع واحدة من أنبل ظواهرها، وهى «المجموعة ٣٩ قتال»، والتى تأسست لتنفيذ عمليات خاصة خلف خطوط العدو.

بدأ عمل المجموعة من يوم ٢٥ يوليو بقيادة العقيد إبراهيم الرفاعى، بعد أن صدرت التعليمات التنظيمية رقم ١٦٤١ يوم ٢٤ يوليو بتشكيلها على أن تتبع فرع العمليات الخاصة بإدارة المخابرات الحربية، وبدأت فى تنفيذ عملياتها الخاصة ضد إسرائيل حتى ٢٥ أبريل ١٩٧٤.

ويتناول كتاب «حكاية المجموعة ٣٩ قتال»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، للكاتب الصحفى محمد الشافعى، قصة «المجموعة» منذ نشأتها، ويسرد الكتاب بدء تشكيلها واستمرارها فى عملياتها حتى نهايتها، ومراحل الإحلال والتجديد التى مرت عليها، نتيجة استشهاد بعض أفرادها (١١ شهيدًا) أو تسريح بعض الأفراد، ويؤكد أنه فى كل الأحوال لم تزِدْ

قـوة «المجموعـة» فى أى وقـت مـن الأوقـات عـن ٩٦ فـردا مقاتـلا، وبحسـابات الخـروج منهـا والدخـول إليهـا وعـدد الشـهداء طـول فـترة عملهـا بلـغ عددهـا ١٦٥، ويأتـى محمـد الشـافعى بأسـمائهم جميعـا فى كتابـه.

يقـترن اسـم «المجموعـة ٣٩ قتـال» باسـم قائدهـا الفـذ «إبراهيـم الرفاعـى» الـذى استشـهد يـوم ١٩ أكتوبـر ١٩٧٣، بعـد أن كان واحـدا مـن أهـم رمـوز العمليـات الخاصـة ضـد الجيـش الإسرائيـلى فى تاريـخ العسـكرية المصريـة، خاصـة فى المرحلـة التاليـة مبـاشرة لنكسـة ١٩٦٧، وعـلى أثرهـا تقـرر ضمـه إلى فـرع العمليـات الخاصـة بالمخابـرات الحربيـة التـى أسسـها رئيسـها اللـواء محمـد أحمـد صـادق والـذى أصبـح وزيـرا للحربيـة مـن ١٥ مايـو ١٩٧١؛ حتـى أقالـه الرئيـس السـادات فى ٢٦ أكتوبـر ١٩٧٢ ليخلفـه الفريـق أحمـد إسـماعيل (المشـير بعـد حـرب أكتوبـر).

كان إبراهيـم الرفاعـى يتلقَّـى تكليفاتـه مبـاشرة مـن اللـواء محمـد أحمـد صـادق رئيـس المخابـرات الحربيـة، وقبـل تشـكيل «المجموعـة ٣٩»، شـكَّل اللـواء صـادق فى ٥ أغسـطس ١٩٦٨ «فـرع العمليـات الخاصـة» فى إدارة المخابـرات الحربيـة بقيـادة «الرفاعـى»، وكانـت مهمتهـا القيـام بعمليـات نوعيـة ضـد العـدو وخلـف خطوطـه.

بلـغ عـدد مجموعـة «فـرع العمليـات الخاصـة» ١٣ ضابطـا و٩٦ صـف ضابـط وجنديـا، وعملـت بتوجيـه مبـاشر مـن اللـواء صـادق، وبمتابعـة مـن الرئيـس جمـال عبـد النـاصر، وبلـغ عـدد عملياتهـا ٢٤ عمليـة خلـف خطـوط العـدو فى الفـترة مـن أغسـطس ١٩٦٨ حتـى يوليـو ١٩٦٩.

ونفـذ «الرفاعـى» قبلهـا ١٥ عمليـة مـع «منظمـة سـيناء العربيـة» التـى أسسـها النقيـب رجائـى أحمـد عطيـة، وأشرفـت عليهـا أيضـا المخابـرات الحربيـة، بالإضافـة إلى مجموعـة «الكومانـدوز المصريـون» ليكـون عـدد إجمـالى كل هـذه العمليـات ٣٩ عمليـة.

ولذلك اتُّخذ هذا الرقم اسما للمجموعة الجديدة التى نفذت ٤٢ عملية منذ تأسيسها وحتى حلها يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٤، وإذا أضفنا إليها مجموع العمليات التى تمت من منظمة «سيناء العربية» و«الكوماندوز المصريون» يكون إجمالى كل هذه العمليات ٨١ عملية شارك فى معظمها إبراهيم الرفاعى.

٢٦ يوليو عام ١٩٥٦
عبد الناصر يكرر اسم ديلسيبس ١٧ مرة لإعطاء كلمة سر تأميم القناة

احتشد الآلاف فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية لسماع خطاب جمال عبدالناصر فى مثل هذا اليوم «٢٦ يوليو ١٩٥٦»، وترقب العالم كله ماذا عنى بكلمته «موتوا بغيظكم» التى وجّهها قبل يومين إلى أمريكا ردا على قرارها بسحب تمويلها لـ«السد العالى».

كانت وقائع اليوم كثيرة قبل بدء «عبدالناصر» خطابه، وتأتى بالتفصيل فى كتاب «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة للمهندس عبدالحميد أبوبكر، الرجل الثانى فى قيادة المجموعة التى قامت بعلمية التأميم، وتشمل الوقائع كل ما يتعلق بالقرار التاريخى الذى يعتزم عبدالناصر إعلانه، وهو تأميم القناة.

فالمجموعة التى ستتولى عملية التأميم بقيادة «محمود يونس» أعدت خطتها بسرية كاملة وحرفية هائلة، وشملت أماكن التنفيذ كل مواقع القناة فى بورسعيد والسويس والإسماعيلية ومكتبها الإدارى فى «جاردن سيتى».

قبل الخطاب بساعتين استدعى عبدالناصر مجلس الوزراء وأعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو للاجتماع، وأبلغهم بالقرار، فانقسم المجتمعون حوله، وانتهى الاجتماع بقول عبدالناصر لهم: «أريد أن أكون منصفا لكم جميعا،

فأسجل هنا أننى أتحمل مسؤولية قرار التأميم، وللشعب المصرى والتاريخ أن يحاسبنى عليه، فلست أريد لأحد منكم أن يتحمل مسؤولية قرار خطير لم يعرف به إلا قبل إعلانه بوقت قصير».

كانت الساعة الثامنة والنصف مساء وقت أن بدأ عبدالناصر خطابه التاريخى الذى استغرق ثلاث ساعات، وأنصت إليه العالم، وشمل شرحا وافيا لقصة مصر مع القناة منذ حفرها بسواعد المصريين الفقراء، وسيطرة فرنسا وبريطانيا عليها، وكانت كلمة «ديلسيبس» فى الخطاب هى كلمة السر المتفق عليها لبدء تنفيذ عملية التأميم فور نطق عبدالناصر بها.

يقول أبوبكر: «خشى عبدالناصر أن تفلت كلمة السر من أسماعنا، فأخذ يكرر اسم (ديلسيبس) أكثر من مرة، كرره ١٧ مرة، بلا ضرورة فى بعض الأحيان، ليتأكد أننا تلقينا الإشارة المتفق عليها، غير أننا كنا قد سمعنا تماما، بل إننا تلقينا الإشارة من أول مرة نطق فيها اسم (ديلسيبس)، وكانت الساعة حوالى العاشرة مساء».

قال عبدالناصر: «الآن وأنا أتكلم إليكم يقوم إخوة لكم من أبناء مصر، ليديروا الشركة العالمية لقناة السويس ويقوموا بعمل الشركة، الآن فى هذه اللحظة يتسلمون شركة القناة المصرية».

فور الانتهاء من هذه العبارة كانت «مجموعة التأميم» داخل مبانى الشركة فى مدن القناة الثلاث، وفتح سكان العمارات القريبة منها الشبابيك والأبواب ليتأكدوا مما سمعوه فى الخطاب فتأكدوا من الحقيقة، وفى أقل من ساعتين تمت السيطرة على جميع مكاتب الشركة وجرد المكاتب والخزائن، وارتفع علم مصر عليها بدلا من علم القناة.

أثناء ذلك طلب صحفى سويدى اسمه «أندرسون» كان يتابع الحدث مقابلة المسؤول عن العملية، فأدخلوه إلى «يونس» ليجد شخصا بسيطا يفترش الأرض عمره ٤٣ عاما، واللافت أن الاثنين اللذين شاركا فى قيادة عملية التأميم كان عمرهما «٣٣ عاما» لعبد الحميد أبوبكر، ومحمد عزت عادل «٣١ عاما»، هكذا كان الشباب.

٢٧ يوليو عام ١٩٥٦
العالم يقف على أطراف أصابعه بعد قرار تأميم القناة
و« يونس » ينفذ بكفاءة

كان العالم فى مثل هذا اليوم «٢٧ يوليو ١٩٥٦» غير العالم الذى قبله بساعات قليلة، والتى أعلن فيها جمال عبدالناصر تأميم قناة السويس.

انشغلت عواصم العالم الكبرى بكيف يكون رد فعلها على هذه الخطوة التى علق عليها «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى غاضبًا من عبدالناصر: «لقد ذهب بعيدا، لقد فقد صوابه، ولابد أن نعيده إليه».

وقال فى اجتماع مجلس الوزراء الذى عُقد لمناقشة ما حدث: «أيها السادة، إنكم علمتم ما حدث فى مصر، إن المصرى قد وضع إصبعه على قصبتنا الهوائية، ويجب ألا نكتفى برفع إصبعه عن رقبتنا، ولكن يتعين علينا أن نقطع يده».

أما «عبدالناصر» وحسب كتاب «ملفات السويس»، الصادر عن مؤسسة الأهرام، القاهرة، لـ«محمد حسنين هيكل»، فاختار البقاء بعض الوقت فى الإسكندرية التى أعلن منها قرار التأميم، وفى اليوم التالى له «٢٧ يوليو»، ركز على موضوع واحد وهو حركة المرور فى قناة السويس.

كان عبد الناصر يريد الاطمئنان على نتائج يوم الامتحان الأول للإرادة المصرية، ومع ذلك لم يتصل مباشرة بـ«محمود يونس» قائد عملية التأميم،

لأنـه وجـد أن مثـل هـذا الاتصـال سـوف يشـغله ويربكـه، وطلـب مـن الجميـع ألا يبـادروا بطلـب «يونـس» حتـى بالتليفـون، فـلا ينبغـى لأحـد أن يقطـع عليـه شـواغله، ويجعلـه يحـس بـأن هنـاك مـن يسـاورهم القلـق وراءه»، وقـال للجميـع: «محمـود يونـس لـه حـق الاتصـال بمـن يشـاء فى أى وقـت يشـاء، ولكـن هـذا الحـق لـه وحـده».

أجـرى «يونـس» اتصـالًا وحيـدًا بـ«عبدالنـاصر»، أوضـح فيـه أن بعـض البواخـر العابـرة للقنـاة ترفـض دفـع الرسـوم للهيئـة الجديـدة، فـرد عبدالنـاصر عليـه بـأن يدعهـا تمـر، وأن يرسـل إلى كل باخـرة منهـا مذكـرة بإضافـة الرسـوم إلى حسـابات شركاتهـا، وأكـد أن الملاحـة لابـد أن تسـتمر ويتواصـل مـرور كل البواخـر بغـير تعطيـل لاسـتيفاء الحسـابات أو لغـير ذلـك مـن أسـباب، فتعطيـل باخـرة واحـدة فى هـذا اليـوم سـيكون الذريعـة التـى ينتظرونهـا.

فى قلـب هـذا الحـدث العظيـم، كان كل أبطالـه العظـام نموذجًـا فى الإرادة الوطنيـة والعطـاء، وفى طليعـة هـؤلاء محمـود يونـس (توفى يـوم ١٨ أبريـل ١٩٧٦)، والـذى يصفـه مسـاعده فى العمليـة المهنـدس عبدالحميـد أبوبكـر فى مذكراتـه: «كان يونـس معروفـا بقـوة الشـخصية، والصلابـة والحنكـة، وكان بحـق مدرسـة كبـيرة فى القيـادة والإدارة، كان مثـلا أعـلى فى جميـع تصرفاتـه لـكل مـن عمـل معـه، كان عملاقًـا فى عـصر العمالقـة».

كان يونـس المولـود يـوم ٣ أبريـل ١٩١٢ زميـلًا لمناضلـين كبيريـن؛ همـا «فتحـى رضـوان» و«أحمـد حسـين» كـما كان زميـلا لـ«محمود مختـار التتـش»، لاعـب ورئيس النـادى الأهـلى التاريخـى، والتحـق بكليـة الهندسـة، وكان مـن زعـماء الطلبـة الذيـن قـادوا المظاهـرات عـام ١٩٣٦ ضـد الاحتـلال الإنجليـزى، والتحـق بعـد تخرُّجـه بالكليـة الحربيـة ثـم بكليـة أركان الحـرب ليصبـح مدرسًـا فيهـا، وتعـرف فيهـا عـلى جمـال عبدالنـاصر الـذى كان طالبًـا فى صفوفهـا لتبـدأ بينهـما صداقـة طويلـة.

٢٨ يوليو عام ١٩٥٦
إيدن يسعى لإثبات قوة شخصيته أمام زوجته الشابة

فى اليـوم الثالـث «مثـل هـذا اليـوم ٢٨ يوليـو ١٩٥٦» مـن قـرار تأميـم قنـاة السـويس، كان صراع الإرادات بـين مـصر ومعسـكر «إنجلـترا وفرنسـا وأمريـكا» يتواصـل، كان جمـال عبدالنـاصر يواصـل دراسـته لـكل احتـمالات ردود الفعـل على قـرار الـتأميم، وكان رئيـس الـوزراء البريطانـى «أنتونـى إيـدن»، يبحـث عـن كل الوسـائل التـى تـؤدى إلى قطـع يـد «عبدالنـاصر».

كان «عبدالنـاصر» فى مسـاء ٢٨ يوليـو، وكـما يقـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «ملفـات السـويس»، الصـادر عـن مؤسسـة الأهـرام، القاهـرة، يقسـم وقتـه لدراسـة موضوعـين، همـا الاحتـمالات العسـكرية، حيـث قـرر سـحب مجموعـة الجيـش المـصرى الرئيسـة مـن سـيناء إلى الدلتـا لمواجهـة احتـمالات التدخـل الأجنبـى، أمـا الموضـوع الثانـى فـكان دراسـة موقـف مـصر الاقتصـادى عـلى أثـر قـرار تجميـد الودائـع والأرصـدة المصريـة فى بنـوك بريطانيـا وفرنسـا وأمريـكا.

كان «إيـدن» يتعامـل مـع الأزمـة باعتبارهـا فرصـة ليثبـت جدارتـه أمـام كل خصومـه وكل المتشـككين فى قدراتـه، كان يعيـش أزمـة خاصـة، حيـث تـزوج بعـد أن تخطـى عمـره السـتين مـن «بامبيـا تشرشـل» وهـى شـابة عمرهـا ثلاثـون عامًـا فقـط، وقريبـة لرئيـس الـوزراء البريطانـى «التاريخـى» ونسـتون تشرشـل، وكان أملهـا أن يثبـت زوجهـا أنـه ليـس أقـل صلابـة وقـوة مـن قريبهـا «تشرشـل».

كان «إيدن» يعوض فارق السن معها بالتظاهر أمامها بالقوة والصلابة والتشدد، ويروى بعض وزرائه أنهم كانوا يتجنبون الحديث معه أمامها، لأنه لم يكن يرد على ما يقولون، وإنما بما يريد أن تسمعه «باميلا»، كان يقول كلاما شديدا كبيرا أمامها، ثم يغيره فيما بعد.

بهذه النفسية أدار «إيدن» معركته ضد عبدالناصر، ظن أنه أمام عدو سهل، وأن الفرصة جاءته ليثبت قوته لزوجته الشابة، وأنه ليس أقل قوة من قريبها «تشرشل».

ويقول «أنتونى ناتنج»: حين انفجرت أزمة السويس أكاد أقول إن إيدن وجدها فرصة ليثبت جدارته أمام كل خصومه والمتشككين فى قدراته، كان يعيش على أقراص «البنزدرين» التى تشد أعصابه وتنبهها إلى أقصى درجة، وهكذا وأخيرًا جاءته الفرصة، خصوصا أنه أمام عدو بدا له سهلا، ولكنه فى الحقيقة لم يكن هكذا مطلقًا، وكانت أسعد اللحظات لديه حين يجلس فى غرفة العمليات، ويدخل جنرالات ويخرج جنرالات، وتفتح خرائط وتقفل خرائط، وتعرض خطط وتعدل خطط.

على هذا الأساس أدار «إيدن» خطواته، فكانت الدعوة إلى اجتماع ثلاثى حول الأزمة يعقد فى لندن بين إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وفيما كان هذا الحلف الثلاثى يسعى لتوسيع دائرة المشاركة معه بدعوته لدول أخرى مثل ألمانيا الغربية، ردت «ألمانيا» على الخطاب الذى تلقته حول ذلك يوم ٢٨ يوليو طبقًا لكتاب «قناة السويس- ملحمة شعب.. تاريخ أمة» للكاتبين «محمد الشافعى» و«محمد يوسف»، بأنها ترى أن تأميم قناة السويس هو من الشؤون الداخلية لمصر، وأن اشتراكها فى المؤتمر إنما هو لتضم صوتها إلى جانب الدول الراغبة فى الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة.

٢٩ يوليو عام ١٩٣٧
تتويج فاروق «ملكًا» بفتوى للشيخ المراغى

«عمر الملك المسلم إنما يُحسب بالسنين الهجرية، وإنه بهذا الحساب فإن جلالة الملك المعظم (فاروق)، حفظه الله، بلغ سن الرشد فى يوليو ١٩٣٧».

كان هذا هو نص الفتوى التى صدرت لصالح الملك فاروق، فاختصرت ما يقرب من سبعة أشهر من عمره الذى من المفترض أن يتولى به حكم مصر دستوريا وهو ١٨ عاما.

هى فتوى لم تولد هكذا لوجه الله، وإنما كانت لأغراض سياسية تتمثل فى استعجال تولِّى «فاروق» الحكم دستوريا، والقصة تبدأ من يوم ٨ مايو ١٩٣٦، حيث انعقد مجلسا النواب والشيوخ للتصديق على «ولاية جلالة الملك فاروق عرش مصر»، كان عمره وقتئذ ١٦ عاما وبضعة شهور، ولأن السن القانونية للحكم هى ١٨ عاما، كان «فاروق» قاصرا، فتقرر أن يتولى سلطات الملك مجلس وصاية يتكون من الأمير محمد على ولى العهد، وعزيز عزت باشا سفير مصر السابق فى لندن وأحد أصهار الأسرة المالكة، وشريف باشا صبرى خال الملك.

دار الحديث حول أفضل ما يقوِّم الملك حتى يبلغ سن الرشد، ويقول الكاتب الصحفى محمد عودة فى كتابه «فاروق بداية ونهاية»، الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «رأى حزب الوفد أن يعود إلى بريطانيا ليستكمل دراسته، وأن يؤهل نفسه للمسؤولية، وأيده المندوب السامى البريطانى، لكن الملكة نازلى

(أم فـاروق) اعترضـت، وأقنعـت رئيـس الـوزراء مصطفـى النحـاس بذلـك»، فماتـت الفكـرة.

لم تهـدأ الملكـة «نـازلى» ومعهـا شـقيقها شريـف صـبرى، حيـث سـعيا لاختصـار فـترة الوصايـة، كـى يتـولى «فـاروق» حكمـه منفـردا وشرعيـا، وحجتهـما فى ذلـك أن رئيـس مجلـس الوصايـة «الأمـير محمـد عـلى» عميـل خسـيس للبريطانيـين، فطلبـت مـن شـيخ الأزهـر الشـيخ محمـد مصطفـى المراغـى فتـوى بمشروعيـة حسـاب عمـر ابنهـا بالتقويـم الهجـرى فاسـتجاب المراغـى.

وتـرى لطيفـة سـالم فى كتابهـا «فـاروق الأول وعـرش مـصر»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، أن هـذه الفتـوى جـاءت اسـتنادا عـلى الأمـر الملكـى الصـادر فى ١٢ أبريـل ١٩٢٢، وينـص عـلى أن الملـك يبلـغ سـن الرشـد إذا اكتمـل لـه مـن العمـر ثمانـى عـشرة سـنة هلاليـة.

أصبـح فـاروق بالتقويـم الهجـرى ملـكا دسـتوريا، وجـرى الاسـتعداد لتتويجـه فى احتفـال كبـير فى مثـل هـذا اليـوم «٢٩ يوليـو ١٩٣٧»، تـم التخطيـط لـه أن يتـم كاحتفـال دينـى، يتمثـل كـما تقـول لطيفـة سـالم فى: «دعـوة الأمـراء وكبـار العلـماء والشـيوخ والقضـاة، ويقـف شـيخ الأزهـر بـين أيـدى الملـك، ويدعـو لـه، ويتلـو صيغـة معينـة، ويجيـب الملـك عـن كل سـؤال فيهـا، ويقسـم اليمـين بالـولاء لشـعبه والـبر بقوانينـه، والعمـل عـلى رفاهيـة أمتـه وسـعادتها، ثـم يقـدم شـيخ الأزهـر سـيف محمـد عـلى».

كان صاحـب الفكـرة الأمـير محمـد عـلى، وحسـين حسـنى سـكرتير «فـاروق» الـذى يذكـر فى مذكراتـه «سـنوات مـع الملـك فـاروق- شـهادة للحقيقـة والتاريخ»، الصـادر عـن دار الـشروق، القاهـرة، أن محمـد التابعـى «الكاتـب الصحفـى» التقـى بـه كموفـد مـن مصطفـى النحـاس ليبلغـه رفضـه لهـذا الطقـس فى الاحتفـال: «فاشـتراك شـيخ الأزهـر ورجـال الديـن يعنـى التسـليم لهـم بالسـلطة فى توليـة الملـك، وهـو مـا ينطـوى فى مقابـل ذلـك عـلى الحـق فى عزلـه».

٣٠ يوليو عام ١٧٩٨
نابليون: «تأكدت من خيانة محمد كُرِّيم فكَبِّلوه فى الحديد»

«إنى لا أوافق على اعتقال (كُرِّيم) وحسب، بل أمرت فوق ذلك باعتقال أشخاص آخرين».

كان هذا رد نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية من القاهرة، على خطاب أرسله إليه نائبه «كليبر» من الإسكندرية، وجاء الرد فى مثل هذا اليوم «٣٠ يوليو ١٧٩٨».

جاء رد نابليون بعد عشرة أيام من اعتقال «كليبر» لـ«محمد كريم»، الذى تم فى ٢٠ يوليو على أثر مساعدة «كريم» للمقاومة فى دمنهور، ومعارضته لفرض «كليبر» خلفة إجبارية على تجار الثغر يدفعونها للجيش الفرنسى.

كان حدث الاعتقال كبيرا للرجل الذى عيَّنه «نابليون حاكما للإسكندرية» يوم ٧ يوليو، أى قبل اعتقاله بـ١٣ يوما فقط، وحسب كتاب «مصر تحت حكم بونابرت» للمؤرخ الأمريكى خوان كول، والصادر عن «المركز القومى للترجمة»: كان كريم يتمتع بشعبية واسعة، كان مسؤولا عن الموازين «قَبَّانيًا» فى ميناء الإسكندرية، ونجح فى كسب ثقة المسلمين من أهل البلاد والمسيحيين من الأجانب لما اتسم به من نزاهة.

أمر «كليبر» بإبقاء «كريم» فى إحدى بوارج الأسطول الفرنسى لإرساله إلى «بونابرت» فى القاهرة، وأوصى قائد الأسطول الأميرال «برويس» بحسن

معاملتـه، و«أن يأمـر إذا شـاء أن تـؤدّى لـه التحيـة العسـكرية إلى أن يُعـرض أمـره عـلى القائـد العـام، ويقـرر مـا يـراه فى شـأنه».

فى مقابـل المعاملـة الحسـنة مـن «كليـبر» لـ«كريـم»، كان «نابليـون» عنيفـا معـه، ويـدا ذلـك مـن خطابـه يـوم ٣٠ يوليـو إلى الأمـيرال «برويـس» وصـورة منـه إلى «كليـبر» ويتحـدث عنـه «عبدالرحمـن الرافعـى» فى كتـاب تاريـخ الحركـة القوميـة وتطـور نظـام الحكـم فى مـصر - الجـزء الأول: «تحققـت مـن خيانتـه، فكبّلـه فى الحديـد، وسـد عليـه كل منفـذ حتـى لا يهـرب، وسـجن أتباعه وحاشـيته وأرسـلهم مخفوريـن إلى الجنـرال كليـبر بالإسـكندرية».

وفى الخطـاب نفسـه، يخـص نابليـون «كليـبر» بتعليـمات أخـرى، حيـث يأمـره باعتقـال كل مـن بقـى فى منـزل «كريـم» مـن الحاشـية، وأن يختـم عـلى داره وأملاكه، وأضـاف أنـه علـم ممـن قدمـوا لـه الأدلـة عـلى خيانـة كريـم أن أموالـه مطمـورة فى بئـر بالإسـكندرية، وأن عنـده دفـترا فيـه بيـان أموالـه وأملاكـه، وأن بعـض خدمـه يعرفـون مقاديـر هـذه الأمـوال وموضعهـا.

وكلـف نابليـون، كليـبر ، بـأن يقـرر هـؤلاء الخـدم منفـردا بـكل منهـم، ويتهددهـم مـا شـاء ليبوحـوا بـما لديهـم مـن الأسرار، وإذا دفـع السـيد كريـم فى ثمانيـة أيـام ٣٠٠ ألـف فرنـك فسـيبقى معتقـلا عـلى ظهـر إحـدى بـوارج الأسـطول، حيـث لا يجـد مفـرا ويُرسَـل إلى فرنسـا حـين تعـرض فرصـة قريبـة، وإذ الم يدفـع بالأقـل ثلـث المبلـغ المفـروض عليـه فى خمسـة أيـام، يأمـر «كليـبر» بقتلـه رميـا بالرصـاص.

والمثـير أن هـذه الرسـالة لم تصـل إلى الأمـيرال «برويـس» ولا «كليـبر»؛ لأن حاملهـا الكابتـن «چوليـان» قتـل فى الطريـق، ومـضى «كريـم» فى طريقـه إلى الجنـرال مينـو فى رشـيد ليبعـث بـه إلى القاهـرة.

٣١ يوليو عام ١٩٥٦
عبد الناصر فى سينما «مترو» بالإسكندرية

كان كل يوم يمر بعد قرار جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس «٢٦ يوليو ١٩٥٦»، يحمل جديدا على صعيد المسرح الدولى والداخلى، وبقدر ما كانت القيادة السياسية تتهيأ لمواجهة أيام صعبة مقبلة، كانت تستثمر فى الوقت نفسه التناقضات السياسية على المسرح الدولى، من أجل إثبات حق مصر فى قرارها التاريخى الذى يُعد من القرارات التى أسهمت فى تغيير شكل العالم.

كانت بريطانيا وفرنسا وأمريكا تبحث كيفية تأديب «ناصر» و«قطع يده»، كما قال «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى فى اجتماع حكومته.

وكانت العواصم الغربية الثلاث تبحث شن عملية عسكرية ضد مصر، ووفقا لكتاب «ملفات السويس»، الصادر عن الأهرام، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، قال الأميرال «بيرك» مدير هيئة العمليات المشتركة للرئيس الأمريكى إيزنهاور: إن الهيئة من رأيها أنه لا بد من كسر ناصر.

رد إيزنهاور بأنه لا يختلف معه فى الهدف، وإن كان يختلف فى الوسيلة، فالتصدى لـ«ناصر» عن طريق العمل العسكرى سوف يدير ضدنا العالم الثالث كله من «داكار» إلى «الفلبين»، ومن الأفضل أن نبدأ بعزل العرب وخصوصا السعوديين عن مصر وعن ناصر، وبعدها ننظر فى الأمر.

كان مثل هذا اليوم «٣١ يوليو ١٩٥٦» بمثابة البدء فى «خطة العزل»، ففى لندن كان اجتماع فرنسا وبريطانيا وأمريكا، وانتظر العالم كله البيان الذى سيصدر عنه، لأنه سيحمل إشارات واضحة عن نوايا الغرب.

وانتظره «عبدالناصر» على طريقته الخاصة، حيث ذهب إلى «سينما مترو» بالإسكندرية، ليشاهد فيلم «موعد فى لاس فيجاس»، وفى اتصال تليفونى من القاهرة به من «هيكل»، سأله كيف يستطيع أن يشاهد فيلما بينما أفكاره كلها فى مكان آخر؟

رد: «لا أريد أن أجلس أقرض أظافرى فى انتظار أن يفرغ المجتمعون فى لندن من عملهم ويُصْدرون بيانهم، والأفضل أن أشغل نفسى بشىء، وعندما أعود قرب منتصف الليل سوف يكون بيانهم قد صدر، وسأتصل بك فور عودتى لتقرأ لى نصه كما حملته وكالات الأنباء».

صدر البيان عن الاجتماع الثلاثى، وجاء فيه أن قرار التأميم تهديد لحرية الملاحة فى القناة التى كفلتها معاهدة «القسطنطينية»، واقترحوا عقد مؤتمر تشترك فيه الدول الموقِّعة على تلك المعاهدة لبحث الأمر، وكان الغرض من المؤتمر إنشاء هيئة دولية تتولى إدارة القناة.

اتصل «عبدالناصر» بالدكتور محمود فوزى، وزير الخارجية، يطلب منه إصدار بيان يرد على «البيان الثلاثى»، وقبل منتصف الليل تم إعلان الرد المصرى، وركز على أن مصر لا تقبل أى تدخل خارجى فى إجراء يدخل فى صميم سيادتها، وأنها تصرفت وفقا لنصوص وروح الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التى لا يمكن أن تمنع مصر من تأميم شركة مصرية، حتى وإن حمل اسمها مجازا وصف «العالمى»، وإن كان لا بد من عقد مؤتمر دولى لبحث قضية الملاحة فى القناة، فمن المنطقى أن ينطبق هذا على كل الممرات المائية فى العالم.

١ أغسطس عام ١٧٩٨
البريطانيون يتسلَّوْن بمراسلات نابليون إلى زوجته «جوزفين» حول خيانتها

طلب نابليون بونابرت، قائد الحملة الفرنسية على مصر، بعض جنرالاته على العشاء، بعد أن وصل إلى مسامعه انتشار حالة من السخط بينهم، وما إن انتهى من العشاء وجَّه سؤالا إلى الحاضرين عن أحوالهم فى مصر، فجاءه الرد من الجميع: «نحن فى أفضل حال».

أمَّن القائد على استجابتهم، وأضاف موجهًا حديثه إليهم: «أعرف أن عددًا كبيرًا من الجنرالات يشجعون العصيان ويدعون إلى التمرد، فليحذروا، فإنى لا أرى فرقا بين جنرال وقارع طبول، وإن دعت الحاجة فإننى على أتم استعداد أن آمر بإطلاق الرصاص على أى منهما ببساطة».

التزم الجميع الصمت احترامًا، وكان نابليون يفعل ذلك فى محاولة منه لتطويق الآثار النفسية الفادحة التى حلت بضباط وجنود الحملة على أثر تدمير أسطوله البحرى على أيدى الأسطول الإنجليزى فى الموقعة التى اشتهرت تاريخيا بموقعة «أبى قير البحرية»، وبدأت وقائعها فى مثل هذا اليوم «١ أغسطس ١٧٩٨»، وحسب كتاب «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الأول»، دار المعارف، القاهرة، لـ«عبدالرحمن الرافعى»: «يوجد فى تاريخ الحروب وقائع معدودة امتازت بعظيم تأثيرها فى مصير

الدول والشعوب، ومن هذه الوقائع واقعة أبى قير».

يتحدث كتاب «مصر تحت حكم بونابرت»، عن الحدث باستفاضة، ويستوقفنا أمام تلك الحالة الخاصة التى وجد الفرنسيون أنفسهم عليها بعد أن تأكدوا من أن أسطولهم لم يعُد له قائمة، فينقل عن المهندس والعالم «بروسبير جولوا» الذى شاهد مأساة أسطول بلاده قوله: «ورد خطاب من «كليبر» بالإسكندرية إلى الجنرال «مينو» فى رشيد يحمل إليه الخبر السيئ، وأن وَقْع الحزن والبؤس على الجميع كان أبلغ أثرا».

غير أن السخرية الكبرى تمثلت فى وقوع طرود البريد للجنود الفرنسيين إلى ذويهم فى فرنسا بأيدى البريطانيين، وكانت تحملها سفينة بالأسطول الفرنسى، وتأكدوا أنهم غنموا فجأة ثروة من المعلومات عن العمليات الفرنسية فى مصر، فضلا عن تسليتهم بمطالعة المراسلات الخاصة بالجنود الفرنسيين بما فى ذلك مراسلات بونابرت نفسه، وسرعان ما نشر البريطانيون تلك المراسلات، وأسقط فى يد بونابرت الذى كان يعانى وقتئذ حالةَ اكتئاب، من جراء الأنباء التى تفيد خيانة زوجته وحبيبته «جوزفين» له، فوقف عاجزا وهو يرى البريطانيين ألد أعدائه ينشرون تلك الأخبار على العالم أجمع.

المثير أن «نابليون» لم يعرف بكارثة تدمير أسطوله إلا بعد ١٢ يوما، وبالتحديد يوم ١٢ أغسطس.

كان فى الصالحية يعيش أفراحه لإجباره إبراهيم بك على مغادرة مصر، وما إن عاد إلى القاهرة حتى عرف بالمأساة، وقال: «إن السبل تقطعت بيننا وبين الوطن، ولا نملك وسائل اتصال آمنة، حسنا، لابد أن يعلم الجميع أننا نتمتع بالاكتفاء الذاتى، فموارد مصر عظيمة، وعلينا أن نرتقى بها، وقد كانت مصر فى زمان مضى مملكة قائمة بذاتها، والمهم حماية الجيش من مشاعر الإحباط ففى تلك المشاعر بداية النهاية».

٢ أغسطس عام ١٨٤٩
وفاة محمد على باشا مريضًا بـ«الجنون»

يروى أحد المماليك المكلف بحراسة غرفة محمد على باشا، والى مصر وحاكمها «١٨٠٥-١٨٤٩»، أنه كان يتخيل نفسه فى أيامه الأخيرة وهو على رأس جيشه، وأحيانًا وهو يدحر جنود القيصر عند أسوار القسطنطينية، وأحيانًا أخرى وهو يقوم بإجلاس لويس على العرش.

ينقل هذه الرواية «نوبار باشا» فى مذكراته الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وتسجل المذكرات جانبا إنسانيا من أيام محمد على الأخيرة، وقبل وفاته فى مثل هذا اليوم «٢ أغسطس ١٨٤٩»، ويرويها «نوبار» كشاهد حيث كان الوزير المقرب من «الباشا»، ومن ابنه إبراهيم باشا.

داهمت الأمراض محمد على فى سنواته الأخيرة، وكان أخطرها مرض الجنون، وبلغ ذروته فى الفترة التى تلت وفاة ابنه إبراهيم «٢٥ نوفمبر ١٨٤٨».

يقول «نوبار»: «بعد وفاة إبراهيم كان أبوه كلما أفاق من غفلته الذهنية المستمرة طاف شوارع القاهرة فى حراسة مماليكه، وسط جموع الناس التى كانت تنظر إليه باحترام، ويرون فيه أحد المجاذيب، كانت الناس تقول إنه قبل رحيل إبراهيم بوقت كبير إلى القسطنطينية (عاصمة الدولة العثمانية) لطلب الولاية، رأى محمد على رؤيا عن سفر ابنه وولايته وعودته ثم وفاته».

يمكن فهم دراما علاقة الأب بالابن من تعليق محمد علىّ على وفاة «إبراهيم»، فحسب «نوبار باشا» عندما أخبروه بوفاة ابنه رد: «كنت أعرف، لقد حبسنى، كان قاسيًا معى، كما كان مع الجميع، لقد عاقبه الله وأماته، لكنى أجد نفسى لكونى أباه من الواجب علىّ أن أترحم عليه»، ويؤكد «نوبار» أن محمد على عاش بعد هذه الكلمات لعدة أشهر تطارده دون هوادة فكرة أنه مازال محبوسًا، وبالطبع فإنه يتخيل أن إبراهيم هو الذى يحبسه.

وفى موقف آخر مع حفيده عباس قبل سفره إلى القسطنطينية للحصول على فرمان ولايته، يروى «نوبار»: «كنت فى سراى شبرا يوم ٢٨ نوفمبر حين أتاه حفيده عباس ليَقبِّل يده قبل سفره، فقال له الجد: لقد لعنت إبراهيم، لأنه حبسنى ولذا! قبض الله روحه، فلا تتصرف نحوى مثله، إذا كنت تريد ألا ألعنك أنت أيضًا، فطمأنه عباس وقبل يده مرة أخرى قائلا: أنت سيدنا وستظل كذلك دائمًا».

يقول الكاتب الفرنسى جيلبرت سينويه فى كتابه «الفرعون الأخير»، الصادر عن منشورات الجمل، ترجمة عبد السلام المودنى: «كان محمد على يموت فى قصره برأس التين، وكان وضعه بلغ حدودًا لا يمكن تحملها، نتيجة التقرحات التى أُصيب بها، وأضحى بالكاد يتمكن من أن ينام ساعة أو اثنتين فى اليوم الواحد».

بعد أن طرق الموت بابه فى سراى رأس التين فى الإسكندرية نُقل جثمانه إلى القاهرة، وفى ٤ أغسطس وضع نعشه فى مسجد القلعة الكبير، حيث حدد هو قبره، وذلك دون أى طلقة مدفعية أو موكب أو تشريفات عسكرية، وكما يقول «سينويه»: «كانت تلك إرادة عباس»، غير أن نوبار باشا يقول: «كانت مشاعر الحزن عميقة ومن القلب حيث اصطحب سكان القاهرة جميعًا موكبه الجنائزى المهيب إلى المسجد».

٣ أغسطس عام ١٨١٥
فشل أولى محاولات «محمد على باشا» تكوين جيش نظامى مصرى

منذ أن تبوأ محمد على عرش مصر «١٨٠٥»، بدأ تفكيره فى تكوين جيش نظامى يعينه على تحقيق طموحه الكبير فى أن يجعل من مصر دولة قوية، تستمد قوتها من خارج حدودها، وليس من داخلها فقط.

أسَّس «محمد على» الجيش المصرى النظامى منذ عام ١٩٢٠، وكان الجيش قبل ذلك، كما يقول المؤرخ عبدالرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على»، دار المعارف، القاهرة، أخلاطا من العناصر المفطورة على التمرد والفوضى يُطلق عليهم لفظة «باشبوزق»، أى الجنود غير النظاميين، ومثل هذا الجيش لم يكن جديرًا بالاعتماد عليه.

حاول «محمد على» تنفيذ فكرته لأول مرة فى عام ١٨١٥، لكنها فشلت وكادت تودى بمركزه، لولا أنه عدل عنها وأجّلها إلى ترقيت آخر، والقصة يرويها المؤرخ عبدالرحمن الجبرتى فى «عجائب الآثار»، ويحللها «الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، والمؤرخ الدكتور خالد فهمى فى كتابه «كل رجال الباشا»، وتبدأ فور العودة من الحجاز التى شن خلالها «محمد على» الحرب ضد الوهابيين.

أمر «محمد على» بتدريب فرقة من جنود ابنه «إسماعيل باشا» على النظام الحديث، ووضع مبدأ تنظيميا لرواتبهم ونفقاتهم، ويقول «خالد فهمى»، إن هذه الفرقة كانت من الألبان الذين ظلوا يشكلون العمود الفقرى لقوة محمد على لفترة من الزمن، ولم يكونوا قوة نظامية، وكانوا يثورون عادة ثورات صغيرة فى شوارع القاهرة، مطالبين برواتبهم أو بالعودة إلى بلادهم، كما أنهم احتفظوا ببنيتهم القَبَليَّة، ولذا لم تكن مكانة «محمد على» تتجاوز فى نظرهم مكانة «الأول بين الأنداد»، وبالتالى رفضوا أية محاولة منه لفرض الانضباط عليهم.

صارح «محمد على» جنود الفرقة بأنه سيعاقب من لم يذعن لهذا النظام ويتمرد عليه، ولما عاد إلى «شبرا» تذمر الجند من هذه الأوامر، وانتهز بعض رؤسائهم هذه الفرصة ليسعوا إلى الانقلاب ضده وخلعه وقتله.

كادت المؤامرة أن تنجح، لولا أن رءُوسها أفضوا بتفاصيلها إلى «عابدين بك» أحد رؤساء الألبان، ظنا منهم أنه سيوافق عليها لظروف المرض الذى داهمه وهو فى الحجاز وظل معه فى القاهرة.

أجمع المتآمرون على تنفيذ خطتهم بمهاجمة محمد على فى قصره بـ«الأزبكية»، ولما علم بهذا السر، ترك القصر وذهب إلى القلعة فى منتصف الليل، وتوافد المتمردون إلى الأزبكية، وتبادلوا إطلاق الرصاص مع حرس السراى.

حين علموا بفشل مؤامرتهم خرجوا إلى الأسواق فى مثل هذا اليوم «٣ أغسطس ١٨١٥» ينهبون الدكاكين والمتاجر، واعتدوا على أموال الناس وبضائعهم، وطبقًا لـ«الجبرتى» فإن محمد على لم يستطع تهدئة التجار والعامة إلا بإعادة ممتلكاتهم المسروقة أو تعويضهم عما دمر منها.

فشلت هذه المحاولة فأرجأ محمد على تنفيذ طموحه بتكوين جيش جديد وفقًا للأساليب العصرية المعروفة وقتئذ، ويقول «خالد فهمى»، إن محمد على قرر أن يتخلص من هؤلاء الألبان المتمردين، بإرسالهم إلى حتفهم بالصحراء الغربية، ففى خلال سنوات صراعه مع الوهابيين التى استمرت سبع سنوات أرسلهم موجة وراء أخرى ليلقوا حتفهم فى الصحراء ليتخلص منهم عمليا.

٤ أغسطس عام ١٨٧٩
بريطانيا تبلغ توفيق بإصدار «الباب العالى» فرمان تثبيته على العرش

يروى أحمد عرابى فى مذكراته، أنه أثناء تناوله طعام الإفطار فى شهر رمضان مع الخديو توفيق، وبحضور خيرى باشا، رئيس الديوان الخديو، والشيخ عبدالرحمن الإبيارى، قال توفيق: «يا ليته ترك للحكومة ولو ستة ملايين لإصلاح شأنها».

كان «توفيق» يقصد فى ذلك والده الخديو إسماعيل الذى عزلته الدول الكبرى وقررت تولية ابنه «توفيق» حكم مصر بدلا منه، وتعطى القصة دلالة على الأوضاع السيئة التى كانت عليها مصر بسبب تراكم الديون.

تلقى «إسماعيل» برقية بعزله يوم ٢٦ يونيه عام ١٨٧٩، وفى نفس الوقت تلقى ابنه توفيق برقية توليه العرش، وفى يوم ٣٠ يونيه غادر «إسماعيل» نهائيا إلى نابولى بإيطاليا.

ويروى «عرابى» أيضا أن «توفيق» قال فى مأدبة الإفطار معه، إن والده حمل معه أوراقًا مالية عبارة عن «بون» بمبلغ ١٣ مليون جنيه، ويضيف عرابى فى مذكراته، أن أول عمل قام به مجلس النظار برئاسة «محمد شريف باشا» بعد تولية «توفيق»، هو تحديد الرواتب السنوية للخديوى وأهل بيته وكانت، مائة ألف جنيه لـ«توفيق»، و٣٥ ألفا لوالدته، و٢٠ ألفا لزوجته، و٣٠ ألفا للخديوى السابق «إسماعيل»، و٢٥ ألفا لزوجته، و٣٦ ألفا لزوجاته

الباقيات فى مصر، و١٨ ألفا لـ«توحيدة هانم»، و١٨ ألفا لـ«حسين باشا كامل» و١٨ ألفا لـ«حسن باشا»، ليكون المجموع ٣٠٠ ألف جنيه.

فى مذكرات «عرابى» نفهم أن قصة تولِّ توفيق لم تنتهِ بمجرد إرسال «الباب العالى العثمانى» برقية عزل «إسماعيل» وأخرى بتولى «توفيق» للحكم، وإنما كانت هناك تدخلات إنجليزية وفرنسية لإصدار «الفرمان المثبت لخديوية توفيق»، فحسب «مذكرات عرابى»، أن باريس ولندن أمهلتا «الباب العالى» بإبلاغهما صورة الفرمان بـ«تثبيت الخديو» إلى يوم الإثنين، وفى حال عدم إبلاغهما فى المهلة المحددة ستناديان باستقلال مصر، أى خروجها من تحت الحكم العثمانى، وكان هذا تهديدا كبيرا.

وفى مثل هذا اليوم «٤ أغسطس ١٨٧٩»، ورد تلغراف من لندن بأن «الآستانة» أبلغتها بأن «فرمان التثبيت» فى طريقه إلى توفيق باشا.

وفى يوم ١١ أغسطس، حضر الخديو إلى القاهرة من الإسكندرية ومعه وزراؤه ليشهدوا جميعا تلاوة الفرمان السلطانى فى سراى القلعة، وبقى «شريف باشا» فى الإسكندرية لاستقبال «فرمان التثبيت» والمجىء به إلى القاهرة.

ويقول «عرابى» إنه فى الساعة الثانية عشرة من صباح الخميس يوم ١٤ أغسطس ١٨٧٩، انتظم موكب الفرمان، وفى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة، أُطلقت المدافع تبشيرا بقدوم الفرمان يحمله «على بك فؤاد»، فاستقبله النظار حتى دخل القاعة، ثم تناوله «طلعت باشا كركا» وصعد به على كرسى وتلاه، ولما فرغ من تلاوته، دخل الخديو توفيق قاعة التشريفات فوفد المهنئون عليه، وفى الساعة الرابعة قام الخديو وتبعه النظار فصدحت الموسيقى بالأنغام المألوفة، وأطلقت المدافع تعظيما له وإجلالا.

٥ أغسطس عام ١٨٥٨
تعديل لـ«اللائحة السعيدية» يمنح الفلاحين حقوقًا أوسع فى ملكية وإدارة الأرض

ارتبط الفلاح المصرى بالأرض، لكن قصته مع ملكيتها شهدت تحولات عديدة، كان من أبرزها صدور لائحة الأطيان الزراعية فى ٢٧ يناير ١٨٥٥، ثم عُدِّلت فى مثل هذا اليوم «٥ أغسطس ١٨٥٨»، فيما عُرف بـ«اللائحة السعيدية» نسبة إلى «سعيد باشا» والى مصر وحاكمها «١٨٥٤-١٨٦٣».

أعطت هذه اللائحة الفلاحين حقوقا أوسع مما كان فى مسألة ملكية الأرض وإدارتها بشكل عام، ويمكن القول إن صدورها ختم هذه المرحلة من تاريخ كفاح المصريين ضد مصادرة الأراضى، وتمليكها لمن كان يطلق على نفسه لقب «ولىّ النعم»، واحتفظ الفلاحون بالأرض التى فى حوزتهم، شرط دفع رسوم للتسجيل لا تتجاوز ٢٤ قرشا عن الفدان الواحد.

وفقا لكتاب «كبار الملاك والفلاحين فى مصر ١٨٣٧ - ١٩٥٢» الصادر عن دار قباء، القاهرة، للمؤرخين الدكتور رءُوف عباس، والدكتور عاصم الدسوقى، فإن «اللائحة السعيدية» عملت على توسيع حقوق الفلاحين فى الأطيان الأثرية «الخراجية»، فأصبح من حق أولاد صاحب الأثر وراثة أبيهم، أما بناته فلم يكن لهن هذا الحق إلا إذا كان أخذهن الأرض ضروريا لمعاشهن، فلهن حينئذ أن يأخذن من الأرض جزءا يسمح بتوفير ضرورات الحياة لهن، ثم أصبح «الأثر» يُورَّث طبقا للشريعة الإسلامية، كما أصبح لكل من يفلح

الأرض ويـؤدى ضريبتهـا مـدة خمـس سـنوات حـق ملكيتهـا، ولـه حـق رهنهـا ضمانـا لقـرض، أو اسـتبدالها ونقـل ملكيتهـا وهـو مـا عـرف بـ«الإسـقاط»، عـلى أن يسـجل كل تـصرف مـن هـذه التصرفـات أمـام المحكمـة الشرعيـة.

لم يعنِ ذلـك أن الفـلاح أصبـح لـه حـق الملكيـة التامـة عـلى الأطيـان الخراجيـة «أى ملكيـة الرقبـة»، فقـد بقـى هـذا الحـق للدولـة، فحـين تنـزع الأطيـان مـن أجـل المنفعـة العامـة لشـق ترعـة أو نحوهـا لا تعـوض الفـلاح عنهـا، كـما لم يكـن مـن حـق الفـلاح أن يوقفهـا، واسـتمر أفـراد القريـة مسـؤولين مسـؤولية جماعيـة عـن أداء الضرائـب المقـررة عـلى قريتهـم.

ونصـت اللائحـة عـلى أن مـن يغـرس أشـجارا أو يقيـم سـاقية فى أرض، أو ينشـئ أبنيـة عليهـا يكـون لـه حـق التـصرف فى تلـك الأرض بسـائر التصرفـات الشرعيـة مـن بيـع وهبـة وغـير ذلـك مـن سـائر التمليـكات، وبَدْهـىّ أن مـن كان فى اسـتطاعتهم الإنفـاق عـلى غـرس الأشـجار أو إقامـة السـواقى والمنشـآت، هـم أصحـاب الحيـازات الكبـيرة مـن المصريـين والأجانـب.

أمـا أطيـان «الـرزق» وتتضمـن الأبعديـات (الأراضى الممنوحـة مـن محمـد عـلى للمقربـين منـه وكبـار موظفيـه وبعـض الأجانـب والقبائـل)، فأصبـح يطلـق عليهـا «الأطيـان العشـورية»، وذلـك لقيـام «سـعيد باشـا» بفـرض ضرائـب عليهـا أطلـق عليهـا «ضريبـة العُشْر»، بعـد أن كانـت معفـاة مـن الضرائـب، ونصـت اللائحـة عـلى تعويضهـم عـما يؤخـذ مـن تلـك الأراضى للمنفعـة العامـة.

تضمنـت اللائحـة أحكامـا تتعلـق بالدائنـين المرتهنـين، حيـث رجحـت كفـة الدائنـين عـلى حسـاب الفلاحـين الذيـن كانـوا نظريـا أصحـاب الحـق الأصـلى فى الأرض، وأباحـت اللائحـة رهـن هـذه الأطيـان «غاروقـة» بـشرط إخطـار المديريـة التـى تقـع الأطيـان فى دائرتهـا، وتكلـف الأطيـان باسـم الدائـن المرتهـن.

٦ أغسطس عام ١٩٤٥
أمريكا تدمر «هيروشيما» بقنبلة «الولد الصغير»

كانت الساعة الثامنة والربع فى مثل هذا اليوم «٦ أغسطس ١٩٤٥»، حينما ألقت أمريكا قنبلتها النووية الأولى على هيروشيما بـ«اليابان»، وسميت «الولد الصغير»، وانفجرت بعدها بدقيقتين. كان الانفجار مروعا، والتدمير أكثر ترويعا، الأمر الذى أدى بمساعد طيار الطائرة التى ألقت القنبلة إلى القول: «يا إلهى، يا إلهى، ما الذى فعلناه؟».

بعد دقيقة واحدة من انفجار القنبلة، قُتل نحو ٦٦ ألفا، و٦٩ ألفا جرحوا، بسبب التفجير، وحدث تدمير بالكامل لمساحة قطرها ميل، وتدمير شديد لمساحة قطرها ميلان، وفى مساحة قطرها ميلان ونصف الميل احترق تماما كل شىء قابل للاحتراق، وما تبقَّى من منطقة التفجير كان متوهجا أو محمرا من الحرارة الشديدة، وامتد اللهب لأكثر من ثلاثة أميال.

كان الخطر التدميرى لا يضاهى الخطر الإشعاعى للقنبلة، فبمجرد رؤية انفجار القنبلة ووميضها لبرهة قصيرة تصاب خلايا الإنسان بالتسمم، مما يؤدى إلى الموت الفورى لأن الإشعاعات قاتلة وبسرعة.

اختفت خيوط الشمس بعد انتهاء التفجيرات، وأصبحت «هيروشيما» كما لو أنها فى وقت الليل، على الرغم من أن وقت إلقاء القنبلة كان صباحا، وتحولت المدينة إلى ركام ورماد، وتحول الناس القريبون من مركز تفجير

القنبلـة إلى كربـون فى برهـة.

ومما يقال أنه بعد الانفجار وتحديدا بعد الظهر تساقطت أمطار سوداء لاختلاطها مع غبار ورماد القنبلة، والأشخاص الذين ظلوا على قيد الحياة لم يصدقوا، وحاولوا شرب هذا الماء الأسود، وهم لا يعرفون أنه مسمم بالإشعاعات، ودُفعوا إلى ذلك لأن حرارة القنبلة أدت إلى تحجر حناجرهم، وكانوا حتما سيموتون إذا لم يشربوا الماء.

كانت اليابان قبل إلقاء قنبلة «الولد الصغير» على «هيروشيما»، غير اليابان التى نعرفها الآن.

كانت دولة استعمارية، وبدأ طموحها الاستعماري فى منتصف القرن التاسع عشر، بعد القضاء على حكم المقاطعات وجيوش الساموراى، وإنشاء جيش عصرى تابع بمساعدة أمريكا، واحتلت كوريا فى سنة ١٨٩٤، وحاربت روسيا فى سنة ١٩٠٤، وانتزعت منها ميناء «بورت أرثر» المستأجَر من الصين، وانضمت إلى الحلفاء ضد قوات المحور فى الحرب العالمية الأولى، وحصلت على جميع ممتلكات الألمان فى الصين.

وأدت سيطرة العسكريين على الحياة البرلمانية عام ١٩٣٠ إلى زيادة الحلم الإمبراطورى الاستعمارى، وكان لوصول الجنرال «هيداكى توجو» إلى منصب رئيس الوزراء، وبمباركة من الإمبراطور «هيروهيتو»، كلمة الفصل المشجعة لذلك، وفى عام ١٩٣١ احتلت مناطق ضعيفة مثل «منشوريا».

واصلت «اليابان» مشروعها الاستعمارى التوسعى فاحتلت الصين عام ١٩٣٧، وانضمت إلى إيطاليا وألمانيا عام ١٩٤٠ فى الحرب العالمية الثانية، واحتلت إندونسيا عام ١٩٤١، ولما عارضتها أمريكا فى احتلال إندونسيا هاجمت أسطولها البحرى فى العملية المشهورة تاريخيا باسم «بيرل هارْبُر» وأدى هذا الهجوم إلى قتل آلاف الأمريكيين، وتذهب بعض التقديرات إلى أن عدد القتلى منذ «بير هاربر» إلى يوليو ١٩٤٥ بلغ ٤٠٠ ألف أمريكى، ومع هذا الهجوم احتلت كلّا من الفلبين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وبورما.

٧ أغسطس عام ١٩٤٥
ترومان يعلن ضرب «هيروشيما» بالنووى بعد ١٦ ساعة

فى اليوم التالى، وكان «مثل هذا اليوم ٧ أغسطس ١٩٤٥»، لإلقاء أمريكا القنبلة النووية على «هيروشيما» اليابانية، كان عدد القتلى لا يقل عما وقع بعد إلقاء القنبلة بدقائق، كان نحو ٦٦ ألفا ويزيد يلقون حتفهم بالإشعاع النووى، واللافت أن اليابان تكتَّمت الأمر فى بدايته لأنها لم تكن تعلم أن ما حدث من دمار وخراب سببه استخدام أمريكا للسلاح النووى، فكيف عرف العالم بهذه المأساة؟

مر على إلقاء القنبلة ١٦ ساعة كاملة، حتى أعلن البيت الأبيض الخبر، ففى بدء يوم ٧ أغسطس، وجَّه الرئيس الأمريكى «ترومان» خطابا إلى الشعب الأمريكى عبر الإذاعة، قال فيه إن إعلان «بوتسدام» فى يوم ٢٦ يوليو كان إنذارا نهائيا يهدف إلى تجنيب الشعب اليابانى الدمار، ولكن زعماءه رفضوا الإنذار، وإذا لم يقبلوا شروطنا فعليهم أن يتوقعوا أن تمطر السماء عليهم دمارا لم يشهدوا له مثيلا على وجه الأرض، ووراء هذا الهجوم الجوى ستأتى قوة بحرية وبرية بأعداد وقوة لم يروها وبمهارة قتالية قد خبروها، فليسألوا عما حدث فى هيروشيما.

كان «إعلان بوتسدام» الذى أشار إليه «ترومان» فى خطابه الإذاعى هو عبارة عن إنذار نهائى موجه إلى اليابان فى الحرب العالمية الثانية بالاستسلام دون قيد أو شرط أو تأخير، لأنها ستُواجه بحرب ودمار عاجلين، وتم توجيه

الإنـذار بعـد اجتـماع فى «بوتسـدام» بألمانيـا، ضـم «ترومـان»، والجنـرال الصينـى «تشـانج كاى تشـك» والزعيـم البريطانـى «تشرشـل» الـذى خسر الانتخابـات يـوم ٢٨ يوليـو أى بعـد توجيـه الإنـذار بيومـين، وخـرج مـن حكـم بريطانيـا.

كانـت «اليابـان» عـلى موعـد جديـد مـع قنبلـة نوويـة أخـرى قررهـا «ترومـان»، تنفيـذا لتهديـده الـذى ألقـاه فى خطابـه إلى الشـعب الأمريكـى، وحفـزه عـلى ذلـك أن اليابـان لم تعلـن استسـلامها فـور قنبلـة «الولـد الصغـير» عـلى هيروشـيما، وفى الثامـن مـن أغسـطس ألقـت القـوات الأمريكيـة منشـورات عـلى المـدن اليابانيـة تطالبهـم بعـدم التواجـد فى العمـل أو المصانـع، وكان ذلـك نوعـا مـن الضغـط عـلى الجيـش اليابانـى لإجبـاره عـلى الاستسـلام قبـل التفكـير فى إلقـاء قنبلـة ثانيـة، لكـن قائـد الجيـش الجنـرال «أنامـى» كان ضـد إيقـاف الحـرب، وادَّعـى أمـام اجتـماع لمجلـس الحـرب، أن أمريـكا لديهـا قنبلـة نوويـة واحـدة، وألقتهـا عـلى هيروشـيما، وبالتـالى لا داعـى للتعجـل والاستسـلام.

خـلال اجتـماع «مجلـس الحـرب اليابانـى» كانـت قاذفـة قنابـل «بـى ٢٩» واسـمها «الفنـان الكبـير» محملـة بقنبلـة ثانيـة وسُـميت بـ«الولـد السـمين» متجهـة إلى مدينـة «كوكـورا»، ودارت حولهـا ثـلاث مـرات لتلبـد السـماء بالغيـوم، وقبـل أن ينفـد الوقـود غـيرت الطائـرة مسـارها وتوجهـت إلى مدينـة «نجازاكـى»، وكانـت ميناء مهـما، وبهـا منشـآت عسـكرية وصناعيـة لصناعـة السـفن والمعـدات الحربيـة، وكان الجـو فيهـا صحـوا، فأُلقيـت القنبلـة فى السـاعة الحاديـة عـشرة صباحـا، وبعـد سـاعتين عـرف العـالم بـضرب «نجازاكـى»، وذلـك عـلى العكـس مـن قنبلـة هيروشـيما التـى أعلـن عنهـا «ترومـان» بعـد ١٦ سـاعة مـن إلقائهـا.

٨ أغسطس عام ١٩٥٦
«إيدن» : «هذا سِجِلُّ ناصر الأسود».. وعبد الناصر يعلق: «هذا ممثل رخيص»

ظهـر أنتونـى إيـدن، رئيـس وزراء بريطانيـا، عـلى شاشـات التليفزيـون ليلقـى خطابـا للبريطانيـين، يتعلـق بالأزمـة مـع مـصر بسـبب قـرار «عبدالنـاصر» بتأميـم قنـاة السـويس يـوم ٢٦ يوليـو ١٩٥٦.

جـاء ظهـور «إيـدن» فى مثـل هـذا اليـوم «٨ أغسـطس ١٩٥٦».. يقـول عبدالحميـد أبوبكـر، القائـد الثانـى للمجموعـة التـى قـادت عمليـة التأميـم، فى مذكراتـه «قنـاة السـويس والأيـام التـى هـزت الدنيـا» دار المعـارف، القاهـرة: «كان الأسـلوب الـذى اتبعـه فى الخطـاب مفاجئـا فى كلماتـه وأسـلوبه وفى المؤثـرات السـينمائية التـى اسـتعملها، لخلـق مـا يريـد مـن انطباعـات عـلى الجماهـير التـى جلسـت تسـمع وتـرى».

ظهـر «إيـدن» جالسـا وراء مكتبـه، وبـدأ حديثـه بعـرض عـام للأزمـة مـن وجهة نظـره، حتـى وصـل إلى عبـارة: «لقـد سُـئلت كثـيرا لمـاذا لا نثـق فى الكولونيـل نـاصر؟، الـرد بسـيط انظـروا إلى سـجِلّه»، وفتـح ورقـة كبـيرة ملطخـة كلهـا باللـون الأسـود.

قـال إيـدن بعـد أن فتـح الورقـة: «انظـروا إلى سـجله الأسـود، إن معركتنا ليسـت مـع مـصر، ثـم إنهـا ليسـت إطلاقـا مـع العـالم العربـى، إنـما هـى مـع الكولونيـل

ناصر، إن الكولونيل ناصر شن حملة دعائية شديدة ضد بلادنا، وقد أظهر أنه رجل لا يمكن الوثوق به للمحافظة على أى اتفاق، ولقد نكث الآن بوعود بلاده لشركة قناة السويس، وهذا نموذج نعرفه جيدا أيها الأصدقاء، إننا نعرف أن هذا هو تصرف الحكومات الفاشية، ونحن نذكر ذلك، ونذكر جيدا، ونعرف كم يكلفنا التسامح مع الفاشيست».

فى اليوم التالى وصلت نصوص خطاب «إيدن» بالكامل إلى القاهرة وتسلمها «عبدالناصر»، وبالإضافة إلى ما تمت إذاعته مع الورقة الملطخة بالسواد أصبحت الصورة كاملة أمامه.

كان عبد الناصر يوم أن وصلته نصوص خطاب «إيدن» فى أشد حالات الدهشة، وكانت حكاية الورقة الملطخة بالسواد هى ذروة بواعث الدهشة التى اعترته، وعلق قائلا: «هو يكذب على شعبه، وهذا شأنه، ولكن هل ينزل من مستوى سياسى يرأس وزارة دولة كبرى إلى مستوى ممثل رخيص يحاول التأثير على الناس بورقة سوداء، هل هذا معقول؟، وأى نفع من الكلام مع مثل هذا الرجل؟».

فى نفس اليوم الذى كان «إيدن» يوجه فيه خطابه إلى الشعب البريطانى، دعا «عبدالناصر» فى القاهرة إلى اجتماع عسكرى، نوقشت فيه كل الاحتمالات، وكان رأيه أن القوات المسلحة والمقاومة الشعبية يجب أن تكون مستعدة للحرب باعتبارها أمرا واقعا، وإذا أمكن بالعمل السياسى تفادى القتال فذلك خير، وإذا تعذر تفادى القتال فيتعين علينا أن نكون على أهبة الاستعداد له.

وفى الاجتماع تم اتخاذ قرار بالغ الأهمية، وهو سحب القوات المصرية من سيناء، لأن جبهة القتال المحتمل قد تغيرت، وكان «عبدالناصر» على اعتقاده بأن بريطانيا لا يمكن أن تسمح لنفسها بالاشتراك فى معركة عسكرية جنبًا إلى جنب مع إسرائيل، لأن ذلك من شأنه أن يدمر المصالح البريطانية فى المنطقة كلها، وفيما بعد فوجئ «عبدالناصر» بإسرائيل وبريطانيا معا فى العدوان على مصر.

٩ أغسطس عام ١٨٠٩
محمد على يعزل عمر مكرم وينفيه إلى دمياط ويُمْهله ثلاثة أيام للرحيل

نـزل «محمـد عـلى» مـن القلعـة وذهـب إلى بيـت ابنـه «إبراهيـم» فى الأزبكيـة، وأرسـل إلى «عمـر مكـرم» رسـولا مـن طرفـه، ورسـولا مـن طـرف القـاضى يسـتدعيانه للحضـور ليحتكـم وإيـاه لديهـم، فاعتـذر عمـر مكـرم بمرضـه، فـلما كان مـن «محمـد عـلى» إلا أن أمـر فى حـضرة القـاضى والشـيوخ بعزلـه مـن نقابـة الأشراف، ونفيـه مـن مـصر، وأن ينفـذ الأمـر فـورا، وقـرر تعيـين الشـيخ محمـد السـادات نقيبـا لـلأشراف.

تشـفَّع الشـيوخ عنـد «الباشـا»، وطلبـوا منـه أن يمهلـه ثلاثـة أيـام للرحيـل، فوافـق، ثـم سـألوه أن يـأذن لـه بالذهـاب إلى أسـيوط مسـقط رأسـه لتكـون مَنفًـى لـه، فرفض، فـماذا كان رد فعـل عمـر مكـرم؟

رد الفعـل يرصـده الجبرتـى فى موسـوعته «عجائـب الآثـار فى التراجـم والأخبار» الصـادر عـن «مكتبـة الأسرة، القاهـرة» بكلـمات قليلـة قالهـا « مكـرم»، وهـى: «أمـا منصـب النقابـة فإنـى راغـب عنـه زاهـد فيـه، وليـس فيـه إلا التعـب، وأمـا النفـى فهـو غايـة مطلوبـى»، وكان طلـب عمـر مكـرم بسـيطا وهـو أن يتـم نفيـه إلى جهـة لا يحكمهـا «محمـد عـلى» إذا لم يـأذن لـه بالذهـاب إلى أسـيوط مسـقط رأسـه.

اختـار عمـر مكـرم «الطـور» أو «درنـة» بطرابلـس الغـرب، لكـن «الباشـا» أصر عـلى نفيـه إلى دميـاط، فاسـتعد عمـر مكـرم للسـفر، ووكل عنـه السـيد «المحروقـى» كبـير تجـار القاهـرة، وعهـد إليـه إدارة أملاكـه ورعايـة أهـل بيتـه.

كان مثل هذا اليوم «٩ أغسطس ١٨٠٩» هو الذى شهد كل هذه التطورات فى العلاقة بين «الباشا» و«الشيخ»، والتى بدأت بقيادة عمر مكرم لثورة الشعب المصرى فى قراره باختيار محمد على حاكما لمصر فى ١٣ مايو ١٨٠٥، ومضت علاقة الاثنين بين شد وجذب، فالأول كان لديه مشروعه للنهضة وتصوراته عن أساليب الحكم التى تؤهل لتنفيذ هذا المشروع، والثانى كان زعيما شعبيا بامتياز تزداد قوته، لأنه وحسب «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»: «ترجمان الشعب الصادق ورسوله الأمين فى مراقبة ولاة الأمور ورفع المظالم عن الجمهور».

جاء قرار النفى بعد قرار محمد على عام ١٨٠٩ بفرض ضريبة المال الميرى على الأراضي الموقوفة على المساجد والسبل والخيرات، وأطيان الأوسية وكانت ملكا خاصا للملتزمين وفحص أطيان الرزق والأوقاف، وطلب حججها ممن يتولون النظر عليها، وغضب الملاك ونظار الأوقاف والمستحقون والملتزمون فقصدوا الأزهر، وتصادف ذلك مع اعتقال طالب يمتIT بصلة قرابة إلى شيخ بالأزهر وهو «حسن البقلى»، فاشتعل الغضب أكثر، واجتمع الشيوخ بقيادة عمر مكرم، واتفقوا على التوحد والاحتجاج كتابة إلى محمد على.

كان الحدث بداية لصراع عنيف بين «الشيخ» و«الباشا»، حيث استخدم الأخير كل الحيل من أجل استمالة الأول لكنه فشل، فاستمال ثلاثة كانوا فى صف «عمر مكرم» وهما الشيخان «محمد الدواخلى، ومحمد المهدى»، ومحمد أفندى طبل ناظر المهمات.

استخدم «الباشا» مناورات عديدة فيها دهاء السياسى، وبعد مناورة وراء أخرى، ونتيجة تتمثل فى صد «عمر مكرم» لكل محاولات الباشا فى الاستمالة، تفتق ذهن محمد على إلى عقد اجتماع يحضره الشيوخ والقاضى للحكم بينه وبين عمر مكرم الذى أحس أنه تدبير من الباشا سينتهى لصالحه فرفض الحضور، ليكون قرار نفيه جاهزا.

١٠ أغسطس عام ١٨٠٧
بعثة حملة «فريزر» تفاوض محمد على.. والإنجليز يكتشفون سرقة ملابسهم

أرسل الجنرال «فريزر» قائد الحملة الإنجليزية على مصر عام ١٨٠٧ بعثة للتفاوض مع «محمد على باشا»، لإخلاء سبيل أسرى معركة رشيد، فأنزل محمد على البعثة فى خيام بإمبابة فى مثل هذا اليوم «١٠ أغسطس ١٨٠٧».

ويروى الجبرتى، فى موسوعته «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار» الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة حادثا مضحكا وقع لأفراد البعثة، فعندما خلعوا ملابسهم وناموا، ثم استيقظوا فى الصباح فلم يجدوا ملابسهم، فاضطروا إلى ارتداء بعض الملابس القديمة، وكان رئيس البعثة أحضر معه هدية من «فريزر» عبارة عن قدح قهوة مرصع بالماس لـ«محمد على»، فرد «الباشا» بأربعة خيول أصيلة هدية.

فى قصة «حملة فريزر» صفحات من نضال ومقاومة المصريين لمحتل غازٍ، جاء يوم ١٣ مارس عام ١٨٠٧ بسفينة حربية إلى الإسكندرية كطليعة لأسطول قادم اكتمل وصوله يوم ١٦ مارس، وطلب «فريزر» من حاكم المدينة التركى «أمين أغا» التسليم دون قتال.

وبعد مناوشات تافهة فى يوم ٢٠ مارس، تم توقيع شروط تسليم الإسكندرية على أن ينقل الموظفون الأتراك بسفينة بريطانية إلى أحد الموانئ

التركية، أما بقية الحامية (٢٧٧ جنديًا) فيُنقلون أسرى حرب إلى مالطة، ووقَّع على الاتفاق اثنان؛ هما: الحاج محمد خطاب ابن شقيق الشيخ المسيرى والشيخ إبراهيم باشا عبد الله، وكان الثمن الذى دفعه الإنجليز فى ذلك هو ستة قتلى وثمانية جرحى.

ظن «فريزر» أن سهولة احتلاله الإسكندرية ستتكرر معه فى باقى مصر حتى وصوله إلى القاهرة، لكنه فوجئ بمقاومة عنيفة تجسدت عظمتها فى «رشيد» حيث لقى هزيمتين فيها، فعلق قائلًا: «لقد انسقت إلى الاعتقاد بأن أهل البلاد جميعهم باستثناء الأتراك والأرنؤوط، أصدقاء للإنجليز، وسوف يعاونوننا فى تحريرهم من نير الاستبداد الذى فرضه عليهم ظالموهم، ولكن بدلًا من هذا لم يتقدم رجل واحد منهم لمعاونتنا».

بلغ تعجب «فريزر» من أن النجدات التى كانت تسير من القاهرة إلى رشيد لم يتطوع أحد لإخبار الإنجليز ولا أحد عملائهم بها، حتى شيخ دسوق الذى وعد بمد الإنجليز بألف من أتباعه مسلحين لم يرسل لهم قصاصة ورق يقول لهم «احذروا فإن أهل مصر بكم محيطون».

فى الهزيمة الأولى بـ«رشيد» يوم ٣١ مارس ١٨٠٧، بلغت خسائر الإنجليز من الضباط والجنود ١٨٥ قتيلا وجرح ٣٨٢، فى مقابل ٤٠ شهيدا و١٠٠ جريح، وأسر ٤٠ إنجليزيا، أما الهزيمة الثانية فقتل فيها من ١٢٠٠ و١٤٠٠ إنجليزى.

ينقل «الجبرتى» صورة شائقة عن رءُوس قتلى الإنجليز وأسراهم الذين أرسلهم «على بك» حاكم رشيد إلى القاهرة للإعلان عن النصر، وهم من تفاوض عليهم محمد على قائلًا: «أُشيع وصول القتلى ومن معهم من الأسرى إلى بولاق فهرع الناس إلى الذهاب للفرجة وصحبتهم جماعة العسكر، وكان بينهم فسيال «ضابط» كبير وآخر كبير السن وهما راكبان على حمار والبقية مشاة فى وسط العسكر ورءُوس القتلى معهم على نبابيت وعددها ١٤ رأسًا والأحياء ٢٥، وفى يوم الاثنين وصل أيضًا جملة من الرءُوس والأسرى إلى بولاق وعددهم ١٢١ رأسا و١٣ أسيرًا وفيهم جرحى.

١١ أغسطس عام ١٩٠٤
الحكم ببطلان عقد زواج الشيخ على يوسف وصفية السادات

هى قضية زواج كان طرفها الشيخ «على يوسف» صاحب جريدة المؤيَّد، والسيدة صفية السادات، لكنها أقامت مصر وأقعدتها عام ١٩٠٤، اعَدَّها «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان الخديو عباس حلمى الثانى: «أهم حوادث العام»، وكتب عنها أحمد بهاء الدين فى كتابه «أيام لها تاريخ» الصادر عن دار الهلال، القاهرة: «قضية قسمت الرأى العام والساسة، ذلك أنها كانت صدمة عنيفة للناس فى الكثير من معتقداتهم القديمة عن الشرف والحسب والنسب»، أما الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم فيعتبرها فى كتابه «رسائل الشيخ على يوسف وصفية السادات»، الصادر فيعَدّها دار ميريت للنشر، القاهرة: «الحب الذى يُسْقط كل الحواجز الاجتماعية والمحاذير السياسية ومعايير الحسب والنسب والجاه»، فماذا عن هذه القصة؟.

خطب الشيخ «على يوسف» السيدة «صفية» ومرت أربع سنوات على الخطبة، و«السادات» يماطل فى إتمام الزواج دون سبب مفهوم، مما اضطر الاثنين لعقد قرانهما.

وكما يقول «شفيق باشا» فى مذكراته، الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة: «عُقد القران بمنزل محمد توفيق البكرى وتولى الوكالة عن الزوجة الشيخ حسن السقا»، ولأن الزواج تم بدون علم والد العروسة رفع

دعوى تفريق بينهما أمام المحكمة الشرعية لعدم أهلية «على يوسف»، ووفقا لمذكرات «شفيق باشا» تحددت جلسة لنظر القضية يوم ٢٥ يوليو ١٩٠٤ برئاسة الشيخ «أحمد أبوخطوة».

قضت المحكمة بالحيلولة بين الزوجين، وإعادة صفية إلى أبيها، وشمول الحكم بالنفاذ العاجل، على أن تواصل المحكمة نظر القضية يوم ٢٧ يوليو، فاحتجت «صفية» بعريضة أرسلتها لقاضي القضاة وناظر الحقانية تقول فيها: «لا يمكن أن أقبل تنفيذ الحكم لبلوغي سن الرشد، وأنا متزوجة من الشيخ على باختياري وكفاءتي».

لم تكتفِ صفية بالتأكيد على أن زواجها صحيحٌ، وأن الشيخ على يوسف هو كفء لها، وإنما انتقدت والدها بعنف قائلة: «طالما رد الأكَفَاء عن بناته ولم يَرْعَ حقوق الله فيهن».

اختفت صفية عن الأنظار وعرقل الاختفاء تنفيذ حكم «الحيلولة»، فردت المحكمة بعنف حيث قررت التوقف عن العمل لحين تنفيذ الحكم، مما أحدث ضجة كبيرة وأزمة عظيمة زادها قول صفية: «الموت أهون عندى من رجوعى لمنزل أبى، فهو إن غضب لا يبالى بما يفعل»، وفيما كان يحدث ذلك كان الشيخ أحمد أبو خطوة يصمم على تنفيذ الحكم الذى قضى به.

وحسب كتاب «أيام لها تاريخ» لـ«أحمد بهاء الدين»، طلب الخديو عباس حلمى الثانى ملف القضية، وجرى تباحث حولها مع وزارة الخارجية البريطانية، واتفق على حل وسط بأن تقيم «صفية» فى بيت الشيخ «عبد القادر الرافعى» ويعد ذلك تنفيذا لحكم الحيلولة حتى يتم البت النهائى فى القضية.

واصلت المحكمة جلساتها وكانت المرافعات نموذجا فى التجريح المتبادل، فبينما تحدث محامى «السادات» عن عراقة بيت موكله فى مقابل حقارة ووضاعة أصل «على يوسف»، رد محامى الأخير: «عبد الخالق السادات جده المباشر من نسل إحدى الجوارى اللاتى لا يعرف لهن أصل».

وفى مثل هذا اليوم «١١ أغسطس ١٩٠٤»، قضت المحكمة ببطلان عقد الزواج للفارق بين نسب ومنزلة الشيخ على يوسف والشيخ عبد الخالق السادات، ولم تهدأ المسألة إلا باسترضاء «على يوسف» لـ«حماه» وقبول عقد الزواج.

١٢ أغسطس عام ١٨٠٩
عمر مكرم يغادر القاهرة إلى منفاه وشيوخ «المؤامرة» يطلبون المقابل

حـل اليـوم الـذى سـيرحل فيـه عمـر مكـرم مـن القاهـرة إلى دميـاط تنفيـذا لقـرار «محمـد عـلى باشـا» بنفيـه.

كان الرحيـل فى مثـل هـذا اليـوم «١٢ أغسـطس ١٨٠٩»، ويصـف «الجبرتـى» مشـهد الرحيـل قائـلًا: «اجتمـع المودعـون للسـيد عمـر، ثـم حـضر محمـد كتخـداى الألفـى الـذى عُهـد إليـه اصطحابـه إلى المنفـى، وعنـد وصولـه قـام السـيد عمـر وركـب فى الحـال وخـرج بصحبتـه، وشـيعه الكثـيرون مـن المتعممـين وغيرهـم وهـم يتباكـون حولـه حزنـا عـلى فراقـه، واغتـم النـاس لسـفره وخروجـه مـن مـصر لأنـه كان ركنـا وملجـأ ومقصـدا للنـاس لتعصبـه لنـصرة الحـق، فسـار إلى بـولاق، ونـزل فى المركـب، فسـافر مـن ليلتـه بأتباعـه وخدمـه الذيـن يحتـاج إليهـم إلى دميـاط».

لم يكـن رحيـل «عمـر مكـرم» إلى المنفـى هـو نهايـة هـذا الفصـل الدرامـى فى مؤامـرة نفـى «الشـيخ الثائـر»، حيـث ذهـب «شـيوخ المؤامـرة» إلى «الباشـا» ليتقاضـوا الثمـن، كـما بـدأُوا حربـا منظمـة لتشـويه «عمـر مكـرم» ليكـون لديهـم حجـة يواجهـون بهـا النـاس.

يقـول «الجبرتـى» الـذى عـاصر هـذا الحـدث، إن الشـيخ «محمـد المهـدى» أحـد المتآمريـن ذهـب إلى «محمـد عـلى» صبيحـة سـفر «عمـر مكـرم» يطلـب منـه الوظائـف التـى كان يشـغلها «عمـر»، فأنعـم عليـه «الباشـا» بنظـر أوقـاف الإمـام الشـافعى ووقـف «سـنان باشـا» ببـولاق، وطلـب مـا كان منكسـرا لـه مـن راتبـه مـن الغـلال نقـدا أو عينـا مـدة أربـع سـنوات، فأمـر «محمـد عـلى» بدفعهـا إليـه نقـدا مـن خزانـة الحكومـة وقدرهـا ٢٥ كيسـا، وذلـك كـما يقـول الجبرتـى: «نظـير اجتهـاده فى خيانـة السـيد عمـر».

أمـا عـن مسـألة تشـويه السـمعة فتمثلـت فى أغـرب فعـل لجـأ إليـه الشـيوخ، حيـث قامـوا وفقـا لكتـاب «عـصر محمـد عـلى» لـ«عبدالرحمـن الرافعـى» بكتابـة عريضـة اعتزمـوا إرسـالها إلى الآسـتانة يـبررون فيهـا عـزل عمـر مكـرم مـن نقابـة الأشراف، فنسـبوا إليـه إدخالـه فى دفـتر الأشراف أسـماء أشـخاص ممـن أسـلموا من الأقبـاط واليهـود، وأنـه قبـض مـن محمـد بـك الألفـى مـالاً ليمكّنـه مـن حكـم مصر وقـت قيـام الجمهـور ضـد «خورشـيد باشـا»، وتواطـأ مـع الأمـراء المماليـك حـين شرعـوا فى مهاجمـة القاهـرة يـوم الاحتفـال بـ«وفـاء النيـل» عـام ١٨٠٥، وأنـه أراد أخـيرا إحـداث فتنـة ليخلـع «محمـد عـلى» ويـولّى خلافـه.

وحتـى يعطـى مدبـرو هـذه الفكـرة مصداقيـة لمـا يسـعون إليـه، طافـوا بالبيـان عـلى زملائهـم ليوقعـوا عليـه، فامتنـع الكثـير منهـم وقالـوا: «هـذا كلام لا أصـل لـه»، وبعـد مشـادات خففـوا مـا كتبـوه أمـلا فى الحصـول عـلى التوقيعـات المطلوبة، لكنهـم لم ينجحـوا فى مسـعاهم.

كان مـن أبـرز الرافضـين للتوقيـع الشـيخ «أحمـد الطحطـاوى» مفتـى الحنفيـة، فسـخط الشـيوخ عليـه وهـددوه بعزلـه مـن منصبـه، لكنـه لم يعبـأ وتـم عزلـه بالفعـل وولـوا بـدلا منـه الشـيخ حسـين المنصـورى، ويقـول الجبرتـى: «استـمر السـيد الطحطـاوى يقبّـح عمـل الشـيوخ، واعتزلهـم واعتكـف فى داره، وهـم يبالغـون فى ذمّـه والحـط منـه لكونـه لم يوافقهـم عـلى شـهادة الـزور، فـكان عملـه حجـة بالغـة عـلى نفـاق الشـيوخ وريائهـم».

١٣ أغسطس عام ١٨٨٢

«عرابى» يواجه «توفيق» بمنشور يطالب المصريين بالتطوع

بلغت المواجهات أشدها بين الخديو «توفيق» و«أحمد عرابى»، فبينما كان «توفيق» يُصْدر أوامره، كان «عرابى» يصدر عكسها، وكان الموقف من الإنجليز هو الفيصل فى هذا الصراع.

فى يومَىْ «٨ أغسطس ١٨٨٢» ومثل هذا اليوم «١٣» كانت هناك معركة من نوع خاص بين الاثنين، كان يوم «٨» هو يوم «توفيق»، أما يوم «١٣» فكان يوم «عرابى» اللذين يروى قصتهما بالتفصيل فى مذكراته.

كان المصريون يوم «٨ أغسطس» على موعد مع منشور لـ«الخديو»، قال فيه: «إن عرابى باشا ارتكب آثاما فظيعة جلبت خسائر لا وصف لها على مصر وأهلها، وجعلت الدول الأوروبية ناقمة عليها، فإنها باتت الآن تعتبر المصريين أمة غير متمدينة»، وأضاف: «عرابى تجاوز الحدود بعصيانه بما يفوق الوصف، فقد استولى على أموال الضرائب، وعزل كثيرين من موظفى الحكومة واستبدل بهم غيرهم».

وألقى «الخديو» بتهديده قائلا: «أصدرنا هذا المنشور معلنين فيه أن كل شخص يعرف عنه أنه ذو ضلع مع عرابى وميل إليه عددناه عاصيا مستحقا لجزاء العصيان، ورحمة بمصر وأهلها نستأنف الآن إعلاننا للمصريين عموما والجند خصوصا أن كل من أصر على عصيانه وانقياده إلى عرابى كان مذنبا أمام الله غير مقبول العذر لدينا، فنجرده مع ولده وذويه من جميع الرتب

والرواتـب، ومعينـات التقاعـد وسـائر الامتيـازات التـى كان متمتعـا بها»-حكـم جائـر استبدادى لأن الله سـبحانه تعـالى يقـول: «لا تُضـارَّ والـدة بولدهـا ولا مولـود لـه بولـده»؛ ولكنـه اغـتر بقـوة الإنجليـز- «وليعلـم المصريـون أنـه إذا أدى للعـاصى عرابـى أو لأتباعـه أمـوال الضرائـب كانـت تأديتـه للـمال غـير محسـوبة لدينـا، بـل إننـا نطالبـه بهـا يـوم تنقشـع عـن سـماء مـصر غيـوم النكبـات العرابيـة».

يـروى «عرابى»-نقـلا عـن كتـاب «مـصر للمصريـين» لـ«سـليم لنقـاش»، أنـه بعـد أن أصـدر الخديـو هـذا المنشـور بعـث إلى أركان حـرب الإنجليـز بكتابـه يهنئهـم فيـه عـلى نجاحهـم فى الوقائـع الأخـيرة.

كان مثـل هـذا اليـوم «١٣ أغسـطس» هـو يـوم «عرابـى»، حيـث رد عـلى «الخديـو» بمنشـور يحمـل تصميمـه عـلى اسـتخدام سـلطاته التـى تسـتوجب- وطنيـا- مواجهـة الإنجليـز فى مخططهـم لاحتـلال مـصر.

وجَّـه «عرابـى» منشـوره إلى رؤسـاء الجيـش فى المراكـز الحربيـة وللمديريـات وجميـع فـروع الحكومـة، وطالـب فيـه بإعـداد القـوة لقتـال الأمـة الإنجليزيـة، وقـال: «ممـا وجـب إعـداده لذلـك هـو زيـادة الجنـد إلى ٢٥ ألـف عسـكرى»، وأضـاف: «حيـث إن خفـراء البـلاد المرتبـين مـن الأهـالى هـم بالطبـع أكثـر مـن غيرهـم تعـودا وتمرنـا عـلى حمـل السـلاح والحـركات الدفاعيـة، وأشـد قـوة وبأسـا، وأثبـت جأشـا لـدى المقاومـات العدائيـة، وقـد يتيـسر جمـع هـذا العـدد مـن هـؤلاء الخفـراء وحشـده مـع الجيـش فى زمـن وجيـز وبحالـة أقـرب وأسـهل ممـا لـو جمـع مـن غيرهـم بالقرعـة العسـكرية».

منشـور «عرابـى» وعـد بـأن مـن يلبـى دعوتـه مـن المواطنـين سـيتم إعفاؤهـم مـن الخدمـات العسـكرية بعـد انتهـاء الحـرب بالنـصر، أمـا الخفـراء فسـيتم تعيينهـم فى محـلات دركات أسـلافهم فى الحـال.

١٤ أغسطس عام ١٩٩٤
القبض على «كارلوس» فى السودان

«أنـا أرشـيف حـى ،ومعظـم النـاس مـن مجايـلى قـد رحلـوا ،سـأواصل النضال، ،أنـا شـهيد حى».

هكـذا تحـدث « كارلـوس» الملقّـب بـ« ابـن آوى» أو «الثعلـب» فى واحـدة مـن جلسـات محاكمتـه أمـام القضـاء الفرنسـى بعـد القبـض عليـه فى العاصمـة السـودانية « الخرطـوم »، فى عمليـة مخابراتيـة معقـدة بـين فرنسـا والسـودان فى مثـل هـذا اليـوم « ١٤ أغسـطس ١٩٩٤ » .

فى تعبـيره:« أنـا أرشـيف حـى »حقيقـة مطلقـة عـما يعرفـه حـول دوره فى القضيـة الفلسـطينية منـذ انضمامـه إلى صفـوف الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، عـلى أثـر تعرفـه بزعيمهـا جـورج حبـش فى نهايـة السـتينيات مـن القـرن الماضى ،ومـن خلالها نفـذ وخطـط لعمليـات شـهيرة فى اختطـاف الطائـرات وقتـل إسرائيليـين ، وتبقـى عمليتـه الأشـهر هـى اقتحـام مقـر منظمـة « الأوبـك « أثنـاء اجتـماع وزرائهـا فى العاصمـة النمسـاوية «ڤيينـا» فى ديسـمبر ١٩٧٥ ، واختطافـه لــ ١١ وزيـرا وآخريـن مشـاركين فى الاجتـماع ، وشـحنهم فى طائـرة توجهـت إلى الجزائر،واسـتقبله فى مطارهـا وزيـر الخارجيـة وقتـذ والرئيـس فيـما بعـد عبـد العزيـز بوتفليقـة .

و شـهدت «العمليـة» مفاوضـات بينـه وبـين وزيـر النفـط السـعودى أحمـد عبـده يمانـى، وتـلا «كارلـوس» خلالهـا بيـان « درع الثـورة العربيـة» ، وانتهـت العمليـة بالإفـراج عـن الرهائـن ، وقيـل أن المقابـل كان بـين ٢٠ و٥٠ مليـون دولار ، وفى

شرحـه التفصيـلى لهـا للكاتـب الصحفـى اللبنانـى غسـان شربـل فى كتابـه « أسرار الصنـدوق الأسـود » أكـد عـلى أن هـذه الأمـوال لم تصـل عـلى الرغـم مما قيـل عـن دفعهـا .

هـو فنزويـلى الأصـل وابـن لمحامـى ،وكانـت عائلتـه ثريـة لكنـه اعتنـق الفكـر الماركسـى ، والتحـق عـام ١٩٦٨ بجامعـة « لومومبـا » فى موسـكو لدراسـة الفيزيـاء والكيميـاء ، وتعلـم نحـو سـت لغـات هـى ،الإنجليزيـة والأسـبانية والإيطاليـة والروسـية والعربيـة والأرمنيـة ، وتعـرف أثنـاء دراسـته فى موسـكو إلى شـاب جزائـرى ثـورى هـو « محمـد بوديـة » المناضـل فى صفـوف الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين،، فتحـول إلى القضيـة الفلسـطينية ، وحـين اغتالـت إسرائيـل « بوديـة » فى ٢٨ يونيـه عـام ١٩٧٣ ، أخـذ عهـدا عـلى نفسـه بـضرب الأهـداف الصهيونيـة واليهوديـة الداعمـة لإسرائيـل فى أوروبـا ، فاختطـف طائـرة فرنسـية كان إسرائيليون عـلى متنهـا ووجَّههـا الى مطـار « عنتيبـى « في» أوغنـدا « عـام ١٩٧٦، وبعـد أسـبوع منهـا اقتحـم نفـس المطـار واسـتهدف طائـرة العـال الإسرائيليـة ، وحـاول اغتيـال نائـب رئيـس الاتحـاد الصهيونـى البريطانـى فى لنـدن.

سـيرة « كارلـوس » هـى سـيرة للعـالم فى مرحلتـين ، فأثنـاء مرحلـة الحـرب البـاردة التـى سـادت العـالم منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة وحتـى نهايـة الثمانينيـات مـن القـرن المـاضى كان فى حمايـة الأنظمـة اليسـارية فى العـالم كلـه ، ومناضـلا فى صفـوف الثـورة الفلسـطينية ، ويرتبـط بعلاقـات متفاوتـة مـع رؤسـاء عـرب مثـل الليبـى « معمـر القـذافي» والسـورى «حافـظ الأسـد»،وقيادات « اليمـن الجنوبـى »قبـل توحـد اليمن،بالإضافـة الى معظـم الـدول الاشـتراكية فى أوروبـا ،أمـا بعـد زوال الاتحـاد السـوفيتى فأصبـح «إرهابيـا » مطلـوب القبـض عليـه ومحاكمتـه ،ولهـذا ظـل متخفيـا ومُطـارَدًا ،حتـى حـط بـه الرحـال فى السـودان وفيهـا تـم القبـض عليـه وتسـليمه الى فرنسـا لمحاكمتـه ، ويقـال أن ذلـك تـم باتفـاق مـع حسـن الترابـى .

١٥ أغسطس عام ١٧٩٨
«بونابرت» يؤكد لـ«شريف مكة» حفاظه على الأموال المخصصة من مصر للحرمين الشريفين

بعد أن قدِم «نابليون بونابرت» على رأس حملته الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨، أصبح له مع الإسلام حكايات كثيرة، منها، سعيه لأن يمنحه الشيوخ شرعية إسلامية، وحاول إقناع أئمة المساجد بالدعاء له فى صلاة الجمعة.

المدهش أن هذا الإلحاح من « نابليون» قابله تفكير غريب من الشيوخ، حيث أغرتهم بدعوته للدخول إلى الإسلام، وتحدث معه الشيخ الشرقاوى حول ذلك، لكن «بونابرت» تعلل بأن هناك عقبتين تحولان دون دخوله وجنوده إلى الإسلام، الأولى «الختان» والثانية «الخمر».

تواصلت جهود «بونابرت» فى هذا المجال، فكتب فى مثل هذا اليوم «١٥ أغسطس ١٧٩٨» إلى شريف مكة «غالب بن مسعد الهاشمى» يعلنه بوصوله إلى القاهرة، ويُعْلمه بالإجراءات التى اتخذها للحفاظ على الأموال المخصصة للحرمين الشريفين فى مكة والمدينة.

وتأتى هذه القصة تفصيلا فى كتاب «مصر تحت حكم بونابرت» للمؤرخ الأمريكى «خوان كول»، ويقول فيها، إن شيوخ الأزهر أطلعوا بونابرت على ما بمصر من أراضٍ زراعية يوقف دخلها من المحاصيل على الإنفاق على الحرمين، ويضيف «كولن»: لم يفُتْ بونابرت أن يشير فى خطابه إلى «شريف

مكـة» أنـه يبسـط حمايتـه عـلى الأئمـة والأشراف والفقهـاء جميعهـم، كـما أبلغـه بقـراره تعيـين مصطفـى بـك، وهـو نائـب الـوالى العثمانـى، أمـيرا للحـج، ووعـد بتزويـد الحجيـج بالقـوات اللازمـة لحمايتهـم مـن غـارات البـدو، وعـرض جنـودا مـن الفرنسـيين أو المصريـين يشـاركون فى تلـك القـوات.

لاقـى هـذا الخطـاب ترحيبـا مـن «شريـف مكـة» ليـس بقناعـة أن «بونابـرت» يخدم الإسـلام، ولكـن لأسـباب خاصـة بـه هـو، ويقـول «كولـن»: إن غالـب كان مشـغولا بمواجهـة تحديـات الوهابيـين مـن نجـد، كـما رأى أن العثمانيـين لم يتقدمـوا لمسـاندته فى صراعــه معهـم، لذلـك أبـدى اسـتعدادا لإقامـة علاقـات طيبـة مـع الفرنسـيين، خصوصـا أن اقتصـاد الحجـاز فى غـرب شـبه الجزيـرة العربيـة، حيـث «الحرمـين الشريفـين»، يعتمـد عـلى مـصر اعتـمادا كبـيرا لمـا تـدره محاصيـل الأوقاف، وللعلاقـات التجاريـة التـى تواكـب وصـول قوافـل الحجيـج منهـا، فضـلا عـن تجـارة البُـنّ، ويسـتخلص «كولـن» مـن ذلـك، أن بونابـرت اتخـذ موقـف حامـى حمـى هـذا الإقليـم بضـمان اقتصـاده، وبالتـالى صـار الداعـم الرئيـس لفريضـة الحـج.

كان تعيـين «أمـير الحـج» مـن قِبـل بونابـرت بمثابـة سـعى منـه للحصـول عـلى الشرعيـة الإسـلامية الرسـمية، ويـروى «كولـن» أن بونابـرت طلـب مـن شـيوخ الأزهـر كتابـة خطـاب إلى «شريـف مكـة» بهـذه المناسـبة.

كان الخطـاب عجيبـا، وقمـة فى دهـاء « بونابـرت»، وسـذاجة الشـيوخ، حيـث كتـب الشـيوخ عـلى لسـانهم أنهـم تلقـوا تأكيـدات مـن «بونابـرت» باعترافـه بوحدانيـة الله، وتوقـير الفرنسـيين للرسـول والقـرآن، وأنهـم يعـدون الإسـلام أفضـل الأديـان، ومـما يثبـت حبهـم للإسـلام أنهـم حـرروا المسـلمين الأسرى فى مالطـة، وأنهـم دمـروا الكنائـس وكسروا الصلبـان فى مدينـة البندقية، وأنهـم طاردوا البابـا الـذى يصـدر أوامـره للمسـيحيين بقتـل المسـلمين، ويعـد ذلـك واجبـا يمليـه الديـن، وأرسـل بونابـرت نسـخة مـن هـذا الخطـاب إلى «كليـبر» لطباعـة سـتمائة نسـخة منـه، ويرسـل أربعمائـة منهـا إلى شـبه جزيـرة العـرب.

١٦ أغسطس عام ١٩٦٦
امرأة تقود الطيار العراقى «منير روفا» للهروب بـ«ميج ٢١» إلى إسرائيل

جلس قائد سلاح الطيران الإسرائيلى «عازرا وايزمان» الذى أصبح رئيسا لإسرائيل فيما بعد، فى مواجهة رئيس جهاز الموساد «مائير عميت».

قال «وايزمان» لـ«عميت»: «أحضر لى طائرة ميج ٢١»، فدارت عجلة العملية «٠٠٧» التى زلزلت المنطقة عام ١٩٦٦، ووصفتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» بقولها: «غيرت وجه الشرق الأوسط».

هى قصة انتهت بحصول «إسرائيل» على طائرة «الميج ٢١» السوفيتية الصنع فى مثل هذا اليوم «١٦ أغسطس ١٩٦٦»، وكانت الأقوى عالميا وقتئذ فى مجال الطائرات الحربية، وبدأت خيوطها عندما علمت إسرائيل بأن مصر لديها منها «٣٤ طائرة» وسوريا «١٨» والعراق «١٠»، ووضعت خطتها للحصول عليها وتسليمها لأمريكا لمعرفة أسرارها، وطبقا لكتاب «سنوات الانفجار»، الأهرام، القاهرة، لمحمد حسنين هيكل، فإن جهاز الموساد وضع قوائم دقيقة بأسماء طيارى «الميج ٢١» فى أسلحة الطيران العربية التى حصلت على الطائرة وهى مصر وسوريا والعراق، ثم درستها وجمعت التحريات لتنتهى إلى التركيز على طيار عراقى برتبة رائد اسمه «منير روفا»، ورأى «الموساد» أن الفرصة مواتية إذا تم التركيز عليه باستخدام الأساليب المناسبة.

فى عـام ٢٠١٠ ، كشـف فيلـم إسرائيـلى وثائقـى عـن قصـة تجنيـد لـ«منـير روفـا» ابـن مدينـة الموصـل، ويحتـوى عـلى كيفيـة اسـتثمار نقـاط ضعفـه، حيـث كان محبَطًـا نتيجـة عـدم ترقيتـه، بالإضافـة إلى ضعفـه مـن ناحيـة النسـاء، وبتضافـر العمليتـين دارت عجلـة التجنيـد.

يـروى «هيـكل» القصـة مشـيرا إلى أن امـرأة ظهـرت فى بغـداد عـلى درجـة مـن الجـمال جـرى الترتيـب أن تلتقـى «مصادفـة» بـ«روفـا»، ثـم تدخـل معـه فى مغامـرة عاطفيـة لتصـل إلى قلبـه، ثـم رتبـت رحلـة معـه إلى أوروبـا، وهنـاك عـلى نحـو مـا أقنعتـه، وسـافر معهـا إلى إسرائيـل بتصريـح مؤقـت لا يظهـر لـه أثـر فى جواز سـفره سرا، وفيهـا التقـى بعميلـين للموسـاد، وعـدد مـن قـادة سـلاح الطـيران الإسرائيـلى بينهـم الجنـرال «هـود» الـذى أصبـح قائـدا للسـلاح فيـما بعـد.

شـارك الجميـع فى وضـع خطـة هروبـه بالطائـرة مـن العـراق إلى إسرائيـل التـى زار فيهـا المنطقـة التـى سيهبط فيهـا، وتـم تصويـره دون علمـه لاسـتخدام الصـورة كوسـيلة ضغـط عليـه فى حـال تراجعـه.

قبـل التنفيـذ «بنحـو شـهر خرجـت أسرتـه مـن العـراق»، وفى يـوم «١٦ أغسـطس ١٩٦٦» قـاد الطائـرة فى إطـار طلعـة تدريبيـة، ثـم نـاور وابتعـد، واندفـع بأقـصى سرعـة عَـبْر الصحـراء وعـبر الأردن ليدخـل إلى الأجـواء الإسرائيليـة.

فى إسرائيـل كانـت تنتظـره طائـرات حراسـة، وتبـادل الجميـع إشـارات التعارف المتفـق عليهـا فى مطـار عتليت العسـكرى.

جـرى فحـص الطائـرة الميـج ٢١ بـكل جهـاز ومسـمار فيهـا، وجـرى اختبارهـا عـلى الأرض والجـو حتـى أصبحـت كتابـا مفتوحـا، وسـلمتها إسرائيـل إلى أمريـكا بعـد الحصـول عليهـا بشـهر، وحصلـت فى المقابـل عـلى طائـرات فانتـوم متطـورة، واسـهم ذلـك فى تدمـير العديـد مـن «الميـج ٢١» التـى بحـوزة الجيـوش العربيـة فى نكسـة ٥ يونيـه ١٩٦٧.

١٧ أغسطس عام ١٩٨٧

انتحار «ردولف هِسْ» ابن زُفْتى محافظة الغربية ونائب هتلر

«وهب هتلر نفسه لألمانيا، وفى سبيلها عاش ومات، لقد كانت له مثالياته، تحدى العالم أجمع ولم يستسلم، قاتل حتى الرمق الأخير، لقد وهبت نفسى لأكبر شمس فى العالم، أفلا يحق لى أن أفخر بزعيمى».

هكذا جاءت تلك الكلمات فى كتاب «كفاحى.. يوميات النصر والهزيمة» دار نون، القاهرة الذى يحتوى على مذكرات «هتلر»، وقالها رودلف هس، نائب هتلر فى الحزب النازى، وثالث قائد لألمانيا فى زمن الزعيم النازى.

هذا اليقين الذى يتحدث به «هس» عن «هتلر» له علاقة ما بمصر، فقصته قبل انتحاره فى مثل هذا اليوم «١٧ أغسطس ١٩٨٧» فى سجنه ببرلين الغربية تبدأ فى مدينة «زفتى»، محافظة الغربية، حيث ولد فيها يوم ٢٦ أبريل عام ١٨٩٤.

كان والده من المغامرين الألمان الذين جاءوا مع الاحتلال الإنجليزى لمصر، واستوطن فى مدينة زفتى، وامتلك فيها ڤيلا لسكنه الخاص، وورشة تصنيع وتصليح الآلات الزراعية، ومعدات لمحالج الأقطان على مساحة فدانين فى قلب «زفتى»، وكان يمتلك محلجًا للقطن ووابورين للطحين، بالإضافة إلى ٩٣ فدانًا من أجود الأراضى الزراعية فى قرية «كفر جنيدى».

وفى مجلس مدينة زفتى توجد وثيقتان عن جانب من ثروة الرجل فى تلك الأيام، الأولى لطلب رسمى يحمل رقم «٧١- ٣٤٤٢» عام ١٩٠١، تقدم به للحصول على ترخيص بإقامة سور حول الأرض التى أقام عليها ورشة، وتأشيرة برفضه، والثانية لخريطة مساحية قديمة يرجع تاريخها إلى عام ١٩١٧، مرسومة بخط اليد، وفيها الأرض التى أقام عليها ورشته.

سافر «رودلف» إلى سويسرا لدراسة إدارة الأعمال، وعاد إلى زفتى عام ١٩١٢ ليقضى فيها إجازة الصيف مع والديه، وفى الحرب العالمية الأولى تطوع فى الجيش الألمانى، وأصبح جندى مشاة، ثم انتقل للخدمة بالقوات الجوية الإمبراطورية كملازم.

فى عام ١٩١٤ كان والده ووالدته فى زيارة إلى ألمانيا، وتعذرت عودتهما إلى مصر لنشوب الحرب العالمية الأولى، فصادر الاحتلال الإنجليزى لمصر أملاكهما، ولما عادا مرة ثانية عام ١٩٢٥ استطاع الوالد رد هذه الممتلكات، لكنها تركت لدى الابن «رودلف» مرارة، فوصف الإنجليز بالقراصنة لاعتدائهم على أملاك والده فى «زفتى»، وأثر ذلك على أفكاره فى العداء لبريطانيا، فوجد ضالته فى أفكار «هتلر» التى تجلت فى كتاب «كفاحى» الذى كان يمليه على «رودلف» وهما فى السجن.

حين نشبت الحرب العالمية الثانية وفى أسبوعها الأول استدعى رودلف هس صديقه المصرى كمال الدين جلال، وحمله رسالة إلى رئيس وزراء مصر على ماهر قائلا لـ«جلال»: «أنت تعرف أننى ولدت عندكم فى مصر، وأنا أحب مصر والمصريين، فقد عشت فى بلادكم أيام طفولتى، وأريدك أن تتصل بسفيركم فى بروكسل لينقل إلى القاهرة أملى أن تسهل الحكومة المصرية سفر والدى ووالدتى، وكذلك بعض الألمان الذين احتجزتهم الحرب ليعودوا إلى بلادهم».

وبالفعل سهلت الحكومة سفر الخواجة «هس» إلى ألمانيا بعد أن باع أملاكه للأسطى إبراهيم الفخرانى، رئيس العمال فى ورشته.

١٨ أغسطس عام ١٧٩٨

بونابرت يحتفل بعيد «وفاء النيل» والعمال يلقون «المخطوبة» فى النيل

أشرقت الشمس على القاهرة فى مثل هذا اليوم «١٨ أغسطس ١٧٩٨» وقد اتخذ نابليون بونابرت مجلسه على منصة مقامة فى كشك عند ملتقى النيل بالخليج، ليشرف على أول احتفالات بعيد «وفاء النيل» بعد قدومه على رأس حملته الفرنسية إلى مصر.

رأى «نابليون» أن مشاركته فى الاحتفال بـ«عيد» سيعطيه شرعية ويعزز من موقعه كحاكم موالٍ ليس للإسلام وفقط، وإنما لكل عادات المصريين، ومنها الاحتفال بهذا النوع من الأعياد غير الإسلامية لكنها مصرية خالصة، وفى كتابه «بونابرت فى مصر» مكتبة الأسرة، القاهرة لـ«ج. كرستوفر هرولد» يقول: «إن بونابرت جلس بجواره قادته فى ثيابهم العسكرية واختلط بهم أعضاء ديوان القاهرة وغيرهم من أعيان المسلمين فى عمائمهم البهية، ولحاهم الكبيرة، وقفاطينهم ذات الأهداب المصنوعة من الفرو التى تنبئ بمكانتهم، ولا يكاد المرء يصدق أن المسلمين أو الفرنسيين كانوا يطيقون لبس هذه الثياب تحت شمس أغسطس المصرية».

وينقل «هرولد» عن «الجبرتى»، أن «بونابرت» دعا أهل القاهرة للخروج إلى المتنزهات على ضفتى النهر وفى جزيرة الروضة كما اعتادوا، لكن كثيرا

مـن أهـل القاهـرة تلقـوا الدعـوة بمشـاعر اختلـط فيهـا الغضـب بالكآبـة، فهنـاك الضرائـب الجديـدة التـى نشـط جامعوهـا فى جمعهـا، وهنـاك أيضًـا نهـب الـدُّور، وملاحقـة النسـاء والجـوارى بـل اختطـاف بعضهـن والـزج بهـن فى السـجون.

فى كتابـه «مـصر تحـت حكـم بونابـرت» المجلس الأعـلى للثقافـة، القاهـرة، يسـتفيض المـؤرخ الأمريكـى «خـوان كـول» فى ذكـر تفاصيـل هـذا اليـوم قائـلًا: إن الفرنسـيين حرصـوا عـلى حشـد أكـبر عـدد مـن النـاس فى المتنزهـات وعـلى صفحـة النيـل، ولعبـت الفـرق الفرنسية والمصريـة مقطوعـات موسـيقية، ويضيف، أنـه حـين أعطـى «بونابـرت» إشـارة لإزالـة «جـسر السـد» تدفقـت الميـاه فى تيـار قـوى إلى القنـاة، وألقـى النسـاء والرجـال والأطفـال بأنفسـهم فى النيـل، كـما ألقـوا خصـلات مـن ذؤابـات الخيـل وخـرَق مـن قـماش، وغـير ذلـك مـن القرابـين لينعـم الله عـلى نسـائهم بالخصوبـة أو ليحفـظ عليهـن جمالهـن، وانطلـق طائفـة مـن الراقصـات برقصـات خليعـة عـلى طـول القنـاة، وألقـى «بونابـرت» كميـات كبـيرة مـن العمـلات الصغـيرة بـين النـاس، وألقـى قطعـا مـن الذهـب عـلى سـطح القـوارب المـارة، ومنـح شـيخ الأزهـر كسـوة سـوداء، ومنـح شـيخ الأشراف كسـوة بيضـاء، ووزع القفاطـين عـلى كبـار الضبـاط الفرنسـيين تكريـما لهـم.

حمـل العـمال تمثـالا صغـيرا مـن الطـين لامـرأة ويدعـى «المخطوبـة» وألقـوه فى النيـل، وذلـك امتـدادا لعـادة فرعونيـة قديمـة، وبعدهـا انسـحب الموكـب الرسـمى فتبعـه النـاس وهـم ينشـدون المدائـح النبويـة، ويزعـم «ديـز فرنـواه» أن النـاس هتفـوا باسـم القائـد الأعـلى «بونابـرت» ووصفـوه بأنـه «مُرسَـل» إليهـم مـن قبـل الرسـول لأنـه أحـرز انتصـارا وسـيطر عـلى أجمـل أنهـار العـالم.

يسـجل «الجبرتـى» أنـه لاحـظ عـزوف العائـلات عـن ركـوب القـوارب فى القنـوات فى تلـك الليلـة، مثلـما اعتـادوا مـن قبـل عـدا المسـيحيين والسـوريين والأقبـاط والأوروبيـين وزوجاتهـم، ويضيـف أن مسـلمى القاهـرة عـدا قلـة مـن المتعطلـين لم يشـاركوا فى الاحتفـالات الرسـمية، لكـن الفرنسـيين لم يسـتطيعوا التمييـز بـين الأقبـاط والمسـيحيين السـوريين والمسـلمين.

١٩ أغسطس عام ١٩٦٧
«عامر» يقرر الذهاب للجبهة لإعادته لقيادة الجيش

قال جمال عبدالناصر للمشير عبدالحكيم عامر: «أريدك أن تفكر مرة أخرى على مهل، فالبلد ليس ملكا لجمال عبدالناصر ولا لعبدالحكيم عامر، ويكفي ما جرى، وليس هناك داعٍ لأن نجعل أنفسنا «فُرْجة» أمام الناس».

كانت الكلمات السابقة ختاما لمقابلة بين «الصديقين» فى منزل «عامر» فى الأسبوع الثانى من شهر أغسطس عام ١٩٦٧، ويأتى بها محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الانفجار».

جاءت المقابلة بعد لقاء جمع «عبدالناصر» بالفريق «عبدالمنعم رياض» رئيس أركان حرب القوات المسلحة، قال «رياض» فيها: إن بيت «المشير» فى الجيزة أصبح مشكلة صعبة، لأن فيه ضباطا محالين للاستيداع ومطلوبين للتحقيق يحيطون بـ«المشير»، وهم يقومون بعملية شوشرة كبيرة تؤثر على الضبط والربط فى القوات المسلحة.

على أثر شكوى «رياض» قرر «عبدالناصر» زيارة «عامر» فى بيته للحديث إليه، وعلى الرغم من معارضة البعض للفكرة لوجود عناصر فى البيت لا يضمن أحد تصرفاتها، فإن عبدالناصر نفذها، ودار بينه وبين «عامر» حوار، لكن مجريات الأحداث كانت تجاوزته حسب تعبير «هيكل»، وكان «عامر» فى وضع لم يعد يسمح له بأى نصيحة.

فى «مذكراتى فى السياسة والثقافة» دار الهلال، القاهرة، للدكتور «ثروت عكاشة» وزير الثقافة فى زمن عبدالناصر، والمقرب من «عامر»، يتحدث عن هذه المقابلة بالتفصيل قائلا: إن «ناصر» قال لـ«عامر»: حذرتك من المصير الذى سوف ينتهى إليه البلد إذا بقينا على تلك الحال، ثم ما هذا الذى فعلته أنت و«شمس بدران» من إثارة الضباط ليتجمهروا ويتجمعوا؟ وهل مثل هذا الذى تفعلان لخير البلد أم لشقها؟ لقد عجبت من عريضة ممهورة بإمضائهم يطلبون بها عودتك و«شمس»، وكأنكم تريدون منى توفيقًا آخر (يعنى الخديو توفيق وموقفه من الضباط بقيادة عرابى).

تصاعدت المسألة إلى حد أنه فى مثل هذا اليوم «١٩ أغسطس ١٩٦٧» تلقى عبدالناصر تقريرا من المخابرات العسكرية أثار قلقه،فماذا جاء فى هذا التقرير؟

يقول التقرير إن بعض المحيطين بـ«عامر» رسموا خطة لذهابه إلى الجبهة، وهناك يتخذ طريقه إلى مقر المنطقة الشرقية ويعلن عودته إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، ويتفاوض مع عبدالناصر من موقع قوة تحفظ له حقه.

أضاف التقرير أن «عامر» تردد فى البداية، ثم اقتنع بعد أن جس بعض أنصاره النبض بين قوات الجبهة، كما أن «شمس بدران» وزير الحربية المُقال وكان يقيم فى بيت «المشير» أكد لـ«عامر» أن «عبدالناصر» سيقبل بشروطه حرصا منه على وحدة الجيش وتخوُّفه من سفك الدماء.

وزاد «بدران» فى إغراء «عامر» بالقول: إن عبد الناصر سيضطر إلى المحافظة على المظاهر بأى شكل بينما هو يستعد إلى الذهاب لمؤتمر القمة العربية فى الخرطوم، ووفقا للتقرير استحسن «عامر» رأيا قيل له بأن ينفذ الخطة فى نفس توقيت وجود جمال عبدالناصر فى الخرطوم.

٢٠ أغسطس عام ١٧٩٨
نابليون يتبرع بـ«٣٠٠» فرنك فرنسى للاحتفال بالمولد النبوى

ظهر نابليون بونابرت فى يوم الاحتفال بالمولد النبوى متدثرا بالعباءة الشرقية، وأعلن نفسه حامى حمى الأديان كلها، وانتشرت الحماسة بين الناس.

كان «نابليون» قد احتفل مع المصريين بعيد «وفاء النيل»، غير أنه لم يَرَ فيها أكثر من مهمة علاقات عامة حسب تعبير المؤرخ الأمريكى «خوان كول» فى كتابه «مصر تحت حكم بونابرت»، ويقول إن «نابليون» تطلع إلى المناسبة التالية، وهى «المولد النبوى»، وعقد العزم على أن يحقق من خلالها نجاحا، وقال فى رسالة إلى الجنرال «ڤيال» بدمياط: «أتصور أنكم تخططون للاحتفال بالمولد النبوى بقدر أكبر من الفخامة، إن احتفال وفاء النيل اتصف بالجمال، والاحتفال بالمولد النبوى سيكون أكثر جمالا».

ويضع «ج. كرستوفر هيرولد» فى كتابه «بونابرت فى مصر» مكتبة الأسرة، القاهرة، تصميم نابليون على الاحتفال بـ«المولد النبوى» فى سياق أوسع قائلًا: «هو أول سياسى استغل الدعاية بمعناها الحديث استغلالا كاملا، فعزم أن يربط نفسه وجيشه بالاحتفالات التى تُحْيِى ذكرى أحداث منحت أهل مصر رزقهم ودينهم».

يذكر «الجبرتى» أن الشيوخ عزفوا عن الاحتفال بالمولد النبوى فى ذلك العام، غير أن «بونابرت» ما إن علم بنياتهم حتى ألحّ عليهم أن يعيدوا النظر

فى قرارهم، فرد عليه الشيخ «خليل البكرى» بالاعتذار لأن الموقف يتصف بعدم الاستقرار، وأن علية القوم لا يتوافر لديهم المال اللازم لرعاية الاحتفال، فتبرع «بونابرت» بثلاثمائة فرنك فرنسى إلى الشيخ البكرى لتمويل الاحتفال.

نية عدم الاحتفال بـ«المولد» امتدت إلى باقى أقاليم مصر، وحسب ما يذكره «كولن» نقلًا عن الفنان «دومينيك فيفان دينو» الذى رسم بروتريه لـ«ڤولتير» وكان مرافقا للحملة، أن مفتى «رشيد» قرر عدم الاحتفال به كى يبعث برسالة إلى الأهالى فحواها أن الفرنسيين يعارضون إحدى أكثر المناسبات الإسلامية قداسة، وانتبه الجنرال «مينو» فقرر إقامته فى الساعات الأخيرة، فأمر المفتى بتنظيم المناسبة.

بدأ الاحتفال فى مثل هذا اليوم «٢٠ أغسطس ١٧٩٨» قبل موعده الرسمى بثلاثة أيام، وخرج أهل القاهرة يرفعون المصابيح الملونة على الأعمدة فى موقعين بالأزبكية مما كان له أجمل الأثر عندما حل المساء.

فى العاشرة مساء اتجهت مسيرات المسلمين الأتقياء من أحياء المدينة إلى المساجد المختلفة يقودها رجال يحملون المشاعل، أو الثريات الكبيرة التى تحمل كل منها أربعين مصباحا، واخترق الموكب طرقات القاهرة ليلا وسط صياح الجموع، ويقول «مواريه»: إن أهل المدينة طافوا بالطرقات تميزهم علامات تدل على مكانتهم الاجتماعية أو صناعتهم، يصحبهم العبيد الذين يحمل بعضهم السلاح ويحمل بعضهم الآخر المشاعل، وفى الأزبكية رفعوا صورة زخرفية لقبر الرسول فى المدينة، وتواصلت الاحتفالات حتى يوم ٢٣ أغسطس.

٢١ أغسطس عام ١٩٤١
وفاة طلعت حرب فى بلدته «النعناعة» بدمياط

ذهب «طلعت حرب» إلى «حسين سرى»، وزير المالية، يطلب من الحكومة أن تقف مع «بنك مصر» الذى أسَّسه وأعطاه عمره، فقال له «حسين سرى»: «يا طلعت باشا إدارتك للبنك سيئة»، فرد على الفور: «كنت أعطيك بيدى هذه كخبير لشركة المحلة ستمائة جنيه كل سنة، فكيف تكون اليد التى تقبل منها هذا المال يدًا لا تُحسن الإدارة؟».

يذكر هذه القصة فتحى رضوان فى كتابه «طلعت حرب- بحث فى العظمة»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ودارت وقائعها عام ١٩٤٠، حين دنت الحرب العالمية الثانية بمخاطرها المباشرة إلى مصر، لاقتراب جيوش «المحور» بقيادة روميل من مصر اقترابًا شديدًا، فأسرع الناس إلى البنوك ومنها بنك مصر لسحب ودائعهم، ولم يستطع البنك تلبية طلبات السحب، وعُدَّ متوقفًا، وأصبح لا مناص من تدخل الحكومة، فأصدرت القانون قم ٤٠ لسنة ١٩٤١ لدعم البنك، وقررت فى الوقت نفسه تنحية طلعت حرب من رئاسته.

لم يقتصر الأمر على «التنحية» وفقط، وإنما بدأت حرب التشويه والتشكيك، هى حرب لا تعرف الرحمة، وأكثر من يشعر بمرارتها هؤلاء الذين يقدمون بلا هوادة، ويعطون بلا مقابل، كان «طلعت حرب» من هؤلاء فلاذ بالعزلة عن البنك الذى أنشأه واقترن تاريخيًا باسمه، وكما قال هو فى احتفال عام

١٩٣٥ بانقضاء ١٥ عاما على تأسيس البنك: «ركز البنك اسم مصر فى الهواء والماء وفوق الجبل».

مات «طلعت حرب» فى مثل هذا اليوم «٢١ أغسطس ١٩٤١» فى بلدته «النعناعة» القريبة من مدينة دمياط، طبقًا لما يذكره فتحى رضوان الذى يقول: «مات بعيدًا عن الناس، عن الدار التى أنشأها وأحبها، عن التفكير والعمل للصناعة والتجارة، كان بنك مصر يعمل، وكانت شركاته تنتج، وكان إنتاج شركة مصر للغزل والنسيج بالذات هو الذى أنقذ المصريين، وخصوصًا فقراءهم من أزمات محققة فى سنوات الحرب القائمة».

اقترن اسم طلعت حرب فى التاريخ بأكبر آثاره وهو بنك مصر، فهو أول بنك يقوم على أكتاف الشعب نفسه بلا معونة من الحكومة ولا إشراف ولا توجيه، ويرى «رضوان» أن فكرة البنك ولدت فى ضوء نار ثورة ١٩١٩ التى اندلعت فى شهر مارس، ويصفه بـ«الرجل الذى صنعه الله ليحققها، ويخرج بها من دنيا الأحلام والأمانى إلى دنيا الحقائق والواقع»، وعبر جهده اكتتب ١٢٦ مصريا فقط فى ٨٠ ألف جنيه، وفى يوم ٧ مايو ١٩٢٠، وعلى ضوء نار الثورة التى لم تخمد بعد، اجتمعت الجمعية العمومية للمساهمين.

ويضيف «رضوان» أنه لم يفكر أحد يومها أن عدد المساهمين قليل، وأن مبلغ الاكتتاب أقل من مائة ألف جنيه، فالقيمة الحقيقية كانت فى اجتماع المصريين على فكرة تم تنفيذها.

يعطى «رضوان» ملمحًا مهمًا فى مسيرة «طلعت حرب»، قائلاً إن نشاطه العام قبل تأسيس البنك يؤكد أنه رجل علم وسياسة ودولة، ففى عام ١٨٩٩ رد على كتاب قاسم أمين حول حرية المرأة، وألَّف كتابًا عن دول العرب والإسلام فى عام ١٩٠٥، ثم أسهم فى الحملة ضد مد امتياز قناة السويس عام ١٩١٠.

٢٢ أغسطس عام ١٩٤٨
استشهاد الضابط أحمد عبد العزيز فى فلسطين

فى الساعة الثامنة من مثل هذا اليوم «٢٢ أغسطس ١٩٤٨»، سجلت الوثائق الرسمية أول حرف من قصة استشهاد البطل أحمد عبد العزيز فى فلسطين، ويكتبها محمد حسنين هيكل بصحيفة «أخبار اليوم» فى الذكرى السنوية الأولى لاستشهاده، مشيرًا إلى رسالة بالشفرة من الفالوجا.

نصت الرسالة: «إلى المستشفى الأم: جهزوا حجرة عمليات، أحمد عبد العزيز جُرح».

أحدثت الرسالة ارتباكًا، وفى مقر القيادة العليا للجيوش العربية جلس اللواء المواوى يتحدث مع هيئة أركان حربه عن الرسالة المثيرة، وكان القلق يخيم على الغرفة، وبعد دقائق دخل ضابط الإشارة فى القيادة يبكى، وفى يده برقية ناولها إلى القائد العام، فأمسك بالرسالة وكانت ألفاظها عادية، ومع ذلك كان نصها قاسيًا: «إلى المستشفى العام، لا لزوم لغرفة العمليات استشهد أحمد عبدالعزيز».

على حد وصف «هيكل»: كانت أمنية أحمد عبدالعزيز أن يموت فى الميدان وتحققت الأمنية، وكالشهاب لمع فى حياة بلده، ومر مرورًا خاطفًا، أما توفيق الحكيم فكتب: «كان مثاليًا فكُتب له أن يعيش فى كل زمان، اختفى منه الجثمان، ولكن المثل فيه حى دائمًا كما كان، يصدر الأوامر ويحفز الهمم ويشعل الحماسة ويحرك الجيوش»، وكتب إحسان عبد القدوس: «مرتان تمنيت

فيهما أن أكون ضابطًا فى الجيش، مرة وأنا فى السادسة عشرة من عمرى، ومرة بعد أن قابلت أحمد عبد العزيز».

فى كتاب «ملحمة للبطولة من الطفولة»، الصادر عن المجلس الأعلى للشباب ١٩٦١ للكاتب «أبوالحجاج حافظ»، نعرف تراث البطل وما تركه من كتابات وذكريات، بالإضافة إلى المقالات التى كُتبت عنه بعد استشهاده، فهو خريج الكلية الحربية عام ١٩٢٨، وابن الحركة الوطنية المصرية التى كانت تموج ضد الاحتلال الإنجليزى، وقبل أن يلتحق بالكلية كوّن مع زملائه مجموعة تطارد الضباط والإنجليز السكارى، وطعن ضابطًا حتى الموت لمعاكسته سيدة مصرية.

كان نموذجًا فى القيادة العسكرية والبطولة، يصفها كمال الدين حسين، تلميذه وأحد قيادات تنظيم الضباط الأحرار الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو، بقوله: «اكتسب قلوب ضباطه وجنوده فالتفوا حوله وجعلوا من أفئدتهم حصونًا تفتديه».

تقترن حرب ١٩٤٨ بالشهيد أحمد عبدالعزيز منذ أن تقدم فى ٢٠ أبريل ١٩٤٨ بطلب إلى رئاسة الجيش المصرى، يطالب فيه بإحالته إلى الاستيداع ستة أشهر للتطوع لمحاربة العصابات الصهيونية فى فلسطين.

بعد شد وجذب تم قبول طلبه وإسناد مهمة قيادة المتطوعين إليه، وكان برتبة «بكباشى» وكان وَقْع تعيينه لهذه المهمة عظيمًا على المتطوعين، يصفها كمال الدين حسين: «كانت فرحتنا شديدة بهذا النبأ، فهو أستاذنا فى التاريخ العسكرى بالكلية الحربية، وطالما كان يلقن طلابه كراهية الاستعمار والمستعمرين».

قاد معارك عظيمة فى بئر السبع، وغزة، والقدس، والفالوجا، واللافت أنه كان ضد دخول الجيش المصرى إلى أرض المعارك عام ١٩٤٨، على أساس أن محو إسرائيل وعصابتها يجب أن تقوم به كتائب الفدائيين والمتطوعين، ودخول الجيوش العربية يعطى لإسرائيل صفة كبرى.

٢٣ أغسطس عام ١٧٩٨
الاحتفال بالمولد النبوى
يتواصل وفتوى للشيوخ حول ختان نابليون

تواصلت الاحتفالات بـ«المولد النبوى» التى بدأت يوم ٢٠ أغسطس، وبلغت ذروتها فى مثل هذا اليوم «٢٣ أغسطس ١٧٩٨»، وكان هذا اليوم له طقوس حضرها «نابليون بونابرت».

فى كتاب «بونابرت فى مصر» لـ«ج. كرستوفر هيرولد» يقول نقلاً عن يوميات «ديترى»: إنه فى يوم ٢٣ أغسطس بلغت الاحتفالات ذروتها، فأصبحت الميادين العامة حافلة بالمعارض والفرج الصغيرة، فترى فيها الدببة والقردة المدربة والمغنين والمغنيات ينشدون أدوارًا يجاوبهم فيها آخرون، والنسوة يغنين الأشعار، والحواة يأمرون الثعابين فتختفى، والأطفال يرقصون بفجور، وظهر الدراويش عند المساء، والشعب يجلُّ هؤلاء المتعصبين- هكذا رأى الفرنسيون- الذين يطلقون شعورهم ويسيرون عراة تقريبًا، واجتمع الأتقياء فى حلقات يجَلس فيها الرجال متلاصقين، وقد عقد كل منهم ذراعه بذارع صاحبه، ثم بدءوا يهتزون فى حركات عنيفة أفرادًا وجماعات ذات اليمين وذات اليسار، ورافق حركتهم التلوى العنيف، واستمرت إلى أن خارت قواهم.

فى تقرير اللجنة العلمية لـ«الحملة» جاء أن الفرنسيين دهشوا تمامًا من أمر الفقراء الدراويش، فكانوا يجرون عراة تمامًا فى نشوة دائمة، ولم يكن شىء من الأشياء محظورًا عليهم، كانت النسوة يتبركن بالاتصال بهم.

فى صبـاح اليـوم، أصـدر بونابـرت أوامـره بتقـدم مسـيرة مهيبـة مـن قـوات الحاميـة احتفـالاً باليـوم العظيـم، فامتزجـت نغـمات الفرقـة العسـكرية المصاحبـة للجنـود بالأناشـيد التـى يتغنـى بهـا المسـلمون.

وأقـام «خليـل البكـرى» حفـلاً عظيـمًا فى بيتـه لـ«نابليـون»، اجتمـع فيـه مائـة من كبـار شـيوخ الأزهـر، افترشـوا الأرض حـول عشريـن منضـدة منخفضـة، وشرع واحـد منهـم فى روايـة سـيرة النبـى محمـد «ﷺ»، قـال الرجـل سـيرة النبـى بنغمـة معتـادة ومعهـودة للمصريـين فى مثـل هـذه المناسـبات الدينيـة ،وبالطبـع كان الأداء ابـن هـذا العـصر فى طريقـة الغنـاء الدينـى.

تمـت روايـة السـيرة بنغمـة وجدهـا الفرنسـيون مملـة حسـب قـول «خـون كولـن» فى كتابـه «مـصر تحـت حكـم بونابـرت»، الصـادر عـن المجلـس الأعـلى للثقافـة، القاهـرة، ويصـف الموائـد التـى جلـس الفرنسـيون حولهـا: «قُدمـت لهـم أدوات مائـدة وصحـاف فضيـة بـل قنينـة نبيـذ معتـق، ثـم مُـدت الموائـد بالمشـويات والمقليـات والأرز والعجائـن وكلهـا مطهـوة بالتوابـل»، ويتذكـر أحـد الضبـاط الفرنسـيين الحاضريـن: «يـأكل العـرب بأصابعهـم ويغسـلون أياديهـم ثلاثًـا أثنـاء تنـاول الطعـام».

وعـما دار حـول الموائـد يقـول «ديـز فرنـواه»: «تحـدث بونابـرت مـرارا مـع شـيوخ الأزهـر سـاعيا إلى التعـرف عـلى حاجـات البـلاد والوسـائل التـى يتحقـق بهـا رخاؤهـا، وفى بعـض الأحيـان يصـل إلى مغازلـة مشـاعرهم الدينيـة، إذ يصـور لهـم «بونابـرت» مـدى اسـتعداد الجيـش الجمهـورى لاعتنـاق الإسـلام فى القريـب العاجـل، ويقـول ضابـط آخـر: «إن القائـد الأعـلى لم يدخـر وسـعا لإقنـاع المصريـين بـما يكنُّـه الجيـش الفرنسـى مـن توقـير عظيـم للرسـول، أمـا الجنـود فالتزمـوا الأدب فيـما يقولـون، ولكنهـم مـا إن عـادوا إلى ثكناتهـم حتـى ضجـوا بالضحـك لمـا رأوه مـن تلـك المهزلـة».

كان هـذا هـو الطريـق الـذى قطعـه «بونابـرت» نحـو الحماسـة بـين النـاس لينـادوه بـ«عـلى بونابـرت»، ويذكـر الكابتـن «سـالى» الـذى كثـيرًا مـا انتقـد مغازلـة

«نابليـون» للإسـلام: «إذا كان المصريـون خلعـوا عـلى «بونابـرت الكروسـيكى» ذلـك الاسـم فقـد عـدوا الأمـر مزحـة تثـير الفكاهـة».

جـاءت هـذه التصرفـات مـن «نابليـون» فى سـياق محاولاتـه المستمرة فى إقنـاع أئمـة المسـاجد فى أن يدعـوا لـه عـلى المنابـر، وينقـل «كولـن» عـن مذكـرات «نابليون» التـى كتبهـا فى منفـاه بـ«سـانت هيلانـة»، أنـه ظـل طـوال الصيـف يجـادل شـيوخ الأزهـر كلـما التقـى بهـم فى أن يقنعـوا الدعـاة بوقـف حـد للإثـارة ضـده، وطلـب منهـم إصـدار فتـوى تدعـو إلى طاعـة الدولـة الجديـدة، وعندئـذ عـلا وجـوهَ الشـيوخ الشـحوبُ، وبـدا عليهـم التوتـر، ثـم تقـدم الشـيخ الشرقـاوى آخـر الأمـر للـرد عليـه، فقـال لـه: «إنـك تطلـب حمايـة النبـى وهـو يحبـك، وترغـب أن يسـير المسـلمون فى ألويتـك، وتأمـل فى إعـادة أمجـاد بـلاد العـرب، وإنـك لسـت بعابـد أوثـان، فلتعلـن إسـلامك».

قـدم الشـيخ الشرقـاوى عرضـه إلى «نابليـون» وزاد فى إغرائـه: «إن مائـة ألـف مـصرى ومائـة ألـف آخريـن مـن بـلاد العـرب ومـن مكـة والمدينـة سـيصطفُّون خلفـك، فـإن دربتهـم ونظمـت صفوفهـم حسـبما تـرى، فإنهـم سـيقهرون الـشرق كلـه تحـت إمرتـك، فتعيـد بذلـك مجـد موطـن الرسـول».

يصـف «بونابـرت» تلـك اللحظـة التـى انتهـى فيهـا الشـيخ الشرقـاوى مـن تقديـم عرضـه بقولـه: «تـلألأت وجـوه الشـيوخ المتغضنـة بالبِشْر وانطرحـوا جميعـا أرضـا سـاجدين داعـين الله أن يشـملهم برعايتـه».

تدبـر «نابليـون» الأمـر جديًـا، فـرد عـلى الشـيخ الشرقـاوى بـأن هنـاك عقبتـين تحـولان دون تحولـه وجنـوده إلى الإسـلام، الأولى، الختـان، والأخـرى - الخمـر، وقـال: «لـن أتمكـن مـن إقنـاع جنـودى بالتخلى عنهـا، فقـد اعتادوهـا منـذ الصغر»، فـرد الشـيخ محمـد المهـدى الـذى تحـول مـن المسـيحية إلى الإسـلام ليتلقـى العلـم فى الأزهـر: أقـترح أن يجتمـع سـتون شـيخًا لمناقشـة الأمـر علنًـا وتدارسـه.

سرت الشـائعات فى البـلاد بـأن الشـيوخ يلقنـون نابليـون مبـادئ الإسـلام، وبعـد شـهر أصـدر أربعـة مـن الفقهـاء فتـوى أسـقطوا فيهـا شرط الختـان، وقالـوا

إنه ليس فرضًا إسلاميًا، كما أفتوا بأن شاربى الخمر من غير المسلمين «يجوز أن يصبحوا مسلمين»، غير أن مصيرهم سيكون جهنم إذا واصلوا شربها بعد إسلامهم.

أعلن «نابليون» سعادته من تخطى العقبة الأولى، لكنه أبدى انزعاجه مما جاء فى فتوى شرب الخمر، فلم يَرَ فيها ما يشجع على اعتناق الإسلام، فرأى الشيخ المهدى إعلان الجزء الأول من الفتوى، وعاد الشيوخ إلى مناقشة الأمر الثانى وأرسلوا المكاتبات إلى زملائهم بمكة، وأخيرًا اتفق العلماء على جواز شرب الخمر لمن تحول من دينه إلى دين الإسلام شريطة أن يُعاقب عليها بدفع غرامة مالية.

٢٤ أغسطس عام ١٥١٦
هزيمة «قانصوه الغورى» فى «مرج دابق»..
والمماليك يقطعون رأسه

مما يُروى عن السلطان المملوكى «قانصوه الغورى» أن رجلا مغربيًا جاءه ببندقية وأخبره بأنها ظهرت فى بلاد البندق، وأن بلاد الروم وبعض العرب استخدموها، فطلب إليه «الغورى» تدريب بعض مماليكه عليها، ففعل.

ولما أتموا تدريبهم ذهبوا بها إليه يُطْلعونه على ما تعلموه وعلى نتائج السلاح الجديد، وأطلقوا أمامه بعض الطلقات ورأى مفعولها وسرعة القتل التى تحققها، فانزعج وقال للشخص المغربى: «نحن لا نترك سُنَّة نبينا ونتبع سنة النصارى»، وقال الله سبحانه تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} (سورة آل عمران، الآية: ١٦٠)، فرد المغربى: «من عاش ينظر هذا الملك وهو يؤخذ بهذه البندقية».

يروى هذه القصة «أحمد بن زَنْبَل الرمَّال»، أحد الذين كتبوا قصة حرب العثمانيين لدخولهم مصر، ويتناولها حلمى النمنم فى كتابه «سليم الأول فى مصر» فى سياق تناوله لدخول العثمانيين بقيادة «سليم الأول» إلى مصر بعد موقعة «مرج دابق» التى هزم فيها «الغورى» فى مثل هذا اليوم «٢٤ أغسطس ١٥١٦»، فبينما رأى «الغورى» أن يكون جيشه على هذا النحو، كانت البنادق هى سلاح «سليم الأول» فى حروبه لتكوين وتوسيع الإمبراطورية العثمانية.

كان «الغوري»، حسب «النمنم»، سلطانا يقرض الشعر ويجيد العربية والتركية ويجلس مع الفقهاء، يتحاور معهم ويناقشهم فى قضايا دينية وفقهية مختلفة، كان رجل دين لا تكوين قائد سياسى وعسكرى فى لحظة فاصلة من تاريخ مصر.

وفى كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية، المجلد الأول» لمحمد صبيح، يقول نقلا أيضًا عن «ابن زنبل»، إن «الغورى» قاتل بـ«١٣ ألف» مملوك، لكنهم كانوا جنودا مرتزقة، وكان معه أئمة المذاهب الأربعة، وخلفاء سيدى أحمد البدوى، وسيدى إبراهيم الدسوقى، وسيدى عبد القادر الجيلانى، بالإضافة لـ«المؤذنين».

كان القتال عنيفا، وانتصر العثمانيون بجيش قوامه ١٨٠ ألف جندى، ويروى «ابن إياس» فى «بدائع الزهور»، الصادر عن مكتبة الأسرة، القاهرة: «شرع السلطان يستغيث للعسكر: يا أغوات هذا وقت المروة قاتلوا، فلم يسمع له أحد قولا وصاروا ينسحبون من حوله شيئًا بعد شىء، فالتفت للفقراء والمشايخ الذين حوله وقال لهم: ادعوا إلى الله تعالى بالنصر فهذا وقت دعاكم، وصار ما يجد له من معين ولا ناصر، فانطلق فى قلبه جمرة نار لا تطفى، وكان ذلك اليوم شديد الحر، وانعقد بين العسكريين غبار حتى لا يرى بعضهم بعضًا، وكان نهار غضب من الله تعالى قد انصبَّ على عسكر مصر وغُلَّت أيديهم عن القتال».

ويقول ابن زنبل: «ما زال الغورى حتى بقى وحده، فمن شدة ما حصل له انكسر قهرًا ووقع مغشيًا عليه، ورمى حامل العلم رمحه، وأخذ قماش العلم، وكان مطرزا يساوى ثلاثة آلاف ذهب»، ووجد أمراء المقاتلين المماليك أن خير ما يفعلونه بسلطانهم وهو مغشى عليه، أن يقطعوا رأسه حتى لا يقع فى يد العدو، وألقوا بالرأس فى جُبّ قريب، وتراجع فلول المماليك إلى حلب ثم إلى القاهرة، غير أن ابن إياس يقول: «أما السلطان فمن حين مات لم يُعلم له خبر، ولا وقف له أحد على أثر، ولا ظهرت جثته بين القتلاء، فكأن الأرض انشقت وابتلعته فى الحال».

يشير «النمنم» إلى أنه من أسباب انتصار «سليم الأول وجيشه» خيانة «خير بك» أمير حلب «لسلطانه» الغورى، وانضمامه إلى «سليم الأول» الذى سيطر على الشام، وفاز بكل ما كان يحمله «الغورى» من ذهب وفضة وأموال خرج بها من مصر لدفع رواتب الجنود وعطاياهم ويسيِّر بها مقتضيات الحرب، وقُدِّرت هذه الأشياء بحمولة خمسمائة جمل.

٢٥ أغسطس عام ١٨٨٢
معركة «المسخوطة» تقود إلى أَسْر «محمود باشا فهمى»

أطلق الإنجليز مدافع سفنهم على جنود عرابى فى «المسخوطة» بالقرب من الإسماعيلية، ثم هجموا بقوة كبيرة على ستة آلاف متطوع كانوا يعملون فى الاستحكامات، وتشتتوا على إثر قوة المقذوفات التى كانت تنزل عليهم.

علا صياح المتطوعين وهم يفرون بين الجنود الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن الضرب لامتلاء الميدان بالمتطوعين، وأمام هذه الحالة من الفوضى اضطر الجنود إلى التراجع حتى لا يتمكن الإنجليز منهم، وتركوا «المسخوطة» وعادوا إلى «التل الكبير».

دارت هذه الوقائع فى مثل هذا اليوم «٢٥ أغسطس ١٨٨٢»، فى مراحل الحرب بين الجيش بقيادة «عرابى» و«الإنجليز» بمساندة الخديو توفيق، واللافت فيها هو شخصية «محمود باشا فهمى»، وزير الأشغال فى حكومة «البارودى»، ورئيس أركان الحرب الفعلى للجيش المصرى فى عهد عرابى، وقاد «سلاح المهندسين»، وحسب وصف «صلاح عيسى» فى كتابه «الثورة العرابية»: «كان أعظم مهندسى الاستحكامات» ويضيف: «ولد فى إحدى قرى بنى سويف، وخاض رحلة عمر طويلة يعلم ويتعلم، حتى أصبح وزيرًا، ثم مسئولاً عن خط الدفاع فى جبهة كفر الدوار، فبنى بمعونة المتطوعين من الفلاحين أقوى خطوط الدفاع التى صدت الهجوم الإنجليزى طوال مدة الحرب، ثم أسر فى الميدان الشرقى، وظل أسيرا حتى انتهت الحرب، وأخيرًا

تـم الحكـم عليـه بعـد فشـل الثـورة العرابيـة بالإعـدام، ثـم خُفِّـف الحكـم عليـه إلى النفـى مـع «عرابـى» إلى «سـيلان».

ومـن واقـع مـا حـدث فى معركـة «المسـخوطة» يـوم «٢٥ أغسـطس» يتهمـه «عرابـى» فى مذكراتـه: «لم يُـرِد أن يرجـع مـع العسـاكر، وآثـر الوقـوع فى الأسر عـلى البقـاء فى الجيـش لشـدة مـا هالـه مـن منشـور السـلطان «يقصـد الخديـو توفيـق» بعصياننـا وطمعًـا فى قبولـه لـدى الخديـو بسـبب استسـلامه إلى الإنجليـز، وثبـت فى موقعـه مـع خادمـه حتـى قبـض عليـه الإنجليـز بصفـة كونـه نفـرًا بسـيطًا».

هـذه الإدانـة مـن «أحمـد عرابـى»، نجدهـا بتنويعـة أخـرى لـدى «صـلاح عيسـى» فى كتابـه «الثـورة العرابيـة»، حيـث يقسـم زعـماء الثـورة بعـد القبـض عليهـم حسـب موقفهـم فى التحقيقـات معهـم، فيشـير إلى أن منهـم مـن اتهـم نفسـه بالخيانـة سـعيًا إلى تبرئـة نفسـه، مشـيرًا فى ذلـك إلى «محمـود باشـا فهمـى» الـذى قـال فى التحقيقـات بعـد سـقوط المسـخوطة وهـرب عسـاكر راشـد باشـا أمـام الإنجليـز: «أخـذت خادمـى وأمرتـه بقطـع غابـة وتعليـق منديـل أبيـض فيهـا، وتوجهنـا إلى الإنجليـز حيـث سـلمنا أنفسـنا»، وتتناقـض هـذه الروايـة مـع روايـة أخـرى وهـى أنـه أُسر فى ملابسـه المدنيـة، وزعـم لمـن أسروه أنـه مـن أصحـاب الأرض فى المنطقـة التـى أسر فيهـا ولم تتضـح شـخصيته إلا فيـما بعـد.

ويلتمـس «عيسـى» العـذر لمـن فعلـوا ذلـك: «فالهزيمـة العسـكرية المفاجئـة أفقـدت الكثيريـن صوابهـم، وكذلـك ظـروف الاعتقـال ومعاملتهـم فى المعتقـل».

عـلى الرغـم مـن ذلـك تـم نفـى «محمـود باشـا فهمـى» مـع عرابـى، وتـوفِّى فى المنفـى بعـد عامـين مـن نفيـه.

٢٦ أغسطس عام ١٩٦٧

دراما لقاء «عبد الناصر» و«عامر».. واستسلام رجال المشير

اتصل جمال عبدالناصر بالمشير «عبدالحكيم عامر» يدعوه إلى مقابلته فى بيته بـ«منشية البكرى» يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧، فذهب المشير ومعه أربعة ضباط صاعقة سابقين يتولون حراسته تم التحفظ عليهم فور دخوله.

كانت هناك خطة معدة يتم تنفيذها فى نفس التوقيت الذى يحضر فيه «عامر» فى منزل «ناصر»، وهى تصفية التجمع الموجود فى منزل «المشير» بالجيزة، والذى يضم عسكريين من رجال «المشير» ومدنيين، وكان «أمين هويدى» وزير الحربية هو المشرف عليها، ومعه شعراوى جمعة وزير الداخلية، وسامى شرف مدير مكتب الرئيس للمعلومات، والفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، واللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية، والعميد سعد عبد الكريم مدير الشرطة العسكرية. ويتحدث «أمين هويدى» فى كتابه «مع عبد الناصر»، الصادر عن دار المستقبل العربى، عن تفاصيل هذا اليوم الذى تم فيه، حسب هويدى «القضاء على خطة عامر بالاستيلاء على القيادة الشرقية فى الإسماعيلية يوم ٢٧ أغسطس، والإعلان منها عن عودته إلى قيادة الجيش».

وفيما كان «عامر» موجودًا فى بيت «عبد الناصر»، كان الفريق فوزى يقود قوة تحاصر بيت المشير وتطالب كل من فيه بالاستسلام، وكان «هويدى» يجلس فى مكتب «سامى شرف» الملحق بمنزل الرئيس يتابع الموقف أولاً بأول.

عند دخول «عامر» صالون بيت «جمال عبدالناصر» فوجئ بوجود «زكريا محيى الدين» و«أنور السادات» و«حسين الشافعى»، وابتسم متسائلا: «هل هى محاكمة ولا إيه؟»، ولم يشاركه أحد ابتسامته، وطلب إليه «عبدالناصر» الجلوس وصارحه بكل تصرفاته، ويقول هويدى: «سمعت الرئيس يقول للمشير: عليك ياعبدالحكيم تقدير الموقف الصعب الذى تمر به البلاد، وعليك أن تلزم منزلك فى هذه الفترة الحرجة، وسمعت المشير وهو يرد على الرئيس قائلاً: يعنى بتحدد إقامتى وبتحطنى تحت التحفظ، قطع لسانك».

كان المشير مُتعنتًا حتى منتصف الليل، وتواصل توتر الموقف حتى الساعات الأولى من صباح مثل هذا اليوم «٢٦ أغسطس ١٩٦٧»، ويُرْجع هويدى تعنت المشير إلى تجمع أصدقائه فى الجيزة الذى كان له دخل كبير فى إصراره على موقفه، ويستكمل شهادته قائلاً: «دخلت حجرة الصالون وسلمت على الجميع، كان المشير جالسًا على أريكة من الأرائك وحينما رآنى قال: أهلاً وسهلاً بوزير حربيتنا، الله ده الموقف مجهز تمامًا والمسألة محبوكة على الآخر، وكان أنور السادات هو الوحيد الذى يجلس صامتًا والدموع على خديه، أما حسين الشافعى فكان يبدو غير مهتم بما يجرى، وزكريا محيى الدين كانت ملامحه جامدة لا تدل على شىء».

خرج «المشير» ذاهبا إلى دورة المياه، ويقول هويدى إنه خرج معه، وكانت أعصابه هادئة ولم يكن منفعلا على الرغم من أنه كان يدرك الموقف الحرج الذى أصبح فيه، وفجأة خرج المشير من دورة المياه وفى يده كأس زجاجية بها بعض المياه، وقال بأعلى صوته وهو يرمى الكأس على طول ذراعه «اطلعوا بلغوا الرئيس أن عبدالحكيم خد سم لينتحر»، ودخل فى هدوء إلى حجرة الصالون ليجلس على الأريكة ذاتها وهو يبتسم فى هدوء وكأنه لم يفعل شيئًا».

حدث هرج ومرج، وجاء الدكتور الصاوى طبيب الرئاسة مسرعًا وفى يده حقيبته الطبية، ولم يستجب «المشير» للعلاج الذى كان يريده «الصاوى»، فتقدم حسين الشافعى لـ«يعبط» المشير حتى أخذ الحقن اللازمة، وهدأ كل شىء.

كان الجميع يلعبون على عامل الوقت، حتى جاءت الساعة الخامسة صباح يوم ٢٦ مايو، ليتلقى هويدى تليفونًا من «محمد فوزى»: «المأمورية انتهت يافندم دون أى صدام، والمنزل خالٍ الآن»، أسرع هويدى بإبلاغ الرئيس، فرد الرئيس: الحمد لله، ليغادر هويدى المنزل.

يتحدث الفريق فوزى عن تفاصيل ما حدث فى منزل الجيزة، الذى انتهى إلى استسلام الجميع وعددهم ٦١ فردًا، وتم جمع السلاح من «البدروم» وشملت مدافع «آر.بى.چى» مضادة للدبابات، و٢٤٠ قطعة سلاح متنوعة، و١١ صندوق قنابل يدوية متفجرة وحارقة، و٢٧ صندوق ذخيرة، و«بيان» كان «المشير» سيلقيه عبر «إذاعة» تابعة للقوات المسلحة فى الإسماعيلية، ويبدأ بعبارة: «عبد الحكيم عامر يتحدث إليكم».

انهار «عامر» بعد أن علم بما حدث فى بيته، وأبلغه «عبدالناصر» بتحديد إقامته فى بيته، وتنظيفه من السلاح والأفراد، وطبقًا لرواية محمد حسنين هيكل فى كتابه «الانفجار»، طلب «عبد الناصر» من الفريق عبد المنعم رياض اصطحاب «عامر» إلى بيته مع التأكيد على تلبية طلباته وطلبات أسرته، وفى السيارة سأل «عامر» بصوت منكسر: «هل يرضيك ما حدث؟»، فرد «رياض» وهو يغالب تأثره: «سيادة المشير، اتركنا نحارب».

٢٧ أغسطس عام ١٨٨٢
«سلطان باشا» يحرّض رؤساء القبائل للانقلاب على «عرابى»

يظل تعبير «الولس كسر عرابى» هو الأكثر تلخيصًا وتركيزًا لهزيمة الثورة العرابية التى قادها أحمد عرابى عام ١٨٨٢، وانتهت باحتلال الإنجليز لمصر.. ينطبق هذا التعبير على شخصيات خانت «الزعيم الوطنى» أثناء حربه ضد الإنجليز، وأخرى وقفت ضده منذ بداية حركته، وشخصيات أيدته، ثم انقلبت عليه لتنتقل إلى صف الخديو توفيق، ومن أبرزهم «سلطان باشا»، رئيس مجلس النواب.

يروى الإمام محمد عبده فى مذكراته، أنه فى مثل هذا اليوم «٢٧ أغسطس ١٨٨٢» خرج فارسان من الإسكندرية، هما بدويان من عائلة شهيرة بـ«الفيوم» تنتسب إلى قبيلة «أولاد على»، وتوجها من الناحية الشرقية للبحيرة، وقُبض عليهما بالقرب من معسكر فى كفر الدوار، ووجد معهما رسائل من «سلطان باشا» لرؤساء القبائل يدعوهم إلى ترك «عرابى»، والالتحاق بالجيش العثمانى الذى جاء لإخضاع العصاة.

واعترف «الفارسان» بأن جنديًا يسمى «جيل» حمل ثلاثين ألف جنيه من القائد الإنجليزى «سيمور» ليلحق بالأستاذ «بالمر» ليستميل معه عُرْبان غزة، وحمل معه رسائل من الخديو توفيق و«سلطان باشا» إلى رؤساء العربان فى الشرقية، ويضيف محمد عبده أن «سلطان باشا» عرف أن توزيع النقود باسم الإنجليز لا يفيد، فأخذ فى توزيعها باسم الخديو والسلطان.

يتهم «عرابى» فى مذكراته «سلطان باشا» بأنه أغرى عددًا من ضباط الجيش لخيانة قيادتهم والانضمام إلى الخديو، واللافت أن موقف «سلطان باشا» فى بداية الثورة كان مؤيدًا، فلماذا انقلب إلى النقيض؟

فى كتاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر»، الصادر عن مكتبة الآداب القاهرة للإنجليزى «بلنت» الذى عاصر هذه المرحلة، نجد ملمحًا من الإجابة عن هذا السؤال، حيث يقول إن «سلطان باشا» كان رجلًا ذا كبرياء، له ثروة واسعة وجاه عريض، وكان له صدر المكان فى أى اجتماع يُعقد، وكان يُسمى ملك الوجه القبلى بين كبار الملاك، وكان يرى أن من حقه لهذا السبب زعامة الفلاحين، كما أنه كان ينظر إلى «عرابى» نظرة الرعاية التى يتعطف بها الكبير على الصغير، وكان يرى فيها أداة لتحقيق أغراضه، لكنه لم يكن يتوقع أن «عرابى» سيأخذ مكانه بين الجمهور. ويضيف «بلنت»: «إن المسألة صارت عنده عنادًا بعد أن كانت طموحًا».

يقدم صلاح عيسى فى كتابه «الثورة العرابية» تفسيرًا آخر يتمثل فى أن البرجوازية الزراعية، ويمثلها «سلطان باشا» اختارت مساومة الاستعمار بعقد صفقات رخيصة معه، مثل مطلبه للخديوى بإبقاء النظم الدستورية، ولما لم يتحقق هذا الوعد بعد فشل الثورة شعر بالخداع، ومات وهو يتحسر طالبًا أن يغفر له «عرابى» فعلته.

فى مذكراتها ترفض هدى شعراوى، رائدة نضال المرأة، وابنة «سلطان باشا» كل هذه الاتهامات، قائلة: «أبى هو الذى حذر منذ وقت مبكر مما يمكن أن يحدث نتيجة الاندفاع فى مواقف متطرفة، وغلب الاندفاع على صوت العقل، فكانت تلك النتيجة السيئة».

٢٨ أغسطس عام ١٩٥٢
الحكم بإعدام العاملين «خميس» و«البقرى».. و«نجيب»: لم أجد مَفرًّا من التصديق

سأل الضابط «عبد المنعم أمين» عما إذا كان هناك محامٍ للدفاع عن العامل «محمد مصطفى خميس»؟ وكانت الإجابة: «لا يوجد محامٍ»، فطلب من الصحفى «موسى صبرى» الموجود لتغطية المحاكمة لصحيفة «الأخبار» الدفاع عن «المتهم»، لأن «موسى» يحمل ليسانس حقوق، وفى مهمته المفاجئة دافع «موسى صبرى» بالقول: إن هناك من يحاول الوقيعة بين الحركة العمالية وحركة الجيش «٢٣ يوليو ١٩٥٢»، وإن «خميس» كان يهتف بحياة قائد الثورة محمد نجيب وذلك بشهادة الشهود.

جاء ذلك ضمن فصول محاكمة العاملين «خميس» و«محمد البقرى»، التى جاءت عقب مظاهرة لعمال شركة «مصر للغزل والنسيج الرفيع» فى «كفر الدوار»، (نحو ١٠ آلاف عامل)، وذلك يومَىْ ١٢ و١٣ أغسطس ١٩٥٢، واشتبكت قوات الشرطة مع العمال فقُتل ٩ بينهم (شرطيان) وجرح ٢٣ شخصًا، و٧ من الشرطة، واشتعلت النيران فى السيارات والمبانى والأشجار، فقرر مجلس قيادة الثورة تشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة ٢٩ متهمًا، وعقد المحاكمة فى موقع الحادث، وقضت المحكمة فى مثل هذا اليوم «٢٨ أغسطس ١٩٥٢» بإعدام «خميس» و«البقرى»، وسجُن ١٢ آخرين بأحكام مختلفة، وبراءة الباقى.

وفى كتاب «قصة ثورة ٢٣ يوليو - مصر والعسكريون - الجزء الأول»، الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر يذكر «أحمد حمروش» أن أسلوب المحاكمة أهاج مشاعر الجماهير فى مصر والخارج، ووضع التنظيم الشيوعى «حدتو» فى وضع شديد الحرج، فرغم أن «خميس» والبقرى لم يكونا من أعضاء التنظيم، فإن الدفاع عنهما أعُدَّ واجبًا مقدسًا لكل شخص شيوعى أو تقدمى، ويقول «حمروش»: إن تصديق مجلس قيادة ثورة يوليو على الحكم لم يكن بالإجماع، حيث اعترض عليه «جمال عبدالناصر ويوسف صديق وخالد محيى الدين».

وفى مذكراته «كنت رئيسًا لمصر» يقول اللواء محمد نجيب، رئيس مجلس قيادة الثورة وقتئذ: «أرسل لى عبدالمنعم أمين الحكم للتصديق عليه، وتوقفت، كيف أصدق على حكم بالإعدام وحركتنا لم يمض عليها سوى أسابيع قليلة؟ وطالبت بأن أقابل «خميس والبقرى»، ووجدتَ على مكتبى أكوامًا من التقارير المخيفة، التى تفرض علينا الخوف من الاضطرابات العمالية، وتطالبنا بالضرب على يد كل من يتصور إمكانية قلب العمال علينا، وأحسست أنها تقارير كاذبة وكتبت بنفس الأسلوب الذى كان يكتب به البوليس السياسى تقاريره إلى الملك».

٢٩ أغسطس عام ١٩٦٧
استقبال أسطورى من السودانيين لـ«عبد الناصر»
والجماهير تهتف: «ورا جمال يافيصل»

استقل جمال عبد الناصر الطائرة إلى العاصمة السودانية «الخرطوم» لحضور القمة العربية الأولى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، كان رؤساء وملوك الدول العربية على موعد مع هذه القمة باستثناءات قليلة، وكان أبرز الغائبين الرئيس الجزائرى «هوارى بومدين».

كان الاستقبال الأسطورى من الشعب السودانى لـ«عبد الناصر» هو أهم أحداث المؤتمر، الذى بدأت أعماله فى مثل هذا اليوم «٢٩ أغسطس ١٩٦٧»، وفى الجزء الأول من مذكراته الصادرة عن دار المستقبل العربى بالقاهرة، يصف «محمود رياض» وزير خارجية مصر هذا الاستقبال: «بمجرد أن هبطت طائرة عبد الناصر على أرض المطار، اقتحمت الجماهير السودانية كل الحواجز وتخطوا رجال الأمن وهم يهتفون بحياة عبدالناصر، مطالبين بالثأر من إسرائيل وتحرير الأرض».

يتذكر «رياض»: «كنت أستقلُّ سيارة خلف عبد الناصر، وخُيل لى أن سكان الخرطوم قد خرجوا جميعًا لاستقباله، وسمعت من أحد الوزراء السودانيين أن الخرطوم لم تشهد فى تاريخها من قبل مثل هذا الطوفان البشرى الضخم الملتف حول زعيم لم ينحنِ للهزيمة».

كان هـذا الاسـتقبال الأسـطورى، كـما يقـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «الانفجـار»: «هـو حـدث المؤتمـر، وهـو حـدث العـالم العربـى وقتهـا، كـما أنـه الحـدث الإعلامـى الأول فى العـالم، وكانـت صـور الاسـتقبال هـى الصفحـة الأولى فى كل جرائـد أوروبـا وأمريـكا».

يقـول «ريـاض»: «أعتقـد أن هـذه أول مـرة فى التاريـخ يتـم فيهـا اسـتقبال قائـد مهـزوم اسـتقبال الفاتحـين»، وعـبرت عـن ذلـك مجلـة «النيوزويـك» الأمريكيـة، حيـث وضعـت غلافهـا بصـورة لـ«عبـد النـاصر» وسـط موكـب الجماهـير الهـادر بتعليـق: «أهـلاً أيهـا المهـزوم»، ويـروى «هيـكل» أن طائرة «عبـد النـاصر» هبطت فى المطـار، وجـرت مراسـم اسـتقباله، بينـما طائـرة العاهـل السـعودى الملـك «فيصـل» كانـت تتأهـب للهبـوط، ولاحـظ «عبدالنـاصر» أن الرئيـس السـودانى «إسـماعيل الأزهـرى» ورئيـس وزرائـه «محمـد أحمـد المحجـوب» يرجوانـه الانتظـار حتـى تهبـط طائـرة «فيصـل»، ويقومـان باسـتقباله، ثـم يركـب الاثنـان معًـا فى موكـب واحـد عـبر شـوارع الخرطـوم، وكان تعليـق «المحجـوب» أن الجماهـير السـودانية سـوف يطمئنهـا أن تـرى «عبدالنـاصر» و«فيصـل» فى سـيارة واحـدة، كـما أن ذلـك سـوف يثـير حماسـة شـديدة لـدى الجماهـير تجعـل الاسـتقبال لائقًـا.

اعتـذر «عبـد النـاصر»، وكان مـبرره أن هـذا اللقـاء هـو الأول بينهـما بعـد كل مـا جـرى، ولا يريـده أن يكـون عـلى قارعـة الطريـق حتـى وإن كان هـذا الطريـق هـو مطـار الخرطـوم، كـما أن هنـاك كلامًـا كثـيرًا يريـد أن يقولـه لـ«الملـك فيصـل» وكلامًـا يريـد أن يسـمعه منـه قبـل أن يظهـرا للنـاس وكأن شـيئًا لم يكـن.

اصطحبـت الجماهـير موكـب «عبـد النـاصر» حتـى الفنـدق الـذى نـزل فيـه، ولمـا لحقـه موكـب «فيصـل» هتفـت الجماهـير: «وراء جمـال يافيصـل».

بـدأت وقائـع المؤتمـر وكان عـلى أجندتـه قضايـا مهمـة ومؤثـرة، أبرزهـا تقديـم الدعـم المـادى لـدول المواجهـة، وفى مقدمتهـا مـصر.

٣٠ أغسطس عام ١٩٦٧
«فيصل» يرفع أصابعه الخمس فى قمة الخرطوم

أشار العاهل السعودى الملك «فيصل» بأصابعه الخمس، قائلاً: «سندفع ٥٠ مليون جنيه إسترلينى».

كان هذا المبلغ من إجمالى مبلغ «١٣٥» مليون جنيه إسترلينى مساعدات لمصر والأردن بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، بواقع ١٢٠ مليون جنيه لمصر، و١٥ مليونًا للأردن، وقرر الأمير صباح السالم الصباح رئيس دولة الكويت أن يدفع ٥٥ مليونًا، وتدفع ليبيا الثلاثين الباقية.

حدث ذلك فى مؤتمر القمة العربية بالخرطوم، يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٧، واستمرت أعماله لليوم الثانى فى مثل هذا اليوم «٣٠ أغسطس».

ويروى محمود رياض، وزير خارجية مصر، فى مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»، دار المستقبل العربى، القاهرة، أنه لم يكن يتوقع أن تدفع السعودية أكثر من ٣٠ مليونًا، ويقول إنه اقترح على الأمير «سلطان» و«عمر السقاف» وزير الدولة للشئون الخارجية، أن يحدد المبلغ الذى ترى السعودية دفعه، واتصل به «السقاف» ليبلغه أن الملك «فيصل» رفض الإفصاح عن رأيه قبل الجلسة الرسمية.. ثم فاجأ «فيصل» الاجتماع بالمبلغ الذى اقترحه عبر أصابعه الخمس.

ويقول «رياض»، إنه فى الاجتماع الفردى الذى عُقد بعد ذلك بين ممثلى الوفود، طلب وزير الاقتصاد الأردنى أن تحصل بلاده على ٤٠ مليونًا، لأن الـ« ١٥ » مليونا لن تلبى احتياجات الأردن، ويضيف «رياض» أنه أبلغ الرئيس جمال عبدالناصر بذلك، مقترحًا رفع نصيب الأردن إلى ٢٠ أو ٢٥ مليونًا، فاعترض «عبدالناصر» قائلاً: «دع الأردن تحصل على كل ما تطلبه، فالملك حسين شجاع وشريف معنا، وليكن هذا خصما من نصيب مصر»، وفعلاً حصلت الأردن على ٤٠ مليونًا، ومصر على ٩٥ مليونًا.

تحدث «عبدالناصر» أمام المؤتمر وتناولت كلمته قضية احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية على أثر نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، متسائلاً فيها: «هل يمكن استعادة الأراضى المحتلة الآن عن طريق الحل العسكرى؟

وأجاب: «أعتقد أن الإجابة واضحة على هذا السؤال، وهى أن هذا الطريق ليس مفتوحا أمامنا فى الوقت الحاضر، إذن، ليس أمامنا سوى طريق واحد الآن هو العمل السياسى من أجل استعادة الضفة الغربية والقدس، وعندما حضر إلينا الملك حسين فى القاهرة كنت أشعر بالمشكلة الحقيقية بالنسبة إلى الضفة الغربية، كنت أتألم من أجلها ومن أجل أهلها، كان إحساسى بها وألمى أضعاف ألمى لسيناء، لأن الضفة الغربية مزدحمة بسكانها الفلسطينيين وقد سقطوا الآن فى قبضة الاحتلال اليهودى، فى الوقت الذى نقف نحن مكتوفى الأيدى لا نستطيع أن نفعل شيئا من أجلهم».

بعد انتهاء «عبدالناصر» من كلمته، يتذكر «محمود رياض» أن الصمت ساد قاعة الاجتماع، وتوجهت الأنظار إلى الملك فيصل الذى قال: «أقترح أيها السادة أن تكون كلمة الأخ الرئيس جمال عبدالناصر هى ورقة العمل الخاصة بالمؤتمر، وأن تكون هى أساس القرارات التى ستصدر عنه فى المستقبل».

٣١ أغسطس عام ١٨٠١
اتفاق لجلاء الحملة الفرنسية على وجبة «لحم الخيل»

تراشـق الجنـرال «مينـو» مـع الجنـرال «هتشنسـن» بالعبـارات الجارحـة، الأول كان يقـود الحملـة الفرنسـية عـلى مـصر بعـد سـفر قائدهـا نابليـون ثـم مقتـل نائبـه «كليـبر»، أمـا «هتشنسـن» فـكان قائـدا للحملـة الإنجليزيـة التـى وصلـت إلى الإسـكندرية يـوم ٨ مـارس ١٨٠١ وتبعـه الجيـش العثمانـى، وذلـك لإخـراج الفرنسـيين.

حـدث التراشـق بعـد توقيـع الاثنـين عـلى اتفاقيـة جـلاء الفرنسـيين عـن مـصر فى مثـل هـذا اليـوم «٣١ أغسـطس ١٨٠١».

نصـت الاتفاقيـة عـلى أربعـة بنـود، يذكرهـا «المـؤرخ الدكتـور محمـد فـؤاد شـكرى» فى كتابـه «الحملـة الفرنسـية وخـروج الفرنسـيين مـن مـصر»، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة، وهـى: نقـل الجيـش الفرنسـى بأسـلحته وعتـاده وأحـد عـشر مدفعًـا فقـط مـن مدافـع الميـدان إلى فرنسـا، والفـراغ مـن تسـليم الإسـكندرية خـلال عـشرة أيـام عـلى أن يجـرى نـزول الجنـد إلى البحـر خـلال عـشرة الأيـام التاليـة لترحيلهـم بمجـرد اسـتعداد السـفن للإبحـار، ومنـع أعضـاء لجنـة العلـوم والفنـون مـن نقـل القطـع الأثريـة القديمـة أو مخطوطـات عربيـة أو الرسـوم والمصـورات أو المذكـرات أو المجموعـات الفنيـة والعلميـة، بـل يتركـون ذلـك كلـه تحـت تـصرف القـواد والرؤسـاء الإنجليـز».

كان البنـد المتعلـق بالفنـون والعلـوم سـببًا للتراشـق بـين «الجنرالـين»، والمثـير أن التراشـق كان حـول مقتنيـات مصريـة تسـابق الاثنـان فى الاحتفـاظ بهـا، ويشـير إلى ذلـك كتـاب «بونابـرت فى مـصر» لمؤلفـه «ج. كريسـتوفر هيرولـد»، قائـلاً، إن الاتفـاق تـم التوقيـع عليـه فى الإسـكندرية، ودعـا «مينـو» «هتشنسـن» إلى طعـام قوامـه لحـم الخيـل، وكان توقيـع اتفـاق دون جـدل واحتـداد شـىء لا يسـتطيعه «مينـو» وهـو مـا حـدث حيـث تراشـق الاثنـان حـول المجموعـات التـى يقتنيهـا العلـماء، وفى عـدة آثـار مـن بينهـا «حجـر رشـيد» الـذى زعـم «مينـو» أنـه ملـك خـاص لـه، أمـا «هتشنسـن» فطالـب بهـا تنفيـذًا لبنـود الاتفـاق.

كان «مينـو» عـلى استعداد للتنـازل عـن هـذه المجموعـات، لكـن العلـماء أعلنـوا أنهـم يؤْثِـرون أن يتبعوهـا إلى إنجلـترا عـن أن يسـلموها، واسـتمر تعليـق القضيـة عـدة أيـام، حتـى بعـث «مينـو» خطابـا إلى «هتشنسـن» قـال فيـه: «أحطـت علـما بـأن نفـرا مـن أصحـاب المجموعـات يريـدون أن يتبعـوا مـا جمعـوا مـن حبـوب ومعـادن، وطيـور، وفراشـات، وزواحـف، إلى حيـث يريـدون شـحن أقفاصهـا، ولسـت أدرى هـل يرغبـون فى أن يحنطـوا هـم أنفسـهم لهـذا الغـرض؟ ولكنـى أؤكـد أننـى لـن أمنعهـم إن راقتهـم الفكـرة، وقـد أذنـت لهـم بـأن يخاطبـوك فى الأمـر».

سـمح الجنـرال «هتشنسـن» للعلـماء الاحتفـاظ بمجموعاتهـم، ولكنـه أصر عـلى أخـذ «حجـر رشـيد» إلى إنجلـترا، وعـدم تركـه إلى الفرنسـيين مهـما كانـت الظـروف، وحسـب «هيرولـد»، فـإن «مينـو» تـرك «الحجـر» عـن كـره، وكتـب لـ«الجنـرال» الإنجليـزى: «إنـك تريـده ياسـيدى الجنـرال، ففـى وسـعك أن تأخـذه مادمـت أقوانـا، ولـك أن تنقلـه متـى شـئت»، وهكـذا انتقـل حجـر رشـيد إلى «لنـدن» ليظـل فى متاحفهـا.

١ سبتمبر عام ١٩٦٧
ختام القمة العربية بالخرطوم بـ«اللاءات الثلاث»

وصل مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم إلى ختام أعماله فى مثل هذا اليوم «١ سبتمبر ١٩٦٧»، وانتهى المؤتمر بـ«لاءات» ثلاث شهيرة؛ هى: «لا تفاوض ولا اعتراف ولا صلح مع إسرائيل».

من الزاوية المصرية، كان المؤتمر، بحسب تعبير محمود رياض، وزير خارجية مصر، فى مذكراته الصادرة عن دار المستقبل العربى، القاهرة، «ناجحا»، وحجته فى ذلك: «أن ضياع مواردنا من رسوم المرور بقناة السويس ومن بترول سيناء، كان يهددنا بألا نجد فى خلال الأشهر القليلة التالية العملة الصعبة اللازمة لاستيراد احتياجاتنا من القمح والمواد الغذائية، ومن ثَمَّ فإن الدعم الاقتصادى (٩٥ مليون جنيه إسترلينى) الذى تلقيناه كان مكملا لإعادة بناء قواتنا المسلحة، وكلا الأمرين: البناء العسكرى، والصمود الاقتصادى، مفتاح الطريق إلى النضال الطويل الذى أصبح مقررًا أن ينتهى بتحرير أراضينا التى احتلتها إسرائيل».

كما أدى المؤتمر إلى نتيجة إيجابية أخرى وهى اتفاق «عبدالناصر» و«فيصل» على تسوية مشكلة اليمن بصفة نهائية، وذلك بسحب القوات المصرية من هناك بالتدريج على امتداد الأشهر الثلاثة التالية، مما أدى إلى تصفية عامل التوتر الأساسى فى علاقات مصر والسعودية، حيث كانت «السعودية» تقدم

المساعدات للقوى المناوئة للثورة اليمنية ضد حكم «الإمام أحمد»، مما رتب مواجهات مع مصر التى تساند الثورة.

غير أن اللافت فى وقائع المؤتمر ما يذكره «رياض» حول موقف «عبدالناصر» من اقتراحات وأفكار تم طرحها، ومن بينها قطع العلاقات السياسية مع أمريكا من الدول العربية التى لم تفعل ذلك بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وضرورة سحب الأرصدة العربية من منطقة الإسترلينى والدولار، والاستمرار فى وقف ضخ البترول العربى، وكانت جميع هذه المطالب شعبية على نطاق واسع فى العالم العربى، فكيف تعامل معها «عبدالناصر»؟

يجيب «رياض» بأن عبدالناصر عارض تلك الاتجاهات داخل المؤتمر، وعندما فعل ذلك كان يعلم أنه يتخذ موقفًا جريئًا لا تتقبله الجماهير العربية إلا منه، ومع ذلك فقد كان تصديه لهذه الاتجاهات، ودعوته لاستئناف ضخ البترول، منطلقًا من تحليل موضوعى رفض أن ينساق فيه لإغراء المشاعر الغاضبة ضد أمريكا».

يضيف «رياض»: «كان عبدالناصر يرى أن تلك الإجراءات يمكن أن تكون مفيدة لو أننا على وشك القيام بعمل عسكرى فورى، أما وقد بدأنا نعيد بناء قواتنا المسلحة من الصفر، فإن الأمر سوف يستغرق فترة طويلة، وفى هذه الحالة فإن إيقاف ضخ البترول سيلحق الضرر الفادح باقتصاديات الدول العربية البترولية، وفى النهاية رغم أن مصر قطعت علاقتها فعلاً مع أمريكا، فإن عبدالناصر لم يطلب من الدول العربية الأخرى نفس الخطوة، خصوصًا الدول التى تربطها صداقة تقليدية بها، وكان هدفه الإبقاء على باب عربى مفتوح للحوار مع أمريكا، فضلاً عن رغبته فى أن يتيح لها فرصة كاملة لإثبات، لو أرادت لأصدقائها القليلين الباقين فى العالم العربى، أنها تنوى تخفيف انحيازها الكامل لإسرائيل ضد العرب».

٢ سبتمبر عام ١٨٢٨
مجلس المشورة يعقد أولى جلساته
ويجمع الشحاذين وألف غلام متشرد

«أوصى حضرة أفندينا (محمد على باشا)، إبراهيم باشا ولىّ النعم، بأن يجمع مأمورى الأقاليم المصرية العظام ومشايخ البلاد الكرام لتكوين مجلس المشورة، وينعقد كل يوم، ويُبْدى كل منهم ما فى باله، ويقولون مرادهم من غير تعصب وعناد، ويجتمع فى ذلك المجلس أشراف العلماء المصريين لكى لا يبدو انحراف عن تلك الأصول المستحسنة».

جاءت هذه الكلمات فى بيان نشرته مجلة «الوقائع المصرية» بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٨٢٨، عن كيفية ترتيب وإنشاء «مجلس المشورة» الذى قرره محمد على كشكل برلمانى برئاسة ابنه «إبراهيم»، وضم ١٥٦ عضوًا منهم ٩٩ من أعيان البلاد، و٣٣ من كبار الموظفين والعلماء، و٢٤ من مأمورى الأقاليم.

وحسب كتاب «تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، للدكتور لويس عوض: «كان المجلس استشاريًا غير مُلزِم للسلطة التنفيذية، ومشورته لا تتعرض لسياسة الدولة، وتقتصر على مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العمومية والقضاء والعمالة، وينظر فيما يقدم إليه من شكاوى»، ويجتمع مرة واحدة فى السنة لعدة جلسات، وانعقد لأول مرة فى مثل هذا اليوم «٢ سبتمبر ١٨٢٨» فى قصر إبراهيم باشا «القصر العالى» ومكانه شارع كورنيش النيل من جهة السفارة البريطانية.

وحسب «عوض»، فإن ممثلى السلطة التنفيذية كانوا يدخلون المجلس سنويًا بمشروعاتهم لدراستها قبل إقرارها، ويذكر «عوض» نقلا عن «لينان دى بلفون باشا» كبير مهندسى محمد على فى كتابه عن المشروعات العامة فى عهد «الباشا»، أنه عرض على المجلس مشروعه ببناء القناطر الخيرية، فطالبه المجلس بتقديم ميزانية المشروع فقدم له ميزانية تقديرية، كما قرر المجلس تنظيم السخرة باستثناء عمال المصانع منها، بحيث لا يقع العبء كله على منطقة ريفية دون أخرى، بل تتناوب القرى أسبوعيًا العمل الإجبارى فى تطهير الترع وإصلاح الجسور وبناء القناطر، على أن تقتصر السخرة على شهور توت وبابة وكيهك وطوبة وأمشير وبرمهات وبؤونة، وهى الشهور التى لا يشتغل فيها الفلاحون بالزراعة والحصاد وجنى القطن، وجاء القرار بناء على اقتراح مأمور السنبلاوين (محافظة الدقهلية)، وقرر «المجلس» توحيد زى الموظفين المدنيين مع زى العسكريين بناء على اقتراح الدفتردار «مدير الشئون المالية».

وقرر «المجلس» جمع «ألف» غلام من الصبية المتشردين فى القاهرة لتدريبهم بالأجرة فى مصانع الحكومة، وجمع الشحاذين الأصحاء لنفس الغرض ثم تشغيلهم بعد أن يتعلموا حرفة، وألزم الموظفين ومشايخ البلاد (أى العُمُد كما كانوا يُسمون أيام محمد على) المرتشين والنهابين، برد «البراطيل» والمسلوبات مع توقيع العقوبات المشددة عليهم.

اللافت فى هذه القصة، ما يذكره «لويس عوض» بأن هناك أسماء لأعيان البلاد فى المجلس، ظلت عائلاتهم من وقتها وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢ «وهذا الأمر ممتد حتى الآن» ذات سطوة ونفوذ، من أبرزها عائلات «أباظة، الشريعى، والمنشاوى فى الغربية، والشواربى فى الدقهلية».

٣ سبتمبر عام ١٢٦٠
«قُطُز» يطلق صيحته: «وإسلاماه»..
وينتصر على التتار فى «عين جالوت»

خطب الأمير «قطز» فى أمراء المماليك والجنود الذين كانوا يتهيبون لقاء المغول، قائلا: «يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يختَرْ ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مُطَّلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المسلمين».

ألهبت الخطبة حماس الجنود فى مواجهة «المغول» فى موقعة «عين جالوت» فى مثل هذا اليوم «٣ سبتمبر ١٢٦٠»، ويعدها المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «عصر سلاطين المماليك»، الصادر عن دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية: «تجهيزا معنويا للقتال حسب عرف العسكريين».

كانت هذه الخطبة هى آخر خطوات «التجهيز المعنوى» من قطز لجيشه، وسبقها فعل بالغ الأهمية، حيث أرسل إليه قائد التتار «هولاكو» أربعة رسل يحملون خطابا يفيض غطرسة يطالب بالاستسلام قائلا: «كثيركم عندنا قليل، وعزيزكم لدينا ذليل»، كانت الرسالة تعبيرًا عن غطرسة، استعلاء، احتقار، ثقة مفرطة من المرسِل « هولاكو» بأنه سيفعل ما يريده، فخصومه ليس أكثر من جناح بعوضة، هكذا تصور الأمر، فماذا كان رد فعل قطز ؟

جمع قطز الأمراء، وشاورهم فى الأمر، فاتفقوا على قتل الرسل، وتم تعليق رءُوس القتلى على باب زويلة، وأبقى «قطز» على صبى من الرسل وجعله من جملة مماليكه.

كان هذا التصرف بمثابة «إعلان حرب»، وبالفعل نودى فى القاهرة وسائر إقليم مصر بالخروج إلى الجهاد فى سبيل الله ونصرة لدين رسول الله، وحسب قاسم عبده قاسم، فإن الخوف من المغول كان بمثابة القيد الذى أقعد عددا من الأمراء والجنود عن الخروج لملاقاة العدو.

ويستدل «قاسم» على ذلك بنص أورده «المقريزى» يؤكد هذا الاحتمال، ويشمل هذا النص خطبة «قطز» الملتهبة، وفيها أيضا أنه تقدم لسائر الولاة بإزعاج الأجناد للخروج للسفر، ومن يختفِ منهم يضُرب بالمقارع، وسار حتى نزل الصالحية، وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم فى الرحيل، فأبوا كلهم عليه، فخطب فيهم الخطبة السابق الإشارة إليها.

هناك الكثير فى تفاصيل المعركة حول الكفاءة العسكرية البالغة لـ«قطز» فى إدارتها، ومنها تجهيز قراره القتالى قبل بدء المعركة، ويتلخص فى أن يزحف بجيوشه بواسطة مقدمات الجيش، وليس كما كان كالمعتاد بواسطة جواسيس أو طلائع محددة، حيث أرسل «بيبرس» على رأس مقدمة الجيش لاستطلاع قوات التتار، ودراسة مواقعهم وقواتهم وأسلحتهم وقيادتهم وخططهم، وكان هذا جديدا فى ذلك الزمن الذى لم تعرفه الحروب العربية السابقة.

ولو وضعنا هذه الكفاءة العسكرية إلى جانب الكفاءة المعنوية التى أطلق فيها قطز صيحته الشهيرة «واإسلاماه» تحفيزا لجيشه، فسيكون الحاصل أننا أمام قائد فذ فى تاريخنا، استطاع إنزال الهزيمة بقوة بالغة البطش، وجدت نفسها فى معركة يتم فيها قتل قائدها «كتبغا نوين» وأَسْر ابنه.

تبقى «عين جالوت»، وهى بلدة صغيرة فى الريف الفلسطينى تقع بين بيسان ونابلس، خالدة فى الوجدان العربى والإسلامى، ويؤكد «قاسم»: «إن هذه المعركة أثبتت أن الأمن المصرى يبدأ فى بلاد الشام عامة، وفى فلسطين على نحو خاص، وهو أمر تؤكده التجارب التى مرت على المنطقة طوال تاريخها».

٤ سبتمبر عام ١٨٩٤
محكمة عسكرية واستقالة رئيس المجلس التشريعى
لشرائه ثلاث جاريات

هـل ينطبـق قانـون إلغـاء الـرق عـلى مـن يشـترى رقيقـا، أم أن العقوبـة مقصورة عـلى الاتجـار فى الرقيـق ولا تمتـد إلى عمليـة الشراء؟

انشـغل اجتـماع «مجلـس النظـار» برئاسـة نوبـار باشـا بهـذا السـؤال، وقـرر «المجلـس» تشـكيل لجنـة للإجابـة عليـه بعـد أن فرضـت القضيـة نفسـها بقـوة فى أول عهـد الخديـو «عبـاس حلمـى الثانـى»، عـلى أثـر تـورط «عـلى باشـا شريـف» رئيـس المجلـس التشريعـى فى شراء الرقيـق.

القصـة التـى دار حولهـا هـذا السـؤال، جـاءت فى دراسـة بعنـوان «عهـد جويـدان» كتبهـا سـعد رضـوان، ونـشرت فى «مذكـرات الأمـيرة جويـدان» الصـادرة عـن دار الهـلال، القاهـرة، زوجـة الخديـو «عبـاس حلمـى الثانـى»، وتبـدأ مـن أغسـطس عـام ١٨٩٤ حيـث حـضر إلى مـصر عـن طريـق الواحـات خمسـة تجـار رقيـق، وأقامـوا بالأهـرام ومعهـم سـت جاريـات سـودانيات بضاعـة حـاضرة وجاهـزة للبيـع، وذلـك رغـم إلغـاء تجـارة الرقيـق فى مـصر بمرسـوم مـن الخديـو إسـماعيل عـام ١٨٦٦.

عـرض التجـار عـلىّ «عـلى شريـف باشـا» بضاعتهـم، فاشـترى ثـلاث جاريـات منهـن، وبيعـت الثلاثـة الأخريـات إلى الدكتـور «عبـد الحميـد بـك شـافعى»، الـذى

احتفظ بواحدة، وأهدى ثانية إلى «الشواربى باشا» صاحب الشارع المعروف باسمه فى القاهرة، وأهدى الثالثة إلى «حسين باشا واصف» مدير مديرية أسيوط، وفى ذلك الوقت كانت هناك مصلحة اسمها «مصلحة الرقيق» التى أُنشئت لبحث ما يستتبع تطبيق قانون إلغاء الرقيق من مشكلات وإجراءات، ونما إلى علم ضابط المصلحة بمنطقة الأهرام اليوزباشى «محمد ماهر» أمر الصفقة، فقبض على أربعة من النخاسين وفر الخامس، وتوجه «الضابط» إلى منزل الدكتور «الشافعى» الذى اعترف بالصفقة، وبقيت مشكلة حصانة رئيس المجلس التشريعى التى وقفت حائلا أمام سؤاله، غير أن رئيس مصلحة الرقيق وكان ضابطا إنجليزيا اسمه «شيفر»، استدعاه، فلجأ «على شريف باشا» إلى حيلة الاحتماء بدول أجنبية هى إيطاليا، وقال إنه رعية إيطالية، ولا يجوز سؤاله إلا أمام القنصل الإيطالى.

احتماء رئيس المجلس التشريعى بـ«إيطاليا»، يعطينا ملمحا آخر على هامش قصة «الرقيق» وهو نظام الامتيازات الممنوح للأجانب وقتئذ، فكل من كان يقيد نفسه فى سجلات قنصلية أجنبية كرعية من رعاياها، يصبح له حماية خاصة، ولا يحاكم ولا يحقق معه إلا أمام محاكم القنصلية أو المحاكم المختلطة، ولجأ أغنياء مصر إلى هذه الحيلة مقابل مبالغ يدفعونها، وكانت القنصليات تستثمرها كتجارة رابحة.

اجتمع مجلس الوزراء بشأن القضية، وتشكلت محكمة عسكرية فى مثل هذا اليوم «٤ سبتمبر ١٨٩٤»، وقُدم أمامها النخاسون الأربعة والباشوات باستثناء «شريف باشا» انتظارا لإجابة القنصلية الإيطالية على سؤالها بشأنه، والتى ردت بأنه لم يدفع الاشتراكات الخاصة بذلك منذ سنين، وبالتالى لم يعد من رعاياها ولا تمتد حمايتها له، وقضت المحكمة بالحبس مع الشغل للباشا عبد الحميد الشافعى وبراءة الجاريتين، أما «على شريف باشا» فقدم استقالته إلى الخديو بسبب مرضه واعتكف فى بيته، وكتب اعترافا بشرائه الجاريات الثلاثة وطلب العفو عنه، وبالفعل أصدر الخديو العفو.

٥ سبتمبر عام ١٩٨١
السادات يعتقل ١٥٣٦ من المعارضة
ويسحب اعترافه بـ«البابا شنودة»

لـو عاودنـا قـراءة الصحـف الرسـمية فى مـصر الصـادرة يـوم ٦ سـبتمبر ١٩٨١، فسـنعرف خطـورة الإعـلام حـين يزيـن طريـق الخطـأ للحاكـم، وسـنعرف صـورة بالغـة الدلالـة عـن حالـة الكراهيـة المتبادلـة بـين الرئيـس أنـور السـادات وكل أطيـاف المعارضـة فى مـصر.

فى مثـل هـذا اليـوم «٥ سـبتمبر ١٩٨١»، قـرر السـادات تحفظـه عـلى ١٥٣٦ مـن قيـادات ورمـوز المعارضـة، وألغـى التراخيـص الممنوحـة بإصـدار بعـض الصحـف والمطبوعـات مـع التحفـظ عـلى أموالهـا، وكانـت عمليـة الاعتقـالات بـدأت منـذ يـوم ٣ سـبتمبر رغـم الإعـلان عنهـا بعدهـا بيومـين.

ومـن أشـهر الأسـماء التـى شـملها هـذا القـرار فـؤاد سراج الديـن، محمـد حسـنين هيـكل، فتحـى رضـوان، الشـيخ المحـلاوى، الدكتـور محمـود القـاضى، صـلاح عيسـى، عـادل عيـد، المهنـدس عبـد العظيـم أبوالعطـا (وزيـر الـرى مـع السـادات)، إبراهيـم طلعـت، أبوالعـز الحريـرى، الدكتـور عصمـت سـيف الدولـة، محمـد فايـق، فريـد عبـد الكريـم، حمديـن صباحـى، كـمال أبوعيطـة، عبدالمنعـم أبوالفتـوح، نـوال السـعداوى، لطيفـة الزيـات، محمـد عبدالسـلام الزيـات، شـاهندة مقلـد، فريـدة النقـاش، الدكتـورة عواطـف عبدالرحمـن، الدكتـورة أمينـة رشـيد، الدكتـور حسـن حنفـى، عبـد العظيـم منـاف، عبدالعظيـم المغربـى، كـمال

أحمـد، الدكتـور محمـد حلمـى مـراد، عمـر التلمسـانى، محمـد عبدالقـدوس، محمـد سـلماوى، الدكتـور كـمال الإبراشـى، والمحامـى عبـد العزيـز الشـوربجى، وحسـين عبـد الـرازق، والشـيخ عبدالحميـد كشـك، وآخـرون.

وعـلى الرغـم ممـا أعلنـه السـادات بـأن عـدد المتحفـظ عليهـم «١٥٣٦»، فـإن «هيـكل» يذكـر فى كتابـه «خريـف الغضـب» أن عددهـم يزيـد عـلى ٣ آلاف، كـما صاحَـب هـذه الخطـوة نقـل عـدد مـن الصحفيـين وأسـاتذة الجامعـات إلى وظائـف أخـرى.

جـاءت هـذه الخطـوة بعـد خمسـة أيـام مـن عـودة السـادات مـن زيارتـه إلى أمريـكا، ممـا أوحـى بـأن هنـاك تفاهمًـا مـع الإدارة الأمريكيـة بخصوصهـا، غـير أن هـذا لم يكـن صحيحًـا، فالعوامـل الداخليـة كانـت هـى كلمـة الفصـل، خاصـة مـع تزايـد حـدة السياسـات التـى أدت إلى الفتنـة الطائفيـة، وازديـاد نفـوذ التيـارات المتطرفـة خاصـة الجماعـة الإسـلامية وتنظيـم الجهـاد، كـما أنهـا جـاءت بعـد توقيـع اتفاقيـة كامـب ديفيـد، ورفـع العلـم الإسرائيـلى عـلى السـفارة الإسرائيليـة فى القاهـرة.

امتـد الأمـر إلى البابـا شـنودة، بطريـرك الكنيسـة الأرثوذكسـية، ففـى يـوم ٣ سـبتمبر تـم اعتقـال مئـات الأسـاقفة والرهبـان والقُسُـس، وفى صبـاح ٥ سـبتمبر جـرى تطويـق الديـر الـذى كان يقيـم فيـه «البابـا شـنودة» بقـوات الأمـن، وطبقًـا لكتـاب «خريـف الغضـب»، ذهـب الأنبـا «أبشـوى» إلى «البابـا» يسـأله مـا إذا كان سيشـاهد خطـاب السـادات فى التليفزيـون، فـرد البابـا بأنـه لـن يفعـل وسـوف يـأوى إلى غرفتـه ليقـرأ.

أعلـن السـادات فى خطابـه سـحب اعـتراف الدولـة بانتخـاب البابـا، وتعيـين لجنـة بابويـة مؤقتـة مـن خمسـة أعضـاء لإدارة شـئون الكنيسـة، ممـا زاد مـن احتقـان الأقبـاط.

وفى يـوم ٦ سـبتمبر، وصفـت صحيفـة «الجمهوريـة» الحـدث بـ«ثـورة جديـدة للسـادات»، ووصفتـه «الأهـرام» و«الأخبـار» بـ«قـرارات ضرب الفتنـة».

٦ سبتمبر عام ١٧٩٨
رأس «محمد كُرَيِّم» على «نبُّوت» فى شوارع القاهرة بعد إعدامه

أصر «نابليون بونابرت» قائد الحملة الفرنسية على مصر على أمره بإعدام الزعيم الوطنى «محمد كريم» يوم ٥ سبتمبر ١٧٩٨، وجاء فى الأمر أن «السيد محمد كريم المدان بالخيانة لصلته المستمرة مع المماليك، بعد أن أدى قَسَم الإخلاص للجمهورية الفرنسية، ولقيامه بأعمال التجسس لحسابهم، سيُنفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص بعد ظهيرة الغد».

وفى اليوم التالى، مثل هذا اليوم «٦ سبتمبر ١٧٩٨»، أضاف نابليون ملاحظة قبل نشر الأمر بالإعدام قال فيها: «نفذ حكم الإعدام ظهر اليوم فى ميدان القلعة، وتم عرض رأس كريم فى شوارع القاهرة».

بدأت عملية القبض عليه يوم ٢٠ يوليو فى الإسكندرية، وتم نقله إلى رشيد، ومنها إلى القاهرة يوم ١٢ أغسطس، وظل مسجونا بها رهن التحقيق، ووفقا لما يذكره «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر - الجزء الأول»، تم التحقيق معه، واستجوابه فى الاتهامات الموجهة إليه، وهى مراسلته لـ«مراد بك» وغيره من المماليك وعرب البحيرة، وانتهت بثبوت الاتهامات عليه، فأمر نابليون بإعدامه رميا بالرصاص، ومصادرة أملاكه وأمواله، وسمح له بافتداء نفسه بغرامة ثلاثين ألف ريال فى ٢٤ ساعة، فلم يقبل محمد كريم، وأظهر جَلَدًا وشجاعة أمام حكم الإعدام، ونصحه المستشرق «فانتور» كبير تراجمة الحملة الفرنسية بأن

يدفع الغرامة، وقال له: «إنك رجل غنى فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ؟»، فأجابه «كريم»: إذا كان مقدورا علىَّ أن أموت فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ، وإذا كان مقدرا لى الحياة فعلام أدفعه؟ وأصر على موقفه إلى أن نفذ الحكم عليه رميا بالرصاص فى ميدان «الرميلة» يوم «٦ سبتمبر ١٧٩٨».

وتعتمد رواية «الرافعى» على مراجع فرنسية لشهود عيان على ما جرى، ويرجحها عن رواية «الجبرتى» التى يقول فيها، إنه لما قضى نابليون بإعدام «كريم» أو دفعه لمبلغ ثلاثين ألف ريال، وإعطائه مهلة ٢٤ ساعة لسدادها، أرسل «كريم» إلى المشايخ وإلى السيد «أحمد المحروقى» يستغيث بهم، قائلا: «اشترونى يا مسلمين»، لكن لم يستجب أحد، فلما جاء الظهر، انقضى الأَجَل فأركبوه حمارا، واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة، يتقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به الصليبية، إلى أن ذهبوا إلى «الرميلة»، وكتفوه وربطوه مشبوحا، وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم، ثم قطعوا رأسه ورفعوه على نَبُّوت وطافوا به فى جهة «الرميلة» والمنادى يقول: «هذا جزاء من يخالف الفرنسيين».

يرى «الرافعى» أن رواية الجبرتى غير صحيحة، مستندا إلى: «لو فعل «كريم» ذلك لما فات الفرنسيين أن يذكروها ولما ذكروا رواية تشرف خَصْمًا لهم حكموا بإعدامه، وأغلب الظن أن الجبرتى كان منزويا فى بيته بـ«الصناديقية» فى ذلك اليوم العصيب ولم يَرَ واقعة الإعدام».

٧ سبتمبر عام ١٩٥٢
جماعة الإخوان ترفض الاشتراك فى حكومة «محمد نجيب» وتفصل «الباقورى»

فى العلاقة بين ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجماعة الإخوان الكثير من الحقائق التى لا تذكرها الجماعة، وأخرى تلوى عنقها، حتى تجعل نفسها فى دائرة «المظلومية التاريخية».

وقصة الوزارة التى شكّلها مجلس قيادة الثورة فى مثل هذا اليوم «٧ سبتمبر ١٩٥٢»، شاهد حى على ما فعلته «الجماعة» من تدليس وكذب فى علاقتها بثورة يوليو.

فى بيان لـ«الثورة» صدر بعد قرار حل الجماعة يوم «١٢ يناير»، ومنشور فى الصحف المصرية الصادرة وقتئذ، نجد شرحا وافيا لقصة العلاقة بين الطرفين منذ يوم ٢٣ يوليو، وحتى قرار حل «الجماعة»، ويتعرض لمحاولات قادة الثورة إقناع «الجماعة» بالمشاركة فى وزارة «٧ سبتمبر».

يقول البيان: إنه حينما تقرر إسناد الوزارة إلى الرئيس محمد نجيب، تقرر اشتراك جماعة الإخوان بثلاثة أعضاء على أن يكون أحدهم الشيخ أحمد حسن الباقورى، واتصل الصاغ «عبدالحكيم عامر» بـ«المرشد العام» حسن الهضيبى «تليفونيا» فوافق على هذا الرأى قائلا: إنه سيبلغ القيادة الاسمين الآخرين.

حضر الأستاذ «حسن العشماوى» المحامى إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة، وأبلغ «عبدالناصر» أن المرشد يرشح للوزارة «منير الدالة» الموظف فى مجلس الدولة، و«حسن العشماوى»، ورفض مجلس قيادة الثورة هذا الترشيح، وطلب «عبدالناصر» من «العشماوى» إبلاغ ذلك إلى «المرشد» ليرشح غيرهما.

لم يكتفِ «عبدالناصر» بذلك بل اتصل بالمرشد، فقال الأخير له إنه سيجتمع بمكتب الإرشاد فى الساعة السادسة، ثم يرد عليه، وأعاد «جمال» الاتصال به بعد الاجتماع، فرد بأن مكتب الإرشاد قرر عدم الاشتراك فى الوزارة، فلما قال له «عبدالناصر»: إننا أخطرنا الشيخ الباقورى بموافقتك، وطلبنا منه أن يتقابل مع الوزراء الساعة السابعة لحلف اليمين، أجاب «المرشد» بأنه يرشح بعض أصدقاء الإخوان للاشتراك فى الوزارة، ولا يوافق على ترشيح أحد من الإخوان.

فى اليوم التالى صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصل «الباقورى» من هيئة الإخوان، فاستدعى «عبدالناصر»، حسن العشماوى وعاتبه على هذا التصرف الذى يُظْهر الإخوان بمظهر المتمنع عن تأييد وزارة الرئيس نجيب، وهدد بنشر تفاصيل تشكيل الوزارة، فكان رد «العشماوى» بأن هذا النشر يُحدث فرقة فى صفوف الإخوان، ويسىء لموقف المرشد ورجاه عدم النشر.

سبق هذا الحدث مواقف أخرى لـ«الجماعة»، فهى لم تؤيد الثورة إلا بعد عزل الملك فاروق وسفره إلى الخارج، وفى منزل «صالح أبورقيق» طلب «المرشد» من عبدالناصر تطبيق أحكام القرآن، فرد عليه عبدالناصر إن الثورة قامت حربا على الظلم الاجتماعى والاستبداد السياسى والاستعمار البريطانى، وذلك ليس إلا تطبيقا للقرآن الكريم، وطلب المرشد بأن يتم عرض أى قرارات للثورة عليها قبل إصدارها، فرد عبدالناصر: «لن نقبل وضع الثورة تحت وصاية أحد».

٨ سبتمبر عام ١٩٥٢

«وزارة الشعب» تمتنع عن تناول الفول بسبب شطة «أبوظريفة»

بـدأت أول وزارة لـ«ثـورة يوليـو ١٩٥٢» اجتماعهـا الأول فى مثـل هـذا اليـوم «٨ سـبتمبر ١٩٥٢» برئاسـة اللـواء محمـد نجيـب، أى فى اليـوم التـالى مبـاشرة لتشـكيلها وأُطلـق عليهـا «وزارة الشـعب»، ويتحـدث السياسـى والمناضـل الراحـل فتحـى رضـوان فى كتابـه «عبدالنـاصر» عـن جانـب آخـر فى تشـكيلها، قائـلًا: كان عبدالنـاصر حريصـا عـلى أن يتـم تأليـف الـوزارة يـوم «٧ سـبتمبر»، وكان يسـتبعد كل شـىء مـن شـأنه أن يـؤدى إلى تأجيـل الـوزارة الجديـدة ولـو ليـوم واحـد، ولمـا اطمـأن لتأليفهـا، قـال لـه وهـو يتنفـس الصُّعَـداء: «الآن أسـتطيع أن أذهـب إلى السـينما، تصـور أننـى لم أرَ فيلـمًا واحـدًا منـذ شـهرين».

ترقـب المصريـون هـذه الـوزارة لأنهـا التـى سـتبدأ فى ترجمـة أفـكار ومبـادئ ثورة يوليـو إلى حقائـق عـلى الأرض، وفى عـدد مجلـة «المصـور» ٢٣ أكتوبـر ١٩٥٣، نقـرأ حقائـق تعطينـا ملمحـا عـن الأجـواء التـى كانـت تعمـل فيهـا، وحالـة التقشـف التـى كانـت عليهـا أثنـاء الاجتماعـات.

قالــت «المصــور» إن المعلومــات التــى تقدمهـا تنـشر لأول مـرة منـذ بـدء اجتماعـات الحكومـة يـوم «٨ سـبتمبر»، وإن قانـون الإصـلاح الزراعـى كان أول قانـون نظرتـه، وتـم إعلانـه فى اليـوم التـالى «٩ سـبتمبر» حيـث حـدد الملكيـة الزراعيـة بــ«٥٠٠ فـدان» لكبـار المـلاك، وبلـغ عـدد جلسـاتها حتـى الآن «٢٣ أكتوبـر ١٩٥٣» ثمانـى وتسـعين جلسـة اسـتغرقت قرابـة ٦٠٠ سـاعة؛ منهـا ٧٨

قبل إعلان الجمهورية، وأصدر المجلس منذ تأليفه حتى «٢٣ أكتوبر» ٤٨٧ قانونا، أهمها تخفيض أجور المساكن، وتنظيم الأحزاب، وإلغاء الوقف، واستقلال القضاء، وتأديب الموظفين، ومشروع السد العالى، وقانون عقد العمل، ومشروع كهربة خزان أسوان، وقانون إلغاء الأحزاب، وقانون إلغاء الألقاب «الباشا والبيه»، وتطهير الإدارة الحكومية، وفرض الحراسة على أموال الملك فاروق، وعبرت هذه القوانين عن أنها كانت اللَّبِنة الأولى لتوجه «الثورة» نحو العدالة الاجتماعية التى عظَّمت من إجراءاتها فيما بعد.

وأضافت «المصور» فى تقريرها، أنه فى أوائل الاجتماعات كان إذا امتد العمل يتناول الوزراء طعامهم فى الجلسة، ويتألف من ساندوتش الفول المدمس والطعمية، ولكنهم عدلوا عن تناوله بعد أن أُصيب بعضهم بتعب شديد بسبب «الشطة» التى كان يضعها «أبوظريفة» فى الفول، وأقبلوا على شطائر الجبن وسلاطين اللبن الزبادى، أما فى اجتماعات المؤتمر المشترك التى تعقد فى القيادة فيستبدل بساندوتشات الفول، الكباب وسلاطة الطحينة ونوع واحد من فاكهة الموسم الشعبية.

وحدث أول تعديل وزارى فى ديسمبر ١٩٥٢، حيث أُسندت وزارة الزراعة للدكتور عبد الرازق صدقى، والتجارة للدكتور حلمى بهجت بدوى، والشئون الاجتماعية للدكتور عباس عمار، وبعد إعلان الجمهورية أصبح عبدالناصر وزيرا للداخلية ونائبا لرئيس الوزراء، وصلاح سالم لـ«الإرشاد القومى» وشئون السودان، وعبداللطيف بغدادى وزيرا للحربية والبحرية، وحدث تعديل ثالث أوائل «أكتوبر» ليصبح زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية، وجمال سالم للمواصلات.

٩ سبتمبر عام ١٨١٨
حاكم «الدرعية» يستسلم و«إبراهيم باشا» يسجل انتصاره فى حربه ضد الوهَّابيين

شبت النار فى مستودع الذخيرة فخلفت خسائر فادحة، ولم يبقَ للجيش المصرى الذى يحاصر «الدرعية» الواقعة فى الهضبة الداخلية لشبه الجزيرة العربية إلا مؤونة عشرة أيام والقليل من الذخيرة.

أتت النار على كل شىء، فسأل أحد الضباط قائد الجيش «إبراهيم باشا» عما يمكن فعله، فرد «إبراهيم»: «لم نستطع إنقاذ شىء، ولم يتبقَّ لنا إلا الشجاعة والسيوف لمهاجمة العدو، وإذا ما ملكنا الإرادة، تكفينا للانتصار».

جاء هذا الحادث ضمن وقائع حرب «محمد على» ضد الوهابيين التى بدأت عام ١٨١١ حتى ١٨١٨، وكانت استجابة من «الباشا» لإلحاح السلطان العثمانى «محمود الثانى» بالتدخل من أجل القضاء على هؤلاء الذين ينادون بـ«التطبيق الحرفى للحدود المقررة فى القرآن الكريم، ويرفضون الهيمنة العثمانية»، وظل «محمد على» يماطل أربع سنوات كاملة حتى جاءت استجابته لأسباب متعددة، أهمها خططه المستقبلية فى أن يستقل بمصر عن الدولة العثمانية.

فى بداية شهر أكتوبر عام ١٨١١، وحسب كتاب «الفرعون الأخير-محمد على» لـ«جيلبرت سينويه»: ركب البحر ثمانية آلاف رجل، مقسمين بين ستة آلاف من الألبان المشاة وألفَىْ فارس، تحت إمرة طوسون «١٨ عاما».

بعد وفاة «طوسون» سافر «إبراهيم باشا» إلى شبه الجزيرة العربية يوم ٢٣ سبتمبر ١٨١٦، ليستكمل المهمة، ويبدأ رحلة مجده بانتصاراته فى كل المواقع التى قطعها، منفذا كل النصائح التى وجَّهها إليه والده الباشا، وتمثلت فى وعد زعماء القبائل الجشعين بالذهب والمغانم، والأكثر طموحا منهم بتسليمهم المحافظات التى سيتم الاستيلاء عليها، ومحاولة تفريق الطغمة الوهابية، وإقامة العداء بين البدو وسكان القلاع والمدن، وأخيرا الاستيلاء على «الدرعية» عاصمة الوهابيين والحصن الأكثر استراتيجية.

يذكر «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، أن «إبراهيم باشا» قصد «الدرعية» يوم ١٦ أبريل ١٨١٨ بجيش قوامه خمسة آلاف وخمسمائة من المشاة والفرسان مجهزين باثنى عشر مدفعا، وحاصرها أكثر من شهرين، ويدأمركزه فى الحرج لولا ثباته وعزيمته، ومما زاد الأمور تعقيدا الحريق الذى شب وأجهز على مستودع السلاح والذخيرة، ولما علم الوهابيون بذلك هاجموه فى اليوم التالى للحريق، لكنه أحكم خطط القتال وأمر جنوده بالاقتصاد فى الذخيرة فردهم على أعقابهم.

استمرت الحرب سجالا بين الطرفين، حتى تلقَّى «إبراهيم باشا» الذخيرة، كما تلقى من أبيه رسالة تفيد بأن ثلاثة آلاف مقاتل فى الطريق إليه بقيادة «خليل باشا»، واعتزم «إبراهيم» أن يضرب ضربته القاضية قبل أن يتلقى المدد حتى لا يشاركه «خليل باشا» فى فخر الظفر بـ«الوهابية»، وبالفعل تم الاستيلاء على ثلاثة أحياء من بين خمسة هى كل أحياء «الدرعية».

استمر الحصار خمسة أشهر حتى أعلن «عبد الله بن مسعود» حاكم المدينة استسلامه، وأرسل فى مثل هذا اليوم «٩ سبتمبر ١٨١٨» إلى إبراهيم باشا معلنا وقف القتال وتسليم المدينة وتوقيع اتفاق صلح.

١٠ سبتمبر عام ١٩٤٩
رحيل «أحمد سالم» بعد أن خطفته أسمهان من «تحية كاريوكا»

«ابـن ذوات، چنتلـمان، طَمُـوح، مغامـر، شـاب، أنيـق، وسـيم»، هكـذا يرسـم الكاتـب والروائـى الراحـل صالـح مرسـى فى كتابـه «ليـلى مـراد» دار الهـلال، القاهـرة، صـورة «أحمـد سـالم» المنتـج والمخـرج والممثـل والإذاعـى والطيـار ومديـر اسـتوديو مـصر، الـذى رحـل فى مثـل هـذا اليـوم «١٠ سـبتمبر ١٩٤٩». وفى مجلـد «الراحلـون فى مائـة سـنة فى الإخـراج السـينمائى مـن عـام ١٨٩٦-١٩٩٦»، يذكـر مؤلفـه «عبـد الغنـى داود»، أن «سـالم» مـارس كل ألـوان الفـن السـينمائى، وهـو أحـد أبنـاء العائـلات البرجوازيـة المصريـة فى الشرقيـة فى بدايـة القـرن العشريـن، ومواليـد «٢٠ أكتوبـر ١٩١٠»، واشـتُهر بأنـه الشـاب المـصرى الـذى ذهـب إلى إنجلـترا ليـدرس الهندسـة، فـدرس أيضـا الطـيران، وعـاد إلى مـصر عـام ١٩٣١ يقـود طائرتـه.

اختـاره «طلعـت حـرب» مديـرا عامـا لـ«اسـتوديو مـصر» وعمـره «٢٥ عامـا» فقـط، فاسـتكمل تأسيسـه، وأشرف مـن خـلال عملـه عـلى إنتـاج وتجهيـز العديـد مـن الأفـلام؛ أبرزهـا «وداد» و«سـلامة فى خـير» و«الحـل الأخـير» وفيلـم «لاشـين» عـام ١٩٣٩ الـذى اسـتقال بسـببه مـن «الاسـتوديو» بعـد الأزمـة السياسـية التـى أحدثهـا؛ لتصويـره مجاعـة تـؤدى إلى ثـورة شـعب ضـد النظـام النسياسـى الموجـود وقتئـذ.

قـرر العمـل كفنـان حـر، واسـتمر فى إنتـاج وإخـراج أفـلام لخمـس سـنوات، بدأهـا بـ«أجنحـة الصحـراء» عـام ١٩٣٩، لكنـه توقـف فجـأة بسـبب الحـرب العالميـة الثانيـة، ويرجـح «داود» فى كتابـه «الراحلـون فى مائـة سـنة»، انشـغاله بتجـارة السـلاح، أو ربـما كان وسيطا فيهـا، ثـم عـاد إلى السـينما عـام ١٩٤٦ ببطولـة فى فيلـم «دنيـا» بطولـة «راقيـة إبراهيـم» وإخـراج «محمـد كريـم»، ثـم فيلـم «المـاضى المجهـول»، وفيلـم «رجـل المسـتقبل».

اتُّهـم فى قضيـة «الخـوذات المقلـدة» أثنـاء حـرب فلسـطين عـام ١٩٤٨، بتوريدها للجيـش المـصرى ودخـل بسـببها السـجن، وطلـب الادعـاء الحكـم عليـه بالإعدام، لكـن بعـد فـترة حصـل عـلى الـبراءة وخـرج مـن السـجن إلى السـينما مـرة أخـرى بإخراجـه وكتابتـه للسـيناريو وبطولتـه لفيلـم «دمـوع الفـرح» قصـة «عـلى أمـين» وحـوار «بديـع خـيرى»، لكنـه تُـوفِّى أثنـاء إنجـاز الفيلـم، فاسـتكمله مسـاعده «فطـين عبـد الوهـاب».

فى كتابـه «مـن أسرار الساسـة والسياسـة- أحمـد حسـنين باشـا» للكاتـب الصحفـى محمـد التابعـى، دار الـشروق، القاهـرة، يقـدم فصـلًا مـن حيـاة «سـالم»، يـسرده قصـة زواجـه الغريبـة مـن الفنانـة «أسـمهان» التـى تمـت بالصدفـة فى مدينـة القـدس بفلسـطين عـام ١٩٤٤، وكانـت «أسـمهان» نزيلـة فنـدق «الملـك داود» بالقـدس، تبـذل مسـاعيَها للعـودة لمـصر، وكان هنـاك قـرار بمنعهـا مـن دخـول القاهـرة، وذات يـوم نـزل بصحبـة «تحيـة كاريـوكا» الفنـدق، وكلاهمـا كان صديقـا لأسـمهان، غـير أن «تحيـة» تركـت القـدس إلى حلـب ولبنـان لإحيـاء حفـلات رقـص، وتركـت «سـالم» فى القـدس ينتظـر عودتهـا، وعندمـا عـادت فوجئـت بأنـه تـزوج «أسـمهان» بعقـد زواج شرعـى وصحيـح.

١١ سبتمبر عام ١٩٣١
القبض على «عمر المختار» ومحاكمته «ساعة وربع»

لم يصدق الجنرال الإيطالى «جرازيانى» أن قواته اعتقلت «عمر المختار» قائد المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالى فى مثل هذا اليوم «١١ سبتمبر ١٩٣١»، وفور تلقِّيه الخبر وهو فى «روما»، استقلَّ طائرته إلى «برقة» حتى يرى هذا الرجل الذى كبَّد الاحتلال الإيطالى خسائر كبيرة طوال فترة قيادته للمقاومة.

فى تفاصيل ممارسات «جرازيانى» فى «بنى غازى» أفعال همجية وبربرية ضد الليبيين، وحسب المؤرخ «نيقولا زيادة» فى كتابه «ليبيا»: «وصل «جرازيانى» إلى بنى غازى، واكتسب لقب «جزار برقة» وكل خطوة خطاها فى تلك البلاد تؤكد أنه حصل على هذا اللقب بحق، ومما فعله أنه أنشأ «المحكمة الطائرة» وهى محكمة عسكرية كان ينتقل أعضاؤها بالطائرة إلى كل من يلقى القبض عليه؛ لأنه ساعد أحدا من المجاهدين أو اشترك فى عمل عدائى، وكانت المحكمة تأخذ بالظن وتحاكم محاكمة صورية وتصدر حكمها فى التوِّ وتنفذه فى الحال.

وقع «عمر المختار» فى قبضة الإيطاليين بعد أن جُرح على مقربة من «سيدى رافع» بـ«الزاوية البيضاء»، وتم نقله إلى بنى غازى، وأمر «جرازيانى» المحكمة الطائرة بالانعقاد لمحاكمته فورا.

صباح يوم المحاكمة «١٥ سبتمبر» طلب نقل «المختار» إليه فى مكتبه، ففوجئ برجل يبدو وكأنه ولىٌّ من أولياء الله الصالحين، وبين الاثنين دار حوار يتلخص حسب «زيادة» فى أن «جرازيانى» حاول إظهار «المختار» بأنه مخطئ ويقوم بأعمال لصوصية، لكن «المختار» رد عليه بأنه يجاهد فى سبيل الله وقومه وجماعته، ويدافع عن قضية حق وعدل، وفى دار «البرلمان البرقاوى» عقدت الجلسة الخاصة للمحاكمة، واستغرقت ساعة وربع الساعة.

فى وقائع المحاكمة التى تأتى فى كتاب «السنوسية دين ودولة» للمؤرخ الدكتور «محمد فؤاد شكرى»، يتحدث عنها استنادا إلى شاهد حضرها هو الدكتور «العنيزى»، مشيرا فيها إلى أن «المختار» حضر إلى المحكمة مكبلا بالحديد، وأحضر الطليان مترجما رسميا، ولما بدأ استجوابه، بلغ التأثر مداه على المترجم وهو ينقل الإجابات، فاستبعده رئيس المحكمة وأحضر مترجما آخر، فاختير يهوديٌّ يدعى «أمبروزو» كان بين الحاضرين فى الجلسة.

كان «عمر المختار» واضحا وقاطعا وصريحا يصحح للمحكمة بعض الوقائع، والمثير أن «المحامى» الإيطالى المعين من المحكمة للدفاع عن «المختار» قال: «لو وقعت عينى على عمر المختار فى ميدان القتال فلن أتردد فى قتله، لكن وقد كُلفت بالدفاع عنه، أطلب حكما هو فى نظرى أشد هولا من الإعدام نفسه، وأقصد سجنه مدى الحياة لكبر سِنِّه وشيخوخته».

انتهت المحاكمة بعد ساعة وربع الساعة من بدايتها بالحكم على «المختار» بالإعدام، ولما نطق رئيسها الحكم قال «عمر»: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»، وفى يوم «١٦ سبتمبر» حشد الاحتلال نحو ٢٠ ألفا من «البرقاويين» قسرا، ليشاهدوا تنفيذ الإعدام فى الساعة التاسعة صباحا.

١٢ سبتمبر عام ١٩٩٣
رحيل بليغ حمدى.. وكمال الطويل يسأل محمد رشدى:
«هى الناس دى كلها ليه فى العزاء؟»

«الرحيل فى منتصف جملة موسيقية»، ربما لا نجد أبلغ من تلك الجملة التى كتبها الكاتب الصحفى الراحل محمود عوض عن صديقه الموسيقار بليغ حمدى الذى رحل فى مثل هذا اليوم «١٢ سبتمبر ١٩٩٣»، عن عمر يناهز الـ«٦٢ عاما»، مواليد ٧ أكتوبر ١٩٣١، وقال «عوض» جملته عنوانًا مبدعًا لمقال أكثر إبداعًا جاء ضمن كتابه «بالعربى الجريح»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة.

وبين أوراقى تفصيل لقاء لى فى اليوم التالى لعزاء بليغ مع الصديق الراحل الفنان محمد رشدى الذى ذهبت إليه لتعزيته فى رفيق دربه، وصديق عمره، وكان اللقاء فى ڤيلا رشدى بـ«الدقى» حدثنى فيه باكيًا، وأنقل جانبًا مما ذكره.

قال رشدى: «وإحنا فى العزاء كان جنبى كمال الطويل، لفتت الزحمة نظره، ناس كتير من كل صنف ولون، مثقف بجوار رجل أمى، وسياسى بجوار رجل بسيط، ناس غلابة ياما، سألنى: إيه الحكاية يا محمد الناس كتير ليه؟ قلت له: الناس كتير فعلا يا كمال، اللى يعيش للناس عمره ما يموت جواهم، وبليغ عاش للناس. رد: عندك حق، بليغ فى موته بيرد الاعتبار لينا كلنا».

يواصل رشدى: «بليغ ابن عمرى، كان حلمى اللى بدوَّر عليه من وقت ما نزلت رجلى القاهرة، أنا ابن الناس، وهو ابن الناس، علشان كده شبكنا مع بعض».

يذرف رشدى دموعه: «آه يا بليغ، آه يا بليغ، ياحبيبى، أنا لما غلبنى المرض، اتصل أولادى به، فى دقائق كان على رأسى، حملنى وهو جسمه أصغر من جسمى، وصمم أنه يطلع هو معايا فى الإسعاف، لو هحكى على بليغ الإنسان مش هخلص، طول عمره اللى كان فى جيبه مش له، طول عمره فاتح صدره وبيته للناس».

يضيف رشدى: «المصرى لا يمكن أن يتنازل عن تراثه وشخصيته، والاستعمار من نابليون إلى الإنجليز عرف أصالة المصريين فى الحكاية دى، بليغ وضع إيده على الميزة دى، عظمته أنه سمع موسيقى الغرب ودرسها، وتأثر بها فى حدود وفهم، عمل موسيقى بريئة من طينة مصر، أنا أشبهه بنجيب محفوظ، وأشبه محمد عبدالوهاب بتوفيق الحكيم، حلمه كان فى أغنية عربية قومية ملامحها من التراث، وفى فترته الأخيرة كان مجنونًا بالتراث، لما كان بيجهز موسيقى «بوابة الحلوانى» وهى عن عصر عبده الحامولى، والخديو إسماعيل بحث فى الكتب، وسأل وقرأ عن الحامولى، كان يفاجئنى: «الناس دى يا محمد عملت إنجازات عظيمة فى الموسيقى وواجب علينا نكملها».

رشدى يواصل: «بليغ كان مؤسسة، ثائر، زعيم ثورة فى الموسيقى، الثورة تحتاج إلى تنظيم ونظرية، يعنى إيه الكلام ده فى التطبيق؟ أقول لك: هو كان يرانى متمسكًا بمصريتى فيعطينى الأغنية المناسبة، ويعطى لعفاف راضى «الأغنية العلمية»، ولما وجدنى غرقان فى المحلية قدم لى «مغرم صبابة» و«ميتى أشوفك» و«طاير يا هوا»، كنت قلقان من هذا التحول إلى الرومانسية، لكنه كسب الرهان، ووجد فى «شادية» البنت المصرية مثلى فأعطاها «يا حبيبتى يا مصر» و«قولوا لعين الشمس متحماشى» و«خلاص مسافر» و«آخر ليلة»، ولما فهم محمد عبدالوهاب إن المرحلة هى مرحلة بليغ انسحب».

يتنهد رشدى: «على فكرة عبد الوهاب كان دايما شايل فى نفسه حاجة من بليغ بدليل مذكراته اللى كتبها الشاعر فاروق جويدة بعد رحيله، وقال فيها: بليغ كان يبدأ بالذهب والفضة، وينتهى بالنحاس والصفيح، ده رأى ظالم قوى، الحقيقة إن بليغ كان يبدأ بالذهب وينتهى به، طول عمر عبد الوهاب كان عنده حاجة من ناحية بليغ».

ـ كتب الشاعر فاروق جويدة مذكرات لـ«عبد الوهاب» غير المسجلة تليفزيونيًا بين عبد الوهاب والكاتب سعد الدين وهبة، وتمت إذاعتها وطبعها فى كتاب، ومذكرات جويدة تم نشرها فى مجلة «الوسط» وكانت تصدر من لندن عن دار الحياة.

١٣ سبتمبر عام ١٨٨٢
هزيمة «التل الكبير» .. وعرابى:
«حرضت على قتال العدو فما كان من سميع ولا بصير»

كان «أحمد عرابى» يؤدى صلاة الفجر فى مثل هذا اليوم «١٣ سبتمبر ١٨٨٢»، وإذا به يسمع ضرب المدافع والبنادق بشدة، وحسب مذكراته الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، فإنه وجد ضرب النار من القوات الإنجليزية بشدة، ورأى المقذوفات تنطلق على خيمته والمركز العمومى له.

كان ميدان القتال فى «التل الكبير» بمحافظة الإسماعيلية، وهو الحدث الذى تحفظه سجلات التاريخ بـ«معركة التل الكبير» بين «جيش عرابى» والإنجليز، وانتهى إلى هزيمة عرابى، لتقع مصر تحت الاحتلال حتى عام ١٩٥٤، وفى تفاصيل المعركة تتشابك خيوط الخيانة بسوء التقدير والتخطيط، ويروى الشيخ محمد عبده فى مذكراته، أن رسولا جاء إلى عرابى يُنبِّئه بخيانة العُرْبان، فأبى قبولها قائلا: «إنهم مسلمون».

فى رواية عرابى لوقائع هذا اليوم دراما كبيرة، فهو يذكر مثلا أنه لما رأى ضرب الإنجليز عليهم، كان موجودا نحو ألفين من الأهالى المتطوعين مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشيخ أحمد، وجابر بك من بندر بيا بمديرية بنى سويف، فناداهم للهجوم على البطاريات الإنجليزية مصدر قذائف النيران فامتنعوا ودهشوا، ويضيف: «ذكَّرناهم بحماية الدين والعِرْض

والشرف والوطن فلم يُجْدِ ذلك نفعًا»، ويقول: «كان الرعب قد أخذ من قلوبهم كل مأخذ فتفرقوا فرارا».

يواصل عرابى روايته «الحزينة» قائلا، إن ضابطا جاءه من طرف على باشا الروبى القومندان الجديد يخبره باتخاذ مركز آخر للقتال، ثم نظر فوجد الميدان مزدحما بالخيل، والجمال، والعساكر، مشتتين، مُولِّين ظهورهم للعدو، فذهب إلى القنطرة التى على الترعة ليمنع فرار العساكر.

يضيف عرابى: «صرت أناديهم وأحرضهم على الرجوع والثبات على قتال العدو، وأذكرهم بالشرف الإسلامى والعرض والوطن، ولم أغادر كلمة من شأنها تنشيط الأجسام الميتة، وبث الشجاعة فى قلب كل رعديد جبان، فما كان من سميع ولا بصير، بل ألقوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا إلى البر الغربى».

ذهب «عرابى» إلى بلبيس، وحسب قوله: «ذهبت لجمع المنهزمين هناك واتخاذ مركز آخر لمنع العدو من الوصول إلى القاهرة، وكان معى أخى «صالح عرابى»، وخادمى «محمد إبراهيم»، وجاويش بروجى يدعى «عطية محمد»، وكانت مقذوفات الطوبجية السوارى «الإنجليزية» تتساقط علينا من كل صوب حتى تركنا حدود التل الكبير».

لما وصل عرابى إلى بلبيس وجد «على باشا الروبى» سبقه إليها، فسأله عما دهاهم، فرد: «إنه الخذلان»، ويقول: «كانت على أثرنا فرقة من خيالة العدو فهجموا علينا، فأرخينا للخيل أعنتها حتى وصلنا محطة أنشاص، فوجدنا هناك قطارا فركبناه وأسرعنا إلى القاهرة، لاتخاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الأعداء قبل وصولهم إليها.

توجه «عرابى» إلى ديوان الجهادية ودعا المجلس العمومى للاجتماع، وحضره أمراء العائلة الخديوية وقيادات الجيش وأعيان القاهرة، وأخبرهم بالهزيمة، وسألهم: «هل يلزم الاستمرار فى المدافعة، أم التسليم لقضاء الله وقدره؟ واستقر الرأى على الدفاع».

١٤ سبتمبر عام ١٩٦٧
موت المشير عامر.. والنائب العام يحقق بنفسه
ويجدد تأكيده بعد ٨ سنوات: «انتحر بالسُّمّ»

هل مات المشير عبد الحكيم عامر منتحرا أم مقتولا فى مثل هذا اليوم «١٤ سبتمبر ١٩٦٧»؟

هو سؤال يجدده البعض، وغالبًا ما يتحدد الرأى فى ذلك طبقًا لوجهة النظر والمشاعر الشخصية نحو جمال عبدالناصر، ومن بين كل الشهادات التى قيلت فى هذه القضية تبقى شهادة «أمين هويدى» وزير الحربية فى الفترة القصيرة التى تلت نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ ورئيس جهاز المخابرات العامة، هى الأكثر ثراء ومصداقية، لأنها تحتوى على تفاصيل دقيقة يكتبها بوصفه مشاركا وطرفا فى القضية، وسجلها جميعها فى كتابه«مع عبد الناصر»، دار المستقبل العربى، القاهرة.

أما الحقيقة فى موت «عامر» فتأتى كاملة فى كتاب «سنوات عصيبة-ذكريات نائب عام»، للمستشار «محمد عبد السلام» الذى شغل موقع النائب العام من أغسطس ١٩٦٣، والكتاب صادر عن «دار الشروق» عام ١٩٧٥.

حسب «هويدى»، فإن المثير أن موعد صدور كتاب «سنوات عصيبة» كان فى عز حملة الهجوم ضد «عبدالناصر» فى سبعينيات القرن الماضى، كما أن المستشار محمد عبدالسلام، لا يخفى مشاعره السلبية نحو هذه المرحلة كلها،

مشيرا إلى أنه وقت اختياره للمنصب، كان يدرك المصاعب التى ستقابله مع «حكام لم يكن بعضهم قد نسى صفته العسكرية وكان من العسير عليهم فهم معنى العدالة وقداستها».

يؤكد المستشار «محمد عبدالسلام» أنه حرص على التحقيق بنفسه، بل وينبه على معاونيه من أعضاء النيابة بالالتزام فى تحقيقاتهم بأقصى ما يطالب به المحقق النزيه من الحيدة، وعدم التأثر بفكرة معينة وإفساح المجال لإثبات أى أقوال تُبدَى مهما تكن خطورتها، لتكون بعد ذلك محلًا للفحص والاستنباط واستخلاص النتائج الصحيحة منها.

ويستطرد قائلًا: «رأيت أن أسأل- انطلاقًا من هذه الاعتبارات- الفريق أول محمد فوزى والمرحوم الفريق عبد المنعم رياض وغيرهما من الضباط والأطباء، ومن الناحية المضادة سؤال أسرة المشير الذين اتهموا السلطات الحاكمة بقتله، وقد رأيت أن أسأل أفراد الأسرة فى منزلهم حتى يكون التحقيق بعيدا عن أى مظهر من مظاهر السلطان، أو أى مظنَّة من مَظانّ الإرهاب، وطلبت لنفس الاعتبارات من ضباط المباحث العامة وغيرهم من رجال الشرطة الذين صاحبونى فى الطريق، أن يبقوا بعيدا عن المنزل مسافة تزيد على المائة متر».

ويضيف: «لما كان من أسرة المشير من يُبدى استعداده للتوقيع على أقواله بعد تسجيلها، فكنت أصر على ألا يوقع إلا بعد أن يطالع ما أثبت على لسانه»، ويتحدث عن سبع حقائق مفصلة عن انتحار «المشير» بمادة «الأكوتين» السامة ممزوجة بقطعة من الأفيون وورقة من السلوفان للتخفيف من آلام التسمم، وفعل ذلك بعد أن رفض بإصرار تنفيذ أمر «عبدالناصر» بنقله من منزله إلى استراحة أُعدت له فى المريوطية، وأبلغه بذلك الفريق أول محمد فوزى، والفريق عبدالمنعم رياض والعميدان سعد عبدالكريم، ومحمد سعيد الماحى.

مع استمرار رفض «عامر» الانتقال إلى الاستراحة الجديدة، دخل «رياض» إليه ليحاول إقناعه، لكنه أصر على الرفض وغافل الحاضرين ليتناول السم، ونُقل إلى مستشفى المعادى لإجراء الإسعافات الأوَّلية، ثم نقل بعدها إلى المريوطية حتى مات فى الساعة السادسة و٣٥ دقيقة يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧.

١٥ سبتمبر عام ١٩٥٦
مصر تذهل العالم فى مواجهة
مؤامرة سحب المرشدين الأجانب من القناة

كانت الساعة التاسعة والنصف صباحا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٥٦، حينما اجتمع الرئيس جمال عبدالناصر مع «محمود يونس» قائد عملية تأميم قناة السويس ومساعده الأول «عبدالحميد أبوبكر» الذى يتحدث فى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا» عما دار فى هذا الاجتماع، قائلا، إن عبدالناصر قال لهما، إن السيناتور «هيذرنجتون» رئيس تحرير جريدة الجارديان البريطانية، نشر أمس حديثا مع أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا قال فيه، إن قناة السويس ستتحول إلى حفرة بسبب عدم قدرة المصريين على تشغيلها، والسد العالى لن يبُنى إلى الأبد.

كانت خطة «إيدن» تتمثل فى انسحاب المرشدين والموظفين الأجانب من القناة، حتى تظهر مصر أمام العالم بمظهر العاجز عن تشغيل هذا الشريان المائى، مما يستدعى تدخلا دوليا عاجلا ضاغطا ضد مصر.

بسط «يونس» خطة المواجهة التى أعدها مع مساعديه أمام عبدالناصر، ويقول «أبوبكر»: «أجبنا على كل الأسئلة التى وجهها الرئيس، وسجلنا بعض الملاحظات التى ذكرها، وبعد أن انتهينا تماما، تراجع عبدالناصر فى مقعده، وألقى برأسه إلى الوراء، وأغمض عينيه بقوة ثم فتحهما ونهض واقفا، ومد يده لنا مصافحا ومودعا قائلا: «على بركة الله يا رجالة، على بركة الله»».

لا ينسى «أبوبكر» هذا اليوم، يقول: «لم ولن أنسى أبدا يوم تنفيذ المؤامرة، فقبل ساعات من تنفيذها ازدحمت مدن القناة الثلاث بالأجانب الذين سينسحبون الليلة، وكانوا يشترون حاجاتهم، وانشغلت الفنادق بالكامل بعد أن تدفق الصحفيون إليها من العالم ليشاهدوا ما سيحدث، وكانت ساعة التنفيذ تمام الساعة الثانية عشرة «منتصف ليل ١٤ و١٥ سبتمبر»، ولما حل الموعد ترك المرشدون الأجانب السفن وعلى وجوههم الابتسامة والسخرية».

كان «يونس» ابن الـ«٤٤ عاما» وقتئذ يدير المعركة بإرادة فولاذية وذكاء بالغ ومعه «أبوبكر ٣٣ عاما» و«عزت عادل ٣١ عاما»، ففور انسحاب المرشدين توجه بدلا منهم طاقم تم تجهيزه لهذه اللحظة، وعددهم ١٦ لتسيير القافلة الأولى وعددها ١٦ سفينة من بورسعيد، ثم ٢٥ من السويس، وتمت العملية بنجاح وسط حشود من أبناء القناة على طولها، بالإضافة إلى المرشدين والموظفين الأجانب وعائلاتهم، الذين تجمعوا على سطح النادى الفرنسى المطل على القناة وبوغاز بورسعيد، منتظرين فشل مصر حتى يتدخلوا، وكذلك فى السويس.

وبينما سيطرت حالة من الذهول على الأجانب، دوت جموع المصريين بالزغاريد والهتافات، ويقول «أبوبكر»: ليلة الانسحاب عبرت ٤٢ سفينة لم يَعُقْ سيرها عائق، فكبرت مصر وهللت، وارتفع صوت جمال عبدالناصر فى حفل تخرج دفعة من كلية الطيران، قائلا: «اليوم نثبت للعالم أجمع أن المصريين تمكنوا من أن يواصلوا العمل فى القناة، بعد أن سحبت فرنسا وإنجلترا جميع المرشدين والموظفين، اليوم باسم الشعب وباسم كل فرد من أبناء مصر أهدى إلى هؤلاء الرجال وسام الاستحقاق من الشعب المصرى».

١٦ سبتمبر عام ١٩٢٣
أكبر تنظيم لتجارة البِغَاء يديره «إبراهيم الغربى» وضحاياه ٤٠٠ قاصر

هو «إبراهيم محمد محمود الغربى»، أشهر «القوادين» فى تاريخ مصر كلها، جاء إلى القاهرة فى نهاية عام ١٨٩٠ من «كرسكو» مركز «الدار» بمحافظة «أسوان»، حيث كان والده يعمل فى تجارة الرقيق، وبدأ حياته بافتتاح بيت للبِغَاء العلنى فى شارع «وابور المياه» بـ«بولاق»، ولم يمضِ عام حتى امتلك البيت وآلاف الجنيهات.

وفى عام ١٨٩٦، استأجر «الغربى» منزلا كبيرا فى «الوسعة» لتشغيل البغايا، ثم اقتنى مقهىً بلديا تعرض فيه الراقصات رقصات خليعة تستفز الغرائز، وفى ١٩١٢ امتلك ١٥ بيتا للبغاء فى «الأزبكية»، يعمل فيها ١٥٠ امرأة، وأصبح اسمه يقترن بمملكة البغاء فى القاهرة مع بداية الحرب العالمية الأولى.

أصبح «الغربى» حديث الرأى العام عام ١٩٢٣، كما يأتى فى كتاب «البغايا فى مصر - دراسة تاريخية واجتماعية من ١٨٣٤ - ١٩٤٩» لمؤلفه «عماد هلال»، وكتاب «مجتمع القاهرة السرى ١٩٠٠-١٩٥١» للمؤرخ الدكتور عبد الوهاب بكر، وذلك حين قدم النائب العام «محمد إبراهيم باشا» إلى المصريين بيانا نشرته صحيفة الأهرام يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٢٣ عن قضية بدأت وقائعها فى مثل هذا اليوم «١٦ سبتمبر ١٩٢٣»، بتحقيقات أجرتها نيابة السيدة زينب فى بلاغ عن أن بنتا قاصرا اسمها «إحسان حسن مصطفى» عمرها ١٤ سنة

قابلتها امرأة اسمها «فاطمة محمد الفيومية» بجوار ضريح السيدة زينب، ورغّبتها فى الذهاب إلى منزلها لتزوجها بابنها، فذهبت معها، وبعد ثلاثة أيام أعطتها مخدرا، وأدخلت عليها شخصا اسمه «محمد حجازى»، فض بكارتها.

فتحت النيابة تحقيقا فى جناية هتك عرض أخرى خاصة بالبنت زينب عبد الخالق، وقبل أن ينتهى التحقيق فى الجنايتين، ذهب وكيل النيابة إلى «الحوض المرصود»، وأحضر من هناك ثلاثين بنتا اشتبه فى أن سِنَّهن أقل من ١٨ عاما، وأحضر بعض البنات المشتبه فى سنهن، فى «نقطة المومسات» فى زينهم، وضبط بعض الفتيات «العايقات» فى «الوسعة»، وبلغ عدد المتهمين فى هذه القضية ٥٢ رجلا وامرأة.

توسعت التحقيقات لتكشف أن هناك تنظيما يغوى الفتيات القاصرات، ثم يؤخذن إلى بيوت الدعارة للعمل بالإكراه، بتزويجهن ثم تطليقهن بعد ٢٤ ساعة ليدخلن فى طابور المومسات، وذلك بتواطؤ بين العصابة والشرطة، وتبين أن هناك ٤٠٠ فتاة بيع أكثرهن فى أسواق الرقيق الأبيض، ويترأس هذا التنظيم «إبراهيم الغربى»، ويدير عمليات الرقيق الأبيض من «إسنا» إلى «الإسكندرية»، والفتيات اللاتى يقعن فى قبضة تنظيمه يرسلهن ليلا من بلادهن فى حراسة رجاله، فيصلن إلى القاهرة أو الإسكندرية قبل غروب الشمس.

فتشت النيابة منزل «الغربى» فى البؤرة التى هو فيها مرتين، فوجدت فيه كمبيالات على النساء والفتيات بمبالغ كثيرة، وبعض أوراق تفيد فى التحقيق، وكذلك وجدت أوراق البنكنوت موضوعة فى صرر من القماش وملقاة فى غرفة داخلية، ولما فتحت الخزائن وجد فيها كميات كبيرة من الذهب ملقاة بغير انتظام، ووجد داخلها مصوغات كثيرة من أساور ذهبية مرصعة بالألماس، ومعلقة فى خشب من أيدى المكانس، مما يدل على أن المال الذى وصل إليه من طريق البغاء كان كثيرا جدا.

كان «الغربى» حينما قُبض عليه يلبس ملابس النساء، فلما زُجَّ به فى سجن الاستئناف، أحضروا له ثوب رجل، وقرر المحقق أحمد شرف الدين بك

وكيل نيابة مصر، أن يكشف الطبيب الشرعى على «الغربى» لمعرفة حالته، ولتقدير مدى مسئوليته فى الجنايات التى اشترك فيها، كما أمر بتجديد حبس «الغربى» ومجموعة من أعوانه، وهم: محمد على بدوى، فاطمة الشبينية، خديجة صالح، حسنى فتح الباب، وردة شحاتة، فاطمة محمد، أمينة طلبة، نفيسة القرعاء، تفيدة حسن، بتهمة استغواء النساء، وتحريض الفتيات على البغاء، والعدوان على شرف القاصرات منهن.

أحضر المتهمون حشدا من المحامين أثناء عرضهم أمام النيابة، وهم: أحمد نجيب برادة بك، وهيب دوس أفندى، محمد عابدين أفندى، حسن علام أفندى، محمود حسن أفندى، وانتهت القضية بالحكم على «الغربى» بالسجن فى منتصف عام ١٩٢٤ خمس سنوات مع الأشغال الشاقة، ومات فى السجن بعد نحو عام.

١٧ سبتمبر عام ١٩٢٣
سعد زغلول يعود إلى الإسكندرية من المنفى.. ويداعب الجماهير «أنا مش عاوز أتنفى تانى»

«رأيت بعض خطبائكم يوجه إلىّ تهمة كبيرة جدا، لا يمكننى أن أتركها تمر دون أن أدافع عن نفسى فيها، وهى أننى غرست فى قلوبكم محبة الوطن، وأشعلت الحماسة فيكم، هذه تهمة لا يمكننى أن أسكت عنها، تعرفوا ليه؟ لأنى مش عاوز أتنفى تانى مرة».

ضحك الحاضرون وعددهم «٨٠٠» من هذه الطرفة التى قالها الزعيم الوطنى «سعد زغلول»، وجاءت فى إطلالته الأولى أمام الجماهير بعد عودته من المنفى فى مثل هذا اليوم «١٧ سبتمبر ١٩٢٣»، حيث نظم له الطلبة حفل تكريم فى فندق «سفواى» فى الإسكندرية، وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى - يوميات مصر السياسية»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، فإنه كان فى مقدمة حضور الحفل، سمو الأمير «عمر طوسون» و«محمد سعيد باشا» و«يوسف وهبة باشا» وتولى الاثنان رئاسة الوزراء، بالإضافة إلى رجال الوفد وبعض الوفود.

بدأ الحفل فى منتصف الساعة الخامسة مساء، فى نفس اليوم الذى وصل فيه «سعد» من منفاه، حيث وصلت الباخرة به إلى ميناء الإسكندرية قرابة السابعة صباحا تصحبه حرمه السيدة صفية زغلول، والسيدة «هدى

شعراوى»، وسكرتيره الخاص «كامل سليم»، وبعض أعضاء حزب الوفد، وفى الساعة العاشرة والربع قصد قصر المنتزه لمقابلة الملك فؤاد، ودامت المقابلة بينهما ٥٥ دقيقة.

قضى سعد فى المنفى من «ديسمبر ١٩٢١» وحتى صدور قرار من سلطات الاحتلال الإنجليزى لمصر بعودته فى ٢٠ يوليو ١٩٢٣، وظل يتنقل بين بعض المدن الأوروبية بقصد الاستشفاء والاستجمام، حتى أبحرت به السفينة «لوتس» يوم ١٢ سبتمبر من مرسيليا، وفى مذكرات «فخرى عبدالنور» سكرتير حزب الوفد وأحد قادته التاريخيين الذين ناضلوا ضمن صفوفه فى هذه المرحلة، الصادرة عن دار الشروق، القاهرة، وصف للاستقبال الشعبى لـ«سعد» قائلًا: فى فجر هذا اليوم خرجت الإسكندرية وعشرات الألوف من المديريات المجاورة عن بكرة أبيها، مصريون وأجانب، تستقبل الزعيم البطل وكأنه أسطورة من أساطير التاريخ، فى مشهد رائع يعجز القلم عن وصفه، وتُقلِع السفن من الميناء إلى عرض البحر للإعراب عن ابتهاجها بعودته، تحفُّ بها المئات من الزوارق الخاصة واللنشات البخارية وهى تقل حشودا غفيرة من البشر، فكنت لا تسمع مع هدير الأمواج وتلاطمها إلا هدير الأصوات يتجاوز آفاق السماء لا تتميز منه إلا كلمة واحدة: «سعد، سعد، سعد»، والرنين ورجع الصدى يتصادمان إلى أبعد مدى، فيثيران فى النفوس رهبة وجلالا.

وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى» المشهور تاريخيا بأنه «قائد التنظيم السرى لثورة ١٩١٩»، قال «سعد» فى خطابه بالإسكندرية: «نُفيت لأنى متهم بأنى غرست الوطنية فيكم، ولم أكن أنا الغارس للوطنية فى قلوبكم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - هو الذى غرسها فى صدوركم، وقد أخذتها عنكم لأننى منكم فسرت الوطنية منكم إلىَّ».

وفى الساعة التاسعة مساء، حضر «سعد باشا» الحفل الذى نظمه الأعيان فى فندق «كلاريدج».

١٨ سبتمبر عام ١٩٢٣
سعد زغلول يلوِّح بمنديله الأبيض للجماهير فى القاهرة

«امتلأت شوارع القاهرة عن آخرها بطوفان من البشر، وكأنه يوم الحشر، اجتازها (سعد زغلول) من المحطة إلى (بيت الأمة) فى أكثر من أربع ساعات واقفا على متن السيارة المكشوفة يلوح لجماهيرها بمنديله الأبيض، منصوبا، رافع الرأس وقد عاد- وهو الشيخ الذى تجاوزت سنُّه السبعين من العمر- شابا فتيا»، هكذا يصف «فخرى عبدالنور» سكرتير حزب الوفد، وأحد شهود الحدث فى مذكراته، حال القاهرة فى مثل هذا اليوم «١٨ سبتمبر ١٩٢٣»، وهى تستقبل سعد زغلول بعد عودته من المنفى، وكانت الإسكندرية شهدت نفس الاستقبال له فى اليوم السابق «١٧ سبتمبر».

وصل «سعد» إلى «بيت الأمة» بعد أن رُفعت عنه الأختام التى وضعتها السلطة العسكرية، وفى اليوم التالى «١٩ سبتمبر» أُقيم سرادق يتسع لأكثر من خمسين ألفا، وامتلأ عن آخره، وتصدر الحاضرون، «محمد الببلاوى، نقيب الأشراف» و«إبراهيم سعيد باشا» وأعضاء الوفد بكامل هيئاته وفى مقدمتهم «حمد الباسل باشا» و«على الشمسى» و«ويصا واصف».

فى الواحدة ظهرا ألقى «سعد» خطابه، وحسب مذكرات «عبد الرحمن فهمى- يوميات مصر السياسية» الصادرة عن دار الكتب والوثائق القومية، بدأ قائلًا: «لم أصعد المنبر للخطابة فيكم لأنى ما أزال ضعيفا لا أقوى على

الخطابة، ولكنى صعدت إليه طاعة لأمركم واطِّرادًا لخطة التزمتها، وهى أننى لست أميرا فيكم، ولكنى خادم لمبادئكم».

أضاف «سعد»: أرجو من كل مصرى أن يحافظ على أمر واحد هو فخار نهضتنا الحاضرة وهو الاتحاد المقدس، وتفضل بعض خطبائكم بإسناد هذا الفضل لى، وأنا لا أقول ذلك ولا أدعيه ولا أتصوره، وإنما نهضتكم تبتدئ من مؤسس العائلة العلوية «محمد على» وللحركة العرابية فضل كبير فيها، وللسيد «جمال الدين الأفغانى» أثر كبير فيها هو وأتباعه وتلاميذه، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل عزيز فيها، أيضا كذلك للمرحوم محمد بك فريد».

واصل «سعد» خطابه: «أتت هذه النهضة على أثر تلك النهضات وامتازت عن سابقتها بأنها وثَّقت هذا الاتحاد المقدس بين الهلال والصليب، هذا الاتحاد أرجو مصر جميعها ألا تتهاون فيه إنه فخار هذه النهضة وعمادها، وهو الذى اضطرب له خصومنا وفنَّد حجة يعتمدون عليها، إذ كانوا يقولون نحن حُماة الأقلية فلا بد أن نقيم بينكم لنحفظ العدل فيكم».

أضاف «سعد»: «هذه الحجة أبطلها اتحادكم، ولكنهم الآن انتهزوا فرصة الانتخابات ليبثوا هذه الدسيسة فاحذروها، دسيسة أن هناك أقباطا ومسلمين، وليس هناك إلا مصريون، ومن يسمونهم أقباطا كانوا ولا يزالون أنصارا لهذه القضية».

فى خطابه قدم «سعد زغلول» رؤية وطنية جامعة، فهو يؤكد أن نضاله امتداد لمن سبقوه ولم يستثنِ أحدا، بما فى ذلك مصطفى كامل، الذى لم يكن رأيه فيه إيجابيا، كما وضع يده على خطر قضية العبث فى العلاقة بين المسلمين والأقباط.

١٩ سبتمبر عام ١٨٨٢
«الخديو توفيق» يلغى الجيش المصرى

ماذا لو كان «محمد على» موجودا وقت أن أعلن حفيده الخديو توفيق مرسومه بإلغاء الجيش المصرى؟

بالطبع لا ينفع مع التاريخ سؤال «لو»، لكن لأن «الحفيد» ألغى حلم وأمل وسعى «الجد»، نطرح السؤال من واقع ما فعله «توفيق» فى مثل هذا اليوم «١٩ سبتمبر ١٨٨٢»، أى بعد بدء الاحتلال الإنجليزى لمصر بخمسة أيام.

على أثر هذا القرار تم صرف الجنود إلى بلادهم، وأبقى كبار الضباط لمحاكمتهم، وحسب تعبير «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال»، دار المعارف، القاهرة: «كان صدوره هو الخطوة الأولى لقلب نظام الجيش ومحو صبغته القومية، كما أن التعجل بصدوره كان ذريعة لإنجلترا لتسويغ احتلالها مصر، بحجة المحافظة على النظام حتى يتألف الجيش المصرى الجديد».

أكمل «توفيق» مخططه لتكريس الاحتلال الذى تسبب فيه ورعاه مما جعله يتفرد بين حكام مصر بلقب «الخائن»، وفى يوم «٢٤ أكتوبر» أصدر مرسومه بتجريد جميع الضباط المشاركين فى الثورة العرابية ممن كانوا برتبة ملازم ثان، وملازم أول، ويوزباشى من رتبهم، وحرمانهم من الحق فى المعاش ومرتب الاستيداع، واعَدّ شريكا فى الثورة كل من أسهم فى إحدى المقاومتين

العسكريتين التى حصلت إحداهما فى أول فبراير سنة ١٨٨٢ والمعروفة بـ«واقعة قصر النيل»، والأخرى فى «٩ سبتمبر» والمعروفة بـ«واقعة عابدين»، وكذلك من وجد تحت السلاح فى «١١ يوليو ١٨٨٢» وحمله إلى يوم «طاعة الجيش»، ومن دخل العسكرية متطوعا فى المدة من ١١ يوليو ١٨٨٢ إلى يوم «طاعة الجيش» ،أى يوم هزيمة الجيش المصرى أمام الإنجليز واستسلام «عرابى»، ومعنى ذلك إقصاء جميع ضباط الجيش تقريبا من الخدمة العسكرية.

أما كبار الضباط ممن اشتركوا فى الثورة فحوكموا وحكم عليهم بجريمة العصيان، ولذلك اعُدَّ المرسوم الخديو الصادر بتجريد الضباط من رتبة ملازم ثان إلى يوزباشى إعفاء لهم من المحاكمة.

أقدم «توفيق» على خطوة كارثية أخرى وهى، إسناد مهمة تنظيم جيش جديد إلى السير «ڤالنتين بيكر»، وهو ضابط إنجليزى ترك الخدمة فى الجيش البريطانى وخدم وقتا فى الجيش التركى، وبعد إتمام الاحتلال استدعاه الجنرال «ولسلى» قائد الحملة الإنجليزية التى واجهت عرابى، والسير «إدوارد مالت» قنصل إنجلترا العام، وعهدا إليه بمهمة تنظيم جيش جديد خاضع للسياسة البريطانية، وغادر «الآستانة» إلى مصر فى أواخر سبتمبر ١٨٨٢ أى قبل أن تنقضى أربعة عشر يوما على احتلال الإنجليز، وأنعم عليه «توفيق» برتبة «فريق» فصار يُعرف بـ«بيكر باشا».

اقترح «بيكر» إقصاء معظم الضباط الوطنيين من الجيش، وتعيين كبار الضباط من الإنجليز، وكان الغرض، كما يقول «الرافعى»: «القضاء على الروح القومية فى نفوس رجال العسكرية، ضباطا وجنودا، لكى يكون الجيش المصرى أداة مسخرة فى أيدى رؤسائه وضباطه الإنجليز».

٢٠ سبتمبر عام ١٩٧٥
انتحار درية شفيق من «الطابق السادس»

«كنت أراها من وقت إلى آخر فى مصعد العمارة- لأنها كانت جارتى-بلا زينة ولا طلاء، فى فستان قديم، وقد كانت قبل ذلك ملكة للجمال وللأناقة، وجهها شاحب، عيناها تبكيان بلا دموع، كانت هذه المرأة أشبه بالشبح، وظُهْر يوم «٢٠ سبتمبر ١٩٧٥» عدت إلى بيتى، وفى ردهة العمارة رأيت جمعا من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، سألت: «ماذا حدث؟» قالوا: سيدة ألقت بنفسها من شرفة الطابق السادس، ورفعت الملاءة البيضاء ووجدت جثة جارتى «درية شفيق».

هكذا كتب الكاتب الصحفى الراحل «مصطفى أمين» فى كتابه «شخصيات لا تنسى»، الصادر عن دار المعارف، القاهرة، عن اللحظات الأخيرة فى حياة «درية شفيق» أو «كليوباترا الجديدة» حيث شبهها البعض بـ«ملكة مصر» فى جمالها وإرادتها فى خوض الصراعات.

هى من مواليد طنطا «١٤ ديسمبر ١٩٠٨»، وحصلت على «البكالوريا الفرنسية»، وسافرت إلى فرنسا مع ١١ فتاة مصرية للدراسة عام ١٩٢٨، ومنها حصلت على الليسانس ثم درجة الدكتوراه عن رسالتها «حقوق المرأة فى الإسلام»، ولما عادت إلى مصر رفض المفكر المعروف «أحمد أمين»، وكان وقتها عميدا لكلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة فيما بعد)، تعيينها لتدريس الفلسفة بالكلية، لأنه لا يستطيع تعيين امرأة جميلة للتدريس.

وإلى جانب دراستها الأكاديمية شقت طريقها فى قضية حقوق المرأة والنشاط السياسى، حيث كانت قريبة من «هدى شعراوى» إحدى رائدات قضايا المرأة المصرية، وقبل ثورة يوليو ١٩٥٢ أعلنت عن برنامج طَمُوح للإصلاح الاجتماعى تحت اسم «اتحاد بنات النيل»، شملته بتقديم الخدمة للعاملات المحتاجات فى القاهرة، وإنشاء مكتب لتشغيل طلبة الجامعات، وتأسيس نادى بنت النيل الخاص بتقديم حفلات ثقافية للشباب، وندوات لرفع الوعى السياسى لدى المرأة ومحو أمية البائعات.

عارضت ثورة ٢٣ يوليو، ولجأت إلى السفارة الهندية فى القاهرة يوم ٦ فبراير ١٩٥٧ وأضربت عن الطعام، وطالبت باستقالة جمال عبدالناصر فى بيان لها، وطالب الزعيم الهندى «نهرو» عدم التعرض لها إذا رغبت فى الخروج من السفارة، وأنهت إضرابها بضغوط أسرية بعد يومين حسب ما تذكره «إنچى أفلاطون» فى مذكراتها التى حررها وقدمها «سعيد خيال»، عن دار سعاد الصباح، القاهرة، وتصف «إنچى» هذه الخطوة بـ«المسرحية» قائلة: «سارعت بعدها إلى مستشفى مورو لأخذ حقن جلوكوز، ثم رجعت إلى بيتها، ولم تتخذ الحكومة أى إجراء، لكننا علمنا فيما بعد أنه صدر قرار بتحديد محل إقامتها فى بيتها، وانتهزت وكالات الأنباء فرصة هذه المسرحية لزيادة حملة الهجوم على مصر الوطنية مدعية أن المرأة المصرية ضد الثورة».

وتضيف «إنچى» أنه بعد مشاورات بينها وبين «سيزا نبراوى وچاكلين خورى» تمت كتابة بيان بعنوان: «نساء مصر يستنكرن بيان درية شفيق»، ووقع عليه عدد كبير من قيادات الجمعيات النسائية والشخصيات المستقلة.

اختفت «درية شفيق» عن الأنظار «بعد ذلك حتى كان انتحارها».

٢١ سبتمبر عام ١٩١١
وفاة أحمد عرابى وأسرته لا تجد نفقات جنازته وتجهيزه

فى دراما الثورة العرابية تستوقفنا محطات كثيرة، عن «الولس» الذى كسر عرابى، وعن «رومانسية زعماء الثورة»، وعن الانكسار الذى عَمَّ بعد الهزيمة والاحتلال، وعن حياة المنفى لزعمائها، وأخيرًا عن النهايات الحزينة لهم، ومن هؤلاء «أحمد عرابى» الذى رحل فى مثل هذا اليوم (٢١ سبتمبر ١٩١١)، أى بعد ٢٩ عاما من هزيمة ثورته و١٩ عاما من المنفى.

فى كتابه «الثورة العرابية»، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، يكتب الكاتب الصحفى صلاح عيسى كلمات مؤثرة عن نهايات «عرابى»، قائلا: «قبل أن يموت عرابى بشهور كان خارجا من المسجد الحسينى عقب صلاة العشاء فى إحدى ليالى رمضان، فإذا بشاب يبصق فى وجهه صائحا: «يا خائن»، ومسح الرجل الجليل وجهه، وأغلق باب منزله على نفسه شهورا طويلة، تُرى ما الذى اعتصر قلبه فى تلك الشهور الحزينة؟ ذلك سر أخذه معه إلى القبر».

ويوم مات لم يجد أهله فى بيته نفقات جنازته وتجهيزه، فكتموا نبأ الوفاة إلى اليوم التالى، حيث كان مقررا أن تصرف المعاشات قبل موعدها لمناسبة حلول عيد الأضحى، وخرجت إحدى الصحف تكتب فى مكان متواضع: «علمنا أن المدعو أحمد عرابى صاحب الفتنة المشهورة باسمه قد تُوفِّى أمس».

يعلق عيسى: «الذى بصق فى وجه عرابى والذى نشر نبأ نعيه، والذى تركه يعانى ذل الحاجة، لم يكن مصر، ولكنه جزء من أمة الخيانة، جزء من مصر المحتلة، مصر التى سادت الخبائث فيها وجه الحياة، واستأسدت فيها كلاب الطريق، أما مُعذَّبو الأرض الذين عاشوا الملحمة العرابية بكل أبعادها، فقد صانوا عهد الحب حتى النهاية».

حياة عرابى بعد هزيمته نموذج لقسوة الاحتياج، ففى الصفحات الأخيرة من مذكراته مثلا، يتحدث بمرارة عن أنه يوم ٨ يونيه ١٩٠٥ كتب إلى اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر يطالبه برد أملاكه وأمواله التى نُهبت وسُلبت، أو التعويض عنها لتكون معاشا بعد وفاته لعائلته التى تزيد على خمسين شخصا، فكان جوابه أنه يأسف لعدم إمكانية التدخل فى مسألة نظرت فيها الحكومة المصرية عام ١٨٨٢.

وفى ١٩ ديسمبر كتب إلى مستشار المالية المصرية مطالبا إما برفع المرتب السنوى المقرر من الحكومة من ستمائة جنيه إلى ألفَىْ جنيه، طبقا لما وعد به اللورد «دُفْرين» عقب ما حدث فى ١٨٨٢، وإما برد أملاكه المنهوبة بغير حكم قانونى وريعها يزيد على ٣ آلاف جنيه، إما التعويض عنها حفاظا لكرامة العائلة، فرد المستشار بأنه يأسف لأنه لا يقدر أن يشير على الحكومة المصرية بتحقيق ما طلب.

ووصل به الأمر إلى رفع مطلبه لـ«ولى عهد إنجلترا البرنس أوف ويلز» لمناسبة وجوده بـ«قصر عابدين» أثناء زيارته لمصر، ولما وجد كل هذا الصد فعل كما يقول: «تركت لأحفادى ولأولادى من بعدى ولذريتى جيلا بعد جيل الحق فى المطالبة بحقوقى وأملاكى المنهوبة».

٢٢ سبتمبر عام ١٩٧٠
قمة عربية لوقف مذابح «أيلول الأسود» .. وعبد الناصر للملك حسين: «اصبر.. سيدنا أيوب من سكان نهر الأردن»

توجه الرئيس جمال عبدالناصر إلى مرسى مطروح لقضاء إجازة إجبارية لمدة عشرة أيام، بعد أن ألحّ عليه الأطباء بأن تكون الإجازة شهرا كاملا نظرا لحالته الصحية، وحسب قول «محمود رياض» وزير الخارجية فى مذكراته، الصادرة عن دار المستقبل العربى، القاهرة: «ما كاد الرئيس يقضى يومه الأول فى الإجازة، حتى أدرك الأبعاد الخطيرة التى تتجه إليها الأزمة الأردنية الفلسطينية، فقطع إجازته على الفور، مطالبا بأن تُبْرِق إليه السفارة المصرية فى الأردن تطورات الموقف أولا بأول».

كانت القضية تتعلق بواحدة من أخطر الأزمات التى واجهت المنطقة وقتها بصفة عامة، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة، حيث اندلعت اشتباكات عنيفة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كان مقاتلوها يوجدون فى الأردن، وحدثت فى شهر سبتمبر ١٩٧٠، والمعروفة تاريخيا بـ«مذابح أيلول الأسود».

انفجرت الأحداث بين الطرفين على أثر قيام «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» باختطاف ثلاث طائرات يوم ٧ سبتمبر، وتحويل اثنتين منها إلى مطار «المفرق» فى الأردن، وفى ٩ سبتمبر تم اختطاف طائرة رابعة، وهبطوا

بهـا إلى نفـس المطـار، وبلـغ عـدد الرهائـن ٥٠٠ تـم إطـلاق سراح معظمهـم يـوم ١٣ سـبتمبر، والاحتفـاظ بأربعـين للتفـاوض بهـم، مقابـل إطـلاق سراح فدائيـين فلسـطينين فى سـجون إسرائيـل.

وعـلى الرغـم مـن قـرار «منظمـة التحريـر» بتجميـد عضويـة «الجبهـة الشـعبية»، فإنـه، وحسـب رأى «ريـاض»، فـإن: «الأطـراف المتربصـة بالمقاومـة الفلسـطينية وجدتهـا فرصـة»، ويشـير «ريـاض» إلى لقـاء للعاهـل الأردنـى «الملـك حسـين» و«عبدالنـاصر» فى شـهر أغسـطس «قبـل الأحـداث».

اشـتكى «حسـين» فى اللقـاء لـ«عبـد النـاصر» مـر الشـكوى مـن ممارسـات «منظمـة التحريـر» فى الأردن، فنصحـه «عبدالنـاصر» بالصـبر، حتـى لـو أخطـأت المنظمـة، قائـلًا: «ذلـك مـن أجـل شـعبك ومـن أجـل الشـعب الفلسـطينى»، مضيفـا: «لا تنـسَ أن سـيدنا أيـوب كان مـن سـكان نهـر الأردن».

تصاعـد القتـال بـين «المنظمـة» و«الجيـش الأردنـى»، وأصبحـت مئـات الجثـث ملقـاة فى الشـوارع، ممـا دفـع عبدالنـاصر إلى الدعـوة لمؤتمـر قمـة عربيـة طارئـة فى القاهـرة، وطالـب سـوريا بسـحب مدرعاتهـا التـى أرسـلتها إلى داخـل الأردن، كنـوع مـن التضامـن السياسـى مـع الفلسـطينيين ولتخفيـف الضغـط عليهـم.

توافـد القـادة العـرب إلى القاهـرة مسـاء يـوم ٢١ سـبتمبر، وبـدأ عبدالنـاصر مشـاوراته معهـم حتـى السـاعات الأولى مـن الصبـاح وسـط توتـر بالـغ لتلاحـق الأحـداث وتواصـل الاشـتباكات، ومـع بـدء أعـمال القمـة فى مثـل هـذا اليـوم «٢٢ سـبتمبر ١٩٧٠» اتصـل عبدالنـاصر بالملـك حسـين، وأسـفر الموقـف عـن إرسـال وفـد ينـوب عـن القمـة إلى الأردن، وتـرأس الوفـد الرئيـس السـودانى «جعفـر النمـيرى»، وعضويـة سـعيد عبـدالله السـالم وزيـر خارجيـة الكويـت، والفريـق محمـد أحمـد صـادق رئيـس أركان حـرب الجيـش المـصرى.

فى اليـوم التـالى عـاد «الوفـد العربـى» دون أى نتائـج حاسـمة، وتزامـن مـع ذلـك أنبـاء عـن إعـداد أمريـكا لـ«١٠ آلاف» جنـدى للتدخـل فى الأردن، ومـع ذلـك لم ييـأس «عبدالنـاصر» مـن معالجـة الموقـف.

٢٣ سبتمبر عام ١٩٦٠
عبد الناصر يحضُر الجمعية العامة للأمم المتحدة.. وبوليس نيويورك: لا نضمن أمنه إذا نزل فى أحد فنادق المدينة

أبلغ أمن مدينة نيويورك الأمم المتحدة بأنه لا يستطيع أن يضمن أمن عدد من الرؤساء، إذا هم نزلوا فى فنادق المدينة، لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة الطارئة، وكان الرئيس السوفيتى «خروشوف» هو أول هؤلاء الرؤساء، وجاء بعده «جمال عبدالناصر»، ثم تلاهما الرئيس الكوبى «فيدل كاسترو».

وحسب ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، فإن وجهة نظر بوليس نيويورك أن خروشوف مهدد، لأن الطريقة التى تعامل بها مع الرئيس الأمريكى «إيزنهاور» أثناء قمة باريس (عقدت قبلها بأيام) اعُدَّت إهانة للشعب الأمريكى بأسره، وبالتالى فإن بوليس المدينة عاجز عن حمايته تماما لأن كثيرين قد يكونون على استعداد للتهور ضده بتصرفات لا يستطيع أن يمنعها أحد، وكان ذلك هو نفس الحال تقريبا بالنسبة إلى «كاسترو» لأن عشرات الألوف من اللاجئين الكوبيين يتربصون له، إلى جانب أن المصالح الأمريكية التى أمَّمها فى كوبا جعلت أعداءه فى نيويورك أكبر مما يستطيع بوليسها السيطرة عليه.

كان الوضع مع عبدالناصر، وحسب تعبير هيكل «أفدح»، مضيفا: «يهود نيويورك الذين يعتبرون أن مدينتهم هى عاصمة اليهود فى العالم، أعدوا عدتهم، ورتبوا أمرهم على مواجهته بمظاهرات عدائية له فى أى مكان يذهب إليه، وهى مظاهرات قد يفلت زمامها فى أى لحظة، بل وصل بوليس نيويورك إلى حد نصيحة وفد «الجمهورية العربية المتحدة» (الاسم الرسمى للوحدة بين مصر وسوريا) بأن يبحث لـ«عبدالناصر» عن مقر يقيم فيه خارج حدود المدينة، فى مقابل ذلك رتب الطلاب العرب فى أمريكا تنظيم مظاهرة مؤيدة لـ«عبدالناصر».

زاد على ذلك، أن الأوضاع فى العالم العربى كانت ملتهبة بعد اغتيال رئيس وزراء الأردن «هزاع المجالى» بقنبلة انفجرت فى مقر مجلس الوزراء قبل انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة بأيام، واتهم الملك حسين الجمهورية العربية المتحدة بتدبير الحادث عبر أجهزتها، أو أصدقاء محسوبين عليها، واستثمرت الصحافة الأمريكية الحادث، فشنت حملة ضارية ضد عبدالناصر، واتهمته بتخريب «أصدقاء الغرب» فى المنطقة.

المثير أن الصحافة الأمريكية، وحسب ما يذكره هيكل، أعدت ما سمته بـ«سلسلة ذنوب عبدالناصر»، فذكرت أن دعواه لـ«عدم الانحياز» هى انحياز للاتحاد السوفيتى، ومعاداته لأحلاف الغرب هى عداء لأمريكا، وتعاطفه مع «لومومبا» فى الكونغو بأفريقيا، وكاسترو فى كوبا بأمريكا اللاتينية، تضعه على رأس إثارة المتاعب فى العالم كله.

فى ظل هذه الأجواء سافر «عبدالناصر» إلى نيويورك فى مثل هذا اليوم «٢٣ سبتمبر ١٩٦٠»، وكانت فرصة للقاء زعماء العالم مثل «خروشوف، تيتو، نهرو»، والرئيس الأمريكى «إيزنهاور» حيث اجتمعوا معًا يوم «٢٦ سبتمبر»، وحسب ما يذكره هيكل: «كان دور جمال عبدالناصر نشطا فى اجتماعات الجمعية العامة، ولافتا للأنظار، وكانت أهدافه للعمل محددة».

٢٤ سبتمبر عام ٢٠٠٣
رحيل المفكر الفلسطينى إدوارد سعيد فى أمريكا

بعد أيام قليلة من وفاة المفكر الفلسطينى العالمى «إدوارد سعيد» فى مثل هذا اليوم «٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣»، كتب صديقه الشاعر الكبير محمود درويش: «لو سُئل الفلسطينى عما يتباهى به أمام العالم، لأجاب على الفور: إدوارد سعيد، فلم ينجب التاريخ الثقافى الفلسطينى عبقرية تضاهى إدوارد المتعدد الفريد».

وبعد ستة أيام من رحيله كتب محمد حسنين هيكل رسالة بعنوان «تحية واعتذار»، نشرتها صحيفة «العربى» لسان الحزب الناصرى على صفحتها الأولى، بالإضافة إلى صحف عربية أخرى، اعتذر فيها عن تقصير الصحافة المصرية فى نشر خبر رحيل إدوارد سعيد، واصفا هذا التقصير بـ«خطأ مهنى لا يُغتفر».

وقال هيكل: «رحيل رجل مثل إدوارد يجب ألا يذكر كأنه حدث عادى مما يجرى كل يوم ثم ينسى فى اليوم التالى، ولست أعتذر فقط، ولكنى أطلب المغفرة للمهنة، ومن قلبى».

من يكون هذا المبدع الذى يدفع قامة شعرية مثل «درويش»، وأخرى صحفية وفكرية مثل «هيكل» إلى الإشادة به؟!

هو أستاذ اللغة الإنجليزية والأدب المقارن فى جامعة «كولومبيا» بأمريكا، وفى رحلته الفكرية مؤلفَّات أشهرها كتابه «الاستشراق»، الذى قطع فيه بأن مؤلفات «المستشرقين» هى السبب الرئيس فى الشرخ بين الحضارة الغربية

والشرق أوسطية، وذلك عكس ما كان شائعا، وأكمله بكتاب «الثقافة والإمبريالية»، وإلى جانب هذا العطاء الفكرى يُعد «إدوارد» الأكبر قيمة فكرية عربية على مستوى العالم دفاعا عن القضية الفلسطينية.

فى مذكراته المدهشة «خارج المكان»، الصادرة عن دار الآداب، بيروت، بترجمة رفيعة من «فواز طرابلسى»، يبدو فيها ومن عنوانها أننا أمام شخص ظل طوال حياته يبحث عن وطن لم يجده، وتبدو مسألة تنقُّله من مكان إلى آخر لأسباب مختلفة أشبه برحلة الطائر الذى لا يستقر فى عشه أو لا يجد فيه الأمان حتى لو طال به المقام.

يتحدث «إدوارد» عن سيرته منذ مولده فى القدس يوم «١ نوفمبر ١٩٣٥» مرورا بعيشه فى القاهرة، وتلقِّيه تعليمه المبكر فيها حتى المرحلة الثانوية بمدرسة «فيكتوريا كولدج»، ثم هجرته إلى أمريكا عام ١٩٥١ وبلوغه فيها مرحلة التألق على صعيد الفكر العالمى، حتى تلقى خبر إصابته بـ«سرطان الدم» عام ١٩٩٢، فقرر أن يكتب مذكراته.

فى مايو ١٩٩٤ بدأ فى كتابة مذكراته، وشملت سردا لارتحالاته العديدة، يستدعى من خلالها أماكن عديدة زالت، وأشخاصا رحلوا، وحنينا إلى ماضٍ يستغرق فى تفاصيله.

يتحدث فى مذكراته عن أنه بعد سنوات الحياة خارج العالم العربى التى شملت دراسة، وتعليمًا، وعيشًا وكتابة كلها باللغة الإنجليزية، اتخذ قراره بعد حرب ٥ يونيه ١٩٦٧، بالعودة سياسيا إلى العالم العربى: «كنت قد أغفلته خلال سنوات التعليم والنضج الطويلة تماما»، ويضيف: «لم يكن لى خيار غير السعى إلى هويتى العربية وتمثلها تمثيلا، على الرغم من المحاولات الحثيثة التى بذلت لإقناعى بالتخلى عنها خلال فترة تربيتى، وبواسطة أهلى وإن يكن بدرجة أقل، كان علىّ أن أعيد توجيه حياتى لتسلك حركة دائرية تعيدنى إلى نقطة البداية مع أنى كنت بلغت نهاية الثلاثين من عمرى، اخترت أن أستعيد هويتى العربية، ولكنى عربى لا يتلاءم تاريخه تماما مع تقدمه فى العمر».

٢٥ سبتمبر عام ١٩٧٠
الفريق صادق ينجح فى تهريب ياسر عرفات
من الأردن إلى القاهرة بعباءة كويتية

«المهمة نُفِّذت يا فندم».

نزلت هذه الكلمات الثلاث على الرئيس جمال عبد الناصر بردًا وسلامًا من الفريق محمد أحمد صادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة، فى مثل هذا اليوم «٢٥ سبتمبر ١٩٧٠».

سأل عبدالناصر: «ماذا فعلت؟».

أجاب الفريق صادق: «ياسر عرفات» أبوعمار «معى فى المكتب».

رد عبدالناصر غير مصدق: «معك فى القاهرة؟».

أجاب صادق: «نعم يافندم بجوارى الآن يرتدى بذلة الياور المرافق لى».

قال عبدالناصر: «حالا تكون عندى فورا».

حسب أوراق الفريق صادق التى كتب منها الكاتب الصحفى «محمد أمين» حلقات من سيرته فى مجلة أكتوبر يوم ٦ نوفمبر ٢٠١١: «بعد دقائق كنا فى منزل الرئيس عبدالناصر، وكان اللقاء مؤثرا وتعانق مع عرفات مرددا عدة مرات: الحمد لله».

كانت الاشتباكات بين مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الأردنى هى مجال الحدث الذى يعرف تاريخيا بـ«مذابح أيلول الأسود»، وكانت القاهرة تشهد من يوم ٢٢ سبتمبر مؤتمر قمة عربية طارئة لوقف المذابح، وفشلت كل جهود ونداءات القمة، ومن بينها سفر وفد عربى بقيادة الرئيس السودانى جعفر نميرى إلى عمان ثم عودته إلى القاهرة خالى الوفاض، وفى يوم ٢٤ سبتمبر عاد «نميرى» بوفده إلى عمان وانضم إليه «حسين الشافعى» نائب عبدالناصر، وكانت المهمة الرسمية والعلنية هى وقف إطلاق النار بأى ثمن.

كانت هناك مهمة سرية هى الأهم، يقول عنها صادق: «صدرت تعليمات لى من عبدالناصر لم يكن يعلمها أحد غيرى وهى إحضار ياسر عرفات للقاهرة بأى طريقة»، ويضيف صادق: «الرئيس عبدالناصر» قال لى: «أهم شىء عندى يخرج ياسر عرفات حيًا من هذا الحصار، فهو رمز للمقاومة الفلسطينية».

اجتمع وفد القمة بالملك حسين، ويروى صادق أن مكان عرفات لم يكن يعرفه أحد بمَنْ فى ذلك الملك حسين، لكن صادق وصل إليه بواسطة الضابط فى السفارة المصرية «إبراهيم الدخاخنى»، وبعد اللقاء اتفق الجميع على العودة إلى السفارة المصرية، وتم تغيير زى عرفات حتى لا يتعرف عليه أحد.

يستكمل «صادق»، أنه طلب من السلطات الأردنية اصطحاب أفراد أسر موظفى السفارة للعودة بهم إلى القاهرة، وبالفعل وصل عدد من السيدات والأطفال إلى مقر السفر استعدادا للانتقال إلى المطار.

أثناء ذلك أبلغ صادق، أبوعمار أنه سيسافر معه إلى القاهرة ولابد من حلاقة ذقنه، لكنه عارض بشدة، ثم وافق بعد أن عرف أن تلك أوامر عبدالناصر، وأن وجوده حيًا خارج عمان هو حفاظ على الثورة الفلسطينية، وطالبه صادق بأن يسجل بيانا بصوته يهاجم فيه الأردن، ويعلن استمرار القتال حتى وقف إطلاق النار، وذلك كنوع من التمويه لاستكمال مخطط خروجه.

استعار صادق عباءة أحد أفراد الوفد الكويتى، وألبسها لـ«عرفات» الذى ركب فى سيارة بين سيدة مصرية وابنتها حتى وصلت إلى المطار، واتجه على الفور إلى الطائرة بينما كان صادق يشاغل الضابط الأردنى المسئول، وأقلعت الطائرة ليصل «عرفات» إلى القاهرة.

٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢

انقلاب عبدالله السَّلاَّل على حكم الإمام البدر فى اليمن.. ومصر تعترف

أعلنت إذاعة «صنعاء» عن وفاة حاكم اليمن «الإمام أحمد» يوم ١٨ سبتمبر ١٩٦٢، وانتقال خلافته إلى ابنه «محمد البدر».

بدا أن كل شىء مستقر وطبيعى فى البلاد، فالحاكم الجديد يأخذ بيعة مشايخ القبائل والعلماء والضباط، ولا يوجد على السطح ما ينبئ بأن ثورة قادمة ستندلع بعد أيام قليلة وبالتحديد فى مثل هذا اليوم «٢٦ سبتمبر ١٩٦٢»، التى استجاب «عبدالناصر» لنداء قادتها، فأرسل قوات عسكرية مصرية، ومن يومها لم ينتهِ الجدل حول هذا القرار، فمن يهاجم عبدالناصر يرى أن ما فعله كان مستنقعا للجيش المصرى، لكن الرؤية المضادة تؤكد أنه انتصر لحقائق التاريخ والجغرافيا، وأنه كان يدافع عن الأمن القومى العربى وفى القلب منه أمن مصر.

مقدمات الثورة اليمنية، يتحدث عنها فتحى الديب ضابط المخابرات المصرية، ومسئول الدائرة العربية برئاسة الجمهورية مع جمال عبدالناصر فى كتابه «عبدالناصر وحركة التحرر اليمنى»، دار المستقبل العربى، القاهرة، ويؤكد أنه وبعد أن خَلَفَ «البدر» والده، خضع لنصيحة مستشارى السوء، فهدد بإجراءات إرهابية عنيفة لإظهار قوته وإشعار الشعب اليمنى بأنه ليس بالرجل الضعيف كما تصوروه، ثم أعدم القيادات الوطنية بسجن «حجة»، وكذلك بعض أبناء مشايخ القبائل وقادتها وبعض الضباط الوطنيين.

كان هنـاك مخطـط يتـم فى الخفـاء للقضـاء عـلى حكـم «الإمامـة»، يقـوده ضبـاط فى الجيـش، ولمـا علمـوا بنيـة «البـدر» حـددوا سـاعة الصفـر لتكـون ليلـة ٢٦ سبتمبر، وفيهـا حـاصروا قـصر البـدر وقـصر السـلاح ومبنـى الإذاعـة، ووقعـت اشـتباكات طـوال الليـل، انتهـت بمقتـل «البـدر» أمـام قـصره.

قالـت إذاعـة صنعـاء، إن قائـد الانقـلاب هـو العميـد «عبـد الله السـلّال» قائـد حـرس البـدر، وحسـب قـول محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «سـنوات الغليـان»: «تلقـت مـصر رسـالة عـبر سـفارتها فى صنعـاء، تقـول إن القـادة الحقيقيـين للانقـلاب هـم مجموعـة مـن الضبـاط الشـبان أبرزهـم العقيـد «عـلى عبـد المغنـى»، وكان التأييـد الـذى حصـل عليـه الانقـلاب مـن اللحظـة الأولى كاسـحا، فسـجِلّ أسرة «حميـد الديـن» لم يـترك لأحـد دموعـا يذرفهـا عليـه داخـل اليمـن وخارجهـا».

اعترفـت مـصر مسـاء يـوم ٢٨ سـبتمبر بالنظـام الجديـد، ويقـول هيـكل، إن الأمـير الحسـن، شـقيق الإمـام «أحمـد» الـذى مـات، وعـم الإمـام «البـدر» الـذى أعلنـت إذاعـة صنعـاء أنـه قتـل، كان موجـودا وقتئـذ فى نيويـورك يـترأس وفـد اليمـن فى اجتماعـات الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة، وحـين تلقـى أنبـاء مـا جـرى اعَـدَّ نفسـه إمـام اليمـن الأحـق بالخلافـة بـدلا مـن ابـن شـقيقه، ويقـول فتحـى الديـب، إن الحسـن كان يعـد العـدة لانقـلاب عسـكرى يقـوده هـو بمعاونـة بعـض ضبـاط الجيـش، وذلـك فـور وفـاة شـقيقه «أحمـد».

أعلـن «الحسـن» أنـه عائـد إلى اليمـن ليتـولى المسـئولية وليقمـع الثـورة، ويقطـع رءُوس قادتهـا، واختفـى مـن نيويـورك يـوم ٢٨ سـبتمبر، لكنـه ظهـر فى اليـوم التـالى فى قـصر الملـك سـعود فى الريـاض، وكان ذلـك مفتتحـا لجولـة طويلـة مـن الـصراع بـين السـعودية ومـصر عـلى أرض اليمـن.

٢٧ سبتمبر عام ١٩٧٠
إنجاز عبد الناصر قبل موته بيوم واحد..
«وقف مذابح أيلول الأسود»

ارتفع صوت الرئيس الليبى العقيد معمر القذافى، مطالبا القمة العربية الطارئة المنعقدة فى القاهرة منذ يوم ٢٢ سبتمبر بمقاطعة عربية شاملة للعاهل الأردنى الملك حسين، بسبب المعارك الدائرة فى الأردن بين مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الأردنى.

أمضى عبدالناصر أكثر من أربع ساعات فى مناقشة مطلب «القذافى»، مؤكدا أنه الطريق الأسهل، لكن نتائجه ستكون خطيرة، ويذكر محمود رياض وزير الخارجية فى مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»، أن عبدالناصر رد قائلا: «ربما يكون سهلا الآن مقاطعة الملك حسين، ولكن هذا يعنى أن يذهب قتاله مع المقاومة لآخر مدى، فضلا على انتهاز إسرائيل لهذه الفرصة للتدخل العسكرى المباشر، وعلينا الآن أن نرسل برقية إلى الملك حسين نبلغه برفضنا استمرار قتال المقاومة، وعليه وقفه فورا».

وعندما وصلت البرقية إلى «حسين» اتصل بـ«عبدالناصر»، معلنا استعداده للحضور إلى القاهرة لتوضيح موقفه أمام الرؤساء والملوك العرب، فرد عبدالناصر طالبا منه مهلة لتهيئة المناخ لمجيئه.

استمرت المناقشات، وخلالها أشار «عبدالناصر» إلى ساعته قائلا: «يجب أن نتذكر أنه فى كل دقيقة تمر هناك عشرات الفلسطينيين يسقطون قتلى، وهدفنا

الآن قبل أى شىء آخر هو إيقاف تلك المذبحة»، ونجح عبدالناصر فى إقناع المجتمعين بدعوة «حسين»، ويقول رياض: «كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، بحيث بدا الإرهاق كاملا على وجه عبدالناصر، ومع ذلك لم ينَمْ تلك الليلة إلا بعد أن أرسل يدعو الملك حسين، وبعد أن قرأ آخر برقيات السفارة المصرية فى عمان».

يضيف رياض: «لم ينم عبدالناصر أكثر من ساعتين أو ثلاث فى فندق هيلتون مكان انعقاد المؤتمر، ولم يذهب إلى منزله منذ بدأ فعالياته، وعندما استيقظ فى السادسة صباحا فى مثل هذا اليوم «٢٧ سبتمبر ١٩٧٠» طلب ملف برقيات السفارة المصرية فى عمان، وتقارير وكالات الأنباء العالمية».

فى الحادية عشرة صباحا وصل الملك حسين، فاجتمعت القمة فورا، ويشير «رياض» إلى أن الجلسة شهدت عنفا فى الكلمات وتبادل الاتهامات، لكن عبدالناصر والملك فيصل بذلا جهدا ضخما لتهدئة المناقشات الساخنة، والأعصاب المتوترة، وبعد خمس ساعات من الجدل والحوار، تم التوصل إلى اتفاق جماعى أُذيع فى جلسة علنية مذاعة على الهواء فى التاسعة مساء.

نص الاتفاق على إيقاف إطلاق النار فورا، وانسحاب الجيش الأردنى وأفراد المقاومة من كل المدن قبل مغرب نفس اليوم، وتكليف لجنة برئاسة «الباهى أدغم» ممثل الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة إلى الأردن فى اليوم التالى «٢٨ سبتمبر» لمتابعة تنفيذ الاتفاق.

انتهت هذه المأساة بعد جهود خارقة بذلها الرؤساء والملوك العرب قضوا خلالها ساعات طويلة من المناقشات، لم يكن يقطعها كل ساعتين سوى خروج عبدالناصر للسير بضع دقائق، لمقاومة آلام أعصاب ساقيه الملتهبتين بسبب الجلوس لفترة طويلة، وكان المؤتمر هو آخر ما فعله من أجل أمته العربية، ففى اليوم التالى كانت فجيعة موته.

٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١
ضباط سوريون ينقلبون على الوحدة مع مصر

فى أحد لقاءاتى المتعددة مع الدكتور «خالد جمال عبدالناصر» - رحمه الله - سألته عن أصعب اللحظات التى رأى فيها والده، فأجاب بأنها أربع لحظات، من بينها، يوم انفصال سوريا عن مصر فى مثل هذا اليوم «٢٨ سبتمبر ١٩٦١»، وضياع حلم الوحدة بين البلدين، الذى بدأ فى «٢٢ فبراير ١٩٥٨»، فكيف دارت وقائع هذا اليوم الحزين على كل الحالمين بوحدة عربية من المحيط إلى الخليج؟

يذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، أنه فى الساعة الخامسة وعشر دقائق دق جرس التليفون لإبلاغ عبدالناصر أن هناك حركة انقلابية قامت بها عناصر من الجيش السورى، وأن إذاعة دمشق سقطت بالفعل فى أيدى الانقلابيين، وأعلنوا منها البيان رقم واحد، فارتدى عبدالناصر ملابسه بسرعة ونزل إلى مكتبه ليواجه يوما صعبا وحافلا، واكتشف بعد قليل أن مكتبه ليس هو المكان الذى يستطيع منه متابعة تطورات الأحداث دقيقة بدقيقة، فذهب إلى مبنى الإذاعة الذى يستطيع منه متابعة إذاعة دمشق وأن يكون على صلة بعمل كل الأجهزة.

قبل الساعة الثامنة بقليل استطاعت أجهزة الإذاعة مع أجهزة الجيش توصيل خط بين «عبدالناصر» وعبدالحكيم عامر الموجود فى سوريا، وروى

«عامـر» أنـه كان فى بيتـه بـ«دمشـق» حينـما سـمع الأنبـاء الأولى عـن تحـركات قـوات الانقـلاب، وبـدا أن «عامـر» مرتبـك فى روايتـه.

لم يرتَـحْ «عبدالنـاصر» لقـول عامـر: «الأوضـاع تحـت السـيطرة»، فسـأله عـن الموجوديـن معـه مـن الضبـاط، فأبلغـه: «طعمـة العـودة الله»، فنقـل الحديـث معـه وحصـل منـه عـلى إجابـات عـن أسـئلة محـددة، أبرزهـا، أن قيـادات الانقـلاب هـم مـن الضبـاط الشـوام «الدمشـقيين» والظاهـر منهـم: «عبدالكريـم النحـلاوى» و«عبدالغنـى دهمـان» و«موفـق عصاصـة»، واللافـت أن الثلاثـة وغيرهـم كانـوا ممن يعملـون فى مكتـب «عامـر»، والأكثـر إثـارة أن «النحـلاوى» كان مديـر المكتـب.

هنـاك تفاصيـل كثـيرة فى الحـدث؛ مـن بينهـا رفـض عبدالنـاصر للحلـول الوسـط التـى توصـل لهـا «عامـر» مـع قـادة الانقـلاب قائـلا: «قبولهـا لا يعنـى بقـاء (الوحـدة)، وإنـما دولـة نصـف دولـة مشـلولة وعاجـزة».

وفى التفاصيـل أيضـا، إنهـاء كل مظاهـر العمليـات العسـكرية، وإلغـاء تحـرك الأسـطول المـصرى فى اتجـاه اللاذقيـة، بعـد أن تقـرر تحركـه على أثـر حدوث انقسـام فى الجيـش السـورى، وبـدأت إذاعـة حلـب فى بـث بيانـات معارضـة للانقـلاب فى دمشـق، وأعلنـت أنهـا سـتزحف إليهـا لتطهيرهـا مـن المتمرديـن، كـما أعلنـت قيـادة هـذه القـوات فى اللاذقيـة أنهـا تطلـب مـن مـصر مَـدَدًا لتقـوم بـ«واجبهـا المقـدس».

يقـول هيـكل: «تمالـك عبدالنـاصر نفسـه مـن صدمـة الانفصـال بسرعـة»، وشـبَّه نفسـه بـ«قبطـان عـلى سـفينة انشـطرت نصفـين فى وسـط البحـر»، وقـضى أيامـا طويلـة يراجـع نفسـه ويسـتذكر تفاصيـل تجربـة الوحـدة، وفى ٥ أكتوبـر ١٩٦١ قـال كلمتـه الشـهيرة: «ليـس المهـم أن تبقـى سـوريا جـزءا مـن الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، وإنـما المهـم أن تبقـى سـوريا».

٢٩ سبتمبر عام ١٨١٦
موت «طوسون بن محمد على».. و«الباشا» يطلق صرخة مدوية

لم يجرؤ أحد على إخبار «محمد على باشا» بنبأ وفاة ابنه المفضل «طوسون»، ونتيجة لهذا الخوف تم وضع جسده الميت فى نعش مفتوح وأدخلوه إلى القصر ليلا، ووضعوه أمام باب جناح النساء.

خرج «الباشا» صباحا من جناح «الحريم» فوجد النعش أمامه، فنظر إليه ليعرف ماذا بداخله، وكانت المفاجأة أن به ابنه «طوسون».

أطلق الباشا صرخة مدوية زلزلت القصر، واستلقى عليه، وحضنه طويلا، وخرج كل «الحريم» ليستطلعن الخبر، فكانت المفاجأة لهن أيضا، مفاجأة موت «طوسون».

دخل الباشا فى عزلة دامت أياما طويلة حزنا على فَقْده فِلْذة كبده، وابنه المفضل عنده من بين كل أبنائه، هكذا يصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «محمد على- الفرعون الأخير» الحالة التى كان عليها «الباشا» أثناء موت ابنه الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٢٩ سبتمبر ١٨١٦».

سار «الأب» خلف نعش «الابن» فى موكب جنائزى ضم كبار ضباط الجيش والمسئولين لوداع «طوسون»، كان موته فى دمنهور، أثناء قيادته لفرقة من الجيش مرابطة فى رشيد، ويقول «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر محمد على»، دار المعارف، القاهرة، إن «الباشا» قام بتقسيم الجنود إلى فرق وتوزيعها

إلى مختلف أنحاء مصر حتى لا يجتمعوا فى القاهرة ويتمردوا، وكان طوسون على رأس فرقة ذهبت إلى «رشيد»، وذلك بعد عودته من شبه الجزيرة العربية حيث كان يقود الجيش المصرى فى حربه ضد الوهابيين.

كان المصاب «الأكثر إيلاما لمحمد على، والأعمق تأثيرا من كل ما سبق ومر به»، حسبما يذكره «سينويه» الذى ينقل الأقوال المتضاربة فى أسباب موته، ومنها أنه التقط الطاعون من أحضان «أَمَة» يونانية، فيما أرجع آخرون موته لإفراطه فى اللذة نتيجة لليلة ساخنة جمعته مع إحدى الجورجيات العتيدات، وذهب البعض إلى أنه تعرض لاغتيال، وحسب «سينويه»: «تلك نظرية عارية من أى أساس متين».

تعددت الشائعات حول أسباب الوفاة، لكن فجيعة وحزن «محمد على» على وفاة ولده ابن الـ٢٣ عاما فقط كانت محل اتفاق، ومما قيل عنه: «لو أن بخلا مس يد طوسون لتحول بخله إلى كرم بلا حدود»، ويدلل على هذا «نوبار باشا» أقوى نظار وزراء «محمد على» فى مذكراته، دار الشروق، القاهرة، قائلا: إن عباس «ابن طوسون» كان كريما لكن ليس على طريقة والده المستعد فى أى وقت لأن يهب أحدهم رداءه المصنوع من الكشمير الرائع، أو يعطيه فرسه الأصيل الذى يمتطيه.

يزيد «نوبار»: كان إبراهيم يقول لى: «أخى طوسون عُرف عنه الكرم واشتهر به، لكن هل يمكن أن نقول عنه إنه مثلا ساعد خادما على أن يحيا حياة كريمة، أو جنَّبه السؤال مثلما فعلت أنا مرات كثيرة، وأفعله كل صباح أنا الذى يعتبروننى بخيلا؟».

ويقودنا ذلك إلى سؤال: «هل كان إبراهيم يكره طوسون؟» يعلق «سينويه»: «يقال- دون أن تتوافر وثيقة تستحق التصديق- عندما علم إبراهيم بموت أخيه لم يُبْدِ أى حزن أو تعاطف بسبب العداء الذى كان يجمع الرجلين».

٣٠ سبتمبر عام ١٩٠٦
«مصطفى كامل الغمراوى» يدعو لإنشاء جامعة

«أيهما أنفع لمصر فى حالته الحاضرة، الكتاتيب أم مدرسة كلية عالية؟».

فرض السؤال نفسه على المصريين عام ١٩٠٥، بعد أن أثارته جريدة «المؤيَّد» على صفحاتها، واستدرجت الكثير من الكُتَّاب للاشتراك فى الإجابة عنه، على الرغم من ذلك وحسب «أحمد شفيق باشا» رئيس الديوان الخديو فى الجزء الثالث من مذكراته: «انتهت المناظرات بغير طائل ولا نتيجة».

السؤال طرحه «أحمد حافظ» واستهدف بناء جامعة تقوم على تدريس المواد المدنية والعلمية التى هى الآن جامعة القاهرة، ويروى «شفيق باشا» فى مذكراته قصتها، مشيرا إلى أن الخطوة الأولى فيها بدأها «مصطفى كامل الغمراوى بك» من بنى سويف، وكان مستشاره القانونى «نجيب شقرا بك المحامى»، وذلك فى عام ١٩٠٦ أى فى العام التالى لطرح سؤال «المؤيد».

فكر «الغمراوى» فى إنشاء جامعة تضم كليات مختلفة على مثال جامعات أوروبا، فدعا للمشروع والتبرع له، وبدأ خطواته العملية فى مثل هذا اليوم «٣٠ سبتمبر ١٩٠٦»، بنشر نداء فى جميع الصحف العربية والإفرنجية فى مصر، داعيا لفكرة الجامعة مُهيبًا بالقادرين من الأمة أن ينزلوا الميدان.

قال «الغمراوى» فى ندائه: «استلفت أحد المحامين بمقالة نشرها فى إحدى الجرائد أنظار المرحوم منشاوى باشا إلى تخليد ذكره بإنشاء مدرسة جامعة،

فصادف الاستلفات أذنا واعية، وكان فى نية المرحوم إنشاؤها لو لم يُعالجه القضاء، فهل تعجز الأمة المصرية وهى تزيد على عشرة ملايين عن أن تقوم بمشروع حيوى نوى تنفيذه فرد واحد، لم تكن ثروته تبلغ جزءا يسيرا من ثورة غيره من الأفراد؟ وهل لا يُعد إحجام الأغنياء عن الاكتتاب دليلا على أنها لا تزال بعيدة عن الترقِّى الحقيقى؟»

استكمل «الغمراوى» نداءه بإعلانه الاكتتاب بـ«٥٠٠ جنيه إفرنجى» لمشروع إنشاء «مدرسة جامعة» مصرية، وحدد لها أربعة شروط، هى:

أولاً - ألا تختص بجنس أو دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم، فتكون واسطة للأُلفة بينهم.

ثانيًا - أن تكون إدارتها فى السنين الأولى فى أيدى جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمى الكبير وتثبيت كفاءتهم للملأ.

ثالثًا - أن يكتتب على الأقل ألف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه، ويجوز أن يزيد على هذا المبلغ إلى ما شاء كرم الواهب وحبه لوطنه وللإنسانية.

رابعًا - أن يُقام بناء هذه «المدرسة الجامعة» فى بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر على شاطئ النيل، وتعمل لها حديقة من أجمل الحدائق وغير ذلك من الأمور التى يقررها المكتتبون.

تمنى «الغمراوى» أن تترك الجرائد النزاع الشخصى وتنشئ المقالات الضافية فى استنهاض الهمم لإتمام هذا المشروع العظيم، واختتم نداءه المنشور فى الصحف بالقول: «إذا لم يجد هذا النداء ألفا من أغنياء مصر، وهم ألوف عديدة، فلنخبئ وجوهنا أمام كل الأمم، ولنعترف بأننا عاجزون عن مجاراة الأجانب فى مضمار الحياة الأدبية».

١ أكتوبر عام ١٩٧٠
الملايين وراء نعش جمال عبدالناصر..
والعالم يتحدث عن أكبر جنازة فى التاريخ

«على ضفاف النيل، بين الروضة وبولاق كنا ملايين من البشر يشهدون آخر رحلة يقوم بها جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، الذى تُوفِّى قبل ثلاثة أيام عن اثنين وخمسين عاما، ملايين من البشر ينتظرون شيئا ما، حدثا خارقا لم يدخل فى حساب إنسان، يكون بحجم ناصر ومنجزاته والمدينة العظيمة التى كانت له طوال ثمانية عشر عاما منبرا ومسرحا ونشاطا».

بهذه الكلمات وصف الكاتب والصحفى الفرنسى «چان لاكوتير» جنازة جمال عبدالناصر وكانت فى مثل هذا اليوم «١ أكتوبر ١٩٧٠»، وكان «لاكوتير» واحدا من الصحفيين العالميين الذين قاموا بتغطية هذا الحدث الفريد فى حزنه فى تاريخ مصر والمنطقة العربية وشعوب العالم الثالث أجمع.

يضيف «لاكوتير» فى كتابه «عبدالناصر»، دار النهار، بيروت ١٩٧١: «هكذا انقلبت الجنازة الرسمية عيدا بدائيا كبيرا، إذ انتزعت الجماهير النعش وحضنته وبدا وكأنها التهمته.. هل هى محاولة رقى ضد الموت أو ضد الغياب؟ على من بكى هذا الشعب اليتيم؟ على الزعيم الراحل، أم على نفسه؟ على الفراغ الذى خلفه تاركًا شعبه فى مطلع أكتوبر ١٩٧٠، معلقا بين الحرب والسلم،

بين الشرق والغرب، بين الحرية الاجتماعية والتقييد الفردى، بين الغضب والتعقل؟».

كانت الجنازة هى الأكثر إثارة فى العصر الحديث، حسب وصف صحيفة«الجارديان البريطانية»، وبلغت التقديرات لعدد الذين ساروا خلف النعش فى شوارع القاهرة نحو ٥ ملايين فرد، (سكان مصر وقتئذ ٣٢ مليون نسمة).

وخرجت الملايين فى العواصم العربية (سكان كل الدول العربية وقتها ١٠١٠ ملايين نسمة)، وكل من عاصر هذا الحدث، يعرف أن كل عواصم المحافظات المصرية والعربية ومدنها وقراها، خرج سكانها فى جنازات يتقدمها نعوش رمزية، وحاصل ذلك هو أنها كانت الجنازة الكبرى فى التاريخ.

شارك فى الجنازة الرؤساء والملوك العرب، بالإضافة إلى قادة دول العالم الثالث، وممثلى كل دول العالم، ومن يُعِدْ مشاهدة وقائعها يَرَ الجميع منخرطا فى البكاء، من العاهل الأردنى الملك حسين إلى الرئيس السودانى جعفر النميرى، وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وغيرهم.

كان الأكثر إثارة فى موكب الجنازة هو ترديد الملايين لأنشودة تلقائية بإيقاع حزين، وحتى الآن لا يعرف أحد مؤلفها ولا ملحنها وكلماتها:

«الوداع يا جمال.. يا حبيب الملايين

ثورتك ثورة كفاح.. عشتها طول السنين

الوداع

أنت عايش فى قلوبنا.. ياجمال الملايين

أنت ثورة أنت جمرة.. لأجل كل الشقيانين

الوداع

يافقير يا بن الفقير.. أنت أب الكادحين

ياجمال

أنت نوارة بلادنا.. واحنا شوَّقنا الحنين

ياجمال

أنت قُلّة مية صافية.. تسقى كل العطشانين

أنت عصفور الكناريا.. لأجل كل الحزنانين

ياجمال

أنت قنديل الغلابة.. تهدى كل المحرومين

ياجمال

أنت ريحة زكية.. فى قلوب الفلاحين

أنت جمعت بعزيمتك.. النفوس الغضبانين.

٢ أكتوبر عام ١١٨٧
الصليبيون يستسلمون لـ«صلاح الدين»
بعشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة واثنين للطفل

بعد أخذ ورد، وافق صلاح الدين الأيوبى على استسلام الجيوش الصليبية فى القدس، وتسليمهم مدينة القدس إليه بعد نحو ٨٨ عاما من سيطرتهم عليها.

حتى الوصول إلى هذا اليوم «٢ أكتوبر ١١٨٧»، كانت هناك مقدمات حشد فيها هذا البطل العربى جيوشه مصمما على تحرير المدينة الخالدة، وحسب كتاب «صلاح الدين الأيوبى» للكاتب محمد فريد أبوحديد، ضمن أعماله الكاملة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة: «نحن أمام قائد يحدد هدفه بوضوح وعزم وذكاء وقدرة على التعبئة والحشد، فهو عقد النية على تحرير «بيت المقدس» بعد أن رأى ألوية النصر تتحقق له منذ انتصاره فى موقعة «حطين»، فسار إلى قلب فلسطين، وأخذ كل ما فى طريقه من حصون، وأوقف «حسام الدين لؤلؤ» أحد كبار قادته على رأس البحر قائدا لأسطوله، كى يمنع إتيان الفرنج إلى الساحل قبالة القدس، وعرض على أهلها الصلح على أن يسلموا المدينة إليه، نظير تعويضهم أرضا يزرعونها، لكنهم رفضوا فقرر أخذها عنوة.

حاصر «صلاح الدين» المدينة وظل يهاجمها فى غارات يومية، ولم يستطع «الفرنج» الصمود أكثر من أسبوع فعرضوا الاستسلام والتفاوض على شروط

التسليم، لكن صلاح الدين رفض فى البداية رغبة منه فى أن يفعل بـ«الفرنج» ما فعلوه بالمسلمين، حسب رأى «أبو الحديد».

شملت شروط «التسليم»، أن يدفع «الفرنج» ضريبة عشرة دنانير عن الرجل، وخمسة عن المرأة، واثنين عن الطفل، ومن يؤدّ ذلك فى مدة أربعين يوما خرج ونجا، ومن لم يؤدِّه صار أسيرا مملوكا، لكنه سمح لليونان وأهل الشام من المسيحيين بالبقاء حيث هم بين رعاياه، وأباح لـ«الفرنج» البقاء فى فلسطين إن شاءوا.

غير أن «صلاح الدين» لم يُصِبْ مالًا كثيرًا من وراء ذلك، حيث ذهب أكثره لأمراء الجند الذين وقفوا على الأبواب يراقبون دفع الضريبة ممن يخرج، كما أطلق صلاح الدين عددا كبيرا بغير فداء، كما خرج نحو ١٨ ألف رجل نظير ٣٠ ألف دينار دفعها أمير من أمراء المسيحيين الفرنج، وبقى بعد ذلك عدد عظيم لا يستطيع أن يعطى شيئا، وعددهم ١٦ ألفا، فتسامح صلاح الدين فى أمرهم.

يتحدث «أبو الحديد» عن أن «صلاح الدين» كان كثير العفو عن نساء الفرنج وشيوخهم وأطفالهم خاصة، فأطلق لـ«ملكة بيت المقدس» مالها وحشمها، وفعل بغيرها من كبيرات الفرنج ومن بينهن امرأة «أرناط»، وأكرم رجال الدين فخرج «كبيرهم» مع أمواله وتحف الكنائس وكنوز ذات قيمة عظيمة، فلم يَرْضَ أن يتعرض له، بل أخذ منه الدنانير العشرة، وهى القيمة المنصوص عليها فى شروط التسليم.

كما دفع «صلاح الدين» فدية لنحو ١٠ آلاف عدا من أطلقهم أخوه «سيف الدين الكريم»، وبعد خروج من أراد دخل صلاح الدين المدينة بجيشه ليعيد أبنيتها إلى أصلها بعد أن قام الصليبيون بتشويهها لصالح أذواقهم الخاصة.

٣ أكتوبر عام ١٩٦٥
كاسترو يعلن تخلِّي جيفارا عن الجنسية الكوبية ويقرأ من رسالته: «إما أن ينتصر الإنسان أو أن يموت»

اختفى المناضل الثورى «تشى جيفارا» عن الأنظار، فتوالت الأسئلة حول: «أين يكون؟ وهل هناك خلافات بينه وبين الرئيس الكوبى ورفيق نضاله فيدل كاسترو؟».

تلقفت الصحف الأمريكية القضية لتتحدث عن أن خلافا دب بين الثوار الجدد الذين يحكمون كوبا بعد نجاح ثورتهم عام ١٩٥٨، وأمام ذلك أعلن «كاسترو» فى خطاب جماهيرى فى مثل هذا اليوم «٣ أكتوبر ١٩٦٥» عن تخلى «جيفارا» عن جنسيته الكوبية، التى منحها «كاسترو» له، والمعروف أنه «أرجنتينى» الأصل، بالإضافة إلى تخلِّيه عن منصبه كوزير للصناعة الكوبية.

حمل الخبر دراما ومفاجأة فى حياة «جيفارا» عبَّر عنها فى رسالة إلى «كاسترو» الذى قرأها فى خطاب أمام جماهير محتشدة.

قال «جيفارا» فى رسالته: «إما أن ينتصر الإنسان أو أن يموت، ولقد قضى الكثيرون من رفاقنا نحبهم فى الطريق إلى النصر، أما الآن فقد أصبح كل شىء أقل دراماتيكية، إننى أشعر بأننى أنجزت ذلك الجزء من عملى الذى كان يربطنى بالثورة الكوبية، إن بلادا أخرى فى هذا العالم تحتاج إلى جهودى، وبعد فإنى أستطيع القيام بها لا تستطيعه أنت بسبب مسئولياتك فى قيادة كوبا، أجل

لقد حان وقت الرحيل والافتراق، وأريدك أن تعرف أننى أرحل بمزيج من الغبطة والألم، فإذا جاءت ساعتى تحت سماء أخرى، فإنك والشعب الكوبى ستكونان فى خاطرى قبل أن ألفظ نفسى الأخير، النصر أو الثورة أو الموت».

انطلق «جيفارا» بعد هذه الرسالة، وبعد تخليه عن جنسيته الكوبية يحمل الثورة إلى بوليفيا، لكن ما فعله عبر عن إشكالية لا تزال قائمة حتى الآن، وهى العلاقة بين «الثورة والدولة»، بين «الثوار والمناصب»، فبينما كان وزيرا للصناعة فى كوبا، كان يشعر بفشل كبير، وينقل الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم» هذه الإشكالية فى حوار «مدهش» بين «عبدالناصر وجيفارا» فى زيارة الأخير إلى مصر فى شهر فبراير عام ١٩٦٥.

لاحظ «عبدالناصر» حزن «جيفارا» فسأله عما إذا كان هناك خلاف بينه وبين «كاسترو»، وتناقش الاثنان حول الثورة والدولة، حول بناء المجتمعات بعد نجاح الثورة، حول الإصلاح والثورة، حول اللحظة المناسبة تماما للتفجير الثورى. تحدث «جيفارا» عن الموت كثيرا، فقال له عبدالناصر: «لماذا تتحدث دائما عن الموت؟ إنك شاب، علينا أن نموت من أجل الثورة إذا كان ضروريا، ولكن من الأفضل بكثير أن نعيش من أجلها».

أبلغ «عبدالناصر» بأنه لا يظن أنه سيبقى فى كوبا، وقال إنه لم يقرر بعد أين سيذهب، لكن الشىء الوحيد الذى ينتظره هو أن يقرر: «أين يعثر على مكان يكافح فيه من أجل الثورة العالمية، ويقبل تحدى الموت؟»، ويقول هيكل إن عبدالناصر تأثر كثيرا حين سمع الرسالة التى كتبها جيفارا إلى «كاسترو»؛ لأنها كانت تحمل الكثير مما تناقشا حوله معًا.

٤ أكتوبر عام ١٨٥٣
فرمان عثمانى بالحرب على روسيا..
والسلطان يأمر عباس باشا بدعاء المصريين بالنصر

«أنت أيها الوالى المشار إليه، عند وصول فرمانى الملوكى الجليل العنوان، عليك أن تعلن ذلك لأهالى جميع الجهات الواقعة تحت إدارتك وتذيعه، وأن تنبه عليهم وتفهمهم بأن يشتغلوا جميعا بالدعاء بنصرة دولتنا العلية، كما هو مفروض عليهم ويواظبوا على ذلك».

هكذا خاطب السلطانُ العثمانى «عبد المجيد»، والىَ مصر «عباس باشا» بفرمان مكتوب باللغة التركية يخبره فيه بإعلانه الحرب على «روسيا» فى مثل هذا اليوم «٤ أكتوبر ١٨٥٣»، وهى الحرب المعروفة تاريخيا بـ«حرب القرم»، التى أرسل خلالها «عباس باشا» جنودا وعتادا، بالإضافة إلى الأسطول البحرى للوقوف إلى جانب تركيا، ثم واصل الوالى «سعيد باشا» نفس المساعدات.

وحسب كتاب «الجيش المصرى فى حرب القرم» للأمير عمر طوسون، مدبولى، القاهرة، نبه السلطان «عبد المجيد» فى فرمانه على ضرورة التنبيه على الأهالى بالدعاء بنصرة الدولة العلية، وإلى عدم التعرض لرعايا الروس والدول المتحابة فى مصر ومعاملتهم باللين والحسنى، ويشمل الفرمان شرحا للخطوات التى اتخذها للوصول إلى فرمان بإعلان الحرب قائلًا: «تقرر بإجماع الآراء اختيار جانب الحرب واتخاذ التدابير العسكرية توكلا واعتمادا على عون

الله تعالى وعنايته، مستعينين بنصرة الله تعالى، وصدرت أيضا فتوى شرعية بذلك من طرف شيخ الإسلام».

ينقل الأمير «عمر طوسون» الحالة التى كانت عليها مصر وقت إعلان فرمان الحرب، اعتمادا على تقرير نشرته جريدة «أخبار لندن المصورة» يوم ٢٣ أكتوبر ١٨٥٣ بعنوان «الحركات الحربية فى مصر»، والتقرير تم إرساله من مكتبها فى الإسكندرية يوم «٦ أكتوبر»، ويأتى فيه أن التجارة المصرية حل بها كساد عظيم، وفيضان النيل زاد زيادة لم تشهدها البلاد من قبل، مما يؤخر الزرع، وقرر الباشا منع تصدير القمح إلى الخارج خوفا من إصابة البلاد بالقحط، وأنه فى الميناء الآن قليل من المراكب التجارية بالنسبة إلى عددها فى مثل هذه الظروف، وكل ما فى الميناء من السفن الحربية بارجة أميرال الأسطول المسماة «فيض جهاد» وهى فاخرة وذات ثلاث طبقات، والفرقاطة البخارية الجديدة المصنوعة من الحديد، وثلاث بواخر أخرى أصغر من السابقتين وحَرَّاقتان، أما باقى الأسطول فيتجول فى ميناء الآستانة.

يشير التقرير إلى أن مجموع القوات التى أرسلها «عباس باشا» إلى الآن لمعونة السلطان «العثمانى» ٢٢ ألف جندى، عدا البحارة الذين فى البوارج المصرية بتركيا، ويُشاع هنا أن الوالى ينوى إرسال قوة أخرى إضافية قريبا، وأن السلطان العثمانى حظر على «رعايا عباس باشا» الخوض فى المسألة التركية، وقال، إن لباس الجيش المصرى هو البذلة العسكرية النظامية وهى تصنع فى الشتاء من نسيج أزرق خشن، وفى الصيف من نسيج القطن الأبيض.

ويتحدث التقرير عن أن الذى أكسب الجنود شدتهم الحربية ليس كثرة عددهم، وإنما فى الغالب «قوة أبدانهم»، كما يشير إلى أن العمل فى مد الخط الحديدى بين القاهرة والإسكندرية تأخر لانسحاب العدد الأكبر للخدمة فى تركيا.

٥ أكتوبر عام ١٨٨٢
رجال توفيق يهينون عرابى فى أول ليلة بالسجن..
ويأخذون من محمد عبده كتاب «العِقْد الفريد»

كان يومًا من الأيام الحزينة فى حياة أحمد عرابى زعيم الثورة العرابية، يصفه فى مذكراته بقوله: «أُلقى بى فى حجرة ليس فيها شىء حتى الكرسى وأغلقوها علىّ، وجاء خادمى إلىّ ولكن الحراس لم يسمحوا بإدخال شىء إلا بساطا وملحفة، كان ذلك من أيامى الحزينة التى لا تُنسى».

هى قصة يوم نقل «عرابى» من معتقل «قشلاق عابدين» إلى السجن «الدائرة السَّنية»، وظل فيه حتى مثل هذا اليوم «٥ أكتوبر ١٨٨٢» بعد هزيمة ثورته، وجاء الانتقال لأجل محاكمته مع زعماء الثورة وعدد كبير من مؤيديها، لكن الإهانات لكل زعماء الثورة والشيخ محمد عبده كانت هى بطل الأحداث فى هذا اليوم.

كانوا جميعا فى السجن ينتظرون مصيرهم، وكان الخديو توفيق يرسل إهاناته إليهم عبر رجاله، يقول عرابى: أقبل فريق ممن أُرسلوا لإهانة السجناء وتهديدهم، فتشونى وأخذوا منى كل ما لدىَّ من الأوراق الخاصة، وجاء فريق من موظفى الخديو، وأعادوا تفتيشى حتى إنهم نزعوا قميصى، ولكنهم لم يجدوا شيئا إلا تميمة كنت ألبسها فانتزعها أحدهم بقوة، ولما قلت إنى أخلعها بنفسى صاح أحدهم قائلًا: «كلا لقد أمرت أن أفعل ذلك وأن أخلع حتى حذاءَك لأفتشه».

بعد ساعة من انصراف فريق موظفى الخديو، ذهب بشارة تقلا (مؤسس ورئيس تحرير الأهرام) لزيارة عرابى، وحسبما يأتى فى كتاب «أحمد عرابى- الزعيم المفترى عليه»، تأليف محمود الخفيف، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، نقلا عن «مذكرات عرابى»: ظننت أنه قدِم ليعزينى وليبدى عواطفه نحوى، وقد كان ممن يدينون بمبدئنا قبل الحرب، وأقسم بدينه وشرفه أنه واحد منا، ويعمل لحرية وطننا، وقد عددناه فى الحق من الوطنيين، ولكنه لما دخل علىّ توقح أشد التوقح، ثم قال: «أى عرابى، ماذا صنعت وماذا حل بك؟ ورأيت أن الرجل خائن ولا شرف له، ولما لم أُجِبْه أدار ظهره وانصرف».

بلغت الإهانات مبلغها فى يوم ليلة التاسع من أكتوبر، ويصف «عرابى» تفاصيلها: سمعت الباب يُفتح حوالى الساعة التاسعة والنصف، وقد خلعت ملابسى واضطجعت لأنام ودخل علىَّ جماعة تتألف من عشرة أو اثنى عشر شخصا، ولما كان الظلام حالكا لم أستطع أن أتبين منهم أحدا، وصاح أحدهم فجأة: إيه عرابى، ألا تعرفنى؟ وحسبت أنه قادم ليقتلنى فنهضت قائلا: كلا لست أعرفك. فصاح: أنا إبراهيم أغا توتونجى حامل غليون الخديو أيها الكلب، أيها الخنزير. ثم بصق علىَّ ثلاث مرات، فوقفت ساكنا فى هدوء».

فعل «أغا» فعله بعد أن لثم يد الخديو توفيق راجيا منه أن يسمح له بالبصق فى وجه السجناء، ونفذ ذلك مع الشيخ محمد عبده حيث ذهب إليه فى السجن يوم ٥ أكتوبر ومعه بعض رجال الخديو، وفتشوه وأخذوا منه ثلاثة مجلدات، اثنان منها هما كتاب العقد الفريد، وسألهم: لماذا تأخذون الكتب، ألكى تعيدوها إلى بيتى؟ رد إبراهيم أغا: ألك بيت؟

٦ أكتوبر عام ١٩٧٣
الجيش المصرى يبدأ حربه ضد إسرائيل فى الثانية ظهرًا.. والسادات وقيادات الجيش فى مركز العمليات

«لكى تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف فإنه يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروسى والأمريكى معا»، قال هذه الكلمات «موشى ديان»، وزير الدفاع الإسرائيلى، أثناء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وذكرها خلال مناقشة له مع «أليعازر» رئيس أركان الجيش أثناء الحرب أيضا، وأيده فى ذلك الجنرال «بارليف» صاحب فكرة الساتر الترابى الذى تم إنشاؤه ليكون عازلا أمام الجيش المصرى عن سيناء التى احتلتها إسرائيل على أثر نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

هذا اليقين الذى تحدث به «ديان» كان بمثابة العقيدة التى تؤمن بها إسرائيل، واختصرتها فى جملة موحية وهى: «الجيش الإسرائيلى الذى لا يُقهر»، ويعتبر الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان الجيش أثناء الحرب: «أن هذه الشهادة من قادة العدو هى شهادة نعتز بها؛ لأنها تُظْهِر عظمة التخطيط وروعة الأداء اللذين تم بهما هذا العبور العظيم».

هكذا تحدث «الشاذلى» فى مذكراته «حرب أكتوبر» التى تحتوى على قدر هائل من المعلومات. التى تؤكد كيف تم استعداد الجيش المصرى لهذه الحرب الخالدة التى بدأت فى مثل هذا اليوم «٦ أكتوبر ١٩٧٣»، ويقول

الشاذلى: إن قرارنا بخصوص عبور قناة السويس على مواجهة واسعة هو عقيدة ثابتة، استقرت فى تفكيرنا العسكرى فى مصر منذ عام ١٩٦٨.

يقول «الشاذلى» إنه فى الساعة الثانية من يوم ٦ أكتوبر وصل رئيس الجمهورية أنور السادات ومعه وزير الحربية أحمد إسماعيل إلى المركز ١٠، ودخلا غرفة العمليات حيث كان كل فرد فى مكانه منذ الصباح، وكان الوقت المحدد لعبور الموجة الأولى من المشاة هو الساعة «الثالثة والنصف»، ولكن كان هناك الكثير من المهام الأخرى التى يجرى تنفيذها قبل ذلك، أهمها هو قيام قواتنا الجوية بتوجيه ضربة جوية إلى مطارات العدو ومراكز قيادته ومناطق حشد مدفعيته فى سيناء، واشترك فى هذه الضربة الجوية أكثر من ٢٠٠ طائرة عبرت خط القناة على ارتفاع منخفض جدا الساعة الثالثة، وبمجرد عبور قواتنا الجوية لخط القناة بدأت مدفعيتنا عملية القصف التحضيرى المكثف على مواقع العدو شرق القناة، وفى الوقت نفسه تسللت عناصر استطلاع المهندسين، وعناصر الصاعقة إلى الشاطئ الشرقى للقناة، للتأكد من تمام إغلاق المواسير التى تنقل السائل المشتعل إلى سطح القناة.

كانت الأعمال تتم بنجاح، لكن جميع من كانوا فى مركز القيادة، كانوا حسب «الشاذلى»، ينتظرون أخبار عبور المشاة، حيث إن ذلك هو الذى سيحدد مصير المعركة، ويضيف: بينما كنا ننتظر وكأن على رءوسنا الطير وصلت المعلومات بتمام عبور الموجة الأولى، ودوت مكبرات الصوت داخل المركز ١٠ تعلن الخبر المهم الذى بعث الفرحة والسكينة فى نفوس الجميع.

توالت المعلومات عن عبور الموجات التالية للمشاة فى توقيتات تتطابق تماما مع توقعات القيادة العسكرية، ويقول «الشاذلى» إنه بعد اطمئنان الرئيس السادات بهذه الأخبار السارة، انسحب هو ووزير الحربية من غرفة العمليات للراحة، وقرابة الساعة السابعة مساء غادر السادات عائدا إلى القاهرة.

٧ أكتوبر عام ١٩٧٣
الجيش يحقق نجاحًا حاسمًا فى معركة عبور قناة السويس

حلت الساعة الثامنة من صباح مثل هذا اليوم «٧ أكتوبر ١٩٧٣»، ووقتها كانت قوات الجيش المصرى حققت نجاحا حاسما فى معركة عبور قناة السويس، عبرت أصعب مانع فى العالم بتحطيمها خط بارليف فى ١٨ ساعة، وحسب مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى: تحطيم خط بارليف فى ١٨ ساعة هو رقم قياسى لم تحققه أية عملية عبور فى تاريخ البشرية.

اشترك فى العبور، وفقا لتقدير «الشاذلى»، مائة ألف جندى وضابط، تم توزيعهم على نحو ٣٢ ألفًا فى قوارب مطاطية، وألف فى دبابات ومَرْكبات برمائية عبر المسطحات المائية فى البحيرات المُرَّة وبحيرة التمساح، و٤٥٠٠ فوق المعديات، و١٥٠٠ فوق الكبارى الخفيفة، و٦١ ألفا فوق الكبارى الثقيلة، وعبرت القناة ١٠٢٠ دبابة و١٣ ألفا و٥٠٠ مركبة.

وقع العبور بأقل خسائر ممكنة للجيش المصرى، وتقديرها وفقا لـ«الشاذلى»: ٥ طائرات و٢٠ دبابة و٢٨٠ شهيدا، ويمثل ذلك ٥ , ٢ ٪ فى الطائرات و٢٪ فى الدبابات و٣, ٠ ٪ فى الرجال، أما إسرائيل ففقدت ٣٠ طائرة و٣٠٠ دبابة وعدة آلاف من القتلى، وخسرت خط بارليف بكامله، وسحق ثلاثة ألوية مدرعات ولواء مشاة.

يؤكد «الشاذلى» أن يوم ٧ أكتوبر كان يوم فرح وسعادة لمصر، فأصبح لمصر على الشاطئ الشرقى خمس فرق مشاة بكامل أسلحتها الثقيلة، ومعها

قرابة ألف دبابة، بينما العدو فى تلك المنطقة أصبح فى حالة فوضى عارمة، ويقول إن هذه الصورة الوردية لم تكن لتنسينا الحقائق التى كانت تفرض نفسها، وهى: إذا كنا نجحنا فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية ولم يقُم العدو بإجراء التعبئة الشاملة، إذن فإن المعارك الكبرى مع قوات العدو الرئيسية كانت لم تبدأ بعد.

كان تقدير مدير المخابرات الحربية أن إسرائيل ستقوم بالهجوم المضاد بقواتها الرئيسية بعد ٦ أو ٨ ساعات من بدء هجوم جيش مصر، لكن بعد ١٨ ساعة من بدء القتال لم تكن هناك ظواهر تدل على أن إسرائيل دخلت المعركة فى الجبهة المصرية، وبناء على ذلك يقول الشاذلى: «دار فى رءُوسنا سؤال: متى يقوم العدو بالهجوم المضاد الرئيس؟ يوم ٨ أو ٩ أكتوبر؟».

كان يوم ٧ أكتوبر هو يوم سباق بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى استعدادا للمرحلة التالية من المواجهة المرتقبة، دفعت إسرائيل إلى جبهة سيناء بخمسة ألوية مدرعات جديدة، كما دفعت بـ٣٠٠ دبابة أخرى لتعويض خسائر الألوية والمدرعات الثلاثة التى كانت موجودة أصلا.

فى الوضع السياسى طرحت أمريكا مبادرة وقف إطلاق النار لبدء مفاوضات سلمية، لكن السادات رفض هذا الاقتراح، وكما يقول الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية الذى قاد حرب الاستنزاف فى كتابه «حرب أكتوبر ١٩٧٣ دراسة ودروس»: «رفض السادات الاقتراح الأمريكى معززا من الجانب السوفيتى الذى رفض اقتراح عودة القوات المتحاربة إلى خطوط ما قبل بدء القتال».

فى كتابه «أمن مصر القومى» لـ«حافظ إسماعيل»، مستشار الأمن القومى للسادات خلال الحرب، أن السادات أرسل خطابا لوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر يوم ٧ أكتوبر يعلن فيه أن قواتنا المسلحة ملتزمة بعدم تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة.

٨ أكتوبر عام ١٩١٧
الأمير كمال الدين يكتب لوالده : «أقرر التنازل عن خلافتكم فى حكم سلطنة مصر»

اشتد المرض بالسلطان «حسين كامل» ولزم الفراش، ويئس الأطباء من شفائه، حتى تُوفِّى يوم ٩ أكتوبر ١٩١٧، ومع المرض انشغل السلطان بأمر خلافته، فعرض قبل وفاته على ابنه الوحيد الأمير «كمال الدين» أن يتولى العرش، لكن الابن رفض بشدة فى موقف فاجأ الجميع بمن فيهم والده.

هى واحدة من قصص «عرش مصر» التى يتداخل فيها «الموقف الشخصى» بـ«موقف الاحتلال الإنجليزى»، ويجتمع الموقفان عند حقيقة واحدة وهى: أن حكم مصر منذ بدء الاحتلال عام ١٨٨٢ وحتى الملك فاروق، لم يكن يتم إلا برغبة وموافقة الاحتلال، مهما كان نظام وراثة الحكم داخل أسرة «محمد على».

قبل وفاة السلطان بيوم واحد، فى مثل هذا اليوم «٨ أكتوبر ١٩١٧»، كتب ابنه «كمال الدين» إليه رسالة اعتذاره عن تولِّى العرش قائلا: «ذكَّرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية، وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الأكبر من الأبناء، ثم بعده لأكبر

أبنائه، وهكذا على الترتيب، وإنى لأذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى، على أنى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكّننى من خدمة بلادى بأكثر ما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المص.ية بصفتى ابنكم الوحيد، وأنى بهذه الصفة أقرر الآن تنازلى عن جميع ذلك».

هل كان الاحتلال الإنجليزى بعيدا عن هذا الأمر؟

الإجابة تأتى فى كتاب: «فؤاد الأول المعلوم والمجهول» للمؤرخ الدكتور يونان لبيب رزق، ويشير فيه إلى أن وراثة عرش السلطان حسين كامل كانت مطروحة منذ مايو ١٩١٥ بعد نجاة السلطان من محاولة اغتيال، وأبدى «المندوب السامى البريطانى» حينها رغبته فى إقرار تلك القضية، وطرح أن يكون الوريث واحدا من ثلاثة، هم: الأمير كمال الدين، الأمير أحمد فؤاد، وابن عمه الأمير يوسف كمال، غير أن «السلطان حسين» قال للمندوب السامى «مكماهون» إن ابنه عازف عن ذلك، وفى حال إصراره على العزوف فإنه ينصح باختيار أخيه الأمير فؤاد.

قدم المندوب السامى وصفا للشخصيات الثلاث إلى الحكومة البريطانية، وفى أواخر شهر أغسطس عام ١٩١٧ عاد الموضوع ليفرض نفسه بقوة بعد اشتداد المرض على السلطان، وفى ٢١ سبتمبر استقر رأى بريطانيا على اختيار «أحمد فؤاد»، لكنها اشترطت أن يعلن الأمير «كمال الدين حسين» ويكتب وثيقة تنازل عن العرش، حتى لا يبدو أمام المصريين أنه صاحب حق فى الحكم وتم سلبه منه، وقد كان.

٩ أكتوبر عام ١٩٦٧
مصرع جيڤارا فى بوليڤيا بعد حياة عاشها
للثورة والقهوة والدخان والقراءة

«رفع رأسه عاليا ونظر للجميع مباشرة، ولم يسأل عن شيء إلا الدخان»، هكذا وصف جندى بوليڤى شاهد على مقتل «تشى جيفارا» فى مثل هذا اليوم «٩ أكتوبر ١٩٦٧»، لحظات «المناضل الثورى» الأخيرة الذى هز خبر قتله العالم بأسره.

كانت «بوليڤيا» هى مكان هذا الحدث الدرامى، والتى ذهب إليها «جيفارا» ليواصل نضاله عبر أسلوب حرب العصابات لإسقاط حكم رئيسها «رينيه بارينتوس» الذى أمر بقتله بعد القبض عليه بيومين، وذهبت أوامره إلى قطع رأسه لإرسالها إلى كوبا، لكن الإدارة الأمريكية رفضت، فتقرر قطع يده ووضعها فى وعاء يحتوى على سائل ثم إرسالها إلى الرئيس الكوبى ورفيق نضاله «كاسترو».

يقودنا سؤاله عن «الدخان» فى لحظات موته الأخيرة إلى أنه ممن ينطبق عليهم وصف الشاعر محمود درويش للموتى: «الذين يذهبون إلى حتفهم باسمين»، وهو ما يتضح فى نظرته إلى الموت والحياة.

فى كتابه «أحلامى لا تعرف الحدود» يقول: «لا يهم أن يفاجئنا الموت، مرحبا به، شرط أن تُسمع الحرب التى نطلقها»، وفى رسالته الأخيرة لـ«كاسترو»: «إما

أن ينتصر الإنسان إما أن يموت»، وقال لـ«جمال عبدالناصر» فى زيارته إلى مصر عام ١٩٦٥، حسب ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «عبدالناصر والعالم»: «نقطة التحول فى حياة أى إنسان تحل فى اللحظة التى يقرر فيها أن يواجه الموت، فإذا قرر أن يجابه الموت يكون بطلا سواء نجح أم أخفق، إن فى وسع الإنسان أن يكون سياسيا صالحا أو رديئا، ولكن إذا كان لا يستطيع أن يواجه الموت، فإنه لن يكون أكثر من مجرد رجل سياسى».

تنقَّل بين أماكن عدة مناضلا، رحل من بلده الأصلى «الأرجنتين» إلى «كوبا» إلى «الكونغو» إلى «بوليفيا»، وبدأت رحلته بعد بدء تكوينه السياسى وعمره ٢١ عاما عند نهاية المرحلة الأولى من دراسته لـ«الطب»، حيث قام بجولة طويلة على الدراجة البخارية فى شمال قارة أمريكا اللاتينية مع صديق شيوعى أرجنتينى أكبر منه وأكثر تسيسا، ليكتشف الواقع الاجتماعى البائس للقارة، ويوما بعد يوم تكونت أسطورته الثورية، ولأن الأسطورة لا تموت، قوبل خبر موته فى البدء بعدم التصديق.

يقول «فرانسوا ماسبيرو» الكاتب الفرنسى والقريب من «كاسترو» فى مقدمة كتاب «يوميات بوليفيا الكاملة» ترجمة مصطفى الفقير، دار الفارابى، بيروت: «موت التشى قوبل فى البداية بعدم التصديق للقوى التى كانت تتمتع بها أسطورة استحالة النيل منه، كان على كاسترو بالذات أن يعلن النبأ من مذياع راديو «هافانا»، ويدعو الشعب إلى سهرة جنائزية فى ساحة الثورة كى يتأكد المشككون بصحة النبأ، يضيف «فرانسوا»: ظل حتى استشهاده إنسانا يتكون باستمرار وقارئا نهما، ففى عام ١٩٦٥ وفى الأدغال الكونغولية كتب يقول: «الامتياز الوحيد الذى أسمح به لنفسى هو قليل من القهوة وقراءة كتب».

١٠ أكتوبر عام ٦٨٠
بدء معركة كربلاء.. بين الحسين بن علىّ وجيش يزيد بن معاوية

تأهب الحسين بن على رضى الله عنه للسير من مكة للكوفة فى العراق، ألحَّ الناس عليه ألا يفعل، خوفا من بأس يزيد بن معاوية، وبطش تابعه ابن زياد، وغدر أهل الكوفة، ونصحه ابن عباس أن يمضى إلى اليمن فيقيم فى شِعْب من شعابها، بعيدا عن يد السلطان، وقريبا من شيعته هناك، لكن الحسين مضى لوجهه ولم يمضِ وحده، وإنما احتمل معه أهل بيته، وفيهم النساء والصبيان، ولم يسمع إلى مشورة ابن عباس الذى أشار عليه إن لم يجد بدا من المسير، أن يترك أهل بيته وادعين آمنين.

هكذا يصف الدكتور طه حسين، فى كتابه «الفتنة الكبرى- على وبنوه»، الحال التى كان عليها ابن بنت رسول الله (ﷺ)، يوم مضى إلى قدره فى معركة كربلاء، التى بدأت فى مثل هذا اليوم «١٠ أكتوبر عام ٦٨٠»، واستمرت ثلاثة أيام، ولازلنا نعيش أصداءها رغم كل هذه القرون التى مضت عليها، فهى التى عمقت الجروح بين «الشيعة» و«السُّنة» على الرغم من القيمة الجليلة لـ«الحسين» لدى الطرفين، وبقائه فى التاريخ الإسلامى رمزا للاستشهاد فى سبيل المبدأ.

رفض «الحسين» إعطاء البيعة لـ«يزيد بن معاوية» كخليفة للمسلمين بعد والده، والتى طلبها معاوية فى حياته، وكان هذا الفعل من معاوية جديدا على المسلمين، يقول عنه الدكتور طه حسين: «لم يأخذ أحد من الخلفاء السابقين

السلطان بالسيف، ولم يورِّث الخلافة أحد بنيه، ولم يقُل ما قاله معاوية ذات يوم بمحضر صعصعة بن صوحان: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلى، وما تركته للناس فبالفضل منى».

أقام الحسين فى مكة رافضا بيعة يزيد، وبدأت الاتصالات مع أهل الكوفة يطالبونه بالمجيء لكى يكون إمامهم، وخلع يزيد وإخراج عامله «النعمان بن بشير»، فأرسل ابن عمه «مسلم بن عقيل» إلى الكوفة سرا، ليقف على الأمر بنفسه، حتى اكتشف حاكمها «عبد الله بن زياد» الأمر وجيء به إلى قصره، فقتله فى أعلى القصر، وألقى رأسه ثم جسمه إلى الناس.

فى هذه الدراما، سنجد التحذيرات لحفيد رسول الله من تصديق أهل الكوفة، وهى موجودة بكثرة فى كتاب «استشهاد الحسين» للإمام الحافظ ابن كثير، تقديم الدكتور جميل محمد غازى، الصادر عن مطبعة المدنى، ومنها أنه فى طريق الحسين إلى كربلاء، قابله «الفرزدق» فسأله عن أمر الناس وما وراءه، فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء».

حين اقترب «الحسين» من العراق قابله «الحر بن يزيد» الذى خرج على رأس ألف من الجند بأمر «ابن زياد»، وكانت الأوامر له بأن يحول بين الحسين وبين ذهابه إلى أى أرض، وألا يفارقوه حتى يأتيهم أمره، ولما عرف الأعراب الذين خرجوا ليكونوا مع الحسين بهذا، تفرقوا حيث أيقنوا أنها الحرب التى بدأت فى مثل هذا اليوم.

١١ أكتوبر عام ٦٨٠
الحسين و ٧٢ رجلًا يواصلون القتال ضد ٣ آلاف من بنى أُميَّة

نحن فى اليوم الثانى من معركة كربلاء «١١ أكتوبر ٦٨٠»، بعد أن رفض «ابن زياد» كل ما طلبه «الحسين» حقنًا للدماء، حيث عرض على عمر بن سعد بن أبى وقاص ثلاثة حلول لتجنب القتال، يذكرها طه حسين فى كتابه «الفتنة الكبرى»، أولها أن يخلُّوا بينه وبين طريقه إلى الحجاز ليعود إليه ومن معه، وإما أن يسيِّروه إلى يزيد بن معاوية فى الشام ليكون بينهما ما يكون، وإما أن يخلوا بينه وبين الطريق إلى أى بلد من بلاد المسلمين فيكون فيها جنديًا يرابط بإزاء العدو، له مثل ما لهم من العطاء، وعليه مثل ما عليهم من الجهاد.

رضى «عمر» بشروط «الحسين»، لكنه كتب إلى «ابن زياد» يسأله، فأرسل رده مع «شمر بن ذى الجوشن»، وقال له: أقرئه الكتاب وانظر ما يصنع، فإن نهض لقتال الحسين فأقم معه رقيبًا عليه حتى يفرغ من أمره، وإن أبى أو تثاقل فاضرب عنقه وكن أمير الجيش. ولم يكد عمر بن سعد يقرأ الرسالة حتى نهض للقتال مطالبًا «الحسين» بنزوله على حكم «ابن زياد» فأبى قائلًا: «أما هذه فمن دونها الموت».

زحف «عمر» بجيشه وقوامه ٣ آلاف على الحسين وأصحابه، وكانوا ٧٢ رجلًا فقط، وكان «مسلم بن عوسجة» أول الشهداء، ومشى إليه الحسين فترحم عليه وهو على آخر رمق.

كان أول قتيل من أهل الحسين ولده «على الأكبر»، ويصف «ابن كثير» لحظة استشهاده لما طعنه «مُرَّة بن منقذ النعمان»، وقطعه الرجال بأسيافهم.. قال الحسين: قتل الله قوما قتلوك يا بنى ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه، فعلى الدنيا بعدك العفاء، وخرجت جارية كأنها الشمس حسنًا فقالت: يا أُخيَّاه ويا بْنَ أخيَّاه، فإذا هى «زينب بنت على من فاطمة»، فأكبت عليه وهو صريع، فجاء الحسين وأخذ بيدها.

سقط الشهداء، أما الحسين- وحسب «ابن كثير»- فتحامل عليه الرجال من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينا وشمالا، وخرجت أخته زينب إليه، وقالت: «ليت السماء تقع على الأرض»، وقالت لعمر بن سعد: «أرضيت أن يقتل أبوعبد الله وأنت تنظر؟» فانحدرت الدموع على لحيته وصرف وجهه عنها، وأمر بألا يُقدْم أحد على قتله حتى نادى شمر بن ذى الجوشن: ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فحمل الرجال من كل جانب عليه ليقتله «ابن ذى الجوشن».

ينقل «ابن كثير» عن عبد الله بن عمار قوله: «رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه، والله ما رأيت مكثورًا قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشًا منه، ولا أمضى جنانًا منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله».

يقول طه حسين: «رأى الحسين المحنة كأشنع ما تكون المحن، رأى إخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه، وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يُبْقِ منها شيئًا».

١٢ أكتوبر عام ١٩٠٦
بيت سعد زغلول يزدحم لتكوين لجنة لتبرعات إنشاء الجامعة.. وقرار بتسميتها :«الجامعة المصرية»

ازدحم بيت سعد زغلول بالمدعوين، كانوا من أكابر مصر، خليطا من رجال القضاء والعلم والسياسة، وأصحاب المال والأعمال، ويمكننا تخيل المشهد الذى بدأ بانتظار سعد زغلول «بك» للمدعوين، ثم استقباله لهم تباعا.

كان الاجتماع الذى عُقد فى مثل هذا اليوم «١٢ أكتوبر ١٩٠٦» مخصصا لمناقشة إنشاء الجامعة الأهلية، بعد أن أُثيرت فكرتها على صفحات الصحف، وكانت جريدة «المؤيد» لصاحبها الشيخ «على يوسف» واحدة من هذه الصحف، وتلقفت نداء «مصطفى كامل بك الغمراوى» المنشور فى الصحف، ويدعو للاكتتاب لإقامة الجامعة، وحسب مجلة «أيام مصرية» فى عددها الخاص «الجامعة المصرية ١٠٠ عام» وفى دراسة للكاتبين «أحمد كمالى، وعمر إبراهيم»، دعت «المؤيد» إلى تكوين لجنة تحضيرية من كبار المكتتبين لتنظيم عملية الاكتتاب وتنفيذ المشروع، واستجاب «الغمراوى» للاقتراح، فدعا لعقد اجتماع لتشكيل هذه اللجنة، ووقع الاختيار على أن يكون مكانه فى بيت القاضى «سعد زغلول بك».

فى مذكرات «أحمد شفيق باشا» رئيس الديوان الخديو مع «عباس حلمى الثانى»، يذكر بعض الذين حضروا منهم: قاسم أمين بك، حفنى ناصف

بـك، محمـد فريـد بـك، عـلى فهمـى بـك، حسـن سـعيد بـك، زكريـا نامـق أفنـدى، الشـيخ عبـد العزيـز جاويـش، أحمـد رمـزى بـك، حسـن جمجـوم بـك، حسـين السـيوفى باشـا، محمـد عثمان أباظـة بـك، محمـد راسـم بـك، حسـين أبـو حسـين بـك، محمـود الشيشـينى بـك، محمـد يوسـف بـك، حنفـى بـك، محمـد هاشـم بـك.

يقـول «شـفيق باشـا»: إن الجميـع تشـاوروا فى حماسـة ويقـين، وبلغـت المبالـغ التـى اكتتـب بهـا الحـاضرون ٤٤٨٥ جنيهـا مصريـا، وقـرروا انتخاب لجنـة تحضيرية مـن حـضرات السـادة «سـعد زغلـول بـك» وكيـلًا، وقاسـم بـك أمـين سـكرتيرًا، وحسـن سـعيد بـك أمينًـا للصنـدوق، ومصطفـى كامـل بـك الغمـراوى، ومحمـد بـك أباظـة، ومحمـد بـك راسـم، وحسـن بـك جمجـوم، وحسـن باشـا السـيوفى، وأخنـوخ أفنـدى فانـوس، وزكريـا نامـق أفنـدى ومحمـود بـك الشيشـينى أعضـاء، كـما قـرر الاجتـماع تسـمية الجامعـة بـ«الجامعـة المصريـة».

ويضيـف «شـفيق باشـا»، أن «أحمـد زكـى بـك» أقنـع «الغمـراوى بـك» بتحويل تبرعـه إلى عقـار لركـود حركـة الاكتتـاب، أمـا التـبرع بعقـارات فهـو أسـاس متـين ودعامـة ثابتـة للمـشروع، فاقتنـع وتـبرع بسـتة أفدنـة فتبعـه الكثـيرون فى ذلـك.

رد فعـل الاحتـلال الإنجليـزى يذكـره «شـفيق باشـا» قائـلاً: إن المـشروع لم يجـد فى بدايتـه هـوىً لـدى المنـدوب السـامى البريطانـى «اللـورد كرومـر»، وهـو الـذى أعلـن فى بدايـة عـام ١٩٠٥، أن مـصر أحـوج إلى التعليـم الأوّلى مـن التعليـم العـالى، ودعـا إلى إنشـاء الكتاتيـب، فأقـدم بعـض الأعيـان إلى إنشـائها والتوسـع فيهـا، ولا يحتـاج موقـف «كرومـر» إلى التدليـل عـلى أنـه كان ضـد أن يكـون فى مـصر جامعـة، غـير أنـه لمـا وجـد تصميـم المصريـين عـلى إنجـاز حلمهـم لم يسـتطع المقاومـة.

١٣ أكتوبر عام ١٩٢١
محمد خليل «الجاويش» يقتل «أدهم الشرقاوى»

بعد صلاة كل جمعة فى صيف ١٩٦٢، كان المصريون يستمعون إلى ملحمة «أدهم الشرقاوى» من الإذاعة، بغناء عذب وشجى من المطرب الكبير محمد رشدى: «منين أجيب ناس لمعنات الكلام يتلوه/ شبه المؤيد إذا حفظ العلوم وتلوه/ الحادثة اللى جرت على سبع شرقاوى/ الاسم أدهم لكن اللقب شرقاوى/ مواله أهل البلد جيل بعد جيل غنوه».

قال لى صديقى الراحل محمد رشدى: إن النجاح الهائل للموال دفع عبد الحليم حافظ إلى غنائه فى فيلم «أدهم الشرقاوى» بطولة عبد الله غيث، فمن يكون هذا الاسم تميمة حظ «رشدى»، والمثَل الأعلى للرئيس الراحل أنور السادات حسب قوله فى كتابه «البحث عن الذات»؟

هو الشاب «أدهم عبد الحليم عبد الرحمن الشرقاوى» المولود فى قرية «زبيدة» مركز «إيتاى البارود» محافظة البحيرة ١٨٩٨ أى بعد الاحتلال الإنجليزى بـ«١٧ عاما»، وقُتل فى مثل هذا اليوم «١٣ أكتوبر ١٩٢١»، وكتبت «الأهرام» خبر مقتله بعنوان: «عاقبة البغى.. مقتل شقى كبير»، وفى يوم «١٥ أكتوبر» نشرت تفاصيل مقتله بعنوان: «سلطان الأشقياء ومصرعه».

قالت «الأهرام»: «إن الشقى أدهم الشرقاوى قتل بطلق نارى، واشتهر القتيل بالجرائم والاعتداء على الأنفس والأموال فى بيان النهار وفى الليل، ولم

يسلَم من شره حتى بعض أقاربه»، وأضافت: «يشيعون عن القتيل المذكور حكايات كثيرة، منها أنه يثير الذعر والرعب فى أنحاء مركز إيتاى البارود وكوم حمادة والدلنجات، وأنه حاصل على الشهادة الابتدائية، وترك الدراسة للثأر ممن قتلوا عمه».

وشرحت «الأهرام» أن «الداخلية» وزعت منشورا فيه، أن من يمسك هذا الشقى حيًا أو مقتولاً فله ٣٠٠ جنيه، فقتله محمد خليل الجاويش.

من واقع هذه التغطية الصحفية، فإننا أمام «شقى» حسبما تراه السلطة، وفى بحثى عن الحقيقة بأرشيف الصحف، وجدت مادة متنوعة ما بين اتهامه بـ«البلطجة» وأخرى تراه بطلا، وحسب تحقيق منشور فى مجلة «آخر ساعة» يوم ٩ أكتوبر ١٩٦٣، يتحدث عمه الحاج محمد سلمان الشرقاوى، وسامى «ابن عمه» عنه بوصفه «وطنى» ينصر المظلومين، ودوخ السلطة، وانتقم لعمه محمود الشرقاوى الذى نفاه محمد سعيد باشا رئيس الوزراء إلى الواحات بسبب ثورته ضد الإقطاع.

دخل السجن وقتل فيه «على عبد الرءُوف عيد» قاتل عمه فنال حكما بالمؤبد، لكنه استطاع الهرب بعد ٥ سنوات على أثر الفوضى التى حدثت أثناء ثورة ١٩١٩، وحدثت اشتباكات مع الأمن أثناء هروبه أدت إلى قتل ٨٠ مسجونا.

هكذا تبقى قصة أدهم بين الحقيقة والأسطورة، وأضفى الخيال الشعبى عليها الكثير مثل اتهام صديقه بدران بقتله، كما يذكر الموال، وتلك مشكلة حكى لى محمد رشدى أن بدران الحقيقى هدده برفع قضية على أثرها، وأجرى وقتها الصحفى فاروق عبد السلام (رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون فيما بعد)، تحقيقا صحفيا استضاف الاثنين فى مصالحة أكدت براءة «بدران».

١٥ أكتوبر عام ١٩٢٦
الحزن يعمُّ القوّادين والمومسات لوفاة ملكهم «إبراهيم الغربى»

عَمَّ الحزن عالم المومسات والقوادين فى القاهرة، على وفاة زعيمهم «إبراهيم الغربى» فى مثل هذا اليوم «١٥ أكتوبر ١٩٢٦»؛ وذلك أثناء تنفيذه عقوبة بالسجن ٥ سنوات بدأت فى منتصف عام ١٩٢٤، وبلغ الأمر بـ«رسل باشا» قائد البوليس فى القاهرة إلى القول تعليقا على موته: «كان على المومسات، وقد حُرمن من الملك، أن يبحثن عن حُمَاة آخرين الذين بدونهم رغم وحشيتهم، تكون المومس فى كل مكان فى العالم ضائعة وعاجزة».

قصة «الغربى» هى قصة نشاط «البغاء» فى مصر بقوانين منظمة بدأت من نهايات القرن التاسع عشر، وأصبح هذا القادم من «كورسكو مركز الدر بأسوان» ملكها منذ عام ١٨٩٦ حتى رحيله، وكان والده يعمل بتجارة الرقيق المحرمة فى مصر منذ عام ١٨٧٠.

يصفه «رسل باشا»، وفقا لما جاء به كتاب «مجتمع القاهرة السرى ١٩٠٠-١٩٥١» للدكتور عبد الوهاب بكر: «نوبى ضخم الجثة سمين، يجلس كل مساء على مقعد خارج أحد منازله بشارع عبد الخالق واضعا ساقًا على ساق، مرتديا ملابس النساء ومنتقبا بنقاب أبيض، كان هذا الفاسد الكريه يجلس كالصنم الآبنوسى الصامت، ويخرج فى العادة يدا مغطاة بالجواهر ليقبلها أحد المارة من المعجبين، أو معطيا أمرا صامتا لأحد أتباعه من الخدم».

يضيف «رسل»: «كان لهذا الرجل سلطة مذهلة، امتد نفوذه فى محيط السياسة والمجتمع الراقى، كان شراء وبيع النساء للمهنة فى كل من القاهرة والأقاليم فى يده كلية، ولم يكن قراره بالنسبة إلى السعر يقبل المناقشة».

تعرض للاعتقال مع عدد من المخنثين المنتشرين بحى الأزبكية عام ١٩١٦، وأفرج عنه عام ١٩١٨، وفى كتابه «البغايا فى مصر - دراسة تاريخية اجتماعية من ١٨٣٤-١٩٤٩» يقول الباحث عماد هلال: «إن القوادين والبغايا نصبوه سلطانا على عالمهم بعد الإفراج عنه، وألبسوه تاجا ذهبيا مرصعا بالألماس والزمرد والياقوت، وتربع على عرش تجارة الدعارة والفسق، وحكم مملكته بدكتاتورية صارمة، وكان يسن قوانينه الخاصة، ويشرف على تنفيذها، ويعاقب من يخالفها.

جعل من أحد بيوته سجنا أحال غرفه إلى زنزانات حقيقية، وكان يحكم فى بعض الحالات بإعدام ضحيته، فيتم رميها فى غرفة تحت الأرض حتى تموت جوعا، واستفحل أمره بعد الحرب «العالمية الأولى»، وأصبح له وكلاء فى عواصم أوروبا يستورد عن طريقهم البغايا من كل الأجناس، وكان يدعو الأجانب للتسلية، ويقيم لهم معرضا للفجور والفحش، يحشر إليه طائفة من الجنسين، يفعلون الفاحشة على طرق متنوعة كأقصى ما وصلت إليه الرذائل، وامتد سلطانه فشمل بغايا مصر كلها».

وحين مات كانت ممتلكاته حسب الدكتور عبد الوهاب بكر: «٥٤ بيتا فى حى باب الشعرية قيمتها وما تحويه ٥٠ ألف جنيه، و١٥٦ سوار ذهب خالص وزمرد وألماس، عدا تاج كان يلبسه فوق رأسه قيمته ثلاثة آلاف جنيه بأسعار وقتئذ، وكسوة للتشريفة كان يرتديها فى الحفلات الرسمية قيمتها ٥٠٠ جنيه، إلى جانب ١٠ آلاف جنيه».

١٦ أكتوبر عام ١٩٣٦
هتلر يستقبل النحاس باشا بحماس أكثر من نصف ساعة

«كانت كلماته حماسية كأنه يخطب فى حفل، ورأيت عينيه تبرقان بريق الغضب كلما جاء ذكر إنجلترا أو فرنسا، وكلما هممت بالانصراف استبقانى حتى طال الحديث أكثر من نصف ساعة، وخرج فودعنى حتى الباب الخارجى»، هكذا يصف «مصطفى باشا النحاس» لقاءه بالزعيم الألمانى النازى هتلر فى مثل هذا اليوم «١٦ أكتوبر ١٩٣٦»، بحضور «مكرم باشا عبيد» وزير المالية، و«جوبلز» وزير إعلام هتلر الشهير.

فى مذكرات «النحاس» تحقيق «أحمد عز الدين»، يشير النحاس إلى أنه كان فى زيارة إلى ألمانيا بدعوة من الجالية المصرية، وفى برلين فوجئ بمندوب الحكومة الألمانية يرحب به باسم حكومته وباسم «هتلر» على الرغم من أن الزيارة ليست رسمية، وحدث السفير المصرى «حسن نشأت النحاس» بأن «هتلر» يرغب فى لقائه، وبالفعل حدث اللقاء.

يقول «النحاس»: «استقبلنى هتلر مرحِّبًا واقفا وقفة عسكرية وشد على يدى بقوة، وبعد أن جلسنا سألنى عن مؤتمر الامتيازات (عقد فى (مونترو) وترأس النحاس الوفد المصرى، وحصل على موافقة بإنهاء الامتيازات الخاصة للأجانب فى مصر)».

يواصل النحاس: «قال هتلر إنه اطَّلع على مناقشات المؤتمر، وأُعجب بصراحتى وشجاعتى، فشكرته، ثم عرَّج على الحالة الدولية وأخذ يشرح لى

مـا لاقتـه ألمانيـا مـن الحلفـاء والظلـم الـذى حـاق بهـا بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الأولى، وأفـاض فى ذلـك».

يضيـف النحـاس: «خرجـت بانطبـاع أن هـذا الشـاب الغاضـب الثائـر لابـد أن يجـر العـالم كلـه إلى حـرب عالميـة، ولـن تهـدأ لـه ثائـرة- حسـب مـا استنتجت مـن حديثـه- إلا بـأن يخـوض حربـا طاحنـة، فإمـا انتـصر وبلـغ القمـة، وأعـاد إلى ألمانيـا مجدهـا وعزهـا الـذى طالمـا تغنـت بـه وافتخـرت، وإمـا أن يسـوقها إلى هاويـة لـن تخـرج منهـا إلا مهيضـة الجنـاح، مفككـة الأوصـال».

فى تحقيقـه للمذكـرات يتحـدث «عـز الديـن» عـن الزيـارة وأسـبابها ومـا حـدث فيهـا، مسـتندا إلى الدراسـة العلميـة: «الأقبـاط فى السياسـة المصريـة» للدكتـور مصطفـى الفقـى، ودراسـة الدكتـورة هـدى جمـال عبـد النـاصر: «الرؤيـة البريطانيـة للحركـة الوطنيـة المصريـة ١٩٣٦-١٩٥٢»، وتتحـدث دراسـة الفقـى، عـن أن الزيـارة لم تكـن للأسـباب المعلنـة وهـى أن صحـة «عبيـد باشـا» متدهـورة وذهـب إلى برلـين لاستشـارة طبيـب ألمانـى، وأن الطبيـب ذكـر أن عبيـد قـد يمـوت فى أى لحظـة، ويميـل الفقـى إلى أن السـبب يتعلـق بموقـف ألمانيـا مـن مؤتمـر «مونـترو»، أمـا «هـدى عبـد النـاصر» فتشـير إلى اهتـمام النحـاس وعبيـد وهمـا فى ألمانيـا بتنظيـمات الشـباب النازيـة، وبتاريـخ تنظيـم «كتائـب العاصفـة»، وذلـك بسـبب جهـود الوفـد فى تنظيـم وتطويـر «القمصـان الزرقـاء».

شـهدت الزيـارة لقـاء النحـاس بالخديـو المعـزول «عبـاس حلمـى الثانـى» الـذى كان يحـاول العـودة إلى مـصر لاسـترداد العـرش بعـد مـوت الملـك فـؤاد، وقـدم النحـاس تشـجيعا لفكـرة الخديـو رغـم أنـه أخـبر البريطانيـين نقيـض ذلـك، وكان رأى البريطانيـين أن هـذه العـودة لـن تكـون موضـع ترحيبهـم.

١٧ أكتوبر عام ١٩١٨
موت الخطيبة البليغة الشاعرة الكاتبة «باحثة البادية»

«قمت بارتداء ثيابى وخرجت قاصدة دار الراحلة، وإذا بنعشها يختصر علينا الطريق، ويقابلنا ملفوفا بالعلم المصرى، وتسير خلفه جماهير المشيعين، وتبعتهم حتى مقرها الأخير حيث واروا التراب ذلك الجسم النشيط، وأغلقوا القبر على شعلة الذكاء المتقدة».

هكذا تتحدث «هدى شعراوى» إحدى رائدات المرأة العربية الحديثة فى مذكراتها عن اليوم الذى خرجت فيه «مَلَك حفنى ناصف» التى اشتهرت بلقب «باحثة البادية» من دارها إلى قبرها، حيث تُوفِّيت فى مثل هذا اليوم «١٧ أكتوبر ١٩١٨».

مرت حياتها كالبرق «٣٢ عاما»، لكنها تركت خلالها أثرا عميقا، فهى لم تعش خلف الستار كما كان مقدرا الحال المرأة فى زمنها، وإنما خرجت إلى براح الحياة، كاتبة، شاعرة، خطيبة بليغة مؤثرة، وكما يقول «طاهر الطناحى» فى كتابه «الساعات الأخيرة»: «كانت تدافع وتناقش عن المرأة وعن حقوقها المهضومة، رائدها فى ذلك الاعتدال، والسير على سُنَّة الدين الحنيف من المبادئ السامية التى تتماشى وحاجة المجتمع وتطوره ورُقيِّه».

ولدت فى شهر ديسمبر ١٨٨٦، وفى سيرتها حسب كتاب «باحثة البادية وعائشة التيمورية» بقلم الآنسة «مى» الصادر عن دار الهلال: تلقت مبادئ العلوم فى مدارس أوَّلية «كتاتيب»، ثم دخلت المدرسة السَّنية فى أكتوبر ١٨٩٣،

وحصلت منها على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠، وهى أول سنة تقدمت منها الفتيات المصريات لأداء الامتحان للحصول على تلك الشهادة، ثم انتقلت إلى القسم العالى فى المدرسة المذكورة وحصلت على الشهادة العالية «دبلوم» عام ١٩٠٣، واشتغلت بعد ذلك بالتعليم فى المدارس الأميرية، وتزوجت فى ٢٨ مارس ١٩٠٧ بعبد الستار بك الباسل، «وجيه» قبيلة الرماح بالفيوم وأحد زعماء ثورة ١٩١٩.

كان حصيلة هذه المسيرة التعليمية وقتئذ، أنها انبرت تكتب وتخطب وتَنظم الشعر فى الدفاع عن حقوق جنسها، وعن حقوق الرجال أيضا، ونظمت قصيدة حينما أعلن «بطرس غالى باشا» رئيس الوزراء إعادة العمل بقانون المطبوعات الصادر فى عهد الخديو توفيق الذى يحد من حرية الصحافة، قالت فيها:

«ستسلبون غدا أغلى نفائسكم حرية ضاع فى تحصيلها العمر

حرية طالما منوا بها كذبا على بنى النيل فى الآفاق وافتخروا».

تتحدث «هدى شعراوى» فى مذكراتها عنها، تلخص مسيرتها فى كلمات مختصرة جاءتها حين تلقت خبر وفاتها: «إن البلاد نساءها ورجالها خسروا فى نهضتهم عضوا مهما بوفاة تلك السيدة الفاضلة»، وتصف حالتها حين تلقت خبر رحيلها: «فى تلك اللحظة انفردت فى مخيلتى صفحة بيضاء، ذات إطار أسود لهذه السيدة، وخُيل إلَّى أننى أسمع صوت باحثة البادية وهو يدوى فى قاعة المؤتمر الذى عقد عام ١٩١٠ مطالبا بحقوق عشرة للنساء، لقد تجسم خيالها أمام ناظرى فى محاضراتها بالجامعة المصرية تلقى على أترابها دروسا فى الأخلاق والواجبات، ومرت بخاطرى مناقشاتنا فى السفور والحجاب فى الاجتماعات التى كنا نعقدها قبل الحرب، وكانت تنظر إلى أقوالنا ونشاطنا بابتسامة ممزوجة بشىء من الشك والاستغراب».

١٨ أكتوبر عام ١٨٠١
الجنرال مينو يغادر مصر ويقول للمصريين:
«خرجنا نحمل الذكريات القاسية من بلدكم»

«وداعا لمصر، وداعا للمسلمين، خرجنا نحمل الذكريات القاسية من بلدكم الذى يحوى أجمل الآثار، ولنا ذكريات مؤلمة فى الصحراء، ولكن المجد لنا لأننا سببنا لكم القلق وسكبنا الدماء فوق ضفافكم».

كانت هذه هى آخر كلمات الجنرال «مينو» الذى تولى قيادة الحملة الفرنسية على مصر والشام، بعد أن غادر قائدها نابليون مصر عائدا إلى فرنسا، وبعد اغتيال قائدها الثانى «كليبر»، وقالها وقت مغادرة جنود الحملة لمصر نهائيا، وجاءت فى كتاب «الحملة الفرنسية على مصر - مذكرات ضابط من جيش الحملة - هوية» الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية.

بين يومَىْ «١٤ و٣٠ سبتمبر ١٨٠١» بدأت السفن التى تقلُّ الجنود والضباط الفرنسيين فى الإقلاع من أبى قير، وحسب كتاب «الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر» للدكتور محمد فؤاد شكرى: «بلغ عدد السفن التى حملت المصابين بالدوسنتاريا والإسكربوط ١٢ سفينة مستشفى، بينما حملت بقية المرضى سفينتان أخريان، وبعد شهرين تم شفاء المرضى الذين بقوا فى الإسكندرية فاستطاعوا العودة إلى أوطانهم».

أما «مينو» وحسب «فؤاد شكرى»، فنال منه التعب والإجهاد خلال شهور الحصار الطويلة، وما لبث أن وقع فريسة للأمراض، وكان من أسباب

مرضه أنه تعرض إلى أرق طويل حرمه النومَ مدة طويلة بسبب الهواجس التى انتابته، وظهرت عليه عوارض مرض الطاعون فشكا من حدوث «جمرات» فى رجله اليسرى، واستدعى الجراح «لارى» لعلاجه، فنصحه بالمبادرة بالرحيل لعله يستفيد من هواء البحر، فاعتلى الفرقاطة «ديانا» فى مثل هذا اليوم «١٨ أكتوبر ١٨٠١»، وتحسنت صحته رويدا رويدا حتى وصل إلى «طولون» وشُفى مما أصابه تماما.

صعود «مينو» إلى الفرقاطة حمل معه قصته مع زوجته «زبيدة» ابنة رشيد التى تزوجها بعد إشهار إسلامه، ويتحدث «شكرى» عن أنه قبل رحيله دبر سفرها وولده «سليمان مراد»، ويقول إنه عند استيلاء الإنجليز والعثمانيين على رشيد اضطرت زبيدة وولدها إلى الفرار من رشيد وصحبها أخوها «السيد على»، فأقامت بعض الوقت لدى أسرتها فى بلدة «فوة»، وبعد استيلاء الأتراك عليها فرت إلى القاهرة، ونزلت عند الضابط «ألفران» أحد ياوران «مينو»، واستبد الخوف بأخيها «السيد على»، ولما تم تسليم القاهرة غادرت مع الجيش الفرنسى المنسحب منها، وكانت تبغى الذهاب إلى جانب زوجها، لكنه رفض حتى لا يُفسر ذلك على أنه اعتراف منه بشروط تسليم القاهرة، وبلغ تشدده برفضه مقابلتها، لكنه بعث إليها خطابا يوصيها بولده خيرا ويطلب منها تنشئته تنشئة صالحة، وكان من الصعب أن تبقى فى رشيد بعد مغادرة الفرنسيين مصر، فطلب مينو من قائد الأسطول الإنجليزى «اللورد كيث» عمل جواز مرور لهما حتى يستطيعا الإبحار من أبى قير، فاستجاب وأقلعت مع الجيش الفرنسى الراحل عن مصر.

١٩ أكتوبر عام ١٩٧٣
استشهاد العقيد «إبراهيم الرفاعى» مع بدء أذان الجمعة

بدأ أذان الجمعة، فسقط البطل العقيد «إبراهيم الرفاعى» بين جنوده وضباطه الذين سارعوا إليه، ليكتشفوا أن شظية من قذائف العدو الإسرائيلى اخترقت صدره، وأصابت قلبه ليصبح شهيدا فى مثل هذا اليوم «١٩ أكتوبر ١٩٧٣».

سالت دماء «الرفاعى» الزكية على تراب أرض مصر التى أعطاها عمره، دون أن يأخذ شيئا، أو يحصد غنيمة إلا سيرته العطرة فى تاريخنا، وفى كتابه «المجموعة ٣٩ قتال- مدد يا رفاعى» للكاتب الصحفى محمد الشافعى، يتناول نشأة هذه المجموعة بقيادة الرفاعى يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٦٩ بقرار من اللواء محمد أحمد صادق رئيس المخابرات الحربية، لتنفيذ عمليات خاصة ضد العدو، وواصلت المجموعة عملياتها البطولية حتى ٢٥ أبريل ١٩٧٤.

فى يوم ١٨ أكتوبر وحسب كتاب «المجموعة ٣٩ قتال»، كان «الرفاعى» فى غرفة العمليات أمام الرئيس السادات والمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية، وطلبا منه وضع خطة لتدمير المعبر الذى أقامه الجيش الإسرائيلى فى الدفرسوار، فوضع «الرفاعى» خطة بنسفه عن طريق «الضفادع البشرية»، ولما وصل إلى منطقة الجيش الميدانى، وفى مركز قيادته، توصل إلى استحالة تنفيذ خطته، والسبب كما يقول البطل «نبيل عبد الوهاب» أحد «الضفادع» الثمانية المكلفين بالمهمة: «أن العدو الإسرائيلى سيطر على منطقة جنوب الدفرسوار».

فى مركز قيادة الجيش الثانى كانت التعليمات الجديدة من الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان الجيش، بضرورة تحرك «الرفاعى» ومجموعته عن طريق «المعاهدة» للوصول إلى موقع تقاطع «سرابيوم» عند قرية «نفيشة»، والتمسك به لمنع قوات العدو من التقدم لاحتلال الإسماعيلية.

احتل الرفاعى ومجموعته مواقعهم، واكتشفت قوات الاستطلاع تقدم مجموعة من دبابات العدو فى اتجاه موقع للصواريخ المضادة للطائرات، فتقدم «الرفاعى» ومعه الرقيب أول مصطفى إبراهيم، والعريف محمد الصادق عويس، والمقاتل شريف عبد العزيز، وهم من أمهر رماة القذائف الصاروخية «آر بى چى ٧»، والمدفع ٨٤ المضاد للدبابات عديم الارتداد، وصعدوا لأعلى نقطة فى الموقع، ليقع الاشتباك وتدمير دبابتين إسرائيليتين، فتوقف «قُول الدبابات»، لكنه واصل إرسال قذائفه فى اتجاه الرفاعى ومجموعته، ليستشهد الرفاعى.

فى رحلة هذا البطل الكثير مما يقال، منذ تخرجه فى الكلية الحربية، حيث لفت أنظار قادته بذكائه وشجاعته الفائقة، وشارك فى حروب ١٩٥٦، واليمن، ويونيه ١٩٦٧، والاستنزاف، وأكتوبر ١٩٧٣.

حدثنى اللواء دكتور «كمال كاسب» وهو أحد ضباط الرعيل الأول فى سلاح الصاعقة عنه، قائلا: «خدمت معه لفترة فى ستينيات القرن الماضى، وكنت ملازما أول، وهو نقيب، وشارك فى بناء أول قوة للصاعقة المصرية، التى أصبح فتاها الذهبى وأسطورة الجيش المصرى، وفيما بعد كنت فى فرقة أخرى غير فرقته، لكننى كنت أشاهده، وهو يعبر لعمليات خاصة ضد العدو، وكلما كانت تقع عملية تهز قلب الجيش الإسرائيلى كنا نعرف أنها عملية لـ«الرفاعى»».

٢٠ أكتوبر عام ١٨٢٧
تدمير الأسطول المصرى فى «ناڤارين»
ومحمد على يتلقى خبر الكارثة من ابنه إبراهيم

ظل محمد على باشا رزينا، لم يترك شيئا يظهر عليه عند سماعه أنباء الكارثة، حملت سفينة حربية صغيرة أخبار تدمير الأسطول العثمانى والمصرى فى «ناڤارين» إليه فى مثل هذا اليوم «٢٠ أكتوبر ١٨٢٧»، وعند قراءته لرسالة ابنه «إبراهيم باشا» حاملة هذا النبأ الكارثى، اكتفى بالقول بكثير من البرود: «كنت أتوقع أن مثل هذه المواجهة لا مفر منها».

يتحدث كتاب «الفرعون الأخير - محمد على» لـ«جيلبرت سينويه» بالتفصيل عن وقائع هذا اليوم قائلا: إنه عند طلوع النهار لم يتبقَّ من أسطول محمد على الرائع، الذى كان بالأمس فقط يسبح فى المرسى، إلا الفرقاطة «اللبوة» وخمس سفن حربية صغيرة، وثلاث مراكب، وأربع سفن شراعية طافية فى الماء، فى حين تم القضاء على الباقى سواء حرقا أو غرقا فى الشاطئ، ويضيف «سينويه»، أنه لم يكن هناك من سبيل لمعرفة إجمالى عدد الموتى والجرحى، وتم الحديث فى تلك الأثناء عن عشرين ألفا غير أن الأسطول بكامله على أكثر تقدير كان يتكون من ١٩ ألفًا إلى عشرين ألفًا، منهم الطواقم العاملة فيه، وقرابة أربعة آلاف جندى.

ويـرى «سـينويه» أن ثلاثـة الآف التـى أعلـن عنهـا أحـد الضبـاط المصريـين تبقـى الأكثـر قبـولا، فى حـين تـم الإعـلان عـن خسـائر الحلفـاء بواقـع ٦٥٤ بـين قتيـل وجريـح، موزعـة بـين ٢٧٢ إنجليزيـا و١٨٤ فرنسـيا و١٨٩ روسـيًا.

يأتـى السـؤال: لمـاذا ذهـب «محمـد عـلى» إلى اليونـان ليواجـه هـذه الموقعـة؟ والإجابـة يقدمهـا «سـينويه»: «كانـت اليونـان تعيـش تحـت الحـذاء التركـى منـذ مـا يقـرب مـن قرنـين، وفى يـوم ٢٥ مـارس ١٨٢١ بـدأت الحـرب الوطنيـة اليونانيـة ضـد الأتـراك، وفى مـارس ١٨٢٣ اتجـه السـلطان العثمانـى إلى بطلـه الجديـد «محمـد عـلى» ليكلفـه بالقضـاء عـلى الثـورة اليونانيـة.

هيـأ محمـد عـلى جيشـا اسـتجابة للسـلطان العثمانـى، وجعـل مـن ابنـه «إبراهيـم باشـا» قائـده، ويـرى الدكتـور محمـد عبـد السـتار البـدرى، فى كتابـه «المواجهـة الأوروبيـة فى عهـد محمـد عـلى»، أن مطلـب السـلطان العثمانـى اتفـق مـع أهـداف محمـد عـلى الراميـة لتحويـل شرق البحـر المتوسـط إلى بحـيرة مصريـة بعـد أن خطـط لضـم سـوريا إلى ممتلكاتـه فى فـترة لاحقـة، ويضيـف: «فى الواقـع أن محمـد عـلى لم يكـن ضـد الثـورة اليونانيـة، بـل إنـه سـمح لمنظماتهـا السريـة للعمـل فى مـصر، غـير أنـه لم يكـن مسـتعدا للتضحيـة بأحـلام إمبراطوريـة مصريـة مـن أجـل مشـاعره نحـو القوميـة اليونانيـة».

اسـتطاع «إبراهيـم باشـا» أن يحقـق النـصر وراء الآخـر، كان وقتهـا ابـن «٣٧ عامًـا» ويعيـش حيـاة معتدلـة ومنظمـة فى خيمتـه البسـيطة بمعسـكره، ويدخـن دائـما ويتنـاول القهـوة كثـيرًا، وذلـك حسـب وصـف الدكتـور محمـد أحمـد حسـونة أسـتاذ التاريـخ بجامعـة فـؤاد الأول فى بحثـه «إبراهيـم باشـا فى بـلاد اليونـان» فى كتـاب «ذكـرى البطـل الفاتـح إبراهيـم باشـا» المنشـور عـام ١٩٤٨، غـير أن انتصاراتـه تـم وقفهـا فى «نافاريـن» بتحالـف أوروبـى لوقـف طمـوح والـده.

٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧
مصر تدمر «المدمرة إيلات» فى عملية غير مسبوقة فى تاريخ الحروب البحرية

«انتقلت إلى مكتب العقيد عادل هاشم حيث البلاغات من قاعدة بورسعيد كانت متلاحقة، تنساب كما تنساب الأنغام العذبة فى سيمفونية جميلة، صاروخ نمرة واحد طلع، نمرة واحد أصاب الهدف، صاروخ نمرة اتنين طلع، نمرة اتنين أصاب الهدف، الهدف تحطم، هكذا فى دقائق معدودات تحطمت أكبر وحدة بحرية إسرائيلية، لقد غرقت مدمرتهم إيلات، لقد أهنَّا كبرياءهم وجدعنا أنفهم، وعلى الفور أمرت بإعادة اللنشين إلى القاعدة، الأول بعد أن أطلق صواريخه والثانى محمل بالصواريخ، وعاد اللنشان بعد أن استُقبلا استقبالا حماسيا رائعا من أهالى بورسعيد، كانوا يهللون ويمجدون أبطال البحرية المصرية الشجعان، فقد رأوا كل ما حدث رؤية العين، فلم يكن الظلام قد أقبل إلا بعد أن دخلت اللنشات رصيف القاعدة».

هكذا يتحدث اللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية الأسبق ورئيس عملياتها وقت معركة تدمير «إيلات» فى كتابه «صفحات من التاريخ»، عن البطولة التى تمت فى مثل هذا اليوم «٢١ أكتوبر ١٩٦٧»، أى بعد نحو أربعة أشهر من نكسة ٥ يونيه.

الفرحة التى يتحدث عنها اللواء فهمى كانت تعبيرا وتأكيدا أن مصر أفاقت سريعا من كبوتها، وكانت تطورا نوعيا فى قدرة القوات البحرية

المصريـة، فهـى العمليـة الأولى فى تاريـخ المعـارك البحريـة التـى تتـم بإغـراق مدمـرة بصـاروخ مـن لنـش صغـير يحمـل أبطـال العمليـة بقيـادة البطـل النقيـب بحـرى أحمـد شـاكر عبـد الواحـد، وأدت إلى خسـارة إسرائيـل لنحـو ٣٠٠ ضابـط وجنـدى مـن سـلاحها البحـرى.

فى كتابـه «حكايـة المجموعـة ٣٩ قتـال» يسـرد المؤلـف محمـد الشـافعى وقائـع العمليـة، مشـيرا إلى أنهـا تمـت بلنشـات الصواريـخ لأول مـرة فى معركـة حربيـة مـن هـذا النـوع، وكانـت لنشـات صغـيرة، وفى كل لنـش ٢٠ فـردا وصاروخـان، وتحـرك لنشـان مـن قاعـدة بورسـعيد، يقـود النقيـب أحمـد شـاكر ومعـه مـلازم أول حسـن حسـنى اللنـش الأول، والثانـى يقـوده النقيـب لطفـى جـاد الله ومعـه مـلازم أول ممـدوح منيـع، وكان النقيـب أحمـد شـاكر هـو قائـد التشـكيل.

بعـد الوصـول إلى نقطـة محـددة أطلـق «شـاكر» الصاروخـين فأصابـا المدمـرة، ثـم أطلـق النقيـب لطفـى جـاد الله صاروخـين. ووفقـا لعمليـة بحـث دقيقـة أجراها «أحمـد عبـد المنعـم زايـد» ومنشـورة عـلى «صفحـة المجموعـة ٧٣ مؤرخـين»، فـإن صاروخَـىْ «جـاد الله» أصابـا مدمـرة أخـرى هـى «مدمـرة يافـا»، ويسـتند فى ذلـك إلى مراجـع مهمـة منهـا كتـاب اللـواء محمـود فهمـى ووثائـق بريطانيـة.

غـير أن تدمـير «مدمـرة يافـا» جـرى إهمـال الحديـث عنـه لأسـباب متعـددة، وتعمـدت إسرائيـل عـدم الإعـلان عنـه، لكـن، وكـما يقـول فهمـى: «لـو لم يتـم غـرق المدمـرة يافـا، فلـماذا لم تقـدم إسرائيـل الدليـل؟ لـماذا لم تعقـد مؤتمـرا صحفيـا عليهـا مثـلا؟».

ظلـت المدمـرة إيـلات غارقـة قبالـة شـواطى بورسـعيد، حتـى تـم تكليـف «إبراهيـم الرفاعـى» بالبحـث فيهـا عـن أى أجهـزة أو خرائـط، وهـو مـا نفـذه بالفعـل بالغطـس إليهـا عـدة مـرات فى الفـترة مـن ١٥ فبرايـر ١٩٦٨ إلى ٢٣ فبرايـر، وكان معـه النقيـب محمـد عـالى نـصر.

٢٢ أكتوبر عام ١٧٩٨
بونابرت يأمر باقتحام الجامع الأزهر
وقتل ثوار ثورة القاهرة الأولى بـ«حد السُّنْك»

نقل رجال المخابرات العسكرية إلى نابليون بونابرت أن المصريين يتدفقون على العاصمة من البلاد المجاورة لها، وينضمون إلى الثوار، فوجَّه بعض قواته إلى أطراف المدينة لمنع دخول أحد من خارجها، ونجحت القوات الفرنسية فى صد حشود كبيرة من الأهالى، كانوا فى طريقهم إلى القاهرة فى ضحى مثل هذا اليوم «٢٢ أكتوبر ١٧٩٨».

كانت القاهرة تشهد ثورة عارمة ضد الاحتلال الفرنسى، وهى الثورة المعروفة تاريخيًا بـ«ثورة القاهرة الأولى»، وفى تفاصيلها أنها اندلعت يوم ٢١ أكتوبر، وبدأت بنزول أحد المشايخ الصغار، وكان من مشايخ الأزهر، مناديًا فى المدينة: «كل مؤمن موحد بالله عليه بجامع الأزهر، لأن اليوم ينبغى لنا أن نغازى فى الكفار».

فى التفاصيل التى يأتى بها الجبرتى، ومؤلفات مهمة أخرى منها كتاب «بونابرت فى مصر» لـ«ج. كريستوفر هيرولد»، نرى تحالف التجار مع الأئمة وطلاب الأزهر والأولياء والفقراء والمكفوفين والمتسولين، ونرى بعض رجال الدين الذين استطاع «نابليون» استمالتهم، ليكون المشهد مقسما بين «ثوار» و«مصلحين» و«خونة».

فى ضحى يوم ٢٢ أكتوبر، وكما يأتى فى الجزء الثانى من كتاب «الأزهر جامع وجامعة» للدكتور عبد العزيز محمد المنشاوى، سعى مشايخ الأزهر أعضاء الديوان الذى كونه «نابليون» من قبل ليكون مجلسا لـ«الشورى» ليقابلوا «بونابرت» والتمسوا منه إصدار أمر بوقف القتال، وكانت مقابلته لهم فاترة وجافة وحمَّلهم مسئولية ما يحدث، وتظاهر برغبته فى وقف القتال، وطلب منهم الاتصال بزعماء الثورة فى الأزهر لإلقاء السلاح كشرط أساسى للتوقف عن ضرب المدينة، ولما ذهب أعضاء الديوان إلى الأزهر، رفض الثوار أن يسمحوا لهم بدخول الجامع أو حتى تخطِّى المتاريس المقامة فى مداخل الشوارع والأزقة المؤدية إلى الجامع ففشلت وساطتهم.

أعطى بونابرت أوامره بسرعة اتخاذ أعنف الوسائل لسحق الثورة بقصف الجامع بالمدفعية، وقتل الثوار، وإحراق المنازل، واحتلال الجامع بالجنود، وشملت أوامر «نابليون» العسكرية «قتل كل مسلح فى الشوارع وأن يكون القتل بحد السُّنْك»، ويصف «الجبرتى» تنفيذ أوامر «بونابرت» قائلا: «دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيل، وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصوراته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى».

يروى «كرويستوفر هيرولد» فى «بونابرت فى مصر» قصة ذات مغزًى حدثت أثناء اقتحام الفرنسيين للأزهر، فبينما كان الاقتحام يجرى، رأى الناس شخصًا غريبًا يتسلل خارجًا من الأزهر، هو كهل فرنسى بدين يلبس رداء يخفى بين ثناياه شيئًا ضخمًا، كان يتعقب الفرسان ورُمَاة القنابل وجثث القتلى، فلما وصل إلى مقر القيادة أثار ظهوره الدهشة، ذلك أن الرجل كان المواطن «مارسيل» المستعرب والمشرف على المطبعة، وأخرج من تحت ردائه مخطوطا رائعا للقرآن الكريم يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر، استنقذه من ثورة غضب الفرنسيين المدمرة.

٢٣ أكتوبر عام ١٧٩٨
نابليون يقطع رءُوس الثوار ويلقى بكل جثة دون رأسها فى النيل

حين حل الظلام على القاهرة فى اليوم الثانى لثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين، توقف القتال، وبلغت الخسائر «٥٠٠ فرنسى» ومن «ألفين إلى ثلاثة آلاف» فى صفوف الثوار، وذلك حسب تقدير كتاب «بونابرت فى مصر» لمؤلفه «ج. كريستوفر هيرولد».

فى اليوم الثالث الذى يوافق مثل هذا اليوم «٢٣ أكتوبر ١٧٩٨»، تعاظمت رغبة «نابليون» فى الانتقام من «الأزهر»، فأمر بهدم «الجامع» فى أثناء الليل، وذلك بتحطيم بعض الأعمدة فيه إذا كان ذلك ممكنا، وحسب الجزء الثانى من كتاب «الأزهر جامع وجامعة» للدكتور «عبد العزيز محمد المنشاوى»: «تضمن الأمر إنشاء نقطة مراقبة قوية فى الجامع، وتنظيم دوريات فى الحى، وهدم المتاريس والأبواب التى تسد الشوارع، حتى تكون المواصلات مفتوحة بين الأزهر والقلعة، وسائر مراكز تجمعات الجيش الفرنسى».

أصدر «نابليون» أمرا آخر وهو، قطع رءُوس جميع المعتقلين الذين تم القبض عليهم ومعهم أسلحة، وإلقاء جثثهم بدون رءُوس فى النيل فى المنطقة الواقعة بين بولاق ومصر القديمة، ويقول «المنشاوى» إنه من الملاحظ أن

الفرنسيين كانوا يحرصون على إلقاء الجثث بدون رءُوس فى النيل، حتى يتعذر التعرف على أصحابها إذا طفت الجثث فى يوم ما على سطح النيل.

فى مذكراته التى كتبها وهو فى منفاه بـ«سانت هيلانة»، وحسب ما ينقله عنها كتاب «الأزهر جامع وجامعة»، يقر «نابليون»: «قبضت السلطات الفرنسية على ثمانين شخصا»، وقال عنهم إنهم من بين مائة عضو كانوا يشكلون مجلس الثورة، وتم القبض عليهم ليلا، وفى السادسة من صباح ٢٤ أكتوبر قضت محكمة عسكرية بإعدامهم جميعا، تأسيسا على أنهم أعضاء فى مجلس الثورة، وكان هؤلاء غير المعتقلين الذين أمر نابليون بقطع رءُوسهم ورميهم فى النيل.

اللافت أن حكم المحكمة العسكرية جاء فى نفس اليوم الذى استقبل فيه «نابليون» فى قصره شيوخ الأزهر وأئمته «أعضاء الديوان»، ولم يتخلف عن الحضور سوى الشيخ السادات الذى تحجج بمرضه.

يذكر «نابليون» فى مذكراته وقائع مثيرة عن هذا اللقاء قائلًا: «شيوخ الأزهر الذين حضروا، كانت تبدو عليهم سيماء الرجال المذنبين الذين عذبهم القلق»، ويضيف: «قلت لهم أعرف أن كثيرين منكم كانوا ضعافا، ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن أحدا منكم ليس مذنبا»، وزاد فى قوله: «أمقت مقتا شديدا إثارة الفتن ونكران الجميل، ولا أريد أن يمر يوم واحد على مدينة القاهرة دون أن تقام فى مساجدها شعائر الصلاة كالمعتاد، والدم الذى أُريق فيه الكفاية، وكتب الأزهر المقدسة ستُرد».

يصف نابليون رد الفعل: «خرّ الشيوخ على ركبهم وقبلوا الكتب الدينية التى رُدَّت إليهم»، ويقول «المنشاوى» فى كتابه «الأزهر جامع وجامعة»: ذهب المشايخ إلى الجامع ودخل معهم الجماهير ورفعوا منه الجثث، وبعد أن تم تنظيفه صعد الشيخ عبد الله الشرقاوى المنبر وخطب، ونقل إليهم تصريحات «بونابرت».

٢٤ أكتوبر عام ١٢٦٠

بيبرس يقتل قطز فى «الجعافرة» بالشرقية.. والحزن يعمُّ القاهرة

«تزينت القاهرة لقدوم الملك المظفَّر قطز، والناس فى فرح ومسرات بقتل التتار، فلما طلع النهار نادى المنادى فى الناس: «ترحموا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس، فغم الناس ذلك».

هكذا لخص تقى الدين المقريزى طريقة إبلاغ الناس بمقتل «سيف الدين قطز» الذى ارتفع إلى المجد بانتصاره على التتار فى عين جالوت.

يذكر المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «عصر سلاطين المماليك- التاريخ السياسى والاجتماعى»، أن المشهد الذى ذكره «المقريزى» كان هو الأخير فى قصة بطل «عين جالوت»، ويضيف قاسم: «يبدو للناظر فى كتب التاريخ التى حفظت لنا هذه القصة أن سيف الدين قطز جاء لأداء مهمة تاريخية محددة، فما إن أنجزها حتى توارى عن مسرح التاريخ بعد أن جذب الانتباه والإعجاب الذى جعل دوره التاريخى على الرغم من قصر فترته الزمنية كبيرًا وباقيًا».

قاد النصر على التتار فى «عين جالوت»، وبقى لفترة فى بلاد الشام لترتيب الأمور، ثم خرج من دمشق عائدًا إلى مصر، ولما وصل إلى بلد القصير، وهى الآن «الجعافرة مركز فاقوس - الشرقية»، بقى مع عدد من خواصه ورحل بقية الجيش إلى الصالحية، وفيها أُقيم الدهليز السلطانى والخيمة السلطانية،

وفى الوقت نفسه بلغت مسامع الأمير «ركن الدين بيبرس البندقدارى» أنباء عن أن قطز يُضْمر له السوء فبالغ فى الحرص والحذر، وبات الغريمان يتربص كل منهما بالآخر.

فى رواية «المقريزى» عن قصة مقتل «قطز» ويرجحها الدكتور قاسم أن قطز حين اقترب من الصالحية، انحرف فى مسيره عن الدرب للصيد ومعه الأمراء، فلما فرغ من صيده وعاد، طلب منه الأمير بيبرس امرأة من سبى التتار فأنعم بها عليه، فأخذ يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء، فبدره الأمير «بدر الدين بكتوت» بالسيف، واختطفه الأمير «أنس» وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير «بهادر المعزى» بسهم أتى على روحه، ودُفن بالقصير «الجعافرة»، وفيما بعد تم حمله إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ «تقى الدين»، ثم نقله الحاج قطز الظاهرى إلى القرافة، وتم دفنه بالقرب من زاوية «ابن عبود».

يظل قطز «المقتول»، و«بيبرس» بطلين فى تاريخنا، لكن هذه الدراما التاريخية والإنسانية بين البطلين تطرح السؤال: «كيف نضع هذه الجريمة فى ميزان التاريخ؟».

يقدم قاسم عبده قاسم إجابة لافتة قائلًا: إن البناء السياسى لدولة سلاطين المماليك قام تطبيقا لمبدأ «الحكم لمن غلب»، وكان طبيعيا أن يفكر الأمير بيبرس فى إزاحة قطز من طريقه صوب العرش، ويرجح «قاسم» أن بيبرس ظن أنه الأحق بالعرش من قطز، لاسيما أنه صاحب دور كبير فى هزيمة الصليبيين بقيادة لويس التاسع فى المنصورة، ولعب دورًا كبيرًا فى هزيمة التتار فى عين جالوت، وكان بيبرس ابن عصره، وتلك هى الأفكار التى كانت سائدة وقتئذ.

٢٥ أكتوبر عام ١٩١٣
وفاة الشيخ على يوسف رائد الصحافة
وجليس الخديو عباس الثانى

حين تلقَّى الزعيم الوطنى محمد فريد خبر وفاة الشيخ على يوسف بداء القلب، كتب يقول: «انهدَّ ركن النفاق والذبذبة»، وكتب كلاما عنيفا فى مذكراته ضد «يوسف» صاحب جريدة «المؤيد» و«جليس» الخديو «عباس حلمى الثانى».

يقول «فريد» فى مذكراته المنشورة ضمن كتاب «مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية، المجلد الثانى» تأليف محمد صبيح: «نشأ فقيرا حقيرا فى بلصفورة بصعيد مصر، وتعلم شيئا قليلا بالأزهر، وسار وطنيا خديويا، وكنا كلنا معه، ثم لما أثرى قليلا، وظهر اسمه أخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديو، ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من أوروبا على يدى، وأخيرا قررنا إنشاء جريدة وطنية خالصة (اللواء) لنتخلص من معاكساته، وظهر العدد الأول فى مارس ١٨٩٩».

واللافت أن مذكرات «فريد» لا تخلو من العنف ضد الكثيرين، إلا أنها فيما يتعلق بـ«على يوسف» تطرح السؤال: «لماذا؟».

فى قصة حياة «على يوسف» الذى تُوفِّى فى مثل هذا اليوم «٢٥ أكتوبر ١٩١٣»، محطات عديدة، فهو من رواد الصحافة المصرية، حيث أسس مجلة

الآذاب، وكتب محمد فريد فيها بين عامَيْ ١٨٨٧ و١٨٨٨ باسم مستعار، ويعترف فى مذكراته، بأنه كتب بتوقيع «م. ف»، لأن والده كان ينهاه عن الكتابة فى الصحف والاشتغال فى السياسة، ثم شارك فى إصدار «المؤيد» قبل أن تتحول إلى ملكيته كجريدة وطنية تواجه جريدة «المقطم» لسان حال الاحتلال الإنجليزى، ودعا لإنشاء الجامعة المصرية والهلال الأحمر، وأسس حزب الإصلاح عام ١٩٠٦، وفى حياته أيضا قصة زواجه الشهيرة من «صفية السادات» التى عقد عليها دون علم والدها، فرفع الوالد قضية أمام المحاكم الشرعية، وحكمت بالتفريق بينهما، لكنه و«صفية» لم يستسلما، وواصلت المحكمة نظرها حتى انتهت بحل يرضى الشيخ السادات بعقد قران جديد.

يمكن القول إن علاقة على يوسف بالخديو عباس الثانى هى التى عكست كل مواقف «الشيخ»، وهى التى أسست للنظرة السياسية له من الآخرين وقتئذ، ومن ضمن هؤلاء «الحزب الوطنى» الذى أسسه مصطفى كامل وبعد وفاته «١٩٠٨» قاده محمد فريد.

والمعروف أن «عباس» بدأ حكمه بتبنِّى خط وطنى مقاوم للاحتلال، وحشد من حوله رجالا على نفس خطه وكان من بينهم مصطفى كامل ومحمد فريد وعلى يوسف وآخرون، غير أن الأحوال تغيرت، حين تغيرت سياسة الخديو إلى المهادنة مع الاحتلال، وفى دراسته «الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد» للدكتور سليمان صالح الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة «تاريخ المصريين»، يتحدث عن أن «عباس حلمى الثانى» توقف تماما عن مقاومة الاحتلال، وأنه بعد زيارته إلى لندن فى يونيه ١٩٠٩، ومع الحفاوة التى لقيها صرح بأنه أصبح يفهم الإنجليز أكثر مما مضى، وأشار إلى احترامه لكرومر «المعتمد البريطانى» فى مصر والتفاهم معه.

أحدث هذا الموقف انشقاقا فى الجبهة الملتفة حول الخديو، حيث ابتعد «مصطفى كامل» و«محمد فريد» عنه، لكن على يوسف استمر فى تأييده.

٢٦ أكتوبر عام ١٩٥٤
جماعة الإخوان تفشل فى اغتيال جمال عبد الناصر
فى ميدان المنشية بالإسكندرية

«أيها الشعب، أيها الرجال الأحرار، جمال عبد الناصر من دمكم، ودمى لكم، سأعيش من أجلكم، وسأموت فى خدمتكم، سأعيش لأناضل من أجل حريتكم وكرامتكم، أيها الرجال الأحرار، أيها الرجال، حتى لو قتلونى فقد وضعت فيكم العزة، فدعوهم ليقتلونى الآن، فقد غرست فى هذه الأمة الحرية والعزة والكرامة، فى سبيل مصر وفى سبيل حرية مصر سأحيا، وفى خدمة مصر سأموت».

هكذا ارتجل جمال عبد الناصر كلماته بعد إطلاق الرصاص عليه من «محمود عبد اللطيف» عضو جماعة الإخوان، فى مثل هذا اليوم «٢٦ أكتوبر ١٩٥٤» فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية.

كان الآلاف يحتشدون للاستماع إلى خطاب «عبدالناصر»، وتناول توقيع اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا، وبمقتضاها سيحمل الاحتلال عصاه ويرحل بعد احتلال بدأ منذ عام ١٨٨٢، وبينما يتابع المصريون والعالم الخطاب، أطلق «عبد اللطيف» رصاصاته من مسدس «ألبرتا» أمده به «هنداوى دوير» عضو الجماعة لتنفيذ العملية.

كان المشهد، وحسب تعبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس»: «صورة للشجاعة الإنسانية، وكان تأثيره على الجماهير قويا وعميقا»، وللتدليل

على ما يذكره هيكل، أذكر فى لقاءات متعددة لى مع الشاعر الغنائى الكبير الراحل أحمد شفيق كامل (مؤلف العديد من الأغانى الوطنية الخالدة بصوت عبدالحليم حافظ ورحل عام ٢٠٠٨)، قوله لى، إنه ظل فى موقف المحايد من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حتى وقع حادث المنشية: «يومها أحببت عبد الناصر بلا حدود، ولم يغادرنى هذا الحب أبدا».

كان الحادث تتويجا لفصول من الخلافات بين عبدالناصر والجماعة، وفيها الكثير مما يقال، غير أنه وقبل تنفيذ هذه المحاولة الفاشلة أعلنت «الجماعة» رفضها لاتفاقية الجلاء، وشنت حملة هجومية ضارية ضد عبدالناصر، وصلت إلى حد سفر عضو مكتب الإرشاد عبدالحكيم عابدين إلى سوريا لتقوم «الجماعة» فيها بالهجوم، وزعمت أن «عبدالناصر» قابل رجالا من إسرائيل فى سياحة بحرية له.

يظل هذا الحادث دالا على طريقة إدارتهم للخلاف مع معارضيهم، والبلوغ به إلى العنف فى مراحل معينة، كما حدث قبل ثورة يوليو باغتيالهم النقراشى باشا رئيس الوزراء، والقاضى المستشار أحمد الخازندار، غير أن المثير فى هذه القصة هو زعمهم بأنها تمثيلية دبرها «عبدالناصر» للتخلص منهم، وبدأ هذا الترويج منذ سبعينيات القرن الماضى مع حملة الهجوم الضارية على عبدالناصر، غير أن قيادات منهم اعترفت فيما بعد، فمؤرخهم «أحمد رائف» قال فى حوار له مع سمير العركى أحد قيادات الجماعة الإسلامية، ونشره موقع الجماعة فى سبتمبر ٢٠٠٨، أن الحادث حقيقى، وأن عبداللطيف تلقى المسدس من «هنداوى دوير»، وفى يوم التنفيذ وصلت معلومات بالمخطط إلى قيادات الإخوان، لكنهم فشلوا فى وقفه، وقال فريد عبدالخالق أحد قيادات الرعيل الأول مع حسن البنا، إن الحادث صحيح لكنه تحرك فردى من بعض رجال الإخوان.

٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥
عبد الناصر وفيصل يوقّعان اتفاقية للدفاع المشترك

أرادت بريطانيا أن تضرب مصر، فاستدارت إلى السعودية، أزعجتها التحولات التى يقودها جمال عبدالناصر فى المنطقة، فقررت أن تواجهه فى الخارج لأن الداخل أصبح مستعصيا.

فى يوم «٢٦ أكتوبر ١٩٥٥»، فوجئت المنطقة بقوات بريطانية تتقدم من «مسقط» وتحتل واحة «البوريمى» المتنازَع عليها على خطوط الحدود المائعة بين الإمارات العربية والسعودية، كانت مصر هى المقصودة بالحدث، حيث كانت السعودية وسوريا أهم حلفائها وقتئذ، والقصة يرويها محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس».

وقّعت مصر فى منتصف شهر سبتمبر ١٩٥٥ اتفاقية صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية، وهى الصفقة التى كسرت احتكار السلاح الغربى للمنطقة، وأثارت وقتها ردود فعل دولية هائلة، وكان «أنتونى إيدن» رئيس الوزراء البريطانى ممن شغلتهم هذه القضية، وحسب «هيكل»، طلب إيدن من رئيس هيئة أركان حرب الدفاع الإمبراطورى المارشال «تمبلر» دراسة الآثار المترتبة عليها، فكتب إليه «تمبلر»: «تسليح الجيش المصرى على هذا النحو سوف يُحدث خللا فى موازين الشرق والقوى الإقليمية، وسوف يمكّن مصر من ممارسة دور أكبر فى الشرق الأوسط عموما»، وعلى أثر ما قاله «تمبلر» قرر «إيدن» الرد.

بدأ الرد الأول فى سوريا، حيث أراد «إيدن» ضبط الإيقاع فيها طبقا لما يريده، فعرض على اللواء «أديب الشيشيكلى» عبر وسطاء سوريين مرتبطين بالعراق أن يتولى الرئاسة، وتنبهت مصر إلى ذلك، فقررت التدخل مباشرة، واتفقت مع السعودية على طرح «شكرى القوتلى» لسمعته الطيبة واتجاهه القومى.

احتدم الصراع فى مجلس النواب السورى ليسفر فى النهاية عن المنافسة بين «القوتلى» و«خالد العظم» بتأييد العراق وبريطانيا، وتكفلت مصر بتوفير التأييد السياسى لـ«القوتلى»، وتحملت السعودية العبء المادى، وطرحت أصوات النواب فى مزاد علنى، وصل سعر الصوت فيه إلى ربع مليون ليرة سورية.

انتهى السباق بفوز القوتلى بـ«٩١ صوتا» فى مقابل «٤١» لـ«خالد العظم»، لكن وحسب «هيكل»، أحست بريطانيا بهذه الخطوة أن السعودية هى الحليف المالى للثورة المصرية، فاحتلت «واحة البوريمى»، وفى اليوم التالى للاحتلال فى مثل هذا اليوم «٢٧ أكتوبر ١٩٥٥» جاء الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى القاهرة ليوقعٌ مع جمال عبدالناصر اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر والسعودية.

ويرى هيكل، أن الأسرة المالكة السعودية لم تكن تعتقد أن الاتفاقية مع مصر سوف تزيل الاحتلال البريطانى لـ«البوريمى»، ولكنها كانت عملا سياسيا يحدث آثاره المحلية، ريثما تتمكن السعودية من تنبيه وتحريك القوة الحقيقية القادرة على استعادة الواحة الغنية بمنابع البترول، وهى أمريكا.

يضيف هيكل: «أمريكا لم تكن فى حاجة إلى من ينبهها أو يحركها»، فالشركات الأمريكية التى أضيرت مصالحها باستيلاء بريطانيا على «البوريمى»، أقامت الدنيا وأقعدتها فى واشنطن، ووصلت بضغوطها إلى البيت الأبيض فى واشنطن مباشرة والرئيس «إيزنهاور»، ويرى هيكل أن هذه الخطوة كانت أكبر غلطة ارتكبتها بريطانيا فى تلك المرحلة.

٢٨ أكتوبر عام ١٩١٧
٣ آلاف يهودى فى شوارع القاهرة
تحية لـ«وعد بلفور» قبل إصداره

كانت القاهرة يوما ما مكانا لنشاط الصهيونية بمنظماتها، كان نشاطا علنيا، ولهذه المنظمات صحف تعبر عنها، وتبشر بـ«وطن قومى لليهود على أرض فلسطين» وتنظم المظاهرات المنادية بذلك.

فى كتابه «يهود مصر من الازدهار إلى الشتات» يذكر الدكتور محمد أبو الغار، أن أول جمعية صهيونية تأسست فى مصر كانت عام ١٨٩٧ وأسسها يهودى اسمه «باروخ»، وسرعان ما تكونت بعدها ١٤ جمعية فى القاهرة والإسكندرية، واتحدت عام ١٩١٧ لتكون «الاتحاد الصهيونى» برئاسة «چاك موصيرى»، وشغل «ليون كاسترو» موقع سكرتير الاتحاد، وأصدر «الاتحاد» جريدة صهيونية باللغة الفرنسية اسمها «إسرائيل»، ورأس تحريرها «ألبير موصيرى»، وهو طبيب آمن بالصهيونية مبكرا، وكان معظم أعضاء «الاتحاد» من اليهود الأشكيناز.

وفى كتابه «تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٧٩٧ - ١٩١٨» يذكر مؤلفه «محمد عبد الرءوف سليم»، أن المسئولين البريطانيين شجعوا منذ البداية الصهيونية وأيدوا إقامة احتفالات لـ«وعد بلفور»، وفى بعض المدن المصرية، مثل الإسكندرية عقدوا مهرجانا حافلا فى حديقة رشيد، وفى طنطا اختاروا مسرح البلدية لإقامة احتفالهم، وسُلم العلم الصهيونى لفرقة المكابى

بحضـور إسـماعيل رمـزى وكيـل الغربيـة، ويذكـر «سـليم» أن الجمعيـات التـى كونهـا الشـباب اليهـودى وعمـل أغلبهـا عـلى مناصرة الوطـن القومـى والصهيونية كانـت أكثـر نشـاطا فى الإسـكندرية، وكانـت جمعيـة «بـن صهيـون» أولها وتأسسـت عـام ١٩٠٨.

وفى مقـال لـه بصحيفـة الأهـرام «٣١ ديسـمبر ١٩٩٨» يكتـب الدكتـور يونـان لبيـب رزق أن جـاك موصـيرى كتـب برقيـة إلى حاييـم وايزمـان، جـاء فيهـا: «تهانينا القلبيـة عـلى تصريـح بلفـور، وامتنانـا لجهودكـم، هـذا الاجتـماع الحاشـد ليهـود الإسـكندرية يؤيدنـا بالإجمـاع عـلى إعـادة جعـل فلسـطين وطنـا قوميـا للشـعب اليهـودى، وثـق فى أن حكومـة جلالـة الملـك سـوف تبـذل جهودهـا لتسـهيل تحقيـق هـذه الغايـة».

أمـا الدكتـور «أبـو الغـار» فيقـول نصـا: «انطلقـت مسـيرة فى القاهـرة مثـل هـذا اليـوم ٢٨ أكتوبـر ١٩١٧، تحيـة وامتنانـا لوعـد بلفـور الـذى عـرف أنـه سـوف يعلن خـلال أيـام قليلـة مـن شـهر نوفمـبر، وأرسـل المتظاهـرون إلى وايزمـان تلغرافـا ينـص عـلى أن المجتمعـين بالقاهـرة مـن اليهـود المصريـين يؤيـدون بالإجمـاع إنشـاء وطـن قومـى لليهـود فى فلسـطين، ويثقـون فى أن حكومـة جلالـة ملـك إنجلـترا سـوف تسـهل وتسـاعد هـذا المشروع. وفى الإسـكندرية قـام اليهـود يـوم ١١ نوفمـبر بمسـيرة مماثلـة مـن ثمانيـة آلاف يهـودى، وتكـرر الأمـر فى العـام التـالى عنـد زيـارة الوفـد الصهيونـى العالمـى بقيـادة حاييـم وايزمـان للإسـكندرية والقاهـرة، حيـث خـرج لتحيتهـم آلاف اليهـود فى الشـوارع».

وتقـول الدكتـورة زبيـدة محمـد عطـا فى كتابها «يهـود مـصر - التاريخ السياسـى»، إن عـددا كبـيرا مـن أفـراد الطائفـة فى الإسـكندرية والقاهـرة، اعتنقـوا آراءهـا بـل تحمسـوا لهـا ودعموهـا ماديـا بالتبرعـات، وبلغـت أكثـر مـن نصـف مليـون جنيـه، بـل إن «ابـن أوفديـا سـالم» تـبرع فى إحـدى المـرات بــ ٤٠ ألـف جنيـه، وهـذه المبالغ وقتئـذ تُعـد عاليـة القيمـة، بالإضافـة إلى الدعـم السياسـى ونـشر الأفـكار كـما فعلـت صحفهـم الصهيونيـة.

٢٩ أكتوبر عام ١٩٦٥
اختطاف «المهدى بن بركة» أكبر معارضى الملك الحسن الثانى وإذابة جثته

كانت الساعة الحادية عشرة مساء مثل هذا اليوم «٢٩ أكتوبر ١٩٦٥»، حين تلقَّى جهاز المخابرات المغربية مكالمة بنجاح عملية اختطاف المهدى ابن بركة من قلب باريس، وهو أكبر معارضى العاهل المغربى الملك الحسن الثانى.

أعلن شقيق «المهدى» اختفاء شقيقه، فانشغل العالم بسؤال: «أين اختفى؟ ومن المسئول؟» وكان الرجل وقتئذ مناضلا معروفا، ومسئول «اللجنة الدولية المنظمة لمؤتمر شعوب القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية»، المقرر انعقاده فى عام ١٩٦٦، كما ارتبط بعلاقات وثيقة مع قادة التحرر الوطنى فى العالم، خاصة جمال عبد الناصر، والزعيم الجزائرى أحمد بن بيلا.

فى المغرب، وإلى جانب قيادته لحزب «التجمع الوطنى للقوى الشعبية»، كان يوما ما أستاذا للملك «الحسن» يدرس له الرياضيات، ولهذا، وكما يقول لمحمد حسنين هيكل: «أعرفه أكثر من غيرى، كان تلميذى لسنوات طويلة، وكنت أدرس له الرياضة، لكنه كان مهتما أكثر بقراءة وحفظ كتاب «الأمير» لـ«ميكافيللى»، وفى استراحة بين الدروس قال لى مرة: «ميكافيللى» له حق فى أن الأمير يجب أن يكون له دهاء ثعلب يتجنب به كل الشراك، وبطش أسد يفترس به كل الذئاب».

وينقل «هيكل» عن «المهدى» اتهامه لـ«الحسن» وقت أن كان أميرا وليا للعهد إشرافه على موت أبيه الملك محمد الخامس: «مات أثناء جراحة بسيطة لاستئصال اللوز، جرت فى غرفة غير معقمة فى القصر الملكى، ولم يقُم بها إخصائى معروف، ولم تكن بالقرب من الغرفة التى جرت فيها العملية استعدادات لحالة طوارئ، ولثلاثة أيام قبلها لم يُسمح لزائر حتى من الأسرة أن يرى الملك، وفى غرفة العمليات لفظ أنفاسه ولم يتمكن أحد من إسعافه».

من خلال ما ذكره هيكل فى مقاله «الحسن الثانى» بمجلة وجهات نظر (العدد العاشر، نوفمبر ١٩٩٩)، يمكن أن نتخيل كيف كانت الأحوال بين الطرفين بدرجة قادت إلى تخطيط «الملك» للتخلص من «المعارض»، وبدأت العملية باستدراج «المهدى» إلى ركوب سيارة تابعة للبوليس الفرنسى إلى بيت فى ضواحى باريس، وفيها تم تعذيبه واستجوابه من «أوفقير» وزير داخلية المغرب الرهيب، وانتهت العملية بقتله طعنا بحراب من حديد كان يتم وضعه فوق ألسنة نار مدفأة تتوسط الغرفة، وحينما يحمى الحديد ويحمر لونه باللهب المتوهج على أطرافه كان «أوفقير» يبدأ فى توجيه طعناته إلى خصمه المقيد بالسلاسل تحت أقدامه.

واختفت الجثة، ولم يعرف أحد حتى الآن أين هى، غير أن ضابط المخابرات المغربى «أحمد البخارى» تحدث قبل سنوات لـ«قناة الجزيرة»، مؤكدا أنه تم نقلها من باريس إلى المغرب، وتمت إذابتها فى «حَمْض الأسيد».

فى ١٠ نوفمبر ١٩٦٥ أعلن الرئيس الفرنسى «ديجول»: «فرنسا تعدُّ «الحسن» مسئولاً مباشرا عن انتهاك قانون الإنسانية وقانون فرنسا، وحرمة الأراضى الفرنسية بالتحريض على جريمة قتل على ترابها وبالتواطؤ مع عناصر من الأمن الفرنسى باعت ضميرها وواجبها».

جاء إعلان «ديجول» بعد قيام عميل للبوليس الفرنسى اسمه جورج فيجون خاف بعد اتضاح موقف الرئيس الفرنسى، فطلب المثول أمام قاضى التحقيق فى باريس (القاضى زولينجر) مبديا استعداده ليكون شاهد ملك يقول الحق، ولكن فيجون قُتل رميا بالرصاص فى حمام بيته قبل أن يمثُل

أمـام التحقيـق، وتبـين أن الرجـل سـجل شـهادته سرًا تحوُّطًـا، وقـام آخـرون مـن المشـاركين فى العمليـة بتسـليم أنفسـهم لقـاضى التحقيقـات لتتدفـق اعترافاتهـم، وبعدهـا أعلـن ديجـول تصريحـه الشـهير ضـد الملـك الحسـن.

وفيـما بعـد كشـفت تقاريـر مـن إسرائيـل عـن أن «الموسـاد» كان لـه دور مـع المخابـرات المغربيـة فى مطـاردة بـن بركـة، لكنهـا أنكـرت المشـاركة فى اغتيالـه.

٣٠ أكتوبر عام ١٩٦٧
نزار قبّانى يشكو لعبد الناصر حظر أعماله
فى رسالة يحملها رجاء النقاش

«سيادة الرئيس جمال عبدالناصر.. فى هذه الأيام التى أصبحت فيها أعصابنا رمادا، وطوقتنا الأحزان من كل مكان، يكتب إليك شاعر عربى يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية فى الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له فى تاريخ الظلم، وتفصيل القصة أننى نشرت فى أعقاب نكسة الخامس من حزيران (٥ يونيه) قصيدة عنوانها (هوامش على دفتر النكسة)، أودعتها خلاصة ألمى وتمزقى وكشفت فيها عن مناطق الوجع فى جسد أمتى العربية، لاقتناعى أن ما انتهينا إليه لا يُعالج بالتوارى والهروب، وإنما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا».

«قصيدتى أمامك يا سيادة الرئيس، أرجو أن تقرأها بكل ما عرفناه عنك من سعة أفق، وبعد رؤية، ولسوف تقتنع رغم ملوحة الكلمات ومرارتها، بأننى كنت أنقل عن الواقع بأمانة وصدق، وأرسم صورة طبق الأصل لوجوهنا الشاحبة والمرهقة. سيادة الرئيس، إننى أشكو لك الموقف العدائى الذى تقفه السلطات الرسمية فى مصر، متأثرة بأقوال بعض مرتزقة الكلمة والمتاجرين بها، وأنا لا أطلب شيئا أكثر من سماع صوتى».

«يا سيدى الرئيس، لا أريد أن أصدق أن مثلك يعاقب النازف على نزيفه، والمجروح على جراحه، ويسمح باضطهاد شاعر عربى أراد أن يكون شريفا وشجاعا فى مواجهة نفسه وأمته، فدفع ثمن صدقه وشجاعته».

المقتطفات السابقة هى أجزاء من رسالة الشاعر العربى الكبير نزار قبانى إلى عبدالناصر، وكتبها فى مثل هذا اليوم «٣٠ أكتوبر ١٩٦٧»، ويأتى نصها وقصتها كاملة فى كتاب «ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء» للناقد رجاء النقاش عن دار «سعاد الصباح ١٩٩٢»، حيث كان هو حامل هذه الرسالة، فكيف حدث ذلك؟

نشر «نزار» قصيدته «هوامش على دفتر النكسة» فى مجلة «الآداب» البيروتية، ويقول فى مطلعها: «أنعى لكم يا أصدقائى اللغة القديمة والكتب القديمة/ أنعى لكم/ كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة/ ومفردات العمر والهجاء والشتيمة/ أنعى لكم/ أنعى لكم نهاية الفكر الذى قاد إلى الهزيمة».

وعلى الرغم من أن مجلة الآداب لم تدخل مصر لمصادرتها، لكن القصيدة انتشرت، وأصبحت حديث الأوساط الثقافية والشعبية، وعلى أثر ذلك بدأت حملة عنيفة ضد نزار قبانى بدأها الشاعر صالح جودت بمقال فى مجلة الكواكب ١٢ سبتمبر ١٩٦٧ بعنوان «امنعوا أغانى نزار»، وكان «النقاش» رئيسا لتحريرها فرد عليه بمقال فى مجلة «المصور».

كتب «جودت» مقالا آخر بعد أسبوع بعنوان: «فضيحة نزار قبانى»، طالب فيه الإذاعات العربية بمقاطعة أغانيه، والمكتبات العربية بمصادرة دواوينه، فاستجاب موظفو الإذاعة والتليفزيون وزادوا بمنع اسمه نهائيا من أجهزة الإعلام.

فى هذه الأثناء سافر «رجاء» إلى بيروت، والتقى «نزار» ومعه الأديب اللبنانى «سهيل إدريس»، وعبَّر شاعرنا عن ضيقه وألمه مما يحدث ضده فى مصر، فاقترح «رجاء» عليه كتابة رسالة إلى عبدالناصر يشرح فيها الأمر، وأنه سيحملها بنفسه ويبحث عن طريقة لتوصيلها.

عـاد «رجـاء» إلى القاهـرة وأطلـع «أحمـد بهـاء الديـن» رئيـس مجلـس إدارة «دار الهـلال» وقتئـذ التـى يعمـل فيهـا «رجـاء» عـلى القصـة، فتحمـس «بهـاء» وأخـذ الرسـالة ليوصلهـا بطريقتـه، ويقـول «رجـاء»: بعـد أسـبوع اسـتدعانى «محمـد فائق» وزيـر الإعـلام ليُطْلعنـى عـلى رسـالة نـزار وعليهـا تعليـق بخـط يـد عبدالنـاصر: «يلغـى قـرار المصـادرة بالنسـبة إلى القصيـدة ويُرفـع أى حظـر عـلى اسـم نـزار أو أى قـرار بمنعـه مـن دخـول مـصر».

٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦
تهديد عمال سوريا بنسف خط أنابيب البترول إلى أوروبا تأييدا لمصر.. والمقدم هيثم الأيوبى ينفذ

سافر الرئيس السورى «شكرى القوتلى» إلى موسكو فى يوم «٣٠ أكتوبر ١٩٥٦»، وقبل سفره اتصل بالرئيس جمال عبدالناصر يسأله، ما إذا كان من الأفضل أن يؤجل الزيارة، فرد عليه: «وجودك فى موسكو فى هذه الأيام قد تكون له أهمية على سير الحوادث».

كان اتصال «القوتلى» بـ«عبدالناصر» صورة من صور التضامن العربى فى حرب «١٩٥٦» التى غيرت وجه المنطقة والعالم الثالث، وأنهت الإمبراطورية البريطانية التى لم تكن تغيب عنها الشمس، وكان الموقف الشعبى العربى فى أعظم تجلياته فى مساندة مصر، والدليل ما حدث فى سوريا فى مثل هذا اليوم «٣١ أكتوبر ١٩٥٦» وهو ثالث أيام العدوان الثلاثى، بتهديد العمال السوريين بنسف خط أنابيب البترول العراقى الذى يمر فى الأراضى السورية إلى البحر المتوسط ومنه إلى أوروبا، والذى تحول إلى فعل حقيقى فى يوم ٣ نوفمبر، وتأتى القصة كاملة فى كتاب «ملفات السويس» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل.

ثارت مشاعر الضباط الشباب فى الجيش السورى بعد الإنذار البريطانى الفرنسى إلى مصر مساء ٣٠ أكتوبر، فذهب المقدم عبد الحميد السرَّاج قائد

الشعبة الثانية فى المخابرات العسكرية السورية إلى مكتب قائد الشعبة الثالثة «التحركات» يسأله: «ماذا ينوى الجيش السورى أن يفعله من أجل مصر؟»، فرد بأن المسألة تحتاج إلى قرار سياسى، فخرج «السراج» متوجها إلى مكتب القائد العام للجيش السورى اللواء «توفيق نظام الدين»، وأعاد إليه سؤاله، ثم تطورت المناقشة إلى اقتراح بالذهاب إلى رئيس الجمهورية بالنيابة «ناظم القدسى»، يطالبونه بإصدار قرار يمكّنهم من مساعدة مصر، لكن الرجل طلب تأجيل أى قرار ٤٨ ساعة.

أُصيب «السراج» بالإحباط عائدا إلى مكتبه فوجد إشارة تخطره بظهور قطع بحرية أمام ميناء اللاذقية وبنياس وهو نهاية خط الأنابيب، فذهب تفكيره مباشرة إلى «سلاح الأنابيب»، وعلى الفور أمر ضابط بـ«لواء البادية» بالذهاب إلى محطات الضخ الثلاث، ووقف عمل أجهزة اللاسلكى فيها بدعوى أنها سوف تعطى إشارات للقطع البحرية التى ظهرت، وهو ما حدث.

استدعى «صبرى العسلى» رئيس الوزراء السراج وقال له إن السفير الأمريكى أبلغه قلقه من توقف «اللاسلكى»، واستطرد: لو شعر الإنجليز أن شيئا حدث للخط فسيقومون بعملية إنزال على المحطات ليضمنوا تدفق البترول، فرد «السراج» بأنه أمر بالفعل بوقف اللاسلكى مؤقتا حتى يجد موظفين سوريين يُحسنون تحدث الإنجليزية؛ ليجلسوا بجوار عمال الإشارة فى محطات اللاسلكى ويتأكدوا أنها لا ترسل إشارات إلى القطع البحرية التى ظهرت أمام الموانئ السورية، فعرض وزير الأشغال «مجد الجابرى»- كان موجودا- توفير الموظفين من وزارته.

تطور الأمر بقرار لوضع «لواء البادية» تحت تصرف وزير الداخلية لحراسة المحطات، ولما وجد «السراج» ضرورة التحرك بسرعة، دعا المقدم «هيثم الأيوبى» وكلفه نسفَ محطات الضخ من أساسها ليتوقف البترول تماما عن بريطانيا وكل أوروبا الغربية.

١ نوفمبر عام ١٩٥٤
انطلاق الثورة الجزائرية ..
و«الديب» يزود «بن بيلا» بـ٥٠٠ جنيه

اتصل جمال عبدالناصر بضابط المخابرات فتحى الديب يسأله عن العملية المقرر أن تبدأ فى الجزائر لإطلاق شرارة الثورة، حسب اتفاق «الديب» مع أحمد بن بيلا الذى سيصبح أول رئيس للجزائر بعد استقلالها من الاستعمار الفرنسى، وجاء الاتفاق فى اجتماعات متتالية فى القاهرة التى وصلها «بن بيلا» طالبًا المعونة والمساندة من «عبدالناصر».

وحسب كتاب «عبدالناصر والثورة الجزائرية» لـ«فتحى الديب»، كانت الاجتماعات تتم بسرية تامة، وبمتابعة من رئيس جهاز المخابرات المصرية وقتئذ زكريا محيى الدين، وكان «عبدالناصر» يتلقى تقاريرها أولا بأول، حتى تم الاتفاق مع «بن بيلا» على عمل نضالى كبير يكون شرارة الانطلاق للثورة فى ثوب جديد، بعد عجز الأحزاب التقليدية عن تحرير البلاد، وغادر «بن بيلا» مصر لإبلاغ رفاقه بما اتفق عليه، وتحديد موعد العملية.

عاد «بن بيلا» إلى القاهرة يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤ ليبلغ «الديب» بما تم الاتفاق عليه مع زملائه بتنفيذ العملية ليلة ٢٩ / ٣٠ أكتوبر، ثم غادرها إلى ليبيا مزودًا بمبلغ ٥٠٠ جنيه مصرى لشراء كميات من الأسلحة والذخيرة المتوافرة فى السوق السوداء الليبية، ومباشرة تهريبها فورًا، لحين تزويده بسلاح من مخازن الجيش المصرى.

ظـــل «الديـب» قلقًـــا، انتظـارًا للحظـة الكبيـــرة، حتـى تلقـــى اتصـالا مـن «بـن بيـلا» الموجـود فى ليبيـا بالتأجيـل إلى ليلـة ٣٠ / ٣١ أكتوبـر، ثـم اتصـالا بالتأجيـل إلى ليلـة ٣١ أكتوبـر/ ١ نوفمـبر. ويقـول: «فى ظهـر ٣١ أكتوبـر اتصـل بـى الرئيـس عبـد النـاصر مسـتفسرًا بأسـلوبه المعتـاد فى طـرح الاستفسـار، مشـوبًا ببعـض الشـك، فى احتـمال جديـة أو إتمـام العمليـة كـما رُسـمت، مشـيرًا إلى أننـى تفاءلـت أكثـر مـن الـلازم».

كانـت هنـاك خطـة إعلاميـة سـتنفذها إذاعـة «صـوت العـرب» فـور بـث خـبر عمليـة انطـلاق الثـورة، لكـن «الديـب» اتصـل بـ«أحمـد سـعيد»، مديـر الإذاعـة للتأجيـل، وبُعـد قلـق وانتظـار تـسرب أول خـبر بكلـمات تقـول: «حـدث تمـرد جزائـرى، ومحـاولات تخريـب بلغـت خسـائرها عـدة مئـات الآلاف مـن الفرنـكات الفرنسـية».

كان الخـبر ورغـم صياغتـه مـن فرنسـا، فإنـه كان المفتتـح لأخبـار أخـرى عـن الثـورة التـى أطلقـت أولى عملياتهـا فى الواحـدة صبـاح مثـل هـذا اليـوم «١ نوفمـبر ١٩٥٤» الـذى يعـد لـدى الفرنسـيين «عيـد جميـع القديسـين»، وشـملت العمليـة هجـوم المناضلـين عـلى مراكـز البوليـس، وقـوات الجيـش المنعزلـة، والاسـتيلاء على مـا فيهـا مـن أسـلحة وذخـيرة، وتدمـير الكثـير مـن السـكك الحديديـة ومحطـات توليـد الكهربـاء وبعـض الكبـارى، ممـا شـل حركـة القـوات الفرنسـية الموجـودة فى الجزائـر، وقَـدَّرت السـلطات الفرنسـية خسـائرها بنحـو ٢٠٠ مليـون فرنـك فرنسـى.

أعطـى «الديـب» الضـوء الأخـضر لـ«أحمـد سـعيد» لتنفيـذ خطـة «صـوت العـرب»، وفى حـوار لى مـع أحمـد بـن بيـلا عـام ٢٠٠٠، قـال لى: «لا أنسـى دور مـصر فى مسـاندتنا، أريـد أن أسـير فى شـوارع القاهـرة لأروى للنـاس مـا فعلـه عبـد النـاصر العظيـم معنـا».

٢ نوفمبر عام ١٩٥٦
عبد الناصر يخطب فى الأزهر بعد صلاة الجمعة..
والقاهرة تتدفق إلى طريق موكبه

اخترق جمال عبد الناصر شوارع القاهرة بسيارة مكشوفة يحيِّى الجماهير المصطفة على الجانبين، وذلك فى طريقه إلى الجامع الأزهر، ليؤدى صلاة الجمعة فى مثل هذا اليوم «٢ نوفمبر ١٩٥٦».

فور انتهاء الصلاة صعد إلى المنبر متحدثا بصوت مشحون: «يا إخوانى، اللى يهاجم بورسعيد دولتان بيقولوا عليهم دول عظمى، دول كبرى وهما دولتان استعماريتان، جاءوا بأساطيلهم وطيرانهم وقواتهم، وبدأ عملية الغزو اللى قالوا إنه حيتم فى ٢٤ ساعة، لكن قاومت قواتكم المسلحة وقام الشعب واتحد مع قواته المسلحة، وقاوموا هذا الغزو مقاومة مريرة، قاوموا مقاومة مستميتة ضد الغزو الصهيونى الإنجليزى الفرنسى، الشعب اللى أعلن أنه سيقاتل لآخر نقطة من دمه، لا يمكن أن يسلم أبدًا».

أضاف عبد الناصر: «لقد فدَتْ بورسعيد مصر كلها والعرب، وفدت الدول الصغرى كلها التى تدافع عن الحرية والاستقلال، إن شهداء بورسعيد سقطوا فى سبيل القضية العظمى التى سقط فيها الشهداء أيام النبى ﷺ، والتى سقط فيها الشهداء أيام المسيح وكانوا ينادون بالسلام»، وبحماس بالغ اختتم كلمته: «سأقاتل معكم ضد أى غزو، سنقاتل لآخر نقطة دم، ولن

نسلم أبدًا، وسنبنى بلدًا وتاريخًا ومستقبلاً، سنجاهد ونقاتل وننتصر بإذن الله».

فى كتابه «ملفات السويس» يروى «محمد حسنين هيكل» قصة هذا الحدث الفريد الذى وقع أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ قائلا، إنه عندما خرج جمال عبدالناصر من الأزهر، تدفقت القاهرة كلها إلى طريق موكبه فى صيحة واحدة مدوية: «حنحارب، حنحارب»، وهى الصيحة التى أصبحت شعار تلك الأيام الوحيد، واستطاعت أن تجمع الشعب المصرى على هدف واحد، وتكتسح أمامها صدمة المفاجأة التى وجدت مصر نفسها فيها تواجه فى ميدان القتال اثنتين من القوى الكبرى فى العالم ومعهما إسرائيل.

وسط هذا البحر الهادر من المشاعر الإنسانية، لم ينسَ عبدالناصر فى ذلك اليوم أن هناك إجراءات حان وقتها، فعاد من صلاة الجمعة ليصدر عدة قرارات أولها، استرداد كل منابع البترول المصرى من الشركات الإنجليزية التى تحتكره، وتم الاستيلاء عليها فى نفس اليوم، واعَدَّها «عبد الناصر» خطوة مكملة لتأميم القناة، وقرار آخر بـ«فرض الحراسة» على كل المصالح البريطانية والفرنسية فى مصر، وشملت البنوك وشركات التأمين، والتجارة الخارجية وغيرها، واعتبر عبدالناصر أن وضع الحراسة على هذه المصالح هو تدعيم للاستقلال الاقتصادى لمصر فى الوقت نفسه الذى تخوض فيه معركة حربية لتأكيد الاستقلال الوطنى.

وقرر عبدالناصر التحفظ على ممتلكات قرابة ٦ آلاف من الأجانب معظمهم من اليهود الذين لا ينتمون إلى جنسيات معروفة، وإن كانوا يحملون جوازات سفر من بعض الدول التى حصلوا عليها لمجرد ملاءمة الظروف، واعتبر أن هذا القرار تصفية نهائية لما تبقّى من عصر الامتيازات الأجنبية.

فى مساء اليوم نفسه، أعد «عبدالناصر» حقيبة له وذهب إلى مقر مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ليعمل ويعيش فيها، وكانت وجهة نظره، أن جميع المحاربين الآن بعيدون عن أسرهم وهو واحد منهم.

٣ نوفمبر عام ١٩٤٨
سيد قطب يبدأ بعثة مفاجئة إلى أمريكا
وجدل حول تأثيرها فى مشروعه التكفيرى

فى رحلة سيد قطب الفكرية تحولات متناقضة، فهو بدأ كاتبا وناقدا أديبا مبشرا وتلميذا لـ«عباس العقاد»، وانتهى إلى مشروعه التكفيرى فى كتابه «معالم فى الطريق» الذى يُعد الأساس الفكرى للتنظيمات الإرهابية، وتبقى بعثته إلى أمريكا التى بدأت فى مثل هذا اليوم «٣ نوفمبر ١٩٤٨» واستمرت حتى ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ محطة مهمة للنظر فى علاقتها بتحوله إلى مشروعه التكفيرى أم لا.

فى كتابه «سيد قطب وثورة يوليو» يذكر الكاتب والمؤرخ حلمى النمنم، أن الأوساط الثقافية فوجئت بالبعثة، ولم تكن تعليمية وإنما للاطلاع على المناهج وأصول التربية، ولم ترتبط بمدة معينة، ولهذه الأسباب وغيرها كانت النظرة إليها بارتياب شديد وصل إلى حد الاتهام، فهناك من اتهم الحكومة، وهناك من اتهم أمريكا، وهناك من اتهم سيد قطب نفسه.

الاتهام للحكومة يتلخص فى أنها استبعدته من مصر لغضبها منه، والاتهام لأمريكا فى أنها وفرت البعثة لتجنيده لصالحها، والاتهام لـ«قطب» معلقا على سؤال: هل كان موافقا ومشاركا أم كان مستسلما؟

يقدم الدكتور شريف يونس فى كتابه «سيد قطب والأصولية الإسلامية» إجابة احتمالية: «ربما كان السبب يأسه بعد سقوط مجلته «الفكر الجديد» صريعة التضييق، وإغلاق أبواب النشر فى وجهه، أو رغبته فى رؤية الغرب الذى يكرهه عن قرب»، أما الدكتور الطاهر مكى أستاذ الأدب الأندلسى فى «دار العلوم» فشغلته القضية، متسائلاً: من الذى أوحى بالبعثة وفكرتها ودفعه إليها؟ وماذا كانت الغاية الحقة من ورائها بعيدا عن الظاهر غير المقنع؟

يطرح «مكى» تساؤلاته ويجيب عنها فى مقاله بعنوان «سيد قطب وثلاث رسائل لم تُنشر» بمجلة الهلال أكتوبر ١٩٨٦، مشيرا إلى أنه حملها إلى أستاذه فى التاريخ الحديث شفيق غربال بمعهد الدراسات العربية أوائل الخمسينيات، فأجاب غربال: «سيد قطب كفاءة عالية، ويُرجى منها خير كثير، ولكنى آسف لأنه غير وفى وناكر للجميل، فقد توسمت فيه أنا وإسماعيل القبانى المستشار الفنى للوزارة «المعارف» الخير والنفع، فوفرنا له بعثة غير عادية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليتصل بالحضارة الغربية وتقع عينه على ما فى العالم الجديد، فيعمق فكره وتتسع نظرته، فلم يكمل البعثة، وها هو الآن يشتمنا».

ويصل «مكى» إلى قناعة بأن سفر «قطب» كان بتخطيط أمريكى خفى لم يعرفه هو، ويميل إلى هذا الرأى الدكتور محمد حافظ دياب فى كتابه «سيد قطب- الخطاب والإيديولوجيا»، مما دفع «النمنم» إلى القول: «مكى لم يقدم ما يثبت من الشواهد على هذا التخطيط الأمريكى الخفى».

من أمريكا كتب إلى صديقه الناقد الأدبى أنور المعداوى: «سأخصص ما بقى من حياتى وجهدى لبرنامج اجتماعى كامل، يستغرق أعمار الكثيرين، ويكفى أن أجدك فى ميدان النقد الأدبى لأطمئن إلى هذا الميدان»، وحين عاد هاجم أمريكا بضراوة فى مقالات جمعها فى كتاب «أمريكا التى رأيت»، لكن الكتاب لم يَرَ النور حسب «محمد حافظ دياب».

٤ نوفمبر عام ١٩٥٦

استشهاد الضابط السورى «جول جمال» فى معركة البُرلُّس.. وزميله «نخلة إسكاف» يعود بعد ١١ ساعة من مصارعة الأمواج

كانت الساعة العاشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «٤ نوفمبر ١٩٥٦»، حين لاح طَرَّاد فرنسى كبير «جان بارت» على حدود ساحل البحر المتوسط، يحاول إنزال دفعة من الجنود الفرنسيين فى اتجاه بحيرة البرلس، فتصدت له ثلاثة زوارق طوربيد من قوة البحرية المصرية، لتبدأ معركة خالدة من المعارك التى خاضتها مصر ضد العدوان الثلاثى «إنجلترا وفرنسا وإسرائيل» عام ١٩٥٦.

فى كتاب «نضال شعب مصر - ١٧٩٨ - ١٩٥٦» الصادر عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، يسرد مؤلفه محمد عبد الرحمن حسين «قصة المعركة»، مشيرا إلى أن الزورق الأول بقيادة الصاغ بحرى جلال الدسوقى، أطلق طوربيدين عليها، ثم أعقبه الزورقان الآخران، فأُصيب الطراد الفرنسى إصابة مباشرة أحدثت به عدة ثغرات، ويبدأ ينشطر نصفين وأرسل استغاثات لاسلكية إلى قياداته يستنجد بها، وعندما بدأ الطراد يغوص بمن فيه، ويُقدر عددهم بنحو ألف ضابط وجندى، عادت الزوارق المصرية لقواعدها.

لاح فى الجو سرب من طائرات «العدوان الثلاثى»، لتنشب معركة رهيبة مع الزوارق المصرية، وتمكنت الطائرات من إغراق زورق منها، واستشهد

فى المعركة: جلال الدسوقى، جول جمال «سورى»، إسماعيل عبد الرحمن، صبحى نصر، على صالح صالح، عادل مصطفى، محمد ياقوت عطية، جمال رزق الله، محمد البيومى زكى، مصطفى طبالة.

كان لاستشهاد البطل «جلال دسوقى» دراما خاصة، فهو لم يكن مقررا له أن يكون ضمن طاقَم الزوارق المصرية التى تحركت مساء يوم ٣ نوفمبر للاستكشاف، وظلت مرابطة للقيام بهذا العمل العظيم، لكنه حين رأى الزوارق تتحرك قفز فى إحداها ليقود هذه المعركة بكفاءة باسلة.

كان الضابط السورى «جول جمال» ممن استشهدوا، فامتزج الدم العربى فى الحرب ضد العدو الغاصب، هو من مواليد مدينة اللاذقية السورية ١ أبريل ١٩٣٢ لأسرة مسيحية أرثوذكسية، وجاء إلى مصر مع ١٣ سوريًا فى بعثة دراسية بالكلية البحرية المصرية، واحتل الترتيب الأول على دفعته عام ١٩٥٦، وأصبح الملازم ثانى جول جمال، ولم يرحل وزملاؤه بعد نجاحهم، حيث تقرر بقاؤهم للتدريب على زوارق حديثة استوردتها مصر وأدخلتها الخدمة فى سياق تطوير القدرات العسكرية للجيش، ومع قرار جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، ثم التطورات اللاحقة عليها من تهديدات بريطانية وفرنسية والتهديدات بالعدوان على مصر، بقى «جول جمال» ضابطا فى البحرية المصرية، ليشترك فى معركة «البرلس» ويحظى بشرف الاستشهاد، وتحظى حرب ٥٦، بكونها حربا عربية بجدارة.

لم يكن «جول جمال» السورى الوحيد فى معركة «البرلس»، وإنما كان هناك ضابط آخر هو «نخلة إسكاف» الذى تلقَّفته مياه البحر الهائج بعد غرق زورقه، وظل ١١ ساعة يصارع الأمواج العاتية ويقاوم برودة المياه حتى وصل إلى شاطئ البرلس ليحكى قصته الرائعة فيضيف روعة أخرى ليس لمعركة البرلس وفقط، وإنما لحرب ١٩٥٦.

٥ نوفمبر عام ١٩٥٦
القوات البريطانية تقبض على الفدائى محمد مهران فى بورسعيد وترحّله إلى قبرص لاقتلاع عينيه

«وجدت الجنود الإنجليز يحيطوننى من كل جانب، فطلبت من أحدهم شربة ماء، فرد قائلًا: «عبدالناصر مجبش لك مَيّه»، فقلت له: عبد الناصر لا يجب أن يحضر لى الماء، وأريد ماء بلدى الذى تشربه أنت، فسبنى وسب عبدالناصر ومصر، فرددت عليه بسباب أكثر، ولعنت بريطانيا ورئيس وزرائها «إيدن»، فضربنى فى ساقى، فضربته، ونهضت واقفًا وفى يدى بندقية، وقبل أن أضربه شعرت بأن قدمى طارت من أثر قنبلة ألقيت علىّ فوقعت على الأرض، فضربونى وحملونى إلى المطار وجاءنى من يتكلم معى فلم أرد عليه».

هكذا يتحدث البطل المصرى «محمد مهران» ابن بورسعيد، أحد أبطال المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى «بريطانيا وفرنسا وإسرائيل» عام ١٩٥٦، فى سرد قصته للكاتب محمد الشافعى فى كتابه «شموس فى سماء الوطن»، الصادر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، والمتعلقة بدوره فى المقاومة الشعبية.

فى مثل هذا اليوم «٥ نوفمبر ١٩٥٦» اشتد القصف الإنجليزى على منطقة الجميل وأطراف بورسعيد، تمهيدًا لإنزال جوى لجنود المظلات، ولما تم الإنزال فوجئ الجنود بمقاومة عنيفة، وكان الذين يقومون بها ٦٤ فدائيًا من بينهم «مهران»، وأسفرت المعركة عن خسائر فادحة فى صفوف المظليين.

أُصيب «مهران» فى رأسه ليتم سحبه وتجريده من سلاحه، وبدأ استجوابه، ثم حمله على طائرة من مطار بورسعيد إلى قبرص، وفيها التف حوله مجموعة من الضباط الإنجليز بقيادة ضابط كبير، ليسألوه فى كل شىء بغية الوصول إلى معلومات عن زملائه الفدائيين، لكنهم فشلوا مرارًا رغم بشاعة تعذيبه، وأمام هذه الصلابة أبلغه الضابط الكبير: «لدينا ضابط أصيب بنيران مدفعك مما أفقده عينيه، وهو على قيد الحياة، وحكمنا عليك بنزع عينيك لنزرعهما له».

جاء الطبيب المكلف بالعملية إلى «مهران»، وساومه على قلع عين واحدة شرط أن يسجل بصوته حديثًا يقول فيه إن البورسعيديين يرحبون بالإنجليز، وتركه للتفكير مع مواصلة تعذيبه البشع.

عاد الطبيب ليبلغه مهران بالموافقة، كانت موافقة ظاهرية فقط، لجأ إليها ليتوقف التعذيب فترة، صدقوه وجاءوا بجهاز التسجيل ليبدأ المهمة، لكن «مهران» فاجأهم بقوله: «أطلب النصر لمصر وقادتها على أعدائها وأعداء العروبة».

أحدثت كلمات مهران زلزالا كبيرا، هل من المعقول أن يضحك عليهم هذا الرجل؟، لم يصدقوا فقرروا تنفيذ مخططهم الوحشى، نقلوه إلى غرفة العمليات ليقوم ثلاثة أطباء وممرضتان بالعملية البشعة، عملية قلع العين.

مهران لم يحسبها لحظة واحدة، كانت كرامة بلده فوق أى اعتبار، حتى لو كان الثمن ألا يرى أحدا بعد ذلك، أى يعيش محروما من نعمة البصر، تمت العملية ثم أعادوه إلى بورسعيد، ووضعوه فى مستشفى «ديلفراند».

فى المستشفى كانت الآلام المبرحة تطارد البطل ومع ذلك يتحمل، يثق فى أن شيئا ما سيحدث، يثق فى أن بلده لن يتركه، وحدث ما توقعه، فبعد يومين همست فى أذنه ممرضة مصرية: «الفدائيون سيأتون لأخذك»، كانت الممرضة واحدة من ملايين النساء فى مصر اللاتى لم يتخلفن عن أداء الواجب الوطني، لم يعلق مهران لكنه انتظر حتى جاء من يهمس فى أذنه: «حمد لله على السلامة».

كانت هذه هى الكلمة التى قالها من جاءه لتهريبه خارج المستشفى ملفوفًا بالبطاطين، خرج مهران ليصل إلى القاهرة عبر قطار المصابين، وفى مستشفى العجوزة تم وضعه تحت رعاية طبية رفيعة.

فى صباح أحد الأيام بينما هو فى المستشفى يتلقى العلاج، سمعت صوتًا مميزًا جدًا يقول: «أنا، أنا يا بطل».

فوجئ مهران بأن محدثه هو جمال عبد الناصر، يقول: شعرت بأن بصرى عاد.. عانقنى الرئيس وقبّلته بشدة وفرح، وطلب منى أسلم على عبد الحكيم عامر وبعض قيادات الثورة، وجلس بجوارى على السرير، وطلب منى أن أحكى له كل ما حدث، فحكيت له القصة من أولها.

كان مهران يحكى، وعبد الناصر ينصت.

٦ نوفمبر عام ١٩٤٤
عصابة صهيونية تقتل وزير المستعمرات البريطانى
أمام مقر إقامته فى الزمالك

- المكان: شارع الجبلاية بحى الزمالك، فيلا رقم ٤.

- الزمان: مثل هذا اليوم «٦ نوفمبر ١٩٤٤».

- الجريمة: مقتل اللورد والتر موين، وزير المستعمرات البريطانية، فبينما كان سائقه «فولر» يتجه نحو باب السيارة لفتحه لـ«موين» سمع صوتا: «لا تتحرك»، ثم انطلقت الرصاصات فى صدره، وفى ثوانٍ أطلق شخص آخر الرصاص على «موين» لحظة خروجه من باب السيارة، ومات السائق، وفى المستشفى مات الوزير البريطانى الساعة الثامنة وأربعين دقيقة.

حاول القاتلان الهرب، طاردتهما الشرطة، لكن صيحة من نافذة نبهت شرطيًا «كونستبل» فى حرس الوزارات يُدعى «عبد الله»، فقطع الطريق عليهما بدرَّاجته البخارية، وتم القبض عليهما، لتظهر حقيقة الجريمة التى اهتزت لها القاهرة.

هى واحدة من جرائم العصابات الصهيونية فى مصر، وكانت ضد مسئول بريطانى، والقصة فى كتاب «القاهرة فى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥» للمؤلفة أرتيميس كوبر، ترجمة محمد الخولى، وكتاب «وعليكم السلام» للكاتب الصحفى محمود عوض.

خيط الجريمة بدأ منذ عام ١٩٤٠ بموافقة رئيس الوزراء البريطانى «تشرشل» على إنشاء جيش يهودى قوامه عشرة آلاف جندى، يؤخذون من صفوف الجيشين البولندى والتشيكى، وتتولى بريطانيا تمويلهم، لكن الإدارة البريطانية فى فلسطين عارضت الفكرة، فكلف «تشرشل» صديقه المقرب «موين» بمهمة إبلاغ الصهيونيين، حاييم وايزمان، وبن جوريون، بعدم إمكانية تنفيذها حاليًا «فبراير ١٩٤١»، ومعاودة النظر فى الفكرة فى غضون ستة أشهر.

تواصل الرفض البريطانى بعد الأشهر الستة أيضًا، فأصبح «موين» عدوًا فى نظر الصهاينة، حتى بعد مجيئه إلى القاهرة، وأصبح له فيها مكتب «وزير الدولة البريطانى»، ولأنه أصبح عدوا قررت العصابات الصهيونية التخلص منه.

خططت للجريمة مجموعة تسمى «المحاربون من أجل حرية إسرائيل» أو «عصابة شتيرن» حسب التسمية البريطانية، وكانت لها خلية فى مصر من ثمانية رجال وأربع نساء، لكن التنفيذ احتاج إلى عون، فتم إرسال إلياهو حكيم، ٢٠ عامًا، من فلسطين إلى القاهرة عام ١٩٤٤، ثم إلياهو بيتزوى، ٢٣ عامًا، واستأجر «حكيم» غرفة صغيرة فى حى الموسكى، وتعرَّف إلى صديقة اسمها «يفا»، وارتادا المطاعم الصغيرة والمراقص، وظل «حكيم» يدرس التحركات اليومية لـ«موين» حتى تقرر تنفيذ الجريمة فقتله، بينما قتل «بيتزوى» السائق «فولر».

أُصيب «تشرشل» بالحزن حين تلقى الخبر، وغضب لدرجة أن أحدًا لم يجرؤ على فتح موضوع فلسطين أمامه لأسابيع، وفى القاهرة تم تنظيم جنازة رسمية للقتيلين، وقضت المحكمة بإعدام القاتلين، ونُفذ الحكم ٢٢ مارس ١٩٤٥، ودُفنت جثتاهما فى مقبرة خاصة بمنطقة «هليوبوليس» وعليهما حراسة خاصة، وفى ١٩٧٥ سلمت مصر رفاتهما مقابل عشرين عربيًا كانوا فى سجون إسرائيل بتهمة التجسس لصالح مصر، وفى القدس أُقيمت جنازات لهما حضرها الآلاف يتقدمهم إسحاق رابين، رئيس الوزراء.

٧ نوفمبر عام ١٩٥٦

دول العدوان الثلاثى تقرر وقف إطلاق النار ..
وأمينة الغريب أيقونة للمرأة المصرية فى المقاومة

كانت الساعة الثانية من صباح الأربعاء، مثل هذا اليوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦، حين أصدرت دول العدوان الثلاثى «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» على مصر، قرارها بوقف إطلاق النار، وذلك بعد يوم من إنذار الرئيس السوفيتى «بولجانين» إلى الدول الثلاثة.

شمل الإنذار عبارات حاسمة، ومما جاء فيه: «إن الحرب فى مصر يمكن أن تتطور إلى حرب عالمية ثالثة، وهناك اليوم دول لا تحتاج إلى أن ترسل الأساطيل أو القوات الجوية لتدمر الشواطئ البريطانية أو الفرنسية، وبدلا من ذلك فإنها تستطيع أن تسحقهم باستعمال وسائل أخرى كالصواريخ مثلا، وحكومة الاتحاد السوفيتى تتخذ الآن خطوات، تكفل وضع نهاية للحرب وردع المعتدى، وإعادة السلام إلى منطقة الشرق الأوسط، ونحن نأمل أن تُظْهروا الحكمة وتتخلصوا من هذا الكلام بالنتائج المناسبة قبل أن يفوت الأوان»، وعقب الإنذار الروسى قابل سفير فرنسا الرئيس الأمريكى إيزنهاور، الذى كرر لـ«السفير» قوله: «يجب أن تنسحبوا من مصر، لا سبيل أمامنا إلا أن نلتزم بميثاق الأمم المتحدة».

قبلت مصر بدورها وقف إطلاق النار، غير أن المقاومة الشعبية فى مدن القناة الثلاثة، كانت كلمة سر مصر داخليا وخارجيا، ويذكر إحداها المهندس

عبدالحميد أبوبكر مساعد المهندس محمود يونس فى عملية تنفيذ تأميم قناة السويس.

يروى «أبوبكر» فى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، كتاب أكتوبر ١٩٨٧، قصة جهاز اللاسلكى، مشيرا إلى رجال الصاعقة الذين دخلوا بورسعيد أثناء العدوان، ليشاركوا أبناء المدينة الأعمال الفدائية، وكان على رأس هؤلاء، بطل الفدائيين «كمال رفعت»، نائب رئيس الوزراء فيما بعد، و«محمد فايق» رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان، ووزير «الإرشاد الأسبق»، وعبدالفتاح أبوالفضل، (نائب رئيس المخابرات فيما بعد)، وسعد عفرة (السفير فيما بعد).

دخل هؤلاء بورسعيد بملابس الصيادين على مركب صيد كبيرة، يقودها الريس عبد المنعم، ومعهم جهاز لاسلكى، وكانوا يبحرون من «المعدية»، ويخترقون الأعشاب الطويلة فى بحيرة المنزلة حتى بورسعيد.

ويضيف «أبو بكر» أن مكتبة محمود العربى بـ«الحى الإفرنجى» كانت أحد مراكز القيادة الرئيسة، وقام الشاب البورسعيدى يحيى الشاعر ابن الـ١٧ عاما، ومعه ثلاثة شبان من بورسعيد بنقل أجزاء من اللاسلكى على دراجتهم من منزل قيادة المقاومة إلى منزل يحيى الشاعر، وفيه جرى تجميع أجزاء الجهاز، ووضعه فى دولاب ملابس السيدة أمينة الغريب والدة يحيى الشاعر.

كان هذا الجهاز هو الوحيد الذى كان ينقل أخبار بورسعيد بشفرات خاصة إلى مراكز القيادات، وكان يعمل عليه ضابط اللاسلكى فرج محمد فرج، الذى استمر ملازما لهذا المنزل، ولم يغادره إطلاقا حتى انسحبت القوات المعتدية من بورسعيد، ويؤكد أبوبكر: كانت السيدة أمينة الغريب مثالا للمرأة المصرية التى تظهر فى الأزمات الوطنية، بمواقفها الشجاعة هى وأبناؤها الثلاثة الذين شاركوا فى المقاومة.

٨ نوفمبر عام ١٩٠٢
وشاية من مصطفى كامل لدى الخديو «عباس الثانى» ضد الإمام محمد عبده

«شاءت العناية، أن ترسل لمصر باذر البذور المنتظر، مصطفى كامل، فهو الذى بدأ فى نشر الفكرة الوطنية فى شباب الدارسين المصريين فى أوروبا، وهو لدى عودته من فرنسا أحدث تغييرا وتحديثا ملموسين، لقد أيقظ المشاعر الوطنية المصرية الأصيلة. كان شابا يحمل كل رشاقة الشباب، بما فى ذلك الخيالات المقدسة، وفى المفاضلة بين الحياة المادية والروحية، اختار الثانية، كان وافداً جديدا على حلبة السياسة، ولم يكن يعرف شيئا عن أساليبها المعقدة الوضيعة، وفى بلاد عريقة كبلدنا لن تجد المؤهلين إلا على لوحات المقابر».

هكذا يتحدث الخديو عباس حلمى الثانى فى مذكراته «عهدى» الصادرة عن «دار الشروق ١٩٩٣م» عن مصطفى كامل الذى اقترن به لسنوات لأجل استقلال مصر من الاحتلال الإنجليزى، حتى افترقا لتقارب الخديو من الإنجليز، ورغم الدور الرائد لـ«مصطفى كامل» فى تاريخ الوطنية المصرية، فإن هناك من ينقب عن الجانب الآخر فى حياته، ولعل قول «الخديو»: «كان وافدا على حلبة السياسة» تفك ألغازا من هذا التنقيب.

فى كتابه «فرسان الأمل- تأمل فى الحركة الطلابية المصرية» الصادر عن «مركز البحوث العربية»، يتحدث «شكرى القاضى» عن أن الوشاية والغيرة

كانت من طباع «مصطفى كامل»، مشيرا إلى ما جاء فى مذكرات «أحمد شفيق باشا» رئيس ديوان «عباس الثانى»: كانت العلاقة بين الخديو والشيخ محمد عبده على أحسن حال، ولكن حدث يوم «٨ نوفمبر ١٩٠٢» مثل هذا اليوم، أن قابل مصطفى كامل بك، والشيخ على يوسف سمو الخديو ومكثا عنده مدة كبيرة، وبعد ذلك أبلغنى أن الخديو ينقِمُ على الشيخ محمد عبده بسبب ما قدماه فى حقه من الوشايات.

وشاية أخرى يذكرها الدكتور لويس عوض فى كتابه «تاريخ الفكر الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩»، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، قائلًا: إنه حين امتدح الخديو عباس، لطفى بك السيد بأنه المخلص الوطنى الوحيد، قدم «مصطفى» إليه خطابا أرسله إليه لطفى السيد من چنيف يقول فيه: «إن المصريين لا ينبغى أن ينسوا أبدا أنهم يعملون فى سبيل مصر أولا، وقبل كل شىء، لذلك كان يجب ألا يقترنوا أبدا بالخديو لأن العرش إذا اعترض طريق الوطنيين فيجب على الوطنيين إزالة العرش».

يقود ما سبق «شكرى القاضى» إلى وصفه شعارات وخطب ومقالات مصطفى كامل بأنها: «تلهب المشاعر وتغلب عليها الرومانسية، لكنها لا توحى بعمل شىء محدد أو تدعو إلى القيام بتمرد معين يشمل ثورة»، لكن «لويس عوض» يرى أن التاريخ سيذكر مصطفى كامل بوصفه مجدد أمل المصريين فى الكفاح الوطنى لإجلاء الإنجليز بعد ظلام اليأس الذى ران على نفوسهم بين ١٨٨٢ و١٨٩٥، وأنه كان واضحا أن له سلطانا عظيما على أفندية المدن والشباب بصفة خاصة، لقد أشعل فيهم بشخصيته المغناطيسية قاذفة اللهب نارا لم تُخمدها يد أحد.

ويصفه الخديو عباس الثانى: «كان بسيطا صريحا، وتحت شكله اللطيف تختبئ نفس متفتحة لكل الأحاسيس، وقلب يتأثر بكل الحنان، وكانت هبة الله قد أظهرت تفكيره، وكانت فصاحته واضحة، وساخنة، وكان أسلوبه رشيقا، ومليئا بالصور، ويتحرك من البساطة الملائكية، إلى الفصاحة العارمة لشيوخ روما فى الماضى، وكان موهوبا بالقدرة على الإقناع، كما كان له ذلك

الإشعاع الذى كان للرسل والأنبياء، وكان الحب الذى يكنُّه لبلاده يبدأ من حماس مُتَّقد، لم يكن للعقل أن يفقد السيطرة عليه».

يضيف الخديو عباس: كان الإنجاز الكبير لمصطفى كامل هو أنه قام بتحديد المثل الأعلى للأمة، وأنه شجع الجماهير على الاستمرار للوصول إلى المَثل الأعلى.

٩ نوفمبر عام ١٩٧٧
السادات يعلن استعداده للذهاب إلى الكنيست..
وعرفات: «وضع العمامة فوق رأسى»

«إننى مستعد للذهاب إلى آخر العالم، وإن إسرائيل ستندهش عندما أقول إننى مستعد أن أذهب إلى بيتهم، إلى الكنيست ذاته، ومناقشتهم».

أطلق الرئيس الراحل أنور السادات هذه العبارة فى مثل هذا اليوم «٩ نوفمبر ١٩٧٧» فى مجلس الشعب، لتكون مُفتَتَحًا لأوضاع المنطقة حتى الآن، وفى القلب منها وضع القضية الفلسطينية.

صفق الحاضرون بحماسة ظنا أنها مبالغة، وحسب محمود رياض أمين عام الجامعة العربية الذى كان حاضرا: «لم يدر فى خلدنا مطلقا اعتبارها شيئا جادا»، ويضيف فى الجزء الأول من مذكراته «البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط»: «أقصى ما كانت تحلم به إسرائيل طوال السنوات السابقة هو أن تتفاوض مع أى ممثل لأية دولة عربية فى إحدى العواصم الأجنبية».

كان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وقتها حاضرا، ولأن الجميع لم يذهبوا بهذه العبارة أكثر من كونها «مبالغة حماسية»، لم يخطر ببال «عرفات» أن يستفهم من السادات مغزاها عندما صافحه بعد انتهاء الخطاب.

ويروى إسماعيل فهمى وزير الخارجية فى مذكراته «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»، أن الفريق أول عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع

همس فى أذنه: «لقد أعادها مرتين»، ويضيف فهمى: «ذهب السادات والوزراء إلى ردهة الاستراحة فى مجلس الشعب بعد الخطاب، وناداني هناك أمام الجميع صارخا: هذه زلة لسان، أرجو يا إسماعيل أن تمنعها الرقابة منعا باتا».

وبناء على ما ذكره السادات لـ«فهمى» يقول: «أمرت فورا بحذف الجملة الخاصة برحلة القدس، وبناء على ذلك لم يظهر فى صحف اليوم التالى أى إشارة إليها، غير أن المراسلين الأجانب الذين حضروا أبرزوا هذه الفقرة بالذات».

وحول هذه النقطة يروى محمد حسنين هيكل كلاما مختلفا فى كتابه «خريف الغضب»، حيث يؤكد أن ممدوح سالم رئيس الوزراء ظن أن «عبارة السادات مبالغة حماسية»، فأصدر تعليمات إلى مكتب الرقابة على الصحف بعدم إبراز عبارة «استعداد السادات الذهاب إلى القدس» فى عناوين الصحف أو المقدمات التى توضع لخطاب الرئيس، وكذلك فعل إسماعيل فهمى، لكن السادات كان متنبها، فلم ينَمْ إلا بعد أن اطلّع على الطبعات الأولى للصحف، وأصدر تعليمات غاضبة معاكسة لتعليمات رئيس وزرائه ووزير خارجيته: «على الصحف أن تبرز إبرازا كاملا ما يعتبره هو أهم جزء فى خطابه».

حسب هيكل، فإن السادات حرص على حضور «عرفات»، الذى كان موجودا فى «طرابلس» للتوسط بين مصر وليبيا لإزالة الخلاف بين البلدين، وظن عرفات أنه توصل إلى حل ممتاز، حيث تلقّى وعدا من القذافى بأنه سيقدم إلى مصر ٥٠٠ دبابة جديدة تعوضها عما كانت تشكوه من نقص فى إمدادات السلاح، وبينما كان عرفات مشغولا بمفاوضاته فى طرابلس تلقى رسالة من السادات تلحّ عليه فى الحضور إلى القاهرة فورا، وأكثر من ذلك، بعث إليه السادات بطائرة خاصة لنقله، لكنه فى نفس الليلة وبعد أن حضر الخطاب واستمع إليه غادر القاهرة وهو يقول لمودعيه: «لقد وضع العمامة فوق رأسى».

١٠ نوفمبر عام ١٨٤٨

وفاة إبراهيم باشا.. ووالده محمد على: «حبسنى.. كان قاسيًا معى وعاقبه الله »

تلقَّى محمد على خبر وفاة ابنه «إبراهيم» فقال: «حبسنى، كان قاسيا معى، كما كان مع الجميع، لقد عاقبه الله وأماته، لكنى أجد نفسى لكونى أباه من الواجب علىَّ أن أترحم عليه، وأدعو له».

هكذا عبر محمد على عن شعوره لحظة تلقِّيه خبر وفاة ابنه إبراهيم القائد العسكرى الفذ، والحاكم فى حياة والده لشهور قليلة.

تعبر الكلمات عن دراما علاقة «الأب» بـ«الابن» فى أواخر عمريهما، يمكن أن نفهم شفرتها من قول «نوبار باشا» أقوى وزراء الاثنين فى مذكراته: «كان يسكن إبراهيم رعبه من أبيه منذ طفولته».

يحكى «نوبار» قصة لافتة وهى، أن الباب العالى العثمانى، تردد فى منح إبراهيم الولاية التى طالب بها فى حياة أبيه، وطرح عليه منصب الحاكم العام لمصر، دون ولاية فرفض، لكن «عرَّاف القصر» أخرج الجميع من هذا المأزق، حيث أعلن أنه بعد استشارة الكواكب، كان الرد أن إبراهيم سيموت قبل مرور ستة أشهر.

اتفقت نبوءة «عراف القصر» مع ما أعلنه أيضا طبيب القصر النمساوى المكلف برعايته، فبعد فحصه تبين أن إبراهيم يتقيأ الدم من فمه نتيجة إصابة

خطيرة فى الرئة، ولهذا تقرر منحه الولاية «١٣ يونيه ١٨٤٨» وأُعفى من المرور بالمراسم التقليدية، وفى اليوم التالى شق طريقه عائدا من القسطنطينية إلى القاهرة، وفى المركب التى تقله ومن معه، كان «حسن باشا» متفرغا للتنجيم وقراءة الطالع، يسأل القدر عن مصير «إبراهيم»، وذلك بطريقة يقوم فيها بإلقاء بعض الأحجار الصغيرة على الورق بشكل عشوائى، ثم يقوم بجمعها متبعا بعض القواعد المركبة للكشف عن المستقبل، فأخبره الطالع أن إبراهيم سيموت وهو ينزف دما، وأنه لن يحكم سوى اثنين وسبعين يوما.

يروى «نوبار» دراما مرض إبراهيم من واقع المعايشة معه حتى اليوم الذى أخبره فيه الطبيب بأن النهاية قد أوشكت، وقبلها بأيام أقام إبراهيم فى القلعة وشغل سراى الحرملك، ومكث نوبار إلى جواره يخدمه كممرض وحاجب وأمين سر وكل شىء، ولاحظ قلق كبار الشخصيات وهم يستفسرون عن حقيقة حالة الوالى الصحية، يقول: «ارتسمت على الوجوه علامات السرور وبشكل واضح كلما ذاع خبر عن تردِّى صحته، فقد كان إبراهيم مهيبا يخشاه الجميع وذاعت شهرة قسوته، بيد أننى وأخى شعرنا بالاشمئزاز لهذا الموقف، والوحيد الذى لم يتركه للحظة هو قبطان بك مملوكه».

أثناء المرض لم يتوقف النيل منه دون هوادة، فـ«عباس» ابن شقيقه استغل بعض لحظات الهدنة مع المرض وطلب منه الإذن بالسفر إلى الحجاز، كان يخشى بوصفه خليفة عمه المنتظر أى مفاجآت غير سارة، وكان الحذر يحتِّم على أن يظل بعيدا عن متناول يد عمه المريض.

اضطر إبراهيم أن ينسحب إلى جناح الحريم فى القلعة، ويروى نوبار: عندما كنا ندخل إلى الحرملك، كانت تسبقنا تحذيرات الأغاوات: بس، بس أى «البسبسة»، لتهرول النساء الموجودات فى الطرقات إلى مقارِّهن، كانت شقيقته نازلى هانم المعروفة بتاريخها الدامى والشهوانى، تجلس دائما إلى جواره على حافة الفراش، بينما إبراهيم كعادته نائم فوق مرتبة على الأرض.

عند دخول نازلى إليه، كانت تتخفى فى منتهى العناية وراء ستارة سوداء كبيرة يحملها اثنان من الأغاوات لتحول بينها وبين الموجودين، لكن نوبار يعلق: «نسوا أن المرايا التى تكسو كل حوائط الحجرة، كانت تعكس صورة وجهها ذى الأنف المحدب الذى يشبه منقار الصقر، وعندما كانت ترغب فى الخروج أثناء وجودنا كنا ننبطح على الأرض وأعيننا تنظر إليها، بينما تمر هى وراء الستارة السوداء التى كان الأغاوات يحملونها مفرودة دائما يتحركون معها كلما تقدمت خطوة إلى الخارج».

جاء اليوم الذى أخبر فيه الطبيب أن النهاية قد أوشكت، استمرت سكرات الموت ثلاث ساعات، كانت هى الصراع الرهيب بين الحياة والموت، لم يكن إبراهيم قادرا على أن ينطق بكلمة واحدة، أو حتى حرف واحد، كانت فقط شفتاه تتحركان.

تحدثت «نازلى» مع «نوبار» من فتحة كالون باب الحريم، كلفته بسؤال إبراهيم، ما إذا كان يريد إحضار ابنه مصطفى، وبعد رفض الأب فى البداية وافق فى ساعاته الأخيرة، وحين جاءت سكرات الموت، كان يوجد أربعة مسيحيين واثنان من المسلمين، وتنقل بنظراته ببطء بين الحاضرين، وعندما وصل إلى ابنه أغمض عينيه وكأن الألم يعتصر قلبه لأنه سيترك ابنه لمصير مجهول، حدث ذلك فى مثل هذا اليوم (١٠ نوفمبر ١٨٤٨).

انسحب الجميع، تركوه لعناية الحريم وشقيقته، عرف من فى الخارج خبر الموت فاكتظ القصر بكثير من الناس، كانت علامات الرضا تكسو الوجوه، انطلقت الأحاديث مرة واحدة بصوتٍ عالٍ، كما لو كان الجميع فى ميدان عام حتى إن كامل باشا قال لنوبار: إنك الوحيد الذى أرى عينيه قد احمرتا، أنت الوحيد الذى بكيت.

وقف النعش عند مدخل القصر، كان هناك زحام رهيب، هرج ومرج صاخب، أناس يهبطون وغيرهم يصعدون الدرجات فى فوضى تشبه من يصطحب موكب عروس سعيد، لا أناس يستعدون للسير وراء جنازة.

نـزل النـاس مـن القلعـة كمـن يتسـابقون للوصـول إلى خـط النهايـة بخطـوات سريعـة، وعنـد المنعطـف الأول المـؤدى إلى شـارع الموسـكى ركـب العديـد مـن رجـال الدولـة خيولهـم تاركـين الموكـب، حتـى إنهـم لم يحاولـوا أن يفعلـوا ذلـك فى الخفـاء، وتبعهـم مسـاعدوهم، وانـصرف الموظفـون عنـد المنعطـف الثانـى المـؤدى إلى مسـجد السـلطان حسـن، وبقـى الفلاحـون حاملـين النعـش عـلى أكتافهـم، تتبعهـم النادبـات ووراءهـم عربـة بداخلهـا نسـاء أسرة الـوالى: «كان مشـهدا قاتمـا وحزينـا، تغلفـه الوقاحـة والانحطـاط، لأن هـذه كانـت نهايـة الرجـل الـذى أضـاء اسـمه الـشرق، وهـز عـرش السـلطان العثمانـى محمـود، ولم ينقـذه سـوى تحالـف القـوى العظمـى الأوروبيـة ضـده، فأوقفتـه عـلى مشـارف القسـطنطينية التـى كان شـعبها المبهـور بـه يدعـو لـه بخالـص الأمنيـات».

هكـذا عـاش «إبراهيـم باشـا» أيامـه الأخـيرة، بعـد عمـر قـال عنـه- حسـب الدكتـورة لطيفـة سـالم فى كتابهـا «الحكـم المـصرى فى الشـام ١٨٣١ - ١٨٤١»: «أنـا لسـت تركيًـا، فإنـى جئـت إلى مـصر صبيـا، ومنـذ ذلـك الحـين مَصَّرتنـى شمسـها، وغـيَّرت مـن دمـى وجعلتـه دمـا عربيـا».

١١ نوفمبر عام ٢٠٠٠

وفاة السفير على خشبة.. الذى عاد من عمان إلى السعودية مربوطًا على «جمل».

«اتصل بنا طالب بن على أخو الإمام فى بلاد عُمَان «بضم العين»، وشرح لنا طرفا من قضية تعدى الإنجليز على بلاده، عليك أن تتوجه إلى عمان ولا تسألنا عن الوسيلة، قابل الإمام وابحث القضية وابعث لنا بالتفاصيل».

كان هذا نص رسالة مقتضبة من عبد الناصر إلى ملحقنا العسكرى فى جدة «على خشبة»، الذى أصبح سفيرًا فيما بعد، وتُوفى فى مثل هذا اليوم «١١ نوفمبر ٢٠٠٠»، تاركًا وراءه سيرة وطنية عظيمة.

فى كتاب «عبدالناصر وتحرير المشرق العربى» لـ«فتحى الديب» ضابط المخابرات المصرية، ومسئول الشئون العربية برئاسة الجمهورية، يروى قصة الرسالة كاملة، وتبدأ بمجىء الشيخ «طالب» للقاهرة فى نوفمبر ١٩٥٤، والتقى«الديب» شارحًا تعاون بريطانيا مع سلطان مسقط سعيد بن تيمور، استعدادًا للسيطرة على كل «عمان» التى يحكمها الإمام «غالب بن على» بعد احتلالهم المفاجئ لمدينة «عبرى» الغنية بالبترول، وأنه جاء إلى مصر بتكليف من شقيقه، ليطلب المساعدة.

رفع «الديب» تقريرًا إلى عبد الناصر، ليتقرر استطلاع الوضع على الطبيعة فى رحلة سرية وتكليف «خشبة» بها، فتلقى رسالة عبدالناصر ليبدأ بعدها

رحلـة البحـث والتحـرى عـن كيفيـة تنفيـذ مهمتـه الصعبـة، حتـى قـاده البحـث والســؤال إلى الشـيخ إبراهيـم السـليمان مديـر مكتـب الأمـير فيصـل بن عبـد العزيز ولى العهـد، وهـو رجـل مـن خـبراء شـبه الجزيـرة العربيـة وعـلى معرفـة بأسرارهـا، فـزوده باسـم رجـل للمملكـة فى دبـى يعـد حلقـة وصـل بـين السـعودية وعـمان.

بعـد فـترة قليلـة، بـدأ أنـور السـادات زيـارة إلى اليمـن وإمـارات المنطقـة والسـعودية، فى أول اتصـال بـين مـصر وهـذا الجـزء مـن العـالم العربـى، وانضـم «خشـبة» إلى الوفـد المصاحـب لـ«السـادات»، وفى قطـر سـجل اسـمه فى الفنـدق ثـم غـير ملابسـه بأخـرى عمانيـة وتـسرب فى سـيارة تابعـة للفنـدق متوجهـة إلى دبـى، وهنـاك ذهـب إلى الرجـل الـذى دلـه عليـه «السـليمان» وسـلمه رسـالة منـه، وبعـد أيـام ركـب عـلى ظهـر لنـش يحمـل خشـبًا إلى عـمان مـارًا بمضيـق هرمـز، ليدخلهـا بعـد «٦٠ سـاعة».

التقـى «خشـبة» بـ«الإمـام» وشـيوخ القبائـل، لـف ودار، سـأل، وحصـل عـلى الإجابـات، أصبـح لديـه خريطـة جاهـزة بـما يريـده، عـرف كل شـىء عـن قـرب، لكـن كانـت هنـاك عيـون تراقبـه، فأخـبرت الإنجليـز بأمـره، وكان لابديـل عـن خروجـه حتـى لا يتـم القبـض عليـه فدبـر لـه «الإمـام» رحلـة للعـودة، أغـرب مـن الخيـال.

لم يكـن بـأى حـال مـن الأحـوال أن يتـم الخـروج بوسـائل المواصـلات العاديـة، فالرجـل أصبـح معروفـا، وأى طريقـة تقليديـة سـيكون مـن السـهل الكشـف عنـه بواسـطتها، فـكان اللجـوء للطريقـة الأخـرى، طريقـة السـفر عـبر الصحـراء، والصحـراء لا يسـير فى دروبهـا الصعبـة غـير «الجـمال»، وتحتـاج إلى «دليـل»، وهـو مـا كان.

بـدأت رحلـة العـودة، أو بالتدقيـق «رحلـة العـذاب» عـن طريـق واحـة «البريمـى»، وكانـت عبـارة عـن قافلـة مـن الجـمال ودليـل عمانـى موثـوق بـه، و«خشـبة» يرتـدى زيـا عمانيـا عـلى أنـه واحـد مـن القافلـة التـى ستقطع الصحـراء فى ١٥ يومًـا.

لم يكـن هنـاك حسـاب للمـرض الـذى قـد يهـل فجـأة وهـو مـا حـدث، فأثنـاء الرحلـة ارتفعـت سـخونة جسـد «خشـبة» تدريجيـا حتـى بلغـت حـدا لا يُطـاق، تحولـت إلى «ملاريـا»، لم يكـن لـدى «الدليـل العمانـى» أكثـر مـن وصفـات شـعبية لمثـل هـذه الظـروف، ويومـا بعـد يـوم كان وزن «خشـبة» يتناقـص.

توقـع «الدليـل» موتـه بـين لحظـة وأخـرى، خاصـة أنـه لم يعـد لديـه قـدرة عـلى أن يركـب الجمـل ويضبـط نفسـه فوقـه، فكـر «الدليـل» مـاذا يفعـل، فاهتـدى إلى فكـرة أن يربطـه بـ«حبـل» عـلى «جمـل»، ليمنـع سـقوطه، ونفـذ الفكرة، وظـل هكذا حتـى وصـل إلى «البريمـى» ليدخـل إلى المستشـفى فـورا.

فى «الواحـة» عـرف حاكمهـا السـعودى، ثـم أبـرق رسـالة إلى الملـك «سـعود» لينقلـه بطائـرة إلى جـدة للعـلاج، وبعـد شـفائه طلـب مقابلتـه ليعـرف سر وجـوده فى «البريمـى» قادمًـا مـن عـمان، فوافـق عبـد النـاصر عـلى اللقـاء وشرح مـا حـدث لطمأنـة الملـك سـعود بصـدق نوايـا مـصر، اسـتمع الملـك سـعود إلى القصـة، كان خشـبة يرويهـا بخفـة دم كبـيرة، والملـك لا يتمالـك نفسـه مـن الضحـك، وظـل يطلـب منـه تكـرار روايتهـا طـوال سـهرات شـهر رمضـان معـه.

١٢ نوفمبر عام ١٩٧٧
اجتماع وزراء الخارجية العرب فى تونس.. والسادات يتصل بإسماعيل فهمى غاضبًا بعصبية من مناحم بيجن

طلب الرئيس السادات وزير خارجيته إسماعيل فهمى مرتين فى تونس.. كان «فهمى» يبذل جهده لعبور مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد فى تونس فى مثل هذا اليوم «١٢ نوفمبر ١٩٧٧» إلى بر الأمان، وذلك بعد قنبلة السادات التى ألقاها يوم ٩ نوفمبر فى مجلس الشعب باستعداده للسفر إلى إسرائيل.

سأل «السادات» فى الاتصال الأول «فهمى» عن جو الاجتماع والقرارات التى يُحتمل أن يتخذها، وعن موعد عودته، فرد: «لن أستطيع العودة قبل انتهاء الاجتماع»، أما فى الاتصال الثانى، وحسب مذكرات «فهمى» «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»: «كان السادات مضطربًا وعصبيًا، وتكلم عن مناحم بيجن، رئيس وزراء إسرائيل، بهلوسة ولغة شديدة، وكانت ثورته متجهة نحو الالتماس الذى خاطب به بيجن المصريين يوم ١١ نوفمبر ردًا على استعداد «السادات» للذهاب إلى القدس، وحاول بيجن إقناع المصريين بأنه راغب فى السلام، لكن بشروطه هو، كإعلانه صراحة أن «جوديا وسامرا» أو الضفة الغربية هى أرض إسرائيلية.

طلب «السادات» من «فهمى» إعداد رد قوى على هذا الادعاء، ففعل مسرورا، وظهر فى الصحف المصرية على أنه مذاع من وزارة الإعلام، أما فى دهاليز مؤتمر وزراء الخارجية فكثر الحديث حول نوايا «السادات» بحسب

تعبير «فهمي»، لكن «فهمي»- وكما يؤكد في مذكراته- لم يدخر جهدًا في التأكيد لزملائه المقربين في الاجتماعات الرسمية بأن مصر ملتزمة التزامًا شاملا بأنه ما لم يكن سلامًا شاملا؛ فإن مصر سترفض عودة سيناء حتى لو قدمتها إسرائيل على طبق من ذهب، ويزيد «فهمي»: «أكدت على هذا الموقف طوال اجتماع تونس».

يحاول «فهمي» في مذكراته البحث عمَّن زرع في رأس «السادات» مسألة ذهابه إلى القدس، وكان هو معارضًا لها على خط مستقيم، ويشير إلى مناوراته لصرفه عنها، وكان آخرها بعد عودته من تونس يوم ١٥ نوفمبر حين اتصل به ليطمئن على ما حدث في المؤتمر: «ما إن انتهيت من حديثي حتى انتقل السادات فجأة، وأعاد عليّ فكرته بالذهاب إلى القدس وإلقاء خطاب في الكنيست، وكان رد فعلي حادًا وتبعته مناقشات عنيفة».

استمرت المجادلة التليفونية بين الاثنين أكثر من ساعة، لجأ فيها «فهمي» إلى حيلة جديدة يذكرها في مذكراته: «سيدي الرئيس، أهذه دكتاتورية أم ديمقراطية؟»، فسألني بدهشة: ماذا تعني؟، أعدت سؤالي فقط: «أهذه دكتاتورية أو ديمقراطية؟»، فأجابني: لا شك أنها ديمقراطية، قلت: إذن أقترح أن تعقد اجتماعًا صغيرًا مع كبار المسئولين، وتحدثهم عن خطتك سعيًا لمعرفة رد فعلهم، ومضيت أقول: «وأعدك ألا أتفوه بأي قول، فلو اتفق الجميع أو حتى النصف معك في الرأي فسأذهب معك على الرغم من اعتراضي الشخصي، وإذا كان الاعتراض ضخمًا فعليك أن تعيد النظر»، فقال: مَن من الناس تريدني أن أستشير؟، فأجبت: «الرؤوس فقط، أعضاء مجلس الأمن القومي»، فكاد يفقد وعيه وصرخ: لن أتناقش مطلقًا مع أي فرد، لا أهتم برأي أي شخص، لن أفعل هذا.

١٣ نوفمبر عام ١٩٦٧
أم كلثوم تغنى فى باريس للمجهود الحربى بمصر وتهدد بإلغاء الحفل بسبب إسرائيل.

«تمنح هذه العملاقة المقدسة التى جاوزت الستين شعورا بقوة الإرادة بالصلابة والشموخ بالنظرة المتسلطة، كل سحرها فى صوتها العذب وإلقائها البِلَّورى الشفاف».

هكذا وصفت جريدة لوموند الفرنسية كوكب الشرق أم كلثوم، بعد حفلتها الأولى فى العاصمة الفرنسية باريس فى مثل هذا اليوم «١٣ نوفمبر ١٩٦٧»، فى سلسلة حفلاتها بمحافظات مصر والدول العربية لصالح المجهود الحربى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧، وكانت باريس هى العاصمة الأوروبية الوحيدة التى غنت فيها، وتم إلغاء أربع حفلات فى الاتحاد السوفيتى، بسبب وفاة جمال عبد الناصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، وعادت من موسكو قبل حفلتها الأولى.

فى الشهادات التى جمعتها لكتابى «أم كلثوم وحكام مصر»، قال لى الموسيقار كمال الطويل، وصديقها الكاتب سعد الدين وهبة: «كان لها طقوس خاصة حين تقع كارثة، تنزل إلى البدروم، لا تتحدث إلى أحد، لا تقابل أحدا، تعيش مع نفسها وتفكيرها فقط».

ويقـول ابـن شـقيقها محمـد الدسـوقى: «فى نكسـة ٥ يونيـه ١٩٦٧، حبسـت نفسـها فى حجـرة بالبـدروم، أطفـأت النـور، ربطـت رأسـها بمنديـل لعلـه يخفـف الآلام، لا تتحـدث مـع أحـد، لا تـأكل، لكنهـا بعـد فـترة خرجـت وسـمعتها تقول: «لازم نلِمّ البـلاد العربيـة حوالـين مـصر».

غنـت فى المغـرب، تونـس، أبـو ظبـى، ليبيـا، الكويـت، السـودان، لبنـان، باريـس، القاهـرة، المنصـورة، دمنهـور، الإسـكندرية، طنطـا، وكانـت الحصيلـة للمجهـود الحربـى «مليـون ومائـة ألـف جنيـه مـصرى» بحسـابات وقتئـذ، حسـب كتـاب «صـوت مـصر أم كلثـوم» للكاتبـة الفرنسـية «فرچينيـا ديلسـون».

تقاضـت «٢١٢ ألـف إسـترلينى» عـن غنائهـا بحفلتـين عـلى مـسرح «أوليمبيـا» أكـبر مسـارح باريـس، وهـو أعـلى أجـر لمطـرب غنـى عليـه حتـى وقـت الحفـل، وكان كل شـيئا متألقـا، فأمـراء وأمـيرات السـعودية والمغـرب فى مقدمـة الحضـور، بالإضافـة إلى ١٣ سـفيرا عربيـا ومنـدوب الجامعـة العربيـة و٢٢٠٠ مسـتمع هـم سعـة المسـرح، وحـضر اليهـود الشرقيـون بكثافـة، ويـروى «كوكاتديـس» مديـر المسـرح أنـه شـاهد صديقـا منهـم، فاسـتغرب لكـن اليهـودى علـق: «إنهـا أم كلثـوم»، وفى وصـف للوكالـة الفرنسـية بعـد الحفـل: «سـماعها ورؤيـة الصالـة مرتعشـة دليـل عـلى تأثيرهـا الغريـب»، وفى رسـالة الرئيـس الفرنسـى ديجـول لهـا: «لمسـتِ بصوتـكِ سـيدتى أحاسيسـى وقلبـى وقلـوب الفرنسـيين جميعـا».

فى كواليـس حفـل ١٣ نوفمـبر دار حـدث أهـم يؤكـد عـلى عظمـة أم كلثـوم، يرويـه الكاتـب محمـد سـلماوى الـذى حـضر اتفاقهـا وتعاقدهـا مـع مديـر المسـرح فى القاهـرة، يقـول سـلماوى فى مقـال بصحيفـة «الأهـرام» ٧ مـارس ١٩٩٧، إن «كوكاتديـس» وهـو يهـودى اندفـع إليهـا فى اسـتراحة الفاصـل يطلـب منهـا توقـف المذيـع «جـلال معـوض» عـن كلامـه أثنـاء تقديمهـا، ويتحـدث فيـه عـن حتميـة الانتصـار عـلى إسرائيـل وتحريـر القـدس وكل الأراضى العربيـة المحتلـة، لأن الحفـل فنـى وليـس سياسـيا.

ردت: أنـا الـذى طلبـت أن يقـول مـا قالـه، وذلـك مرتبـط بقضيـة بـلادى، وإذا كان هـذا لا يـروق لـك فأنـت غـير مجـبر عـلى قبولـه، وبإمكاننـا إلغـاء الحفـل، وأحلـك مـن أى التزامـات، وأشـارت إلى الفرقـة: لمـوا الآلات يـا ولاد فـرد عليهـا «كوكاتديـس» راجيـا صرف غضبهـا: «سـيدتى، ليكـن لـك E مـا تريديـن».

١٤ نوفمبر عام ١٩٥٤
إعفاء محمد نجيب من منصبه رئيسًا للجمهورية..
ومعركة رهيبة بين الإخوان والشرطة فى شبرا

كانت الساعة الحادية عشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «١٤ نوفمبر ١٩٥٤»، حين توجه اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية، وحسن إبراهيم وزير القصر إلى الرئيس محمد نجيب لإبلاغه بقرار إعفائه من منصبه رئيسًا للجمهورية، ومن عضوية مجلس قيادة الثورة.

جاء القرار- حسب صحيفة «الأخبار» الصادرة صباح يوم «١٥ نوفمبر»- حصيلة اجتماع مجلس قيادة الثورة، ومجلس الوزراء صباح يوم الأحد «١٤»، ووفقا لـ«الأخبار» فإن نجيب تلقى القرار وهو فى قصر عابدين، وغادره إلى قصر السيدة «زينب الوكيل» زوجة مصطفى النحاس فى منطقة المرج للإقامة فيه مع أسرته.

ويروى «محمد نجيب» ما حدث فى مذكراته «كنت رئيسا لمصر»، أنه توجه فى صباح اليوم «١٤ نوفمبر» إلى مكتبه بالقصر الجمهورى، فوجد بعض ضباط البوليس الحربى على باب القصر، وتبعه اثنان منهم إلى المكتب فنهرهما، فردا عليه بأن عندهما تصريحا من كبير الياوران بالنيابة بالدخول، وهو الأميرال حسن كامل الذى أصبح سفيرا فيما بعد، فبحث عنه لكنه لم يجده، ويضيف نجيب: «نهرتهما بشدة، فخرجا، واتصلت بعبدالناصر»، فقال: سوف أرسل

لـك عبـد الحكيـم عامـر وحسـن إبراهيـم، وعندمـا جـاء عامـر وحسـن إبراهيـم، قـالا لى فى خجـل، إن مجلس الثـورة قـرر إعفاءكـم مـن منصـب رئيـس الجمهوريـة، وهنـا قلـت: «أنـا لـن أسـتقيل الآن لأنـى بذلـك سـأصبح مسئولا أمـام التاريـخ عـن ضيـاع صلـة السـودان بمـصر، أمـا إذا كان الأمـر إقالـة فمرحبـا، لأنكـم تعفوننـى مـن مسئولية لم يعـد ضمـيرى يحتملهـا».

يسـتكمل نجيـب: «خرجـت معهـا حامـلا المصحـف وحـده مـن المكتـب، وركبـت مـع حسـن إبراهيـم عربـة اتجهـت بـى إلى المـرج، إلى منـزل كان اسـتراحة ريفيـة لـ«زينـب الوكيـل» ثـم تـم وضعـى تحـت الحراسـة، وقـال لى عامـر: إقامتـك فى المـرج لـن تزيـد عـلى بضعـة أيـام، لكـن إقامتـى اسـتمرت مـن نوفمـبر ١٩٥٤ إلى أكتوبـر ١٩٨٣».

كانـت أحـداث هـذا اليـوم فارقـة فى تاريـخ مـصر، كونهـا صراعـا بـين مشروعـين يمكـن القـول إنهـما ممتـدان حتـى الآن، ليـس مـن زاويـة التخلـص مـن نجيـب الـذى وصلـت الخلافـات بينـه وبـين ضبـاط الثـورة إلى طريـق مسـدود، وإنـما حضـور جماعـة الإخـوان فى المشـهد بتصميمهـا عـلى جـر ثـورة ٢٣ يوليـو إلى مـا تريـده، ثـم إقدامهـا عـلى محاولتهـا الفاشـلة باغتيـال جمـال عبـد النـاصر فى ميـدان المنشـية أكتوبـر ١٩٥٤ أثنـاء إلقائـه خطابـه أمـام الآلاف، ووجَّـه مجلـس قيـادة الثـورة أصابـع الاتهـام إلى نجيـب بتعاونـه مـع «الجماعـة»، واللافـت فى هـذا الأمـر أنـه فى نفـس اليـوم الـذى تـم تنحيـة «نجيـب»، كانـت هنـاك معركـة وصفتها الصحـف بـ«الرهيبـة» بـين الشرطـة والإخـوان فى شـبرا، ودارت وقائعهـا بإلقـاء عـشرات القنابـل عـلى البوليـس، وكتبـت جريـدة «الأخبـار» تغطيتهـا للحـدث فى الصفحـة الأولى بعنـوان: «معركـة دمويـة خطـيرة بـين الإخـوان والبوليـس فى شـبرا»، وقالـت: «اسـتعمل الإخـوان المدافـع والرشاشـات والمسدسـات، وقتـل اثنـان مـن الإرهابيـين موظفـين فى السـكك الحديديـة، وثالثـا طالـب فى كليـة الهندسـة، وقتـل عـدد مـن الأهـالى وجـرح عـشرات آخـرون».

١٥ نوفمبر عام ١٨٥٤
ديليسبس يقنع «سعيد» بشق القناة..
ويكتب إلى حماته فى فرنسا

حاد الذكاء، عبقرى، ساحر، شديد الغرور، كثير الخداع، نصاب، بطل السُّخْرة، حسن المظهر والهندام، يعرف آداب الصالونات، استغل هذه الصفات فى الإيقاع ببعض نساء الطبقة الراقية فى فرنسا. تعرَّف إلى «أوچينى» امبراطورة فرنسا وخطبها لنفسه قبل أن تقترن بالإمبراطور «نابليون الثالث»، ويسَّر لها سبل الزواج الملكى، وظل محتفظا بصلته الغرامية معها.

هو «فرديناند ديليسبس» الفاشل دراسيا، لكن اسمه اقترن بشق قناة السويس، وفى مذكراته «قناة السويس والأيام التى هزت الدنيا»، ينقل «عبدالحميد أبوبكر» مساعد المهندس محمود يونس فى قيادة عملية تأميم القناة، صفاته الشخصية من واقع ما ذكره الإعلام الغربى.

هو لم يأتِ إلى مصر فجأة للحصول على موافقة «سعيد باشا» والى مصر على حفر القناة، فوالده «ماتيو ديليسبس» خدم نابليون بونابرت فى مصر حين جاء على رأس الحملة الفرنسية، وبقى فيها أيام محمد على، وفى عام ١٨٣٠ انتقل إلى «مراكش»، وكان هو وابنه فرديناند من الجواسيس الذين عجلوا بسقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى.

على الرغم من كل هذه الصفات لـ«ديليسبس» فإنه استطاع أن يحصل على موافقة «سعيد باشا» على مشروعه، مستثمرا فى ذلك سابق معرفته به حين كان موجودا فى مصر، ويشير «نوبار باشا» وزير محمد على فى مذكراته، إلى أن «ديليسبس» وصل لمصر بعد أيام فقط من عودة سعيد من القسطنطينية الذى كان فيها لحصوله على فرمان الولاية، واستقبله سعيد أحسن استقبال، واصطحبه معه لمشاهدة مناورات الخريف فى الصحراء الغربية فى مثل هذا اليوم «١٥ نوفمبر ١٨٥٤» بعد ثمانية أيام من وصوله إلى الإسكندرية، وأثناء المناورة استطاع أن يصل إلى هدفه ويتحدث عن ذلك بالتفصيل فى خطاب أرسله إلى حماته مدام «دى لامال» ويأتى به أبوبكر فى مذكراته:

تناول الوالى وجبة الإفطار قبل المسير، وتناولت وجبتى مع «ذو الفقار باشا»، وحينما انصرف من حضرة الوالى، قررت له أن جواده كان فى أول أيام رحلتى سبَّاقًا من الطراز الأول، وفى الساعة الخامسة مساء امتطيت صهوة الفرس، وعدت إلى مخيم الوالى متخطيا الحاجز، والوالى باسم الثغر منشرح الصدر، فيأخذنى من يدى، ويظل ممسكا بها بعض الوقت، ويجلسنى إلى جواره، كنا وحدنا، وفى الخيمة نافذة صغيرة سمحت لى بأن أمتع نظرى برؤية الشمس وهى تغرب، ورأيتها تشرق فى الصباح فشعرت بالطمأنينة والهدوء، وأنا أتحدث عن مشروع حاسم فى مستقبل حياتى، وتتمثل فى ذهنى دراساتى وخواطرى عن القناة التى تصل بين البحرين، ونقلت إيمانى ويقينى إلى قلب الموضوع، وعرضت مشروعى دون أن أدخل فى التفاصيل، مبينا النقط والأسانيد التى تضمنتها مذكرتى التى تلوتها على الوالى من أولها إلى آخرها، وكان سعيد يصغى إلىَّ بانتباه زائد، وقال لى إنه مشروع مفهوم وفى وسعك أن تعتمد علىَّ، وكان الفرمان الأول بشق القناة يوم ٣٠ نوفمبر.

١٦ نوفمبر عام ١٨٣٩
انطلاق الحملة الأولى لاكتشاف منابع «النيل الأبيض»

قال إبراهيم باشا ابن محمد على للمهندس الفرنسى «فرديريك كايو» الذى اصطحب حملة الجيش المصرى لفتح السودان فى يوليو ١٨٢٠، وكانت مهمته اكتشاف الذهب والبحث عن مناجمه: «سنكتشف النيل الأبيض فى حملة من مراكب مسلحة وعدد كبير من القوارب الخفيفة التى تستطيع أن تمضى فى النهر بسهولة، دون أن تعترضها الشلالات، وستكون وجهة هذه العمارة النيلية أن تنحدر فى النهر وروافده حتى تصل إلى منابعه».

وقال إسماعيل باشا ابن محمد على لـ«كايو» حينما استأذنه فى العودة إلى مصر يوم «٨ فبراير ١٨٢٢»: «إذا ذهبت إلى فرنسا فانشر ما وصلت إليه من المعلومات، ثم عُدْ إلى مصر فإنك ستجد أبى لا يقتنع بالاكتشافات الضئيلة التى وصلنا إليها، بل سنبذل جهودا أخرى، وسأصحبك بنفسى إلى منابع النيل الأبيض».

فى الجزء الأول من مذكراته «السودان بين يدَىْ غوردن وكتشنر» دار الكتب والوثائق القومية، يحكى «إبراهيم فوزى باشا»: «علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوروبية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل، فاهتم لهذا الخبر أكبر اهتمام واستشار كثيرا من المهندسين الأوروبيين الذين جاء بهم من بلادهم إلى هذا القطر، فأقروا بالإجماع على أن وقوع

منابع النيل تحت براثن هذه الدولة مما لا تُحمد مغبته، حيث تصير حياة مصر فى يدها، فصمم على إنفاذ حملة إلى السودان».

الدولة التى يقصدها فوزى باشا هى بريطانيا، ونفهم من الحكايات الثلاث السابقة، كيف كان يفكر محمد على وولداه فى نهر النيل بحدوده، ونعرف أهم أسباب ضمه السودان وفتوحاته الأفريقية الأخرى، وسر اصطحاب الجيش للمهندسين والعلماء والشيوخ الذين كانت مهمتهم إقناع الناس بالحكم الجديد، ونعرف فى تاريخنا القريب لماذا اهتم جمال عبد الناصر بأفريقيا وفى القلب منها دول حوض النيل.

أسَّس المصريون مدينة «الخرطوم» لتصبح «مركزا لتسيير الرحلات الجغرافية لاكتشاف منابع النيل»، وحسب كتاب «عصر محمد على» لـ«عبد الرحمن الرافعى»: محمد على ذاته رحل إلى السودان «١٥ أكتوبر ١٨٣٨ إلى ١٥ مارس ١٨٣٩» يجوب أنحاءه ويتفقَّه معادنه، ولما عاد من رحلته تولى بنفسه تنظيم البعثات والحملات الجغرافية بعيدة المدى للكشف عن منابع النيل.

نظم محمد على، ثلاث حملات لاكتشاف منابع النيل الأبيض، كانت أولاها فى مثل هذا اليوم «١٦ نوفمبر ١٨٣٩» برئاسة البكباشى المصرى سليم بك قبطان، الضابط بالبحرية المصرية، وجعل تحت تصرفه ٤٠٠ جندى، والضابط «سليمان كاشف»، وفرنسى اسمه «تيبو» كان يتسمى بـ«إبراهيم أفندى»، واعتمادا على رسالة كتبها «سليم بك»، ونشرتها المجلة الجغرافية الفرنسية «يوليو ١٨٤٢»، يقول الرافعى: تزودت الحملة بذخائر ومؤونة تكفى ٨ أشهر، ووصلت إلى بلدة «الغبس» جنوبى الخرطوم، ثم حالت الموانع فى النهر دون تقدمها، فعادت إلى الخرطوم يوم ٣٠ مارس ١٨٤٠، وفى عودتها عرَّجت بـ«نهر سوباط» أحد روافد النيل لاكتشافه، ودامت الرحلة ١٣٥ يوما.

١٧ نوفمبر عام ١٩٣٥
تشييع جثمان الطالب الشهيد «على طه عفيفى» بعد سرقة جثمانه

كانت الساعة الخامسة مساءً فى مثل هذا اليوم «١٧ نوفمبر ١٩٣٥»، حين بدأت جنازة طالب كلية دار العلوم الشهيد «على طه عفيفى»، الذى سقط مصابا يوم ١٦ نوفمبر برصاص قوات الأمن والإنجليز فى المظاهرة التى خرجت من جامعة فؤاد الأول «القاهرة»، احتجاجا على تصريحات وزير الخارجية البريطانى «صمويل هور» بأن الحكومة البريطانية لا توافق على عودة العمل بدستور ١٩٢٣، وبدأت هذه المظاهرات يوم ١٣ نوفمبر.

فى قصة استشهاده ودفنه دراما كبيرة، فحسب كتاب «الطلبة والحركات الوطنية فى مصر ١٩٢٢ - ١٩٥٢» للدكتور عاصم محروس عبد المطلب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، طلب طلبة الطب من مصطفى فهمى بك وكيل المستشفى العام تسلُّم الجثمان، فقال إن الأمر فى يد النيابة والبوليس، وسرى إلى علم الطلبة أن هناك نية لدفنه ليلا، كما حدث مع الشهيدين الطالبين عبد المجيد مرسى وإسماعيل الخالع، فسرق طالب الجثمان ونقله إلى مكان لا يعرفه أحد، ورفض الطلاب تسليم الجثة إلى اللواء «رسل باشا» حكمدار القاهرة إلا بعد التصريح لهم بتشييعها، فكان لهم ما أرادوا.

فى وصف مؤثر للجنازة قالت الأهرام فى عددها الصادر يوم ١٨ نوفمبر: «اشترك فى تشييع الجنازة جميع الطلبة والمصابون الذين كانوا يرقدون فى المستشفى، وظهر بعضهم وقد عُصبت رءُوسهم، والبعض الآخر وقد عُلقت

أيديهم فوق رقابهم، واشتركت الممرضات والمرضى والأهالى فى المظاهرة بين العويل والبكاء، وكان النبأ قد ذاع فى الأوساط والدوائر السياسية، فحضر للمستشفى جمهور كبير وكبار الساسة، وحمل الطلبة النعش ورفعوا علمهم، وسارت الجنازة يتقدمها الطلاب الذين يحملون العلم ثم نعش الفقيد، يتبعه عميد كلية الطب والأطباء وأساتذة الجامعة ومكرم عبيد وأحمد ماهر والنقراشى والنحاس وغيرهم».

سارت الجنازة صامتة فى شارع القصر العينى، تحيِّيها الجماهير من نوافذ البيوت، ووقف الناس على جانبى الطريق خاضعين وبلغت جماهير المشيعين عددا لا يحده بصر، وعندما بلغ المشيعون «دار العلوم» وهى مدرسة الفقيد، وقف النعش قليلا، وحيت المدرسة «الكلية» فقيدها فأضاءت الأنوار له.

فى صحيفتَى «الجهاد» و«كوكب الشرق» إضافات أخرى على المشهد، فالموكب تقدمه أربع طالبات يمثلن مدارس البنات، وسار وسط هتافات «الله أكبر»، «فى سبيل الوطن»، «لتحى ذكرى الشهداء، لتحيا ذكرى الشهيد على طه»، ونظم طالب قصيدة رثاء فى الشهيد قال فى مطلعها:

فى ذمة الله بل فى ذمة الوطن   هذا الشباب الذى لف فى الكفن
لا تحسبوا أنه أودى بلا ثمن   مضى وأبقى لنا ذكرى نرددها

بعد الصلاة على الجثمان فى مسجد السيدة زينب، نُقل الشهيد إلى المدافن بسيارة، وحدث خلاف أيهما يكون معه إلى المقبرة؟ فبينما أراد طلبة دار العلوم حمله بمفردهم، صمم الباقون على المشاركة، فاستقر الأمر على أن يشارك طالب من كل كلية ومدرسة، ولم تسمح حكومة نسيم باشا بإقامة سرادق للعزاء، وسمحت بوضع مقاعد فى مساحة لا تزيد على عشرة أمتار، لكن الطلبة وضعوا مئات المقاعد، وحضر مصطفى النحاس، وألقى الطالبان «محمد برهام» و«محمود حسن إسماعيل» شعرًا.

١٨ نوفمبر عام ١٩٧٧
استقالة «محمد رياض» بعد ست دقائق من تعيينه وزيرًا للخارجية

اتصل مبارك «نائب السادات» بوزير الخارجية إسماعيل فهمى يسأله عن وسيلة المواصلات التى يريدها، كى يذهب إلى الإسماعيلية لاستقبال «الرئيس» فى المطار عائدًا من العاصمة السورية «دمشق».

كانت المكالمة بين «نائب الرئيس» و«الوزير» يوم ١٧ نوفمبر، وهو اليوم الذى طار فيه السادات إلى سوريا للاجتماع بالرئيس السورى حافظ الأسد، لإقناعه بما أعلنه عن مبادرته بالسفر إلى إسرائيل. عرض «مبارك» على «فهمى» إمكانية توفير هليكوبتر تطير من أقرب مطار لمنزله فى «حى الزمالك»، لكن فهمى طبقا لمذكراته «التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط»، أبلغ مبارك: «لن أذهب»، ولما ضغط مبارك لمعرفة السبب، قال له: «سأرسل لك مظروفا أرجو تسليمه له شخصيا».

فتح السادات الظرف ليجد ورقة بنص استقالة فهمى من منصبه، فأخبر «مبارك» وغيره من كبار المسئولين الموجودين فى استقباله والسفير الأمريكى «هرمان إيلتس» بالاستقالة، مما دفع الفريق أول عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع إلى طلبه من السادات بالسماح له بالعودة إلى القاهرة كى يأتى بـ«فهمى»، لكن الرئيس رد: «أنت لا تعرف فهمى، كان طوال الوقت ضد

فكرة رحلة القدس، ولن يقبل تغيير قراره»، وهنا أمر السادات بإذاعة خبر الاستقالة، الذى تصدَّر وسائل الإعلام العالمية مستمدا أهميته من مفاجأة خطوة زيارة رئيس أكبر دولة عربية إلى إسرائيل بعد أربع حروب بينهما.

أذاع التليفزيون المصرى الخبر باختصار شديد، ثم أغفله نهائيا فى اليوم نفسه، وبقيت مشكلة البحث عن وزير جديد للخارجية فى غضون ساعات قليلة، ليكون ضمن الوفد الذى سيصاحب السادات إلى «تل أبيب» يوم ١٩ نوفمبر، فاستقر الرأى على السفير محمد رياض، وكان يشغل منصب وزير الدولة للشئون الخارجية، وقبله كان مديرا لمكتب وزير الخارجية «محمود رياض» (التشابه فى الاسم فقط)، وفى مثل هذا اليوم «١٨ نوفمبر ١٩٧٧» دعاه مبارك إلى مكتبه فى القصر الجمهورى، وأخبره أنه وقع الاختيار عليه ليكون وزيرا للخارجية مؤقتا، والمفارقة أن الخبر كان قد أُذيع فى التليفزيون.

تخلل اللقاء مناقشة قصيرة بين مبارك ورياض، وبعدها بست دقائق تقدم «رياض» أيضًا باستقالته، وذهب إلى منزل «فهمى» ليخبره بقراره، واللافت أن من قاموا بالتأريخ لحدث المبادرة بمجمله ومنهم المسئولون الذين كتبوا شهادتهم لم يركزوا على استقالة «رياض» بما شملته من المقابلة القصيرة التى حدثت بينه ومبارك.

فى مجمل هذه القصة، نحن أمام وزيرين للخارجية تقدما باستقالتهما فى ٢٤ ساعة بإرادتهما وبرؤية لهما على النقيض من رؤية السادات للسلام، وتلك كانت مفاجأة لـ«السادات» الذى كان سيسافر إلى «تل أبيب» يوم ١٩ نوفمبر، وحسب فهمى: «أراد أن يذهب معه إلى القدس أكبر عدد من الشخصيات المصرية، ولم تكن هذه هى العادة لأنه لم يكن ليصطحب وفدا كبير العدد إذا ما سافرنا معه للخارج فى زيارات رسمية، وذهب إلى مدًى أبعد بإرسال طائرة خاصة لإحضار بعض الرسميين وبعض من رجال الصحافة الذين كانوا فى الخارج لاصطحابهم معه».

١٩ نوفمبر عام ١٩٣٥
الطالب «محمد عبد الحكيم الجراحى» يكتب قبل استشهاده: «الموت أمر صغير من أجل مصيرنا»

«إلى رئيس وزراء إنجلترا روح الشر، سيدى.. أحد رجالكم الأغبياء أصابنى برصاصة، وأنا أموت الآن شيئا فشيئا، ولكننى سعيد للغاية أن ضحيت بنفسى، إن الموت أمر صغير وآلام الموت عذبة المذاق من أجل مصيرنا، فلتحى مصر، ليسقط الاستعمار ولتسقط إنجلترا، وسيتولى الله عقابكم قريبا أنتم وإنجلترا روح الشر، فلتحى التضحية.. أحد الشهداء المصريين محمد عبدالحكيم الجراحى».

كتب هذه الكلمات المؤثرة، طالب كلية الآداب جامعة فؤاد الأول «القاهرة» محمد عبد الحكيم الجراحى وهو يصارع الموت شهيدا فى مثل هذا اليوم «١٩ نوفمبر ١٩٣٥» فى مستشفى «قصر العينى»، بعد إصابته أثناء مشاركته فى مظاهرات الطلاب التى بدأت يوم ١٣ نوفمبر طلبا للاستقلال التام لمصر من الاحتلال الإنجليزى.

فى تفاصيل الحدث، وكما يأتى فى كتاب «نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦» لمؤلفه «محمد عبد الرحمن حسين»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، كان طلاب الجامعة فى مظاهرة سلمية وما كادوا يعبرون كوبرى عباس حتى واجهتهم قوة من الكونستبلات الإنجليز بالمدافع الرشاشة، وأطلق الضابط الإنجليزى «ليز» أربع رصاصات على طالب كلية الزراعة «محمد عبد المجيد مرسى»، وما كاد الدم ينزف منه حتى أخرج من جيبه منديلا وبلَّله بدمه ثم

سلمه إلى أحد زملائه قائلا: «تذكروا هذه الدماء»، فحمله زملاؤه على عربة كارُّو إلى مستشفى قصر العينى، وحين التف الأطباء والممرضات حول الجثة لفحصها، وفور كشف الغطاء عن الوجه، دوت صرخة مدوية من ممرضة هزت أرجاء المستشفى، كانت من الآنسة «إحسان عبد المجيد مرسى» شقيقة الشهيد.

كانت روح الشهيد محمد عبد المجيد ترفرف على باقى الطلاب المتظاهرين، مصممين على حمل أرواحهم على أكُفِّهم.

تقدم «الجراحى» ليواجه الضابط القاتل «ليز»: «أمِن الشجاعة أن تضرب شابا أعزل فتقتله، هو أقوى منك ومن سلاحك؟».

رد ليز مهددا: «أتود أن تلحق به؟»، ففتح الجراحى صدره: «لسنا جبناء مثلكم»، فأطلق الضابط الرصاص عليه، ليسقط على بعد خطوات ودقائق من مكان زميله «عبد المجيد».

فى مستشفى قصر العينى وبينما هو يصارع الموت كتب رسالته إلى رئيس الوزراء البريطانى ليتركها وصية للأجيال اللاحقة، وشهادة على الدماء التى تسيل من أجل مصر.

لم يفارق الطلبة الجثة خوفا من تهريبها، وفى كتاب «الطلبة والحركة الوطنية فى مصر»، يقول مؤلفه الدكتور عاصم محروس عبد المطلب، إن جنازة «الجراحى» بدأت فى الساعة الثالثة يوم ١٩ نوفمبر وحضرها نحو ٥ آلاف يتقدمهم رؤساء الأحزاب، النحاس وصدقى ومحمد محمود وغيرهم والهيئات المختلفة والطلبة بأعلامهم بهتافات: «يسقط الاستعمار»، «مصر فوق الجميع».

كانت النوافذ مفتوحة يطل منها الناس على الجنازة والبكاء يسيل، والهتافات تعلو: «إلى جنة الخلد يا عبدالحيكم»، «اخلِك الظلم إلى سعد العظيم»، وأثناء مرور الجنازة أمام المدرسة السَّنية كانت الطالبات فى انتظارها يهتفن أيضا، وفى المساء شارك «النحاس باشا» و«مكرم عبيد» فى المأتم، وخطب النحاس فى الحاضرين ليتوجه الطلاب بعدها إلى «بيت الأمة».

٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٧
السادات يخطب فى الكنيست..
والملك خالد يدعو عليه أثناء غسل الكعبة

«سنفعل كل ما فى وسعنا ليخرج السادات مبسوطا من إسرائيل، حاكم دولة تجاربنا يأتى إلينا أمر جيد، هذا الأمر نادر، ويجب أن نقلب فى الصفحات القديمة لنبحث عن الأمر»، هكذا تحدث مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل أمام لجنة الخارجية والأمن فى الكنيست الإسرائيلى قبل ساعات من زيارة الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل «١٩ نوفمبر ١٩٧٧».

طبقا للوثائق الإسرائيلية التى أزيحت السرية عنها، وتم نشرها فى الصحف الإسرائيلية والمصرية فى نوفمبر ٢٠١٢، فإن جلسة الحكومة الإسرائيلية المنعقدة قبل ساعات معدودة من خطاب السادات فى الكنيست، فى مثل هذا اليوم «٢٠ نوفمبر ١٩٧٧» شهدت سؤالاً لـ«بيجن»:

هل أحضرت هدية للرئيس السادات؟.

أجاب: «لدىَّ هديتان، الأولى من فترة الآباء فى إسرائيل، وكتبت عليها: إلى الرئيس المصرى، ضيفنا العظيم من فترة الآباء، آبائنا المشتركين، أما الهدية الثانية فهى من عصر آبائنا المكابيين، وبالطبع فإن الإشارة واضحة».

كانت ردود الفعل العربية عنيفة على الزيارة التى وافقت يوم «وقفة عرفات»، لكن الأكثر إثارة ما يذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «خريف

الغضب»، نقلا عن العاهل السعودى الملك خالد بن عبد العزيز، الذى عبر عن أساه قائلا: «يومها كنت ذاهبا لأغسل الكعبة الشريفة فى وقفة عرفات، ودخلت البيت العتيق، ولم أتعود فى بيت الله أن أدعو على أحد، وإنما تعودت أن أدعو لكثيرين، وعلى الرغم منى فى ذلك، فقد وجدتنى أبتهل إلى الله بأن تسقط الطائرة التى تقل السادات إلى القدس وتتحطم قبل أن يصل إليها، حتى لا يفضح المسلمين والعرب بذهابه هناك، ولقد راعنى أن أدعو على مسلم داخل الكعبة، لكن الرجل لم يترك لى خيارا».

حضر خطاب السادات نواب الكنيست، والسفراء الأجانب، وطاقم الحكومة الإسرائيلية، وقيادات الأحزاب، تحدث السادات فى الخطاب عن الصراع العربى الإسرائيلى، وصك فيه ما رآه بأن «الحاجز النفسى» هو الذى يقف عائقا بين العرب وإسرائيل، وأشار إلى أنه لم يقم بالزيارة كى يعقد صلحا منفردا، غير أنه ذكر معلومة فى الخطاب تمثل نقطة بالغة الأهمية فى رصد نهجه المبكر للسلام مع إسرائيل، حيث قال: «أعلنت من قبل ومنذ أعوام وبالتحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١، أننى مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع إسرائيل، وكان هذا أول إعلان يصدر عن مسئول عربى منذ أن بدأ الصراع العربى الإسرائيلى».

فى شهادته على العصر لقناة «الجزيرة» يذكر الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية الذى كان ضمن الوفد المصاحب للسادات، أنه كتب خطاب السادات، لكنه فوجئ بخطاب آخر يلقيه، ويؤكد إسماعيل فهمى وزير الخارجية فى مذكراته، أنه قبل أن يقدم استقالته احتجاجا على الزيارة، طلب منه السادات أن يكتب الخطاب لكنه رفض، وقيل إن الصحفى موسى صبرى هو الذى كتب الخطاب.

وضمن ما تذكره الوثائق الإسرائيلية، أن «إيجال آيادين» نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى التقى رئيس الوزراء مصطفى خليل، حيث قال له «خليل»: «إذا كان لديك الوقت فلتحضر معك وزير الدفاع، واصعد معه إلى غرفتى لنحتسى الويسكى»، وفى الغرفة استمرت المحادثات ثلاث ساعات ونصف الساعة.

٢١ نوفمبر عام ١٩١٩
كاتدرائية الأقباط الأرثوذكس تزدحم بألفَىْ مسيحى
لرفض ترشيح المسيحى «يوسف وهبة» رئيسًا للوزراء

الوقت صباحا، وكاتدرائية الأقباط الأرثوذكس مزدحمة بنحو ألفين من نخبة الأقباط فى مثل هذا اليوم «٢١ نوفمبر ١٩١٩».

كان الحدث كبيرا فلا مقعد خالٍ، والماشى مكتظة وذلك قبل إصدار مرسوم سلطانى بتشكيل وزارة «يوسف وهبة باشا»، التجمهر كان «قبطيا» رفضا لرئيس وزراء قبطى سيتم تعيينه خَلفًا لرئيس وزراء مسلم هو «محمد سعيد باشا»، وبالطبع فإن مصر هى الفائزة بتوحُّدها.

لم يقف رفض وقبول «يوسف وهبة باشا» على أرضية طائفية، وإنما على أرضية وطنية جامعة يتشارك فيها المسلم والمسيحى، وفى مذكرات «عبد الرحمن فهمى-يوميات فى السياسة المصرية- الجزء الثانى» دار الكتب والوثائق القومية، يتحدث عن وقائع هذا اليوم التى جاءت على خلفية استعداد الحكومة الإنجليزية لإرسال لجنة برئاسة «اللورد ملنر» إلى مصر لدراسة الحالة وأسباب ثورة الشعب المصرى (ثورة ١٩١٩)، واقتراح النظام الذى تراه ملائما لمصر فى ظل الحماية البريطانية، ورأت القوى الوطنية مقاطعة اللجنة، ولما قامت «دار الحماية» يوم ١٥ نوفمبر بالإعلان عن قدوم اللجنة، تقدم محمد سعيد باشا باستقالة حكومته، فقرر السلطان فؤاد إسناد تشكيل الوزارة إلى يوسف وهبة، ليكون الغضب عظيما بين المصريين، وحسب فهمى: «كان الأشد استياء الأقباط أنفسهم».

فى وصف المشهد بالكاتدرائية، يقول «فهمى» المشهور تاريخيا بأنه «القائد التنظيمى السرى لثورة ١٩»: رأس الاحتفال حضرة القُمُّص باسليوس وكيل البطريركية، وافتتحه الآباء القسوس بصلاة شكر وكان شماسة الكنيسة واقفين بملابسهم الرسمية يحملون الشموع فشاركوا الآباء القسوس بترنيم بعض الأناشيد الدينية، ثم نهض حضرة القمص سلامة منصور رئيس المجلس المِلّى بالقاهرة وبارك الحاضرين ودعا لهم بالنجاح فى مقاصدهم الوطنية، ثم دعا الخطباء فتقدمهم حضرة توفيق أفندى حبيب، محرر جريدة الأخبار وألقى كلمته، ومما جاء فيها: «ليعلن هذا الجمع براءته ممن سلم مفتاح الحصن وليعلن بلسان خطبائه أن المصريين كلهم يد واحدة ينشدون الحق وللحق قوة لا تصرع مهما بُذل فى إخماد نوره».

توالى الخطباء حتى كانت الخطبة الأخيرة لـ«القمص مرقس سرجيوس» وقوبلت بعاصفة قوية من التصفيق، وكان اكتسب شهرة واسعة نتيجة خطبه الثورية التى كانت تلقى فى الأزهر.

ويقول فهمى: «كان فى الكنيسة منضدتان أُعدت عليهما أدوات الكتابة وصورة بيان احتجاج عنوانه: (إلى الأمة المصرية)، فوقَّع عليه الحاضرون وهم خارجون كلٌّ بإمضائه، واتفق الحاضرون على إرسال تلغراف بتوقيع رئيس الاجتماع حضرة القمص باسيلوس وكيل الدار البطريركية»، ونص على:

«حضرة صاحب المعالى يوسف وهبة باشا.. الطائفة القبطية المجتمع منها ما يربو على الألفين فى الكنيسة الكبرى تحتج بشدة على إشاعة قبولكم الوزارة، إذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر، وهذا يخالف ما أجمعت عليه الأمة المصرية من طلب الاستقلال التام، ومقاطعة اللجنة»، وكان هناك نص آخر وقع عليه بعض البارزين والمفكرين من الأقباط موجها إلى الأمة المصرية، ومما جاء فيه: «لا فرق بين مسلم وقبطى، بل المصريون كلهم شخص واحد، ولكن الأقباط يرون أنفسهم مضطرين إلى أن يتقدموا بصفتهم أقباطا لإظهار شعورهم حيال هذا الحادث».

٢٢ نوفمبر عام ١٢٤٩
«شجر الدر» تدير شئون الحكم طمعًا فى «السلطنة» والمظاهرات تندلع اعتراضًا

«امـرأة صعبـة الخلـق، شـديدة الغـيرة، ذات شـهامة زائـدة، وحرمـة وافـرة، سـكرانة مـن خمـر التِّيـه والعجـب»، هكـذا يصـف «المقريـزى» شـخصية «شـجر الـدر» وكان معـاصرا لهـا.

هـى إمـرأة تحفـظ كتـب التاريـخ سـيرتها بوصفهـا الملكـة التـى حكمـت ٨٠ يومـا، وكان طموحهـا «سـباحة ضـد التيـار» بحسـب تعبـير المـؤرخ الدكتـور قاسـم عبده قاسـم فى كتابـه «عـصر سـلاطين المماليـك- التاريـخ السياسـى والاجتماعـى- دار العـين، القاهـرة».

هـى جاريـة تركيـة، وقيـل إنهـا أرمنيـة، اشـتراها السـلطان الأيوبـى «الصالـح نجـم الديـن أيـوب» ثـم أعتقهـا وتزوجهـا، وبـدأت طريقهـا إلى السـلطة مـن وفـاة زوجهـا فى مثـل هـذا اليـوم «٢٢ نوفمـبر ١٢٤٩» أثنـاء مواجهـة الحملـة الصليبيـة السـابعة، ويقـول قاسـم: يبـدو أن السـلطان كان قـد رتـب أمـور الحكـم مـع زوجتـه قبـل وفاتـه، فتولـت ترتيـب أمـور الدولـة، وإدارة شـئون الجيـش فى ميـدان القتـال ضـد الصليبيـين، وأخفـت نبـأ مـوت السـلطان، وأعلنـت أن الأطبـاء منعـوا زيارتـه، وفى الوقـت نفسـه أرسـلت إلى ابنـه «تـوران شـاه» تحثُّـه عـلى مغـادرة حصـن كيفـا بالقـرب مـن حـدود العـراق، وسرعـة القـدوم إلى مـصر كـى يعتـلى عـرش السـلطنة.

أعد «بيبرس» خطة مواجهة الصليبيين ووافقت «شجر الدر» عليها وقاد تنفيذها، وانتهت بهزيمة قوية لـ«الفرنج»، وأُسر الملك «لويس التاسع» الذى كان على رأس حملة الصليبيين، وتم نقله سجينا فى «دار ابن لقمان»، وأسفرت المفاوضات النهائية عن الإفراج عنه مقابل فدية مالية كبيرة وجلاء الفرنج عن مصر.

بينما كانت الحرب فى الطريق إلى قول كلمتها الأخيرة، بدأت قصة الصراع على الحكم، فاتفقت «شجر الدر» مع زعماء المماليك على التخلص من «توران شاه» الذى كان موجودا فى الخيمة السلطانية فى فارسكور، وتلقى ضربة سيف من «بيبرس»، فجرى ليحتمى ببرج خشبى، فأضرم المتآمرون النار فيه، فنزل يجرى صوب النهر لكن السهام لاحقته من كل جانب فرمى نفسه فى النيل، ولخص المقريزى طريقة موته بقوله: «مات جريحا غريقا محترقا».

التخلص من «توران شاه» قاد إلى اختيار المماليك «شجر الدر» للجلوس على عرش السلطنة كخطوة انتقالية تمهد لتأسيس دولتهم، وأخذت تتقرب إلى الخاصة والعامة من أهل الحكم والرعية، لكن هل نفع كل ذلك؟ هل كان من المعقول أن تحكم مصر امرأة فى هذا التوقيت؟

«جلوس امرأة على العرش كان يناقض الثقافة السائدة»، هكذا يجزم الدكتور قاسم عبده قاسم: «خرجت المظاهرات، واستشرت الاضطرابات فى العاصمة، مما اضطر السلطات إلى إغلاق بوابات القاهرة منعا لامتداد الحالة إلى الريف، وتألفت رسائل حول الكوارث والمصائب التى يمكن أن تحل بالمسلمين إذا حكمتهم امرأة».

عاصفة الغضب امتدت إلى الخليفة العباسى «المستعصم بالله» الذى كان شرعيا هو الذى يقرر شخصية الحاكم، لأنه «خليفة المسلمين»، كان هناك طلب أمامه عليه أن يرد عليه وهو تفويض سيوقّع عليه كى يعطى المساندة الشرعية لـ«سيدة الحكم» الجديدة لكنه قال: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسيّر إليكم رجلا»، وأمام هذا الحصار الذى استمر ٨٠ يوما تنازلت «شجر الدر» عن الحكم لواحد من أمراء المماليك هو «عز الدين أيبك».

٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧
عبدالناصر فى أكبر عملية نقد ذاتى: فيه مراكز قوى اتكونت وكنا بنقبل الحلول الوسط

«أنا شفت الجوابات فى الفترة اللى فاتت، وأنا باستمرار فى كلامى يمكن كنت باستشهد بالجوابات، فيه ملاحظة لاحظتها فى الشهور اللى فاتت، أنا ما لاحظتش اليأس، يمكن فيه نقمة، فيه غضب، ناس زعلانة، وفيه أيضا مستوى عالى من نقد الغير فى المصانع والمؤسسات، والمصالح والمواقع المختلفة، طبعا عدد كبير من هذه الجوابات، ولو أن باقراها، ولكنها جوابات بدون إمضاء، كل واحد مش عاجبه حاجة أو زعلان مع واحد أو متضايق من واحد كتب فيه، طبعا أنا لا أستطيع أن أتصرف فى هذه المواضيع على أنها قضية مطلقة، ولكن أنا فى هذا باقول إن أنا بحاول أتحرى».

الكلمات السابقة من خطاب جمال عبدالناصر أمام مجلس الأمة «البرلمان» فى افتتاحه مثل هذا اليوم «٢٣ نوفمبر ١٩٦٧»، وتكمن أهميته فى أنه جاء بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧ وتوابعها الهائلة على كل المستويات، ونوَّه فى بدايته إلى أنه لن يتحدث من نص مكتوب بالكامل قائلا: «نوع الحديث الذى نحتاج إليه اليوم هو حديث القلب للقلب، وهو حديث لا بد له أن يكون مفتوحا وطليقا، لا تحده قيود النصوص الرسمية، ولا تحبسه الألفاظ المقررة سلفا، والعبارة المكتوبة من قبل مناسبتها».

جاء الخطاب خليطا بين الفصحى والعامية، لكنه كان نموذجا فى النقد الذاتى الذى يقدمه الرئيس، ومن اللافت فى الخطاب إشارة «عبد الناصر» فى أكثر من موضع إلى أنه يتحدث اعتمادا على الخطابات التى تصله من المصريين.

اعترف مثلا بوجود «مراكز قُوى»، مشيرا إلى أنه حاول التغلب عليها منذ ١٩٦٢ بتكوين «مجلس رئاسى» لكن لم يحدث، واعترف بأنه فى هذا الأمر لجأ إلى الحلول الوسط: «كنا فى كثير من الأمور بتكون الحلول الوسط هى الحلول التى تمكِّن من السير بسلام، وتجنب اصطدامات قد تكون لها أضرار بليغة، أما بعد عودتى يوم ١٠ يونيه (١٩٦٧) مش حاقبل حلول وسط».

فى الإجراءات التى تحدث عنها من أجل الإصلاح قال: «بدلات كثيرة أُلغيت أو خفضت، وفيه امتيازات ألغيت، وفيه ضرايب زيدت بالنسبة للشرائح الكبيرة»، وأضاف: «أنا باقول قانون «من أين لك هذا؟» لابد أن يطبق، ونعرف بالنسبة إلى كل الناس اللى خدموا من سنة ٥٢ لغاية النهارده عندهم إيه، من أول رئيس الجمهورية».

تحدث «عبدالناصر» عن ملف المعتقلين من جماعة الإخوان فقال: «مش هيفضل من المعتقلين إلا الناس اللى كانوا أعضاء فى الجهاز السرى والتنظيمات السرية المسلحة، وهؤلاء الناس كان عليهم أحكام، وأنا فى سنة ١٩٦٤ إديتهم عفو وشلت عنهم هذه الأحكام، إما عفو صحى إما عفو كامل، وعملنا لهم قانون بأنهم يرجعوا إلى وظائفهم، ونتج بعد كده بسنتين من ١٩٦٤ عمليات إرهابية، وده خلانا نمسك كل الناس اللى مشتركين فى تنظيمات إرهابية مسلحة أو حكم عليهم فى السابق وأفرجنا عنهم فى السابق، هؤلاء الناس بنفرج عنهم بالتدريج، وعددهم مش بالعدد الكبير، عددهم أقل من ألف».

٢٤ نوفمبر عام ١٩٢٥
احتلال جمرك إسكندرية واستقالة حكومة سعد زغلول

كانـوا سـتة أشـخاص، ثلاثـة لإطـلاق النـار، اثنـان للمراقبـة، واحـد لقيـادة سـيارة تكـون مهمتـه التقـاط زملائـه والهـرب بهـم، بعـد تنفيـذ اغتيـال السـردار الإنجليـزى، لسـير لى اسـتاك، سردار الجيـش المـصرى وحاكـم السـودان، كان الهـدف ثمينـا بحسـب مـا رأى المنفـذون، ردا عـلى سياسـة الاحتـلال الإنجليـزى لمـصر، ومنهـا ازديـاد عـدد المعتقلـين الوطنيـين والإفـراط فى تعذيبهـم، وأدى ذلـك إلى تكويـن الجمعيـات السريـة الوطنيـة التـى طـاردت الاسـتعمار ورجالـه، ومـن أبرزهـا الجمعيـة التـى كونهـا شـباب الحـزب الوطنـى عـام ١٩٠٦، وكان مـن أعضائهـا «إبراهيـم ناصـف الوردانـى، محمـود عنايـت، خليـل مدكـور سـكرتير الزعيـم محمـد فريـد».

اتخـذت هـذه الجمعيـة الاغتيـالات نهجـا، ونفـذت أولى عملياتهـا باغتيـال بطـرس غـالى رئيـس الحكومـة عـام ١٩٢٠، وحاولـت اغتيـال الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى أثنـاء زيارتـه الآسـتانة عـام ١٩٢١، واعتـدت عـلى السـلطان حسـين كامـل مرتـين فى القاهـرة بميـدان عابديـن والإسـكندرية، واغتالـت المسـتر بـراون المراقـب العـام لـوزارة المعـارف، والمسـتر كيـف وكيـل حكمـدار القاهـرة الـذى اشـتهر بتعذيـب المعتقلـين، لحـد إجبـاره لهـم بـأكل روث الخيـول كـما يأتـى فى كتـاب «نضـال شـعب مـصر١٧٩٨ - ١٩٥٦» تأليـف محمـد عبـد الرحمـن حسـين، واغتيـال المسـتر بيجـوت مدير ماليـة الجيـش الإنجليـزى، والمسـتر بسـون

الإنجليزى المتعصب، وكان مدرسا فى مدرسة الحقوق، هذا بخلاف اغتيالات لضباط وجنود إنجليز آخرين.

اكتنف الغموض هذه الحوادث، حتى جاء السير «لى ستاك» من السودان إلى القاهرة، فتمت مراقبته لعدة أيام من منزله بالزمالك إلى مكتبه بوزارة الحربية، وفى تمام الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ نزل الرصاص كالمطر على سيارته ليقع قتيلا، وضمت المجموعة المنفذة، عبد الفتاح عنايت الطالب بالحقوق، وأخاه عبد الحميد الطالب بـ«المعلمين العليا»، وإبراهيم موسى، وراغب حسين الموظف بالأوقاف، ومحمود راشد مهندس التنظيم، ومحمود إسماعيل.

تفرقت المجموعة، لكن الاحتلال انتهز الفرصة فتوجه اللورد أللنبى المندوب السامى صباح ٢٢ نوفمبر فى مظاهرة عسكرية ضخمة إلى مجلس الوزراء، ووجَّه إلى رئيسه سعد باشا زغلول إنذارين باللغة الإنجليزية تلاهما المندوب السامى وهو واقف ثم عاد إلى مكتبه دون أن ينتظر أى رد، وحسب ما يذكره كتاب «نضال شعب مصر»: «انتهى الإنذاران بتهديد الحكومة بأنها إذا لم تُلبِّ هذه المطالب فى الحال، فإن إنجلترا ستتخذ على الفور التدابير اللازمة لمناسبة صيانة مصالحها فى مصر والسودان، ورفضت الحكومة الإنذارين إلا فيما يختص بالتعويض والقبض على الجناة، وترتب على هذا الرفض احتلال الإنجليز لجمرك إسكندرية فى مثل هذا اليوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤، مما أدى إلى استقالة الحكومة فى اليوم نفسه.

أعلن الاحتلال مكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يدلى بمعلومات عن «المتهمين»، فتقدم «نجيب الهلباوى» صديق الأخوين «عنايت» كشاهد مالك مما أكسبه وصف «الخائن»، ويقول عنه فتحى رضوان فى كتابه «نصف قرن بين السياسة والأدب»: «كان متهما من قبل، متهما فى جناية الشروع فى قتل السلطان حسين كامل»، وتم القبض على المجموعة، وتعرضوا لتعذيب بشع، ثم قُدموا إلى المحاكمة لتقضى فى اليوم السابع من شهر يوليو ١٩٢٥ بإعدام خمسة من المجموعة، والأشغال الشاقة المؤبدة على عبد الفتاح عنايت.

٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٦
جدل حول قول النواب للخديو إسماعيل : «نحن عبيد أفندينا»

مما يُروى أن الخديو إسماعيل أراد أن يضع نظاما لجلوس نواب مجلس شورى النواب الذى أسَّسه، فقال إن العادة جرت فى البرلمانات الأوروبية بأن يجلس مؤيدو الحكومة فى مقاعد اليمين، ومعارضوها فى مقاعد الشمال، فما كان من الأعضاء جميعا إلا أن انتقلوا فى مقاعد اليمين وقالوا: «نحن عبيد أفندينا».

شاعت هذه القصة عن مجلس شورى النواب الذى بدأت أعماله فى مثل هذا اليوم «٢٥ نوفمبر ١٨٦٦» نقلاً عن كُتَّاب أوروبيين، ونسبها بعضهم إلى «شريف باشا» رئيس الحكومة، لكن «عبد القادر حمزة» ينفى هذه القصة فى مقدمته التمهيدية لكتاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر»، تأليف «بلنت» ومراجعة «الشيخ محمد عبده»، قائلا:

«هذه الرواية مكذوبة لأنها لا تستند إلا إلى دعاوى أولئك الأجانب، وكان للمصريين فى هذا العالم أعداء طبيعيون، هم المرابون والأفاقون الذين يسرهم أن تذاع عن الأمة المصرية كل النقائص، ليعاونوا إسماعيل على ضغطها بيديه فيبقى لهم الخير الذى تدرُّه عليهم أصابعه».

وضع «إسماعيل» لائحتين للمجلس نشرهما «بلنت» فى كتابه كاملتين، ويضع «عبد الرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر إسماعيل» تقييما لهما يقودنا إلى فهم شامل لدور «شورى النواب»؛ قائلا: «المجلس لم تكن له سلطة قطعية

فى أى أمر من الأمور، وهو وإن كان يُصْدر قرارات فيها يعرض عليه من الشئون، إلا أن هذه القرارات لا تعدو أن تكون «رغبات» ترفع إلى الخديو، وله فيها القول الفصل».

لم يحق لجموع المصريين انتخاب نواب هذا المجلس البالغ أعضاؤه ٧٥، فالتصويت اقتصر على عُمَد البلاد ومشايخهم فى المديريات، وجماعة الأعيان فى القاهرة والإسكندرية ودمياط، ويتقرر عدد نواب كل مديرية حسب التعداد، فيُنتخب واحد أو اثنان عن كل قسم من أقسام المديرية بحسب كبر القسم وصغره، وينتخب ثلاثة نواب عن القاهرة واثنان عن الإسكندرية، وواحد عن دمياط، وشملت الشروط ألا يقل عمر «النائب» عن ٢٥ عاما، وأن يكون ملما بالقراءة والكتابة فى «الانتخاب السابع» أى بعد ١٨ عاما من تاريخ الانتخاب الأول، فيما يعنى إعفاء المرشحين من شرط القراءة والكتابة ستة انتخابات متتالية، والتى تتم كل ثلاث سنوات، ويشير «الرافعى» إلى أن هذا الشرط كان يعنى اعتزام القضاء على الأمية وقت حلول موعد «الانتخاب السابع».

تحدث الخديو إسماعيل فى افتتاح المجلس طالبا أن «تتذاكر فيه المنافع الداخلية وتبدى به الآراء السديدة»، ووافق يوم الافتتاح عيد ميلاد «الخديو»، فأعلن رئيس المجلس «إسماعيل راغب باشا»: «هذا يوم عيد يجب عدم الاشتغال فيه»، فوافق الأعضاء، ثم انتخبوا من بينهم لجنة تتولى تقديم الجواب على خطبة العرش، وفى اليوم التالى ذهب أعضاء اللجنة بملابسهم الرسمية إلى السراى الخديوية وقدموا «الجواب».

فى كتابه «تاريخ الفكر المصرى الحديث الجزء الثانى، ١٩٨٣» يذكر الدكتور لويس عوض، أن اللجنة التى وضعت الرد على خطاب العرش، كانت مكونة من عشرة أعضاء، هم: أتربى أبو العز، من محافظة الغربية، هلال بك من الدقهلية، محمد أفندى عفيفى من الشرقية، محمد أفندى شعير من المنوفية، الشيخ محمد الصيرفى من البحيرة، سليمان أفندى عبد العال من أسيوط، إبراهيم الشريعى من المنيا، عمر أفندى أبو يحيى من قنا، حسن أفندى شعراوى من المنيا، الشيخ على سيد أحمد من الفيوم.

٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٠
الجندى أيمن حسن يقتل ٢١ ضابطًا وجنديًا إسرائيليًا فى ٢٠ دقيقة

«أتمنى تنشروا الرسومات دى، هى يعنى محاولة منى، الرسم والكاريكاتير من هواياتى، بس ممكن يبقى الموضوع على قدى شوية».

كان الجندى «أيمن حسن» يحدثنى بهذه الكلمات، وهو يمدنى بقصاصات من الورق أنا وصديقى الكاتب والناقد والمحافظ الراحل الدكتور عزازى على عزازى، كانت تحتوى على رسوم، وكتابات تلقائية عن نفسه وبلده والجندى سليمان خاطر وأحمد عرابى أبناء محافظته، محافظة الشرقية، وحدث ذلك أثناء متابعتنا محاكمته فى المنطقة العسكرية بالسويس، لاتهامه بقتل ٢١ ضابطا وجنديا إسرائيليا وإصابة ٢١ آخرين فى عملية نوعية كبيرة، وتظل هى الأكبر منذ توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩.

كان أيمن يبلغ من العمر ٢٣ عاما (مواليد ١٣ نوفمبر ١٩٦٧) حين أقدم فى مثل هذا اليوم «٢٦ نوفمبر ١٩٩٠»، على عمليته التى أذهلت الجميع فى مستوى تنفيذها، ودقة أهدافها، وقدرته الفردية دون مساعدة أحد.

كان يفصل «أيمن» عن انتهاء خدمته العسكرية شهران فقط، لكن لم يكن يفصله شىء عن مخزون كراهيته لإسرائيل، ولم يُطِقْ أن يرى جنودها أمامه أثناء جنديته على الحدود مع الأرض الفلسطينية التى تحتلها، وبلغ غضبه مبلغه حين شاهد أثناء تأدية «نوبتجية» جنديا إسرائيليا يمسح حذاءه بعلم

مصر، وفى مرة ثانية رأى نفس الجندى يفترش العلم، ويمارس عليه أفعالا غير أخلاقية مع مجندة إسرائيلية.

قرر أيمن الانتقام بقتل هذا الجندى، لكن حدثت مذبحة الأقصى التى قتلت فيها إسرائيل عشرات الفلسطينيين، فصمم على أن يوسع عمليته، لتكون ثأرية بحق، فتدرب ٤٦ يوما دون أن يعرف أحد ما ينتوى فعله، وفى يوم العملية جمع أكبر عدد من الأسلحة والذخيرة من داخل الوحدة، يقول أيمن: «عبرت الحدود، توغلت خمسة كيلومترات، وهاجمت سيارة إسرائيلية محملة بالإمداد والغذاء ثم سيارة چيب تابعة للمخابرات الإسرائيلية، وبعدها أتوبيسا به عمال وعميد من مفاعل ديمونة النووى، واستمرت العملية لمدة ثلث ساعة تقريبا، وكان ضمن القتلى الجندى الذى دنس العلم المصرى من قبل».

يتذكر «أيمن» أن رئيس المنطقة العسكرية «ج» واسمه اللواء عبد الحميد رفض تسليمه لقوات حفظ السلام، وكان رئيسها ينوى تسليمه إلى إسرائيل، أما وزير الدفاع الفريق يوسف صبرى أبوطالب فأعطى أوامره المشددة بعدم اتخاذ أى إجراءات إلا بعلمه، وعندما طلبت المحكمة تقريرا طبيا عن حالته، احتوى التقرير على أن هناك قصورا فى خلايا المخ، فيما يعنى مرضه نفسيا، ويؤكد أيمن أن هذا هو الذى أنقذه من حبل المشنقة.

بدأت المحاكمة العسكرية من منتصف ديسمبر ١٩٩٠، واستمرت نحو ٥ أشهر، وكنت أشاهد والديه يواظبان على حضور الجلسات، وحسن المعاملة من الضباط له وللحاضرين، وفى إحدى الجلسات قلت له: «صدفة غريبة، أن تكون أنت وسليمان خاطر من محافظة واحدة»، والمعروف أن سليمان نفذ عملية مماثلة وإن كان عدد القتلى أقل وذلك أثناء تأدية خدمته الليلية، فرد أيمن: «سليمان لم يغب عنى لحظة واحدة وأنا أنفذ عمليتى» وفى يوم ٦ أبريل ١٩٩١، قضت المحكمة بسجن أيمن ١٢ عاما، وخرج من السجن عام ٢٠٠٠.

٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥
الآلاف يستمعون تحت البرد إلى دعوة البابا
«أوربان الثانى» للحملة الصليبية الأولى

كان البرد شديدا، لكن الآلاف من أنحاء أوروبا زحفوا، أقاموا خيامهم فى العراء، امتلأت قلوبهم بالحماسة، وفى وسط هذا الحشد اعتلى البابا «أوربان الثانى» منصة، وخطب فيهم خطابا، يصفه دكتور محمد سعيد عمران فى كتابه «تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ - ١٢٩١» بـ«أقوى الخطب شهرة فى تاريخ العصور الوسطى»، ويقول الدكتور قاسم عبده قاسم فى كتابه «الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية»: «محور الخطبة كان هو تحرير القدس» وبها انطلقت الحملة الصليبية الأولى، وفى التفاصيل نحن أمام حالة تصل إلى حد التطابق مع الحالة الصهيونية التى اغتصبت فلسطين وشردت شعبها.

خطب البابا: «يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من بلاد فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباء محزنة، تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى فى تلك البلاد، بلاد المسيحيين، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب والحرائق، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر، بعد أن عذبوهم، وهم يهدمون المذابح فى الكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم».

أضــاف: «هــذه الأرض التــى تســكنونها الآن، والتــى تحيــط البحــار وقمــم الجبــال بجميــع جوانبهــا، ضيقــة لا تتســع لســكانها الكثيريــن، ومــن أجــل هــذا يذبــح بعضكــم بعضــا، وتتحاربــون، ويهلــك الكثــيرون منكــم فى الحــروب الأهليــة، طهــروا قلوبكــم مــن الحقــد، واقضــوا عــلى مــا بينكــم مــن خصــام، واتخــذوا طريقكــم إلى الضريــح المقــدس، وانتزعــوا هــذه الأرض مــن ذلــك الجنــس الخبيــث، وتملّكوهــا أنتــم، إن القــدس أرض لا نظــير لهــا فى ثمارهــا، هــى فــردوس المباهــج، إن المدينــة العظمــى القائمــة فى وســط العــالم تســتغيث بكــم فهبــوا لإنقاذهــا».

جــاءت خطبــة «البابــا» فى مدينــة «كليرمونــت» بفرنســا فى مثــل هــذا اليــوم «٢٧ نوفمــبر ١٠٩٥»، أثنــاء اجتــماع المجلــس الدينــى لمناقشــة فكــرة الحركــة الصليبيــة التــى دعــا البابــا إليهــا، لتنفيــذ مزاعمــه بـ«إنقــاذ بيــت المقــدس وتحريــر قــبر المســيح مــن نــير الإســلام»، وفيــما كان يفعــل ذلــك كان ملــك فرنســا «فيليــب الثانــى» يعيــش حيــاة الخطيئــة مــع امــرأة رجــل آخــر عــلى الرغــم مــن تحريــم الكنيســة، فى فضيحــة عُــدت مــن أكــبر فضائــح العــالم المســيحى وقتئــذ، وفقــا لمــا يذكــره المــؤرخ الصهيونــى «يوشــع بــراور» فى كتابــه «عــالم الصليبيــين»، ترجمــة وتعليــق الدكتــور قاســم عبــده قاســم، والدكتــور محمــد خليفــة حســن.

ألهــب البابــا حمــاس المحتشــدين، وانطلقــت أصواتهــم: «تلــك إرادة الله»، فدعاهــم لأن يجعلــوه نداءهــم فى الحــرب، وأمــر الذاهبــين إلى الحــرب الصليبيــة بوضــع علامــة الصليــب عــلى جباههــم أو صدورهــم، وخــرج بعــض النبــلاء راكعــين بــين يديــه، ووهبــوا أموالهــم وأنفســهم لله، وحــذا حذوهــم الآلاف مــن العامــة، وخــرج الرهبــان والنســاك مــن صوامعهــم ليكونــوا جنــود الســيد المســيح بـ«المعنــى الحــرفى لهــذا اللفــظ».

بعــد خطبــة «البابــا»، وحســب قــول «عمــران»: «تجمعــت أعــداد لا حــصر لهــا تحــت لــواء الحــرب تدفعهــا مغريــات كثــيرة، منهــا أن كل مــن يقتــل فى الحــرب تغفــر لــه جميــع ذنوبــه، وأطلــق البابــا سراح المســجونين وخفــف أحــكام الإعــدام عــن المحكــوم عليهــم إذا خدمــوا طــوال حياتهــم فى فلســطين».

٢٨ نوفمبر عام ١٩٥٥
السادات يكتب عن قصته مع التمثيل وتقدُّمه إلى مسابقة دعت إليها «عزيزة أمير»

«قوامى نحيل، وجسمى ممشوق، وتقاطيعى متناسقة، إننى لست أبيض، ولكننى أيضا لست أسود، إن وجهى أسمر ولكنها سُمْرة مشرَّبة بالحمرة»، توقيع «أنور السادات».

هذه الكلمات قصة مع الرئيس الراحل أنور السادات كتبها فى مقال له بجريدة «الجمهورية» فى عددها الصادر فى مثل هذا اليوم «٢٨ نوفمبر ١٩٥٥»، وكان وقتها رئيس تحريرها، وتعود القصة إلى منتصف الثلاثينيات من القرن الماضى، حين نشرت المنتجة السينمائية «عزيزة الأمير» إعلانا تعلن فيه عن حاجتها إلى وجوه جديدة تمثل فى فيلم جديد، وطلبت أن يبعث المتقدمون صورة فوتوغرافية لهم، ثم يذهبوا إلى مقر الشركة لمعاينة أوصافهم، فكان «السادات» واحدا من المتقدمين إلى المسابقة، أما الخطاب فنشر فى مجلة «الفصول» عدد أول مايو عام ١٩٣٥.

فى روايته للقصة بمقاله بجريدة الجمهورية، كتب السادات: «منذ فجر شبابى وأنا أحس بميل شديد للفن والفنانين، ولى فى هذا المجال قصص كثيرة، ففى يوم من الأيام قرأت إعلانا تطلب فيه الفنانة عزيزة أمير وجوها جديدة لفيلمها الذى كانت تزمع عمله، وهو فيلم «تيتا ونج»، وأذكر أننى توجهت إلى مقر الشركة فى عمارة بشارع «إبراهيم باشا»، حيث جاءت الفنانة

عزيزة أمير واستعرضتنا جيئة وذهابا، وكنا أكثر من عشرين شابا انتقت منا اثنين، وطلبت من الباقين أن يرسلوا لها بصورتين إحداهما «فاس» بالمواجهة، الأخرى بالبروفيل «لقطة جانبية»، ولم يكن هذا المطلب إلا زَحْوَلة، وبعد ذلك أقلعت عن هذه الهواية، فقد دخلت الكلية الحربية وكنت دائما أحس فى نفسى بالفخر والزهو بالجندية إلى أن شاءت المقادير أن أطرد من الجيش، ولم أكن خدمت سوى أربع سنوات، واعتُقلت عقب طردى مباشرة، حيث أمضيت أكثر من سنتين ثم هربت من المعتقل».

ترك السادات حلمه فى أن يكون ممثلا فى السينما، لكنه وبنص ما كتبه فى مقاله: «كان على أن أمثل فعلا أدوارا حقيقية على مسرح الحياة، وأنا هارب حتى لا يقبض على البوليس»، ويضيف: «كان على أن أمثل كل شىء، وكل دور إلا الحقيقة، مثلت مثلا دور سائق لورى، وجلست مع السواقين فى ندواتهم، ضحكت معهم كما يضحكون، وتحدثت إليهم بما يحبون، حتى التدخين فقد كنت أدخن نفس ما يدخنون حتى السيجارة «الهوليوود»، ومثلت دور الشيال، وفى كل هذه الأدوار كنت أكيِّف نفسى حسب الدور وأعمل الماكياج اللازم، فكنت وأنا سائق أرتدى «عفريتة» والأفرول وعليه حزام، ومثلت دور مقاول من مزغونة والحوامدية، وكنت ما إن ينْتهِ عملنا عند غروب الشمس حتى أعود إلى الشقة التى كنت أستأجرها فى مزغونة، فأغتسل وأصلى ثم أنزل إلى القهوة مرتديا جلبابا بلديا فوق قفطان ومعمما بشال فوق الطاقية، حيث أحتسى الشاى والحلبة، وأدخن السجائر الهوليوود، وحيث أحلف أيضا بين فترة وأخرى أن يكون الطلب الفلانى للشلة الفلانية على حسابى».

يضيف السادات فى المقال: «إننى لا أجد نفسى حقيقة إلا فى صحبة الممثلين».

٢٩ نوفمبر عام ١٨٦٩
أول عرض فى دار الأوبرا بحضور الخديو إسماعيل وإمبراطورة فرنسا «أوجنى»

طروبا، محبا للتمتع بالملاهى والمسرات، أما المجتمع فى عصره فكان ميالا للمرح والحبور، هكذا يصف «عبدالرحمن الرافعى» فى كتابه «عصر إسماعيل- الجزء الأول» جانبا من شخصية الخديو إسماعيل، وجانبا من حال مصر فى عهده.

ومن خلال الوصفين يمكن معرفة لماذا كان «إسماعيل» مقداما على تشجيع الفن، ولماذا بنى المسرح الكوميدى بالأزبكية فى نوفمبر ١٨٦٧، واحتفل بافتتاحه يوم ٤ يناير ١٨٦٨، وكذلك بناء دار الأوبرا عام ١٨٦٩ لمناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس، وتم بناؤها فى ٥ أشهر بتكلفة بلغت ١٦٠ ألف جنيه..

فى مثل هذا اليوم «٢٩ نوفمبر ١٨٦٩»، وكما يؤكد الرافعى، تم تمثيل أول أوبرا واسمها «ريجوليتو» فى دار الأوبرا بعد تشييدها، وكانت الإمبراطورة «أوجنى» عقيلة «نابليون الثالث» إمبراطور فرنسا فى مقدمة من شاهدوها، وفيما بعد عَهِد إسماعيل إلى الموسيقىّ الإيطالى «ڤردى» أن يضع أول أوبرا مصرية تمثل بـ«الدار»، ووضع العلامة الفرنسى «ماريت باشا» موضوع الرواية، ليتم عرضها يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٧١، وتقاضى ڤردى نظير ذلك ١٥٠ ألف فرنك.

كانت الإسكندرية أيضا على موعد مع اهتمام «إسماعيل» بالفن، فأنشأ فيها مسرح «زيزينيا» ومسرحا آخر، ويروى «الرافعى» واقعة طريفة حدثت عام ١٨٧٦، بقدوم جماعة من الأدباء والممثلين السوريين منهم «يوسف الخياط» ليستقروا فى مصر ويمارسوا نشاطهم فيها، فقدموا عروضا على مسرح «زيزينيا»، وإلى القاهرة جاء يوسف خياط وفرقته عام ١٨٧٨، فلقى تعضيدا من الخديو، وأذن له أن يمثل رواياته فى دار الأوبرا، وعلى أثر ذلك قدم رواية «الظلوم» على مسرح «الأوبرا» وكان «إسماعيل» فى مقدمة الحاضرين، لكنه لم يَرُق له أسلوبها، لتخللها ذكر الظالم، والتعريض بالظالمين، فظن أنه المقصود بهذا التعريض، ولذلك أمر بإخراج «الخياط» وفرقته من مصر ليغادروها إلى سوريا، ويؤكد «الرافعى» أن النهضة التمثيلية وقفت فى عهد إسماعيل عند هذا الحد.

ويكتب «إلياس الأيوبى» فى كتابه «تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل- الجزء الأول»، تفصيلات كثيرة ومثيرة فى مسألة اهتمام «إسماعيل» بالفن والأدب، ويقدمها فى فصل كامل يرصد مجمل التحولات الاجتماعية فى هذا العصر، مشيرا إلى أنه منذ العرض الأول فى دار الأوبرا، أصبح الجمهور القاهرى، وعلى رأسه الخديو وأمراء بيته وأميراته والباشوات والأغنياء، أصبحوا يحضرون التمثيل والمعروف بـ«الميلودرام»، أى المقترن التشخيص فيه بالغناء، وأنهم أصبحوا يستقدمون سنويا جوقة أوروبية خصيصا لهذا الغرض، وينفقون عليه مبالغ طائلة تتجاوز حد المعقول، وقَدَّر بعضهم ما تم صرفه على أفراد إحدى تلك الجوقات مبلغ ١٢٠ ألف جنيه، كما أن إحدى الممثلات كانت تتقاضى أحيانا ألفًا ومائة جنيه فى الشهر خلاف الجواهر والهدايا المقدمة إليها، وكانت كل جوقة من تلك الجوقات تشمل عادة على ٨٠ راقصة معظمهن من أجمل نجوم المسارح.

٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٥
وفاة كامل الشناوى جليس الأمراء والباشوات والصعاليك .. وصانع النجوم

«لا تزال كما أنت، لست صغيرا ولا تريد أن تكون كبيرا» هكذا يلخص المفكر عباس محمود العقاد حياة وشخص كامل الشناوى، الشاعر، الكاتب، الضاحك، الساخر، عاشق الحياة، الخائف من الموت، نموذج الحب الأفلاطونى، جليس الأمراء، والباشوات والصعاليك، وكبار القوم، والفقراء، والأثرياء، الذى ولد يوم ٧ ديسمبر ١٩١٠، فى قرية «نَوسَا البحر» محافظة الدقهلية، ورحل فى مثل هذا اليوم «٣٠ نوفمبر ١٩٦٥» بالقاهرة.

٥٥ عاما عاشها «كامل الشناوى»، باحثا عن حياة يريدها لكنه لا يجدها، وخائفا من الموت حتى جاءه، وكما يقول أحد تلاميذه «يوسف الشريف» فى كتابه «صعاليك الزمن الجميل»: «رحلت شقيقته عائشة فى ريعان شبابها، وكانت- على حد قوله- على جمال ورقة وعاطفة تأسر القلوب، وهى التى أورثته الخوف من لقاء مَلَك الموت على مدى عمره كله».

عاش النهار ليلا، والليل نهارا، وهو ما يذكره الكاتب الصحفى مصطفى أمين عنه فى كتابه «شخصيات لا تنسى»: «أول من رأيت ينام فى النهار ويسهر فى الليل»، وضمن الحكايات التى رواها لى الأستاذ يوسف الشريف مؤلف كتاب «كامل الشناوى آخر ظرفاء ذلك الزمان»: كان يعود آخر الليل وحيدا إلى شقته، وكنت أصطحبه كثيرا بهدف توصيله إلى باب العمارة، وكلما كان فى

الليل بقية، إما أن أصعد معه إلى شقته، إما يبحث عن مكان نظل فيه حتى يطلع النهار».

لم يكن لديه زوجة ولا طفل، لكنه كان صانعا للنجوم وكشافا لهم وهو ما يؤكده الكاتب الصحفي صلاح حافظ: «لا أكاد أعرف أديبا أو فنانا من جيلنا غير مَدِين لكامل الشناوى»، والجيل المقصود هنا هو الذى انطلقت نجوميته فى خمسينيات وستينيات القرن الماضى.

كان فى شبابه يرتدى العمامة والجبة والقفطان، بعد أن ألحقه والده «نائب المحكمة الشرعية» بالدراسة فى الأزهر، وشغل عمه الشيخ محمد مأمون الشناوى منصب شيخ الأزهر، وهو ما يعنى أنه تربى فى بيئة دينية، غير أنه هجر كل ذلك لينتقل إلى لبس الطربوش وملابس الأفنديات، والالتحاق بالدراسة فى الحقوق، وحسبما يذكر مصطفى أمين: «كان يهرب بجسده الكبير وقفطانه ويجلس على قهوة الفن بين كبار الممثلات والنقاد والصحفيين، ثم هجر كل شىء وقرر أن يكون شاعرا، ثم قسَّم نفسه بين الشعر والصحافة».

فى هذه المسيرة كانت النكتة والمقالب بمثابة البوابة التى يخرج منها ويدخل إليها الآخرون، وفى هذا المجال هناك مئات الحكايات المتناثرة هنا وهناك، نجد القليل منها مدونا فى صفحات معدودات فى كتب لأصدقائه وتلاميذه، والكثير عبارة عن حكايات شفهية يرويها الذين عرفوه وتعاملوا معه عن قرب.

كتب أغنيات أشهرها قصيدة «لا تكذبى» بصوت نجاة وعبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب، وقصيدة «لست قلبى» وغناها عبد الحليم، و«عدت يا يوم مولدى» وغناها فريد الأطرش، وحملت قصيدة «لا تكذبى» دراما قصة حبه من طرفه فقط للفنانة نجاة التى احتفل بعيد ميلادها، ثم شاهدها مع يوسف إدريس، ومن أثر صدمته كتب القصيدة.

١ ديسمبر عام ١٨٣٧
القنصل الإنجليزى يكتب عن اصطياد جنود محمد على للعبيد فى أفريقيا

«لى الشرف أن أبلغ فخامتكم أننى لم أكد أعلم بأن جنود الباشا فى قلب أفريقيا، أى فى بلاد النوبة ودنقلة وما إليها، يُستخدمون فى جمع العبيد، وأن أجورهم تدفع من الإيراد الناتج عن بيعهم، حتى رأيت الواجب أن أسارع إلى عرض الأمر على الجانب العالى بصفة جدية».

كانت هذه الكلمات ضمن رسالة طويلة كتبها القنصل الإنجليزى العام فى مصر «باتريك كامبل» إلى وزير خارجيته «بلمرستون»، فى مثل هذا اليوم «١ ديسمبر ١٨٣٧»، وتدور حول تجارة العبيد بمصر فى عهد محمد على باشا، الذين يتم جلبهم من أفريقيا، وفى كتاب «بناء دولة مصر - محمد على» للدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين (دار الكتب والوثائق القومية)، نقرأ وقائع تفصيلية مدهشة عن هذه التجارة المأساة، مما يعطينا ضوءا كاشفا عن الجانب الآخر فى بناء هذه الدولة.

تتحدث رسالة «كامبل» أن شهود عيان، رأوا ضباط الباشا وجنوده يقومون بعمليات قنص الرقيق، وأن كثيرا من الزنوج يُقبض عليهم، ويوزعون بين الجنود، استيفاء لما قد يتأخر من رواتبهم، وأن الغزوة أسفرت فى بعض المرات عن جمع ٢٧٠٠ عبد، أُرغم عدد منهم على الانخراط فى

سلك الجيش، أما الباقون فقُسِّموا بين الضباط والجنود بأثمان محددة تبعا لمقدار المتأخر من مرتباتهم».

تشرح الرسالة حالة «محمد على» حين استمع إلى الموضوع من «كامبل»: «قال إنه يعلم أن ضباطه يمارسون تجارة الرقيق لحسابهم الخاص، وأنه لا يقر هذا التصرف»، ويؤكد كامبل، إن الباشا لم يسمع ولم يصدق أن جيشه يقنص الرقيق لتسديد المتأخر من المرتبات، ولا يدرى كيف يمكن تقسيم العبيد بين الجنود، فى حين أنه لم يكن متأخرا لأى من الجنود مبلغ يوازى ثمن عبد واحد.

ثمن «العبد» الذى أثاره «الباشا»، هو جانب من المأساة التى تشمل أيضا كيفية اصطياد العبيد، وشحنهم عبر النيل، وأسواقهم فى قنا وأسوان وفرشوط والقاهرة، أما أسيوط فكانت السوق العظمى التى تمد أسواق سوريا وتركيا، ويصف كتاب «بناء دولة محمد على» حالة هذه الأسواق: «فى كبريات المدن المصرية أسواق للرقيق، وفى الساحة الوسطى تجلس جماعات كبيرة من الرقيق الأسود، أغلبها من الأطفال، وتحيط بالساحة مساكن عادية يقيم بها الشباب وأغلبهم من النساء، أما اللواتى يصلحن للحريم من الرقيق الأبيض، فيأوين إلى مساكن خير منها، وفى الإسكندرية لا يقام السوق بصفة دائمة، وعندما يكون مغلقا يساق العبيد فى الشوارع، فيستوقفهم من يريد الشراء، ليختبرهم كما تُختبر الدواب، ويطلب إليهم أن يديروا أجسامهم مرة بعد أخرى، ويتم فحص ألسنتهم وعيونهم فحصا دقيقا، ويجذب أطرافهم فى أوضاع شتى، ويؤمرون بالسير أو الجرى».

أما أسعار العبيد فكانت، «الغلام المراهق سليم البنية من ٤ إلى ٥ جنيهات»، الغلام العادى من جنيه ونصف الجنيه إلى ثلاثة، والذكر من الدنكا، من ٧٠ قرشا إلى جنيه واحد، والولد الحبشى من ٦ إلى ١٠ جنيهات، والفتاة المراهقة من ٢ إلى ٤ جنيهات، والمرأة من الدنكا من جنيه إلى اثنين، والبنت الحبشية من ٦ إلى ١٥ جنيها.

٢ ديسمبر عام ١٩٥٦
استشهاد جواد حسنى طالب الحقوق بعد أن كتب بدمائه:
«المهم أن تنتصر مصر»

«اسمى جواد طالب فى كلية الحقوق، فوجئت بالغرباء يقذفون وطنى بالقنابل، فنهضت لنصرته وتلبية ندائه، والحمد لله، لقد شفيت غليلى فى أعداء البشرية، وأنا الآن سجين وجرحى ينزف بالدماء، أنا هنا فى معسكر الأعداء أتحمل أقسى أنواع التعذيب، ولكن يا تُرى هل سأعيش؟ هل سأرى مصر حرة مستقلة؟، ليس المهم أن أعيش، المهم أن تنتصر مصر ويُهزم الأعداء».

فى كتاب «نضال شعب- ١٧٩٨- ١٩٥٦» تأليف «محمد عبد الرحمن حسين»، تأتى قصة هذا البطل كاملة: «قاد كتيبة الحرس الوطنى بكليته، واتجه بها إلى سيناء لمقابلة اليهود، وعندما صدر أمر الانسحاب عادت الكتيبة لتحارب الفرنسيين فى بورفؤاد»، وسجلت الكتيبة مقاومة عنيفة، وخلال معاركها أصيب «جواد» برصاصة فى كتفه، وعندما أحدق الفرنسيون بالكتيبة، ورأى جواد أن زملاءه سيقعون فى الأسر، طلب منهم الانسحاب، وظل يقاوم الفرنسيين بمفرده، حتى يعطى الفرصة لزملائه فى الانسحاب سالمين.

نجحت خطته، لكنه وقع فى الأسر وكانت الدماء تنزف منه بغزارة، واستعملوا معه وسائل تعذيب قاسية لكى يمدهم بالمعلومات التى تفيدهم عن عدد القوات ومواقعهم، لكنه رفض فى إباء؛ فعادوا إلى تعذيبه.

تـم أسر «جـواد» يـوم «١٦ نوفمـبر ١٩٥٦»، وتصاعـد التعذيـب ضـده بقسـوة كبـيرة، وكان هـو يقـاوم بنبـل وروعـة، دون نطـق كلمـة واحـدة عـن التجمعـات التـى يعرفهـا، وأماكـن زملائـه الذيـن يقاومـون ببسـالة، وسـجنوه فى حجـرة جـرداء، لا يوجـد فيهـا أى شـىء، لا غطـاء يحميـه مـن بـرد الليـل، وكان الشـتاء عـلى الأبـواب، ولا مـاء يـروى ظمـأه، أو طعـام يسـد بـه رمقـه، ورغـم كل ذلـك لم تهتـز عزيمتـه.

وفيـا هـو عـلى هـذه الحـال، وحسـب قـول «محمـد عبـد الرحمـن حسـين» فى سرده لقصتـه: «لم يجـد جـواد أمامـه سـوى الدمـاء التـى كانـت تسـيل غزيـرة عـلى أرض الحجـرة، فاسـتعملها كمِـدَاد يسـطِّر بـه عـلى جدرانهـا مـا قامـت بـه كتيبتـه مـن بطـولات، وعـبر عـن بعـض مـا كان يعتمـل فى صـدره وهـو يلاقـى المـوت مـن شـعور وطنـى كان يضطـرم بـه قلبـه مـن حـب كبـير لبلـده، ودخـل عليـه الفرنسـيون بعـد ذلـك يسـتجوبونه للمـرة الأخـيرة، لكنـه كان يصـارع سـكرات المـوت، فأطلقـوا عليـه الرصـاص فى مثـل هـذا اليـوم «٢ ديسـمبر ١٩٥٦»؛ ليسـقط فى وسـط الحجـرة عـلى دمائـه الطاهـرة التـى تغطـى أرضهـا.. كان وجهـه باسـا كعـادة الشـهداء الذيـن يذهبـون إلى حتفهـم باسـمين».

٣ ديسمبر عام ١٨٨٢
«عرابى» يعترف للمحكمة بأنه مذنب بنصيحة محاميه..
و «توفيق» يخفف حكم إعدامه إلى النفى

«يا أحمد عرابى باشا، أنت متهم أمام هذه المحكمة العسكرية بناء على تقرير لجنة التحقيق بجريمة العصيان على صاحب السمو الخديو توفيق، قل يا أحمد عرابى باشا: هل أنت مجرم أو غير مجرم؟».

هكذا وجَّه رئيس المحكمة العسكرية محمد رءُوف باشا كلامه إلى أحمد عرابى فى جلسة النطق بالحكم عليه، بسبب قيادته لأحداث «الثورة العرابية» نسبة إلى اسمه، كانت الجلسة فى مثل هذا اليوم «٣ ديسمبر ١٨٨٢»، ويسجل أحداثها والظروف التى سبقتها كتاب «التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر» تأليف الإنجليزى «بلنت» الذى ربطته علاقة وثيقة بـ«عرابى»، كما يعطى كتاب «الثورة العرابية بعد خمسين عاما- رؤية صحيفة الأهرام» بقلم سامى داود «دار الكتب والوثائق القومية» وصفا للمحكمة وعرابى والجمهور؛ قائلًا:

«امتلأت قاعة المحكمة بالحاضرين، حتى النساء المحجبات كُنَّ من بين الصفوف، وكان الشارع الذى تقع فيه المحكمة (مبنى الدائرة السنية) مكتظا بالناس، كما احتشد الطريق بالذين يبكون ويصيحون من أجل عرابى الذى جلس فى مكانه بالقاعة يلف عنقه بشال أبيض ويلبس بنطلونا عسكريا».

أنهى رئيس المحكمة كلماته الموجهة إلى عرابى، فترقب الجميع رده، وحسب كتاب «أحمد عرابى- الزعيم المفترى عليه» تأليف محمود الخفيف: «أجاب عرابى أن محاميه سوف يرد عليه»، فتلا «برودلى»، وهو المحامى الإنجليزى الذى تطوع للدفاع عنه الوثيقة التى وقَّعها عرابى فى الصباح، ويعترف فيها باقترافه الذنب، وكانت باللغة الفرنسية، وبعد تلاوتها ترجمها سكرتير المحكمة إلى العربية، ثم أعلن رءُوف باشا إخلاء المحكمة للمداولة وتأجيل الجلسة إلى الساعة الثالثة.

فى الساعة الثالثة مساء اكتظت القاعة بالناس بعد أن انتشر خبر المحاكمة، وتلا «كاتب المحكمة» الحكم بقتل «عرابى»، وفور النطق به ناوله ورقة أخرى ليقرأها وتنص: «الحكم الصادر على أحمد عرابى المقتضى جزاؤه القصاص وقع تبديله بالنفى المؤبد من الأقطار المصرية وملحقاتها، وهذا العفو يبطل ويقع إجراء الحكم بالقتل إذا رجع إلى الأقطار المصرية وملحقاتها».

استغرق الحكم ثلاث دقائق، ليزدحم الإنجليز بعده حول عرابى يصافحونه ويهنئونه، ويذكر «الخفيف» أن بعض السيدات الأوروبيات قدمن طاقات من الأزهار له فتقبلها شاكرا، وقامت زوجة المحامى الثانى لعرابى «نابيه» بإعداد طاقة ورد صغيرة لترسلها إلى عرابى بعد المحاكمة، فأخذها أحد الجالسين من غير شعور ووضعها فى يد عرابى، مما أثار كثيرا من اللغط وبخاصة من جانب أعوان الخديو.

كان الحكم بقتل «عرابى» ثم تخفيفه إلى النفى سابق التجهيز بتخطيط الاحتلال الإنجليزى، حيث دارت مفاوضات بين عرابى ومحاميه الاثنين من جانب والحكومة البريطانية من جانب آخر، وانتهت المفاوضات إلى محاكمة عرابى وكبار رفاقه أمام المحكمة العسكرية بتهمة العصيان، ويقرون بصحة الاتهام فتصدر المحكمة حكمها بالإعدام، ثم يخففه الخديو إلى النفى.

يقول «بلنت»: إن عرابى أظهر عدم ميل للاتفاق فى البداية، إلا أن محاميه برودلى أخافه من مصير «نابليون»، فرد عرابى: «أضحى بمجدى فى سبيل إنقاذ رفاقى من العذاب»، وهكذا تم تنفيذ الاتفاق.

٤ ديسمبر عام ١٩٤٨
مقتل اللواء سليم زكى حكمدار القاهرة
بقنبلة من سطح «طب قصر العينى» واتهامات للإخوان

كانت قوة البوليس ترابط أمام كلية الطب بقصر العينى، وكان اللواء سليم زكى حكمدار القاهرة على رأسها، وفى الوقت نفسه كان بعض طلاب الكلية ومن انضم إليهم من خارجها يعتصمون فوق سطوح مبانى الكلية، وأشعلوا النار فى أماكن متفرقة وأخذوا يقذفون قوات الأمن بالحجارة وقطع الأخشاب، وألقوا قنابل لتنفجر إحداها فى اللواء «سليم» ليسقط قتيلا فى مثل هذا اليوم «٤ ديسمبر ١٩٤٨»، واضطربت الدراسة فى جامعة فؤاد الأول «القاهرة»، وتلك هى رواية عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «فى أعقاب ثورة ١٩١٩ - الجزء الثالث».

غير أن هناك رواية موجزة للحادث تحمل بعض الاختلاف يرويها الدكتور محمود جامع للدكتور ناجح إبراهيم، ونشرت على صفحات «اليوم السابع» يوم «١٠ أبريل ٢٠١٤» تحت عنوان «د. جامع شاهد على ثلاثة عصور»، يقول «ناجح»: عاش جامع بنفسه لحظة اغتيال اللواء سليم زكى فى جامعة القاهرة، فحكى لى أنه رأى بعينَىْ رأسه مشهد مقتله، «كان جامع طالبا فى الكلية»، فقد قام البوليس باقتحام كلية الطب، وضربوا المتظاهرين داخلها ضربا شديدا، وكان اللواء سليم يركب عربة مدرعة نزل منها وهو

يأمر الجنود بضرب المتظاهرين، وكانت هناك مجموعة من الطلبة فوق مبنى الفسيولوجى بالكلية، وأحدهم يحمل شنطة أخرج منها قنابل وديناميت وألقاها على القوات، وأخرى سقطت بين أقدام اللواء سليم، وخرجت منها شظية أصابت عنقه مباشرة، والعملية لم تكن مدبرة بل كانت وليدة اللحظة، ولكن دخول القنابل والمتفجرات للجامعة كان معدا وجاهزا.

وفيما لم يحدد «جامع» ما إذا كانت جماعة الإخوان ارتكبت الجريمة، كما لم يحددها أيضا «الرافعى» مكتفيا بوضعها تحت بند «موجة القتل والإرهاب ١٩٤٥ - ١٩٤٩»؛ فإن الكاتب والمؤرخ «حلمى النمنم» يعدّدها فى كتابه «حسن البنا الذى لا يعرفه أحد» ضمن مسلسل الجرائم التى ارتكبتها الجماعة قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وشملت اغتيال اثنين من رؤساء الوزراء هما أحمد ماهر باشا والنقراشى باشا، بالإضافة إلى المستشار أحمد الخازندار.

وإذا كان محمود الصباغ أحد قيادات التنظيم الخاص للجماعة المسئول يعدُّ: «إلقاء القنابل فى المظاهرات من جانب المتظاهرين فى هذه الأيام أمرا عاديا»، فإن الحكومة أذاعت أن قاتل اللواء «سليم» ينتمى إلى «الجماعة»، وأُغلقت صحيفة الإخوان بعد يومين من الحادث. وفى كتابه «سقوط نظام» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل، يضع مقتل «سليم زكى» ضمن سبع رصاصات انطلقت فى قلب القاهرة من نوفمبر ١٩٤٤ حتى اغتيال حسن البنا فى فبراير ١٩٤٩، مشيرا إلى أن نشاط الجماعة زاد فى تلك الظروف، وكان شديد الالتباس بسبب خيارات متعارضة داخل الجماعة، دفع كل منها إلى اتجاه رغم وجود مركز سيطرة وهو حسن البنا المرشد المؤسس للجماعة، وأن الفراغ الكبير الذى أحدثه غياب الوفد أعطى للإخوان ميدانا فسيحا خاليا، كما أنه سمح بوجود عناصر أخرى غيرهم تستطيع أن تثير وتحرض مثل «مصر الفتاة»، وفى هذا السياق تم قتل اللواء سليم زكى.

٥ ديسمبر عام ١٨٢٢
محمد على يتلقى خبر موت ابنه «إسماعيل» بحريق الملك «نمر» فى السودان

حزن محمد على باشا بشدة حين تلقَّى فى مثل هذا اليوم «٥ ديسمبر ١٨٢٢» خبر موت ابنه إسماعيل باشا، بعد أن فقد ابنه طوسون قبل ذلك بأعوام، ودُفن إلى جانبه فى مقبرة الإمام الشافعى.

كانت المصيبة على «الوالد» كبيرة، لكنه تلقاها كما يقول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على» بـ«الجَلَد والصبر والعزم واعتزام المضى فى سبيله»، وهذا السبيل هو إتمام فتح السودان وإخضاعه لحكمه.

كان إسماعيل هو قائد الجيش الذى أعده محمد على لفتح السودان، وتحرك ومعه حاشيته فى ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠ ليلحق بالجيش، ومضى من انتصار إلى آخر، حتى جاءت لحظة موته، و«فيها من الفظاعة بقدر ما فيها من المأساة» حسب وصف «جيلبرت سينويه» فى كتابه «الفرعون الأخير- محمد على».

تبدأ دراما الموت من اللحظة التى تلقى فيها «إسماعيل» خبر احتشاد أهل «حلفاية» و«شندى» فى السودان ضد السلطة المصرية، وهجموا على قوافل الأرقاء السودانيين الذين كانوا فى أيدى الجنود المصريين فى طريقهم إلى مصر لتجنيدهم فى الجيش، وكان إسماعيل يواظب على إرسال هذه القوافل إلى أسوان بغرض إتمام عملية تكوين الجيش النظامى الذى بدأ فيه والده،

وحين علم بما حدث توجه على الفور إلى «شندى»، وحسب «سينويه»: «كانت مدينة مهمة يقطنها نحو ١٥ ألفا»، وأمر بإحضار ملكها «نمر» إليه بعد أن علم بأنه مدبر «الثورة» ضد السلطة المصرية.

امتثل «نمر» أمام «إسماعيل» ابن الـ«٢٧ عاما»، وحسب «الرافعى»: «أخذ يقرِّعه ويسرف فى تأنيبه، ثم تمادى فلطمه على وجهه بالشبك، فلم يُجِب الملك على هذه الإهانة البالغة وأسرَّها فى نفسه وعزم على أن يغسلها بانتقام ذريع»، ويقول «سينويه»: «أصدر إسماعيل أمره بأن يجلب له فى غضون خمسة أيام ألف عبد وعشرين ألف قرش إسبانى، أى ما يقارب عشرة آلاف فرنك ذهبى».

اعترض نمر، وقال إنه من المستحيل جمع هذا المبلغ فى هذه الفترة الوجيزة، فضربه إسماعيل وشتمه وهدده بالخازوق إذا لم ينفذ، وهنا جاءت حيلة «نمر» التى ستقود إلى موت إسماعيل، حيث أظهر إذعانه، ودعاه إلى قصره الموجود فى قرية معزولة، وكان القصر من القش، وحسب رواية «الرافعى»: رحب الملك بإسماعيل وبطانته ترحيبا عظيما، وأمر أعوانه بجمع ما استطاعوا من الحطب والقش والتبن حول القصر بحجة العلف لخيل الباشا، ولما فرغ الضيوف من طعامهم وأكثروا من شرب «المريسة»، تأهبوا للعودة إلى معسكرهم، فإذا النار تطير فى أكوام الحطب المحيطة بالقصر، فجعلته شعلة من الجحيم.

حصرت النيران إسماعيل باشا وحاشيته، فلم يستطيعوا الإفلات لهول النار المشتعلة ولإحاطة جنود الملك بهم يرمونهم بالنبل والسهام من كل ناحية، فسُدت المسالك فى وجوههم حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يستطع الجند نجدتهم إذ كانوا فى معسكرهم بعيدين عن المأساة، ولما وقعت الكارثة انقض عليهم رجال الملك نمر ففتكوا بهم، ولم ينْجُ منهم إلا من هرب.

٦ ديسمبر عام ١٩٩٦
وفاة الشيخ عبد الحميد كِشْك «عدو الغناء»
وعاشق صوت محمد عبد الوهاب وأم كلثوم

كان الهجوم على الفن والفنانين ضمن «الخلطة» الخطابية التى يقدمها الداعية الإسلامى الشهير الشيخ «عبد الحميد كِشْك» الذى رحل فى مثل هذا اليوم «٦ ديسمبر ١٩٩٦»، بقناعة قالها: «ليس اعتراضى على الكلمة المغنَّاة وحدها، إنما هو الاعتراض على الغناء من حيث المبدأ، فإذا ما أُضيف إلى هذا خلاعة الكلمة أيضًا كان الأمر شرًا ووبالاً».

بهذه القناعة لم يسلَم مطرب من لسانه طوال فترة خطابته، وكانت خطبته للجمعة بمسجد «عين الحياة» بحدائق القبة منذ منتصف سبعينيات القرن الماضى تشهد زحامًا كبيرًا من مريديه، وتظهر فيها بعد فى شرائط كاسيت.

ولد فى شبراخيت بمحافظة البحيرة يوم ١٠ مارس ١٩٣٣، ودرس فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، واعتُقل عام ١٩٦٥ و١٩٨١، وامتزج تعبيره عن رفضه للغناء بخفة دم، فعن أغنية «أنت عمرى» لأم كلثوم مثلا، قال: «امرأة فى الثمانين من عمرها تقول: خدنى فى حنانك خدنى.. يا شيخة ربنا ياخدك»، وعن أغنية شادية: «غاب القمر يا بن عمى يللا روحنى» قال: «إيه اللى خلاكى يا مضروبة تتأخرى معاه لهذا الوقت بعيدا عن أعين الرقباء»، وقال عن عبد الحليم حافظ: هذا العندليب الأسود عندنا ظهرت

لـه معجزتـان، الأولى يمسـك الهـوا بإيديـه، فى إشـارة إلى أغنيـة زى الهـوا، أمـا المعجـزة الأخـرى فيتنفـس تحـت المـاء، فى إشـارة إلى أغنيتـه رسـالة مـن تحـت المـاء قصيـدة الشـاعر نـزار قبانـى.

غـير أن مفاجـأة لى اكتشـفتها مـن أحـد الذيـن اقتربـوا منـه لسـنوات طويلـة وهـو الشـاعر الغنائـى «أحمـد شـفيق كامـل» مؤلـف أغنيـة «أنـت عمـرى»، والـذى اقتربـت منـه فى السـنوات العشرة الأخـيرة مـن عمـره (رحـل عـام ٢٠٠٨).

حـين زرت «كامـل» لأول مـرة فى منزلـه المواجـه لـ«قـصر العينـى» لاحظـت عـلى الجـدران ثـلاث صـور للشـيوخ «كشـك» و«الشـعراوى» و«ياسـين رشـدى» ورابعـة لجـمال عبـد النـاصر، فسـألته مسـتغربا: «كيـف؟»، فهـم «كامـل» قصـدى، كيـف يؤلـف محبتـه بـين ثلاثـة شـيوخ يكرهـون عبـد النـاصر وهـو شـخصيا يحبـه ولم يتأثـر بـأى هجـوم عليـه بـما فيـه هجـوم هـؤلاء الشـيوخ، أجـاب: «كلهـم عنـد ربنـا وهـو العـالم بالنوايـا»، وبعـد عـدة لقـاءات كشـف لى سر علاقتـه المثـيرة بـ«كشـك»، وفيهـا أسرار كثـيرة ومدهشـة، وأهمهـا علاقتـه بالغنـاء.

كشـف لى «أحمـد شـفيق كامـل» فى شـهادة طويلـة احتفـظ بهـا، كيـف تعـرف إى الشـيوخ الثلاثـة وبصفـة خاصـة الشـيخ كشـك، قـال لى: «كان الشـيخ كشـك يعشـق الغنـاء لكـن ليـس أى غنـاء، كان سـمّيعًا بدرجـة تفـوق الامتيـاز، يتـذوق النغـمات الموسـيقية والكلمـة الحلـوة، ويعشـق صـوت عبدالوهـاب فى أغانيـه القديمـة مثـل: «يـا جـارة الـوادى» و«فى الليـل لمـا خـلى» و«جبـل التوبـاد» و«الجنـدول» و«كليوباتـرا» و«لـك يـوم يـا ظـالم» و«النهـر الخالـد»، وأغـانٍ أخـرى، وكان لـه صـوت جميـل يـؤدى بـه بينـه وبـين نفسـه تلـك الأغنيـات، ولمـا عـرف أننـى مـن هـواة جمـع الأغانـى القديمـة النـادرة، كان يسـألنى بـين الحـين والآخـر: «إيـه يـا أحمـد أخبـار أغانـى عبدالوهـاب القديمـة عنـدك؟»، فـأرد فى الغالـب بحمـل شريـط كاسـيت فيـه أغنيـات يحبهـا، فيطـير فرحًـا».

وممـا يؤيـد مـا ذكـره «أحمـد شـفيق كامـل»، شـهادة قالهـا «عـمار الشريعـى» فى جريدتـى «القاهـرة» و«الـشروق»، كشـف فيهـا أن «كشـك» اتصـل بـه معـبرًا لـه عـن سـماعه لبرنامجـه «غـواص فى بحـر النغـم»، فـرد عـمار: «أنـت تهاجـم المطربـين

خصوصًا أم كلثوم»، فرد: «شتمت من أحب لأنها قالت ما لم أحبه، لم أتصور أن الصوت الذى غنى «نهج البردة» و«إلى عرفات» تقول: «هات إيديك ترتاح بلمستهم إيديَّه».

٧ ديسمبر عام ١٩٥١
الاحتلال البريطانى يحتشد بالطائرات
و١١ ألف جندى لهدم «كفر أحمد عبده»

«نعتزم هدم الكفر، لا يمكن الإبقاء على المنازل بين وابور المياه المملوك لنا وباقى المعسكرات، عدد المنازل ١٥٦ لا يمكن أن تبقى فاصلا بين منشآتنا»، تلك هى خلاصة الأوامر التى أصدرتها قيادة الاحتلال البريطانى فى مصر فى مثل هذا اليوم «٧ ديسمبر ١٩٥١»، وتتعلق بعملية هدم منازل حى «كفر أحمد عبده».

هى واحدة من مآسى الاحتلال الإنجليزى لمصر فى جانب، وفى جانبها الآخر عبرت عن غيظ الاحتلال من المقاومة الشعبية والفدائية ضده فى مدن القناة، والواقعة يأتى بها كتابا «نضال شعب مصر ١٧٩٨ - ١٩٥٦» لمؤلفه «محمد عبد الرحمن حسين»، و«حرب التحرير الوطنية - بين إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء اتفاقية ١٩٥٤» وهو مذكرات كتبها «كمال الدين رفعت» أحد قيادات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقائد المقاومة الشعبية فى مدن القناة حتى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦.

بدأت قصة هدم «كفر أحمد عبده» بتوجيه إنذار إلى إبراهيم زكى محافظ السويس، قالت فيه قيادة الاحتلال، إنها عزمت على هدم «الكفر»؛ لأنه يقع بين وابور المياه المملوك للقوات البريطانية، وبين باقى المعسكرات، واجتمع

«المحافظ» مع كتيبة أحمد عبد العزيز ونائب الدائرة وبعض الوطنيين، واتصلوا بوزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» الذى رفض الإنذار وحثهم على المقاومة.

عزز البريطانيون إنذارهم الأول بإنذارٍ ثانٍ يحدد بدء العملية فى السادسة من صباح يوم ٨ ديسمبر، ومنذ الساعة الرابعة من مساء يوم الجمعة مثل هذا اليوم «٧ ديسمبر ١٩٥١» تدفقت قوات الاحتلال من الميناء، وحلقت الطائرات طوال الليل فى سماء المدينة، فعاود المحافظ والوطنيون المقاومون الاتصال بوزير الداخلية، فأجابهم بأن مجلس الوزراء اجتمع فى منزل رئيسه مصطفى النحاس، وقرر رفض الإنذار ومقاومة الإنجليز، وطبقا لما يذكره «حسين» و«رفعت»، فإن رجال المقاومة شعروا بأن مجلس الوزراء يهزل، وأن أهالى مدينة السويس هم وحدهم الذين يقدرون الموقف، والمقاومة تعنى إبادة سكان «الكفر» بالكامل، فضلا عن الخسائر الأخرى التى تصيب أهل المدينة فقرروا عدم تنفيذ قرار مجلس الوزراء وأمروا سكان الكفر بمغادرته.

فى صباح «٨ ديسمبر» زحف ١١ ألف جندى بريطانى تتقدمهم الدبابات والسيارات المصفحة والمدافع، وترفرف فوقهم على ارتفاع بسيط ٦٠ طائرة حتى وصلوا إلى «الحى» ووضعوا المواد المتفجرة والديناميت فى البيوت فنسفتها، وقامت الدبابات بتسوية الأنقاض المتخلفة من النسف والحريق حتى أتوا على الحى بأكمله.

ردت المقاومة بعنف، وحسب ما يذكره «كمال الدين رفعت»: «لم يستسلم الشعب بل كانت المقاومة كالبترول الذى يلقى على النار فيزيدها اشتعالا»، ففى ١٢ ديسمبر هاجم الفدائيون معسكر القرش الخاص بلواء المدرعات، ودمروا أكثر من خمس دبابات وأربع مصفحات و١٢ سيارة، وفى ١٣ ديسمبر نسفوا الخط الحديدى بين المعسكرات البريطانية، وهاجموا معسكر الإرشادات بالقنابل وزجاجات المولوتوف وهجموا على معسكرات المثلث، وفى آخر ديسمبر قاد الضابط «لطفى واكد» أحد قيادات ثورة يوليو ١٩٥٢ عملية فدائية نسفت معسكر الطيران البحرى عن آخره، والتهمت النيران طائرة مرابطة فيه.

٨ ديسمبر عام ١٩٤٨
«النقراشى» يحلّ جماعة الإخوان..
و«البنا»: هل يظن أننا لعبة فى يده ؟

«أعرف ديتها، إنها رصاصة أو رصاصتان فى صدرى».

هى عبارة قالها ضاحكا «النقراشى باشا» رئيس الوزراء أثناء مناقشة له مع «مرتضى المراغى» آخر وزير داخلية قبل «ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢».

كان «المراغى» وقتئذ يشغل منصب مدير الأمن العام، وجاءت العبارة فى سياق نقله لـ«النقراشى» مقابلته لـ«حسن البنا» المرشد العام لجماعة الإخوان، التى دارت حول اعتزام رئيس الوزراء حل الجماعة على خلفية العمليات الإرهابية التى ارتكبتها، وكان آخرها مقتل اللواء سليم زكى حكمدار أمن القاهرة.

يأتى «المراغى» بنص مقابلته مع «البنا» فى مذكراته «شاهد على حكم فاروق»، التى طلب فيها «مرشد الجماعة» من «مدير الأمن العام» أن ينقل رسالة منه إلى القصر الملكى، وتنص على:

«رئيس الحكومة يريد أن يحل الجماعة، وهذا القرار بالغ الخطورة، وقد تكون له مغبة وعواقب وخيمة أخشى منها كثيرا، إذ إنه لا بد أنه يقع بيننا وبين الحكومة اصطدام عنيف»، وواصل «البنا» لغة تهديده: «نستطيع أن نصبر على رئيس الحكومة لأنه قد يترك منصبه فى أى وقت، أما الملك فهو

باقٍ، أرجوك أن تحمل إليه هذه الرسالة، إن الإخوان المسلمين لا يريدون به شرا، قل له إننا لا ننبذ تصرفاته، إنه يذهب إلى نادى السيارات للعب الورق، فليذهب، وإلى النوادى الليلية ليسهر، فليسهر، فلسنا قوامين عليه، وعلى كل حال نأمل أن يهديه الله».

يصف «المراغى» حالة «البنا» حين بلغ تهديده ذروته قائلا: «قدحت عيناه شرا، وقال: نعم إنها جريمة نكراء يريد النقراشى ارتكابها، هل يظن أننا لعبة فى يده يستطيع تحطيمها بسهولة؟»، ويضيف: انقلب الشيخ الوديع نمرا هائجا، لكنه عاد إلى طبيعته الهادئة حينما رآنى أنظر إليه، وضحك قائلا: «لا تؤاخذنى إذ نسيت نفسى».

فى كتابه «حسن البنا الذى لا يعرفه أحد» للكاتب حلمى النمنم، يقدم تفاصيل قرار «النقراشى باشا» بحل الجماعة فى مثل هذا اليوم «٨ ديسمبر ١٩٤٨»، منها الوساطات التى لجأ إليها «البنا» وأبرزها وساطة «حامد جودة» رئيس مجلس النواب، واشترط فيها «النقراشى» أنه لكى لا يُصْدر قرار الحل فعلى «البنا» أن ينفذ ثلاثة أشياء، وهى الكشف عن أسماء مرتكبى العمليات الإجرامية التى روعت الآمنين فى القاهرة، والكشف عن مخازن الأسلحة لدى الجماعة، والكشف عن مكان الإذاعة السرية التى أقامتها الجماعة، ويؤكد النمنم: «هذه الإذاعة كانت تبث من شقة فى باب اللوق، وتقدم برامج موازية لما تقدمه الإذاعة المصرية، وحاولت وزارة الداخلية الوصول إلى مقرها دون جدوى».

رد «البنا» على هذه المطالب بقوله: «كل هذه الأمور التى يتحدث عنها دولة الباشا أنا لا أعرف عنها شيئا»، ولم تخرج باقى المساعى التى لجأ إليها «البنا» عن هذا، مما زاد «النقراشى باشا» تصميما على قراره بحل الجماعة.

٩ ديسمبر عام ١٩٧٦
رياض غالى يقتل طليقته الأميرة فتحية
شقيقة الملك فاروق بخمس رصاصات

استعدت الأميرة فتحية، شقيقة الملك فاروق، للخروج من مسكنها بـ«الڤيلا» رقم ٢٤٤ فى شارع ١٦ بضاحية سانت مونيكا بأمريكا، وقبل أن تصل إلى الباب دق جرس التليفون، كان محدثها «رياض غالى» طليقها ووالد أبنائها الثلاثة، طلب منها أن تزوره.

وحسبما يأتى فى كتاب «البرنسيسة والأفندى» للكاتب الصحفى صلاح عيسى، فإن «فتحية» ذهبت تحت إلحاح «رياض»، وبعد نحو ثلاث ساعات سمع مدير المبنى طلقات مكتومة ظن أنه مسلسل تليفزيونى، كانت من مسدس أفرغ منه «رياض» خمس طلقات فى جسد «فتحية» فى مثل هذا اليوم «٩ ديسمبر ١٩٧٦»، وبقيت رصاصة واحدة سيكون لها سطر آخر فى هذه القصة الدرامية التى كانت واحدة من غرائب ومحن الملك فاروق.

بحث الأبناء عن أمهم الغائبة دون معرفة السبب، ومعهم جدتهم «الملكة نازلى» القلقة على مصير ابنتها، بينما كانت «الأميرة» تعوم فى بركة من الدماء، ذهب ابنها الأكبر «رفيق» إلى والده يسأله عنها، فقال له إنها مرت عليه، وتركته لتذهب إلى صديقاتها، وفى صباح يوم ١١ ديسمبر، أطلق «رياض» الرصاصة السادسة على نفسه، وبعدها مر ابنه رفيق ليعاود السؤال

عن أمه، فدق على الباب دون أن يرد أحد رغم صوت التليفزيون، مما اضطره إلى كسر الباب، وكانت المفاجأة أمامه، والده فى غيبوبة وينزف دما، وأمه فى غرفة أخرى مُضرَّجة فى دمائها وفارقت الحياة، أما الوالد فتم نقله إلى المستشفى، وتعرض لمحاكمة قضت بسجنه ١٥ عاما، ونتيجة إطلاق النار على رأسه عاش مشلولا وأعمى بالسجن ثم مات بعد ثلاث سنوات.

اختتم الحدث قصة بدأت عواصفها حين سافرت «فتحية» وشقيقتها الأميرة «فائزة» مع والدتهما الملكة «نازلى» فى صيف ١٩٤٦ إلى الخارج بغرض العلاج، وفى فرنسا تولى رياض غالى (مسيحى الديانة) الموظف فى القنصلية المصرية بـ«مرسيليا» مسئولية خدمة الملكة، وتسهيل سفرها مع الأميرتين إلى سويسرا، لكنه اقترب من «نازلى» أكثر مما ينبغى.

وحسب كتاب «سنوات مع الملك فاروق» لسكرتير الملك الخاص الدكتور حسين حسنى: «وجدت الملكة نازلى فى لباقته ونشاطه ما جعلها تطلب السماح له بمرافقتهن إلى سويسرا، فأُجيبت إلى ما طلبت، ثم ألحقته نهائيًا إلى حاشيتها كسكرتير خاص لها، وانتقلت بعدها إلى أمريكا وهو معها».

كانت «فتحية»، ابنة ١٦ عامًا، وبلا تجربة، ووقعت فى غرام «رياض» بتشجيع أمها رغم اختلاف الديانة، وتطورت العلاقة إلى إعلان الزواج بعد أن أشهر رياض إسلامه، وفشلت كل محاولات الملك فاروق فى وقف هذا الزواج.

فى عام ١٩٥٦ ،حصل رياض غالى على توكيل عام من حماته الملكة وزوجته الأميرة للتصرف باسميهما فى كل ما يتصل بشئونهما المالية، وكانت هذه الخطة بمثابة فصل إضافى فى هذه الدراما، حيث اندفع رياض إلى المضاربة فى البورصات بالأموال التى يديرها بمقتضى التوكيل، ولما تعرضت هذه الأموال إلى خسائر فادحة، ألغت الأسرة التوكيل ولكن بعد سبع سنوات، كان نصيب نازلى وفتحية خلالها العديد من الضرب والإهانات من رياض.

طلبت فتحية الطلاق، ورفعت دعوى قضائية أمام المحاكم تطالب بالانفصال الجسدى تمهيدا لطلب الطلاق، وقالت فى دعواها إن زوجها يقسو عليها بدنيا وعقليا، وطلبت نفقة شهرية لها ولأولادها قدرها ٢١٤٠ دولارا.

قادت فتحية تربية أبنائها، «رفيق» تخرج فى جامعة كاليفورنيا بعد دراسة الأدب الإنجليزى، وكان يعمل أثناء دراسته، و«رائد» درس العلوم وكان يعمل أثناء الدراسة فى محل تجارى، و«رانيا» عملت أثناء دراستها الجامعية كممرضة مسائية فى أحد المستشفيات.

كان عام ١٩٥٨ هو عام التحول الجماعى من نازلى وفتحية ورياض إلى الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكى.

١٠ ديسمبر عام ١٨١٩
إبراهيم باشا يشق طريقه فى شوارع القاهرة
عائدًا بانتصاره على الوهَّابيين فى «الدرعية»

جاءت البشائر إلى محمد على باشا بأن ابنه «إبراهيم باشا» استولى على «الدرعية» فى شبه الجزيرة العربية، وهزم الوهابيين يوم ١٥ سبتمبر ١٨١٨، فأطلق مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية، ويقول الجبرتى: «انتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقشيش»، ويسهب الجبرتى فى وصف تلك الحفلات فى موسوعته التاريخية «عجائب الآثار فى التراجم والأخبار»:

«نودى بزينة المدينة سبعة أيام، ونُصبت السرادقات خارج باب النصر، ومن بينها سرادقات محمد على باشا، وباقى الأمراء لمشاهدة الحفلات، وهى مناورة حربية تتخللها حركات فروسية قام بها الخيالة والمشاة، وفى الليل كانت توقد المصابيح والمشاعل، وتطلق الحراقات والمدافع، وبعد انقضاء الأيام السبعة، أعدت حفلات أخرى فى جهة بولاق تختلف فى نطاقها وأوضاعها عن حفلة باب النصر، كانت حفلات بولاق على النيل وشاطئيه، حيث استؤجرت الأماكن المطلة على البحر بأجور مرتفعة لتزاحم الناس على مشاهدتها، واستجلاء مناظرها، وكان قوام الحفل مناورات بحرية تقوم بها السفن والمراكب تمثل فيها المعارك البحرية، فالدرعية هى عاصمة الوهابيين وبفتحها تُوِّجت حرب شاقة دامت سبع سنين وكُلِّلت بالنصر».

بقى إبراهيم باشا فى «الدرعية» بعد سقوطها فى يديه يوطد نفوذه فيها، وكان قد أرسل حاكمها «عبد الله بن سعود» إلى مصر أسيرًا، كما أرسل إخوته، وتلقاه محمد على فى قصره بشبرا، وأرسلهم إلى إسطنبول، وعلى الرغم من أن محمد على طلب العفو من السلطان العثمانى لـ«عبد الله بن سعود»، فإنه وحسب كتاب «الفرعون الأخير» لـ«جيلبرت سينويه»: «بدا السلطان غير مرن، وهاج الشعب المتأثر بخطب أئمة المساجد يطالب بإنزال العقوبة عليه، فيُعرض ابن سعود فى شوارع إسطنبول لثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يُفصل رأسه عن جسده».

وفى تقرير خاص بالسفارة الروسية فى إسطنبول عن هذا الحدث، قالت: «أمر السلطان فى هذا اليوم بعقد المجلس فى القصر وأحضروا الأسرى الثلاثة مقيدين بالسلاسل الثقيلة، ومحاطين بجمهور من المتفرجين، وبعد المراسم أمر السلطان بإعدامهم، فقُطعت رقبة الزعيم «عبد الله» أمام البوابة الرئيسة للقديسة صوفيا، وقطعت رقبة الوزير أمام المدخل، وقطعت رقبة الثالث فى إحدى الأسواق الرئيسة فى العاصمة، وعرضت جثثهم ورءُوسها تحت الإبط، وبعد ثلاثة أيام ألقوا بها فى البحر».

عاد إبراهيم باشا يوم ٩ ديسمبر ١٨١٩، وقابل والده فى قصره بشبرا، فضمه إلى صدره مفتخرًا بابنه العظيم، حسب ما يذكره عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «عصر محمد على»، وفى مثل هذا اليوم «١٠ ديسمبر ١٨١٩» دخل القاهرة من باب النصر دخول الظافر، وشق المدينة إلى القلعة فى موكب مهيب، واحتشدت الجماهير لمشاهدته وتحيته، وجاء محمد على إلى المسجد الغورى، وشاهد موكب ابنه أثناء مسيره، ولما بلغ القلعة استأنف سيره فى موكبه إلى مصر القديمة، وقصد من هناك إلى قصره بـ«جزيرة الروضة»، وزُينت المدينة ابتهاجًا برجوع القائد الكبير، كما يقول الجبرتى: «استمرت الزينة والوقود والسهر بالليل، وعمل الحراقات وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة، والمغانى والملاعيب فى مجامع الناس سبعة أيام بلياليها».

١١ ديسمبر عام ١٩٥٦
الفدائيون يختطفون ابن عم ملكة بريطانيا الضابط «أنتونى مورهاوس» فى بورسعيد

ابن عم ملكة بريطانيا، يكره المصريين بشدة، تزداد كراهيته لجمال عبدالناصر، يستمتع يوميا برفع صور «عبدالناصر» من فوق جدران ومنازل مدينة بورسعيد، هو يرفعها وأهالى المدينة يضعون بدلا منها، وهكذا كانت تمضى عملية الكر والفر بينه وبين أبناء بورسعيد الباسلة أثناء العدوان الثلاثى على مصر، الذى بدأت شرارته يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦.

هو الضابط «أنتونى مورهاوس» الذى تم اختطافه فى عملية بطولية للمقاومة الشعبية، وقت أن كانت القوات البريطانية تمارس عدوانها البربرى على بورسعيد، لم يكن الاختطاف وليد تخطيط مسبق، ولكنه تم بالمصادفة، وحسب قول «محمد حمد الله» أحد أبطال المجموعة الفدائية التى نفذت العملية: «خططنا لخطف أى ضابط ووضعنا خطتنا على أن يمثل أحدنا دور بائع العاديات، ويحاول المرور بين الضباط الإنجليز، فإذا أقبل أحدهم للشراء استدرجه إلى مكانٍ خالٍ ثم نخطفه».

يضيف «حمد الله» فى كتاب «شموس فى سماء الوطن» للكاتب الصحفى محمد الشافعى، الذى يتحدث عن أبطال المقاومة الشعبية فى حرب ١٩٥٦: «فى صباح يوم ١١ ديسمبر» مثل هذا اليوم، كنا نمر فى الشوارع بالسيارة

الأجـرة «٥٧ قنـال»، فوجدنـا «مورهـاوس» يمـر بسـيارته الچيـب خلـف طفـل يركـب دراجـة فأسرعنـا خلفـه، وكان الإنجليـز قـد منعـوا ركـوب الدراجـات بعـد أن اسـتخدمها الفدائيـون فى رمـى القنابـل عليهـم، وقـع الطفـل مـن فـوق دراجتـه فنـزل إليـه «مورهـاوس»، لحقنـا بـه، تجمـع حولنـا عـدد كبـير مـن النـاس رغـم أن السـاعة كانـت السـابعة إلا الربـع صباحـا، قدمـت نفسـى لـه عـلى أننـى مـن الشرطـة وكنـت أرتـدى بذلـة الشرطـة وهـى واحـدة ضمـن بذلتـين قدمهـا ضابـط المخابـرات سـامى خضـير لنـا، ووعـدت مورهـاوس بـأن أحـضر لـه الطفـل.

هَـمَّ «مورهـاوس» بالانـصراف وقـذف بطبنجتـه الخاصـة إلى تابلـوه السـيارة ليختطفهـا أحمـد هـلال وهـى مازالـت فى الهـواء، وقـام «حمـد الله» بـلَىّ ذراعـه ليقوده إلى السـيارة بدفعـة قويـة، ووسـط هتافـات: «الله أكـبر، الله أكـبر» انطلقـت السـيارة بعـد تكميمـه وتقييـد رجليـه وقدميـه، ومـع مطـاردات لدوريـة إنجليزيـة بحثـا عن المخطـوف، أحـضر الفدائيـون صندوقـا حديديـا كبـيرا مـن قلـم المـرور ووضعـوه بداخلـه، ونُقـل بسـيارة بوليـس عـلى أنـه مهـمات أحـد الضبـاط، ووصلـوا بـه إلى منـزل الدكتـور أحمـد الهـلالى تمهيـدا لإرسـاله إلى القاهـرة.

وحسـب مـا يذكـره الدكتـور يحيـى الشـاعر أحـد أبطـال المقاومـة الشـعبية فى كتابـه «حـرب السـويس ١٩٥٦ - أسرار المقاومـة السريـة فى بورسـعيد»: «بعـد ثلاثـة أيـام ونظـرا للحصـار المـضروب عـلى المنطقـة الـذى منـع مـن دخـول الفدائيـين لمخبـأ مورهـاوس، تـم فتـح الصنـدوق فوجـدوه مختنقـا»، ويقـول الشـاعر: «قمـت بدفنـه أسـفل المنـزل حتـى لا تنتـج عنـه رائحـة كريهـة، وحتـى لا يتمكـن الإنجليـز مـن التعـرف عـلى مكانـه»، وتمـت عمليـة الدفـن بمسـاعدة «السـيد البـوص» و«السـيد صبحـى الكومـى».

تكـون «فريـق العمليـة» مـن: محمـد حمـد الله، عـز الديـن الأمـير، أحمـد هـلال، حسـين عثـمان، وطاهـر مسـعد، وأخـذت شـهرة عالميـة بعـد أن أثارتهـا المعارضـة فى مجلـس العمـوم البريطانـى.

١٢ ديسمبر عام ١٩٦٦
مصـر تعلـن رسميًا إقامة الملك سعود على أرضها لاجئًا..
وعبد الناصر يشترط عليه «التصرف بحكمة وصبر»

«فخامـة الأخ جمـال عبدالنـاصر، رئيـس الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، حفظـه الله.. بعـد السـلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه، أرجـو أن يكـون سيادة الأخ فى أتـم الصحـة والعافيـة.. وبعـد.

يعلـم الأخ الرئيـس أنـه منـذ خروجنـا مـن وطننا العزيـز، كنا نـود الاستيطان فى بلـد مسـلم عربـى، ليتسـنى لنـا أداء فرائضنـا المقدسـة وتربيـة أبنائنـا تربيـة إسـلامية عربيـة صحيحـة، وبما أن الظـروف لم تسـمح لنـا بذلـك لأسـباب يعلمهـا الجميـع، لذلـك اسـتخرنا الله عـز وجـل، ونوينـا الإقامـة بوطننـا الثانـى بـين إخواننـا فى الإسـلام والعروبـة فى الجمهوريـة العربيـة المتحـدة لنـؤدى فريضـة الإسـلام معهـم التـى هـى فـرض علينـا.. أخوكـم سـعود بـن عبدالعزيـز».

كتـب العاهـل السـعودى هـذا الخطـاب إلى الرئيـس جمـال عبدالنـاصر يـوم ٥ نوفمـبر ١٩٦٦، طالبـا منـه حـق الإقامـة فى مـصر بعـد عزلـه مـن العـرش، وطَوّفانه فى دول أوروبيـة حتـى اسـتقر منفيـا فى اليونـان، وحسـب محمـد حسـنين هيـكل فى كتابـه «الانفجـار»، فـإن القاهـرة أعلنـت رسـميا فى مثـل هـذا اليـوم «١٢ ديسـمبر ١٩٦٦» أن الملـك سـعود يطلـب الإقامـة فى مـصر، وأنـه كتـب خطابـا إلى الرئيـس جمـال عبدالنـاصر الـذى اسـتجاب للطلـب قائـلًا، حسـب هيـكل: «إن مـصر وطـن لـكل العـرب والمسـلمين».

وصل «سعود» إلى القاهرة، فثارت ثائرة الملك فيصل، وأسقط جوازات سفر شقيقه وأبنائه وحاشيته الذين جاءوا معه، ويقول هيكل: كانت لدى «سعود» حسابات طويلة يصفيها مع الملك فيصل، ومع ذلك طالبته القاهرة فى الأسابيع الأولى من التجائه إلى مصر أن يتصرف بحكمة وصبر، لكن نجاحه لم يكن كبيرا، فتفاصيل خلافاته مع «فيصل» كان يرويها لكل من يقابله، ومنها أنه فى معركة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ اعترض «فيصل» على ذهاب الطائرات المصرية إلى السعودية وقت العدوان لكى تبقى فى أمان، بحجة أن وجودها فى المطارات السعودية يعرض المملكة نفسها لخطر الغارات، وعلى النقيض كان رأى الملك سعود: «هؤلاء الطيارون وطائراتهم ضيوف عندنا لهم واجب الإكرام».

وروى سعود أن فيصل حصل منه بالضغط والإكراه مستغلا مرضه، على تفويض بصلاحيات الحكم فى غيابه عن المملكة وفى حضوره، ثم إنه بعد أن شُفى من مرضه استشار اثنين من الخبراء القانونيين، أحدهما مصرى هو الدكتور ناصر الشعيبى حول حقه فى استعادة صلاحياته، وأفتيا بحقه فى ذلك باعتباره ملكا، فلما كتب خطابا إلى «فيصل» يسحب منه صلاحيات الحكم، جاءه بعض الأمراء بالخطاب قائلين له إن فيصل لن ينفذ ما جاء فى هذا الخطاب، وإن أسرة «عبدالعزيز» تؤيده، ولم يكن ذلك صحيحا.

بعد ذلك قدم «سعود» إلى عبدالناصر مذكرة كتبها بمعونة مستشارين تجمعوا حوله قال فيها، إنه يستطيع إنهاء حرب اليمن بأسرع مما يستطيع الجيش المصرى الذى يقاتل فيها، وذلك عبر علاقته بزعماء القبائل المؤثرين فيها، وإنه على استعداد أن يضحى بآخر جنيه ذهب يملكه لضمان ولاء القبائل، لكن عبدالناصر أشّر على هذه المذكرة بكلمة: «يُؤجَّل».

بعد أربعة شهور نفذ خطته بالسفر إلى اليمن، وقضى فيها أسبوعًا وزع خلاله نحو ثلاثة أرباع مليون جنيه ذهب إلى زعماء القبائل والمشايخ.

١٣ ديسمبر عام ٢٠٠٣
الإعلان عن اعتقال صَدَّام حسين بعد ٨ أشهر من اختفائه
وقراءته للشعر والنثر وقيادته للمقاومة

هـو فى غرفـة تحـت الأرض، ضعيـف، رَثّ الثيـاب، لا يقـوَى عـلى الحركـة، يحركونـه كيفـما شـاءوا، يفتـح فمـه بالأمـر، يضربـون كشـاف إضـاءة داخـل فمـه، ينظـر شـخص فى الفـم وكأن مـواد متفجـرة بداخلـه، كان المظهـر مؤلمـا.

هكـذا صنعـت أمريـكا الصـورة الإعلاميـة التـى تريدهـا لـ«صـدام حسـين» حتـى تكـون عـلى النقيـض مـن صـورة ذهنيـة أخـرى صنعتهـا المخيلـة الشـعبية العربيـة عنـه، بوصفـه قائـدا عنيـدا رفـض كل الضغـوط الدوليـة للتنحـى عـن حكـم العـراق منـذ غـزو الجيـش العراقـى للكويـت عـام ١٩٩٠، وحتـى حـرب ١٩ مـارس عـام ٢٠٠٣ التـى انتهـت باحتـلال أمريكـى يـوم ٨ أبريـل، ثـم قيادتـه للمقاومـة العراقيـة بعـد الاحتـلال.

كانـت الشـعوب العربيـة مـن المحيـط إلى الخليـج، تترقـب يوميـا بعـد سـقوط بغـداد مـا سـوف تذيعـه القنـوات الفضائيـة ووسـائل الإعـلام مـن أخبـار عـن عـدد القتـلى مـن جنـود الجيـش الأمريكـى فى العـراق الذيـن يتسـاقطون يوميـا، ومـع تصاعـد هـذه العمليـات وازديـاد القتـلى الأمريكيـين يوميـا، تأكـد الجميـع أن هنـاك مقاومـة رائعـة ومنظمـة جـرى ترتيبهـا قبـل الاحتـلال الأمريكـى كسـبيل للمواجهـة الطويلـة بديـلا عـن الحـرب النظاميـة، وبلغـت ذروتهـا فى شـهر يوليـو أى بعـد نحـو ثلاثـة أشـهر مـن سـقوط بغـداد، حيـث نجـا «ولفوتيـز» نائـب وزيـر

الدفاع الأمريكى من محاولة اغتيال أثناء زيارته إلى بغداد بعد تعرض الفندق الذى ينزل فيه إلى إطلاق صواريخ كادت تطاله، مما اضطره إلى إنهاء الزيارة والعودة ذليلا إلى واشنطن، وفى ليلة واحدة خلال هذا الشهر سقط ١٩ قتيلا و٤٠ جريحا أمريكيا بالقاعدة الأمريكية فى النخيلة بكربلاء.

تعاظمت العمليات البطولية للمقاومة العراقية، وكان قائدها هو صدام حسين الذى خرج من «قصر الرئاسة» بأضوائه، إلى «ديار المقاومة» بسريتها، فأنزلت المخيلة الشعبية العربية عليه صفات إضافية لصورة «البطل المغوار».

من هذه الخلفية يمكن فهم طبيعة الصورة التى حرصت أمريكا أن تبثها عنه وهو فى قبضة القوات الأمريكية فى مثل هذا اليوم «١٣ ديسمبر ٢٠٠٣»، أى بعد الاحتلال بنحو ثمانية أشهر، فرضت فيها المقاومة العراقية كلمتها.

جرت عملية الاعتقال قبل الإعلان عنها رسميا بأيام، وتم إعطاء «صدام» أدوية تُفْقده أى قدرة على الرفض أثناء إجراء عملية تصويره بالطريقة التى تم بثها، والشاهد على ذلك موقفه الثابت والصلب أثناء تنفيذ عملية إعدامه، فهى على النقيض تماما من صورة اعتقاله.

أرادت الإدارة الأمريكية بقيادة «جورج بوش» الابن، أن تصدر مشهد «صدام» البالغ من العمر نحو ٧٠ عاما والمشهور بانتصاب قامته بطول يبلغ ١٨٧ سم، منكسرا، ذليلا، لفئتين، فئة الحكام العرب بما يعنى ذلك لهم، أنه هكذا سيكون مصير من يخرج عن الطاعة الأمريكية، وفئة الشعوب بما يعنى أن هكذا سيكون مصير أى مقاوم.

وبين المقصدين تواصلت التسريبات حول كيف تم القبض على صدام، وحياته خلال فترة اختفائه بعد الاحتلال، ووفقا لما نقلته صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية عن «علاء نامق» الذى خبأ صدام فى مزرعته وكان سائقا له أثناء رئاسته: «كان صدام يكتب ويقرأ كثيرا، وكان نهما على النثر والشعر، إلا أن الجنود صادروا كل ما كتبه، كان يراسل زوجته وابنته لكنه لم يقابلهما، بل اقتصر زواره فى المزرعة على ولديه «قصَىّ وعَدىّ»، وكنت أنا من يرتب لقاءهم فى المزرعة».

١٤ ديسمبر عام ١٩٦٣
وفاة شيخ الأزهر محمود شلتوت رائد التقريب بين المذاهب

حين صدر القرار الجمهورى بتعيين الشيخ محمود شلتوت شيخا للأزهر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٨، أصبح الأزهر على موعد مع واحد من دعاة الإصلاح والتجديد، جاء فى زمن أعطى مساحة واسعة للتطوير والتحديث وإعمال العقل.

كان شلتوت أهلا لهذه المهمة، فقضية التجديد الدينى وإصلاح الأزهر لم تكن وافدة عليه بحكم أن السلطة التى عينته فى موقعه تطلب ذلك، وإنما كان من المؤمنين بها، ففوق أنه من المحسوبين على اتجاه الشيخ مصطفى المراغى فى التجديد والإصلاح، كان، كما يقول الكاتب «حلمى النمنم» فى كتابه «الأزهر .. الشيخ والمشيخة»: «له آراؤه الإصلاحية بالنسبة إلى الأزهر، ومنذ أن تقلّد وكالة الأزهر عمل على تأسيس مجمع البحوث الإسلامية ليحل محل هيئة كبار العلماء، ونال الموافقة بإنشائه، وتم ذلك مع صدور قانون تنظيم الأزهر».

لم يكن الشيخ شلتوت بعيدا عن الحياة العامة، وضمن ما يرصده النمنم فى ذلك: «منذ سنة ١٩٥٧ اختاره أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامى مستشارا للمؤتمر، وكان عضوا فى المجلس الأعلى للإذاعة المصرية ورئيسا للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية، وعضوا فى اللجنة العليا لمعونة الشتاء، وفضلا عن ذلك كان يتحدث للإذاعة كثيرا فى أحاديث

الصباح قبل بدء الإرسال التليفزيونى، ويكتب للصحف والمجلات، وهو من المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان هدفها الرئيس هو التقريب بين الشيعة والسنة».

يقترن باسم الشيخ شلتوت الذى رحل فى مثل هذا اليوم «١٤ ديسمبر ١٩٦٣» عملان رئيسان وتاريخيان، الأول، إعادته لهيكلة الأزهر، واستحدث مجمع البحوث الإسلامية فيه، كما وسع من جامعة الأزهر بأن أضاف إليها الكليات العملية مثل الطب والهندسة وغيرهما ليكون كما يقول «النمنم»: «هناك الطبيب المسلم والمهندس المسلم للدفع بهما نحو أفريقيا»، وجاء ذلك عملا بقانون تنظيم الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١، والذى أخذ جدلا كبيرا مازال يتواصل حتى الآن، حيث تهاجمه بشدة تيارات اليمين الدينى من باب الهجوم على جمال عبدالناصر، وذهب إلى نفس الاعتقاد الشيخ محمد متولى الشعراوى، غير أنه وقبل رحيله بفترة فاجأ المصريين بذهابه إلى ضريح جمال عبدالناصر ليقرأ الفاتحة عليه، قائلا، إنه جاءه فى المنام طالب يحمل أدوات هندسية، وآخر يحمل سماعة طبيب فتأكد من ذلك أن قانون تطوير الأزهر كان صحيحا، ويقود هذا القول من «الشعراوى» إلى تأكيد أنه بقدر ما يحسب «تطوير الأزهر» سياسيا لجمال عبدالناصر، فإنه يحسب للشيخ شلتوت، فلو لم يكن مؤمنا بالتجديد والإصلاح لما وافق عليه أثناء مشيخته.

العمل الثانى فى سيرة «شلتوت» يتمثل فى مسألة التقريب بين المذاهب، والقصد منها «الشيعة» و«السُّنة» وبلغ ذروته عند فتواه بجواز التعبُّد على المذاهب الإسلامية الثابتة والمعروفة والمتبعة، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الجعفرية، وقال نصا فى مجلة «رسالة الإسلام» الصادرة عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة: «إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة».

١٥ ديسمبر عام ١٩٣٣
طرح «الطربوش المصرى»
فى السوق بعد بناء مصنع له بمشروع القرش

عـاد أحمـد حسـين زعيـم «مـصر الفتـاة» مـن باريـس بعـد رحلـة صيفيـة عـام ١٩٣٠، فنـادى بإنشـاء صناعـة جديـدة يسـهم فيهـا المصريـون بمبالـغ ضئيلـة، ووضـع الحـد الأدنـى قرشًـا واحـدًا فسُـمى مشروعـه بـ«مـشروع القـرش».

فى كتابـه «مـصر الفتـاة ودورهـا فى السياسـة المصريـة ١٩٣٣-١٩٤١» الصـادر عـن الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة، يتحـدث الدكتـور عـلى شـلبى عـن قصـة هـذا المـشروع، وكان واحـدًا مـن أهـم المشروعـات التـى ألهبـت الحـماس الوطنـى قبـل ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢: «عـرض الفكـرة عـلى زميليـه فتحـى رضوان وكـمال الديـن صـلاح، فأبديـا استحسـانها، وكيـف أنهـا ستسـاعد عـلى إقامـة ركائز وطنيـة للصناعـة تحـل محـل الركائـز الأجنبيـة المسـيطرة عـلى الاقتصـادى المـصرى».

بـدأ «أحمـد حسـين» نـشر فكرتـه فى الأوسـاط الطلابيـة والشـعبية، حتـى لاقـت رواجًـا كبـيرًا، وأصبـح لهـا هيئـة تـشرف عـلى تنفيذهـا، وفى العـام الأول للمـشروع بلغـت حصيلـة التبرعـات «١٧٣٣٢ جنيهًـا»، وحسـب الدكتـور عـلى شـلبى: «كان هـذا المبلـغ مخيبًـا لآمـال أحمـد حسـين، واتضـح أن الريـف كان أعجـز عـن دفـع قـروش معـدودة، وهـو مـا يوضـح مـدى حـدة الأزمـة الاقتصاديـة فى عـام ١٩٣١ نتيجـة انخفـاض أسـعار القطـن بشـكل رهيـب».

جـرى التفكـير فى الخطـوة التاليـة، فتشـكلت «جمعيـة القـرش» وتـولى رئاسـتها «عـلى إبراهيـم باشـا» الجـراح الشـهير وعميـد كليـة طـب قـصر العينـى، وبـدأ التفكـير فى تحديـد المنشـأة الصناعيـة التـى ستنشـئ الجمعيـة، فاسـتقر الـرأى عـلى مصنــع للطرابيـش، وقامــت هــذه الصناعــة مــن قبــل بإنشــاء «إسـماعيل باشـا عاصـم» مصنعًـا فى قريـة «قهـا» محافظـة القليوبيـة، لكـن الشركـة النمسـاوية التـى تـورد الطرابيـش لمـصر حاربتـه بتخفيـض الأسـعار إلى أقـصى درجـة ممكنـة، ممـا اضطـر «عاصـم» إلى إغـلاق مصنعـه، فى ضربـة فادحـة للصناعـة الوطنيـة.

قدمـت حكومـة «إسـماعيل صدقـى» قطعـة الأرض اللازمـة لإقامـة المصنـع بناحيــة «العباسـية» دون مقابـل، وكلفـت مهندسـى وخـبراء مصلحـة المبانـى، ومصلحـة الصناعـة والتجـارة، ومصلحـة الكهربـاء بتقديـم كل مسـاعدة ممكنـة، وتكاملـت للمـشروع كل أسـباب النجـاح، فاتصلـت الجمعيـة بـ«محمـد بـك حسـن العبـد» المقـاول ليتـولى عمليـة البنـاء، وتنـازل عـن مبلـغ ألـف جنيـه مـن قيمـة المبانـى تبرعًـا منـه للمـشروع.

فى العـام الثانـى انتهـز «أحمـد حسـين» فرصـة وضـع حجـر أسـاس المصنـع، وألقـى خطابًـا طالـب فيـه بالمزيـد مـن الجهـود لجمـع الاكتتابـات، ولكـن موجـة الحماسـة للمـشروع كانـت قـد فـترت بعـض الشـىء فلـم يسـفر الاكتتـاب فى ذلـك العـام، إلا عـن مبلـغ ١٣ ألـف جنيـه، وأُقيـم مهرجـان القـرش الثانـى فى حديقـة الأزبكيـة، وفى نهايـة عـام ١٩٣٣ تـم إنشـاء المصنـع وتركيـب الآلات، وبـدأ الطربـوش المـصرى يطـرح فى السـوق ابتـداءً مـن مثـل هـذا اليـوم «١٥ ديسـمبر ١٩٣٣»، وبلغـت الطاقـة الإنتاجيـة للمصنـع «٣٠٠ ألـف» طربـوش فى العـام، وضـم المصنـع فيـما بعـد إلى جانـب إنتـاج الطربـوش، غـزل الصـوف، وشـارك أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة فى توريـد غـزل الصـوف إلى وزارة الحربيـة، وتوريـد القَلَنْسُـوات إلى سـلاح الفرسـان الملكـى، والطرابيـش لجنـود حـرس الحـدود، ويقـول «عـلى شـلبى»: «هكـذا كانـت إقامـة المصنـع وطـرح إنتاجـه مـن الطرابيـش المصريـة يعـد تتويجًـا لجهـود أحمـد حسـين وزملائـه».

١٦ ديسمبر عام ١٩٦٣
عبد الناصر يستدعى اللواء عبد المنعم رياض

«إننا وضعناهم فى حلقة مفرغة»، ثم استطرد: «إن العسكرية تابعة للسياسة»، ثم وصل إلى قوله: «لقد جاء الوقت لكى نتكلم جيدا، فنحن لا نستطيع أن نقول فى العلن إننا على استعداد لاستخدام القوة لمنع تنفيذ المشروعات الإسرائيلية، ثم نقول فى الحجرات المغلقة إننا عاجزون عن استخدامها، لقد آن الآوان أن نكف عن المزايدات، فإذا كنا نستطيع الحرب نحارب، وإذا كنا لا نستطيع فعلينا أن نستعد، وأنا لا أستحى من أن أقف أمامكم لأقول إننى لا أستطيع أن أحارب الآن، ولا أرضى لنفسى أن أقامر بالبلد فى مزايدة لا أعرف أولها ولا آخرها».

جاءت تلك الكلمات الصريحة من الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه بمدينة بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ فى الذكرى السابعة لـ«عيد النصر»، وأسفرت هذه المصارحة عن اقتراح من عبدالناصر بالدعوة لاجتماع للملوك والرؤساء العرب على مستوى القمة لبحث كل قضايا المصير سياسيا؛ حتى يكون رؤساء أركان حرب الجيوش على نور وثقة فيما يُكلفون به، حسب تعبير محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان».

بقدر ما عبرت كلمات «عبدالناصر» عن مصارحة كبيرة فى خطاب عام أمام ألوف محتشدة، عبرت عن قدرة مصر على الإمساك بزمام أمور المنطقة وقيادتها، وتجسد ذلك فى تلبية القيادات العربية لدعوته لمؤتمر القمة العربية،

غير أن القصة كلها كانت تقف وراءها قصة مهمة يشرحها هيكل فى كتاب «الغليان»، وتبدأ من مساء يوم ١٥ ديسمبر حين عاد «عبدالناصر» إلى منزله بعد منتصف الليل بعد مباحثات استغرقت أكثر من ثلاث ساعات مع «شوين لاى» رئيس وزراء الصين أثناء زيارته إلى القاهرة، ومر على مكتبه فى الدور الأرضى قبل أن يأوى إلى فراشه، كى يحمل معه ملف التقارير اليومية الذى كان يحرص على الاطلاع عليه قبل نومه.

سحب «عبدالناصر» أول مجموعة من الأوراق، واستغرقه ما قرأ وكان بعنوان: «توصيات الهيئة الاستشارية العسكرية لمجلس رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى الدورة السابعة غير العادية المنعقدة فى المدة من ٧ إلى ٩ ديسمبر ١٩٦٣»، وكان برفقة التوصيات تقرير عما دار فى الاجتماعات، ويقول هيكل: «وضح أمامه أن رؤساء الأركان يقفون أمام مأزق لا يستطيعون تجاوزه، وهو أن الحكومات العربية عهدت إلى مجلس الدفاع المشترك منذ أكثر من سنة دراسة الوسائل الكفيلة بمنع إسرائيل من إتمام مشروعها لتحويل مياه الأردن، ثم نسيت الحكومات الموضوع وانشغلت فى خلافاتها الداخلية والعربية، وأحس عبدالناصر بأن رؤساء الأركان يوجهون نداء استغاثة إلى السياسيين الذين وضعوهم أمام مهمة مستحيلة ثم تركوهم لينصرفوا إلى شواغلهم الصغيرة».

فى فجر مثل هذا اليوم «١٦ ديسمبر ١٩٦٣» طلب عبدالناصر تليفونيا اللواء «عبدالمنعم رياض» عضو الهيئة الاستشارية لمجلس رؤساء الأركان، وطلب منه الحضور فى الثامنة صباحا ليسمع منه ما دار فى الاجتماع وهو ما حدث، وبعد اللقاء تفرغ للموضوع الذى «أصبح شاغله مستوليا على كل اهتمامه وفكره»، وتحرك تفكيره على خطوط انتهت إلى دعوته للقمة التى عُقدت يوم ١٣ يناير ١٩٦٤.

١٧ ديسمبر عام ١٢٦٧
الظاهر بيبرس يعيد الصلاة إلى الجامع الأزهر
بعد توقفها ٩٨ عامًا

كان يومًا مشهودًا، اشترك فى الصلاة الأمراء والأكابر، وبعد الفراغ من أدائها أقيم داخل الجامع حفل دينى، تلا فيه القُراء ما تيسر من القرآن الكريم، ثم صحب الأمير «عز الدين» كبار المصلين إلى داره ليقيم لهم وليمة غداء فاخرة، ابتهاجًا بعودة الحياة الطبيعية إلى الجامع الأزهر، وقدم لهم كل ما تشتهى الأنفس والأعين.

هكذا كان حال القاهرة والجامع الأزهر فى مثل هذا اليوم «١٧ ديسمبر ١٢٦٧»، كما يصف الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوى فى كتابه «الأزهر جامع وجامعة-الجزء الأول»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، حيث عادت صلاة الجمعة إليه بعد انقطاع وإغلاق ٩٨ عامًا، بدأت عام ١١٧١ ميلادية، ولإغلاقه قصة، ولعودته قصة.

تعود قصة الإغلاق إلى صلاح الدين الأيوبى وتأسيسه للدولة الأيوبية «السُّنية» المذهب، التى قامت على أنقاض الدولة الفاطمية «الشيعية» المذهب، وحسب «الشناوى» فإن القضاء على المذهب الشيعى، واستئصال شعائره، ومعالمه، ومعاقله، كان فى مقدمة برنامج «صلاح الدين» الداخلى، فأبطل من أذان الصلاة عبارة: «حى على خير العمل»، ويقول حلمى النمنم فى كتابه «الأزهر.. الشيخ والمشيخة»: «أراد صلاح الدين أن يحدَّ من الثقافة الشيعية

فى مصر، وكان أمامه دار الحكمة وهى المكتبة الأكاديمية الكبرى، والجامع الأزهر وهو أقدم مساجد مصر، فأمر بإحراق دار الحكمة، ليتم حمل الكتب منها إلى «مستوقدات الفول»، واختلف المؤرخون حول استمرار اشتعال النار، أربعة شهور أو عامين».

أما الجامع الأزهر فتولى أمره قاضي القضاة «صدر الدين عبد الله بن درباس»، وكان شافعى المذهب مثل صلاح الدين، وأفتى بأنه لا تجوز إقامة خطبتين للجمعة فى بلدة واحدة وكذلك الحال بالنسبة إلى خطبة عيد الفطر وخطبة عيد الأضحى، ولأن الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله يقعان فى مدينة القاهرة، فتقرر منع إقامة الصلاة الجامعة فى الأزهر، وعلى الرغم من عدم منع الفتوى إقامة كل الصلوات، فإن المصلين هجروا الجامع تدريجيًا حتى لم يعد يتردد عليه أحد.

أما قصة عودة الصلاة إليه بعد ٩٨ عامًا فحدثت مع الدولة المملوكية، بقيام الأمير «عز الدين أيدمر» نائب السلطان «الظاهر ركن الدين بيبرس»، وكان يسكن بجوار الجامع الأزهر، بإعادة إعماره بعد أن وجده خرابًا وتبرع من ماله الخاص لذلك، وفاتح بيبرس بأهمية عودة الصلاة فيه، لكن الأمر كان يحتاج إلى فتوى جديدة تنقض الفتوى السابقة، فتوجه إلى قاضى القضاة «تاج الدين ابن بنت الأعز» وكان شافعيًا، غير أنه أعلن تمسكه بما أفتى به سلفه قبل ٩٨ عامًا، وسانده فى ذلك كل فقهاء الشافعية وقضاتها فى مصر.

وطبقا لـ«النمنم»، فإن السلطان اضطر إلى عزل «ابن بنت الأعز» وجاء بقاضى قضاة آخر يعتنق مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، وكان معروفا سلفًا بأن الأحناف لا يمانعون صلاة الجمعة فى أكثر من جامع فى المدينة الواحدة، وقرر قاضى القضاة الجديد إعادة الصلاة فى الجامع الأزهر، لكن هناك رواية أخرى تقول إن بيبرس لم يعزل قاضى القضاة «الشافعى»، وإنما اكتفى باستطلاع رأى فقهاء أفتوا له بعودة الصلاة إلى الجامع.

١٨ ديسمبر عام ١٩٥٧
مستشار الملك سعود ينقل شكوى لعبد الناصر
من عدم تدخله فى طلاق «ناريمان»

قال مستشار العاهل السعودى الملك سعود، الشيخ يوسف ياسين، للرئيس جمال عبدالناصر: «الملك سعود هو الذى له الحق أن يغضب لما يشعر به من جفاء مصر نحوه».

طالبه عبدالناصر بدليل، فرد الشيخ يوسف بقصص مستغربة، يذكرها الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى كتابه «سنوات الغليان»، نقلا عن وثيقة محفوظة فى «أرشيف منشية البكرى» (منزل الرئيس) فى جزء شئون عربية رقم ٤١٢ سعودية.

تمت المقابلة فى مثل هذا اليوم «١٨ ديسمبر ١٩٥٧»، وجاءت فى مناخ سياسى ملتهب بسبب ما عُرف تاريخيا بـ«مشروع إيزنهاور» نسبة إلى الرئيس الأمريكى، واستهدف احتواء المنطقة أمريكيًا ورفضته مصر بقوة، فى مقابل تأييده بقوة من السعودية، وسافر عاهلها «سعود» إلى الأردن لإقناعها بالانضمام إلى «المشروع» وقال فيها حسب هيكل: «الجماعة فى مصر مصبحين أو ممسين»، ومعناها أن النظام فى مصر قد لا يرى شروق الشمس أو غروبها فى أى يوم.

جرت واقعة أخرى يرويها هيكل، وهى أن ضابطا مصريا سابقا من أنسباء الأسرة المالكة المصرية السابقة حاول تجنيد صديق له هو العقيد «عصام

خليل»، للقيام بانقلاب عسكرى فى مصر، وسلمه ١٦٢ ألف جنيه إسترلينى دفعتها السعودية، فأبلغ «الضابط» اللواء عبدالحكيم عامر وزير الحربية بالتفاصيل وسلمه المبلغ، وعلم من يعنيهم الأمر فى السعودية بانكشاف السر، فأوفدوا الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك، ليجتمع بـ«عبدالناصر».

قدم «عبدالناصر» وثائق مسألة الانقلاب للشيخ يوسف، فرد بأنها محاولة مدبرة بعناية للوقيعة بين الصديقين «ناصر وسعود»، ثم فاجأ عبدالناصر بقوله إن الملك عاتب عليه؛ لأنه يرفض وساطة الملك فى موضوع طلاق الملكة «ناريمان صادق» (زوجة الملك فاروق الثانية) من زوجها الحالى «أدهم النقيب»، وأن الملك كتب خطابا إلى الرئيس يطالبه بتدخل الحكومة لإقناع «النقيب» بالطلاق، لكن الرئيس رد بأنه لا يستطيع فعل ذلك لأن القضية منظورة أمام القضاء.

نقل الشيخ يوسف لعبدالناصر، ضيق الملك من رد الرئيس قائلا: «لو أراد أن يكرمنى لفعلها»، فعلق عبدالناصر لـ«يوسف»: «هل سمعت عن حكومة متمدينة فى العالم تملك حق التدخل فى قضية أحوال شخصية أمام المحاكم تمس علاقة رجل بزوجته؟».

وانتقل «الشيخ يوسف» إلى نشر الصحف المصرية لخبر يقول إن «الملك أعطى للسيدة ناريمان ١٠٠ ألف جنيه إسترلينى»، فرد عبدالناصر بأن النشر جاء نقلا عن صحف بيروت وقت زيارة الملك لـ«لبنان».

أضاف الشيخ يوسف أن الملك غاضب من نشر الصحف تفاصيل قصة زواجه من فتاة لبنانية عمرها ١٧ عاما، وتقديمه هدايا لها تزيد قيمتها على نصف مليون جنيه إسترلينى، فرد عبدالناصر بأن الصحف المصرية نشرتها نقلا عن وكالات أنباء وصحف أمريكية، وتساءل: «لماذا يغضب الملك من مصر، ولا يغضب من أمريكا؟».

تضايق عبدالناصر من مسار المناقشة على هذا النحو، فأوقفها بحزم قائلا: «أرجوك أن تذهب إلى الملك وتنقل له أننى لا أعمل بسياستين ولا بوجهين».

١٩ ديسمبر عام ١٩١٤
عزل الخديو عباس حلمى الثانى
والتهديد بتعيين زعيم الطائفة الإسماعيلية فى الهند حاكمًا لمصر

انتشرت الإعلانات على الجدران فى القاهرة والإسكندرية، وفى الجرائد الرسمية، صباح مثل هذا اليوم «١٩ ديسمبر ١٩١٤»، جاء فيها: «يعلن ناظر الخارجية لدى حكومة ملك بريطانيا العظمى، أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمى باشا خديو مصر السابق على الانضمام لأعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوية، وقد عُرض هذا المنصب السامى مع لقب سلطان مصر على سمو الأمير حسين كامل باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على فقبله».

كان الآمر الناهى فى العزل والتعيين هو الاحتلال الإنجليزى، لم يكن للشعب المصرى يد فى القصة كلها، ولم تفعل الطبقة السياسية الموجودة شيئًا، وهو ما دفع الزعيم الوطنى محمد فريد الذى كان موجودا فى أوروبا وقتها إلى التعبير عن غضبه، قائلًا فى مذكراته: «من المحزن أنه لم يَسْتقِلِ مصرى من منصبه احتجاجًا على هذا العمل، بل قبله الجميع صاغرين».

فى سيرة الخديو عباس حلمى الثانى، أنه بدأ حكمه وطنيا اقترب من شباب الحركة الوطنية وعلى رأسهم مصطفى كامل من أجل استقلال مصر عن الاحتلال، وفى سيرته أيضًا، فراق معهم فيما بعد لمهادنته الاحتلال،

وبين الحالتين استمر فى حكم مصر ٢٣ عامًا يلخصها هو فى مذكراته التى حملت عنوان «عهدى» الصادرة عن درا الشروق، القاهرة بقوله: «طوال فترة حكمى، كان علىَّ أن أكافح، قدما بقدم، وبدون هوادة، من أجل المحافظة على الشخصية الدولية لمصر، ولكن صدام الحرب العالمية العظمى الأولى جاء لكى يقضى فجأة على التوازن بين القوى، ووجد خصومى العنيدون، لورد كرومر، لورد سيسل، لورد ملنر، وأتباعهم، وعن طريق اللورد كتشنر، فرصة لممارسة انتقامهم الخسيس بإبعادى عن عرش أجدادى».

فى موسوعة «حوليات مصر السياسية- الجزء الأول»، الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، تأليف أحمد شفيق باشا رئيس ديوان «الخديو المعزول»، نقرأ القصة كاملة، ويستوقفنا فيها جانب مثير يبدأ من لحظة تفكير الإنجليز فى الأمر، حيث كان لابد لهم من تعيين حاكم جديد، فألمحوا بغرضهم إلى الأمير محمد على شقيق الخديو المعزول لكنه رفض، وعرضوه على الأمير حسين كامل الذى قَبِل.

تصور الإنجليز أن أمراء بيت محمد على قد لا يقبلون شغل مكان «عباس حلمى» فناوروا بحيلة طريفة يرويها «شفيق باشا» قائلًا: إن الإنجليز استقدموا من الهند «أغاخان» زعيم طائفة الإسماعيلية هناك، فوصل إلى الإسكندرية يوم ١٩ ديسمبر «يوم قبول السلطان حسين تسلم عرش مصر»، وأوعزوا إلى أحمد يحيى باشا من عظماء الثغر أن يجمع فى داره لفيفا من أهل العلم والوجهاء فى حفلة يتم فيه مدح الزعيم المذكور، وتبجيله، وتقديسه، بهدف تخويف أسرة محمد على من إفلات العرش منهم، وذهابه إلى «زعيم الطائفة الإسماعيلية»، إذا لم يقبلوا مخططهم.

كان «عباس حلمى الثانى» فى العاصمة النمساوية «ڤيينا» أثناء صدور قرار عزله، ويروى «شفيق» باشا: لما وصل النبأ إلى حاشيته تهيَّبوا إبلاغه لسموه، ولما رأيت ترددهم، وجدت من الواجب أن أوقفه على الحقيقة، تقدمت إلى سموه، وتلطفت فى القول، فلما علم بالنبأ لم يَزِدْ على قوله: «فى محله».

٢٠ ديسمبر عام ١٩٨٠
اجتماع جامعة الشعوب الإسلامية فى القاهرة.. والسادات يستضيف قادة «الجهاد الأفغانى» على الغداء فى «مِيت أبوالكوم»

أدى ما يُسمى بـ«قادة الجهاد الأفغانى» صلاة الجمعة فى مسجد قرية ميت أبوالكوم، مسقط رأس الرئيس السادات بمحافظة المنوفية، واستضافهم الرئيس على الغداء، ضم الوفد «أحمد چيلانى» و«صيغة الله مجددى» وقيادات أفغانية، جاءوا إلى القاهرة للمشاركة فى مؤتمر «جامعة الشعوب الإسلامية»، الذى بدأ فى القاهرة مثل هذا اليوم «٢٠ ديسمبر ١٩٨٠».

فى أثناء الزيارة بث «الضيوف» رسالة إذاعية من راديو القاهرة إلى الشعب الأفغانى، وزاروا الهيئة العربية للتصنيع، فأهدتهم صواريخ وقنابل مضادة للدبابات، وجاءت الزيارة فى سياق المشروع الأمريكى لمقاومة الاحتلال السوفيتى لأفغانستان الذى بدأ يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩، وطبقا للدراسة المهمة «دفاتر أزمة» للكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى مجلة «وجهات نظر - يناير وفبراير ٢٠٠٢»، فإن تدافع الرئيس السادات فى مساندة «الجهاد الأفغانى»، كان بتخطيط أمريكى خالص تم الاتفاق عليه فى اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى فور وقوع الاحتلال، ووضع رؤيته مستشار الأمن القومى الأمريكى «زبجنيو بريجينسكى».

أسفرت قصة «الجهاد الأفغانى» ضد الاحتلال السوفيتى ومساندته أمريكيًا ومصريًا وسعوديًا عن تعاظم إرهاب التكفيريين فى المنطقة والعالم، وبفضلها تأسس تنظيم القاعدة، وذلك بعد أن وجد هؤلاء ساحة حرب حقيقية يجربون فيها، وبانتهائها تدافعوا بإرهابهم فى المنطقة، ومنها مصر، بغرور أنهم وحدهم هزموا ثانى أكبر قوة فى العالم وقتئذ.

حين حضر «جيلانى» و«مجددى» وغيرهم إلى القاهرة، كانت هناك شهور سابقة من الشحن الإعلامى والسياسى فى مصر لدعم «الجهاد الأفغانى»، شملت إجراءات عديدة، منها، انسحاب مصر من دورة الألعاب الأولمبية المقرر عقدها فى موسكو، ودعوة السادات إلى عقد مؤتمر قمة إسلامى لبحث الغزو السوفيتى، وقرار المكتب السياسى للحزب الوطنى بقطع العلاقات مع سوريا واليمن الجنوبية لإعلان تأييدهما للغزو، وخفض التمثيل الدبلوماسى مع موسكو، ودراسة اقتراح لإقامة جامعة للشعوب العربية والإسلامية، وتقديم تسهيلات للتدريب العسكرى للأفغان، وإقامة أسبوع للتضامن مع الشعب الأفغانى افتتحه كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، وألقى كلمة الافتتاح للرئيس السادات.

عقب الافتتاح انعقدت جلسة خاصة للجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب العربية والإسلامية لبحث مشروعات بقرارات خاصة بتدعيم النضال الأفغانى تتضمن اقتراحا بخصم ٢٪ من رواتب ومعاشات جميع موظفى الدولة، وفرض ضريبة جهاد لصالح أفغانستان، ودعوة الجمعيات الخيرية إلى جمع تبرعات لصالح الشعب الأفغانى، وفتح المساجد لتلقِّى تبرعات المواطنين، وتخصيص صندوق فى «مكتب أفغانستان» بالأمانة العامة لـ«جامعة الشعوب» لجمع التبرعات الشعبية غير الحكومية، ووضع فيه السادات مليون جنيه تبرعا كنواة ليمارس بها أعماله.

كما شهدت الجامعات المصرية مؤتمرات ومعارض تنظمها الجامعات الإسلامية عن «الجهاد فى أفغانستان»، ولم يعد هناك ذكر نهائى للقضية

الفلسطينية، وأثناء ذلك التقى السادات «عمرَ التلمسانى» المرشد العام لجماعة الإخوان، وأسفر اللقاء عن السماح للإخوان بالسفر إلى أفغانستان، على أن يقتصر نشاطهم فيها على أعمال الإغاثة فقط، غير أن فتح باب التطوع للجهاد تم فى مرحلة لاحقة، وعلى أثره سافر الكثير من أعضاء التنظيمات الإسلامية المتشددة.

٢١ ديسمبر عام ١٩٠٨
الخديو عباس حلمى الثانى
يفتتح الجامعة المصرية فى التاسعة صباحًا

«باسم الفتاح العليم، أعلن افتتاح الجامعة المصرية، وأسأله تعالى أن يجعلها منهلا عذبا لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الأجناس والأديان».

جاءت هذه الكلمات فى خطاب الخديو عباس حلمى الثانى حاكم مصر الذى ألقاه فى افتتاح الجامعة المصرية فى مثل هذا اليوم «٢١ ديسمبر ١٩٠٨»، وقال فيه: «لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لدىَّ ارتياحا عظيما منذ توجهت إليه الأفكار، وكذلك فإننى أرحب اليوم بظهوره وأراه مكملا ومتوجا لنظام التعليم الذى وضع أساسه جدى محمد على وقوَّى أركانه أسلافى العظام».

تصف هدى شعراوى رائدة المرأة العربية الحديثة فى مذكراتها، هذا اليُوم، قائلة: «كان يوما مشهودا فى تاريخ مصر لأن افتتاح الجامعة تحقق بعد حرب لا هوادة فيها بين اللورد كرومر من ناحية، والمفكرين وأولى الأمر من ناحية أخرى، ويُعد ذلك انتصارا لإرادة الأمة على إرادة المستعمر الذى كان يحاول بكل الوسائل وضع العراقيل أمام تقدم العلم فى بلادنا، ويعمل على تخلف أولادنا عن ركب العلم والمعرفة».

كانت الساعة التاسعة صباحا حين بدأت مراسم احتفال الافتتاح الذى أُقيم فى نظارة الأشغال (قاعة مجلس شورى القوانين)، وحسب مجلة «أيام

مصريـة- الجـزء الثالـث مـن الأعـداد الخاصـة بمئويـة الجامعـة المصريـة»: «حـضر الضيـوف الأجانـب، وكبـار رجـال الدولـة، والشـخصيات العامـة، يتقدمهـم الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى والأمـير أحمـد فـؤاد، واختـير طـلاب مـدارس، خليـل أغاخـان، والحسـينية، وأم عبـاس» ليكونـوا فى شرف اسـتقبال الضيـوف، واصطـف الطـلاب أمـام مبنـى «نظـارة الأشـغال» وهـم يحملـون أعلام مدارسـهم، وكان مدخـل النظـارة مزينًـا بالأزهـار والرياحـين عـلى جانبيـه، وفُرشـت أرضيتـه بالسـجاجيد الفاخـرة، وعـلى الأبـواب وفى الطريـق لقاعـة الاحتفـال حركـة لا تهـدأ لحفـظ الأمـن والنظـام مـن بوليـس السـراى وسـعادة محافـظ القاهـرة وسـعادة الحكمـدار.

كان أعضـاء مجلـس إدارة الجامعـة فى اسـتقبال الضيـوف الذيـن خُصصـت لـكل مجموعـة منهـم أماكـن محـددة للجلـوس، وتـم تخصيـص أماكـن للسـيدات اللاتـى حـضرن الحفـل، وكان فى الحضـور أيضـا أمـراء الأسرة الحاكمـة والـوزراء القدامـى ورجـال القضـاء ورجـال مجلـس الشـورى وشـيخ الجامـع الأزهـر ومفتـى الديـار المصريـة وبعـض رجـال الديـن المسـيحى وكبـار موظفـى الدولـة.

كان الأمـير أحمـد فـؤاد، رئيـس مجلـس إدارة الجامعـة، فى اسـتقبال الخديـو عبـاس حلمـى الثانـى لتبـدأ بعدهـا مراسـم الحفـل بكلمـة مـن الأمـير فـؤاد قـال فيهـا: «أتقـدم إليـك بلسـان الجامعـة رافعـا لأعتابـك آيـات الشـكر لأنـك مصـدر حياتهـا ووجودهـا، ونحـن لا نجهـل أن هـذا العمـل الكبـير سـتطرأ عليـه تغـيرات كثـيرة قبـل أن يأخـذ شـكله النهائـى، ولكننـا لم ندخـر وسـعا فى تثبيـت قواعـده ليكـون البنـاء الآتـى قائـما عـلى أسـاس مكـين وافيـا تدعـو إليـه الحاجـة فى مسـتقبل الأيـام».

وطلـب الأمـير فـؤاد مـن الخديـو عبـاس أن يتقـدم لافتتـاح الجامعـة وألقـى كلمتـه، كـما ألقـى كلمتَـيْ عضـوَيْ مجلـس الإدارة، عبدالخالـق باشـا ثـروت، وأحمـد زكـى بـك، وبعـد أن فـرغ «زكـى» مـن كلمتـه هتـف: «ليَحْيـىَ الخديـو، ليَحْيـىَ الخديـو» فهتـف الحـاضرون وراءه ثـلاث مـرات.

كان عـدد الطـلاب فيهـا ٤٠٤ يدرسـون الحضـارة الإسـلامية، و٣٦٠ حضـارة مـصر القديمـة، و٣٢٦ يدرسـون أدبيـات الجغرافيـا والتاريـخ عنـد العـرب، و٢٧٥ يدرسـون الأدب الإنجليـزى، و٢٨٨ يدرسـون الأدب الفرنسـى.

٢٢ ديسمبر عام ١٩٢١

إعدام عصابة ريًّا وسكينة.. وحراس السجن

يستعينون بالفتوة «النجر» لحمل «عبد الرازق» إلى حبل المشنقة

ريًّ، سكينة، عبدالعال، حسبو، شكير، عرابى، عبد الرازق، هى أسماء العصابة التى اشتهرت تاريخيا باسم «عصابة ريا وسكينة»، وبإضافة الصائغ الذى كان يشترى حلى ضحاياهم من القتيلات، وسيدة أخرى اسمها أمينة بنت منصور يكون عدد العصابة تسعة قتلوا «١٧» فتاة وزوجة، وبلغت فترة النشاط أكثر من عام بدأ من يناير ١٩٢٠، وكانت مدينة الإسكندرية مسرحا للجريمة.

هى قصة يمكن قراءتها بأكثر من وجه، قتل، دعارة، بلطجة، اختطاف، سرقة، ترويع، لكن الكاتب والمؤرخ صلاح عيسى يضعها فى كتابه الممتع «كل رجال ريا وسكينة» فى عمقها السياسى والاجتماعى والاقتصادى، فهو يتتبع سيرة ريا بنت على همَّام، وأختها سكينة منذ طفولتهما فى مسقط رأسهما بأقصى الجنوب فى «الكلح، أسوان»، وهما: «بلا ملامح، سوى ملامح الفقر والعوز والجوع»، حتى شبَّتا وغادرتا مسقط رأسيهما متنقلتين فى خط سير طويل بين القرى والعِزَب والكفور باحثتين عن اللقمة لتنتهى بهما الإقامة فى الإسكندرية، وسياسيا، فإن وقائع الجرائم المخزية كانت تُستغل للتدليل على عدم كفاءة المصريين المطالبين بإلغاء الحماية البريطانية».

تركز نشاط العصابة فى استدراج السيدات اللاتى يتزيّنّ بالمصوغات، ثم يتم قتلهن ودفنهن فى حجرتَىْ «ريا وسكينة»، ورغم تعدد البلاغات فشلت أجهزة الأمن فى التوصل إلى الحقيقة، حتى قادت صدفة بلاغ تقدم به رجل ضعيف البصر اسمه «أحمد موسى عبده»، قال فيه، إنه أثناء حفره داخل حجرته لإدخال المياه فوجئ ببقايا عظام آدمية، فأكمل الحفر حتى عثر على بقية الجثة، وتحمس ملازم شاب بقسم اللبان الذى لم يكن يبعد عن الحجرة أكثر من ٥٠ مترا، فانتقل للتحقيق، وتبين أن الحجرة استأجرتها «سكينة» من الباطن، وطُردت منها بحكم قضائى، وبدأت القصة فى إزاحة أسرارها.

اعترف المتهمون بجرائمهم، ويكتشف صلاح عيسى، أن كل رجال العصابة ممن شاركوا فى الحرب العالمية الأولى، ودعموا جهود الحلفاء بالخدمة فى الخطوط الخلفية لميادين القتال، والثانية، أن الدعارة السرية كانت هى المجال الاقتصادى للعصابة، ومعظم الضحايا كانوا من الداعرات اللاتى يبعن أجسادهن.

بدأت جلسات المحاكمة يوم ١٠ مايو ١٩٢١، وكان حضورها بتذاكر خاصة، وقضت المحكمة بإعدام المتهمين: سبعة فيهم «ريا» و«سكينة»، واثنين بالأشغال الشاقة المؤبدة، و«الصائغ» بالحبس ست سنوات، وفى يوم ٢١ ديسمبر ١٩٢١ تم تنفيذ الإعدام فى ريا وسكينة، وفى اليوم الثانى، مثل هذا اليوم «٢٢ ديسمبر»، كان تنفيذ الحكم فى الباقين، ويتذكر «الضابط المسئول» عن حراستهم فى عدد مجلة الكواكب «٩ فبراير ١٩٥٣»، أنه حين دخل عبد الرازق إلى الغرفة السوداء لتنفيذ الحكم تملَّكته ثورة عنيفة، وانطلق هائجا من الغرفة، وفشل كل الحراس فى إعادته إليها لقوته البدنية، وكان فى سجن «الحدرة» فتوة اسمه «النجر» فاستنجد به الحراس لينطلق كالوحش نحو عبد الرازق وصارعه حتى تغلب عليه، وحمله إلى الغرفة وساعد عشماوى فى تجهيزه على حبل المشنقة.

٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٦
القوات المصرية تتسلم بورسعيد بعد خروج العدوان الثلاثى

«أنا فى كابوس مرعب أتمنى أن أستيقظ منه، وأتأكد أنه مجرد كابوس»، هكذا وصف «بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل حاله أمام اجتماع حكومته يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦، كانت العبارة تعبيرا عن إحباطه من المحصلة النهائية للعدوان الثلاثى «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» على مصر، الذى انتهى إلى هزيمة تُوِّجت بخروج القوات المعتدية من بورسعيد فى نفس اليوم الذى قال فيه «بن جوريون» عبارته اللافتة، ودخول القوات المصرية إلى المدينة فى اليوم التالى، فى مثل هذا اليوم «٢٣ ديسمبر ١٩٥٦» الذى صار عيدا للنصر تحتفل به مصر كل عام، حتى تحول فى عصر السادات إلى عيد من الدرجة الثانية.

هناك مئات الحكايات التى يمكن قولها عن يومَىْ «٢٢ و٢٣ ديسمبر»، عن المقاومة الشعبية، عن إدارة المعركة السياسية: «أحس أهل بورسعيد بالحرية التى اكتسبناها لأنفسنا بأيادينا وبفضل الله ورجالنا جميعا» هكذا يلخص الدكتور يحيى الشاعر أحد أبطال المقاومة الشعبية فى بورسعيد الحالة، بينما ينقل «محمد عبد الرحمن حسين» فى كتاب «نضال شعب مصر» قول كمال الدين رفعت قائد المقاومة الشعبية له: «إذا سألتنى اليوم عن أحلى الأيام الحلوة التى عشناها منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فسأجيبك على الفور بأنها أيامنا فى فترة العدوان».

كان الجنود البريطانيون يحملون عِصِيَّهم ويرحلون، بينما كانت، وحسب ما يذكر «الشاعر» فى كتابه «الوجه الآخر للميدالية، حرب السويس١٩٥٦»: «الأوامر العسكرية تصدر لجميع أفراد المجموعات الشعبية المقاتلة وعددها عشرة بحمل أسلحتهم، والانتشار فى مدينة بورسعيد على نقاط «تكتيكية مهمة»، وتقديم المساعدة لأفراد البوليس فى حفظ الأمن، ومنع أى تَعدٍّ على ممتلكات وأماكن إقامة من تبقى فى بورسعيد من الأجانب أو «مكاتب شركاتهم» وبنوكهم، التى قام البريطانيون والفرنسيون بتفريغها من كل محتويات خزائنها من أموال وممتلكات ووثائق بل وأثاث وأجهزة».

لم تكن المقاومة المسلحة هى الأداة الوحيدة فى فرض كلمة المصريين، وإنما تنوعت الأساليب، وفى كتاب «نضال شعب مصر» لمؤلفه محمد عبد الرحمن حسين، نقرأ مثلا قصة الرسوم الكاريكاتيرية التى نُشرت فى بورسعيد، ومن بينها صورة تجمع «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا، و«موليه» رئيس وزراء فرنسا، و«بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل، كان «موليه» فى الصورة على هيئة «ماعز» و«بن جوريون» فى شكل كلب، و«إيدن» فى هيئة حاوٍ يداعبهما، وصورة أخرى لـ«إيدن» فى هيئة حمار يمتطيه جمال عبدالناصر، وذاع هذان الرسمان ذيوعا كبيرا، ولم يترك رجال المقاومة كلبا فى المدينة إلا ورسموا عليه وجه إيدن، أو حمارا إلا وطبعوا عليه صورة موليه، ولم تجد قوات العدوان وسيلة سوى ضرب هذه الحيوانات بالنار كلما وقع نظرها عليها.

ومن المنشورات الطريفة التى تداولتها بورسعيد: «قولوا لإيدن فين أعصابك/ يالى جيت ع الدولة الدايخة/ قولوا لإيدن إيه كان صابك/ تعمل فيها العملة البايخة/ جيت تتحدى وتتعدى/ وبالعاهرة الفاجرة فرنسا/ جاتكم خيبة، جاتكم نايبة/ جاتكم حوسة، جاتكم وكسة».

٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٦
نسف تمثال «ديلسيبس» فى مدخل القناة ببورسعيد
والمخابرات تختار «يحيى الشاعر» للمَهمَّة

«على بركة الله يا يحيى.. إلى تمثال ديلسيبس، انسفه»، هكذا بدأت الشرارة الأولى لنسف التمثال الواقف على قاعدة خرسانية مرتفعة على مدخل قناة السويس فى بورسعيد.

كان التكليف للدكتور «يحيى الشاعر»، ووجَّهه اليوزباشى «سمير غانم» ضابط المخابرات وأحد قيادات المقاومة السرية المسلحة فى بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وحسب قول «الشاعر» فى كتابه «الوجه الآخر للميدالية - من أسرار المقاومة الشعبية فى بورسعيد»: «لم ينتظر منى جوابا فقد كان ذلك أمرا عسكريا».

لماذا كان قرار النسف، واختيار «الشاعر» ابن الـ ١٨ عامًا فقط لتنفيذه؟ وكيف تمت العملية؟ هى أسئلة يطرحها «الشاعر» فى كتابه، ويجيب عنها، وفى تلخيص معبر، يقول عن سبب نسف التمثال: «كان آخر شعار للسيطرة الأجنبية فى مصر»، وعلينا أن نعى قوة هذا المعنى الذى قاد مصر قيادة وشعبًا إلى مقاومة العدوان الثلاثى: «بريطانيا، فرنسا، إسرائيل».

قال سمير غانم لـ«يحيى»: إن اختياره لهذه المهمة هو اعتراف له ولعائلته بدورهم خلال تحرير أرض مصر وبورسعيد، ويتذكر «يحيى»: «انتفخ صدرى

انبهارًا وافتخارًا، لم أكن تجاوزت الثامنة عشرة عامًا بمدى طويل، وما زلت مراهقًا، وبدأت أتحقق ما أديناه للوطن وقبلنا كلنا والدتى، ودون تعليق نظرت إلى اليوزباشى سمير، ثم شكرته على ثقته فى شخصى، وقلت له، سأفعل ما يمكننى لتحقيق هذا الطلب».

كان لـ«يحيى» طلب واحد، وهو أن يشاركه شقيقه عبد المنعم فى العملية، فرد اليوزباشى سمير: «زى ما أنت عايز دى عمليتك وأنت حر تتصرف فيها زى ما تشوف»، وفى السيارة التى كان يقودها «سمير» سلمه الأخير حقيبة مكتب جلدية سوداء ثقيلة، كان فيها مواد التفجير، وبدأت العملية فى مثل هذا اليوم «٢٤ ديسمبر ١٩٥٦»، ويرويها الشاعر قائلًا: «ما كاد الشعب يفتح عيونه فى الصباح المبكر، ويتوجه إلى منطقة رصيف ديلسيبس ليتأكد من مغادرة آخر السفن حتى صدمته رؤية علمين لبريطانيا وفرنسا ربطهما جنديان من الدولتين على اليد اليمنى لـ«ديلسيبس»، بالإضافة إلى وضع «غطاء رأس» لوحدة مظلات فرنسية على رأس التمثال، ودهان التمثال وقاعدته بشحم كثيف يعوق أى تسلق عليه.

استفز المشهد البورسعيديين الذين طالبوا المطافئ بإمدادهم بسلم طويل للتسلق عليه وانتزاع العلمين وهو ما حدث، وهتفوا وهم يدوسون على العلمين: «الله أكبر، تحيا مصر، يعيش جمال عبدالناصر».

يشرح «الشاعر» تفصيلًا عملية التفجير بزراعته وشقيقه للمتفجرات «تى إن تى» الموجودة فى الحقيبة السوداء التى تسلّمها من «اليوزباشى سمير»: «انتظرت ثوانى بشعة كرهتها، مضت علىَّ كسنوات طويلة جدًا، كنت أسمع خلالها نبضات قلبى، وساد على الحاضرين صمت وانتظار، وأخيرًا جاء صوت وصدى الانفجار، وارتفعت سحابة دخان سميكة أحاطت بالتمثال، وأعقب ذلك انضمام جندى المظلات «حسنى عوض» بأوامر من اليوزباشى سمير فى تفجيرين متتاليين فى أحد المشاهد المهمة فى تاريخ مقاومة المصريين ضد التدخل الأجنبى.

٢٥ ديسمبر عاعم ١٩٥٦

السفارة الإيطالية فى القاهرة

تضغط على ٢٠٠ طالب صومالى لترك دراستهم فى القاهرة

«أنا والد الطالب الصومالى عبد الحميد محمد حسن، أقدم لسيادتكم طلبى هذا راجيا أن يكون موضع عنايتكم واهتمامكم كما عهدنا بكم دائما، سيدى الوزير سمعت أن ابنى الذى كان يدرس فى مصر بكلية الحقوق جامعة القاهرة سافر إلى إيطاليا، وأصبح فريسة لإغراءات بعض أصحاب النفوس الشريرة الذين لا يريدون له خيرا، وبعد تقديم اعتذارى لهذا التصرف الصبيانى من ابنى، ألتمس من سيادتكم أن تسعى لدى المسئولين فى الحكومة المصرية، ألا تسمح له بسحب أوراقه قطعيا، وأن يبقى اسمه فى كشوف الطلبة، ويكون طالبا نظاميا حتى يتمكن من أداء الامتحان، وأن يكون اعتذارى مقبولا، وذلك لرغبتى الشديدة فى أن يكمل تعليمه فى مصر».

لم يكن هذا الخطاب المكتوب فى مثل هذا اليوم «٢٥ ديسمبر ١٩٥٦» من أب صومالى إلى السفير المصرى فى الصومال «كمال الدين صلاح» يتعلق بمشكلة شخصية، وإنما حمل وراءه قضية سياسية عميقة وخطيرة تكشف ضغوطا هائلة من السفارة الإيطالية فى مصر على الطلاب الصوماليين الدارسين فى جامعات ومدارس مصر، بإغرائهم لترك الدراسة والالتحاق بجامعات الغرب.

القضيـة تأتـى فى كتـاب «مؤامـرة فى أفريقيـا» للكاتـب أحمـد بهـاء الديـن، وتأتـى فى سـياق قصـة اغتيـال «كـمال الديـن صـلاح» قبـل أن يدخـل إلى منزله فى مقديشـيو يـوم ١٧ مـارس ١٩٥٧ طعنـا بالسـكين، وجـاء الاغتيـال الـذى هـز مـصر وأفريقيـا وقتهـا بعـد ثلاثـة أعـوام قضاهـا فى مَهمَّتـه، ممثـلا لمـصر فى مجلـس الوصايـة الـذى شـكلته الأمـم المتحـدة عـلى الصومـال، وتكـوَّن مـن «مـصر، كولومبيـا، الفلبيـن»، وكانـت مهمـة «المجلـس» مراقبـة عمليـة نقـل الصومـال مـن مرحلـة الوصايـة إلى مرحلـة الاسـتقلال، وكانـت إيطاليـا هـى الدولـة الوصيـة لفـترة ١٠ سـنوات، تبـدأ مـن عـام ١٩٥٠.

فـور أن ذهـب «كـمال الديـن صـلاح» إلى الصومـال، «وقـع فى حـب هـذا الشـعب الفقـير، كـما وقـع هـذا الشـعب الصغـير فى حبـه»، حسـب تعبـير «بهـاء الديـن»، ووضـع خطـة طموحـة للصوماليـين فى الزراعـة والتنميـة والتعليـم بمسـاندة كبـيرة مـن جمـال عبدالنـاصر، مما فتـح النـار عـلى «كـمال» مـن «إنجلـترا وإيطاليـا» باعتبارهمـا الاسـتعمار التقليـدى للصومـال، ومعهـما أمريـكا التـى بـدأت العمـل لوجودهـا فى منطقـة القـرن الأفريقـى.

كانـت مسـألة تعليـم الصوماليـين والحفـاظ عـلى اللغـة العربيـة كلغـة للبـلاد، مـن القضايـا العميقـة التـى عملـت مـصر مـن أجلهـا للحفـاظ عـلى هويـة الصومـال الإسـلامية والعربيـة، ولذلـك اسـتضافت مائتَـىْ طالـب وطالبـة بـين المـدارس الفنيـة والثانويـة والأزهـر والجامعـة، فحاربـت إيطاليـا هـذا التوجـه باتصـال سـفارتها فى القاهـرة بالطـلاب الصوماليـين وإغرائهـم بالسـفر إلى إيطاليـا وفرنسـا للدراسـة، حتـى الطالبتـان الوحيدتـان فى مدرسـة حلـوان الثانويـة لم تفلتـا مـن ضغـط السـفارة وإغرائهـا.

وعلـم «كـمال الديـن» مـن آبـاء هـؤلاء الطلبـة الذيـن جـاءوا إليـه فزعـين، وطالبـوه بالوقـوف ضـد ذلـك، وإعـادة أى طالـب إلى الصومـال يحـاول تـرك مـصر لأوروبـا، ويقـول «بهـاء الديـن»، إن المسـألة لم تكـن مسـألة مـصر وإنـما الثقافـة العربية واللغـة العربيـة والـروح العربيـة الاسـتقلالية، والدليـل مطـاردة القنصليـة الإيطاليـة فى دمشـق ١٦ طالبـا كانـوا يدرسـون فى سـوريا، وأرسـلت بعضهـم إلى أوروبـا».

٢٦ ديسمبر عام ١٩٥٣
الطالبان محمود سليمان وأحمد فهمى
يتسابقان فى تنفيذ عملية فدائية ضد معسكر أبو صوير

«أهنئك وأهنئ نفسى والأخ غاندى العزيز، لقد كانت ليلة أمس أول حركة يقوم بها فى حياته معى، ويثبت لى على الرغم من أنها أول تجربة عملية له أنه شاب آمن ببلده ودينه فامتزجا بدمه، لقد كنت أود أن تكون معى، لقد تحايل على غاندى كثيرا للاشتراك وإلا فلن يعرفنى، فتصور مبلغ وطنية هذا الثائر».

بطل هذه الرسالة طالب جامعة الإسكندرية، أحمد فهمى عبد القادر، وشهرته «غاندى» الذى تطوع ضمن المجموعات الفدائية لقتال الاحتلال الإنجليزى فى مدن القناة، وكاتبها هو غريب تومى أحد قيادات هذه المقاومة فى مدينة الإسماعيلية، وأرسلها إلى متطوع آخر هو محمود عبد الرحيم سليمان الطالب فى جامعة الإسكندرية، والقصة كلها فى كتاب «حرب التحرير الوطنية بين إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء اتفاقية ١٩٥٤» لكمال الدين رفعت قائد هذه المقاومة التابعة لتنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر.

القصة أبطالها سبعة رجال، هم ضابط المخابرات اليوزباشى عبد الفتاح أبو الفضل، غريب تومى من الإسماعيلية، والطالبان محمود سليمان عبد الرحيم، وأحمد فهمى وشهرته غاندى، وهما من أبناء الإسماعيلية، واثنان

آخـران مـن القاهـرة، أحدهمـا كان طالبـا والآخـر كان عامـلا، وجميعهـم كانـوا ضمـن مجموعـة فدائيـة يقودهـا أبـو الفضـل.

فى يـوم ٢٥ ديسـمبر ١٩٥٣، وصـل إلى الإسـماعيلية الطالبـان سـليمان وفهمـى لتلقِّـى أوامـر أبو الفضـل للقيـام بأعمالهـم الفدائيـة المعتـادة كل أسـبوع، لكـن التعليـمات المنتظـرة التـى تصـل فى موعـد لا يتعـدى التاسـعة مسـاء لم تصـل، فاسـتنتج غريـب تومـى، وهـو حلقـة الوصـل بـين أبو الفضـل والمجموعـة، أنـه لـن تكـون هنـاك عمليـات فى هـذه الليلـة، وقـال ذلـك للطالـب محمـود سـليمان فعـاد بـدوره إلى الإسـكندرية وتـرك فهمـى، لكـن فى السـاعة الحادية عـشرة مسـاء اتصـل أبو الفضـل بتومـى ليبلغـه بعمليـة فدائيـة فى معسـكر «أبو صويـر».

يـروى كـمال رفعـت، أن تومـى تـردد فى تنفيـذ العمليـة، لأنـه كان مجهـدا مـن عمليـة قـام بهـا أمـس، واتصـل بمحمـود سـليمان فلـم يجـده، ولم يكـن أحمـد فهمـى عـلى خـبرة كبـيرة تكفيـه للمشـاركة فيهـا، لكنـه أصر بشـدة فضمـه تومـى وتمـت العلميـة ضـد المعسـكر بنجـاح، ويـروى تومـى أنـه أراد أن يُدْخـل المتفجـرات، فاسـتعان بـأولاد عـم مرسـى، وكانـوا تلاميـذ صغـار فى الإعداديـة والبكالوريـا ارتـدوا ملابـس «عـمال الرايـش» ووزعـوا القنابـل واشـتركوا فى العمليـة التـى أحدثـت تفجـيرات هائلـة وكبـدت الاحتلال خسـائر فادحـة فى المعـدات والأرواح.

القصـة وحسـب رفعـت: «تبـدو عاديـة حتـى تنفيذهـا، لكـن مـا حـدث بعدهـا هـو جوهرهـا»؛ ففـى الثالثـة صباحـا مـن مثـل هـذا اليـوم «٢٦ ديسـمبر ١٩٥٣» كتـب تومـى خطابـا إلى سـليمان حملـه فهمـى وهـو عائـد إلى الإسـكندرية فى اليـوم نفسـه، ومـا كاد يتسـلم الرسـالة حتـى رد برسـالة إلى تومـى يحتـجُّ فيهـا عـلى عـدم اشـتراكه وتفضيـل أحمـد فهمـى عليـه، ويدلـل كـمال رفعـت بغضـب سـليمان، عـلى الـروح المعنويـة العاليـة التـى كان الفدائيـون يتمتعـون بهـا، فالـكل كان يتسـابق لتقديـم روحـه فـداء مـصر، فـ«فهمـى» توسـل إلى «تومـى»، و«سـليمان» غضـب مـن عـدم اشـتراكه، و«تومـى» المريـض لم يتأخـر.

٢٧ ديسمبر عام ١٨٨٢
سفينة المنفى تُقْلِع بزعماء الثورة العرابية..
وعرابى مودعا مصر: «يا كنانة الله صبرًا على الأذى»

«ولينا وجوهنا شطر مصر ننظر إلى جمالها وحسن منظرها ونودعها بقولنا: (يا كنانة الله صبرًا على الأذى، حتى يأتى الله لك بالنصر).

هكذا يتحدث أحمد عرابى، زعيم الثورة العرابية، بحزن فى مذكراته، عن تلك اللحظة التى أقلعت فيها السفينة من السويس به ورفاقه إلى المنفى فى «سيلان»، فى مثل هذا اليوم (٢٧ ديسمبر ١٨٨٢).

كان المشهد حزينا، وحسب قول صلاح عيسى فى كتابه «الثورة العرابية»: «هو آخر ما شهدته مصر من الملحمة العرابية المجيدة، والرجال السبعة الذين حملتهم السفينة «مريوتس» إلى منفاهم فى «سيلان» مع ثمانية وأربعين من رفاقهم وأبنائهم، هم الذين عبر بهم القلب المصرى عن أنقى نبضاته وأطهر عواطفه، وصنع بهم ومعهم أروع انتفاضات القرن الماضى وأكثرها أصالة».

كان المنفيون سبعة: أحمد عرابى، طلبة عصمت، عبد العال حلمى، محمود سامى البارودى، على فهمى، محمود فهمى، يعقوب سامى، واستأجرت الحكومة الإنجليزية السفينة وحمولتها ١٥٠٠ طن، وتقدم المنفيون بقائمة ١٣٠ شخصا يسافرون معهم، لكن الحكومة المصرية اعترضت للتكلفة العالية،

فتدخل «بـرودلى» المحامـى الإنجليـزى لعرابـى، وحسـب كتـاب «الثـورة العرابيـة بعـد ٥٠ عامًـا رؤيـة صحيفـة الأهـرام»، بقلـم داود بـركات، تعليـق لطيفـة سـالم: «تـم الاتفـاق عـلى أن يكـون مـع كل واحـد منهـم ماعـدا أفـراد عائلتـه خصِيّ للحريـم «أغـا» وخادمـة وداد للأطفـال، ولكـن بعـض النسـاء وجـدن أن الحاشـية قليلـة والخـدم قليـل فرفضـن السـفر».

وتقـول لطيفـة سـالم: «صحـب معظمهـم أولاده وزوجاتـه مـا عـدا البـارودى الـذى لم يرافقـه سـوى ثلاثـة مـن خدمـه، حيـث رفضـت زوجتـه السـفر معـه، كـما أن الظـروف المرضيـة حالـت دون سـفر زوجـة عرابـى وأذن لهـا باللحـاق بـه، وسـجلت وزارة الخارجيـة البريطانيـة أن عـدد المرافقـين ٥٨ شـخصا، وذكـرت وزارة المسـتعمرات أنهـم ٥٢ شـخصا، وأشـارت محافـظ الثـورة العرابيـة إلى أنهـم ٨٤ شـخصا».

كان القطـار الـذى يقـلُّ المنفيـين مـن قـصر النيـل إلى السـويس عظيـم الطـول، يـكاد يمتـد مـن أول الفنـاء إلى آخـره، وكان فى مقدمتـه السـيدات ومعهـن أطفالهـن، وفى مؤخرتـه الخـدم والمتـاع الثقيـل وفرقـة مـن الحـراس الإنجليـز، وبعـض الجنـد والضبـاط المصريـين الذيـن يرافقـون المنفيـين إلى السـويس.

وفى وسـط القطـار، كانـت هنـاك عربـة مـن عربـات الدرجـة الأولى مخصصـة لـ«عرابـى» وأصحابـه، الذيـن أخـذوا أماكنهـم عندمـا بلـغ القطـار قـصر النيـل، ويصفهـم «بـردلى»: «بـدا عليهـم مـن البشاشـة أكثـر ممـا كان يبـدو عـلى مثلهـم مـن الإنجليـز لوكانـوا فى مثـل موقفهـم، وأسرعـت إلى النوافـذ لأسـمعهم بعـض كلـمات التوديـع، وأعـاد عرابـى عـلىَّ كلـمات ثنائـه وشـكره والطيبـات».

فى دراما الرحيـل يذكـر محمـود الخفيـف فى كتابـه «أحمـد عرابـى الزعيـم المفـترَى عليـه»: «لم يكـن مـع عرابـى ولا أحـد مـن أصحابـه مـال، وبعـد تدخـل بـرودلى تـم صرف ثلاثـين جنيهـا مقدمـا لـكل منهـم ممـا قـرر صرفـه لهـم فى المنفـى»، وينقـل الخفيـف مـا قالـه «بيـمان» المحامـى الإنجليـزى الثانـى لعرابـى فى إحـدى الصحـف الإنجليزيـة: «عرابـى الـذى كان يسـتطيع أن يجمـع لنفسـه مليونـا مـن الجنيهـات لم يجـد مـا يشـترى بـه ملابـس لـه عنـد سـفره، وأرسـل لـه بعـض أصدقائـه حقيبـة

مـلأى بالملابـس والقطـار عـلى أهبـة السـفر، وكانـت أسرتـه تعيـش وهـو فى السـجن عـلى صدقـات يدفعهـا بعـض محبيـه سرا، وكنـت أنـا الـذى أحملهـا بيـدى، ولسـت أكتـب هـذا بدافـع عبـادة البطولـة، وإنـما لأبـين لمـاذا اختـار الشـعب المـصرى رجـلا نشـأ مـن طبقـة الفلاحـين وتعلـق بـه، لأنـه يعـرف مـا يشـكو منـه».

وينقـل «الخفيـف» عـن «بـرودلى» قولـه، إن بعـض السـيدات الفُضْلَيـات أعطينه يـوم ٢٦ ديسـمبر كثـيرا مـن الهدايـا لعرابـى حـين تأهـب للسـفر، وذلـك فى حـذر خوفـا مـن «توفيـق»، فأرسـلت إحداهـن حقيبتـين إنجليزيتـين كبيرتـين، وأخـرى مصحفـا فخـما وثالثـة سـجادة للصـلاة، ورابعـة حقيبـة مـلأى بالملابـس، وخامسـة سـلة جميلـة.

٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨

جماعة الإخوان تقتل «النقراشى باشا»

والقاتل: « العلمية تمت بتعليمات حسن البنا»

كانت الساعة العاشرة صباحا فى مثل هذا اليوم «٢٨ ديسمبر ١٩٤٨»، عندما وصل «النقراشى باشا» رئيس الوزراء إلى وزارة الداخلية، نزل من سيارته أمام المبنى الرئيسى للوزارة، وصعد فى درجات المدخل يحيط به كالمعتاد حرس الوزارة، وقُبيل وصوله إلى المصعد انطلقت الرصاصات فى ظهره، كان المجرم يرتدى زى ضابط شرطة، وعم الحزن أرجاء البلاد، حسب قول عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «فى أعقاب الثورة المصرية ثورة ١٩١٩ - الجزء الثالث».

كان القاتل طالبا بمدرسة «الطب البيطري» يدعى «عبد المجيد أحمد حسن»، وارتدى زى الشرطة واندس فى فناء الوزارة لارتكاب جريمته، وحسب «الرافعي» كان القاتل مطلوبا اعتقاله قبل أيام، لكن النقراشى رفض قائلا: «لا أحب التوسع فى اعتقال الطلاب فأنا والد، وأقدِّر أثر هذه الاعتقالات فى نفوس الآباء والأمهات، وكان ابنًا لموظف فى وزارة الداخلية ومات، فقرر النقراشى تعليم الابن بالمجان».

كانت الجريمة استمرارا لمسلسل الجرائم التى ترتكبها «جماعة الإخوان» والتى أوصلت «النقراشي» إلى قراره بحل الجماعة يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨، ولم

يتراجع عن قراره رغم الوساطات الهائلة التى قام بها حسن البنا مؤسس الجماعة ومرشدها، ورغم نصيحة مرتضى المراغى مدير الأمن العام بالتريث فى قرار الحل، ويذكر فى مذكراته قوله للنقراشى ، أن هناك بعض خلايا التنظيم ومخازن أسلحة ومفرقعات لم يتمكن الأمن من التوصل إليها ، وحسب حلمى النمنم فى كتابه : «حسن البنا الذى لا يعرفه أحد»: «عدد من الوزراء حذروا النقراشى لأن الجماعة اخترقت الجيش».

لم يقتصر «البنا» على الوساطات وإنما نقلت «الجماعة» الأمر إلى التهديد، وحسب النمنم: وصل إلى مكتب النقراشى أربعة خطابات مليئة بالشتائم والكلمات البذيئة والتهديد بالقتل وعَدَّها من باب «اللغو»، ووصلت خطابات أخرى إلى بيت «النقراشي» تهدد زوجته باختطاف ابنهما وابنتهما، وعلى الرغم من كل هذا الحصار أقدم «النقراشى باشا» على قراره، فوقعت عملية الاغتيال .

ظل القاتل «عبد المجيد حسن» ملتزما الصمت فى التحقيقات، وكما يقول «النمنم»، اتجه التركيز على تحميل «البنا» المسئولية المباشرة، فأراد أن يبرئ نفسه ببيانه: «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين»، وحمل المحققون «البيان» إلى عبد المجيد ففُكت عقدة لسانه، وقال: إن العملية تمت بتعليمات من المرشد، وإنه الذى أقنعه بتنفيذها، وأفتاه بمشروعيتها رجل المرشد فى التنظيم الخاص سيد سابق، حيث تلا على عبد المجيد حسن الآية القرآنية الكريمة: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (سورة الأنفال، الآية: ٤٥)، واستدعت النيابة سيد سابق للتحقيق فيما نسبه إليه «عبد المجيد»، فأنكر وأدان وتلا قول الله تعالي: { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } (سورة النساء، الآية: ٩٣).

سعى «البنا» إلى مقابلة إبراهيم عبد الهادى الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد «النقراشي»، لكن «عبد الهادي» رفض مصمما على أن يعترف أولا بأسماء التنظيم ومخازن السلاح فرد البنا: «لا أعرف».

٢٩ ديسمبر عام ١٩٤٨
إسرائيل تعرض على الدكتور محمد حسين هيكل
رئيس مجلس الشيوخ مشروع سلام مع مصر

سافر الدكتور محمد حسين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ، إلى باريس لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد البرلمان الدولى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، وفى اليوم التالى (مثل هذا اليوم ٢٩ ديسمبر) تلقّى مكالمة تليفونية فى غرفته بالفندق من مسئول إسرائيلى سابق.

تولت الدهشة «هيكل»، كان المتصل «إلياس ساسون» والد أول سفير لإسرائيل فى القاهرة «موشى ساسون» بعد توقيع السادات اتفاقية السلام معها، وكان قصد الاتصال مشروعا للسلام من إسرائيل إلى مصر بعد ثمانية أشهر من قيام إسرائيل، والسبب، كما يذكره الكاتب الصحفى محمود عوض فى كتابه «وعليكم السلام»: قرر الإسرائيليون وقتها أننا لا نعنى من الدول العربية غير مصر، ويضيف عوض: «أعدت إسرائيل مشروعا بمعاهدة كاملة للصلح المنفرد، وقامت بإبلاغه إلى الملك فاروق، واختارت اثنين من السياسيين لنقله إلى الملك، هما إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى، والدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ وقطب حزب الأحرار الدستوريين».

فى الجزء الثالث من مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل الصادرة عن «دار المعارف» يتحدث عن القصة كلها، مشيرا إلى أنها بدأت فى الأسبوع

الأول من شهر سبتمبر ١٩٤٨ حين كان فى روما على رأس وفد مصر لحضور المؤتمر البرلمانى الدولى.

فى أثناء المؤتمر جرى ترتيب للقاء بينه وبين ساسون فى چنيف بسويسرا بعد المؤتمر، وخلال اللقاء تحدث ساسون: «أصارحك بأننا لا نعنى من الدول العربية غير مصر».

رد هيكل: «أنا لا أعرف الخطة التى قررتها الحكومة المصرية، وأود أن أذكر لك رأيا شخصيا لم أفاتح به أحدا من المسئولين المصريين، ذلك أن تتنازلوا أنتم صراحة عن منطقة النَّقَب لمصر وأن تعلنوا استعدادكم لذلك قبل كل حديث».

أجاب «ساسون» فى لهجة لم يرضها هيكل: «وما حاجتكم إلى النقب ولديكم أنقاب كثيرة لم تصلحوا منها شيئا؟»، يعلق هيكل: «يريد أن صحارى مصر الواسعة لم تنَلْ منا عناية أو إصلاحا، وكفتنى هذه العبارة لأكف عن المضى فى الحديث».

يصف «عوض» عرض «صحراء النقب» من «هيكل» بأنه يدل على سذاجة الصورة السياسية لديه، واستحق بالتالى تهكم ساسون عليه، فالصراع فى فلسطين لم يتعلق بضم، أو عدم ضم.

عاد هيكل إلى مصر فى منتصف أكتوبر وليس فى نيته أن يذكر شيئا لأحد عما دار، وذلك حسب تأكيده فى مذكراته، ثم تجدد الاتصال به فى باريس وأسفر عن لقاء ٢٩ ديسمبر بالمسئول الإسرائيلى ومعه زميل آخر بغرفة هيكل، وفى اليوم التالى ٣٠ ديسمبر تلقى مشروع السلام بعنوان «معاهدة المودة والصداقة مع مصر»، ويسجل: «تلوت مقدمة المشروع ومواده فتولانى أشد العجب، إسرائيل تُمِلِى فيه على مصر أقسى مما ورد فى معاهدة ١٩٣٦»، ويكفي أن من بنودها: «تحتفظ إسرائيل بحق الڤيتو على السياسة الخارجية المصرية إذا انتهجت مصر سياسة تراها إسرائيل متناقضة مع سياستها»، ويكشف هيكل أن المسئولين الإسرائيليين أبلغاه أن المشروع سُلم بالفعل إلى إبراهيم عبد الهادى ولابد أنه أطلع الملك فاروق عليه.

٣٠ ديسمبر عام ١٩٥٧
زواج الزعيم الغانىّ «نكروما» من المصرية «فتحية حليم».. وإسرائيل تعبر عن تشاؤمها

هى طالبة فى جامعة القاهرة، عمرها ٢٦ عاما، تعلمت فى إحدى المدارس الفرنسية بالقاهرة، هو زعيم أفريقى كبير، قاد النضال فى بلاده ضد الاستعمار البريطانى، عمره ٤٨ عاما، هى اسمها «فتحية حليم رزق»، هو اسمه «كوامى نكروما» رئيس وزراء غانا، والاثنان بطلا حدث كبير شغل أمريكا، بريطانيا، فرنسا، وإسرائيل، وكانت «غانا» وقتئذ تحت السيطرة البريطانية، ولها حاكم عام بريطانى، وكان «نكروما» يقود الحركة الوطنية لتحرير بلاده عبر برنامج سياسى حزبى.

القضية شخصية، خطوبة تمت فى القاهرة، والزفاف فى العاصمة الغانيَّة (أكرا)، لكن حكومات الدول الكبرى تساءلت: «لماذا ؟»، وأمرت سفاراتها فى (أكرا) بالبحث عن الإجابة، والقصة كلها تأتى فى كتاب «العلاقات بين مصر وغانا ٩٥٧ - ١٩٦٦» تأليف أسامة عبد التواب عن دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

فى مساء مثل هذا اليوم (٣٠ ديسمبر ١٩٥٧)، أذاعت وكالة رويترز خبرا عن الزواج وقالت إن فتحية وصلت إلى أكرا فى صباح يوم (٣٠ ديسمبر) قبل الزفاف بساعات قليلة، برفقة خالها عدلى مرقس صادق، واستقبلها فى مطار أكرا «بايدو أنساه» صديق الطفولة لـ«نكروما»، وتم تسجيل الزواج مدنيا،

وحضر الحفل عدد قليل من المدعوين من أقارب نكروما وأصدقائه وبعض الوزراء، ولم يتم الإعلان عن الزواج إلا بعد انتهاء الحفل بأربع ساعات.

للزواج فى مصر تقاليد، وأصول، فى التقاليد والأصول أن يتعارف العروسان بطريقة ما، إما بالصورة، وإما باللقاء الشخصى، وبين الاثنين وأسرتيهما يلعب الوسيط دورًا رئيسًا فى تقريب وجهات النظر، وتذليل العقبات، وفى حالة «نكروما» و«فتحية»، كان الوسيط هو الحاج «صالح السنارى»، مصرى درس فى الأزهر، وكان مقيما فى غانا ويرتبط بصداقة مع نكروما.

زار السنارى بيت «العروس» عدة مرات، وتبادل الصور بينها وبين «العريس»، ونقل المعلومات الخاصة بكل طرف إلى الطرف الآخر. نقل السنارى لنكروما، أن فتحية فقدت والدها وعمرها ١٣ عاما، وكان والدها يعمل موظفا فى مصلحة التليفونات المصرية، وهى الثالثة بين إخوتها الخمسة، ولها أخ متزوج بإنجليزية ويعيش فى لندن.

المعلومات التى قدمها السنارى لفتحية عن نكروما كثيرة، أهمها بالطبع تلك التى تحتاجها أى عروس، الأمان، الاستقرار، الحب، لكن كيف سيتحقق كل ذلك مع رجل يناضل من أجل حرية بلده، ويسير على طريق من الأشواك لتحقيق ذلك؟ تلك كانت مهمة السنارى الذى قدم لها صورة وافية عن قيمة نكروما فى بلده وأفريقيا، وقيمته عند جمال عبد الناصر شخصيا.

لم يكن السنارى وحده يقوم بمهمة إقناع فتحية، كان معه صديقه وابن خالتها فى الوقت نفسه الدكتور «نجيب» الأستاذ بهندسة القاهرة، وأخيرا أعطت العروس الموافقة، فحضر ابن عم نكروما من غانا إلى مصر ليسمعها شخصيا، وقدم هدية العريس ٥٠٠ جنيه إنجليزى وخاتمَ ألماسٍ بـ١٠٠ جنيه إنجليزى.

دارت العجلة استعدادا لحفل الزفاف الذى سيتم فى أكرا، واستعدت له فتحية بشراء ١٢ فستانًا من القاهرة قبل مغادرتها، وسافرت فتحية من دون والدتها التى خافت من السفر بالطائرة.

هـل كان للقيـادة المصريـة يـد فى هـذا الـزواج؟ هـذا السـؤال يتبـادر إلى الأذهان، ويطرحـه الباحـث أسـامة عبـد التـواب فى كتابـه «مـصر وغانـا»، ويجيـب بأنـه ربـما عندمـا علمـت القيـادة المصريـة برغبـة نكرومـا فى الـزواج، أومـأت إلى السـنارى بـأن يقـترح عليـه مصريـة مسـيحية، وبالفعـل منحـت لـه القيـادة السياسـية خمـس صـور كـى يختـار نكرومـا مـن بينهـا، فاختـار «فتحيـة حليـم رزق».

ومـمـا يعــزز ذلـك أن «عبـد النـاصر» عـرف موعـد حفـل الـزواج فى حـين أن الغـانيين بـكل المسـتويات لم يعـرفوه إلا بعـد انتهائـه بسـاعات، وكلـما كان عبـد النـاصر يحـضر إلى مطـار القاهـرة لاسـتقبال نكرومـا كان يحـضر معـه أهـل فتحيـة؛ حتـى يظهـر أن عبدالنـاصر هـو «صهـر» نكرومـا كـما أن فتحيـة أصبحـت صديقـة لأسرة عبـد النـاصر، وكانـت تخـبره بنشـاط الإسرائيليـين فى غانـا فى زيارتهـا للقاهـرة.

الصحـف العالميـة تناولـت الـزواج مـن زاويـة أن مـصر قصـدت منـه ضـم غانـا إلى كتلـة عبـد النـاصر، وحـين حملـت فتحيـة أعلـن نكرومـا أن مولـوده لـو جـاء ذَكَـرًا فسـيطلق عليـه اسـم عزيـز يجلُّـه ويحترمـه، واحتفـظ بسريـة الاسـم حتـى أطلـق عليـه اسـم «جمـال» يـوم (٣ أبريـل عـام ١٩٥٩).

كان السـفير الإسرائيـلى فى غانـا هـو الأكثـر تشـاؤما، وذلـك طبقـا لتقريـر تـم رفعـه إلى الحكومـة البريطانيـة شـمل ردود فعـل البعثـات الدبلوماسـية، وسـألت الإدارة الأمريكيـة: هـل سيسـير نكرومـا وفـق سياسـة متوازنـة بـين مـصر وإسرائيـل؟

٣١ ديسمبر عام ١٩٦٨
أم كلثوم «تُسَوْدِن» أغانيها
«الأطلال وهذه ليلتى وفات الميعاد» فى «الخرطوم» و«أُمّ درمان»

«أهل السودان لا يحبون الهجر والصد والفراق، ولا يطيقون الاستسلام طويلا للأحزان والنكد والخصام، لأنهم يعشقون المرح والغناء والرقص وأفراح الحب ونشوة اللقاء، أهلنا فى السودان يتنشون طربا للغناء، وغالبا ما يمارسون أسلوب «الشيل» أى ترديد الغناء والتصفيق وراء المطرب، ووجدانهم مزيج بين العربية والأفريقية».

هكذا قدم الكاتب الصحفى يوسف الشريف نصيحته الذهبية إلى كوكب الشرق أم كلثوم، وهما على الطائرة فى الطريق إلى السودان يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٨ للغناء، ضمن حفلاتها فى العواصم العربية وباريس ومحافظات مصر لصالح المجهود الحربى بعد نكسة ٥ يونيه ١٩٦٧.

فى الزيارة تفاصيل سياسية وفنية، تبدأ من حرص أم كلثوم على معرفة السودان من قرب قبل سفرها، فسألت الكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين، وكما قال لى يوسف الشريف فى شهادته ضمن شهادات أخرى فى كتابى «أم كلثوم وحكام مصر» رد بهاء عليها: «هبعت لك ولد فاهم السودان كويس قوى، وكنت أنا المقصود، وقابلتها فى ڤيلتها، وأصرت على أن أسافر معها».

توافد جمهور من بلاد عربية وأوروبية إلى السودان للاستماع إلى «أم كلثوم»، وعوملت فيها معاملة الرؤساء والملوك، فأمضت أيامها فى قصر الضيافة

الرسمى، واستقبلها إسماعيل الأزهرى، رئيس مجلس السيادة فى القصر الجمهورى، وأقام رئيس الوزراء محمد أحمد محجوب حفلا كبيرا لها، وحضروا جميعهم أولى حفلاتها فى الخرطوم، وكتب الشاعر محمد المهدى المجذوب شعرا: «يا أم كلثوم هذا النيل يفيض بصوتك أعطارا وألوانا/ يا نخلة النيل أثمارا وعافية/ زودى العرب الأحرار بستانا»، وحضرت حفلا لعرس رأت فيه كيف يحتفل السودانيون بالزواج، وحاورها التليفزيون السودانى فقالت إن زيارتها صنعت فكرة الغناء لشاعر من كل بلد عربى، وستكون أول أغنية لها من قصائد لشعراء سودانيين ستحملها إلى القاهرة لتختار من بينها، وبالفعل غنت فيما بعد قصيدة «أغدا ألقاك» كلمات الشاعر السودانى الهادى آدم.

قدمت حفلها الثانى على مسرح «أم درمان» مساء يوم ٣٠ ديسمبر، وعلى وقع صيحات الجمهور: «للصبح ياست» امتدت سهرتها حتى صباح مثل هذا اليوم (٣١ ديسمبر ١٩٦٨)، وغنت «الأطلال، وهذه ليلتى، وفات الميعاد»، وتجاوب معها الجمهور بحرارة كبيرة ولافتة.

يُرجع «الشريف»، فى كتابه «السودان وأهل السودان»، تجاوب الجمهور اللافت، إلى اعتمادها أسلوبا غير مسبوق فى غنائها، يضيف: «رغم أن أغنياتها طويلة زمنيا وبطيئة الإيقاع فإنها نجحت بذكائها وحضورها الطاغى، وحسها المرهف فى السيطرة على مشاعر المستمعين، وجذبهم إلى تذوق أنغام سُلَّم الموسيقى العربية البطىء، وأعفت السودانيين من ممارسة عادة «الشيل» عبر ترديد كوبليهات أغانيها وراءها، وقنعوا باستعادة إيقاعاتها السريعة الراقصة»، ويؤكد الشريف: «كانت أغنياتها ولأول مرة مزيجا بين السلمين الخماسى فى الموسيقى السودانية، والسداسى فى الموسيقى العربية، وكان غناؤها حدثا ثقافيا يفوق كل إنجازات أجهزة الإعلام والثقافة والدبلوماسية المصرية منذ استقلال البلدين فى الخمسينيات من القرن الماضى».

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (١) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً -- المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق.

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢